
ديوان
الشريف الرضي
المجلد الثاني
دار صادر
دار بيروت

ديوان
الشريف الرضي

المجلد الثاني

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م

حرف الفاء

بالجد يبلغ الشرف

يمدح الملك بهاء الدولة وكان قد عمل هذه القصيدة في أغراض ولم يسم الممدوح فيها ثم أضاف إليها أبياتاً ذكره فيها وأنفذها إليه وذلك سنة ٤٠٠ :

بالجَدّ لا بالمَساعي يُبلَغُ الشّرَفُ ، تَمشِي الجُدُودُ بأقوَامٍ ، وَإنْ وَقفُوا
أعيَا مِنَ الدّهرِ خُلْقٌ لا دَوَامَ لَهُ ، البَذْلُ وَالمَنْعُ وَالإنْجَازُ وَالخُلُفُ
وَاطٍ بِجَفْوَتِهِ أعقَابَ خُلّتِهِ ، يَوْماً وَدُودٌ ، وَيَوْماً مَلّةٌ طَرِفُ[1]
رَاحَتْ تَعَجَبُ مِنْ شَيبٍ ألَمّ بِهِ ، وَعاذِرٌ شَيبَهُ التّهمَامُ وَالأسَفُ
وَلا تَزَالُ هُمُومُ النّفسِ طَارِقَةً ، رُسْلُ البَياضِ إلى الفَوْدينِ تَختَلِفُ
إنّ الثّلاثِينَ وَالسّبْعَ التَوَينَ بِهِ عَنِ الصّبَا ، فَهوَ مَزْوُرٌ وَمُنعَطِفُ
فَمَا لَهُ صَبْوَةٌ يُبْكَى بِها طَلَلٌ ، وَلا لَهُ طَرْبَةٌ يُعلى بِها شَرَفُ
أينَ الذينَ رَمَوْا قَلْبي بسَهمِهِمُ ، وَلَمْ يُدَاوُوا ليَ القَرْفَ الذي قَرَفُوا[2]

١ الملة : الملول ، وهو نعت بالمصدر . الطرف : الذي لا يثبت على صحبة أحد .

٢ القرف : الجرح . قرفوا : قشروا .

يَشكُو فِراقَهُمُ القلبُ الذي جرَحُوا ... منّي ، وتَبكيهِمُ العَينُ التي طرَفُوا
كمْ جاءَني الخَوْفُ ممّا كنتُ آمَنَهُ ، ... وكَمْ أمِنتُ التي قَلبي بِها يَجِفُ
قَدْ يَأمَنُ المَرْءُ سَهماً فيهِ مَوْقِعُهُ ، ... وَقَدْ يَخافُ الذي يَنأى وَيَنحَرِفُ
لمّا رَأيْتُ مَرَامي الظّنّ خَاطِئَةً ، ... وَدُونَ ما أرْتَجي منكُم نوًى قَذُفُ
صَرَفتُ نَفسيَ عَنكُمْ ،وَهيَ غانيَةٌ ، ... وَالنّفسُ تُصرَفُ أحياناً ، فتَنصَرِفُ
مَا هَزّ فَرْعَكُمُ يأسٌ ،وَلا طَمَعٌ ، ... وَلا مَرَى دَرّكُمْ لِينٌ ، وَلا عَنَفُ
وَلا لَكُمْ في ثَنَايا الجُودِ مُطّلَعٌ ؛ ... وَلا لكُمْ في ظُهورِ المَجدِ مُرْتَدَفُ
يأبَى ليَ العِزُّ، وَالغَرّاءُ مِنْ شِيَمي، ... إمْسَاكَ حَبلِ غُرُورٍ ما لَهُ طَرَفُ
هَبْهَا ضَبَابَةَ لَيْلٍ أنتَ خابِطُها ؛ ... إنّ الظّلامَ ، وَإنْ عَنّاكَ، مُنكَشِفُ
تَنَظّرِ الصّبحَ ، إنّ الصّبحَ مُنتَظَرٌ ، ... وَالفَجرُ يُعرِبُ عَمّا أعجَمَ السَّدَفُ
كَأنّني ، يَوْمَ أستَعطي نَوَالَكُمُ ، ... دانٍ مِنَ الصّخرَةِ الصّمّاءِ يَغتَرِفُ
وَيَوْمَ أدْعُوكُمُ للخَطْبِ أحذَرُهُ ... داعٍ يُبَلِّغُ مَن قَد ضَمّهُ الجَدَفُ[1]
ما كُنتُمُ من سُيُوفي ،إذْ هَزَزْتُكُمُ ... هَزَّ النّوَابي ، إذا أمضَيتَها تَقِفُ
يا رَاعيَ الذّوْدِ لا أصبَحتَ في نَفَرٍ ... تَرْوَى البِكارُ وَتَظما الجِلّةُ الشُّرُفُ[2]
ما أعجَبَ القِسمَةَ العَوْجاءَ يَقسِمُها ؛ ... الدّارُ وَاحِدَةٌ وَالوِرْدُ مُختَلِفُ
لَئِنْ حُرِمتُ مِنَ العَلْيَاءِ ما رُزِقُوا ، ... لَقَدْ جَهِلتُ مِنَ الفَحشاءِ ما عرَفُوا
لأُرْحِلَنّ المَطَايَا ثمّ أبْرِكُهَا ، ... حيثُ اطمأنّ النّدى وَاستوْطنَ الشَّرَفُ

١ الجدف : القبر .
٢ الجلة : المسنة من الإبل . الشرف ، الواحدة شارف : المسنة منها

كَأنّما في رِجالِ الرّكبِ خاطِرَةٌ ؛ تَعانَقَ الدّوُّ ، وَالنّأجيّةُ العُصُفُ[1]
بدارِ أغلَبَ مَا في وَعدِهِ خُلُفٌ للرّاغِبينَ ، وَلا في حُكمِهِ جَنَفُ
حيثُ الحُقُوقُ قِيَامٌ في مَقاطِعِها ، وَكُلُّ مَنْ حاكَمَ الأيّامَ مُنتَصِفُ
رَاضَ الأمُورَ عَلى أولى شَبيبَتِهِ ، فالرّأيُ مُحتَنِكٌ ، وَالعمرُ مُؤتَنِفُ
يُحيي المَكَارِمَ أبْنَاءٌ لَهُ وَرَدُوا ، كَمَا بَنَى المَجْدَ آبَاءٌ لَهُ سَلَفُوا
يا ابنَ الأُولى نَزَلُوا العَليَاءَ خالِيَةً ، مَنازِلَ الدُّرّ يُرْمَى دونَهُ الصَّدَفُ
المُقدِمِينَ ، فَلا مِيلٌ ، وَلا عُزُلٌ ، وَالحَامِلونَ ، فَلا جَوْرٌ وَلا ضَعَفُ
لي فيهِمُ خلَفٌ مِنْ كُلّ مُفتَقَدٍ ، وَرُبّما جَازَ قَدرَ الذّاهبِ الخَلَفُ
في كُلّ يَوْمٍ عَدُوٌّ أنْتَ قَائِدُهُ قَوْدَ الجَنيبِ، لِما عَسّفتَ مُعتَسِفُ
في السِّلمِ دافِقَةٌ ،شُؤبوبُها خَضِلٌ ، وَالرّوْعِ بَارِقَةٌ ذُو رَعدِها قَصَفُ[2]
فَمِنْ شِعابِ نَدًى أمواهُهُ دُفَعٌ ، وَمِنْ طِعَانِ قَنًا آبَارُهُ خُسُفُ
تَغْدُو كأنّكَ ، وَالهاماتُ طائِرَةٌ ، جانٍ مِنَ الحَنظَلِ العاميِّ يَنتَقِفُ
كأنّ سَيفَكَ ضَيفُ الشّيبِ ليسَ لَهُ عَنِ الرّؤوسِ ،إذا ما جاءَ، مُنصَرَفُ
فاستَأنِفُوا العِزّ مُخضَرّاً زَمانُكُمُ ، كأنّما الدّهرُ فيكُمْ رَوْضَةٌ أُنُفُ
وَابقَوْا بَقَاءَ الدّرَارِي في مَطالِعِها، إلاّ البُدورَ ، فإنّ البَدْرَ يَنكَسِفُ

١ النأج الريح : تحركت . العصف ، الواحدة عصوف : الريح الشديدة .
٢ ذو رعدها : أي الذي رعدها .

قال هذه الأبيات وجعلها زيادة لهذه القصيدة :

تَسعَى البِكارُ مُعَنّاةً، وَقَد مَلَكَتْ ... أُولى الجُمامِ عَلَيها الجِلّةُ الشُّرُفُ
إذا رَأَيْنَا قِوَامَ الدّينِ رَاكِبَهَا ، ... فلَيسَ في ظَهرِها للقَوْمِ مُرْتَدَفُ
فَقُلْ لمُعتَسِفٍ يَرْجُو لَحَاقَهُمُ : ... لَبِّثْ، فقَدبلَغوا العَليا وَما اعتَسَفُوا[1]
لَوَ انّ عَينَ أبيكَ اليَوْمَ ناظِرَةٌ ، ... تَعَجّبَ الأصْلُ مِمّا أثمرَ الطَّرَفُ
وَنَى عَنِ السّعيِ ،فاستَرْعَى مساعيَهُ ، ... مُدَرَّباً بطَرِيقِ المَجدِ لا يَقِفُ
قَد يَسبُقُ الخَيلَ تاليها، وَإنْ كَثُرَتْ ... منها الفَوَارِطُ يَوْمَ الجَرْيِ وَالسَّلَفُ

١ لبث : أبطىء .

رواق من القنا

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرة الملك أبي شجاع بن قوام الدين بفارس بعد أن واصل التقدم باقتضائه ذلك وهو مدافع به على الطريقة التي استأنفها من الاضطراب عن الشعر والازدهاء في قوله ويومي إلى تهنئته بالألقاب والخلع السلطانية الخارجة إليه من حضرة الخليفة سلطان الدولة وعز الملة ومغيث الأمة عماد الدين وذلك في شهر صفر سنة ٤٠٤ وهي آخر قصيدة مدح بها الملوك قدس الله نفسه :

قُلْ لأَفتَى يَرْمي إلى المَجدِ طَرْفا، ضَرِمٍ يُعجِلُ الطَّرَائدَ خَطْفَا[1]
طارَ يَستَشرِفُ المَوَاقعَ ، حتّى وَجَدَ العِزَّ مَوْقِعاً ، فَأَسَفّا
يا عِمَادَ الدّينِ الذي رَفَعَ المَجْـ ـدَ ، وَقَد مالَ بالعِمَادَينِ ضُعفَا
وَمُغيثَ الأنامِ، وَابنَ مُغيثِ الـ ـخَلْقِ ،طَوْدٌ رَسَا وَطَوْدٌ تَعَفّى
وَمُجارِي الزّمانِ خَطباً، فخَطباً، سَابِقاً خَطوَهُ ، وَصَرْفاً، فصَرْفَا
أنْتَ ثَاني جِمَاحِهَا يَوْمَ لا يَمْـ ـلِكُ كَفٌّ لجَامحِ الخَطبِ كَفّا
في رِوَاقٍ مِنَ القَنَا لا تُرَى فيـ ـهِ سِوَى البِيضِ وَالعوَاملِ سَقفَا
كافأَتْ أرْضُهُ السّمَاءَ عَلى المُزْ نِ ، وَأهدَتْ لهَا قَسَاطِلَ وُطْفَا
تُتبِـعُ الطّعنَ فيهِ طَعناً عَلى الأعـ ـناقِ شَزْراً وَالضَّرْبَ ضَرْباً طِلَحْفَا[2]

١ الضرم : فرخ العقاب
٢ الطلحف : الشديد .

لاثَ أبْطَالُهُ عَمَائِمَ بِيضاً   لَبِسُوا تَحتَها قَتِيراً وَزَغْفَا[1]
رَسَبُوا في غِمَارِها ، ولَوَ انّ الـ   ـطّوْدَ يُمنَى بِهَا لَدَلّ وَخَفّا
قد كُفيتَ السّعيَ الطّويلَ ، وتأبَى   أن يَرَى المَجدُ منك حِلساً وَقُفّا[2]
بَينَ جَدّ بَذّ الجُدودَ ، فَأوْفَى ،   وَأبٍ ضُمّنَ العَلاءَ ، فَوَفّى
قامَ فيه يَلُفّ خَطباً بِخَطْبٍ ،   لا نَؤوماً ، ولا سَؤوماً ألَفّا
يَلْبَسُ الهِمّةَ العَلِيّةَ للأعْـ   ـداءِ دِرْعاً، ويَرْكَبُ العَزْمَ طِرْفَا
مِن رِجالٍ جَنَوْا لكُمْ ثَمَرَ المَجْـ   ـدِ عَرِيضاً وَعاقَرُوا المَوْتَ صِرْفَا
عَقَدُوا بَينَكُمْ وَبَينَ المَعَالي ،   قَبلَ يَعلو الرّجالُ عَقداً وَحِلفَا
رَكِبُوا صَعبَةَ العُلَى أوّلَ النّا   سِ ، فمَن جاءَ بَعدَهم جاء رِدفَا
بَيتُ جُودٍ تُكفَى النّوَائبُ فيهِ ،   وَجِفانُ القِرَى بهِ لَيسَ تُكْفَا
عندَهُ النّارُ أُوقِدَتْ باليَلَنجُو   جِيّ تُذكي عَرْفاً، وتُجزَلُ عُرْفَا[3]
قَدْ بَلاكَ الأعداءُ حُلواً وَمُرّاً ،   وَبَلَوْا شِيمَتَيكَ لِيناً وَعُنْفَا
فَرَأوْكَ الحُسَامَ قَدّاً وَقَطّاً ،   وَرَأوْكَ الغَمَامَ وَبْلاً وَوَكْفَا
قَلّبُوا الغُرّ مِنْ سَجاياكَ تَقْليـ   ـبَ اليَمَانيّ بُرْدَهُ المُسْتَشَفّا
حَسِبُوهَا تَصَنُّعاً ، فَرَأوْهَا   كُلّ يَوْمٍ تَزْدادُ ضِعفاً وَضِعْفَا

١ لاث : عصب . القتير والزغف : الدرع .

٢ الحلس : الذي لا يبرح بيته . القف : الصغير من الرجال ، القصير الضعيف .

٣ اليلنجوجي : عود طيب الرائحة يتبخر به . العرف بالفتح : الرائحة . تجزل : توقد بالحطب اليابس . العرف بالضم : المعروف ، الجود ، وضد النكر .

جَحَدَ الحَاسِدُونَ مِنها الضّرُورا ت ِ، وَأخفَوْا دَرَارِياً ليسَ تُخفَى
كَهلالِ السّحابِ ما غَابَ حتّى رَقّ عَنْ وَجهِهِ الغَمامُ فَشَفّا
كَذبوا، أنتَ أسبَقُ النّاسِ إحسا ناً ، وَأنْدَى يَداً وَأمطَرُ كَفّا
خُلُقٌ ثَابِتٌ ، إذا غَيّرَ الدّهْ رُ رِجَالاً أخلاقُهُمْ تَتَكَفّا
إنْ تَناسَوْا تَذَكّرَ الجُودِ طَبعاً، أوْ تَوَلّوْا ثَنَى إلى المَجدِ عِطْفَا
رَامَ مِنّي قودَ القَرِيضِ ، وَلَوْلا هُ، لقَد جاذَبَ الزّمامُ الأكُفّا
هَبّ مِنْ رَقدَةِ الفُتُورِ إليْهِ ، بَعدَمَا غَضّ ناظِرَيْهِ وَأغفَى
هُوَ ظَهرٌ يَنقَادُ طَوْعاً عَلى اللّيـ نِ ، وَيأبَى القِيادَ إن قِيدَ عَسفَا
وَبُرُودٌ غَالَى بِهِنّ أبُوكَ الـ قَرْمُ، فاختارَها الأشَفَّ الأشَفّا
إنّ مِنْ ضَوْئِها لذي التّاجِ تَاجاً، وَلِرَبّ الأطْوَاقِ طَوْقاً وَشَنفَا
فَابقَ للخَطْبِ مُقذِياً مِنْهُ عَيناً، كُلّ يَوْمٍ، وَمُرْغِماً منهُ أنفَا
أنتَ أعلى مِنْ أنْ تُهنَّأ بالعِزّ ، إذا مَا ضَفَا عَلَيكَ وَرَفّا
بَلْ تُهَنّا مَلابِسُ العِزّ أنْ أبْـ قَيْتَ فيها نَشراً وَأعبَقتَ عَرْفَا
وَمَرَاقي العُلَى بِأنْ بِتَّ تَعلُو ها وُثُوباً ، إذا عَلا النّاسُ زَحفَا
صِلْ بفَخرِ المُلْكِ الأغَرّ حُساماً تَجمَعِ المَاضِيَينِ عَضْباً وَكَفّا
داعِمُ المُلْكِ يَوْمَ مَالَ وَلاقَى مَوَجَاناً مِنَ ٱلخُطُوبِ وَرَجْفَا
وَمُداوِي العَلاءِ مِنْ عِلّةِ البُؤ سِ ، وَقد أعجَزَ الطّبيبَ وَأشفَى
لَنْ تَرَى مِثلَهُ اللّيَالي ، وَهَيهَا تَ! لَقَدْ أجمَلَ الزّمانُ وَأصْفَى

ردوا الغليل

قال رضي الله تعالى عنه يفتخر ويذكر غرضاً من الأغراض

رُدّوا الغَليلَ لِقَلْبيَ المَشغُوفِ ، وَخُذوا الكَرَى عَن ناظري المَطرُوفِ
وَدَعُوا الهَوَى يقوَى عَليّ مُضَاعَفاً ، إنّي عَلى الأشجانِ غَيرُ ضَعيفِ
وَلَقَدْ رَتَقتُ على العَذُولِ مَسامعي ، تُ عَن عَذْلٍ وَعن تَعنيفِ
أرْضَى البَطالَةَ أن تكُونَ قَلائدِي أبَداً ، ولَوْمَ اللائِمينَ شُنُوفي
هَلْ دارُنا بالرّمْلِ غَيرُ نَزِيعَةٍ ، أمْ حَيُّنَا بالجِزْعِ غَيرُ خُلُوفِ
فَلَقَدْ عَهِدْتُ بِهَا كَنافِرَةِ المَهَا ، مِنْ كُلّ مَمشُوقِ القَوَامِ قَضِيفِ[1]
سِرْبٌ ، إذا استَوْقَفتُ في ظَبَيَاتِهِ ، عيبي ر- عل جوَى مَوْقُوفِ
يَرْعَينَ أثْمَارَ القُلُوبِ تَوَارِكاً مَرْعَى رَبيعٍ بِاللّوَى وَخَرِيفِ
كَمْ بَينَ أثْنَاءِ الضّلُوعِ لهنّ مِنْ قِرفٍ بِأظْفَارِ النّوَى مَقْرُوفَ
لا تَأخُذِيني بالمَشيبِ ، فَإنّهُ تَفْوِيفُ ذي الأيّامِ لا تَفوِيفي[2]
لَوْ أستَطيعُ نَضَوْتُ عَنّي بُرْدَهُ ، وَرَمَيتُ شَمسَ نَهارِهِ بكُسُوفِ
كَانَ الشّبَابُ دُجُنّةً ، فتَمزّقَتْ عَنْ ضَوْءِ لا حَسَنٍ ، وَلا مألُوفِ
وَلَئِنْ تَعَجّلَ بالنُّصُولِ ، فخَلْفَهُ رَوْحاتُ سَوْقٍ للمَنُونِ عَنيفِ

١ القضيف : النحيف .
٢ التفويف ، من قولهم برد مفوف : فيه خطوط بيض على الطول .

وَإذا نَظَرْتُ إلى الزّمَانِ رَأَيْتُهُ تَعَبَ الشّرِيفِ ، وَرَاحةَ المَشرُوفِ
وَعِقَالَ كُلّ مُشَيَّعٍ مُتَغَطْرِفٍ ، وَمَجَالَ كُلّ مُوَضَّعٍ مَضْعُوفِ
أعَليّ يَستَلّ الدّنيُّ لِسَانَهُ ، سَيَذُوقُ مَوْبَى مَرْبَعي وَمَصِيفي[1]
فيمَنْ تُعَيّرُني ، بِفيكَ رُغَامُهَا ، أبِتَالِدِي في المَجْدِ أمْ بطَرِيفي
أبِمَعشَرِي، وَهُمُ الأُولى عاداتُهُمْ في الرّوْعِ ضَرْبُ طُلًى وَخرْقُ صُفوفِ
مِنْ كُلّ وَضّاحِ الجَبِينِ مُغَامِرٍ عِندَ العَظَائِمِ ، باسمِهِ مَهتُوفِ
وَإذا قَرَعتُ ، فَهُمْ صُدُورُ ذَوَابلي، وَمِنَ العَدُوّ مَعَاقِلِي وَكُهُوفي
فاذْهَبْ بنَفْسِكَ حَاسِماً أطْمَاعَها عَنْ صِلّ وَادٍ أوْ هِزَبْرِ غَرِيفِ[2]
فلَقَدْ جَرَرْتُ على الزّمانِ عَوَائِدي ، إنّي أدُقُّ زُحُوفَهُ بِزُحُوفي
هذا ، وَقَوْمُكَ بَينَ قاذِفِ مَعشَرٍ ، كَذِباً ، وَبَينَ مُلَعَّنٍ مَقْذُوفِ
لا المَجْدُ في أبْيَاتِهِمْ بِمُعَرَّقٍ يَوْماً ، وَلا لَهُمُ النّدَى بِحَلِيفِ
قَبْلي سَقَاكَ أبي كُؤوسَ مَذَلّةٍ ، وَلَتَشْرَبَنْ بيَدِي كُؤوسَ حُتُوفِ
ذاكَ الثّقَافُ يُقِيمُ كُلّ مُمَيَّلٍ ، وَأنَا الجُرَازُ أقُدّ كُلّ صَلِيفِ
فَحَذارِ إنْ شَبّ الفَنِيقُ لِحَاظَهُ ، وَتَقَارَبَتْ أنْيَابُهُ لصَرِيفِ
خَلّ الطّرِيقَ لِمُجْمِرٍ أخفَافَهُ ، مَاضٍ عَلى سَنَنِ الطّرِيقِ مُنيفِ[3]

١ الموبى : مكان الوباء .

٢ الغريف : الأجمة .

٣ المجمر : الصلب ، والمسرع في السير .

وَلَضَيغَمٍ يَطَأُ الرّجَالَ ، غُلُبَّةً بِقَنَاً مِنَ الأنْيَابِ أوْ بسُيُوفِ[1]
وَاشدُدْ حَشَاكَ فَلَستَ تَطمَحُ خالياً إلاّ بَدَا لكَ مَوْقِفِي وَوُقُوفي
وَإذا رَمَيْتَ مِنَ الحِذارِ بِمُقْلَةٍ في الجَوّ رَاعَكَ في السّمَاءِ حَفيفي
أهْوِي إلى فُرَصٍ يَسُوءُكَ غِبُّهَا، مُتَسَرّعاً كَالأجْدَلِ الغِطْرِيفِ
كَيداً يُرِي أنْ لا دَعِيَّ أُمَيّةٍ كَادَ الرّجَالَ ، وَلا دَعِيَّ ثَقيفِ
أوفيتُ مُعْتَلِياً عَلَيْكُمْ وَاضِعاً قَدَمي عَلى قَمَرِ السّمَاءِ المُوفي
وَوَلِيتُكُمْ فَحَزَزْتُ في عِيدانِكُمْ حَتّى أقَامَ مُمِيلَهَا تَثْقِيفي
وَفَطَمتُكُمْ بالزّجْرِ عَنْ عاداتِكُم، وَرَدَدْتُ مُنكَرَكُمْ إلى المَعرُوفِ
عَفٌّ السّرِيرَةِ لَمْ تُلَطّ لِرِيبَةٍ يَوْماً عَليّ مَغَالِقي وَسُجُوفي
فلَئِن صُرِفتُ فلَستُ عن شرَفِ العُلى وَمَقَاعِدِ العُظَمَاءِ بالمَصرُوفِ
وَلَئِنْ بَقِيتُ لَكُمْ ، فإنّي وَاحِدٌ أبَداً ، أُقَوّمُ منكُمُ بِألُوفِ

[1] غلبة : قهراً ، والغلبة من الرجال : الذي يغلب سريعاً .

نف كأنف الليث

يفتخر ويذكر غرضاً من الأغراض وهو ضيق صدره بأمر النقابة وما يتكلفه من التشدد وإقامة الهيبة فيها :

رِدِي مُرَّ الوُرُودِ وَلا تَعافي ، فَمَا يَنْأى بيَوْمِكِ أنْ تَخَافي
فَطَوْراً تُعرَضِينَ عَلى زُلالٍ ، وَطَوْراً تُعرَضِينَ عَلى ذُعَافِ
وَمَنْ يَشرَبْ بصَافٍ غَيرِ رَنْقٍ يَرِدْ يَوْماً برَنْقٍ غَيرِ صَافي
غَمَسْتُ يَدَيّ في أمْرٍ، فمَنْ لي، وَأينَ بنَزْعِ كَفّي وَانكِفَافي
كَفَاني أنّني حَرْبٌ لقَوْمي ، وَذَلِكَ لي مِنَ الضّرّاءِ كَافِ
حطَمتُ صِعادَهُمْ حتّى استَقاموا، مُجَاوَزَةً بِهِمْ حَدَّ الثّقَافِ
فَصِرْتُ لِذَمّهِم غَرَضاً رَجِيماً، يُرَامُوني بمِثْلِ حَصَى القِذافِ
وَأكْذِبُ بالتّصَوّنِ مُدّعِيهِمْ ، وَألْجِمُ قَائِلِيهِمْ بالعَفَافِ
وَلَوْ أنّي أطَعْتُ الرُّشْدَ يَوْماً ، لأبْدَلْتُ التّحَامُلَ بالتّجَافي
وَأغضَيتُ اللّوَاحِظَ عَنْ ذُنُوبٍ، وَمَوْضِعُها لعَيْني غَيرُ خَافِ
وَلَكِنّ الحَمِيّةَ فيّ تَأبَى قَرَارِي للرّجَالِ عَلى التّكَافي
وَأنْظُرُ ... وَعَظيمَ عَارٍ رِضَايَ مِنَ المُنَازِعِ بالكَفَافِ
وَلَوْ أنّي رَمَيتُ أصَابَ سَهْمي ، وَلَكِنّي أُنَقِّبُ عَنْ شِغَافي
فَمَا سَهمي السّدِيدُ مِنَ النّوَابي، وَلا بَاعي الطّوِيلُ مِنَ الضّعَافِ

وَلي أنفٌ كَأنفِ اللّيثِ يَأبَى شَميمي للمَذَلّةِ وَاستِيَافي
وَقَدْ عَرَفَ العِدى وَبَلَوْا قَديماً خُطَايَ إلى المَنَايَا وَازْدِلافي
ليَ العَزْمُ الذي قَدْ جَرّبُوهُ ، يَقُدُّ مَضَارِبَ البِيضِ الخِفَافِ
وَرَبْطُ الجَأشِ ، وَالأقدامُ زُلٌّ يُزَلزِلُهَا الرّدَى يَوْمَ الوِقَافِ
وَقَدْ كَلّتْ صَوَارِمُهَا وَمَلّتْ عَرَانِينُ القَنَى مِنَ الرُّعَافِ
فعَالُ أغَرَّ رَيّانِ العَوَالي مِنَ الأعداءِ مَلآنِ الصّحَافِ
يُضِيفُ ، فَلا يُمَيّزُ مَنْ يَرَاهُ أمَارَاتِ المُضِيفِ مِنَ المُضَافِ
إذا عُدّ المَنَاقِبُ جَاءَ بَيْتي يَجُرُّ ذُيُولَ أحسَابٍ صَوَافي
أقِلّوا ، لا أبَا لَكُمُ ، وَخَلّوا مُطَاعَنَةَ الأسِنّةِ بالأشَافي[1]
فَقَدْ مُدّتْ غَيَابَاتُ المَخَازِي عَلى عَرَصَاتِكُمْ مَدَّ الطِّرَافِ
صَفَوْتُ لكُم، فرَنّقتُمْ غَديرِي، وَأيُّ مُضَاغِنٍ رَجَعَ المُصَافي
وَيُوشِكُ أنْ يُقَامَ عَلى التّقَالي، أنَابيبٌ رَجَعْنَ إلى التّصَافي
مَضَى زَمَنُ التّمَازُجِ وَالتّداني، وَذا زَمَنُ التّزَايُلِ وَالتّنَافي
لَئِنْ أعْلَى بِنَاءَكُمُ اصْطِنَاعي، فسَوْفَ يَثُلُّ عَرْشَكُمُ انحِرَافي
أُداوِي داءَهُمْ ، فَيَزِيدُ خُبثاً ، وَلَيسَ لداءِ ذي البَغضَاءِ شَافِ
حَنَوْتُ عَلَيهِمُ وَلَرُبّ حَانٍ عَلى جَانٍ ، وَإنْ بَعُدَ التّلافي
فَمَا قَلبي ،وَإنْ جَهِلُوا، بقَاسٍ ، وَلا حِلمي، وَإن قَطَعُوا ، بهَافِ[2]

١ الأشافي : مثاقب الأساكفة ، الواحد إشفى .
٢ الهافي : الذاهب .

فَمَا تُغني القَوَادِمُ مِنْ جَنَاحٍ ، تحَامَلَ ، إنْ قَعَدْنَ بِهِ الخَوَافي
وَعِندِي للزّمَانِ مُسَوَّمَاتٌ مِنَ الأشْعَارِ تَختَرِقُ الفَيَافي
قَصَائِدُ أنْسَتِ الشّعَرَاءَ طُرّاً عُوَاءَهُمُ عَلى أثَرِ القَوَافي
بَوَارِدُ للغَليلِ كَأنّ قَلْبي يَعُبّ بِهِنّ في بَرْدِ النِّطَافِ
أسُرّ بِهِنّ أقْوَاماً ، وَأرْمي أقَيْوَاماً بِثَالِثَةِ الأثَافي

سلي بي !

يفتخر بآبائه عموماً ثم بأبيه الأدنى خصوصاً

وَفَى بِمَوَاعيدِ الخَليطِ ، وَأخلَفُوا ، وَكَمْ وَعَدوا القَلبَ المُعَنّى ولَم يَفُوا
وَمَا ضَرّهُمْ أنْ لمْ يَجُودوا بمُقْنعٍ مِنَ النَّيلِ ، إذ مَنّوا قليلاً وَسَوّفُوا
أفي كُلّ يَوْمٍ لَفتَةٌ ثُمّ عَبْرَةٌ عَلى رَسْمِ دارٍ ، أوْ مَطيٌّ مُوَقَّفُ
وَرَكْبٍ عَلى الأكْوَارِ يَثْني رِقابَهمْ ، لداعي الصِّبَا ، عَهدٌ قَديمٌ وَمألَفُ
فمِنْ وَاجِدٍ قَدْ ألزَمَ القَلْبَ كَفّه ، وَمِنْ طَرَبٍ يَعلُو اليَفَاعَ وَيُشرِفُ
وَمُستَعبِرٍ قَدْ أتبَعَ الدّمعَ زَفرَةً ، تَكادُ لهَا عُوجُ الضّلُوعِ تَثَقّفُ
قضَى ما قضَى مِنْ أنّةِ الشّوْقِ وَانثنى بدارِ الجَوَى وَالقَلبُ يَهفُو وَيَرْجُفُ
وَلَمْ تُغنِ حَتّى زَايَلَ البُعْدُ بَيْنَنَا ، وَحَتّى رَمَانَا الأزْلَمُ المُتَغَطرِفُ
كَأنّ اللّيَالي كُنّ آلَيْنَ حَلْفَةً ، بأنْ لا يُرَى فيهِنّ شَمْلٌ مُؤلَّفُ

أَلَمَّ خَيَالُ العَامِرِيَّةِ بَعدَمَا تَبَطَّنَنَا جَفْنٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْطَفُ
يُحَيِّي طِلاحاً حِينَ هَمّوا بِوَقعَةٍ ، تَهَاوَوْا عَلى الأذْقَانِ مِمّا تَعَسَّفُوا[1]
وَقيذِينَ قَدْ مَالَ النّعاسُ بِهامِهِمْ كَمَا أرْعَشَتْ أيدي المُعاطِينَ قَرْقَفُ[2]
أعارِيبَ لا يَدرُونَ ما الرّيفُ بالفَلا، وَلا يَغْبِطُونَ القَوْمَ إمَّا تَرَيّفُوا
رَذايَا هَوًى إنْ عَنَّ بَرْقٌ تَطاوَلُوا، وَإنْ عارَضُوا الطّيرَ الغَوَادي تَعَيّفُوا[3]
تَوَارَكَ للشّوْقِ الذي هُوَ آمِنٌ ، نَوَازِلَ بالأرْضِ التي هيَ أخْوَفُ
أيَا وَقفَةَ التّوْديعِ هَلْ فيكِ رَاجِعٌ إشَارَتَهُ ذاكَ البَنَانُ المُطَرَّفُ
وَهَلْ مُطمِعي ذاكَ الغَزَالُ بلَفتَةٍ ، وَإنْ ثَوّرَ الرّكْبُ العِجالَ وَأوْجَفُوا
عَشِيّةَ لا يَنفَكُّ لَحْظٌ مُبَهَّتٌ ، مُرَاقَبَةٌ مِنّا ، وَدَمْعٌ مُكَفْكَفُ
فَلِلّهِ مَنْ غَنّى الحُداةُ وَرَاءَهُ ؛ وَللّهِ مَا وَارَى العَبِيطُ المُسَجَّفُ
وَسَائِلَةٍ عَنّي كَأنّيَ لَمْ ألِجْ حِمَى قَوْمِها وَاليوْمُ بالنّقعِ مُسدِفُ
لَئِنْ كنتُ مَجهُولاً بذُلّيَ في الهَوَى، فَإنّي بعِزّي عندَ غَيرِكِ أعرَفُ
فَلا تَعجَبي أنّي تَعَرّقَني الضّنَى ، فإنّ الهَوَى يَقوَى عَلَيّ وَأضْعُفُ
يُقَرّعُ باسْمي الجَيشُ ثُمّ يَرُدّني إلى طَاعَةِ الحَسنَاءِ قَلبٌ مُكَلَّفُ
سَلي بي ألَمْ أنْغَلّ في لَهَوَاتِهَا ، وَفَحلُ الرّدى دوني بنابَيهِ يَصرُفُ
سَلي بي ألَمْ أحمِلْ على الضّيمِ ساعدي، وَقَد ثُلِمَ المَاضِي ، وَرُضّ المُثَقَّفُ

١ الطلاح : المعيين ، الواحد طليح .
٢ الوقيذون ، الواحد وقيذ : الذي مال به النعاس .
٣ الرذايا : الضعاف . تعيفوا ، من العيافة : زجر الطائر . والتكهن .

سَلي بي ألَمْ أثْنِ الأعِنّةَ ظَافِراً ، تُحَدِّثُ عَنْ يَوْمي نِزَارٌ وَخِندِفُ
وَحَيٍّ تَخَطّتْ بي أعزَّ بُيُوتِهِ صُدُورُ المَوَاضِي وَالوَشيجُ المُرَعَّفُ
سَلي بي ألَمْ أصْبِرْ على الظّمءِ بَعدَمَا هَوَى بالمَهارِي نَفنَفٌ ثمّ نَفنَفُ[1]
وَكُلُّ غُلامٍ مِلْءُ دِرْعَيْهِ نَجدَةٌ وَلَوْثَةُ أعرَابِيّةٍ وَتَغَطْرُفُ
عَلى كُلّ طَاوٍ فيهِ جَدٌّ وَمَيْعَةٌ ، وَطَاوِيَةٍ فيها هِبَابٌ وَعَجرَفُ[2]
وَقَدْ أتبعَتْ سُمرُ العَوَالي زِجاجَها ، وَحَنّ مِنَ الإنباضِ جزْعٌ مُعَطَّفُ
فإنْ تَسمَعُوا صَوْتَ المُرِنّاتِ تَعلَموا بمَنْ جَعَلَتْ تَدعو النّوَاعي وَتهتفُ
لَنَا الدّوْلَةُ الغَرّاءُ ، ما زَالَ عندَها من الجَوْرِ وَاقٍ أوْ من الظّلمِ مُنصِفُ
بعيدَةُ صَوْتٍ في العُلى ، غَيرُ رَافعٍ بِهَا صَوْتَهُ المَظْلُومُ وَالمُتَحَيَّفُ
وَنَحنُ أعَزُّ النّاسِ شَرْقاً وَمَغرِباً ، وَأكْرَمُ أبصَارٍ عَلى الأرْضِ تَطرِفُ
بَنُو كلّ فَيّاضِ اليَدَينِ من النّدى . إذا جَادَ ألغَى ما يَقُولُ المُعَنِّفُ
وَكُلٌّ مُحَيّاً بالسّلامِ مُعَظَّمٍ ، كَثيرٍ إلَيهِ النّاظِرُ المُتَشَوِّفُ
وَأبْيَضَ بَسّامٍ كَأنّ جَبينَهُ سَنَا قَمَرٍ ، أوْ بَارِقٌ مُتَكَشِّفُ
حَيِيٌّ ، فإنْ سِيمَ الهَوَانَ رَأيتَهُ يَشُدُّ ولا ماضِي الغِرَارَينِ مُرْهَفُ
لَنَا الجَبَهاتُ المُستَنيرَاتُ في العُلى ، إذا التَثَمَ الأقوَامُ ذُلاً وَأغْدَفُوا[3]
أبُونَا الذي أبدَى بِصِفّينَ سَيفَهُ ، ضُغَاءَ ابنِ هِند ، وَالقَنَا يتَقَصّفُ[4]

١ النفنف : المهوى بين جبلين ، وصقع الجبل .
٢ الهباب : النشاط . العجرف : العجرفة ، الكبرياء .
٣ التثموا : لبسوا اللثام . أغدف القناع : أرسله على وجهه .
٤ الضغاء : صياح السنور ، وصوت الذليل .

وَمِنْ قَبلِ مَا أبْلَى بِبَدْرٍ وَغَيرِها، وَلا مَوقِفٍ إلاّ لَهُ فيهِ مَوقِفُ
وَرِثْنَا رَسُولَ اللهِ عُلْوِيَّ مَجدِهِ، وَمُعظَمُ مَا ضَمّ الصَّفَا وَالمُعَرَّفُ
وَعندَ رِجَالٍ أنّ جُلّ تُرَاثِهِ قَضِيبٌ مُحلًّى، أوْ رِداءٌ مُفَوَّفُ
يُرِيدُونَ أنْ نُلْقي إلَيهِم أكُفَّنَا، وَمِن دَمِنا أيديهِمُ، الدّهرَ، تَنطِفُ
فَلِلّهِ مَا أقسَى ضَمَائِرَ قَوْمِنَا؛ لَقَدْ جاوَزُوا حَدّ العُقوقِ وَأسرَفُوا
يَضِنّونَ أنْ نُعطَى نَصِيباً مِنَ العُلا، وَقَدْ عالجُوا دَيْنَ العُلى وَتَسَلّفُوا
وَهَذا أبي الأدْنَى الذي تَعرِفُونَهُ مُقَدَّمُ مَجْدٍ أوّلٌ وَمُخَلَّفُ
مُؤلِّفُ مَا بَينَ المُلُوكِ إذا هَفَوْا، وَأشفَوْا عَلى حَزّ الرّقابِ، وَأشرَفُوا
إذا قالَ: رُدّوا غاربَ الحِلمِ راجَعُوا، وَإن قال: مهلاً بعضَ ذا الجَدّ وَقّفُوا
وَبالأمسِ لمّا صَالَ قادرُ مُلْكِهِمْ، وَأعرَضَ مِنهُ الجانبُ المُتَخَوَّفُ
تَلافاهُ حتّى سَامَحَ الضّغْنَ قَلبُهُ، وَأسْمَحَ لَمَّا قِيلَ لا يَتَألّفُ
وَكَانَ وَليُّ العَقْدِ وَالعَهْدِ بَيْنَهُ وَبَينَ بَهاءِ المُلْكِ يَسعَى وَيَلطُفُ
وَلمّا التَقَى نَجوَى عُقَيْلٍ لِنَبْوَةٍ، وَمَدّ لهمْ حَبلاً من الغَدرِ مُحصَفُ
لَوَى عِطفَهُ لِيُّ القَنِيّ رِقَابَهُمْ، وَلَوْ لِسِوَاهُ استَعطَفُوا ما تَعَطّفُوا
وَسَلْ مُضَراً لمّا سَمَا لدِيَارِهَا، فَهَبّ وَنَامَ العَاجِزُ المُتَضَعَّفُ
تَوَلّجَها كالسّيْلِ صُلْحاً وَعَنوَةً، فأبقى وَرَدّ البِيضَ ظَمأى تَلَهّفُ
لَهُ وَقَفَاتٌ بالحَجيجِ شُهُودُهَا إلى عَقِبِ الدّنْيَا مِنًى وَالمُخَيَّفُ
وَمِنْ مَـأثُرَاتٍ غَيرَ هاتيكَ لم تَزَلْ لهَا عُنُقٌ عالٍ عَلى النّاسِ مُشرِفُ
حمَى فَاهُ عن بُسطِ المُلُوكِ وَقد كبتْ عَلَيها جِباهٌ مِنْ رِجَالٍ وَآنُفُ

زِمَامُ عُلاً لَوْ غَيْرُهُ رَامَ جَرَّهُ ، لَسَاقَ بِهِ حَادٍ من الذّلّ مُعنِفُ
جرَى ما جرَى قَبلي ، وَهَا أنا خَلَفَهُ إلى الأمَدِ الأقصَى أغِذُّ وَأُوجِفُ
وَلَوْلا مُرَاعَاةُ الأُبُوّةِ جُزْتُهُ ، وَلَكِنْ لغَيرِ العَجزِ ما أتَوَقّفُ
حذَفتُ فُضُولَ العَيشِ حتّى رَددتُها إلى دُونِ ما يَرْضَى بِهِ المُتَعَفِّفُ
وَأمّلْتُ أنْ أجرِي خَفيفاً إلى العُلَى ، إذا شِئتُمُ أنْ تَلحقُوا فتَخَفّفُوا
حلَفْتُ برَبّ البُدْنِ تَدمَى نُحورُها ، وَبالنّفَرِ الأطْوَارِ لَبّوا وَعَرّفُوا[1]
لأبتَذِلَنّ النّفسَ حتّى أصُونَها ، وَغَيرِيَ في قَيدٍ من الذّلّ يَرْسُفُ
فقَدْ طالمَا ضَيّعتُ في العَيشِ فُرْصَةً ، وَهَلْ يَنفَعُ المَلْهُوفَ مَا يَتَلَهّفُ
وَإنّ قَوَافي الشّعرِ مَا لمْ أكُنْ لهَا عَتيقٌ وَمُقرِفُ[2]
أنَا الفَارِسُ الوَثّابُ في صَهَوَاتِهَا ، وَكُلُّ مُجيدٍ جاءَ بَعديَ مُرْدَفُ

لهفي على ذاك الزمان

قال في الوزير أبي علي الحسن بن حمد بن أبي الريان وكتب بها إليه يتشوقه ويعتب عليه :

أشْكُو إلَيكَ مَدامِعاً تَكِفُ ، بَعدَ النّوَى ، وَجَوَانحاً تَجِفُ
وَحَشاً ، إذا ذُكِرَ الفِرَاقُ هَفَا في جانِبَيهِ الشّوْقُ وَالأسَفُ

١ الأطوار : الأصناف . عرفوا : وقفوا بعرفات .
٢ المسفسفة : غير المحكمة . العتيق : الجواد الرائع . المقرف : ما يداني الهجنة .

فُجِعَتْ بِعِلْقِ مَضَنَّةٍ يَدُهُ ، فأقامَ لا عِوَضٌ ، ولا خَلَفُ
كالنّاشِطِ امتَنَعَتْ مَوَارِدُهُ ، وَنَأتْ عَلَيْهِ الرَّوْضَةُ الأُنُفُ
أُنْسٌ تَنَاقَصَ مَعْ تَكَامُلِهِ ، لا بَدْعَ إنَّ البَدْرَ يَنكَسِفُ
لا يُبْعِدِ اللهُ الّذينَ نَأوْا ، وَقَفُوا الغَرَامَ بِنَا ، وَمَا وَقَفُوا
أيَّ القُوَى قَطَعُوا ، وَأيَّ دَمٍ سَفَكوا، وَأيَّ جِرَاحَةٍ قَرَفُوا
لمْ أنْسَ مَوْقِفَنَا وَوَقْفَتَهُمْ بَعدَ النَّوَى، وَدُمُوعُنا تَكِفُ
مُتَسَاكِتِينَ مِنَ الوُجُومِ ، وَقد نَطَقَتْ عَلَيْنا الأدمُعُ الذُّرُفُ
يا رَاكِبَ الكَوْمَاءِ ، غَارِبُها كالطّوْدِ أوْفَى فَوْقَهُ الشَّعَفُ[1]
يَطَأُ الظّلامَ عَلى مَفَارِقِهِ ، وَاللّيْلُ في أجفَانِهِ وَطَفُ[2]
ذَرَعَ الدُّجَى وَطَوَى خَمِيصَتَهُ ، وَلَهَا عَلى قِمَمِ الرُّبَى كُفَفُ[3]
حَتّى نَضَا الإظْلامُ صِبغَتَهُ ، وَطَوَاهُ جَوْنُ اللّيلِ مُنكَشِفُ
مَاضٍ ، إذا أهْوَى بِهِ كَنَفٌ مِنْ جِنحِ لَيْلٍ ضَمّهُ كَنَفُ
أبْلِغْ فَتَى حَمْدٍ مُذَكَّرَةً ، تَنقَدُّ مِنها البِيضُ وَالزَّغَفُ[4]
نَفَثَاتُ مَكْرُوبٍ ألَظَّ بِهِ حَرُّ الجَوَى ، وَعَلا بهِ الكَلَفُ
مَا كَانَ أسرَعَ مَا نَبَا زَمَنٌ ، وَتَكَدّرَتْ مِنْ وُدّنَا نُطَفُ

١ الكوماء : الناقة الغليظة السنام . الشعف : رؤوس الجبال ، الواحدة شعفة .
٢ الوطف : الانسدال واسترخاء الجوانب .
٣ الكفف ، الواحدة كفة : ما استدار حول الذيل ، واستطال من الثوب .
٤ الزغف : الدروع .

حَبْلٌ ، غَدا بأكُفّنَا طَرَفٌ مِنهُ ، وَفي أيدِي النّوَى طَرَفُ
هَلْ حُسْنُ ذاكَ الدّهرِ مُرْتجَعٌ ، أمْ طيبُ ذاكَ العَيشِ مُوتَنَفُ
أمْ هَلْ يُبَاحُ الوِرْدُ ثانِيَةً ، وَيَلَذُّ بَرْدَ المَاءِ مُرْتَشِفُ
لهفي عَلى ذاكَ الزّمَانِ ، وَهَلْ يَثْني زَمَاناً مَاضِياً لَهَفُ
انبَتّ بَعدَكَ حَبلُنا ، وَحَدَتْ كُلاًّ لِطِيّتِهِ نَوًى قُذُفُ
وَانفَكّ سِلْكُ نِظَامِنا ، بَدَداً ، وَلَقَدْ غَنينَا ، وَهوَ مُؤتَلِفُ
وَتَجَنّبَ البَتّيُّ جَانِبَنَا ، وَنَبَا فَلا وُدٌّ ، وَلا شَعَفُ[1]
وَقَلَى مَجَالِسَنَا ، وَمَالَ بِهِ عِطْفٌ إلى البَغضَاءِ مُنعَطِفُ
وَأُزِيحَ ذاكَ الأُنسُ أجمَعُهُ ، وَأُميطَ ذاكَ البِرُّ وَاللّطَفُ
جَعَلَ الوَصِيّةَ تَحتَ أخمَصِهِ ، وَأتَى الإسَاءَةَ ، وَهوَ مُعتَرِفُ
إنّا نَذُمُّ إلَيْكَ خُلّتَهُ ، فَهوَ المَلُولُ الغَادِرُ الطَّرِفُ
فَلَعَلّنَا ، وَلَعَلّ مُطْمِعَةٌ يَوْماً بقُرْبِكَ مِنهُ نَنْتَصِفُ
فَسَقَى لَيالِيَنا الّتي سَلَفَتْ فَرْطٌ مِنَ الأنْوَاءِ أوْ سَلَفُ
يُحْدَى بسَوْطِ الرّيحِ تَحفِزُهُ هَفّافَةٌ في سَوْقِهَا عَنَفُ
نَتَجَ الصَّبَاحُ عِشَارَهُ سَبَلاً جَوْداً ، وَألقَحَ شولَهُ السَّدَفُ[2]
نَدعُوكَ حينَ الشّملُ مُنشَعِبٌ ، فَتَلافُنَا ، وَالرّأيُ مُختَلِفُ

١ البَتّي : الذي يصنع البتوت ، الواحد بت : ضرب من الطيالسة .
٢ السبل : المطر . السدف : الظلام .

إنْ لمْ تَقُمْ تِلْكَ الغُصُونُ غداً   مِنهُنَّ مُنْـآدٌ وَمُنْقَصِفُ
لا تَحْسَبَنْ قَوْلي مُمَاذَقَةً ،   وَجدِي ببُعدِكَ فَوْقَ ما أصِفْ

السن بالسن

قال على لسان رجل سأله القول في هذا المعنى

جَرَّعْتَني غُصَصاً، وَرُحتَ مُسَلِّماً،   فَلأسقِيَنّكَ مِثْلَهَا أضْعَافَا
إنْ نَجتَمِعْ يَوْماً أكُنْ لكَ جُذْوَةً   حَمْ ، بوسِعِ جَانبَيكَ ثِقَافَا
اسى التِفَاتي لا أرَاكَ ورجعي   أبكي الدِّيَارَ ، وَأنْدُبُ الأُلاّفَا
أنسَى ارْتِفَاقي ، وَالعُيُونُ هَوَاجِعٌ ،   وَجَوَانبي عَنْ مَضْجَعي تَتَجَافَى
أنسَى اشتِمَالي بالسَّقَامِ مُقيمَةً   عِنْدِي عَقَائِلُهُ ، وَأنْتَ مُعَافَى
كَمْ قد أرَدْتُ على التّبَدّلِ خَاطِرِي،   فَأبَى ، وَزَاغَ عَنِ البَديلِ وَعَافَا
وَرَقَبْتُهُ ، فَرَأيْتُهُ مُتَمَنّعاً ،   وبَعَثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ وَقّافَا
وَعَذَرْتُهُ بَعْدَ الإبَاءِ لأنّهُ   ظَنّ الذي يُطْرَى كأنْتَ ، فَخَافَا
وَلَقَدْ جَنَيْتَ عَليّ عَمداً لا كَمَنْ   عَرَفَ الجِنَايَةَ مُخطِئاً فَتَلافَى
مَا هَكَذا مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أنّهُ   عَيْنُ الصّديقِ وَلا كَذا مَن صَافَى
هَبْ لمْ يَكُنْ لكَ بالوَفَاءِ عَوَائِدٌ،   أتُرَاكَ مَا أحسَنْتَ أنْ تَتَوَافَى
وَمِنَ العَجائبِ أنْ وَفَيْتُ لغادر ،   نَقَضَ العُهُودَ وَضَيّعَ الأحْلافَا

لا كُنتُ مِنْ رَيْبِ الزّمَانِ بِسَالِمٍ		إنْ كُنتَ تَسلَمُ مِن يَدَيّ كِفَافَا
بل لا التَذّذْتُ مِنَ الزّمانِ بشَرْبَةٍ ،		إنْ لم أُعِضْكَ من الزُّلالِ ذُعَافَا
إنْ حَافَ لي دَهْرٌ عَلَيْكَ ، فَطالمَا		مَالَ الزّمَانُ عَليّ فيكَ وَحَافَا

طرافة الزمان

يعاتب صديقاً له

كُلُّ شيءٍ مِنَ الزّمانِ طَرِيفُ ،		وَاللّيَالي مَغَانِمٌ وَصُرُوفُ
لا يَبُذُّ الهُمُومَ إلاّ غُلامٌ ،		يَرْكَبُ الهَوْلَ ، وَالحُسامُ رَدِيفُ
كُلّمَا حَزّتِ النّوَائِبُ فِينَا ،		أطلَعَتْنَا عَلى الكُلُومِ القُرُوفُ
يا أبَا الفَضْلِ ، وَالأُمُورُ فُنُونٌ ،		تَبعَثُ الهَمّ ، وَالخطوبُ صُرُوفُ
وَحِفاظي كمَا عَلِمتَ ، وَلَكِنْ		أنْكَرَ الغَدْرَ وُدّيَ المَعرُوفُ
إنّمَا الغَدْرُ في الرّجالِ أذَبٌّ ،		إنْ تَأمّلْتَ ، وَالوَفَاءُ ألُوفُ[1]
صَرّحَ الاقتِضَاءُ ، وَالقَوْلُ مَحبو		سٌ عَلى مَا تُرِيدُهُ مَوْقُوفُ
وَمُرَادي يَقِلُّ في جَنْبِ نُعْمَا		كَ ، فَأينَ التّكَرّمُ المَألُوفُ
إنّ قَوْلَ الجَوَادِ يَتْبَعُهُ الفِعْـ		لُ كمَا يَتْبَعُ الوَظيفَ الوَظيفُ[2]

١ الأذب : الجاف ، الهزيل ، الذاوي ، ولعله هنا في معنى أنه غير ألوف .
٢ يقال : جاءت الإبل على وظيف إذا تبع بعضها بعضاً .

ما يُذِلُّ الزَّمَانُ بالفَقْرِ حُرّاً ، كَيفَ ما كانَ فالشّرِيفُ شَرِيفُ
إنْ تَكَرّمْتَ ، فالخَليلُ كَرِيمٌ ، أوْ تَمَنّعتَ ، فالمَلُولُ عَنِيفُ
أوْ يكُنْ أنكَرَ الإخَاءَ قَدِيماً منكَ قَلبٌ فإنّ قَلبي عَرُوفُ
أحْمَدُ اللهَ أنّني مَا تَقَصّيْتُ ، وَإنّ الذي طَلَبتُ طَفيفُ
فاجعَلِ الآنَ ما سَألتُكَ بِرّاً ، إنّمَا البِرُّ مَنْزِلٌ مَألُوفُ
وَاحتَمِلْ سَطْوَةَ العِتَابِ فَخَيْرُ النَّبعِ مَا مَدّ مَتْنَهُ التّثقيفُ
وَعِتَابي هَزّاً لعِطْفِكَ ، وَالأغصَانُ مَا لَمْ تَهُزّهُنّ وُقُوفُ

الرسول الحصيف

كتب إليه أبو إسحق الصابي
يعتذر من تأخره عن زيارته لعلة
عرضت له في شهر ذي القعدة سنة ٣٩٦ :

أقعَدَتْنَا زَمَانَةٌ وَزَمَانٌ ، جَائِرٌ عَن قَضَاءِ حَقّ الشّرِيفِ
ولَئِنْ ثَقّلا عَنِ الخِدْمَةِ الحَظْ وَ لَعَنْ خاطِرٍ إلَيها خَفِيفِ
فاقتَصَرْنَا فِيمَا نُؤدّي مِنَ العَرْ ضِ علىالكُتبِ وَالرّسولِ الحصيفِ
وَالفَتَى ذو الشّبابِ يَبسُطُ في التّقْصيرِ عُذرَ الشّيخِ العَليلِ الضّعيفِ

كل يوم وداع

فأجابه عن هذه الأبيات وجعل
الجواب قصيدة لأن الكلام امتد فيها :

كَمْ ذَميلٍ إلَيكُمُ وَوَجيفِ ، وَصُدُودٍ عَنّا لكُمْ وَصُدُوفِ
وَغَرَامٌ بِكُمْ ، لَوَ انّ غَرَاماً جرّ نَفْعاً للوَاجِدِ المَشْغُوفِ
صَبْوَةٌ ثُمّ عِفّةٌ مَا أضَرّ الحُ بّ في كُلّ خَلْوَةٍ بالعَفيفِ
هَجَرُونَا ، وَلَمْ يُلامُوا ، وَوَاصَلْ نَا عَلى مُؤلِمٍ مِنَ التّعنيفِ
وَطَلَبْنَا الوَفَاءَ ، حتّى إذا عَ زّ رَضِينَا بالمَطْلِ وَالتّسْوِيفِ
كيفَ يرْجو الكَثيرَ مَن رَاضَه الشّوْ قُ إلى أنْ رَضِي ببَذْلِ الطّفيفِ
إنّ بَينَ الحِمَى إلى جانبِ الرّمْ لِ مَعَاناً مِنَ الظّبَاءِ الهِيفِ
عَاطِيَاتٍ بَلْ عَاطِلاتٍ، وَما أغْ نَى الدُّمَى عَنْ قَلائِدٍ وَشُنُوفِ
عارَضَتكَ الحُدوجُ بالجِزْعِ يُحدَى نَ بعِزّ يَمَاتِهِمْ في السّيُوفِ[1]
سَائِلاتِ الرّفَاقِ أينَ مَصَابُ الـ غَيْثِ مِنْ جَوّ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ
وَبُدُورٍ يَلِطُّ مِنْ دُونِهَا النّقْ عُ وَلا يَكتَفي بلَطّ السُّجُوفِ[2]

١ قوله : يماتهم ، هكذا في الأصل ، وقد شرحت في الديوان بمعنى أمامهم من قولهم امض يماتي أي أمامي ، ولم نجدها .

٢ يلط : يستر .

بَعُدَتْ شِقّةُ الوِصَالِ ، إذا كنّا   نَ بخَوْضِ القَنا وَخَرْقِ الصّفوفِ
وَوَرَاءَ الغَبيطِ مِنْ ذَلِكَ السّرْ   بِ أجَمٌّ مُبَرْقَعٌ بالنّصيفِ[1]
مَانِعٌ لا يَجُودُ بالنَّيلِ ، مَمنُو   عٌ بِرَزٍّ مِنَ القَنَا وَحَفيفِ[2]
مِنْ أقَاحٍ غُمِسنَ في البَارِدِ العَذ   بِ طَويلاً وَمن قَضِيبٍ قَضِيفِ
مَوْرِدٌ يَنْقَعُ الغَليلَ ، وَيَزْدا   دُ صَفَاءً عَلى طُرُوقِ الرّشيفِ
كُلَّ يَوْمٍ وَدَاعُ رَكْبٍ عِجَالٍ   بالنّوَى أوْ عَنَاءُ رَكبٍ وُقُوفِ
فَكَثيرٌ إلى الحُمُولِ التِفَاتي ،   وَطَوِيلٌ عَلى الدّيَارِ وُقُوفي
لا تُوَلِّ الأظْعَانَ عَيناً ، فَما تَرْ   جِعُ إلاّ بِنَاظِرٍ مَطْرُوفِ
وَدَعِ المَرْءَ بالدّيَارِ ، فَمَا يُجْ   دي عَلى وَاقِفٍ ، وَلا مَوْقُوفِ
وَاعدُدِ الجيرَةَ الحُضُورَ ، إذا ضَ   نّوا عِدادَ النّائينَ عنكَ الخُلوفِ
شَغَلَ الهَمُّ أهْلَهُ ، وَاستَقَلنا الْ   لَيْلَ مِنْ زَوْرَةِ الخَيالِ المُطيفِ
وَضُيُوفُ الهُمُومِ مُذْ كُنّ لا يَنْ   زِلْنَ إلاّ على العَظيمِ الشّريفِ
كالجَنابِ المَمطُورِ يَزْدَحِمُ الوُ   رّادُ فيهِ ، وَالمَنْزِلِ المَألُوفِ
لمْ يُثَقِّفْ عُودي الزّمانُ ، وَلكنْ   ضَجّ عُودُ الزّمانِ مِنْ تَثقيفي
قُلتُ للدّهرِ يَوْمَ رَامَ اختداعي   عن جَناني الماضِي وَنَفسِي العزُوفِ
عُدْ ذَميماً هُبِلتَ وَاطلُبْ لشَمّ الـ   ذُلّ يا دَهرُ غَيرَ هذي الأُنُوفِ
لمْ تُوَفِّ العِشرينَ سِنّي وَإنّ الـ   حِلْمَ مِنّي عَلى الجِبالِ لَمُوفي

١ الأجم : الذي لا قرون له . وأراد الظبي .
٢ الرز : الطعن .

فيّ مَعنى المَشيبِ حُكماً وَإنْ كَا ... نَ نُهُوضِي عَنِ الصِّبَا وَخُفُوفي
وَإذا البُرْدُ كَانَ في اليَدِ وَالعَيْ ... نِ صَنيعاً أغنَى عَنِ التّفويفِ
هَزّ عِطْفي إلى الأغَرّ أبي إسْ ... حَقَ وُدٌّ يَلْوِي عَلَيه صَليفي[1]
وَنِزَاعٌ يَهفُو إلَيْهِ بِلُبّي ، ... هَفَوَاتِ المُصَرْصِرِ الغِطرِيفِ
كَيفَ لا أغلِبُ الزّمَانَ ، وَهذا الـ ... نّدْبُ يَغدُو عَلى الزّمانِ حَليفي
كَلِمٌ كالنُّصُولِ هَذّبَها القَيْ ... نُ وَوَجهٌ كالهِرْقِليّ المَشُوفِ[2]
إنّ شَكْوَاكَ للزّمَانِ مُبِينٌ ... لي عَلى قَدْرِ عَقْلِهِ المَضْعُوفِ
أيَعُومُ المَجهُولُ بَحراً ، وَلا يَنْـ ... قَعُ غُلاًّ للفَاضِلِ المَعرُوفِ
قَدّمَتْ غَيرَكَ الجُدُودُ ، وَأخّرْ ... تَ ، وَلكِنْ أنَافَ غَيرَ مُنيفِ
وَالحُظُوظُ البَلهاءُ مِن ذي اللّيالي ... أنكَحَتْ بنتَ عامرٍ مِنْ ثَقيفِ
قَصَفَ الدّهرُ فيكَ رُمحاً مِنَ الكَيْـ ... دِ وَحَامَى عَنِ المَعيبِ المَؤوفِ[3]
إنْ حُرِمتَ الرّزْقَ الذي نَالَ مِنهُ ... فَدَوَاءُ العَيِيّ داءُ الحَصيفِ
عَمَلٌ فَاضِحٌ وَأجمَلُ مِنْ بَعْـ ... ضِ الوِلاياتِ عُطلَةُ المَصرُوفِ
فاصْطَبِرْ للخطوبِ، رُبّ اصْطِبارٍ ... شَقّ فَجراً مِن لَيلِهِنّ المَخوفِ
إنّمَا نَلْبَسُ الدّرُوعَ ثِقَالاً ، ... لرُجُوعٍ إلى خِفافِ الشُّفُوفِ
كَمْ تحَمّلتَها بظَهرٍ مِنَ الصّبْـ ... رِ فخَفّتْ وَالعِبْءُ غَيرُ خَفيفِ

[1] صليفي : صفحة عنقي .
[2] الهرقلي : الدينار ، نسبة إلى هرقل ، أحد ملوك الروم . المشوف : المجلو .
[3] المؤوف : ما كان فيه آفة ، فساد .

إن أوْلى بالصّبرِ إن حُرّجتَهُ ، مَنْ حَشَاهُ مِنها كثيرُ القُرُوفِ
لمْ تَغِبْ عَنْ سَوَادِ قَلبي ،وإن غِبْتَ مُعَنّى نَوَائبٍ وَصُرُوفِ
قِرَّ عَيْناً بطارِقاتِ الشّكايَا ، ما تَجافَتْ مُطَرِّقاتْ الحُتُوفِ
أتُرَانَا نُطِيقُ دَفْعاً لِمَا أعْيَا صِلالَ النّقَا وأُسدَ الغَرِيفِ
أمهلَ النّاقصُونَ وَاستعجلَ الدّهْرُ بِسَوْقٍ للفَاضِلِينَ عَنِيفِ
مَن يكنْ فاضِلاً يَعشْ بينَ ذا النّاسِ بقَلْبٍ جَوٍ وبَالٍ كَسِيفِ
كُلّما كانَ زَائِدَ العَقلِ أمسَى نَاقِصاً مِنْ تَلِيدِهِ وَالطّرِيفِ
لا عَجِيبٌ أنّي سَبَقْتُ ، وَأعرَقْتُ جِيَادَ المَنْثُورِ وَالمَرْصُوفِ
أنتَ يا فارِسَ الكَلامِ تَقَدّمْتَ وَأخلَيتَ لي مَكانَ الرّدِيفِ

قسماً برب الراقصات

صديقاً له

قَضَتِ المَنازِلُ يَوْمَ كَاظِمَةٍ أنّ المَطِيّ يَطُولُ مَوْقِفُهَا
لُمَعٌ مِنَ الأطْلالِ يُحزِنُنا مُحتَلُّهَا البَالي وَمَألَفُهَا
سَبَقَتْ مَدامِعُهَا برَشّتِهَا ، مِن قَبلِ أن يُومي مُكَفكِفُهَا
وَتَكَلّفَتْ مِنْ صَوْبِ ماطِرِها فَوْقَ الذي يَرْجُو مُكَلِّفُهَا
إنْ كُنتُ أنفَدْتُ الدّمُوعَ بِها، فالوَجْدُ بَعْدَ اليَوْمِ يُخلِفُهَا

لا مِنّةٌ منّي علَى طَلَلٍ ، دِيَمٌ طِلاعُ العَيْنِ أذْرِفُهَا
ولَوَاعِجٌ نَفَسِي يُنَفِّسُهَا ، وبَلابِلٌ دَمْعي يُخَفِّفُهَا
ظَعَنُوا فَلِلأحشَاءِ مُذْ ظَعَنُوا حُرَقٌ تُعَسِّفُهَا وتَعسِفُهَا[1]
لا تَنشُدَنّ الدّارَ بَعْدَهُمُ ، إنّي علَى الإقْوَاءِ أعرِفُهَا
وعَلامَةٌ للشّوْقِ أُضْمِرُهُ ، طَرَبي إلى الإيقَاعِ أشرَفُهَا
في كُلّ يَوْمٍ لي غَرِيمُ هَوًى ، يَلْوِي الدّيُونَ ، ولا يُسَوّفُهَا
رِفقاً بقَلبي ، يا أبَا حَسَنٍ ، العَيْنُ مِنك ، وأنتَ تَطرِفُهَا
فَكَأنّني بِعَلائِقٍ شُعَبٍ قَدْ زَالَ عَنْ أمَمٍ تَألُّفُهَا[2]
وَمُقَوَّمَاتٍ مِنْ غُصُونِ هوًى يَعْوَجُّ أطْوَاراً مُثَقِّفُهَا
في القَلْبِ مِنكَ جِرَاحَةٌ أبداً ، مَا زِلْتُ أدْمُلُهَا وَتَقْرِفُهَا
كَمْ مِنْ مَعاقِدَ بِتَّ تَفسَخُهَا ، وَمَوَاعِدٍ بالقُرْبِ تُخْلِفُهَا
أمّا الحِفَاظُ ، فأنْتَ تَمطُلُهُ ، وَالمُحفِظَاتُ فَأنْتَ تُسْلِفُهَا
سأرُومُ عَطْفَ النّفسِ عنك وَإن كَانَ الغَرَامُ إلَيْكَ يَعطِفُهَا
وَلَطَالَمَا استَصْرَفْتُهَا مَلَلاً ، وَلَئِن صَحَوْتُ فسَوْفَ أصرِفُهَا
وَإذا طَلَبْتُ بِهَا السّلُوّ أبَى إلاّ النّزَاعَ إلَيْكَ مُدْنِفُهَا
فَكَأنّ مُنْسِيَهَا يُذَكّرُهَا ، أوْ مَا يُؤسّيها يُسَوّفُهَا
تَمضِي ، وَنَحوَكُمُ تَلَفّتُهَا ، وَإلى لِقَائِكُمُ تَشَوّفُهَا

١ تعسفها : تظلمها ، تجور عليها .
٢ الشعب : المتفرقة .

فَهَوَاكُمُ، وَالشَّوْقُ يَعذِرُها،   وَذَمِيمُ فِعْلِكُمُ يُعَنّفُهَا
هَلْ يَعْطِفَنّكُمُ تَوَجّعُها،   أَوْ يُقْبِلَنّ بِكُمْ تَلَهّفُهَا
فاستَبقِ مِنْهَا مَا يُضَنّ بِهِ ،   تِلْكَ الصّبَابَةُ أنتَ تَرْشُفُهَا
لا تَأمَنَنْهَا إنْ أسَأتُ بِهَا ،   هيَ مَا عَلِمْتَ وَأنتَ تَعرِفُهَا
إنْ كَانَ يُطْمِعُكُمْ تَذَلّلُها،   فلَسَوْفَ يُفزِعُكُمْ تَغَطرُفُهَا
وَلَئِنْ غَلا فيكُمْ تَهَالُكُهَا،   فَلَيَكْثُرَنْ عَنْكُمْ تَعَفّفُهَا
سَأرُوغُ عَنْ وِرْدِ الهَوَانِ بِهِ،   هيَ غَرْفَةٌ لا بُدّ أغْرُفُهَا
إنّ الهَضِيمَةَ أنْ أُقَادَ لهَا ،   قِدْرٌ لَعَمْرُكَ لا أُؤَثّفُهَا[1]
يَدْنُو بِنَفْسِي لِينُها كَرَماً ،   وَيَبِينُ عِنْدَ الضّيمِ عَجْرَفُهَا
قَسَماً بِرَبّ الرّاقِصَاتِ هَوًى ،   أمَمَ البِنَاءِ العَوْدِ مَوْجِفُهَا[2]
يَطلُبْنَ رَابِدَةَ الظّلِيمِ ، إذا   طَرَقَ الظّلامُ أضِلّ مُسْدِفُهَا
بلَغتْ على عَلَلِ السُّرَى، وَغدتْ   وَمِلاؤهَا بالبُدْنِ نَصَفُهَا
يَغْدُو عَلَى الإرْقَالِ مُؤتَدِماً   مِنْ نَيّهَا العَامِيّ نَفنَفُهَا
يَنْجُو عَلَى رَمَقٍ مُقَدّمُهَا،   وَيُقيمُ مَعْذُوراً مُخَلَّفُهَا
وَبحيثُ جَعجعتِ العَرِيبُ ضُحًى   مِثْلَ الحَنِيّ بُلِي مُعَطّفُهَا
وَبِفَضْلِ مَا أوْعَى مُحَصّبُها ،   وَأقَرّ مِنْ قِدَمٍ مُعَرَّفُهَا
إنّي عَلَى طُولِ الصّدُودِ لكُمْ   كالنّفْسِ مَأمُونٌ تَحَيّفُهَا

١ أؤثفها : أجعل لها أثافي .
٢ الأمم : القرب . العود : المسن من الإبل . موجفها : مسيرها .

أرْضَى وَأغضَبُ في حبابِكُمُ ، وَرِقَابُ وُدّي لا أُصَرّفُهَا
جَاءتْكُمُ أسَلاً مُشَرَّعَةً ، مُتَوَقَّعاً فيكُمْ تَقَصّفُهَا
قَدْ بَاتَ فيها قَائِلٌ صَنَعٌ ، يَهْمي لهَاذِمَهَا وَيُرْهِفُهَا
أعزِزْ عَليّ بِأنْ يَكُونَ لكُمْ بالأمْسِ ثقّفَهَا مُثَقّفُهَا
وَبَرَاقِعاً للعَارِ ضَافِيَةً يَبقَى عَلى الأيّامِ مُغْدِفُهَا
يُجْلَى لأعيُنِكُمْ مُشَوَّهُهَا ، وَلَقَد يكُونُ لَكُمْ مُفَوَّفُهَا
إنْ تَستَعيذُوا مِنْ تَوَسّطِهَا أعرَاضَكُمْ ، فكَفَى تَطَرّفُهَا
فتَزَاجَرُوا مِنْ قَبلِ أنْ تَرِدُوا بِمَوَارِدٍ مُرٍّ تَرَشّفُهَا
وَتَغَنّمُوا إبْطَاءَ عَارِضِهَا ، مِنْ قَبلِ أن يَمريهِ حَرْجَفُهَا[1]
فَلْتُرْجِعُوا أمَماً تَلَوّمَهَا ، وَلْتُقْلِعُوا نَدَماً تَوَقّفَهَا[2]

١ حرجفها : ريحها الباردة .
٢ هذا البيت غامض ، وفيه إقواء .

لا تستهبوا الشر

قال في بعض الأغراض وذلك في شهر رمضان سنة ٣٩٤

أقُولُ لها بَيْنَ الغَديرَينِ وَالنّقا ، سَوَادُ الدُّجى بَيْني وَبَيْنَ المَناصِفِ
خُذي الجانبَ الوَحشيَّ لا تَتَعَرّضي لِحَيٍّ حِلالٍ باللّوَى وَالأصالِفِ[1]
أمامَكِ ! إنّ الخَوْفَ حادٍ مُشَمِّرٌ ، وَما للمَطَايا مثلُ حادي المَخاوِفِ
فَمَرّتْ تَظُنّ النِّسعَ صَوْتاً أُجيلُهُ ، فَلا عُذْرَ إلاّ تَتّقي بالعَجارِفِ
وَقَعْتُ بِها في أوّلِ الفَجرِ وَقعَةً ، غِشَاشاً ، كَمَا أقضي أليّةَ حَالِفِ
وَأشْمَمْتُها رَمْلَ الأُنَيعِمِ غُدوَةً ، فَسَافَتْ بأنفٍ مُنْكِرٍ غيرِ عارِفِ
أُحَمّلُها الشّوْقَ القَديمَ ، فتَنبَرِي بأجلادِ عَاني القَلبِ جَمّ المَشاغِفِ
كَثيرِ التفاتِ الطّرْفِ في كلّ مَذهَبٍ بأنّةِ مَصْدُورٍ عَلى البَينِ لاهِفِ
إذا مَا دَعَاهُ الشّوْقُ رَاوَحَ كَفَّهُ على لاعجٍ في مُضْمَرِ القَلبِ لاطِفِ[2]
أعَادَ لَهُ البَرْقُ الحِجازِيُّ مَوْهِناً عَقابيلَ أيّامِ اللّقَاءِ السّوَالِفِ
كأنّ بهِ مِن خَطبِ ظَمياءَ غُصّةً يَسيغُ شَجَاها بالدّمُوعِ الذّوَارِفِ
كَأنّ أُثَيْوَابي عَلى ذِئْبِ رَدْهَةٍ دَنَا اللّيلُ ،فاستَنشى رِياحَ التّنائِفِ[3]

١ الأصالف : الأراضي الغليظة .
٢ لاطف : داخل .
٣ استنشى الريح : شمها . التنائف ، الواحدة تنوفة : الأرض البعيدة الأطراف .

أُقَوِّمُهَا ، حتّى إذا قِيلَ رَاكِبٌ ، تَطَالَعْتُ مَرَّ المَائِلِ المُتَجانِفِ
عَسَفْنَا بِإرْقَالِ المَطِيِّ ، وَطَالَمَا صَبَرْنا عَلى ضَيمِ العِدى وَالمَخاسِفِ
وَمَا سَرّنِي أنّي أُقِيمُ عَلى الأذَى ، وَأنّي بِدارِ الهُونِ بَعضُ الخَلائِفِ
فَجُوبِي المَلا أوْ جاوِرِي بي رَبِيعَةً ، وَأسرَةَ عَيْلانِ الطّوَالِ الغَطارِفِ
مِنَ البِيضِ ،غُرّانِ المَجالي،إذا انتدوا بَدَا لكِ بَسّامُونَ شُمُّ المَرَاعِفِ
هُناكَ إذا استَلْبَسْتِ أُلبِستِ فيهِمُ جَناحَيْ عَتِيقٍ آمِنِ الظّلّ وَاجِفِ
بحَيْثُ إذا أعطَى الذّمَامُ حِبَالَةً عَلقتِ بِهَا غَيرَ البَوَالي الضّعَائِفِ
إذا مَا طَلَعتِ النّقْبَ،وَاللّيلُ دونَه، أمِنْتِ العِدَى إلاّ تَلَفُّتَ خائِفِ
نَجَوْتِ فكَمْ مِنْ عَضّةٍ في أنامِلٍ عَلَيكِ ، وَلَهْفٍ من قُلُوبٍ لَوَاهِفِ
أتُوعِدُني بالقَارِعَاتِ بَجِيلَةٌ ؟ لَقَدْ ذَلّ مَنْ عَرّضْتُمُ للمَتَالِفِ
إذا غَضِبُوا للأمْرِ كَانَ وَعِيدُهُمْ حَبِيقَ الألايَا ، وَارْتِعادَ الرّوَانِفِ[1]
لَهُمْ نَبَعَاتُ الشّرّ يَنْتَبِلُونَها ضُرُوباً، فمِنْ باديعُقُوقٍ وَرَاصِفِ
مَجَاهِيلُ أغفَالٌ ، إذا مَا تَعَرّضُوا، بأحْسَابِهِمْ أنْكَرْتَهُمْ بالمَعارِفِ
وكَم أُسرَةٍ من غيرِكُم ذاتِ شَوْكَةٍ دَبَيْنَا إلى عِيدانِهِمْ بالقَوَاصِفِ[2]
عَطَفْنَا إلَيْهَا بالعَوَالي أسِنّةً ، شُرُوعاً كأذنابِ العِطاءِ الدّوَالِفِ[3]

١ الحبيق : الضراط . الألايا ، الواحدة ألية : ما ركب العجز وتدلى من شحم ولحم . الروانف أسفل الألية .

٢ دبينا : مشينا مشياً رويداً .

٣ العظاء : الإبل التي وجعتها بطونها من أكل العنظوان ، وهو نبت من الحمض .

وَعُدْنا بِها حُمراً تَقيءُ صُدُورُها دِماءَ العِدى قَطرَ الأنوفِ الرّوَاعِفِ
وكنّا ، إذا داعٍ دَعَا لِوَقيعَةٍ ، سَحَبْنَا لهَا الأرْماحَ سَحبَ المَطارِفِ
عَجِبتُ لذي لَوْنَينِ خالَطَ شيمَتي ، فكَشّفتُ منهُ مُخزِياتِ المَكاشِفِ
ضَمَمْتُ يَدي مِنْهُ ، وكانتْ غباوَةً على ضَرْبِ مَرْدودٍ من الوَرْقِ زَائِفِ[1]
يُخاوِصُ عَينَ النّارِ خوْفاً من القِرَى إذا نارُ قَوْمٍ أوقِدَتْ بالمَشَارِفِ
وَإنْ آنَسَ الأضْيَافَ صَمّتَ كَلبَه، وَطَأطَأ أعنَاقَ المَطيّ الصّوَارِفِ
نَبَذْتُكَ نَبذَ السّنّ بَعدَ انفِصَامِها، وَإنّي لَمِجْذامُ القَرِينِ المُخَالِفِ
إذا المَرْءُ مَضّتْهُ قَذاةٌ بِطَرْفِهِ . فغَيرُ مَلُومٍ إنْ رَمَاهَا بحَاذِفِ
وَمَا أنْتَ مِنْ جَدّي فيُرْجِعَ رَاجعٌ مِنَ الرَّحِمِ البَلهاءِ بَعضَ العَوَاطِفِ
حَلَفْتُ بمَنْ عَجّ المُلَبّونَ باسمِهِ عَجيجَ المَطايَا مِنْ مِنًى وَالمَوَاقِفِ
عِجَافاً كأوْتارِ الحَنايا مِنَ الطّوَى ، على مِثْلِ أعجاسِ القِسِيّ العَطَائِفِ
طَوَى الضُّمرُ من أجوَافِها بعدما انتهتْ ثَمَائِلُهَا ، طَيَّ البُرُودِ اللّطَائِفِ
تَرَى كلّ مَجهودٍ ، إذا مَنّه السُّرَى، أكَبّ عَلى السّرْجينِ إكبابَ رَاعِفِ
وَرَبِّ الهَدايَا المُشعَرَاتِ نَكُبّهَا عِجالاً ، وَرَبّ الرّاقصَاتِ الخَوَانِفِ
وَما بالصّفَا مِنْ حالِقٍ وَمُقَصِّرٍ ، وَمِنْ ماسحٍ رُكْنَ العَتيقِ وَطَائِفِ
وَسَاعٍ إلى أعْلامِ جَمْعٍ ، وَدافعٍ ، وَمَاشٍ على جَنبَيْ ألالٍ وَوَاقِفِ
لأعرَاضُكُمْ عِنْدي أشَدُّ مَهانَةً مِنَ الحَنظَلِ العاميّ عندَ النّوَاقِفِ

[1] الورق : الدراهم المضروبة .

فَلا تَستَهِبّوا الشّرّ مِنْ رَقَداتِهِ ، … ـتَ السّنينَ الحَوَالِفِ
قَوَافيَ يَقْطُرْنَ السِّمَامَ كَأنّها … مَلاغِمُ حَيّ الرِّمَالِ الزّوَاحِفِ
فكَمْ حَمْضَةٍ مِنكُمْ لَنَا بقَرَارَةٍ ، … يَعُودُ إليها نَاشِطٌ بَعدَ قاطِفِ
وَإيّاكُمُ أنْ تَحمِلُوا مِن قَوَارِضِي … عَلى ظَهرِ زَعرَاءِ المِلاطَينِ شَارِفِ
تَخُبُّ بِجَانِبَيكُمْ ، وَفي كُلّ ساعةٍ … يُتَاحَ لهَا منكُمْ بِرَاقٍ وَرَادِفِ
دَعُوا السّلَفَ القَمقَامَ تَسرِي رِفاقُه … لنَيلِ المَعالي ، وَاقعُدُوا في الخَوَالِفِ
وَذاكَ أديمٌ لَمْ تَكُونُوا سُرَاتَهُ ، … بَلى ، رُبّما استَأثَرْتُمُ بالزّعانِفِ[1]
تَغَطَّوا وَلا تَستَكشِفُوني عَوَارَكم ، … فَمَا جُلْبَةٌ إلاّ لهَا ظَهْرُ قَارِفِ[2]
وَإنْ مُدّتِ الأيّامُ بَيْني وَبَيْـ … أطَلْتُ بُكَاءَ العَاجِزِ المُتَهَاتِفِ

لا قدس الله

قال يذم بعض الناس وهي من قديم
قوله رضي الله تعالى عنه :

اللهُ يَعْلَمُ مَيْلي عَنْ جَنابِكُمُ ، … وَلَوْ تَنَاهَيتَ لي في البِرّ وَاللَّطَفِ
فكَيفَ بي، وَعلى عَينَيكَ تَرْجَمَةٌ … من الحُقُودِ وَعنوَانٌ مِنَ الشَّنَفِ[3]

---

١ الزعانف : طرف الجلد .
٢ الجلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء . القارف : القاشر .
٣ الشنف : الناظر إلى الشيء كالكاره له .

أُطيفُ منكَ بِوَجْهٍ غَيرِ مُلتَفِتٍ إلى المُنَاجي ، وَعِطفٍ غيرِ مُنعَطِفِ
فَما أغبُّكَ مِنْ عُذْرٍ وَلا شَغَلٍ ، وَلا أزُورُكَ مِن وَجدٍ وَلا شَغَفِ
قَدْ كانَ قَبلَكَ مَرْجُوٌّ فَوَاضِلُهُ ، رَاقٍ إلى المَجدِ طَلاّعٍ إلى الشّرَفِ
تَمُرُّ نَفحَةُ نُعمَاهُ ، إذا خَطَرَتْ مِنَ القَبُولِ بِجِنبي رَوْضَةٍ أُنُفِ
إنْ تَستَعِضْكَ المَعالي بعد ذاك، فقَد أفحَشْنَ في بَدَلٍ مِنهُ . وَفي خَلَفِ
يَهَشُّ للمَرْءِ تَفْرِيهِ أظَافِرُهُ ، كمَا تَهَشُّ سِبَاعُ الطّيرِ للجِيَفِ
إذا نَجَا مِنْ يَدَيْهِ غَيرَ مُنعَقِرٍ أفنَى أنَامِلَهُ عَضّاً مِنَ الأسَفِ
يَظُنُّ أنّيَ وَصّالٌ بِهِ سَبَبي ؛ إنّي إذاً مِنْ أميرِ المُؤمِنِينَ نَفِي
إذا لَبِسْتُ جَمَالاً أنْتَ مُلْبِسُهُ ، فإنّني قَدْ طَرَحْتُ المَجدَ عن كتفي
لا قَدّسَ اللهُ نَفساً منكَ جَامِعَةً كيدَ البِغالِ إلى ذي الجُلّةِ الشّرَفِ[1]
وَلا سَقَى الغَيثُ داراً أنتَ سَاكِنُها إلاّ بِأغبَرَ نَارِيٍّ الذُّرَى قَصِفِ

١ ذي الجلة الشرف : البعير العظيم العالي السنام .

حرف القاف

ابن ام الندى

قال في أمير المؤمنين القادر بالله يصف جلسة جلسها وأوصل إلى حضرته الناس عموماً وكان معظم الواصلين أهل خراسان من الحجيج ورسم له حضور هذا المجلس على رسمه في السواد فحضر وذلك في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من شهر صفر سنة ٣٨٢ :

لِمَنِ الحُدُوجُ تَهزُّهُنَّ الأَنيُقُ ،   وَالرَّكْبُ يَطفُو في السَّرَابِ وَيَغرَقُ

يَقطَعنَ أعرَاضَ العَقِيقِ ، فمُشْئِمٌ   يَحدُو رَكَائِبَهُ الغَرَامُ وَمُعرِقُ

أبقَوْا أسيراً بَعدَهُمْ لا يُفتَدَى   مِمّا يَجِنّ ، وَطالِباً لا يَلحَقُ

يَهفُو الوُلُوعُ بِهِ فيَطْرِفُ طَرْفَهُ ،   وَيَزِيدُ جَولانُ الدُّمُوعِ ، فيُطرِقُ

وَوَرَاءَ ذاكَ الخِدْرِ عارِضُ مُزْنَةٍ ،   لا نَاقِعٌ ظَمَأً ، وَلا مُتَألِّقُ

وَمُحَجَّبٍ ، فإذا بَدَا مِنْ نُورِهِ   للرَّكْبِ مُلتَهِبُ المَطالِعِ مُونِقُ

خَرّوا علَى شُعَبِ الرِّحَالِ وَأسنَدُوا   أيدي الطِّعَانِ إلى قُلُوبٍ تَخفِقُ

هَلْ عَهدُنَا بَعدَ التَّفَرّقِ رَاجِعٌ ،   أوْ غُصْنُنا بَعدَ التَّسَلّبِ مُورِقُ [١]

شَوْقٌ أقَامَ ، وَأنتِ غَيرُ مُقيمَةٍ ،   وَالشَّوْقُ بالكَلِفِ المُعَنّى أعلَقُ

ما كنتُ أحظَى في الدُّنُوّ فكَيفَ بي   وَاليَوْمَ نَحنُ مُغَرِّبٌ وَمُشَرِّقُ

١ التسلب : سقوط ورق الشجرة ، أو حملها .

مِنْ أجلِ حُبّكِ قُلتُ عاوَدَ أُنسَهُ ... ذاكَ الحِمى وَسُقِيَ اللّوَى وَالأبرَقُ

طَرَقَ الخَيالُ بِبَطنِ وَجرَةَ بَعدَما ... زَعَمَ العَواذِلُ أنّهُ لا يَطْرُقُ

أتَحَنُّناً بَعْدَ الرُّقادِ ، وَقَسْوَةً ... أيّامَ أُصْفيكِ الوِدادَ وَأمْذُقُ

أنّى اهتَدَيتِ، وَما اهتَدَيتُ، وَبَينَنا ... سُورٌ عَلَيّ مِنَ الطِّعانِ وَخَندَقُ

وَمُطَلَّحِينَ لَهُمْ بِكُلِّ ثَنِيّةٍ ... مُلقًى ، وِسادَتُهُ الثّرَى وَالمِرْفَقُ

أوْ قابِضِينَ عَلى الأزِمّةِ ، وَالكَرَى، ... يَغشَى أكُفَّهُمُ النُّعاسُ . فتَمرُقُ

أوْمَوْا إلى الغَرَضِ البَعيدِ ، فكُلُّهُمْ ... ماضٍ يَخُبُّ مَعَ الرّجاءِ ويُعنِقُ

وَإلى أميرِ المُؤمِنينَ نَجَتْ بِهِمْ ، ... مِيلَ الجَماجِمِ ، سَيرُهُنّ تَدَفُّقُ

كَنَقانِقِ الظّلمانِ أعجَلَها الدُّجَى، ... وَحَدَا بِهَا زَجِلُ الرّواعدِ مُبْرِقُ [1]

يَطلُبْنَ زائِدَةَ المَكارِمِ وَالنّدَى ، ... حَيثُ استَقَرّ بِها العَلاءُ المُعرِقُ

الزّاخِرُ الغَدِقُ الذي يُرْوَى بِهِ ... ظَمَأُ المُنَى ، وَالوابِلُ المُتَبَعِّقُ

أبُغَاةَ هذا المَجدِ إنّ مَرَامَهُ ... دَحضٌ يَزِلّ الصّاعِدِينَ وَيَزْلَقُ

هَيهاتَ ظَنُّكُمُ تَمَرّدَ مارِدٌ ... مِنْ دُونِ نَيلِكُمُ ، وَعَزّ الأبلَقُ [2]

لا تُحْرِجُوا هَذي البِحارَ ، فرُبّما ... كانَ الذي يَرْوِي المَعاطِشَ يَغرَقُ

وَدَعُوا مُجاذَبَةَ الخِلافَةِ ، إنّها ... أرَجٌ بِغَيرِ ثَنائِهِمْ لا يَعبَقُ

غَنِيَتْ بِهِمْ تَحتَزّ دُونَ مَنالِها ... قِمَمُ العِدَى ، وَيُرَدّ عَنها الفَيلَقُ

١ النقانق ، الواحد نقنق : النافر من الظلمان ، والظلمان : ذكور النعام .

٢ مارد والأبلق . حصنان ، روى أنهما كانا للزباء ، يضرب بهما المثل في الامتناع لمن سمنا .

كَعَقَائِلِ الأبطَالِ تُجلَبُ دُونَها بيضُ القَوَاضِبِ وَالقَنَا المُتَدَفّقُ
فَهُمُ لِذُرْوَتِها الّتي لا تُرْتَقَى أبَداً ، وَبَيضَتِهَا الّتي لا تُفْلَقُ
أشفَتْ، فكُنتَ شِفاءها، وَلَقد تُرَى شِلْواً بِأظْفَارِ العَدُوّ يُمَزَّقُ
كُنتَ الصّبَاحَ رَمَى إلَيها ضَوْءَهُ ، وَمَضَى بِهَبْوَتِهِ الظّلامُ الأوْرَقُ
فَسَنَامُهَا لا يُمْتَطَى ، وَنَبَاتُها لا يُختَلَى ، وَفِنَاؤهَا لا يُطْرَقُ
وَوَزَنْتَ بالقِسطَاسِ غَيرَ مُرَاقَبٍ، وَالعَدْلُ مَهْجُورُ الطّرِيقِ مُطَلَّقُ
في كُلّ يَوْمٍ للعَدُوّ ، إذا التَوَى ، بِظُبَاكَ يَوْمُ أُوَارَةٍ وَمُحَرَّقُ
أنْتُمْ مَوَادِعُ كُلّ خَطْبٍ يتّقى ، وَبِكُمْ يُفَرَّجُ كُلّ بَابٍ يُغلَقُ[1]
وَأبُوكُمُ العَبّاسُ مَا استَسقَى بِهِ بَعدَ القُنُوطِ قَبَائِلٌ إلاّ سُقُوا
بَعَجَ الغَمَامَ بدَعوَةٍ مَسمُوعَةٍ ، فأجَابَهُ شَرْقُ البَوَارِقِ مُغْدِقُ
مَا مِنكُمُ إلاّ ابنُ أُمٍّ للنّدَى ، أوْ مُصْبِحٌ بدَمِ الأعَادي مُغْبِقُ
لله يَوْمٌ أطلَعَتكَ بِهِ العُلَى عَلَماً ، يُزَاوَلُ بالعُيُونِ وَيُرْشَقُ
لمّا سَمَتْ بِكَ غُرّةٌ مَوْمُوقَةٌ ، كالشّمْسِ تَبهَرُ بالضّيَاءِ وَتُومَقُ
وَبَرَزْتَ في بُرْدِ النبيّ ، وَللهُدَى نُورٌ عَلى أطرَافِ وَجهِكَ مُشْرِقُ
وَعَلى السّحَابِ الجَوْدِ لِيثَ مُعَظَّماً ذاكَ الرّداءُ ، وَزُرّ ذاكَ اليَلمَقُ
وَكَأنّ دارَكَ جَنّةٌ ، حَصْبَاؤهَا الجَادِيُّ ، أوْ أنْمَاطُهَا الإستَبرَقُ
في مَوْقِفٍ تُغْضِي العُيُونُ جَلالَةً فِيهِ ، وَيَعثُرُ بالكَلامِ المَنطِقُ

قوله : الموادع، هكذا في الأصل ، والموادع الواحد ميدع: الثوب الخلق، وما يصان به الثوب وكل هذا لا يوافق المعنى ، ولعلها محرفة عن موانع .

وكَأنَّمَا فَوْقَ السَّرِيرِ ، وَقَدْ سَمَا   أَسَدٌ عَلَى نَشَزَاتِ غَابٍ مُطْرِقُ
وَالنَّاسُ إِمَّا رَاجِعٌ مُتَهَيِّبٌ ،   مِمَّا رَأَى ، أَوْ طَالِعٌ مُتَشَوِّقُ
مَالُوا إِلَيْكَ مَحَبَّةً ، فَتَجَمَّعُوا ،   وَرَأَوْا عَلَيْكَ مَهَابَةً ، فَتَفَرَّقُوا
وَطَعَنْتَ مِنْ غُرَرِ الكَلَامِ بِفَيْصَلٍ   لا يَسْتَقِلُّ بِهِ السِّنَانُ الأَزْرَقُ
وَغَرَسْتَ فِي حَبِّ القُلُوبِ مَوَدَّةً ،   تَزْكُو عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتُورِقُ
وَأَنَا القَرِيبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَدُونَهُ   لِيَدَيْ عَدُوِّكَ طَوْدُ عِزٍّ أَعْنَقُ
عَطْفاً ، أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّنَا   فِي دَوْحَةِ العَلْيَاءِ لا نَتَفَرَّقُ
مَا بَيْنَنَا ، يَوْمَ الفَخَارِ ، تَفَاوُتٌ ،   أَبَداً كِلانَا فِي المَعَالِي مُعْرِقُ
إِلاَّ الخِلافَةَ مَيَّزَتْكَ ، فَإِنَّنِي   أَنَا عَاطِلٌ مِنْهَا ، وَأَنْتَ مُطَوَّقُ

مودات القلوب آرزاق

قال أيضاً يهنىء ملك الملوك قوام الدين بالنيروز
الواقع في شعبان من سنة ٤٠١ :

رَأَى عَلَى الغَوْرِ وَمِيضاً ، فَاشْتَاقْ ،   مَا أَجْلَبَ البَرْقَ لِمَاءِ الآمَاقْ
مَا لِلوَمِيضِ ، وَالفُؤَادُ الخَفَّاقْ   قَدْ ذَاقَ مِنْ بَيْنِ الخَلِيطِ مَا ذَاقْ
دَاءُ غَرَامٍ مَا لَهُ مِنْ إِفْرَاقْ ،   قَدْ كَلَّ آسِيهِ ، وَقَدْ مَلَّ الرَّاقْ
لآلِ لَيْلَى فِي الفُؤَادِ أَعْلاقْ   تَزِيدُ مِنْ حَيْثُ تُقَضَّى الأَشْوَاقْ

قامَتْ تُرَائِبكَ بِقَلْبٍ مِقْلاقْ ، وَللوَداعِ عَجَلٌ وَإرْهَاقْ
مِنْ ثُقَبِ الدُّرِّ النّقيّ بَرّاقْ ، يَرْمي القُلُوبَ ، وَأسِيلاً رَقْرَاقْ
يَقُومُ للّيلِ مَقَامَ الإشْرَاقْ ، حَيٌّ ، إذا قامَ الوَغَى عَلى سَاقْ
رَدّوا القَنَا وَطاعَنُوا بالأحْداقْ ، أُحِبُّهُمْ عَلى الضِّنَا وَالإيرَاقْ
حبَّ الضّنينِ المَالَ بَعدَ الإملاقْ ؛ إنّ مَوَدّاتِ القُلُوبِ أرْزَاقْ
مَنْ مُنصِفي مِنَ المَلُولِ المَذّاقْ ، قَلْبي وَطَرْفي مِنْ جَوًى وَإقلاقْ
في غَرَقٍ مَا يَنْقَضِي وَإحْرَاقْ ، يَضَنّ حَتّى بالخَيَالِ الطُّرّاقْ
رَمَى الإلَهُ بالرّمِيضِ الذلاّقْ ، كُلَّ غُرَابٍ بالزِّيَالِ نَعّاقْ
يا نَاقَ أدّاكِ المُؤدّي ، يا نَاقْ ، ماذا المُقامُ ، وَالفُؤادُ قَد تَاقْ
هَل حاجَةُ المأسُورِ إلاّ الإطلاقْ ، ألهَاكِ عَنْ لَيلِ السُّرَى وَالإعناقْ
مَناشِطُ الشِّيحِ ،وَرَعْيُ الطِّبَّاقْ ، سِيرِي إلى وِرْدِ الجَمومِ الفَهّاقْ[1]
حَملُ المساعي غيرُ حملِ الأوْساقْ ، بحَيثُ تَسري للعَلاءِ أعرَاقْ
نُورُ الغَوَاشِي وَمِسَاكُ الأرْمَاقْ ، مِنْ مَعشَرٍ بَاتُوا بلَيلِ العُشّاقْ
إلى المَعالي وَالنّدَى بالأشْوَاقْ ، كَانُوا إذا أظلَمَ لَيلُ الطُّرّاقْ
شهبَ الدّيَاجي، وَنُجومَ الآفاقْ ؛ بِيضُ وُجُوهٍ كالظُّبَى وَأعنَاقْ
أطْوَعُ مِنْ تِيجَانِها وَالأطْوَاقْ ، سِيّانِ مِنهُمْ سَابِقٌ وَلَحّاقْ
مَنْ قَادَ غَيرَ المَجدِ منهمأوْ ساقْ ، مَهْلاً إلى أيْنَ الصّعُودُ يا رَاقْ

مناشط الشيح : مكان خروجه ، نموه . والشيح : شجر . الطباق : شجر منابته جبال مكة
الجموم : معظم الماء . الفهاق : الممتلىء .

ضَلّ المُجارُونَ وقَامَ السُّبّاقْ ، لمْ يَلحَقُوا يَوْماً غُبَارَ الأطلاقْ

إلاّ قَذّى لنَاظِرٍ ، أوْ حِملاقْ ، قَدْ رَجَعُوا عَنكَ بِليِّ الأعناقْ

هَيهَاتَ ! فَاتَ الأعوَجيُّ المِعناقْ سَهْمٌ مِنَ اللهِ بَعيدُ الإغرَاقْ

أعطى ديونَ القوْمِ خَصلَ الأسباقْ ، مَسعَاةُ مَجدٍ عَاقَ عَنها ما عاقْ[1]

خَطَبتَهَا عَلى النّجيعِ المِهْرَاقْ غَرّاءَ مَا نَاكِحُها بمِطلاقْ

لَيسَ لهَا إلاّ الجُرَازُ الذّلاّقْ ، يَصرَحُها صَرْحَ القَذى من المَاقْ

ضَرْباً أخاديدَ وَطَعناً شَهّاقْ ؛ نائي القَرَارَاتِ بَعيدَ الأعماقْ

يُذْكِرُنَا وَابِلَ طَعْنٍ دَفّاقْ ، يَوْمَ الزُّوَيرَينِ وَيَوْمَ التَّحلاقْ

جَماجِماً مِنَ العَرِيبِ أفْلاقْ ، أنذَرْتَهم وَثبَ هَرِيتِ الأشداقْ

طُوِيَ من الإدماجِ طَيَّ المِخرَاقْ ، صِلٌّ عَلى حَتفِ العَدُوّ مِطرَاقْ[2]

مُحَاذِرُ اللّحظِ مُرَجّى الإطلاقْ ، سَحَائِبُ تُشئِمُ بَعدَ إعرَاقْ

لَنَا حَيَاهَا ، وَالزّلالُ الغَيداقْ ، وَللعِدَى إرْعَادُهَا وَالإبْرَاقْ

في كلّ يَوْمٍ ذو الجَلالِ الخَلاّقْ يَبرِي لقَوْسِ المَجدِ منكُم أفوَاقْ

أرّقَني طَوْلُكَ بَعدَ الإعتَاقْ ، أسَاغَ رِيقي وَالخِناقُ قَد ضَاقْ

فانعمْ بنَيرُوزٍ إلَيكَ مُشتَاقْ ، وَالقَ بهِ مِنْ خَيرِ ما يَلقى اللاّقْ

فَما وُقيتَ ، فالعِدَى بِلا وَاقْ ؛ عَهْدٌ عَلى الأيّامِ بَاقي الميثَاقْ

١ الخصل : الرهان .

٢ الادماج ، من أدمجه : لفه ، أجاد فتله ، ضمره . المخراق : الثور البري .

أنْ لا يُرَى غُصْنك ذاوِي الأوْرَاقْ ضَوَى مِنَ الإثْمَارِ بَعدَ الإيرَاقْ
ما أهوَنَ الفَاني ، إذا كُنتَ البَاقْ

تخذوا المجد أباً

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرته في هذا المعنى المقدم ذكره وذلك في ذي الحجة سنة ٤٠٢ :

خَلِّ دَمْعي وَطَرِيقَهْ ، أحَرَامَ آنَ آرِيقَهْ
كَمْ خَليطٍ بَانَ عَنّي مَا قَضَى الدّمْعُ حُقُوقَهْ
يا شَقيقي ، وَالقَنَا يُغْضِبُ في العَذْلِ شَقيقَهْ
عَاصياً نَاصِحَهُ الأقْرَبَ وُدّاً ، وَرَفيقَهْ
مَنْ لِبَرْقٍ هَبّ وَهْناً مِنْ أبَانَينِ وَسُوقَهْ[1]
مِنْ شُرَيْقيّ الحِمَى يَنْشُدُ نَجْداً وَعَقيقَهْ
مِنْ غَمَامٍ كَالمَتَالي ، يَنقُلُ اللّيلَ وَسُوقَهْ
لاحَ ، فاقتَادَ فُؤاداً ، عَازِبَ اللّبّ مَشُوقَهْ
طَالَ ذِكْرُ النّفسِ أرْوَاحَ زَرُودٍ وَبُرُوقَهْ

١ الاباناان : جبلان . سوقة : موضع .

وَعَقَابيلُ غَرَامٍ يُذْكِرُ القَلبَ حُقُوقَه
وَخَيَالٌ دَلّسَ القَلْبَ عَلى العَيْنِ طُرُوقَه
كَذِبٌ يَحسَبُهُ الصَّبُّ مِنَ الشَّوْقِ حَقِيقَه
أنعِمي ، يا سَرْحَةَ الحَيِّ ، وَإن كُنتِ سَحِيقَه
أتَمَنّى لَكِ أنْ تَبْقَيْ عَلى النّأيِ وَرِيقَه
ثَمَرٌ حَرّمَ وَاشِيكِ عَلَينا أنْ نَذُوقَه
يا قِوَامَ الدّينِ وَالفَارِجَ لِلدّينِ مَضِيقَه
أنْتَ رَاعِيهِ وَهَادِيهِ ، إذا ضَلّ طَرِيقَه
مِنْ رِجَالٍ رَكِبُوا المَجْدَ ، فَمَا ذَمّوا عَنِيقَه
مَعشَرٍ كَانُوا قُبَيْلَ العِزّ قِدْماً وَفَرِيقَه
وَمُلُوكٍ في ثَرَاهُمْ ضَرَبَ المَجدُ عُرُوقَه
وَمَغَاوِيرِ الحَفِيظَاتِ وَفُرْسَانِ الحَقِيقَه
حَسَبٌ يُحسَبُ مَنْ فيهِ ، وَأعرَاقٌ عَرِيقَه
مَنْ تُرَى يَدْفَعُ رَوْقَيْهِ ، وَمَنْ يَطلُعُ نِيقَه
لَهُمُ الأيدي الطّوَالُ الطَّوْلِ ، وَالبِيضُ الذّلِيقَه
وَمَوَارِيثُ مَقَارِي اللّيْلِ ، وَالنّارِ العَتِيقَه
بِوُجُوهٍ وَاضِحَاتٍ في دُجَى الأزْلِ طَلِيقَه[1]
وَأكُفٍّ مُنْفِقَاتٍ في النّدَى الغَمرِ عَرِيقَه

[1] الأزل : الضيق والشدة .

وَبِأخْلاقٍ رِقَاقٍ دُونَ أعرَاضٍ صَفِيقَهْ
تَخِذُوا المَجدَ أباً مَا اسْتَحْسَنُوا قَطّ عُقُوقَهْ
إنّ فيهِمْ مَوْلِدَ المُلْكِ، وَمِنْ قَبلِ عُلُوقَهْ
نَاشِئاً تُسْلِمُهُ الأُمُّ إلى الظّئْرِ الشّفِيقَهْ
هم رَمَوْا عنّي جليلَ الخطْبِ يَدْمَى ، وَدَقيقَهْ
طَرَدُوا الأيّامَ عَنْ وِرْدِ دُمًى طَرْدَ الوَسِيقَهْ[1]
أطلَقُوني مِنْ إسَارِ الدّهْرِ إطْلاقَ الرّبيقَهْ
هَلْ نَهَى الأعداءَ سَاقِي عَلَقٍ ذَمّوا رَحِيقَهْ
فَيَلْقَ جَرّ عَلى أرْبُقَ أذْيَالَ الفَلِيقَهْ[2]
مِثلُ أعدادِ نُجُومِ اللّيْلِ أوْ رَمْلِ الشّقِيقَهْ[3]
احْذَرِ الشّمسَ بجَوْنٍ يُعجِلُ اللّيلُ غُسُوقَهْ
جَلَبَ الخَيلَ ليَوْمٍ ، قَد أقامَ الضّرْبُ سُوقَهْ
مَطَلَتْ بالوَعْدِ ، حَتّى نَسِيَ القَوْدُ عَلِيقَهْ
في هَجِيرٍ مِنْ أُوَارِ الطّعْنِ فَوّارِ الوَدِيقَهْ
كُلُّ صَدْرٍ بالعَوَالي يُسمِعُ الطّعنُ شَهيقَهْ
فيهِ نَجْلاءُ رَمُوحٌ بالأسَابيّ عَميقَهْ

١ الوسيقة : جماعة الإبل .
٢ اربق : بلد برامهرمز . الفليقة : العجيبة .
٣ الشقيقة : الفرجة بين جبلين .

مَجّةُ النّاهِلِ في المَحْ ضِ أرَابَ مُستَذِيقَهْ
قَدْ أفَاقُوا وَالظُّبَى مِنْ هَامِهِمْ غَيْرُ مُفِيقَهْ
رَجَعُوا مِنْ عِزّةِ الفَحْ لِ إلى ذُلّ الطَّرُوقَهْ
قُلْتُ للمُختَبِطِ الطّا لِبِ قَدْ أوْضَعَ نُوقَهْ
فَاتَكَ البَرْقُ ، فَمَنْ يرْ جُو ، وَقَدْ فَاتَ لحُوقَهْ
سَبَقَ السّيلُ فَأعْيَا كُلّ بَاغٍ أنْ يَعُوقَهْ
لا تَعَاطَ اليَوْمَ عِبْ ثاً أبَداً لَسْتَ مُطِيقَهْ
وَهِضَاباً تُزْلِقُ الطّرْ فَ ، وَأطْوَاداً زَلِيقَهْ
حَسِبَ الأوْشَالَ جَهلاً كَالعَيَاليمِ العَمِيقَهْ[1]
وَمِدَى الجازِرِ تَدْمَى كَالمَبَاتِيرِ الرّقِيقَهْ
ضِلّةُ الزّائِدِ قَدْ خَا طَرَ بالبَكْرِ فَنِيقَهْ
عِشْتَ تَستَدْرِكُ فينا خَطَلَ الدّهْرِ وَمُوقَهْ
لابِساً دُرّاعَةَ البُخْ لِ ، وَرَقّاعاً خرُوقَهْ
في مَعَالٍ بَاقِيَاتٍ للعِدَى غَيرِ مَذِيقَهْ
وَاثِقاً بالدّهْرِ تُعطَى مِنْ رَزَايَاهُ وَثِيقَهْ
كُلّمَا عِفْتَ صَبُوحَ الْ عُمرِ عُوطِيتَ غَبُوقَهْ
مَطلَعَ الشّارِقِ ، إنْ غَا بَ رَجَا النّاسُ شُرُوقَهْ

[1] العياليم ، الواحد عيلم : البحر .

آمِنَ المَرْتَعِ تَرْعَى رَوْضَةَ العِزّ أنِيقَهْ
إنْ يَكُنْ عِيداً ، فأيّا مُكَ أعيَادُ الخَليقَهْ
إنّهَا أنوَارُ أحْداقٍ وَنُوّارُ حَدِيقَهْ
إنّ نَعّاقَ الأعَادي ، أسكَتَ الذّلُّ نَعيقَهْ
لَفَظَ المُلْكُ شَجَاهُ ، وَأسَاغَ اليَوْمَ رِيقَهْ

فرع أشار إلى السماء

قال يمدح أباه ويذم عدواً له وذلك في سنة ٣٧٥:

يا دارُ مَا طَرِبَتْ إلَيكِ النّوقُ ، إلاّ وَرَبْعُكِ شَائِقٌ وَمَشُوقُ
جاءتكِ تَمرَحُ في الأزِمّةِ وَالبُرَى، وَالزّجْرُ وِرْدٌ وَالسّيَاطُ عَلِيقُ
وَتَحِنّ مَا جَدّ المَسِيرُ ، كأنّمَا كلّ البلادِ مُحَجَّرٌ وَعَقيقُ[1]
دارٌ تَمَلّكَهَا الفِرَاقُ فَرَقّهَا بالمَحْلِ مِنْ أسرِ الغَمامِ طَلِيقُ[2]
شَرِقَتْ بأدْمُعِهَا المَطِيُّ، كأنّمَا فيها حَنِينُ اليَعمَلاتِ شَهِيقُ
خَفَقَتْ يَمَانِيَةٌ عَلى أرْجَائِهَا، وَطَغَتْ عَلَيها زَعزَعٌ وَخَرِيقُ

١ محجر وعقيق : مكانان .
٢ قوله : فرقها ، هكذا في الأصل .

في كُلِّ إصْبَاحٍ وَكلِّ عَشِيَّةٍ ، يَسري عَلَيها للدّمُوعِ فَرِيقُ
سَخِطَ الغُرَابُ علىالمَساقطِ بَينَها، فَلَهُ بإنْجازِ الفِراقِ نَعيقُ
فتَوزّعَتْ تلكَ القَذاةَ نَوَاظِرٌ ، وَتَقَسّمَتْ تلكَ الشّجَاةَ حُلُوقُ
الآنَ أقبَلَ بي الوَقارُ عَنِ الصّبَا ، فغَضَضْتُ طَرْفي وَالظّبَاءُ تَرُوقُ
وَلَوَ انّني لمْ أُعْطِ مَجدي حَقّهُ أنكَرْتُ طَعمَ العزّ حينَ أذُوقُ
رَمَتِ المَعالي فامتَنَعنَ وَلَمْ يَزَلْ أبَداً يُمَانِعُ عَاشِقاً مَعشُوقْ
وَصَبَرْتُ حَتّى نِلتُهُنّ وَلَمْ أقُلْ ضَجَراً : دوَاءُ الفارِكِ التّطليقْ
ما كنتُ أوّلَ من جَنَا بقَميصِهِ عَبَقُ الفَخارِ ، وَجَيبُهُ مَخرُوقُ
كَثُرَتْ أمَانيّ الرّجَالِ ، ولَمْ تزَلْ مُتَوَسِّعَاتٌ ، وَالزّمَانُ يَضيقْ
مِنْ كُلّ جِسْمٍ تَقتَضيهِ حُفْرَةٌ، فكَأنّهُ مِنْ طِينِهَا مَخلُوقْ
وَمَفَازَةٍ تَلِدُ الهَجيرَ خرَقتُها، وَالأرْضُ من لمعِ السّرَابِ بُرُوقْ
بنَجاءِ صَامِتَةِ البُغَامِ كأنّها ، وَالآلُ يَرْكضُ في الفَلاةِ ، فَنيقْ
سَبقتْ إليكَ العزْمَ طائشةُ الخُطى فنَجَتْ وَأعناقُ المَطيّ تَفُوقُ[1]
جَذَبَتْ بضَبعي من تِهامةَ قاصِداً، وَالنّجمُ في بَحرِ الظّلامِ غَريقْ
مُستَشرِياً بَرْقاً تَقَطّعَ خَيطُهُ، فلَهُ عَلى طُرَرِ البِلادِ شُرُوقْ
هَزّ المَجَرّةَ أفْقُهُ ، وَكَأنّها غُصْنٌ بأحداقِ النّجُومِ وَرِيقْ
مَجّ الظّلامُ الفَجرَ عَنهُ، كأنّما الـ أضْوَاءُ في شَفَةِ الغَياطِلِ رِيقْ

١ تفوق : لعلها من قولهم : ما ارتد على فوقه ، أي مضى ولم يرجع .

وَاللَّيلُ مَحلولُ النِّطاقِ عن الضّحى ... عارٍ ، وَعِقدُ الصّبحِ فيهِ وَثيقُ

ما كانَ إلاّ هَجعَةً ، حتّى انثنى ... وَالطَّرْفُ من سُكرِ النّعاسِ مُفيقُ

وَتَماسَكَتْ تلكَ العَمائِمُ بعدَما ... أرْخَى جَوَانبَها كَرًى وَخُفُوقُ

ما رُفّهَتْ رُكبانُها ، إلاّ وَفي ... جِلْدِ الظّلامِ من الضّياءِ خُرُوقُ

يا ناقَ عاصِي من يُماطِلُكِ السُّرَى ، ... فلَحيقُ غَيرِكِ بالعِقالِ خَليقُ

وَرِدي حِياضَ فتَى مَعَدٍّ كلّها ، ... فالحَبلُ أتلَعُ ، وَالقَليبُ عَميقُ

وَإذا تَرَاخَتْ حَبوَتي أوْثَقتُها ... بفِنَاءِ بَيتٍ تُرْبُهُ العَيّوقُ

في بَلدَةٍ ، حَرَمٌ عَلى أعدائِهِ ... وَعَلى النّوَائِبِ رَبْوَةٌ إزْلِيقُ

تَتَزَاحَمُ الأضْيَافُ في أبْيَاتِهِ ، ... فِرَقاً تَحِنّ إلى القِرَى وَتَتُوقُ

وَإذا رَآهُمْ لمْ يَقُلْ مُتَمَثّلاً : ... أبَنِي الزّمَانِ لكلّ رَحبٍ ضِيقُ

عجَباً لرَبعكَ كيفَ تُخصِبُ أرْضُهُ ... وَجَنابُهُ بدَمِ السَّوَامِ شَرِيقُ

وَالخَيلُ تَعلَمُ أنّ حَشوَ ظُهورِها ... مِنهُ نُهًى ، يَنجابُ عَنها المُوقُ

مَا زَالَ يَجنُبُها إلى أعْدائِهِ ، ... وَالشمسُ تَسحبُ وَالفَلاةُ تَضيقُ

مِنْ كُلّ رَقّاصٍ كَأنّ صَهيلَهُ ... نَغَمٌ وَمَا مَجّ الطّعانُ رَحيقُ

طِرْفٌ تَعَوّدَ أنْ يُخَلّقَ وَجهُهُ ... في حَيثُ يَنضُو النّقعَ وَهوَ سَبوقُ

ذو جِلْدَةٍ حَمرَاءَ تَحسَبُ أنّها ... من طُولِ تَخليقِ الرّهانِ خَلُوقُ

وَاليَوْمُ مَلطُومُ السّوَالِفِ بالظُّبَى ، ... وَاللّيلُ مُرْتَعِدُ النّجومِ خَفُوقُ

لَقَطَتْ نُفوسَهُمُ شِفاهُ صَوَارِمٍ ... فَرَغَتْ وَأسيافُ العَوَامِلِ رُوقُ

في كُلّ يَوْمٍ يَندُبُونَ مصَارِعاً ، ... للوَحْشِ فِيها وَالنّسُورِ طُرُوقُ

نَشوَانَةُ الأعطَافِ مِنْ دَمٍ فتيَةٍ فيهِمْ صَبُوحٌ للرّدَى وَغَبُوقُ
تَبكي عَلَيْهَا، غَيرَ رَاحمَةٍ لهَا، بالمَاطِلاتِ رَوَاعِدٌ وَبُرُوقُ
وَتَبَلّغَتْ آرَاؤهُ ، فكَأنّها طلَعتْ وَفي سَجفِ الغيوبِ فُتوقُ
وَيَكُرّ وَالفَرَسُ الجَوَادُ مُبَلَّدٌ، وَيَقُدّ وَالعَضْبُ الحُسامُ مَعوقُ
كَرّاتُ مَنْ شُدّتْ قَوَائمُ عَزْمه، فلَها رَسيمٌ في العُلَى وَعَنيقُ
كَفّاهُ أدّبَتَا السّهامَ ، فَما لهَا في النّبضِ عن خطإِ البَنانِ مُرُوقْ
لَوْلا احتذاءُ السّهمِ طاعةَ قَوْسِهِ ، ما شَيّعَ النّصْلَ المُصَمَّمَ فُوقْ
يُدْني الحِمَامَ بكَفّهِ مُتَرَسِّلٌ لقَضَائِهِ . نَائي السّنَانِ رَشيقْ
نُفِضَتْ عَلى الأيّامِ مِنهُ شَمائِلٌ أبرَزْنَ وَجهَ الدّهرِ وَهوَ طَلَيقْ
وَأقامَ أسوَاقَ الضّرَابِ فللرّدَى فيهِنّ مِنْ سَبْيِ النّفُوسِ رَقيقْ
نَفسِي فِداؤكَ أيُّ يوْمٍ لمْ تَقُمْ لكَ فيه منْ جَلَبِ القَوَاضِبِ سُوقْ
قَمَرٌ يَهابُ المَوْتُ ضَوْءَ جَبينِهِ . وَاليَوْمَ خَوّارُ العَجاجِ غَسُوقْ
وَالسّيفُ ليسَ يُهابُ قَبلَ قِرَاعِه حتّى يَمَسّ العَينَ مِنهُ بَرِيقْ
عَشِقَ السّماحَ، وَكلُّ سحرٍ للمُنَى فيهِ بأنفَاثِ السّؤالِ يَحيقْ
طَهّرْتُ قَلْبي مُذْ عَلِمتُ بأنّهُ لسُرَى مَدائحِهِ العِظَامِ طَرِيقْ
كَمْ كاهلٍ للشّعرِ أثقَلَ نَعتُهُ عِطفَيهِ، وَهوَ لِما يَؤُدُّ مُطيقُ[1]
طأطأتَ فَرْعَ المَجدِ، ثمّ جَنَيتَهُ، فارْتَدّ وَهوَ عَلى عِداكَ سَحُوقْ

---

١ يؤد : يثقل .

فَرْعٌ أشَارَ إلى السّمَاءِ فَجازَها ، حتّى كأنّ لَهُ النّجُومَ عُرُوقُ
وَمُبَخَّلٍ شَهِدَتْ عَلَيهِ يَمينُهُ في حَيثُ يَمنَعُها النّدى وَيَعُوقُ
يَبكي إذا بكَتِ السّحابُ كأنّهُ أبداً عَلى طَرَفِ الغَمَامِ شَفيقُ
وَإذا تَعَرّضَ عارِضٌ أغضَى لَهُ ألاّ يَرَى الأنْوَاءَ كيفَ تُرِيقُ
لَوْ أبدَتِ الأيّامُ جانِبَ وَجهِهِ ، لَتَشَبّثَتْهُ مَظَالِمٌ وَحُقُوقُ
إنْ سَارَ سَارَ إلى النّزّالِ بِخَفيَةٍ ، حَتّى كَأنّ سِلاحَهُ مَسْرُوقُ
بَيتٌ أقَامَ البُخلُ فيه ، فاستَوَى بِفِنَائِهِ المَحْرُومُ وَالمَرْزُوقُ
يَرْجو بُلوغَ نَداكَ ، وَهوَ مُحقَّقٌ مَعَ حِرْصِهِ أنّ الجَوَادَ عَتيقُ
في الطّينَةِ البَيضَاءِ غَرْسُكَ ، إنّهُ غَرْسٌ تَداوَلُهُ البِقَاعُ عَرِيقُ
فإذا التَثَمتَ فكلُّ وَجهٍ باسِلٌ ؛ وَإذا حَسَرْتَ فكلُّ خدٍّ رُوقُ[1]
اللهُ جارُكَ ، وَالمَطيُّ جوَائِرٌ ، وَالنّصرُ دِرْعُكَ ، وَالحُسامُ ذَليقُ
لا زِلتَ تَجنُبُ من سيوفك في العدى نَحراً يَخُبّ وَرَاءَهُ التّشرِيقُ
وَإذا جهرْتَ بصَوْتِ عزْمك مُسمعاً ، أصْغَى إلَيكَ اليُمْنُ وَالتّوْفيقُ
شرّفتَ مَدحي فاعتَلى بكَ طَوْدُهُ ، وَمِنَ المَدائِحِ فائِقٌ وَمَفُوقُ
شَهِدَتْ لَهُ خَيلُ الخَوَاطِرِ أنّهُ خَيرُ الصّهيلِ ، وَمَا سِوَاهُ نَهيقُ

١ روق : جميل ، رائق .

الجود ينهاه ويأمره

قال يمدحه أيضاً رضي الله

لَوْ صَحّ أنّ البَيْنَ يَعشَقُهُ ، مَا استَعبَرَتْ في السّيرِ أينُقُهُ
قَمَرٌ عَلى غُصْنٍ يُرَنّحُهُ مَرُّ اللّحَاظِ ، وَلَيسَ يَرْشُقُهُ
طأطأتُ لحظَ العَينِ حينَ خَطَا ، وَالبَيْنُ يَرْمُقُني وَيَرْمُقُهُ
وَأذَبْتُ دَمعي يَوْمَ وَدّعَني ، في صَحنِ خَدٍّ ذابَ رَوْنَقُهُ
وَدّعتُهُ ، وَالبَدْرُ تَحسَبُهُ مُتَقَاعِساً في الفَجْرِ أعنَقُهُ
وَاللّيْلُ يَكْبُو فيهِ أدْهَمُهُ ، وَالصّبْحُ يَنهَضُ مِنْهُ أبلَقُهُ
وَاللّثْمُ يَرْكُضُ في سَوَالِفِهِ ، وَتَكَادُ خَيْلُ الدّمْعِ تَسبِقُهُ
مَا غَرّني يَوْمَ اللّقَاءِ ، وَلا خَدَعَ ارْتيَاحَ هَوَايَ رَيّقُهُ
وَعَلِمتُ حينَ نَشَرْتُ مِطرَفَهُ أنّ الفِرَاقَ غَدًا يُمزّقُهُ
بكَتِ الجُفُونُ ، وَأنتَ طارِفُها ، وَشَكَا الفُؤادُ ، وَأنتَ مُحرِقُهُ
وُدّي لخَيرِ النّاسِ أذْخَرُهُ ، مَا كُلُّ وُدٍّ فيكَ أنْفِقُهُ
وُدٌّ تَقَادَمَ عَهدُهُ فَصَفَا ، وَجَديدُ وُدّ المَرْءِ أخلَقُهُ
لمُشَمّرِ الأطْرَافِ مُنْزَعِجِ ال أعْطَافِ يُهجِعُهُ تَأرّقُهُ
لأغرّ تُعشِي الشّمْسَ غُرّتُهُ ، وَيَشُقّ جَيبَ اللّيلِ مُشرِقُهُ
يَسْرِي فتَحجُبُهُ خَلائِقُهُ ، وَيُضِيءُ أوْجُهَهَا تَخَلّقُهُ

أبدَتْ خبَيِيَّ المَجدِ طَلعتُهُ ، وَأذاعَ سِرَّ المَجدِ مَنطِقُهُ
وَلَقَلّما شَرِقَتْ أسِنّتُهُ ، إلاّ وَصَفْوُ الحَمد يُشرِقُهُ[1]
وَإذا استَرَقّ المَحلُ مُرْتَبَعاً ، أمَرَ السّحابَ الجَوْنَ يُعتِقُهُ
وَإذا تَأمّلَ شَخصَهُ مَلِكٌ أوْمَا إلى قَدَمَيْهِ مَفرِقُهُ
في كَفّهِ عَارِي الذُّبَابِ لَهُ لَمعٌ يَدُلّكَ كَيْفَ تَرْمُقُهُ
أطْغَاهُ رَوْنَقُ غَرْبِهِ ، فطغى، وَالمَاءُ يُطغيهِ تَرَقْرُقُهُ
جَذلانُ يَرْقُصُ في الرّؤوسِ إذا غَنّتْهُ بالصَّهَلاتِ سُبّقُهُ
صَلّى الرّدَى لَوْ يَستَطيعُ إلى نَصْلٍ بِرَاحَتِهِ مُخَلَّقُهُ
يُؤوِي الضّيُوفَ وَدُونَ حُجرَته بَابٌ عَلى الأحداثِ يُغْلِقُهُ
وَإذا النّوَائِبُ زَعزَعَتْ يَدَهُ في الطّعنِ جاءَتْهُ تُمَلّقُهُ
عرْيانُ خَيلِ الغَدْرِ مِنْ دَنَسٍ ، لا يَستَطيعُ الغَدْرُ يَعْلُقُهُ[2]
الجُودُ يَنْهَاهُ وَيَأمُرُهُ ، وَالدّهْرُ يَرْجُوهُ وَيَفرَقُهُ
هُوَ قَادِرٌ لَكِنّ صَوْلَتَهُ في البَطْشِ يَصرَعُهَا تَرَفّقُهُ
وَلَرُبّ مَجْهُولٍ رَكَائِبُهُ ، خَلْفَ الرّيَاحِ الهُوجِ تَخرُقُهُ
قَلقَلتَ بالأجفَافِ تُرْبَتَهُ ، وَالقَيظُ عَنْ أمَمٍ يُحَرّقُهُ[3]
ذَمّتْكَ رَبْوَتُهُ وَوَهْدَتُهُ ، وَشَكَاكَ فَدفَدُهُ وَسَملَقُهُ[4]

١ سرفت أسنته : إما أراد أنها غصت بالدم أو احمرت من الدم . يشرقه : ينيره .
٢ يعلقه : يستمسك به .
٣ الأجفاف ، الواحد جف : جماعة الناس ، والعدد الكثير .
٤ السملق : القاع الصفصف .

وَلَرُبَّ وِرْدٍ بِتَّ قَارِبَهُ ، لا يَطْمَئِنُّ بِهِ تَدَفُّقُهُ
وَالمَاءُ يُرْعَدُ في جَوَانِبِهِ ، جَزَعاً، وَظِمءُ العِيسِ يُشرِقُهُ
لمّا لحَظْتَ الدّهْرَ زَايَلَهُ إظْلامُهُ ، وَافتَرّ ضَيّقُهُ
سَاوَرْتَهُ ، فَفَضَضْتَ سَوْرَتَهُ ، وَارْتَاحَ في نُعمَاكَ مُمْلِقُهُ
وكَذاكَ هَمٌّ الرّيحِ في غُصُنٍ تَثْنيهِ ، أوْ مَاءٍ تُصَفّقُهُ
لمّا رَآكَ المُلْكُ مُنصَلِتاً بالسّيْفِ تُرْعِدُهُ وَتُبْرِقُهُ
استَنكَفَ التّعدِيلَ مَايِلُهُ ، وَاستَرْجَعَ التّحكيمَ أخرَقُهُ
أفَلَ السّمَاحُ ، وَأنتَ شَارِقُهُ ، وَدَجَا العَلاءُ . وَأنتَ مُشرِقُهُ
وَلَرُبّ يَوْمٍ شِمتَ بَارِقَهُ ، وَالمَوْتُ يُهْطِلُهُ وَيُودِقُهُ
وَالسّيفُ قَائِمُهُ يُفَارِقُهُ ، وَالرّمْحُ عَامِلُهُ يُطَلّقُهُ
وَالشّمسُ تَجرِي وَهيَ مُهمَلَةٌ في ثَوْبِ نَقْعٍ لا تُخَرّقُهُ
وَالخَيلُ تَطبَعُ في حَوَافِرِهَا وَشْماً تُداوِلُهُ . وَتُخْلِقُهُ
مِنْ كُلّ ذَيّالِ السّبِيبِ رَمَى بِيَدَيْهِ أولى النّقْعِ أولَقُهُ[1]
أشلَيتَ عَزْمَكَ في كَتَائِبِهِ ، وَالسّهْمُ يُشْلِيهِ مُفَوِّقُهُ
فاسلَمْ عَلَى الأيّامِ تَلبَسُها ، فالدّهْرُ ثَوْبٌ أنتَ مُخلِقُهُ

[1] أولقه : أسرعه .

ما العز الا الغزو

قال يهنىء أباه بعيد الفطر وأنشدت في يومه بحضرته :

بِوَدّ الرّذايَا أنّهَا في السّوَابِقِ ، وكَمْ للعُلى مِنْ طالِبٍ غَيرِ لاحِقِ
وَفي شِدّةِ الدّهرِ اعتِبَارٌ لعَاقِلٍ ؛ وَفي لَذّةِ الدّنْيَا غُرُورٌ لِوَاثِقِ
أرَى العَيشَ أيّاماً تَمُرّ ، وَلَيْتَنَا نُبَاعِدُ مِنْ أحداثِهَا وَالبَوَائِقِ
شَهِيٌّ إلى النّاسِ النّجَاءُ من الرّدى ، وَلا عُنُقَ إلاّ وَهْيَ في فِتْرِ خَانِقِ
وَأكثرُ مَنْ شَاوَرْتَهُ غَيرُ حَازِمٍ ، وَأكثرُ مَنْ صَاحَبتَ غيرُ المُوَافِقِ
إذا أنتَ فَتّشْتَ القُلُوبَ وَجَدْتَهَا قُلوبَ الأعادي في جُسومِ الأصادِقِ
وَعِندِي مِنَ الوُدّ الذي لا يَشُوبُهُ لحَاظُ المُرَائي أوْ كَلامُ المُنَافِقِ
أُغَالِطُ نَفسي بَعدَ مَرْأًى وَمَسمَعٍ ، وَلا أنظُرُ الدّنيَا بعَينِ الحَقَائِقِ
عَلَى أنّني أدرِي ، إذا كَانَ قَائِدي بَقَائي ، فإنّ المَوْتَ لا شَكّ سائقي
وَمَا جَمعيَ الأمْوَالَ إلاّ غَنيمَةٌ لمَنْ عَاشَ بَعدي وَاتّهاماً لرَازِقي
تَنَفّسَ في رَأسِي بَيَاضٌ كَأنّهُ صِقَالٌ تَرَاقٍ في النّصُولِ الرّوَائِقِ
وَمَا جزَعِي إنْ حَالَ لَوْنٌ ، وَإنّما أرَى الشّيبَ عَضْباً قاطِعاً حبل عاتقي
فَمَا لي أذُمّ الغَادِرِينَ ، وَإنّمَا شَبَابِيَ أدْنَى غَادِرٍ بي وَمَاذِقِ
تُعَيّرُني شَيْبي كَأنّي ابتَدَعتُهُ ، وَمَنْ ليَ أنْ يَبقَى بَيَاضُ المَفارِقِ
وَإنّ وَرَاءَ الشّيبِ مَا لا أجُوزُهُ بِعَائِقَةٍ تُنْسِي جَميعَ العَوَائِقِ

وَلَيسَ نَهارُ الشّيبِ عِندي بمُزْمعٍ رُجُوعاً إلى لَيلِ الشّبابِ الغُرَانِقِ
وَمَا العِزّ إلاّ غَزْوُكَ الحَيّ بالقَنَا ، وَرَبْطُ المَذاكي في خُدُورِ العَوَاتِقِ
وَإغمادُكَ الأسيَافَ في كُلّ هَامَةٍ ، وَرَكْزُكَ أطرَافَ القَنَا في الحَمالِقِ
وَلا ترْتضِي أن تُدنِسَ العِرْضَ ساعةً ، وَمَشيُكَ في ثَوْبٍ مِنَ الزّينِ رَائِقِ
فَلِلْعِزّ مَا أدْنَى لِيَاني مِنَ القَنَا ، وَأكرَهَ رُمحي في صُدُورِ الفَيَالِقِ
سَقَى اللهُ نَفساً مَا أضَرّ بَقَاؤها بجِسْمي ، وَأغرَاها بما كانَ عَارِقي
تُكَلّفُني سَيراً إلى غَيرِ غَايَةٍ ، مُضِراً بِأبْنَاءِ الجَدِيلِ وَلاحِقِ[1]
وَلَيلٍ كَعَينِ الظّبْيِ، إلاّ نجُومَهُ ، قَطَعتُ وَلي مِن صُبحِهِ كَفُّ سارِقِ
جَرِيّاً على الظّلْمَاءِ ، حتّى كأنّني أرَاهَا بِألحَاظِ الرّزَايَا الطّوَارِقِ
وَرَكْبٍ أنَاخُوا سَاعَةً ، فتَنَاهَبُوا ثَرَى البِيدِ في أعضَادِهِمْ وَالمَرَافِقِ
وَسَارُوا بأيدِي العِيسِ عَجلى كأنّها خَرَاطِيمُ أقلامٍ جَرَتْ في المَهارِقِ
وَمَا أنَا مِمّنْ يُضْجِرُ السّيرُ قَلبَهُ ، وَتُذْكِرُهُ الأمْوَاهُ حَرَّ الوَدائِقِ[2]
وَلكِنْ شَرِيكُ الوَحشِ في كلّ مَهمهٍ ، وَرِدْفُ اللّيَالي في الرُّبَى وَالأبَارِقِ
رَعَى اللهُ مَن فارَقتُ مِنْ غَيرِ رَغبةٍ عَلى الوَجدِ منّي وَالسّقَامِ المُطابِقِ
يُبَاعِدُ عَنّي مَنْ غَرَامي لأجْلِهِ ، وَيَقرُبُ مِنْ قَلْبي لَهُ غَيرُ وَامِقِ
إذا شِئْتَ أنْ لاتَهجُرَ الهَمّ فاغترِبْ ، وَإنْ شِئتَ أنْ يَأتي الحِمَامُ فَفارِقِ
فكُلُّ غَرِيبٍ يَألَفُ الهَمُّ قَلبَهُ ، وَلا سِيّمَا قَلْبُ الغَرِيبِ المُفَارِقِ

١ الجديل : فحل كان للنعمان بن المنذر . لاحق : فرس مشهور
٢ الودائق ، الواحدة وديقة : شدة الحر .

فكَيفَ بطَرْفٍ لحظُهُ لحظُ مُدْنَفٍ سقيمٍ ، وَجِسْمٍ قَلبُهُ قلبُ عَاشِقِ
إذا كنتُ ممّن يجحدُ الشّوْقَ في النّوَى، فكَم فاضَ دَمعي مِن حَنينِ الأيانِقِ
وكَمْ أنَا وَقّافٌ عَلى كُلّ مَنزِلٍ ، وكَمْ أنَا مُرْتَاحٌ إلى كُلّ بَارِقِ
أحِنُّ إلى مَنْ لا يَحِنّ صَبَابَةً ، وَمَا وَاجِدٌ قَلبا مَشوقٍ وَشَائِقِ
وَعِنْدِي مِنَ الأحبابِ كُلُّ عَظيمَةٍ تُزَهّدُ في قُرْبِ الضّجيعِ المُعَانِقِ
تَعَطّلَتِ الأحشَاءُ مِنْ كُلّ أنّةٍ ، فَلا القُرْبُ يُضْنيني ولا البُعدُ شائقي
وَمَا في الغَوَاني مِنْ سُرُورٍ لنَاظِرٍ ؛ وَلا في الخُزَامَى مِنْ نَسيمٍ لنَاشِقِ
رَمَى اللهُ بي مِنْ هذهِ الأرْضِ غيرَها، وَقَطّعَ مِنْ هَذا الأنَامِ عَلائِقي
فكَمْ فيهِمُ مِنْ وَاعِدٍ غَيرِ مُنجِزٍ ؛ وكَمْ فيهِمُ مِنْ قائلٍ غيرِ صَادِقِ
يَظُنّونَ أنّ المَجدَ فيمَنْ لهُ الغِنى ، وَأنّ جَميعَ العِلمِ فَضْلُ التّشادُقِ
وَفَتاءٌ كأُنْبُوبِ اليَرَاعِ لصَاحِبٍ ، وَغَدْرٌ كأطْرَافِ الرِّماحِ الزّوَالِقِ
وَلَوْلا ابنُ مُوسَى لم يكُنْ في زَمَانِنا مَعَاذٌ لجَانٍ ، أوْ مَحَلٌّ لِطَارِقِ
وَلا دَبّرَتْ سُمرَ القَنَا كَفُّ فَارِسٍ ، وَلا مُدّ في رِزْقِ المُنى باعُ رَازِقِ
تَغَمّدَنَا مِنْ كُلّ أرْضٍ بنفحَةٍ ، وَأمطَرَنَا مِنْ كُلّ جَوٍّ بِوَادِقِ
إذا هَمّ لمْ يَبْعُدْ بهِ زَجْرُ زَاجِرٍ ، وَإنْ ثَارَ لمْ يَعطِفْ بهِ نَعقُ نَاعِقِ
وَإنْ رَامَ أمْلاكَ البِلادِ بفَتكَةٍ ، مَشَى الذّلُّ في تيجَانِها وَالمَنَاطِقِ
لَهُ العِزُّ وَالمَجْدُ التّليدُ وِرَاثَةً ، وَأخذاً عنِ البِيضِ الظُّبَى وَالسّوَابِقِ
وَمَا زَالَ يَلقَى كُلَّ غَبرَاءَ فَخمَةٍ تُغَالي بأطْرَافِ القَنَا وَالعَقَائِقِ[1]

١ تغالي : لعله من غالى بالسهم : رمى به أقصى الغاية . العقائق : أراد السيوف .

وَمَا بَرِحَتْ في كُلّ عَصْرٍ سُيُوفُهُ مَوَاضِعَ تِيجَانِ الرِّجَالِ البَطَارِقِ
يُجَرِّدُهَا مِثْلَ الأَقاحي عَلى الطُّلى، وَيُغْمِدُهَا مُحْمَرّةً كالشّقَائِقِ
تُبَلّغُهُ أقصَى الأَمَاني رِمَاحُهُ ، وَآرَاؤهُ ، وَالرّأْيُ أَمضَى مُرَافِقِ
وَخَيْلٍ كأطرَافِ العَوَالي جَرِيئَةٍ عَلى الطّعنِ مُسقَاةٍ دِمَاءَ المَوَارِقِ
إذا عَنَّ طَرْدٌ أوْ طِرَادٌ تَبَادَرَتْ طِرَادَ الأعَادي قَبلَ طَرْدِ الوَسَائِقِ
تُدِيرُ عُيُوناً بَدّدَ الرّوْعُ لحظَهَا ، وَغَطّى مَآقِيهَا غُبَارُ السّمَالِقِ
نَوَاصِبِ آذانٍ إلى كُلّ نَبْأةٍ ، طَوَامِحِ ألحَاظٍ إلى كُلّ مَارِقِ
ذَوَاكِرَ للنّجْوَى بِيَوْمٍ طِعَانُهُ يُنَسّي رُؤوسَ الخيلِ جذبَ العَلائِقِ
تَرُوعُ جَنَانَ اللّيثِ إنْ لمْ تَدُمّهُ ، وَتَطعَنُ في الأقْرَانِ إنْ لمْ تُعَانِقِ
هَنيئاً لكَ العِيدُ المُضَاعَفُ سَعدُهُ ، كمَا ضَاعَفَ الوَسميُّ نَبْتَ الحَدائِقِ
وَكَمْ مثلِ هذا العيدِ قَضَيتَ فَرْضَه بمَكّةَ ، في ظِلّ البُنُودِ الخَوَافِقِ
وَقُدْتَ إلَيهِ العِيسَ عَجلى مَرُوعَةً ، تَنَاهَزُ في أنْماطِهَا وَالنّمارِقِ
مُدَفّعَةً تَحتَ السّيَاطِ كَأنّهَا ، إذا جَنّتِ الظّلماءُ، أيدي النّقَانِقِ
وَيُعنِتُها الحَادُونَ أوْ تُوسِعَ الخُطا إلى قُرْبِ دارِ المَوْقِفِ المُتَضَائِقِ
وَأيُّ مَقَامٍ للوَرَى تَحتَ ظِلّهِ ، مَهيبٍ يُطَاطي مِن عُيُونِ الحَدائِقِ
وَأكثَرُ مَا تَلقَى بهِ العَينُ أوْ تَرَى إفَاضَةَ مَخلُوقٍ إلى قُرْبِ خَالِقِ
ثَمَانينَ أعطَيتَ المُنى في مُرُورِهَا ، وَلَمْ تَرْمِ عَنْ مَسرَاكَ فيها بعَائِقِ
وَأكبرُ ظَنّي أنْ أرَى مِنكَ عارِضاً يُؤمّمُهَا في مِثْلِ تِلْكَ البَوَارِقِ
أبَا أحْمَدٍ هَذا طِلابي ، وَهَذِهِ مُنَايَ التي أمّنْتُكَ دُونَ الخَلائِقِ

وَإنّي لأرْجُو منكَ مَا لا أذِيعُهُ ، مَخَافَةَ وَاشٍ ، أوْ عَدُوٍّ مُمَاذِقِ
وَلا بُدّ مِنْ يَوْمٍ حَمِيدٍ ، كأنّهُ مِنَ النّقعِ في أثْنَاءِ بُرْدٍ شَبَارِقِ[1]
عَظِيمٍ دَوِيّ الصّوْتِ في سَمعِ سامعٍ ، بَعيدِ سَماعِ الصّوْتِ من نُطقِ ناطقِ
أعُدّ عَنَايَ فيهِ رَوْحاً وَرَاحَةً ، وَكَمْ سَعَةٍ للمَرْءِ غِبَّ المَضَائِقِ
وَهَذا مَقَالي فيكَ غَيْثٌ ، وَرُبّمَا رَمَيْتُ العِدى مِن وَقعِهِ بالصّوَاعِقِ
إذا أنتَ يَوْماً سِمْتَنِيهِ ، فإنّمَا تُكَلّفُني قَطْعَ الذّرَى وَالشّوَاهِقِ
وَحَسبُكَ منهُ ما رَضِيتَ استِماعَهُ ، وَأكثَرُ مَا في النّاسِ لَغوُ المَنَاطِقِ

انت الهوى لا غيرك

وكتب إلى بعض أصدقائه

سَيّدي أنتَ ؛ ليسَ كُـلُّ صَدِيقٍ بصَادِقِ
كَمْ لِسَانٍ دَنَا إلَيْـكَ بِقَلْبٍ مُنَافِقِ
كَيفَ تُنمي الوَفاءَ وَالخِـلُّ غَيرُ المُوَافِقِ
سِرْتَ بالشّوْقِ وَالتّفَـتَّ إلى غَيرِ وَامِقِ
مُستَرِيحٍ مِنَ الجَوَى ، كَاذِبِ الوُدّ مَاذِقِ

[1] الشبارق : المقطع .

أنتَ لا غيرُكَ الهوَى ، مِنْ جَميعِ الخَلائقِ
لا يرَاني العَدُوُّ إ لاّ بِعَيْنِ المُسترِقِ
أنَا لَولاكَ مَا ظَفِرْ تُ بقَلْبٍ مُصَادِقِ
أنَا مَوْلَى العِدى ، وَإنْ كُنتُ عَبْدَ الأصادِقِ
مَنْزِلي لا يزَالُ يَسدْ نُو إلى كُلّ طَارِقِ
بِظَلامِ الغرُوبِ ، أوْ بِضِياءِ المَشارِقِ
وَشِفَاهُ الغَمَامِ تَجْ لُو ثُغُورَ البَوَارِقِ
وَأعُقُّ الغُرَابَ بَيْ نَ بَرُوقٍ وَفَارِقِ[1]
بِظُبّى تَخْلُطُ الجزُو رَ بِضَرْبِ المَفَارِقِ
أنَا للجُودِ مُذْ خُلِقْ تُ وَوَحّدْتُ خَالِقي
خُلُقي ذاكَ وَالتّخَ لُّقُ ضِدُّ الخَلائِقِ
أحْرِزُ المَالَ للعَطَا ءِ ، بِجَرّ الفَيَالِقِ
وَأرَى جَمْعِيَ الثّرَا ءَ اتّهَاماً لرَازِقي
مَا أعَزّ الرّجَالَ لَوْ قَنِعُوا بالحَقَائِقِ
لي مِنَ الدّهْرِ مَا يُشَ يّعُني في البَوَائِقِ
فَرَسٌ يَلْحَقُ الأيَا طِلَ مِنْ نَسْلِ لاحِقِ
وَنَحِيلُ الكُعُوبِ في رَأسِهِ مِثْلُ بَارِقِ

١ البروق : الجبان . الفارق : المنفرد .

وَصَقيلُ الذُّبَابِ يَقْ بِضُ لَحْظَ المَرَامِقِ
أتَحَدّى بِهِ الرّدَى ، في ظُهُورِ السّوَابِقِ
يَوْمَ قَوْدِ الجِيَادِ خَ طَّارَةً في السَّمَالِقِ
تَتَنَزّى رُؤوسُهَـا مِنْ جُنُوبِ العَلائِقِ
أرْتَقي غَايَةَ الكُهُو لِ بِسِنّ المُرَاهِقِ

مضى طيب الاردان

قال رضي الله عنه يرثي أبا الفتح عثمان بن جني النحوي وتوفي ببغداد ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة ٣٩٢ وكانت بينهما مودة أكيدة وخلطة متقادمة وأسباب جامعة وقد قرأ عليه طويلا واستفاد منه كثيراً وفسر قطعة من شعره وكان هو المتولي للصلاة عليه قبل دفنه رحمهما الله تعالى :

ألا يا لَقَوْمي للخُطُوبِ الطّوَارِقِ ، وَللعَظْمِ يُرْمَى كُلَّ يَوْمٍ بعارِقِ
وَللدّهْرِ يُعرِي جَانِبي مِنْ أقَارِبي ، وَيَقْطَعُ مَا بَيْني وَبَيْنَ الأصَادِقِ
وَيُورِي بقَلْبي نَارَ وَجْدٍ شُوَاظُهَا تُرِيني اللّيَالي ضَوْءَهُ في مَفَارِقي
وَللنّائِبَاتِ استَهْدَفَتْني نِصَالُهَا ، عَلى شَرَفٍ يَرْمِينَنَا بالفَلائِقِ[1]
وَللنّفسِ قَد طارَتْ شَعاعاً مِنَ الجوَى لفَقْدِ الصّفَايَا وَانْقِطَاعِ العَلائِقِ

[1] الفلائق : الأمور المنكرة .

لمَا كُلَّ يَوْمٍ مَوْقِفٌ مَعْ مُوَدِّعٍ ، وَمُلتَفِتٍ في عَقَبِ ماضٍ مُفارِقِ
نجُومٌ مِنَ الإخوَانِ يَرْمي بها الرّدَى ، مُقارِبُهَا فَوْتُ العُيُونِ الرّوَامِقِ
كَأنّي ، إذا تَبَّعتُ آثَارَ غَارِبٍ بعَيْنيَ ، لمْ أنظُرْ إلى ضَوْءِ شَارِقِ
وَلا دارَ إلاّ سَوْفَ يُجلَى قَطينُها ، على نَعْقِ غرْبانِ الخُطوبِ النّوَاعِقِ
وَيَخرُجُ مِنْهَا بالكَرَائِمِ حادِثٌ ، وَيَدخُلُها صَرْفُ الرّدى بالبَوَائِق
كأنّا قَذًى يَرْمي بهِ السّيلُ كُلّما تَطاوَحَ مَا بَيْنَ الرُّبَى وَالأبَارِقِ
أعَضُّ بَنَاني إصْبَعاً ثُمّ إصْبَعاً ، علَى ثَامِرٍ مِنْ فَرْعِ مَجدٍ وَوَارِقِ
وَعِقْدٍ مِنَ الأخدانِ أوْهَى نِظامَهُ كرُورُ الرّزَايَا وَاعتِقابُ الطّوَارِقِ
أرُدُّ الشّجَا قَبلَ الزّفيرِ تَجَلّداً ، وَأغلِبُ دَمعي قَبلَ بَلّ الحَمَائلِ
كَأنّيَ بَعدَ الذّاهِبينَ رَذِيّةٌ تُزَجّى وَرَاءَ المَاضِيَاتِ السّوَابِقِ[1]
وَلا رَيبَ أنّي مُبرِكٌ في مَنَاخِهِمْ ، وَأنّيَ بالمَاضِينَ أوّلُ لاحِقِ
فَأينَ المُلُوكُ الأقدَمُونَ تَسانَدُوا إلى جِذْمِ أحسابٍ كِرَامِ المَعَارِقِ
بهَالِيلُ مَنّاعُونَ للضّيمِ أحسَنُوا بَلاءَهُمُ عندَ النّصُولِ الذّوَالِقِ
عوَاصِبُ بالتّيجَانِ فَوْقَ جَمَاجِمٍ ، وِضَاءِ المَجَالي وَاضِحَاتِ المَفَارِقِ
إذا رَثَمُوا المِسكَ العَرَانِينَ خِلتَهمْ أسُودَ الشّرَى سافَتْ دَماً بالمَنَاشِقِ[2]
فُحُولٌ أطَلْنَ الهَدْرَ وَالخَطرَ بالقَنا ، ضَوَارِبُ للأذْقَانِ مِيلُ الشّقَائِقِ
هُمُ انتَعَلُوا العَلْيَاءَ قَبْلَ نِعالِهِمْ ، وَداسُوا طُلَى الأعداءِ قَبلَ النّمارِقِ

١ الرذية : التي أثقلها المرض .
٢ رثموا : لطخوا . سافت : شم

تَرَى كُلَّ حُرِّ المَلطَمَينِ كَأنّهُ عَتيقُ المَهَارَى مِنْ جيَادٍ عَتَائِقِ
إذا قَامَ سَاوَى الرّمْحَ حتّى يَمَسّهُ بِغَارِبِ مَمْطُوطِ النّجَادِ وَعَاتِقِ
وَرَائي الدُّجَى يَعشُو إلى ضَوْءِ وَجهِهِ كَأنّ عَلى عِرْنِينِهِ ضَوْءَ بَارِقِ
وَأينَ المَلاجي العاصِماتُ مِنَ الرّدَى إذا طَرَقَتْ إحدَى اللّيَالي بطَارِقِ
مَصَاعِبُ لمْ تُعطِ الرّؤوسَ لِقَائِدٍ ، وَلا استَوْسَقَتْ قَبلَ المَنايا لسَائِقِ
فَشَنّ عَلَيهِ الأزْلَمُ العَوِدُ غارَةً ، بلا قَرْعِ أرْمَاحٍ وَلا نَقعِ مَأزِقِ
وَشَلّ بِهَا شَلَّ الطّرَائِدِ بالقَنَا ، وكَعكَعَهَا مِنْ جِلّةٍ وَدَرَادِقٍ[1]
لِتَبْكِ أبَا الفَتْحِ العُيُونُ بِدَمعِها وَألسُنُنا مِنْ بَعدِهَا بالمَنَاطِقِ
إذا هَبّ مِنْ تِلْكَ الغَليلُ بِدامِعٍ تَسَرّعَ مِنْ هَذا الغَرَامُ بنَاطِقِ
شَقيقي إذا التَاثَ الشّقيقُ وَأعرَضَتْ خَلائِقُ قَوْمي جَانِباً عَنْ خَلائقي
كَأنّ جَنَاني يَوْمَ وَافَى نَعِيُّهُ ، فَرِيُّ أديمٍ بَينَ أيدي الخَوَالِقِ[2]
فَمَنْ لأوَابي القَوْلِ يَبلُو عِرَاكَهَا وَيَحذِفُهَا حَذْفَ النّبَالِ المَوَارِقِ
إذا صَاحَ في أعقَابِهَا أطْرَدَتْ لَهُ ثَوَانيَ بالأعْنَاقِ طَرْدَ الوَسَايِقِ
وَسَوّمَهَا مُلْسَ المُتُونِ كَأنّها نَزَائِعُ مِنْ آلِ الوَجيهِ ولاحِقِ
تَغَلغَلُ في أعقَابِهِنّ وُسُومُهُ ، بأبقَى بَقَاءٍ مِنْ وُسُومِ الأيَانِقِ
فَفي النّاسِ مِنها ذائِقٌ غَيرُ آكِلٍ ، وَقَد كانَ منها آكلاً غَيرَ ذائِقِ
وَمَنْ للمَعَاني في الأكِمّةِ ألقِيَتْ إلى بَاقِرٍ غَيبَ المَعَاني وَفَاتِقِ

١ الجلة : السادة العظام . الدرادق : الأطفال .
٢ الخوالق : صناع الأديم وهم الذين يقدرونه قبل قطعه .

يُطَوِّحُ في أثْنائِها بِضَميرِهِ ، ... مَريرُ القُوَى وَلاّجُ تِلْكَ المَضايِقِ
تَسَنَّمَ أعلى طَودِها غَيرَ عاثِرٍ ، ... وَجاوَزَ أقصَى دَحضِها غَيرَ زالِقِ
طَوَى منهُ بَطنُ الأرْضِ ما تَستعيدُهُ ... عَلى الدّهرِ مَنشُوراً بُطونُ المَهارِقِ
مَضَى طَيّبَ الأرْدانِ يأرَجُ ذِكْرُهُ ، ... أريجَ الصَّبا تَندَى لِعِرْنِينِ نَاشِقِ
كَأنّ جَميعَ النّاسِ آثنَوْا ... عَلى بَعضِ أمطارِ الرّبيعِ المُغادِقِ
أمَدّوهُ مِنْ طِيبٍ لغَيرِ كَرَامَةٍ ، ... وَضَمّوهُ في ثَوْبٍ جَديدِ البَنائِقِ
وَمَا احتَاجَ بُرْداً غَيرَ بُرْدِ عَفَافِهِ ، ... وَلا عَرْفَ طِيبٍ غَيرَ تلكَ الخَلائِقِ
مَرَافِقُ شَعبٍ كالهَشائِمِ وُسّدُوا ... بِمُنْقَطِعِ البَيْداءِ غَيرِ المُرافِقِ
قَدِ اعتَنَقُوا الأجداثَ لامِنْ صَبابةٍ ، ... وَيَا رُبّ زُهْدٍ في الضّجيعِ المُعانِقِ
وَما المَيتُ إنْ وَاراهُ سِترٌ مِنَ الثّرَى ... بأقرَبَ مِمّا دُونَ رَمْلِ الشّقائِقِ
وَفَارَقَني عَنْ خُلّةٍ غَيرِ طَرْقَةٍ ، ... تَضَمّنَها صَدْرُ امرِىءٍ غَيرِ ماذِقِ[1]
تَرَوّقَ مَاءُ الوُدّ بَيْني وَبَينَهُ ، ... وَطاحَ القذَى عن سَلسَلِ الطعم رَائِقِ
سَقَاكَ، وَهَلْ يَسقيكَ إلاّ تَعِلّةً، ... اغَيرِ الرّدى قَطرُ الغَمامِ الدّوَافِقِ
مِنَ المُزْنِ حَمحامٌ ، إذا التَجّ لُجّةً ... أضَاءَتْ تَوَاليهِ زِنادَ البَوَارِقِ
سُلافَةُ غَيثٍ شَلشَلَتها هَميّةٌ ، ... نَتيجَةُ أنواءِ السّحابِ الرّقارِقِ
وَمُستَنبِتٍ رَوْضاً عَلَيكَ مُنَوَّراً ، ... عَلى صَابحٍ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَغَابِقِ
وَمَا فَرَحي إنْ جاوَرَتكَ حَديقَةٌ ، ... وَقَبرُكَ مَملُوءٌ بِغُرّ الحَدائِقِ

١ الخلة ، الخصلة ، الصداقة . الطرقة : الهوج ، الجنون .

أخٌ لكَ أمسَى وَاجِداً بكَ وَجْدَهُ ، طَوَالَ اللّيَالي بالشّبَابِ الغُرَانِقِ
سَخَا لكَ مِنْ رِيحِ الزّفِيرِ بحاصِبٍ مُقيمٍ ، وَمن مَاءِ الشّؤونِ بِوَادِقِ
فَمَا العَهدُ منّي إنْ لهَوْتُ بثَابِتٍ ، وَلا الوُدّ منّي إنْ سَلَوْتُ بصَادِقِ

يا ناعي الفارس

قال رحمه الله تعالى يرثي ابن ليلى البدوي وقد
تقدم له فيه مراث وذلك في المحرم من سنة ٣٩٣ :

تَعَيّفَ الطّيرَ ، فَأنبَأنَهُ أنّ ابنَ لَيلى عَلِقَتْهُ عَلُوق[١]
وَإنّ سَجْلاً مِنْ دَمٍ آمِنٍ أفْرَغَهُ الطّعْنُ بِوَادي العَقِيقْ
يا نَاعيَ الفَارِسِ قَدْ أصْبَحَتْ ضِبَاعُ ذي العَرْعَرِ منهُ نُغُوق[٢]
تَعلَمُ مَنْ تَنعَى إلى قَوْمِهِ ؟ طَارَ ذِرَاعَاكَ بعَضْبٍ ذَلُوقْ
بُعْداً لأرْمَاحِ تَميمٍ لَقَدْ هَدَدْنَ عَادِيّ بِنَاءٍ عَتيقْ
قَرَعْنَ في أصْلِ كَرِيمِ الثّرَى ، وَجُلْنَ في فَرْعٍ عَزِيزِ العُرُوقْ
حَدَوْا لَهُ مِنْ حَيثُ لا يَتّقي ، عِيراً مِنَ الطّعْنِ مِلاءَ الوُسُوقْ
كأنّ ذا المَطلَعِ أمسَى الرّدَى رَصِيدَهُ ، وَازْوَرّ عَنهُ الفَرِيقْ

١ تعيف : زجر . العلوق : الداهية ، المنية .
٢ نغوق : صائحة .

قالَتْ لَهُ النّفسُ عَلى عَارِهَا : ما لكَ لا تَنقُضُ هَذا الطّرِيقْ

مَا كانَ بالرّاجعِ عَنْ نَهجِهِ ، لَوْ وَقَفَ السّيفُ لَهُ في المَضِيقْ

لا يَدَعُ الذّابِلَ مَنْ طَعمُهُ على صَبُوحٍ بِدَمٍ ، أوْ غَبُوقْ

كَأنّ أعلاهُ لِسَانٌ ، فَمَا يَغُبُّهُ ، الدّهرُ ، بِلالٌ بِرِيقْ

كَمْ بَاتَ رِبّاءٌ لِسَيّارَةٍ طَارِقَةٍ غَيرَ أوَانِ الطُّرُوقْ[1]

في قُنّةٍ عَيْطَاءَ مَمْطُولَةٍ كَأنّهَا قُلّةُ رَأسٍ حَلِيقْ

يُزَايِلُ اللّيْلَ عَلى رَحْلِهِ ، وَيُوتِرُ القَوْمَ بطُعمِ الخُفُوقْ[2]

وَيَغتَدي بَعدَ عِرَاكِ السُّرَى يُعَارِضُ الرّكْبَ بِوَجْهٍ طَلِيقْ

أوْفَى ، كَمَا جَلّى عَلى رَهْوَةٍ ، أزْرَقُ وَالَى نَظَرَاتٍ بِنِيقْ[3]

يَسُلّ عَيْنَيْهِ عَلى مِرْبَةٍ ، عَن زَجَلِ الطّيرِ قُبَيلَ الشّرُوقْ

يَعتَرِقُ اللّحْمَ عَلى بَارِقٍ ، وَيَنتَقي العَظْمَ بِرَمْلِ الشّقِيقْ

أوْ حَيّةُ الرَّعْنِ ذَوَى رَأسَهُ ، مُشتَرِقَ الشّمسِ بطَوْدٍ زَلِيقْ

يَعقُدُ أولاهُ بأُخْرَاتِهِ ، لِفَافَ بِنتِ الرَّقَمِ الخَنفَقِيقْ[4]

كَعِمّةِ الأَلْوَثِ مَالَتْ بِهِ بَينَ النّدامَى نَزَوَاتُ الرّحِيقْ

جَامِعُ لِينٍ وَصِيَالٍ مَعاً ، إطرَاقَ ذي حِلْمٍ وَصَوْلِ الحَنِيقْ

١ رباه : أراد مغذياً ومنفساً للكرب .

٢ الخفوق : النوم .

٣ الأزرق : البازي .

٤ الرقم : الداهية . الخنفقيق : السريعة .

يُدِيرُ في فيهِ ذَليقَ الشَّبَا ، مِثْلَ لماظِ الرّجلِ المُسْتَذِيقْ
تَخَالُ ما تَطْرَحُ أشْداقُهُ ما لَطّخَ المَحضَ بقَعبِ الغَبُوقْ
مُسْتَجمِعٌ فَرّقَ عَنْ وَثبَةٍ ، نَشطَكَ حَبْلَ العَرَبِيّ الرّبِيقْ
نِعْمَ كِعَامُ الثّغْرِ يَشْجُو بِهِ فَمَ المَنَايَا ، وَنِصَاحُ الفُتُوقْ[1]
تَضُمُّهُ في الرّوْعِ مِنْ دِرْعِهِ أُمٌّ لهَا مِنْهُ أذًى أوْ عُقُوقْ
زَالَ وَأبقَى ، عِندَ أعقَابِهِ ، خَدِيمَ مَالٍ عَرَفَتْهُ الحُقُوقْ
مَضَى وَوَصّاهُمْ بِأنْ يَقْبَلُوا دَعوَى العِدا فيهم وَحكمَ الصّديقْ
كانَ هَوًى للنّفسِ ، لَوْ أنّني في حَلَقِ القِدّ ، وَأنتَ الطّليقْ
ما كُنتُ بالهَائبِ طُرْقَ الرّدَى ، مَا سَلِمَ العَضْبُ ، وَأنتَ الرّفيقْ
مَا أنَا باللاّقي بِذاتِ النّقَا خيّلَ وَغًى مُشعَلَةً بالعَنيقْ
مَاطَلَهَا المَاءَ ، فَلَمّا سَلَتْ عَنِ الرّوَى مَاطَلَهَا بالعَليقْ
وَلابنُ لَيلى عَارِضاً رُمْحَهُ يَحْدُو بِخَفّانَ جِمَالاً وَنُوقْ
يَأبَى ، إذا الضّيمُ غَدا مُضْغَةً سَلْسَالَةً سَائِغَةً في الحُلُوقْ
يَرُوحُ مَنْ يَرْجُو لَهُ غُرّةً ، قد خَضْخَضَ السّجلَ بجالٍ عميقْ
يُحَدّثُ النّفْسَ بِمَا فَاتَهُ ، تَطَاوُلَ الغَمرِ لمَجنَى السَّحُوقْ
اسْتَبْدَلَ الحَيُّ بِعِقْبَانِهِ أغرِبَةً بَعدَكَ حُمقَ النّغِيقْ
خَاطَرَتِ الشّوْلُ بِأذْنَابِهَا ، لمّا انطوَى قَرْقَارُ ذاكَ الفَنيقْ[2]

[1] الكعام : الرباط . النصاح : الخيط والسلك .
[2] الشول : النياق . قرقار : هدير البعير .

قَدْ نَطَقَ الصَّامِتُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَصرَدَ النَّابِلُ بَعدَ المُرُوقْ
مَخِيلَةٌ لا مَطَرٌ خَلْفَهَا ، تَلْمَعُ مِنهَا شَوَلانُ البُرُوقْ
ما الحَيّ بالضّاحِكِ عَنْ مِثْلِهِ ، وَلا وُجُوهُ الحَيّ مُذ غابَ رُوقْ
وَلا أغَبّ الأرْضَ تُمسِي بِهَا ظِلٌّ صَفِيقٌ وَنَسِيمٌ رَقِيقْ
لا أغْفَلَتْ قَبرَكَ حَنّانَةٌ ، خَرْقَاءُ بالقَطْرِ صَنَاعِ البُرُوقْ
مَا أبْدَعَ المِقْدارُ فِيمَا جنَى ، لَكِنّهُ حَمّلَ غَيرَ المُطِيقْ

العيش غمة وارتياحة

قال يرثي صديقاً له ويصف في بعضها الحية :

أُلَوّي حَيَازِيمِي عَلَيْكَ تَحَرّقَا ، وَأشكُو قُصُورَ الدّمعِ فيك وَما رَقَا
فَيَا شَملَ لبّي لا تَزَالُ مُبَدَّداً ، وَيَا جَفْنَ عَيْنِي لا تَزَالُ مُؤرَّقَا
فَقَدْ كُنتُ أستَسقي الدّمُوعَ لمِثلِها، وَمَا جَمّ دَمعُ العَينِ إلاّ ليُهْرَقَا
أعَايَنتَ هَذا الدّهْرَ إنْ سَرّ مَرّةً أسَاءَ ، وَإنْ صَفّى لَنا الوُدَّ رَنّقَا
كَأنّي أُنَادي مِنْهُ صَمّاءَ صَلْدَةً ، وَصِلَّ فَلاةٍ لا يَلِينُ عَلى الرُّقَى
إذا غَفَلَ الحَادُونَ ثَارَ مُسَاوِراً ؛ وَإنْ رُوجِعَ النّجوَى أرَمّ وَأطرَقَا
طَلُوعُ الثّنَايَا يَنفُذُ اللّيلَ لحظُهُ ، إذا مَا رَنَا ،جَوّابُ أرْضٍ ،وَحَملَقَا
لَهُ المَنْظَرُ العَارِي ، وَكُلُّ هُنَيهَةٍ تُغَاوِرُ بالأنْقَاءِ بُرْداً مُشَرّقَا

كَأنّ زِمَاماً ضَاعَ مِنْ أرْحَبيّةٍ تَلَوّى بِأقْوَازِ النّقَا ، وَتَعَلّقَا[1]
تَلَمّظَ شَيْئاً كالجُبَابِ ، وَغامَرَتْ بهِ وَثْبَةٌ أمضَى مِنَ اللّيثِ مَصْدَقَا[2]
رِشاءُ الرّدى لوْ عَضّ بالطّوْدِ هاضَهُ ، وَلَوْ شَمّ ما لاقَى عَلى الأرْضِ أحرَقَا
دُوَيْهِيَةٌ يَحْمي الطّرِيقَ مَجَرُّهُ ، إذا نَفَخَ الرّكبَانُ نَامَ وَأرّقَا
وَمَا العَيْشُ إلاّ غُمّةٌ وَارْتِيَاحَةٌ ، وَمُفتَرَقٌ بَعْدَ الدّنُوّ وَمُلْتَقَى
هُوَ الدّهْرُ يُبلي جِدّةً بَعدَ جِدّةٍ ، فَيَا لابِساً أبْلَى طَوِيلاً وَأخْلَقَا
فكَمْ مِنْ عَليٍّ فيكَ حَلّقَ وَانهوَى ، وَكَمْ مِنْ غَنيٍّ نالَ منكَ وَأملَقَا
وَمِنْ قَبلِ ما أرْدَى جُذاماً وَحِميَراً ، وَأطرَقَ زَوْرُ المَوْتِ عُوجاً وَعَملَقَا
وَأبْقَى عَلى دارِ السّمَوْألِ بَرْكَهُ ، وَقَادَ إلى وِرْدِ المَنُونِ مُحَرِّقَا
فَفَارَقَ هذا الأبْلَقَ الفَرْدَ بَغتَةً ، وَوَدّعَ ذا بَعدَ النّعيمِ الخَوَرْنَقَا
فَمَا البَأسُ وَالإقدامُ نَجّى عُتَيبَةً ، وَلا الجُودُ وَالإعطَاءُ أبقَى المُحَلِّقَا
أرَاهُ سِنَاناً للقَرِيبِ مُسَدَّداً ، وَسَهْماً إلى النّأيِ البَعيدِ مُفَوَّقَا
إذا مَا عَدا لمْ تُبصِرِ البِيضَ قُطّعاً ، وَلا الزَّغْفَ مَنّاعاً وَلا الجُرْدَ سُبَّقَا
وَلا في مَهاوِي الأرْضِ إن رُمتَ مهبطاً ، وَلا في مَرَاقي الجَوّ إن رُمتَ مُرْتَقَى
وَلا الحُوتُ إنْ شَقّ البِحارَ بفائِتٍ ، وَلا الطّيرُ إنْ مَدّ الجَنَاحَ وَحَلّقَا
وَللعُمْرِ نَهْجٌ إنْ تَسَنّمَهُ الفَتَى إلى الغَايَةِ القُصْوَى أزَلّ وَأزْلَقَا
ألا قَاتَلَ اللهُ الذي جَاءَ غازِياً ، فَقَارَعنا عَن مُخّةِ السّاقِ وَانتَقَى

١ الأقواز : الكثبان المشرفة .
٢ الجباب : ما اجتمع من ألبان الإبل كأنه الزبد .

وَكَمْ مِنْ عَليلٍ قَدْ شَرِقتُ بِيَوْمه جَوًى ، بَعدَ مَا قالوا أبَلّ وَأفرَقَا

وَآخرَ طَلّقتُ السّرُورَ لفَقْدِهِ ، وَقَدْ رَاحَ للدّنْيَا النّشُوزِ مُطَلِّقَا

بنَفسِيَ مَنْ أفقَدْتُ داراً أنيقَةً من العَيْشِ وَاستَوْدَعتُ بيداء سَمْلَقَا

وَأبْدَلتُهُ مِنْ ظِلّ فَينَانَ ناضرٍ ظِلالَ صَفيحٍ كالغَمَامِ مُطَبِّقَا

وَخفّفتُ عَن أيدي الأقاربِ ثِقلَهُ ، وَحَمّلتُهُ ثِقْلَ الجَنَادِلِ وَالنّقَا

جلَستُ عَلَيهِ طَامِعاً ثمّ جاءَني مِنَ اليَأسِ أمرٌ أنْ أخُبَّ وَأُعنِقَا

وَمَا مِنْ هَوَانٍ خَطّأ التُّرْبَ فَوْقَهُ ، وَخَطّ لَهُ بَيتاً مِنَ الأمرِ ضَيّقَا

وَقد كانَ فَوْقَ الأرْضِ يُسحِقُ نأيُه ، فصَارَ وَرَاءَ الأرْضِ أنْأى وَأسحَقَا

خَليليّ زُمّا لي مِنَ العِيسِ جَسرَةً ، مُضَبَّرَةَ الأضْلاعِ أدْمَاءَ سَهوَقَا[1]

تَمُرُّ كَمَا مَرّتْ أوَائلُ بَارِقٍ يَشُقُّ الدُّجَى وَالعَارِضَ المُتَألّقَا

كَأنّ يَدَ القَسطَارِ بَيْنَ فُرُوجِهَا ، يُقَلِّبُ في الكَفّ اللّجَيْنَ المُطَرَّقَا[2]

وَحُطّا لجَامي في قَذالِ طِمِرّةٍ ، كَأنّ بهَا مِنْ مَيعَةِ الشّدّ أوْلَقَا

تُعيرُ الفَتَى ظَهراً قَصِيراً ، كأنّهُ قَرَا النِّقنِقِ الطّاوِي وَعُنقاً عَشَنّقَا[3]

لَعَلّيَ أفُوتُ المَوْتَ إنْ جَدّ جَدُّهُ ، وَأعظَمُ ظَنّي أنْ يَنالَ وَيَلحَقَا

وَهَلْ يَأمَنُ الإنْسَانُ مِنْ فَجآتِهِ ، وَإنْ حَثّ بالبَيداءِ خَيْلاً وَأيْنُقَا

لقد سَلّ هذا الرُّزْءُ من عينيَ الكَرَى ، وَغَصّصَ بالمَاءِ الزّلالِ وَأشْرَقَا

١ الجسرة : العظيمة من الإبل . مضبرة : مجتمعة . السهوق : الطويلة الساقين .

٢ القسطار : منتقد الدراهم .

٣ العشنق : الطويل .

وَمِمّا يُعَزّي المَرْءَ مَا شَاءَ أنّهُ يَرَى نَفْسَهُ في المَيّتِينَ مُعَرِّقَا
وَلَوْ غَيرَ هذا المَوْتِ نَالَكَ ظُفرُهُ وَوَلاّكَ غَرْباً للمَنَايَا مُذَلَّقَا
لَكَانَ وَرَاءَ الثّأرِ مِنّا ، وَدُونَهُ عَصَائِبُ تَختَارُ المَنُونَ عَلى البَقَا
إذا ضَرَبُوا رَدّوا الحَدِيدَ مُثَلَّماً ؛ وَإنْ طَعَنُوا رَدّوا الوَشِيجَ مُدَقَّقَا
بِكُلّ قَصِيرٍ يَفلِقُ الهَامَ أبيَض ، وَكُلّ طَوِيلٍ يَهتِكُ السّرْدَ أوْرَقَا
إذا اهتَزّ مِنْ خَلْفِ السّنانِ حَسِبتَه بأعْلى النّجَادِ الأرْقَمَ المُتَشَدِّقَا
وَلَكِنّهُ القِرْنُ الّذي لا نَرُدُّهُ ، وَهَلْ لامرِىءٍ رَدٌّ إذا اللّيثُ حَقّقَا
يَقُودُ الفَتَى ما زُمّ بالضّيمِ أنْفُهُ ، وَقَد قَادَ أبطَالاً ، وَقَدْ جرّ فَيلَقَا
مُشَقِّقُ أعرَافِ الخَطَابَةِ صَامِتٌ ، وَلاقي صُدُورِ الخَيلِ يَوْمَ الوَغى لَقَا
وَلَمْ تُغنِ عَنهُ الخَطُّ قَوّمَ دَرْؤهَا ، وَلا البِيضُ أجرَى القَينُ فيهن رَوْنَقَا
سَقَاهُ ، وَإنْ لمْ تُرْوَ للقَلْبِ غُلّةٌ ، وَمَا كَانَ ظَنّي أنْ أقُولَ لَهُ سَقَا
وَلا زَالَتِ الأنْوَاءُ تَحْبُوهُ مُرْعِداً مِنَ المُزْنِ مَلآنَ الحَيَازِيمِ مُبْرِقَا
إذا قِيلَ وَلّى عَادَ يَحدُو عِشَارَهُ ؛ وَإنْ قيلَ أرْقَا دَمعَةَ القَطرِ أغدَقَا
وَأعلَمُ أنْ لا يَنفَعُ الغَيثُ هَالِكاً ، وَلا يَشعُرُ المَندُوبُ بالهَامِ إنْ زَقَا[1]
وَلَوْ كَانَ بالسُّقيَا يَعُودُ أنَا لَهُ ، كمَا لَوْ سُقي عارِي القَضيبِ لأوْرَقَا
وَلَكِنْ أدارِي خاطِراً مُتَلَهّفاً ، وَقَلْباً بِمَا خَلْفَ التّرَابِ مُعَلَّقَا

١ زقا : صاح .

جيران القلب

قال قدس الله روحه وقد توفي أبو الحسن محمد بن المفضل المهبي رحمه الله يتوجع لفقده وكانت بينهما مودة اقتضت ذلك في ذي القعدة سنة ٣٩٩ :

لا يُبْعِدِ اللهُ فِتْيَاناً رُزِئْتُهُمُ ، رُزْءَ الغُصُونِ ، وَفيها المَاءُ وَالوَرَقُ
إنْ يَرْحَلُوا اليَوْمَ عَن داري فإنّهمُ جِيرَانُ قَلبي أقَامُوا بَعدَما انطَلَقُوا
بَانُوا ، فَكُلُّ نَعيمٍ بَعدَهُمْ كَمَدٌ بَاقٍ ، وَكُلُّ مَساغٍ بَعدهمْ شَرَقُ
أرَاكَ تَجزَعُ للقَوْمِ الذينَ مَضَوْا . فَهَلْ أمِنتَ عَلَى القَوْمِ الذينَ بَقُوا
لا يَلبَثُ المَرْءُ يُبلي شَرْخَ جِدّتِهِ ، مِنَ الزّمَانِ جَديدٌ مَا لَهُ خَلَقُ
هَدَى الغَرَامُ دُمُوعي في مَسالكِهِ عَلَيهِمِ ، وَأضَلّتْ صَبْرِيَ الطّرُقُ
وَكَيفَ يَنعَمُ بالتّغميضِ بَعدَهُمُ عَينٌ أعَانَ عَلَيها الدّمعُ وَالأرَقُ
إنّي لأعجَبُ بَعدَ اليَوْمِ مِنْ كَبِدٍ تَدمَى لهمْ كَيفَ تَندى وَهيَ تحترِقُ

هل تذكر الزمن الانيق ؟

قال رحمه الله تعالى وقد اجتاز بقبر أبي إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب فذكر ما كان بينهما من خالص المحبة والمودة فقال بديهاً وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٩٣ :

لَوْلا يَذُمُّ الرَّكْبُ عِندكَ مَوْقِفي، حَيَّيْتُ قَبْرَكَ ، يَا أبَا إسحَقِ
كَيفَ اشتياقُكَ مُذْ نأيتَ إلى أخٍ قَلِقِ الضّميرِ إلَيْكَ بِالأشْوَاقِ
هَلْ تَذْكُرُ الزّمَنَ الأنيقَ ،وَعَيشُنا يَحلُو عَلى مُتَأمِّلٍ وَمُذاقِ
وَلَيَاليَ الصَّبَوَاتِ ، وَهيَ قَصَائِرٌ ، خَطْفَ الوَميضِ بعارِضٍ مِبْرَاقِ
لا بُدّ للقُرَبَاءِ أنْ يتَزَايَلُوا يَوْماً ، بعُذْرِ قِلًى وَعُذْرِ فِرَاقِ
أمضِي وَتَعطِفُني إلَيكَ نَوَازِعٌ ، بِتَنَفّسٍ كَتَنَفّسِ العُشّاقِ
وَأذودُ عَن عَيني الدّموعَ وَلوْ خلَتْ لَجرَتْ عَلَيْكَ بِوَابِلٍ غَيداقِ
وَلَوَ انّ في طَرْفي قَذاةً مِنْ ثَرًى ، وَأرَاكَ مَا قَذّيتُهَا مِنْ مَاقِ[1]
إنْ تَمضِ فالمَجدُ المُرَجَّبُ خَالِدٌ ، أوْ تَفْنَ ، فالكَلِمُ العِظامُ بَوَاقِ[2]
مَشحُوذَةٌ تَدْمَى بِغَيرِ مَضَارِبٍ ، كالسّيفِ أُطْلِقَ في طُلَى الأعنَاقِ
يُقْبِلْنَ كَالجَيشِ المُغيرِ يَؤمُّهُ كَمِشُ الإزَارِ مُقَلِّصٌ عَن سَاقِ[3]

١ قذيتها : أخرجت منها القذى .
٢ المرجب : المهيب ، المعظم .
٣ كمش الإزار : أي مشمره ، يضرب في الجد والتشمير .

قَرِطَاتُ آذانِ المُلُوكِ خَلِيقَـةٌ بِمَوَاضِعِ التِّيجَانِ وَالأَطْوَاقِ
عَقَدُوا بِهَا المَجدَ الشَّرُودَ وَأَثَّلُوا دَرَجاً إلى شَرَفِ العُلَى وَمَرَاقِي
أَوْتَرْتَهَا أيَّامَ بَاعُكَ صُلَّبٌ ، وَكَدَدْتَهَا بالنَّزْعِ وَالإِغْرَاقِ
حَتّى إذا مَرِحَتْ قُوَاكَ شَدَدْتَهَا بَاسْمٍ عَلَى عَقِبِ اللَّيَالِي بَاقِي
كَنَجَائِبٍ قَعَدَتْ بِهَا أَرْمَاقُهَا مَحسُورَةً ، فَمَشَيْنَ بِالأَعْرَاقِ[1]

هواي يمان وركبي معرق

قال قدس الله روحه وهي من لواحق الحجازيات :

أَمِنْ ذِكْرِ دارٍ بالمُصَلّى إلى مِنًى ، تُعَادُ كَمَا عِيدَ السَّلِيمُ المُؤرَّقُ
حَنِيناً إِلَيْهَا وَالتِوَاءً مِنَ الجَوَى ، كَأَنَّكَ في الحَيِّ الوَلُودُ المُطَرِّقُ[2]
أَأَللهُ ، إنّي إنْ مَرَرْتُ بِأَرْضِهَا فُؤَادِيَ مَأْسُورٌ وَدَمْعِيَ مُطْلَقُ
أَكُرُّ إِلَيْهَا الطَّرْفَ ثُمَّ أَرُدُّهُ ، بإنسانِ عَيْنٍ في صَرَى الدَّمعِ يَغرَقُ[3]
هَوَايَ يَمَانٍ كَيفَ ، لا كَيفَ نَلتَقِي ، وَرَكْبِيَ مُنْقَادُ القَرِينَةِ مُعرِقُ

١ أرماقها ، الواحد رمق : القليل من العيش يمسك الرمق ، بقية الحياة . الأعراق ، واحدها عراق العظم الذي أكل لحمه .

٢ المطرق ، من طرقت الحامل بولدها : نشب في بطنها ولم يسهل خروجه .

٣ الصرى : الماء إذا طال مكثه .

فَوَاهاً مِنَ الرَّبْعِ الذي غَيَّرَ البِلَى؛ وَآهاً عَلَى القَوْمِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا
أُصُونُ تُرَابَ الأَرْضِ كَانُوا حُلُولَها، ... وَأَحذَرُ مِنْ مَرِّي عَلَيها وَأُشفِقُ
وَلَمْ يَبقَ عِندِي لِلهَوَى غَيرَ أَنّني إذا الرّكبُ مَرّوا بي على الدّارِ أَشهَقُ

زفرات هم واشتياق

قال رضي الله عنه

يَا لَيْلَةً كَرُمَ الزّمَانُ بها لَو انّ اللّيْلَ بَاقِ[1]
كَانَ اتّفَاقٌ بَيْنَنَا ، جَارٍ عَلَى غَيرِ اتّفَاقِ
وَاستَرْوَحَ المَهجُورُ مِنْ زَفَرَاتِ هَمٍّ وَاشتِيَاقِ
فَاقتَصّ للحِقَبِ المَوَا ضِي بَلْ تَزَوّدَ للبَوَاقي
حَتّى ، إذا نَسَمَتْ رِيَا حُ الصّبحِ تؤذِنُ بالفِرَاقِ
بَرَدَ السّوَارُ لهَا ، فَأَحْـ ـمَيْتُ القَلائِدَ بالعِنَاقِ

١ كرم : جاد .

آه على نفحات نجد

قال رضي الله عنه وهو منجد وقد شم
في ليلة من الليالي رائحة الشيح فاستطابها :

وَلَقَدْ أقُولُ لِصَاحِبٍ نَبّهتُهُ فَوْقَ الرِّحَالَةِ ، وَالمَطِيُّ رَوَاقِي
أوَمَا شَمَمتَ بذي الأبارِقِ نَفحةً خَلَصَتْ إلى كَبِدِ الفَتى المُشتَاقِ
فَجَنَى نَسِيمَ الشّيحِ مِنْ نجدٍ له حُرَقُ الحَشَى وَتَحَلُّبُ الآمَاقِ
آهاً عَلى نَفَحَاتِ نَجْدٍ ! إنّهَا رُسُلُ الهَوَى وَأدِلّةُ الأشْوَاقِ
أسُقِيتَ بالكَأسِ الّتي سُقّيتُهَا ، أمْ هَلْ خَطَتَكَ إليّ كَفُّ السّاقي
فأوَى وَقالَ : أرَى بقَلبكَ لَسعَةً للحُبّ لَيسَ لدائِهَا مِنْ رَاقِ
فَصِفِ الغَرَامَ لمُفرِقٍ مِن دائِهِ . إنّي لأقْدَمُ مِنكَ في العُشّاقِ[1]
أبثَثْتُهُ كَمَدِي وَطُولَ تَجَلّدي ، وَألِيمَ مَا بي مِنْ نَوًى وَفِرَاقِ
أشكُو إلَيهِ بَيَاضَ سُودِ مَفارِقي ، وَيَظَلُّ يَعجَبُ من سَوَادِ البَاقي

[1] المفرق : الذي فارقه داؤه .

اعير الدموع

قال في الحنين والاشتياق وهي من الحجازيات :

أيّهَا الرّائِـحُ المُغِذُّ تَحَمّلْ   حَاجَةً للمُعَذَّبِ المُشْتَاقِ
أقرِ عَنّي السّلامَ أهلَ المُصَلّى ؛   وَبَلاغُ السّلامِ بَعدَ التّلاقي
وَإذا مَا مَرَرْتَ بالخَيفِ فَاشهَدْ   أنّ قَلْبي إلَيهِ بالأشْوَاقِ
وَإذا مَا سُئِلْتَ عَنّي فقُلْ : نِضْ   وُ هَوًى مَا أظُنُّهُ اليَوْمَ بَاقِ
ضَاعَ قَلبي فانشُدْهُ لي بَينَ جَمعٍ   وَمِنًى عندَ بَعضِ تِلكَ الحِداقِ
وَابكِ عَنّي فَطالمَا كُنتُ مِنْ قَبْ   لِ أُعِيرُ الدّمُوعَ للعُشّاقِ

ما اعضل داء العشاق

قال قدس الله روحه :

يا حَسَنَ الخَلقِ قَبيحَ الأخلاقْ !   إنّي عَلى ذاكَ إلَيكَ مُشتَاقْ
رُبّ مُصَافٍ عَلِقٍ بِمَذّاقْ ؛   إنّ مَوَدّاتِ القُلُوبِ أرْزَاقْ
يا هَلْ لدائي مِنْ هَوَاكَ إفرَاقْ ؛   هَيهَاتَ مَا أعضَلَ داءَ العُشّاقْ

طال الحب وآورق

قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

إذا قلتُ إنّ القُرْبَ يَشفي مِن الجوَى، أبَى القَلْبُ أنْ يَزْدادَ إلاّ تَشوُّقَا
وَإنْ أنَا أضْمَرْتُ السّلُوّ تَرَاجَعَتْ مِنَ الشّوْقِ أخلاقٌ يُزِلْنَ التّخلّقَا
وكَم ليَ مِن لَيلٍ يُجَدّدُ لي الهَوَى إذا أشْأمَ البَرْقُ اليَمَاني وَأعرَقَا
أُصَانِعُ لحظي أنْ يَطُولَ ذُبَابُهُ إلَيكَ، وَأنْهَى الدّمعَ أنْ يتَرَقْرَقَا
مَخَافَةَ وَاشٍ يَشْلِمُ الحُبَّ قَوْلُهُ، وَهَيهاتَ طَالَ الحُبُّ منّا وَأوْرَقَا
غَدَوْنَا عَلى الأعداءِ نَحمي مَوَدّةً، وَنَمْنَعُ عَنْ أطْرَافِهَا أنْ تُمَزَّقَا
فَمَا أنتَ إلاّ السّهمُ صَافَحَ ثُغرَهُ، وَمَا أنا إلاّ العَضْبُ صَادَمَ مَفرِقَا
إذا كُنتَ لي خِلاًّ فحَسبي من الوَرَى بقَاؤكَ، لَوْلا أنتَ ما طَالَ لي بَقَا
جُمِعنَا فَلا نَحفِلْ بِما صَنَعَ الهَوَى، وَخِفْنَا عَلى الأيّامِ أنْ نَتَفَرّقَا

صديق وصادق

قال في بعض رسائله إلى أحد أصدقائه :

كَفَى حزَنَاً أنّي صَدِيقٌ وَصادِقٌ، وَما ليَ مِنْ بَينِ الأنامِ صَديقُ
فكَيفَ أُرِيغُ الأبْعَدِينَ لخلّةٍ، وَهذا قَرِيبٌ غَادِرٌ، وَشَقيقُ

منطق طاهر ونظر فاسق

قال أيضاً في معنى مثله

لَوْ كَانَ مَا تَطلُبُهُ غَايَةً ، كُنتَ المُصَلّي ، وأنا السّابِقُ[1]
تَظُنُّني أرْغَبُ عَنْ مَوْقِفٍ، يَحضُرُ فيهِ الشّوْقُ والشّائِقُ
فكّرْتُ حَتّى لمْ أجِدْ فِكرَةً تَقْدَحُ إلاّ وَلهَا عَائِقُ
لَوْ كُنتَ في أثنَاءِ سِرّي إذاً عَلِمْتَ أنّي قَائِلٌ صَادِقُ
قَلْبي جَنيبٌ لكَ لا يَرْعَوي، وَوُدُّكَ القَائِدُ وَالسّائِقُ
وَلحظُ عَيْنَيكَ رَمَى مُقلَتي ، كَأنّ نَوْمي تَحتَها عَاشِقُ
فاصْبِرْ ، فإنّ الصّبْرَ أحرَى إذا ضَاقَ عَلَيكَ المَسلَكُ الضّايقُ
فالمَنطِقُ الطّاهِرُ مَا بَينَنَا مُتَرْجِمٌ وَالنّظَرُ الفَاسِقُ

١ المصلي : الفرس الذي يتلو السابق .

النيلوفر المفتح[1]

قال يصف النيلوفر

وَلَيْلٍ تَمَزّقَ عَنْهُ النّسيـ ـمُ وَاستَلَبَ الجَوَّ غَرْباً وَشَرْقَا
وَنيلُوفَرٍ فَتّحَتْهُ الرّيَاحُ ، وَعَانَقَهُ المَاءُ صَفْواً وَرَنْقَا
تَخَيّلُ أطرَافَهُ في الغَدِيرِ ألْسِنَةَ النّارِ حُمْراً وَزُرْقَا

نفضوا عيوبهم علي

قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه وقد بلغه
أن كلاماً جرى في داره مما ينكره رحمه الله :

مَا رَقّعَ الوَاشُونَ فيّ وَلَفّقُوا ، قُلْ لي، فإمّا حَاسِدٌ أوْ مُشْفِقُ
في كُلّ يَوْمٍ ظَهرُ داري مَغرِبٌ لكَلامهم، وَجَبينُ دارِكَ مَشرِقُ
وَإلى مَتى عُودي عَلى أيديهِمُ مُلْقًى يُنَيَّبُ داثِباً وَيُحَرَّقُ
كَمْ يُسبكُ الذّهبُ المُصَفّى مَرّةً . قَد لاحَ جَوْهَرُهُ وَبَانَ الرّوْنَقُ

[1] النيلوفر : ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول عمق الماء ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر .

يَحلُو لهُمْ عِرْضِي ، فيَستَرِطُونه ، وَيَصِلُ عِرْضُهُمُ الذليلُ فيُبصَقُ[1]
نَفَضُوا عيُوبَهُمُ عَليّ ، وَإنّمَا وَجَدُوا مَصَحّاً في الأديمِ فمزّقوا
مَنْ لي بمَن إنْ بانَ عيبُ خَليله غَطّاهُ عَن شانيهِ ، أوْ مَن يصدُقُ
وَإذا الحَليمُ رَمَى بسرّ صَديقِهِ عَمْداً ، فأوْلى بالوَدادِ الأحمَقُ
مَن كانَ يَغتابُ الرّجالَ وَهمّ أنْ يَبلُو الأصادقَ فالصّديقُ المُطرِقُ
وَإذا تَألّقَتِ الثغُورُ لِسبّةٍ ، لمْ يَدْرِ ثَغراً أوْ سَناً يَتَألّقُ
لاتَملِكُ الفَحشاءُ جانبَ سَمعه ، وَيزِلُّ قَوْلُ الهُجرِ عَنهُ وَيَزْلَقُ
جارَ الزّمَانُ فَلا جَوَادٌ يُرْتجَى للنّائبَاتِ ، وَلا صَديقٌ يَشفَقُ
وَطَغَى عليّ فكُلُّ رَحبٍ ضَيّقٌ ، إنْ قُلتُ فيه ، وكلُّ حبَلٍ يخنُقُ
أمُرَشّحي للعَزْمِ غَيرَ مُرَشَّحٍ ، وَاليَوْمُ مِن لَيلِ العَجاجَةِ أبلَقُ
دَعني ، فإنّ الدّهرَ يقصِفُ همّتي ، وَيَجُذُّ مِنْ أمَلي الذي أتَعَلّقُ
المَوْتُ يرْكُضُ في نَوَاحي دَهرِنا ، وكأنّ صَرْفَ النّائباتِ مُطَرَّقُ[2]

١ استرطه : ابتلعه . يصل : ينتن .
٢ المطرق ، من طرقه : جعل له طريقاً .

برقت بالوعد

وبما قال في الاقتضاء :

بَرَقْتَ بالوَعْدِ في دُجَى أملي ، وَالغَيْثُ لا يُقْتَضَى إذا بَرَقَا[1]
حاشاكَ أنْ أقتَضِيكَ منقَبَةً ، تَسلُكُ مِنها إلى العُلى طُرُقَا
فانْهَضْ لهَا إنّهَا الغُلامُ تَجِدْ حَبْلاً ضَنيناً بكَفّ مَنْ عَلِقَا
وكَمْ صَرِيخٍ نَهَضْتَ تَنصُرُهُ ، وَالطّعْنُ يَستَرْعِفُ القَنَا عَلَقَا[2]
دَعِ العِدا عَنْ جَوَانِبي بِيَدٍ يَرُوعُ فِيهَا النُّضَار وَالوَرَقَا

عود ورقى

قال قدس الله روحه

أهُزُّ عَاسِيَةَ العِيدانِ آبِيَةً ، عَلى الحَوَابِطِ لا لِيناً وَلا وَرَقَا
وَمَا مَدَحْتُهُمُ أنّي رَجَوْتُهُمُ ، لَكِنّهُ عُوَذٌ مِنْ شَرّهِمْ وَرُقَى[3]

١ اقتضى الحال كذا : استوجبه . واقتضاه الدين وغيره : طلبه ، وأخذه منه .
٢ يسترعف : يستقطر . العلق : الدم .
٣ العوذة والرقية واحد : ما يكتب ويعلق على الإنسان ليقيه من الجنون والعين .

قالوا: نَعُدُّكَ للجُلّى، فقُلتُ لهُمْ: حَسبي مِنَ الرّيّ ما لا يَبلُغُ الشَّرَقَا
نَامُوا خَلِيّينَ عَمّا بي، فلَمْ تركوا وَهْناً عَليّ مَطَالَ الهَمّ وَالأرَقَا
كَفَى بقَوْمٍ هجاءً أنّ مادِحَهُمْ يُهدي الثّناءَ إلى أعرَاضِهِمْ فَرَقَا[1]
مَنْ لمْ يُبَالِ بأعقابِ الحَديثِ غَداً، فَمَا يُبَالي أمَانَ القَوْلُ أمْ صَدَقَا[2]

قمر غاض ضوءه

قال رضي الله عنه في معنى سئل القول فيه :

قَمَرٌ غَاضَ ضَوْءُهُ في المَحَاقِ، يَوْمَ جَدّ انْطِلاقُهُ وَانطِلاقي
جَامِدُ اللّحظِ حَيرَةَ البَينِ إلاّ أنّ مِنْهُ ذَوْبَ الدّمِ المُهَرَاقِ
صَارَ دُرُّ الدّمُوعِ يَخلُفُ ثَغرِي في حَوَاشِي تِلكَ الخُدودِ الرّقاقِ
عَزّ صَبرِي يَوْمَ اللّقَاءِ، وَلكِنْ فَضَحَتْهُ الأشجانُ يَوْمَ الفِرَاقِ
يا عَرِيقَ الهَوَى ستَقضِي إذا مَا طَلَعَ البَيْنُ مِنْ ثَنَايَا العِرَاقِ
يَوْمَ لا غَيرَ زَفْرَةٍ مِنْ فُؤادٍ ذِي قُرُوحٍ وَرَشّةٍ مِنْ مَآقِ
نَسرِقُ الدّمعَ في الجُيوبِ حَيَاءً، وَبِنَا مَا بِنَا مِنَ الإشفَاقِ

---

١ الفرق : الخوف .

٢ مان : كذب .

كَادَ طَلُّ الدَّمُوعِ يَلْتَذُّ لَوْلا ... هَزَّ سَيْرِ الرَّسِيمِ وَالإعنَاقِ[1]

وَالثَّرَى مُنْتَشٍ يُعَاقِرُهُ السَّيْـ ... ـرُ دَماً جَارِياً بِأَيْدِي النِّيَاقِ

لا أَذُمُّ الإسْرَاءَ في طَلَبِ العِـ ... ـزِّ وَلَكِنْ في فُرْقَةِ العُشَّاقِ

بَيْنَنَا ، يَا بَنِي المُغِيرَةِ ، يَوْمٌ ... غَائِرُ الشَّمْسِ مُدْنَفُ الإشْرَاقِ

شَهَقَةُ الضَّرْبِ في الطُّلى وَالهَوَادِي ، ... رَنَّةُ الطَّعْنِ في الكُلى وَالصِّفَاقِ[2]

وَاتِّشَاحُ النُّسُورِ بَعدَ ادِّرَاعِ الـ ... ـنَّقْعِ مِنْ حُلَّةِ النَّجِيعِ المُرَاقِ

وَعَجَاجٌ مُجَرَّرُ الذَّيْلِ تَخْطُو ... هُ حَيَارَى نَوَاظِرُ الأحْدَاقِ

حَمَّرَتْ نَجْدَةٌ ، وَلَيسَ بِذِمْرٍ ... في الوَغَى كُلَّ أَرْمَدِ الحِملاقِ[3]

وَبَنُو عَمِّنَا بَنُو جَمْرَةِ الحَرْ ... بِ وَمَاءُ المَكَارِمِ الرَّقْرَاقِ

وَنُجُومٌ تَنُوبُ عَنهَا العَوَالي ، ... مِنْ سَمَاءِ العَجَاجِ في الآفَاقِ

وَسَوَامي اللِّحَاظِ في الرَّوْعِ تَلقَا ... هُمْ عُنَاةً في السِّلْمِ للإطْرَاقِ

حَرَمٌ حَشْوُهُ القَنَا وَفِنَاءٌ ... ذُو طِرَازٍ مِنَ الجِيَادِ العِتَاقِ

أَمُعِيني عَلَى بُلُوغِ الأَمَاني ، ... وَشِفَائي مِنْ عِلَّتي وَاشتِيَاقي

وَخَليلي لَمَّا جَفَاني خَلِيلٌ ، ... صَدَّ حَتَّى أَغْصَصْتُهُ بِفِرَاقي

مَاءُ وُدِّي مُصَفَّقٌ لَمْ أُمَازِجْـ ... ـهُ بِرَنْقٍ مِنَ الرِّيَا وَالنِّفَاقِ

حِينَ وَافَقْتَ نِيَّتي في التَّصَافي ، ... ذُقْتَ مِنِّي الوَفَاءَ عَذْبَ المَذَاقِ

١ الرسيم والإعناق : ضربان من السير .

٢ الهوادي : الأعناق . الصفاق : الجلد الأسفل الذي يمسك البطن

٣ الذمر : الرجل الشجاع .

لا أطيعُ العَذُولَ فيكَ ، ولَوْ أ نّي سَليمُ الفُؤادِ ، والعَذْلُ رَاقِ

أينَعَتْ بَيْنَنَا المَوَدّةُ حتّى جَلّلَتْنَا وَالدّهْرَ بالأوْرَاقِ

كم مَقامٍ خُضْنا حَشاهُ إلى اللّهْـ ـوِ جَميعاً وَاللّيلُ مُلقي الرّوَاقِ

وَمَزَجْنَا خَمرَ الرُّضَابَينِ في الرّشْـ ـفِ برُغمِ المُدامِ تحتَ العِناقِ

وَذَعَرْنَا الظّلامَ ، حتّى لَقِينَا خَارِجاً مِنْ ثِيَابِهِ الأخلاقِ

قُمْ نُبَادِرْ مَرْمَى الزّمانِ ببَينٍ ، فَسِهَامُ الخُطُوبِ في الأفوَاقِ

وَاغتَنِمها قَبلَ الفِرَاقِ فَما تَعْـ ـلَمُ يَوْماً مَتَى يكُونُ التّلاقي

ما افترَقْنَا مِنَ الضّميرِ فيَنضُو الـ ـذكرُ مَا بَينَنَا ظُبَى الاشتِيَاقِ

نَحنُ غُصْنانِ ضَمّنا عاطِفُ الوَجْـ ـدِ جَميعاً في الحُبّ ضَمَّ النّطاقِ

لَوْ رَآنَا العَدُوُّ أضْمَرَنا مَا بَيْنَ أحْشَائِهِ وَبَينَ التّرَاقي

كُلّمَا كَرّتِ اللّيَالي عَلَيْنَا ، شَقّ فيهَا الوَفَاءُ جَيْبَ الشّقَاقِ

في جَبِينِ الزّمَانِ مِنكَ وَمِنّي غُرّةٌ كَوْكَبِيّةُ الائتِلاقِ

لا تَزَالُ الأيّامُ تَصْدُرُ مِنّا عَنْ إخَاءٍ ، لمْ نُقْذِهِ بفِرَاقِ

تعجلت الفراق

قال رضي الله عنه

أأخيَّ مَا اتّسَعَ الزّمَـا نُ عَلى جَمَاعَتِنَا وَضَاقَا
إلاّ ليُعْقِبَنَا اجتِمَا عاً بالنّوَائِبِ وَافتِرَاقَا
سَابِقْ ، فليسَ تُنالُ أغْ رَاضُ المُنَى إلاّ سِبَاقَا
مِنْ قَبلِ أنْ تَرِدَ الخُطُو بُ عَلى مَوَدّتِنَا طِرَاقَا
فَأزيدَ بُعْداً مِنْ لِقَا ئكَ كُلّما ازْددتُ اشتياقَا
وَأرَاكَ تَمنَحُنِي الصّدُو دَ وَبَعدُ لمْ أنْوِ انطِلاقَا
إنْ كَانَ ذا خَوْفَ الفِرَا قِ ، فقَد تَعجّلتَ الفِرَاقَا

نسيان الفراق

قال أيضاً وكتب بها إلى بعض الرؤساء يتشوقه

لِقَاؤكَ جَرّ عَليّ الفِرَاقَا ، وَمَا زَادَني القُرْبُ إلاّ اشتِيَاقَا
جَلَوْتَ عَليّ هَدِيَّ الوِدادِ ، فأسلَفتُها بالقَبُولِ الصّداقَا[1]

١ الهدي : العروس تهدى إلى زوجها .

وَأسرَفْتُ بالبِشْرِ حتّى ظَنَنْتُ أنّكَ أضْجَعتَ فيه النّفَاقَا
وَحَاشَاكَ مِنْ تُهمَةٍ في المَغيبِ، فكَيفَ حُضُورٌ يَضُمّ الرِّفَاقَا
وكَانَ الزّعِيمُ بِهذا الإخاءِ يَوْماً حَسَوْنَاهُ كأساً دِهَاقَا
نَحَرْنَا الدّنَانَ على صَدْرِهِ، فلِلّهِ أيَّ دِمَاءٍ أرَاقَا
شَرِقْنَا بِلَذّاتِهِ، وَالسّرُورُ يُلوّي إزَاراً وَيُرْخي نِطَاقَا
وَجِيبَ على الصّبحِ ثَوْبُ الظّلامِ، وَالبَدرُ يَخلَعُ عَنهُ المَحاقَا[1]
وَكُنتُ أُخَيّلُهُ في السّمَاءِ رَمحةَ طَرْفٍ أصَابَ البُرَاقَا
يُشَقّقُ وَاللّيْلُ رَطْبُ الذّيُولِ غَلائلَ تَندى نَسيماً رُقَاقَا
سَقَى اللهُ دَهْراً حبَانَا الوَدادَ مُبتَدِهاً، فشَكَرْنَا العِرَاقَا
وَمَا زِلْتُ أعجَبُ مِنْ حِفْظِهِ لَنَا القُرْبَ حَتّى نَسينَا الفِرَاقَا
أتَقْتصُّ مِنْ جَسَدي بالبعادِ، وَمَا زُوّدَ البَاعُ مِنكَ العِنَاقَا

ابا حسن

وكتب إليه أبو إسحق الصابي وهو إبراهيم بن هلال الكاتب :

أبَا حَسَنٍ لي في الرّجَالِ فِرَاسَةٌ، تَعَوّدْتُ مِنهَا أنْ تَقُولَ فتَصْدُقَا
وَقَدْ خبّرَتْني عَنْكَ أنّكَ ماجِدٌ، ستَرْقَى مِنَ العَليَاءِ أبعَدَ مُرْتَقَى

---

١ جيب : قطع .

فَوَفَّيْتُكَ التَّعظِيمَ قَبلَ أوَانِهِ ،   وَقُلتُ : أطالَ اللهُ للسيِّدِ البَقَا
وَأضمَرْتُ مِنهُ لَفظَةً لم أبُحْ بِهَا   إلى أنْ أرَى إطْلاقَهَا ليَ مُطلَقَا
فإنْ عِشتُ أوْ إنْ مُتُّ فاذكُرْ بشارَتي ،   وَأوْجِبْ بِهَا حَقّاً عَلَيكَ مُحَقَّقَا
وَكنْ ليَ في الأوْلادِ وَالأهلِ حافِظاً   إذا ما اطمأنّ الجَنبُ في موْضعِ البَقَا

وركب اغذوا بالركاب

فقال مجيباً له عن هذه الأبيات

سَنَنْتُ لهَذا الرّمحِ غَرْباً مُذَلَّقَا ،   وَأجرَيتُ في ذا الهِندُوَانيّ رَوْنَقَا
وَسَوّمتُ ذا الطِّرْفَ الجَوَادَ ، وَإنّمَا   شَرَعْتُ لَهُ نَهجاً فَخَبّ وَأعنَقَا
لَئِنْ بَرَقَتْ منّي مَخَايلُ عَارِضٍ   لعَينَيكَ يَقضِي أنْ يَجُودَ وَيُغدِقَا
فَلَيسَ بسَاقٍ قَبلَ رَبعِكَ مَرْبَعاً ،   وَلَيسَ بِرَاقٍ قَبلَ جَوّكَ مُرْتَقَى
وَإنْ صَدَقَتْ مِنهُ اللّيَالي مَخيلَةً ،   تكُنْ بجَديدِ المَاءِ أوّلَ مَنْ سَقَى
وَيَغدُو لمَنْ يُرْوِي جَنَابَكَ مُرْوِياً   زُلالاً ، وَللأعداءِ دُونَكَ مُصْعِقَا
وَإنْ تَرَ لَيثاً لائِذاً لِفَرِيسَةٍ ،   يُرَاصِدُ غُرّاتِ المَقَادِيرِ مُطْرِقَا
فَمَا ذاكَ إلاّ أنْ يُوَفَّرَ طَعمَهَا   عَلَيكَ ، إذا جَلّى إلَيها وَحَقّقَا
وَإنْ يَرْقَ يَوْماً في المَعَالي ، فإنّهُ   سَمَا ليُوَقّي وَطْءَ رِجْلِكَ مَزْلَقَا
وَإنْ يَسعَ في الأمْرِ العَظيمِ ، فإنّما   سَعَى لكَ في ذاكَ الطّرِيقِ مُطَرِّقَا

وَإنْ يَصِبِ السّهمُ الذي رَاشَ نَصْلَه ، فَمَا كانَ إلاّ في هوَاكَ مُفَوَّقَا
وَإنْ يَنهَضِ الغَرْسُ الذي هوَ غارِسٌ ، يكن لك مَجنًى في الخُطوبِ وَمَعلَقَا
لتَجنيهِ دُونَ النّاسِ ما كان مُثمِراً ، وَتَلْبَسَ ظِلاًّ منهُ مَا كانَ مُورِقَا
فنَمْ وَادِعاً وَاستَسقِني فَستَنتَضِي حُسَاماً إذا مَا مَرّ بالعَظْمِ طَبّقَا
وَجُرّ ذُيُولَ العِزّ إنّي أجُرّهُ لُهاماً ، إذا ما أظلَمَ اللّيلُ أبْرَقَا[1]
وَجَيشاً جَنَاحاهُ يُزَمّانِ بالرّدَى ، خَفُوقانِ ما نَالا مِنَ الأرْضِ مخفقَا
بِهِ كُلُّ طَعّانٍ يلُوثُ برَأسِهِ عَنِيقَ المَذاكي مَا يُثِيرُ مِنَ النّقَا[2]
لدُن غُدوَةً حتّى ترَى الشمسَ وَرْسةً ، كأنّ عَلى الغيطَانِ ثَوْباً مُزَبْرَقَا[3]
وَرَكبٍ أغَذّوا بالرّكَابِ ، فَنَشّفُوا ثَمَائِلَها بالجَوْبِ غَرْباً وَمَشْرِقَا
وَكُلٍّ مُعَرّاةِ الضّلُوعِ ، كأنّما أقَامُوا عَلَيهَا جَازِراً مُتَعَرِّقَا
فإنْ رَاشَني دَهرِي أكُنْ لك بَازِياً يَسُرّكَ مَحصُوراً وَيُرْضِيكَ مُطلَقَا
أُشَاطِرُكَ العِزّ الذي أستَفِيدُهُ بصَفقَةِ رَاضٍ إنْ غَنِيتُ وَأمْلَقَا
فتَذْهَبُ بالشّطرِ الذي كُلّهُ غِنًى ، وَأذْهَبُ بالشّطْرِ الذي كُلّهُ شَقَا
وَتَأخُذُ مِنْهُ مَا أنَامَ وَمَا حَلا ، وَآخُذُ مِنْهُ مَا أمَرّ وَأرّقَا
فَغَيرِيَ إمّا طَارَ غادرَ صَحبَهُ ، دُوَينَ المَعَالي ، وَاقِعِينَ وَحَلّقَا
فإنْ تُسْلِفِ التّبجيلَ قَبلَ أوَانِهِ ، أُعِضْكَ بِهِ وَجْهاً من الوُدّ مُونِقَا

١ اللهام : الجيش العظيم الذي يلتهم كل شيء .
٢ العنيق : السائر عنقاً وهو ضرب من السير . المذاكي : الخيول .
٣ المزبرق : المصبوغ إما بحمرة أو بصفرة .

وَإنْ تُعطِنِي الإعْظَامَ قَوْلاً فإنّني سأُعطِيكَ فِعلاً منهُ أذكَى وَأعبَقَا

لَعَلّ اللّيَالي أنْ يُبَلّغْنَ مُنْيَةً ، وَيَقرَعنَ لي بَاباً مِنَ الحَظّ مُغلَقَا

نَظَارِ وَلا تَستَبْطِ عَزْمي فلَن تَرَى عَلُوقاً، إذا مَا لمْ تَجِدْ مُتَعَلَّقَا[1]

وَلَيسَ يُنَالُ الأمْرُ إلاّ بِحَازِمٍ مِنَ القَوْمِ أحمَى مِيسَماً ثمّ ألصَقَا

فإنْ قَعَدَتْ بي السّنُّ يَوْماً ، فإنّهُ سيَنهَضُ بي مَجدي إلَيها مُحَقَّقَا

فَوَالله لا كَذّبْتُ ظَنّكَ ، إنّهُ لَعَارٌ ، إذا مَا عَادَ ظَنُّكَ مُخفِقَا

فإنّ الذي ظَنّ الظّنُونَ صَوَادِقاً ، نَظِيرُ الذي قَوّى الظّنُونَ وَحَقّقَا

١ نظار : اسم فعل بمعنى انتظر .

الحنة للمشتاق

قال قدس الله سره في صفة
الناقة السريعة وقد سئل ذلك :

جَاءَ بِهَا قالِصَةً عَن سَاقِ ، رَوْعَاءَ مِنْ إِرْثِ أَبِي الغَيداقِ
تَحِنُّ ، وَالحَنَّةُ للمُشتَاقِ ، مَا أَوْلَعَ الحَنِينَ بِالنِّيَاقِ
تَمْشِي عَلَى نَعْلٍ دَمٍ مُرَاقِ ، لَيستْ بذي هُلْبٍ وَلا طِرَاقِ [1]
تَذكُرِي رَمْلَ النَّقَا وَاشتَاقِي ، وَبَرْدَ مَاءِ أَلْعَسٍ وَسَاقِي [2]
يَنزِعُ مِنْ أُثعُوبِ جَمٍّ بَاقِي ، حَمَّضَهَا في قُلُصٍ عِتَاقِ [3]
مَنَاشِطُ العُشْبِ عَلَى المَلاَّقِ أشعَثَ بادي جِنجِنِ التَّرَاقِي [4]
كَأَنَّهُ في السَّمِلِ الأَخْلاقِ من تيهِهِ ذو التَّاجِ وَالأَطوَاقِ [5]
نَحَّارَةٌ للإبِلِ المَنَاقي ، فُوَاقُهَا أَدْنَى مِنَ الفُوَاقِ [6]
أسفَعُ إلاَّ مَوْضِعَ النِّطَاقِ ، يُنزِلُ حَدَّ الصَّارِمِ الذَّلاَّقِ

١ الهلب : ما غلظ من الشعر . الطراق : وسم على الأذن .
٢ العس : موضع .
٣ الأثعوب : المنفجر . حمضها : أطعمها الحمض . القلص : النياق .
٤ مناشط : مخارج . الملاق : السائر سيراً شديداً . الجنجن : عظام الصدر .
٥ السمل : الثوب الخلق .
٦ المناقي : المختارة . الفواق الأولى : ما يأخذ المحتضر عند النزع . الثانية : ما بين الحلبتين .

مُنَازِلُ العقّالِ وَالرِّبَاقِ ،   مُوَطَّنُ المَنْزِلِ للرِّفَاقِ
مَرّتْ عَلى الأقْوَارِ وَالبُراقِ ،   مَرَّ جَرُورِ العَارِضِ الشّهّاقِ
طَائِرَةً بالقُرُبِ الخَفّاقِ ،   مُنفَلِتِ الدّلْوِ مِنَ العَرَاقي[1]
تَحشُو على نَجْدٍ ثرَى العِرَاقِ ،   كَأنّهَا بَعضُ الهَبَابِ البَاقي
وَاللّيْلُ أعمَى شارِقَ الرّوَاقِ ،   نَذيرَ قَوْمٍ جَدّ في اللّحَاقِ
يُنْذِرُ جَيشاً عَجِلَ الإرْهَاقِ ،   أقبَلَ لا يَحفِلُ ما يُلاقي

حذار من مذروبة ذلاق

قال رضي الله عنه في بعض الأغراض
ويصف الحية وهي مما قاله سنة ٣٨٩ :

، يا أبَا الغَيداقِ ،   أصَمَّ لا يَسمَعُ صَوْتَ الرّاقي
صِلّ صَفاً ، مُلَعَّنَ البُصَاقِ ،   رِيقَتُهُ تَهزَأُ بالدِّرْيَاقِ
كَأنّهُ أُمَّ مِنَ الإطْرَاقِ ،   تَلقَى الرِّجَالُ عِندَهُ المَلاقي[2]
يَنظُرُ مِنْ عَينٍ بِلا حِملاقِ ،   إنْ نَامَ لا يَكْلَؤهَا بِمَاقِ

١ القرب : الخاصرة . العراقي : الأخشاب التي تعرض على الدلو .
٢ أم : شج في أم رأسه . وأراد بالملاقي : الشدائد ، أو الدواهي .

آثَارُهُ في القُورِ وَالبُرَاقِ ، تَستَوْقِفُ الرّكبَ عَنِ الإعناقِ [1]
يَشُمُّ مِنكَ مَوْضِعَ النّطَاقِ ، بوَخزَةٍ مِنْ ذَرِبٍ حَذّاقِ [2]
يَكْتُمُهُ في هَرِتِ الأشْداقِ ، لَيُّكَ مِنْ حَديدةِ الحَلاّقِ
تَرَى عَلَى اللّبّاتِ وَالتّرَاقي إهَالَةً مِنْ سُمّهِ المُرَاقِ
مثلَ القَذَى لَجلَجَ في المَآقي ، يَنحسُبُ بالمَاضِي جنَانَ البَاقي
رِزْقُكَ أدّتْهُ يَدُ الحَلاّقِ ، لَكِنّهُ مُرٌّ مِنَ الأرْزَاقِ
قَدْ حَانَ إلاّ أنْ يَقِيهِ الوَاقي ، مَنِ ابتَغَى جَهْلاً بِمَا يُلاقي
تَجرِبَةُ السّيْفِ عَلى الأعنَاقِ ، ألمْ يَعُقْكَ اليَوْمَ عنّي عَاقِ
حتّى لَقِيتَ أذْنَيْ عَنَاقِ ، سَوْفَ أغنّي بِكَ في الرِّفَاقِ [3]
حَدْواً كَحَدْوِ البُدْنِ بالقَيَاقي ، مُحَمَّلاً غَوَارِبَ النِّيَاقِ [4]
مِنْ لاذِعَاتِ الكَلِمِ البَوَاقي ، نَهزْاً سَيُجليهَا إلى العِرَاقِ
إنّي ارْتَقَيتُ بعدَ ضُعفِ السّاقِ رَوَابِياً مُزْلِقَةَ المَرَاقي
أهْدَفْتُ للإرْعَادِ وَالإبرَاقِ ، نُصْبَ مَسِيلِ العارِضِ البعّاقِ
تَرْقَعُ عِرْضاً منكَ ذا انخِرَاقِ ، كمَا رَفَدْتَ النّعلَ بالطِّرَاقِ
حَذارِ مِنْ مَذْرُوبَةٍ ذِلاقِ ، تَرْفَعُ عَنكَ جانِبَ الرِّوَاقِ [5]

١ القور ، الواحدة قارة : الجبل الصغير . والأرض ذات الحجارة السود . البراق ، الواحدة برقة : الأرض الغليظة . الإعناق : سير واسع .
٢ الذرب : الحاد . الحذاق : القاطع .
٣ العناق : الداهية .
٤ القياقي : الأراضي الغليظة .
٥ المذروبة : الحادة المسنونة . الذلاق من الأسنة ، والألسنة : ذو الحدة .

هَوَاجِماً مَقْطُوعَةَ الرِّبَاقِ ، حتّى علَى الآذانِ وَالأحداقِ
تَنتَزِعُ الأصُولَ بالأعرَاقِ ، يَلْجمَا بِهِمَا الحُرُّ إلى الإبَاقِ
أعقَدُهَا مَوَاضِعَ الأطوَاقِ ، لهَا علَى الأعنَاقِ وَسمِ بَاقِ
مِثلَ وُسُومِ الإبِلِ المَنَاقي ، نَزِيعَةٌ مِنْ جلَبِ العِرَاقِ
تَفْنَى لغَيرِ الشَمّ وَالعِنَاقِ ، تُميطُهَا ، وَهيَ إلى التَصَاقِ
لا تُقلِعُ القُوبَاءُ بالأرْيَاقِ ، عَجِبْتُ لأعرَاضِكُمُ الأخلاقِ[1]
أفلَقُ في جَمَاجِمٍ أفلاقِ ، وَأُجهِزُ اليَوْمَ علَى أرْمَاقِ
لا تَأمَنِ النّارَ علَى الإحرَاقِ ، هَذا وَنَبلي لكَ في الإيفَاقِ
فكَيفَ بَعدَ النّزْعِ وَالإغرَاقِ

خيال ...

وقال قدس الله سره :

ما لخَيالِ الحَبيبِ قَدْ طَرَقَا ، وَمَا لهَذا المُحبّ قَدْ قَلِقَا
سَالَتْ بإنسانِ عَينِهِ لُجَجٌ ، لَوْ لمْ يَكُنْ سَابحاً لَقَدْ غَرِقَا

[1] القوباء : ما تسميه العامة « الحزازة » .

ضاعت ديونك

ضَاعَتْ ديونُكَ عندَ الغيدِ أعناقَا، وَمَا قَضَينكَ لمّا جئتَ مُشتَاقَا
تَحَمّلُوا ، وَعُيُونُ الحَيّ نَاظِرَةٌ ، وَعَاقَ طَرْفَكَ يَوْمَ الجِزْعِ ما عاقَا

شوق وأرق

خلّوا عليكَ مَطالَ السّفرِ وانطَلَقوا، وَأسافُوكَ سُلُوّاً قبلَ أنْ عَشِقُوا
لَوْ يُنصِفُونِي الهوَى ما كانَ عندَهمُ بَرْدُ القُلوبِ وَعندي الشّوْقُ وَالأرَقُ

بجوم مذعذعة

وَرَدْنَا بِهَا بَينَ العُذَيبِ وَضَارِجٍ ، تَرِيكَةَ جُونٍ أسْأرَتْهَا البَوَارِقُ[1]
وَقد ذَعْذَعَ اللّيلُ النّجومَ لغَوْرِها، كَبَيْضِ الأداحي بَعثَرَتْهُ النّقانِقُ[2]

١ التريكة : أراد بها ما تركته السحب الجون أي السود البارقة من الماء . أسأرتها : أبقتها .

٢ ذعذع: فرق . الأداحي، الواحدة ادحية: بيض النعام في الرمل. النقانق، الواحد نقنق: الظليم .

دولة تطلب الفرار

دَوْلَةٌ تَطلُبُ الفِرَا   رَ ، وَمَجْدٌ مُحلِّقْ
هُوَ يَأسٌ مُكَذَّبٌ ،   وَرَجَاءٌ مُصَدَّقُ
قَد بَنَيْتُم ، فشَيِّدُوا ،   وَغَرَسْتُمْ . فَأَوْرِقُوا

أنراح من الفراق ؟

أتُرَى نُرَاحُ مِنَ الفِرَاقِ .   يَوْماً ، وَنَأخُذُ في التّلاقي
فَأغُضَّ مِنْ جَزَعي ، وَأمْ   حُو الدّمْعَ مِنْ بَينِ المَآقي
وَأرُوحُ في ظَفَرِ القَوِيّ .   وَقَدِ انتَصَفتُ مِنَ الفِرَاقِ

حرف الكاف

مليك الملوك

قال يمدح بهاء الدولة وأنفذها إليه وهو
في البصرة في جمادى الأولى سنة ٣٩٧ :

يا أرَاكَ الحِمَى تُرَاني أرَاكَا ، أيُّ قَلبٍ جنَى علَيهِ جنَاكَا ؟
أعطَشَ اللهُ كُلَّ فَرْعٍ بنَعما نَ مِنَ المَاطِرِ الرَّوَى وَسَقَاكَا
أيُّ نُورٍ لِنَاظِرَيَّ ، إذا مَا مَرّ يَوْمٌ ، وَنَاظِرِي لا يَرَاكَا
لايرَى السّوءَ مَن رآك مدى الدّهْـ رِ ، وَأحيَا الإلَهُ مَن حَيّاكَا
وَرَعَى كُلَّ نَاشِقٍ لَكَ دَلّتْـ ـهُ صَباً طَلّةٌ عَلى رَيّاكَا
ما على البَرْقِ لوْ تَحَمّلَ من نجْـ ـدٍ بأظْعَانِهِ ، فسَقّى حِمَاكَا
يا دِيَارَ الأحبَابِ كَيفَ تَغَيّرْ تِ وَيا عَهْدُ مَا الذي أبْلاكَا
هَل أُولاكَ الذينَ عَهدي بهم فيـ ـكَ عَلى عَهدِهِمْ وَأينَ أُولاكَا
لمْ تَدَعْ فيكَ نائِبَاتُ اللّيَالي أثَراً للهَوَى سِوَى مَغنَاكَا
وَأثَافٍ كَأنّهُنّ رَذَايَا ، وَأسَارَى لا يَنظُرُونَ فِكَاكَا
وَشَجيجٍ طَمّ الزّمَانُ نَوَاصِيـ ـهِ ، كما شَعّثَ الوَليدُ السّوَاكَا[1]

---

[1] الشجيج : الوتد .

الذَّميلَ الذَّميلَ، يا رَكبُ، إنّي   لَضَمينٌ أنْ لا يَخيبَ سُرَاكَا[1]
خَلِّ أوْطَانَ مَعشَرٍ منَعُوا سرْ   حاكِ رَعْيَ الحِمى وَمَلّوا قِرَاكَا
جَيّشُهم مُخمَسُ الرِّكابِ فنادَوا   جَنِّبِ الوِرْدَ لا نَقَعْتَ صَدَاكَا[2]
وَضَحَتْ غُرّةُ الضّياءِ عَلى القَرْ   بِ، فبَلّوا وَأرْسَلوها العِرَاكَا[3]
يا مَليكَ المُلُوكِ وَالى لكَ النّصْ   رَ عَلى العَالَمِ الّذي وَلاّكَا
وَرَأيتَ العَدُوّ حَيثُ تَرَاهُ ،   وَرَآكَ العَدُوّ حَيْثُ يَرَاكَا
كم، إلى كم تَبغي الصّعودَ وَقد جُزْ   تَ المَعالي وقد طلَعتَ السُّكَاكَا[4]
زِدْتَ سَبقاً عَلى أبيكَ ، وكانَتْ   غايَةُ المَجدِ لَوْ لحقتَ أبَاكَا
بانِياً تَرْفَعُ السُّمُوكَ ، إلى أيْـ   نَ المَرَاقي وَقد بلَغتَ السِّمَاكَا[5]
نِلتَ ما نِلْتَهُ انفِرَاداً وَزَاحَمْـ   تَ الدّرَارِي على العلاءِ اشترَاكَا
يا أسيرَ الخُطُوبِ نَادِ غِيَاثَ الـ   خَلقِ إنّ الذي رَجَوْتَ هُنَاكَا
مَنْ إذا غَالَنَا الضّلالُ رَأينَا   هُ قِوَاماً لدِينِنَا أوْ مِسَاكَا[6]
مَلَكَ المُلْكَ ثمّ جَلّ عَنِ المُلْـ   كِ فأمسَى يَستَخدِمُ الأملاكَا
عَجَباً كيفَ يَرْتَضِي صَفحةَ النّعْـ   لِ لرِجْلٍ يَطَا بِهَا الأفْلاكَا

١ الذميل : ضرب من السير السريع .
٢ الجيء : دعاء الإبل إلى الماء . الصدى : العطش .
٣ القرب : البئر ، وأراد هنا الماء . بلوا : ذهبوا . أرسلوها العراك : أي أرسلوها تعترك على الماء .
٤ السكاك : الهواء في أعالي الجو .
٥ السموك ، الواحد سمك : السقف. السماك: نجم، وهما سماكان السماك الرامح والسماك الأعزل.
٦ المساك : ما يمسك به .

رَسَخَتْ في العَلاءِ أجبالُكَ الشّـ م وَدارَتْ على الأعادي رَحاكَا
مِن طَموحٍ خَطَمتَهُ وَجَموحٍ بكَ أعضَضْتَهُ الشّكيمَ فَلاكَا
لمْ تَزَلْ تَطْعَنُ المُوَلّينَ حتّى حَسبتْ من قَنا الظّهورِ قَناكَا
وَرِجالٍ تَحَكّكوا، فَأفاقُوا بجُذَيلٍ قد عَوّدوهُ الحِكاكَا[1]
فَرْعُ عزّ يُعطي عَلى اللّينِ ما شَا ءَ جَناهُ، فإنْ رَأى الضّيمَ شَاكَا
ضَرَبُوا في جوَانبِ الطّوْد فانظُرْ حَمقَ العَاجزِينَ كيفَ أحاكَا[2]
قطَعتَ يا ابنَ وَاصِلٍ مُدّةَ العُمـ رِ ، فَهَاجَ الضُّبَارِم الفتّاكَا
طَاحَ في حَدّ مِخلَبيكَ وَخسّتْ أكلَةُ الذّئبِ أنْ تُقارِبَ فاكَا
هَلْ يَرُوعُ القُرُومَ عندَكَ وَالأُسْـ دَ كُلَيبٌ عوَى لها في حِماكَا
طَلَبَ الأمرَ فَانثَنَى بغُرُورٍ كَانَ فَوْتاً ، فَخالَهُ إدْرَاكَا
صَاحِبَ الأمرَ من قِرى السيفِ والضّيـ فِ وَرَوّى القَنا وَأنتَ كَذاكَا
كَيفَ تَقذَى عَينٌ وَيَألَمُ طَرْفٌ نَظَرَ اليَوْمَ وَجهكَ الضّحّاكَا
أنَا غَرْسٌ غَرَسْتَهُ ، وَأجَلُّ الـ غَرْسِ ما قَرّرَتْ ثَرَاهُ يَدَاكَا
لمْ أجِدْ صَانِعاً سِوَاكَ ، ولا أعْـ رِفُ في النّاسِ مُنعماً ما سوَاكَا
في حِمى طولكَ اهتَزَزْتَ وَأوْرَقْـ تَ قَريبَ الجَنَى بصَوْبِ نَداكَا
كُلَّ يَوْمٍ فَضْلٌ عَليّ جَديدٌ ، وَعَلاءٌ أنَالَهُ مِنْ عُلاكَا

[1] الجذيل : عود تحتك به الجربى . وأراد أن الناس يتحككون برأيه يستشفون به كما تتحكك الإبل الجربى بهذا العود مستشفية .

[2] أحاك ، من قولهم : ضرب بالسيف فأحاك أي لم يقطع

وَعَطَاءٌ تَزَيَّدَ البَحْرَ يَعْلُو كُلَّما قِيلَ قَدْ بَلَغْتَ مُنَاكَا
وَإِذا ما طَوَيْتُ عَنكَ التَّقَاضِي ، عُنِيَ الطَّوْلُ منك بِي فاقتضاكا
لا سَفِيرٌ إِلَيْكَ إِلاّ مَعَالِيـ ـكَ ، وَلا شافعٌ إِلَيكَ سِوَاكَا
أَيُّها الطَّالِبُ الذي قَلْقَلَ العِيـ ـسَ وَأَبلى غُرُوضَها وَالوِرَاكَا
نَادِ بالرَّكْبِ قد بَلَغْتَ إلى البَحْـ ـرِ فَعَرِّسْ بهِ ، كَفَاكَ كَفَاكَا

ليل مريض النجم

وله من قصيدة قالها في الفخر وسنه
خمس عشرة سنة وهي من النسخ القديمة :

لَقَدْ جَشَّمَتْ تَعبيسَةٌ في المَضَاحِكِ تَمُدُّ بأَضْبَاعِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ
فكَفْكِفْ صُدُورَ السَّمهَرِيِّ بعَزْمَةٍ عَلَى كُلِّ مَلآنٍ مِنَ الضِّغْنِ فاتِكِ
إذا مَا أَضَلَّ النَّقعُ طُرْقَ سِنَانِهِ ، تَسَرَّعَ مِنْ حُجبِ الكُلى في مسالِكِ
وَلَيلِ مَرِيضِ النَّجمِ من صِحّة الدُّجى ، خَطّتهُ بِنا أيدي الهِجانِ الأوَارِكِ[1]
برَكْبٍ فَرَوْا بُرْدَ الظّلامِ وَقَلّصُوا حَوَاشيهِ في أيدي القِلاصِ الرَّوَاتِكِ[2]

١ الأوارك ، المزينة بالوراك : ثوب يزين به الرحل .
٢ القلاص : النياق ، الواحدة قلوص . الرواتك : المتقاربة الخطى .

يُصَافِحُهُ نَشْرُ الخُزَامَى ، كَأَنَّمَا يُمَسِّحُ أعطَافَ الرِّمَاحِ السَّوَاهِكِ[1]
فَجاءَتْ بأُسْدٍ في الحَديدِ تَرَقرَقَتْ عَلَيها بماءِ الشّمسِ غُدرُ التَّرَائِكِ
بَدَتْ تَزْلَقُ الأبْصَارُ في لمَعَانِهَا ، عَلى أنّهَا في ثَوْبِ أقْتَمَ حَالِكِ
تُلِفُّ بأعرَافِ الجِيَادِ رِمَاحَهَا ، وَتَنشُرُ مِنْ أطْمَارِ بِيضٍ بَوَاتِكِ
وَتَنكِحُ أوْتَارَ الحَنَايَا نِبالُهَا ، فتَشرُدُ عَنها في نِصَالٍ فَوَارِكِ
ألَفَّ بِلألاءِ السّمَاحِ فُرُوجَهَا ، تُبَيِّضُ أعجَاسَ القِسِيّ العَوَاتِكِ[2]
بيَوْمِ طِرَادٍ قَنّعَ الشّمْسَ نَقْعُهُ ، بفَاضِلِ أذْيَالِ الرُّبَى وَالدّكَادِكِ
خَطَوْا تَحتَهُ حُمرَ الدّرُوعِ كأنّمَا تَرَدّوْا بِمَوّارِ الدّمَاءِ الصَّوَائِكِ
وَلا يَألَمُونَ الطّعنَ حتّى كأنّهُم أسرّوا ضُلوعاً من كُعوبِ النيازِكِ

* *

وَلا يَوْمَ إلاّ أنْ تُرَامي رِماحُهُ قُلُوبَ تَميمٍ في صُدُورِ المَهَالِكِ
وَقَدْ شَرِبَتْ ذَوْدَ العَوَالي أنامِلٌ ، وَلكنّها بَيْنَ الطُّلَى في مَبَارِكِ[3]
تُطِلُّ دِمَاءً مِنْ نُحُورٍ أعزّةٍ كحَقنِ أفاوِيقِ الضّرُوعِ الحَوَاشكِ[4]
ألِكْنِي فَتى فِهرٍ إلى البِيضِ وَالقَنَا ، فإنّي قَذاةٌ في عُيُونِ المَآلِكِ
وَلي أمَلٌ مِنْ دُونِ مَبرَكِ نِضْوِهِ ، يُقَلْقِلُ أثْبَاجَ المَطيّ البَوَارِكِ[5]

١ السواهك : الكريهة الريح .
٢ الاعجاس : مقابض القسي . العواتك : المحمرة من القدم .
٣ في هذا البيت غموض .
٤ الحواشك من الحشك : شدة الدرة في الضرع ، أو سرعة تجمع اللبن فيه .
٥ الأثباج ، الواحد ثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر .

سَقَى اللهُ ظَمآنَ المُنى كُلَّ عارِضٍ مِنَ الدَّمِ مَلآنِ المِلاطَينِ حَاشِكِ[1]
يُزَمْجِرُ مِنْ وَقعِ الصَّفيحِ على الطُّلى، وَيُرْعِدُ مِنْ وَقعِ القَنا بالحَوَارِكِ
بطَعنٍ، إذا بادَتْ عَوَاليهِ قَوَّمَتْ مِنَ القَوْمِ مُنآدَ الضّلُوعِ الشَّوَابِكِ

اليوم صرحت الجلى

قال يرثي قوام الدين وقد ورد الخبر بوفاته وذلك أن العلة تزايدت به فقضى نحبه في آخر نهار الأحد لأربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ ومولده سنة ٣٦٠ فكان عمره على ذلك ٤٣ سنة :

دَعِ الذَّميلَ إلى الغاياتِ وَالرَّتَكَا، ماذا الطِّلابُ، أتَرْجُو بَعدَها دَرَكَا[2]
مَا لي أُكَلّفُهَا التّهجيرَ دائبَةً عَلى الوَجَى وَقِوَامُ الدّينِ قد هَلَكَا
حُلَّ الغُرُوضَ، فلا دارٌ مُلائِمَةٌ، وَلا مَزُورٌ إذا لاقَيتَهُ ضَحِكَا
أمسَى يُقَوِّضُ عَنّا العِزّ خَلْفَهُ، وَثَوَّرَ المَجْدَ عَنّا بَعدَمَا بَرَكَا
اليَوْمَ صَرّحَتِ الجُلّى، وَقد تَرَكَتْ بَينَ الرّجاءِ وَبَينَ اليَأسِ مُعتَرَكَا
تَمَثَّلَ الخَطْبُ مَظْنُوناً لِتَالِفِهِ، فَسَوْفَ نَلقَاهُ مَوْجُوداً وَمُدّرَكَا
رَزِيئَةٌ لمْ تَدَعْ شَمْساً وَلا قَمَراً، وَلا غَمَاماً، وَلا نجماً، وَلا فَلَكَا

١ الملاطان : جانبا السنام . الحاشك : الكثير الماء .
٢ الرتك : ضرب من السير .

لوْ كانَ يُقبَلُ من مَفقودِها عِوَضٌ،   لأنفَقَ المَجْدُ فيها كلَّ ما مَلَكَا

قد أُدْهِشَ المُلكُ قبلَ اليَوْمِ من حذَرٍ،   وَإنّمَا اليَوْمَ أذرَى دَمعَهُ وَبَكَى

أمسَى بها عَاطِلاً مِنْ بَعدِ حِليَتِهِ،   وَهادِماً مِن بِناءِ المَجدِ ما سَمَكَا

مَنْ للجِيَادِ مَرَاعِيهَا شَكَائِمُها،   يحمِلنَ شَوْكَ القَنَا اللّذّاعَ وَالشِّكَكَا

يَطَأنَ بِهِمَا تَحتَ أطرَافِ القَنَا زَلِقاً   مِنَ الدّماءِ وَمِن هامِ العِدا نَبَكَا[1]

مَنْ للظُّبَى يَختلي زَرْعَ الرّقابِ بِهَا،   حُكمَ القَصَاقِصِ لا عَقَلٌ لما سَفَكَا[2]

من للقَنَا [illegible] تْ أيدي فوَارِسِهِ   مِنَ القُلوبِ لها الأطوَاقَ وَالمَسَكَا[3]

مَنْ للأسُودِ نَهَاها عَنْ مَطاعِمِها،   فكَمْ رَدَدْنَا فَرِيساً بَعدَما انتُهِكَا

مَنْ للعَزَائِمِ وَالآرَاءِ يُطْلِعُهَا   مَطالعَ البِيضِ يَجلُو ضَوءُها الحَلَكَا

مَنْ للرّفَاقِ إذا أشفَتْ عَلى عَطَبٍ،   يَغدُو لهَا بُلَغاً بالطَّوْلِ أوْ مُسَكَا[4]

مَنْ للخُطُوبِ يُنَجّي مِن مَخالِبِها،   وَيَنزِعُ الظُّفْرَ مِنها كُلَّما سَدِكَا[5]

مِنْ مَعشَرٍ أخذُوا الفُضْلى فَما ترَكوا   مِنها لِمَنْ يَطْلُبُ العَلْيَاءَ مترَكَا

قَدّوا مِنَ البِيضِ خَلقاً وَالحيا خُلُقاً،   عِيصاً ألَفّ بعِيصِ المَجدِ فاشتَبَكَا[6]

لَوْ أنّهُمْ طُبِعُوا لمْ تَرْضَ أوْجُهُهُم   دَرَارِيَ اللّيلِ لَوْ كانتْ لهَا سِلَكَا

---

١ النبك ، الواحدة نبكة : أكمة محددة الرأس .

٢ يختلي : يجز . القصاقص : الأسد . العقل : الدية .

٣ المسك : الخلاخيل .

٤ البلغ ، الواحدة بلغه : ما يكفي من العيش ولا يفضل . المسك ، الواحدة مسكة : ما يمسك الأبدان من الطعام .

٥ سدك : لزم .

٦ العيص : الأصل .

هُمْ أبدَعُوا المَجدَ لا أن كَانَ أوّلُهم رَأى مِنَ الجِدِّ فِعلاً قَبلَهُ فحَكَى
الرّاكِبِينَ ظُهُوراً قَلّمَا رُكِبَتْ ، وَالمَالِكِينَ عِنَاناً قَلّمَا مُلِكَا
هَيهاتَ لا أُلبِسَ الأعداءُ بَعدَهُمُ ، يَوْمَ الجِرَاءِ ،لِجَاماً يَقرَعُ الحَنَكَا
وَلا أُرِيحَتْ عَلى العَلْيَاءِ حَافِلَةٌ لهَا سَنَامٌ مِنَ الإجمامِ قَد تَمَكَا[1]
يا صَفْقَةً مِنْ بِيَاعٍ كُلُّهَا غَرَرٌ ، مِن ضَامِنٍ للعُلى من بَعدِها الدَّرَكَا
خَلا لهَا كلُّ ذِئبٍ مَعْ أكيلَتِهِ ، مِن وَاقعٍ طارَ أوْ من عاجزٍ فَتَكَا
المَوْتُ أخبَثُ مِنْ أنْ يَرْتَضِي أبَداً لا سُوقَةً بَدَلاً مِنهُ وَلا مَلِكَا
كَالعِلقِ وَالعِلقِ لَوْ خُيّرْتَ بَينَهُما لمْ تَرْضَ بالدّونِ يوْماً أن يكونَ لكَا
رَاقٍ تَفَرّدَ بالإحسَانِ يَفرَعُهَا ، وَزَايدَ النّجمَ في العَلْيَاءِ وَاشتَرَكَا
اللّينُ يُمطِيكَ مِنْ أخلاقِهِ ذُلُلاً ، وَالضّيمُ يُخرِجُ مِنهُ الآبيَ المَعِكَا[2]
غَمْرُ العَطِيّةِ لا يُبقي عَلى نَشَبٍ ، وَإنْ رَأى قُلَّبِيُّ الرّأيِ مُحتَنِكَا
لا تَتْبَعُوا في المَساعي غيرَ أخمَصِهِ ، فأخصَرُ الطُّرْقِ في العَلياءِ ما سَلَكَا
ما مِثْلُ قَبرِكَ يُستَسقَى الغَمَامُ لَهُ ، وَكَيفَ يَسقي القُطارُ النّازِلَ الفَلَكَا
لا يُبْعِدِ اللهُ أقْوَاماً رُزِئْتُهُمُ ، لوْ ثلّموا من جُنوبِ الطّوْدِ لانتَهَكَا
فقَدْتُهُمُ مثلَ فَقدِ العَينِ ناظِرَهَا ، يُبكَى عَلَيها بها ،يا طولَ ذاكَ بُكَا
إذا رَجَا القَلبُ أنْ يُنسِيهِ غُصّتَهُ ما يُحدِثُ الدّهرُ أدمَى قَرْحَهُ وَنَكَا
إنْ يَأخُذِ المَوْتُ مِنّا مَن نَضَنُّ بِهِ ، فَمَا نُبَالي بِمَنْ يَبقَى وَمَن تَرَكَا

١ تمك : ارتفع .
٢ المعك : الأحمق .

إنّي أرَى القَلْبَ يَنزُو لادّكَارِهِمُ ، نَزْوَ القَطاطَةِ مَدّوا فَوْقَها الشَّرَكَا[1]

لا تُبصِرُ الدّهرَ بَعدَ اليَوْمِ مُبتَسِماً ؛ إنّ اللّيَالِيَ أنسَتْ بَعدَهُ الضّحِكَا

ما امرك وما احلاك

قال قدس الله سره في المحرم سنة ٣٩٥ وهي من لواحق الحجازيات أيضاً :

يا ظَبيَةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ ، لِيَهنَكِ اليَوْمَ أنّ القَلبَ مَرْعَاكِ

المَاءُ عِندَكِ مَبْذُولٌ لشَارِبِهِ ، ولَيسَ يُرْوِيكِ إلاّ مَدمَعي البَاكي

هَبّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ رَائحَةٌ بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاها بِرَيّاكِ

ثمّ انثَنَينَا ، إذا مَا هزّنَا طَرَبٌ عَلى الرّحَالِ ، تَعَلّلْنَا بذِكْرَاكِ

سَهْمٌ أصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَن بالعِرَاقِ ، لَقَد أبعَدْتِ مَرْمَاكِ

وَعدٌ لعَينَيكِ عِندي ما وَفَيتِ بِهِ ، يا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَينيَّ عَينَاكِ

حكَتْ لِحَاظُكِ ما في الرّيمِ من مُلَحٍ يَوْمَ اللّقَاءِ فكَانَ الفَضْلُ للحَاكي

كَأنّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبرُنا بِما طَوَى عَنكِ من أسمَاءِ قَتلاكِ

أنتِ النّعيمُ لقَلبي وَالعَذابُ لَهُ ، فَمَا أمَرّكِ في قَلْبي وَأحْلاكِ

عِندي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَستُ أذكرُها ، لَوْلا الرّقيبُ لَقَدْ بَلّغتُها فَاكِ

[1] القطاطة : لعله أراد القطاة ، طائر في حجم الحمام .

سَقَى مِنًى وَلَيَالِي الخَيفِ ما شَرِبتْ ... مِنَ الغَمَامِ وَحَيّاهَا وَحَيّاكِ
إذ يَلتقي كُلُّ ذي دَينٍ وَماطِلَهُ ، ... مِنّا ،وَيَجتَمِعُ المَشْكُوُّ وَالشّاكي
لمّا غَدَا السّرْبُ يَعطُو بَينَ أرْحُلِنَا ، ... مَا كانَ فيهِ غَرِيمُ القَلبِ إلاّكِ
هامَتْ بكِ العَينُ لم تَتبَعْ سِوَاكِ هوًى ، ... مَنْ عَلّمَ البَينَ أنّ القَلبَ يَهوَاكِ
حتّى دَنَا السّرْبُ ، ما أحيَيتِ من كمَدٍ ... قَتلى هَوَاكِ . وَلا فادَيتِ أسرَاكِ
يا حَبّذا نَفحَةٌ مَرّتْ بفيكِ لَنَا ، ... وَنُطْفَةٌ غُمِسَتْ فيها ثَنَايَاكِ
وَحَبّذا وَقفَةٌ ، وَالرّكْبُ مُغتَفِلٌ ... عَلى ثرًى وَخَدَتْ فيهِ مَطَايَاكِ
لوْكانَتِ اللِّمّةُ السّوْداءُ من عُدَدي ... يَوْمَ الغَمِيمِ ، لمَا أفلَتِّ أشرَاكي

يا قلب

قال قدس الله سره

يا قَلْبُ لَيتَكَ حينَ لمْ تَدَعِ الهَوَى ... عَلّقْتَ مَنْ يَهوَاكَ مثلَ هَوَاكَا
لَوْ كَانَ حَرُّ الوَجْدِ يُعقِبُ بَعدَهُ ... بَرْدَ الوِصَالِ غَفَرْتَ ذاكَ لذاكَا
لا بَلْ شُجِيتَ بِمَنْ يَبيتُ مُسلَّماً ... خالي الضّلوعِ ، وَلا يحُسّ شَجاكَا
إنْ يُصْبحوا صَاحِينَ من خمرِ الهوَى ، ... فَلَقَدْ سَقَوْكَ مِنَ الغَرَامِ دِرَاكَا
يا لَيتَ شُغلَكَ بالأسَى أعداهُمُ ، ... أوْ لا ، فَلَيتَ فَرَاغَهُمْ أعدَاكَا
أهَوًى وَذُلاًّ في الهَوَى وَطَمَاعَةً ، ... أبَداً ، تَعَالَى اللهُ مَا أشْقَاكَا

يا قَلبِ كَيفَ عَلِقتَ في أشراكِهِم ، وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ تُفْلِتُ الأشْراكَا
أَكْثَبْتَ حتّى أقصَدَتكَ سِهامُهُم ، قَدْ كُنتُ عَنْ أمثالِهَا أنْهاكَا[1]
إنْ ذُبتَ من كَمَدٍ ، فقد جَرّ الهَوَى هَذا السَّقَامَ عَلَيّ ، من جَرّاكَا
لا تَشْكُوَنّ إليّ وَجْداً بَعدَهَا ، هَذا الذي جَرّتْ عَلَيّ يَدَاكَا
لأُعَاقِبَنّكَ بالغَليلِ ، فإنّني لَوْلاكَ لمْ أذُقِ الهَوَى لَوْلاكَا
يا عَاذِلَ المُشْتَاقِ دَعْهُ ، فإنّهُ يَطوِي عَلى الزّفَرَاتِ غَيرَ حَشَاكَا
لَوْ كَانَ قَلبُكَ قَلبَهُ مَا لُمْتَهُ ، حَاشَاكَ مِمّا عِنْدَهُ حَاشَاكَا

يا مقلقي

قال أيضاً في معنى سئله

يا مُقْلِقي ! قَلَقي عَلَيْـ ـكَ أظُنُّهُ ذَنْبي إلَيكَا
أنتَ الشّقيقُ ، فلَوْ جنَيْـ ـتَ لمَا أخَذْتُ عَلى يَدَيكَا
أمسَيتَ ثالِثَ ناظِرَ يَّ ، فكَيفَ أقذي ناظِرَيكَا
وَكَفَاكَ أنّي لَستُ أعْـ ـقِدُ خِنصِرِي إلاّ عَلَيكَا

[1] أكثبت : دنوت .

مهادنة الدهر

قال أيضاً رضي الله تعالى عنه :

أمَا تُحرَّكُ للأقدارِ نابِضَةٌ ؛ أمَا يُغَيِّرُ سُلْطانٌ ولا مَلَكُ ؟
قَدْ هادَنَ الدهْرُ حتى لا قِراعَ لهُ ، وأطرقَ الخطْبُ حتى ما بهِ حرَكُ
كُلٌّ يفُوتُ الرزايا أنْ يقَعْنَ بهِ ، أمَا لأيدي المَنَايا فيهِمُ درَكُ ؟
قَدْ قصّرَ الدهرُ عجزاً عَنْ لحاقِهِمُ ، فأينَ أينَ ذَميلُ الدهرِ والرَّتَكُ
أخلّتِ السبعَةُ العُلْيا طرَايقَها ، أمْ أخطأتْ نهجَها أم سُمّرَ الفلَكُ ؟

أفي كل يوم

قال أيضاً رحمه الله تعالى :

أفي كُلِّ يَوْمٍ أنتَ رامٍ بِهِمّةٍ ، إلى حيثُ لا ترْمي النجومُ الشوابِكُ
وَمَا كُلُّ ما منّيتَ نفسَكَ خالياً ، تَنَالُ ، وَلا تُفضي إليهِ المَسالِكُ
يقُولُونَ رُمْ تلقَ الذي أنتَ طالِبٌ ، فأينَ العوَاقي دُونَها والمَهالِكُ
وكَمْ سَعيُ ساعٍ جرّ حتْفاً لنفسِهِ ، ولوْلا الخُطى ما شاكَ ذا الرِّجلِ شائِكُ
ألا رُبّما حيّاكَ رِزْقُكَ طالعاً ، وَرَحلُكَ محطوطٌ ونِضْوُكَ بارِكُ

رب جان عقابه الضحك

وَرُبَّ غَاوٍ رَمَيتُ مَنطِقَهُ بِسَكْتَةٍ ، وَالحُلُومُ تَعتَرِكُ
وَللفَتَى مِنْ وَقَارِهِ جُنَنٌ ، إنْ كَثُرَتْ مِنْ عَدُوٍّ الشَّكَكُ
ثَارَ بِهِ الجَهلُ ، فابتَسَمتُ لَهُ ، وَرُبَّ جَانٍ عِقَابُهُ الضّحِكُ

نذار لكم

وقال مخاطباً لسلطان الدولة يعرض بذم أعدائه :

أيَا رَاكِباً تَرْمي بهِ اللّيلَ جَسرَةٌ ، لهَا نِمْرِقٌ مِنْ نَيّهَا وَوِرَاكُ
قَرَاهَا رَبيعَ الوَادِيَيْنِ ، وَأتمَكَتْ قَرَاهَا عِهَادٌ باللّوَى وَرِكَاكُ[1]
لهَا هَادِيَا عَينٍ وَأُذْنٍ سَمِيعَةٍ ، إذا غَارَ أوْ غَرّ العُيُونَ سِمَاكُ
تَحَمّلْ ألُوكاً رُبّمَا حُمّلَتْ بهِ رَذَايَا المَطَايَا ، مَشيُهُنّ سِوَاكُ[2]
وَأبْلِغْ عِمَادَ الدّينِ إمّا بَلَغْتَهُ ، بأنّ سِلاحَ اللّوْمِ عِندِيَ شَاكُ

١ أتمكت : سمنت . العهاد : المطر . الركاك : المطر الضعيف .

٢ السواك : السير الضعيف .

أفي الرّأيِ أنْ تَستَرْعيَ الذّئبَ ثَلّةً ، ... وَغَوْثُكَ بُطْءٌ وَالخُطوبُ وِشَاكُ ؟
أرَدْتَ وِقاءَ الرِّجلِ وَالنّعلُ عقرَبٌ ... مُرَاصِدَةٌ ، وَالأفعوَانُ شِرَاكُ
وَكَانَ أبُوكَ القَرْمُ هَادِمَ عَرْشِهِ ، ... فَلِمْ أنتَ أعمَادٌ لَهُ وَسِمَاكُ
يَكُونُ سِمَاماً للمُعَادِينَ نَاقِعاً ، ... وَأنتَ لأرْمَاقِ العُدَاةِ مِسَاكُ
ألا فاحذَرُوها ، أوّلُ السّيلِ دَفعَةٌ ، ... وَرُبّ ضَئِيلٍ عَادَ وَهوَ ضِنَاكُ
نَذارِ لَكُمْ مِنْ وَثْبَةٍ ضَيغَمِيّةٍ ، ... لهَا بَعدَ غَرّارِ السّكُونِ حَرَاكُ
وَلا تَزْرَعُوا شَوْكَ القَتَادِ فإنّكُمْ ... جَدِيرُونَ أنْ تَدمَوْا بِهِ وَتُشاكُوا
طُبِعتُمْ نُصُولاً للعَدُوّ قَوَاطِعاً ، ... وَلَيسَ عَلَيكُمْ للضّرَابِ شِكَاكُ
وكَان قَنيصاً أفلَتَتْهُ حِبَالَةٌ ، ... وَأينَ حِبَالٌ بَعْدَهَا وَشِرَاكُ
يكادُ منَ الأضْغانِ يُعدِمُ بَعضَكُمْ ، ... عَلى أنّ في فيهِ الشّكيمِ يُلاكُ
فَكَيْفَ إذا ألقَى العِذارَينِ خَالِعاً ، ... وَزَالَ لِجَامٌ قَادِعٌ وَحِنَاكُ[1]
هُنَاكَ تَرَوْنَ الرّأيَ قد فالَ وَالتَوَتْ ... حِبَالٌ بأيْدِي الجَاذِبِينَ رِكَاكُ
دِمَاءٌ نِيَامٌ في الأبَاجِلِ أُوقِظَتْ ، ... وَظَنّي يَوْماً أنْ يَطُولَ سِفَاكُ
ألَيْسَ أبُوهُ مَنْ لَهُ في مِجَنّكُمْ ... ضِرَابٌ عَلى مَرّ الزّمَانِ دِرَاكُ
وَكَانَ سِنَاناً في قَناةِ ابنِ وَاصِلٍ ... إلَيكُمْ ، وَللأجْنَادِ ثَمّ عِرَاكُ
فَأمْسَتْ لَهُ بَينَ الغِمَادِ وَأرْبَقٍ ... رُهُونُ مَنَايَا مَا لَهُنّ فِكَاكُ[2]
تَلاقَتْ عَلَيْهِ العَاسِلاتُ كَأنّهَا ... أنَامِلُ أيْدٍ ، بَيْنَهُنّ شِبَاكُ

١ القادع : الكاف . الحناك : الخيط الذي يحنك به ، من حنك الفرس جعل فيه الرسن .
٢ الغماد وأربق : موضعان .

وَأمّلَ أنْ يرْ ء المَلكِ سرْبُه، وَبالجِزْعِ حَمضٌ عازِبٌ وَأرَاكُ
فَمَا أتبَعَتْهُ نَشطَةٌ مِنْ َ وَلا مِنْ أرَاكِ الحَلْهتَينِ سِوَاكُ
يُطاوِلُكُم وَهوَ الخَضيضُ إلى العُلى، فكَيفَ إذا مَا عَادَ وَهوَ سِكَاكُ
أحِيلُوا عَلَيْهَا بالمَحافِرِ انّهَا مَعَاثِرُ في طُرُقِ العُلا وَنِبَاكُ
وَما الحَزْمُ للأقوَامِ أنْ يطأُوا الرُّبَى، وَبَينَ نِعَالِ الوَاطِئِينَ شِيَاكُ
وَلَوْ عَضُدُ المُلكِ اجتَلاها مَخيلَةً، لَقَطّعَها بالعَضْبِ، وَهْيَ تُحَاكُ
فَلَيتَ لَنَا ذاكَ الجُذَيلَ يَطُبّنَا، إذا لَجّ بالدّاءِ العُضَالِ حِكَاكُ
وَإنّ مِلاكَ الرّأيِ نَزْعُ حُماتِهَا، قُبَيلَ أُمُورٍ، مَا لهُنّ مِلاكُ
فإنْ تُطفِئُوها اليَوْمَ، فهْيَ شَرَارَةٌ، وَغدواً أُوَارٌ، وَالأُوَارُ هَلاكُ

الزمان القاسط

لا يرُعْكَ الحَيُّ إنْ قِيلَ هَلَكْ، أخَذَ المِقْدارُ مِنّا وَتَرَكْ
أنْظُرِي تَرْضَيْ بقَايَا قَوْمِنَا، إنْ جَلا اليَوْمُ غُبارَ المُعتَرَكْ
أخَذُوا الشّطرَ الذي أبقَى الرّدَى، ثمّ قالوا: عَنْ قَليلٍ هُوَ لكْ
أبتَغي عَدْلَ زَمَانٍ قَاسِطٍ، إنّمَا النّاسُ عَلى دِينِ المَلكْ
بَاخِلٌ إنْ ضَافَهُ الحَقُّ، فَلا أعتَقَ المَالَ، وَلا العِرْضَ مَلَكْ

حرف اللام

نعمى امير المؤمنين

يمدح الطائع لله أمير المؤمنين ويشكره على
تكرمة خصه بها وثياب وورق سنة ٣٧٦ :

أنَا للرّكَائبِ إنْ عرَضْتُ . بمنزِلٍ . وَإذا القَنُوعُ أطاعَني لمْ أرْحَلِ
لمْ أطْلُبِ المُثْرِي البَخيلَ لحَاجَةٍ . أبَداً ، وَأقنَعُ بالجَوَادِ المُرْمِلِ[1]
وَأرَى المُعَرِّضَ باللّئِيمِ ، كَأنّهُ أعشَى اللّحَاظِ يَحُزّ غَيرَ المَفصِلِ
وَلَرُبّ مَوْلًى لا يَغُضّ جِمَاحَهُ طُولُ العِتَابِ . وَلا عَنَاءُ العُذّلِ
يَطغَى عَلَيكَ ، وَأنتَ تَلأمُ شَعبَهُ ، كالسّيفِ يأخُذُ مِنْ بَنَانِ الصّيقَلِ
أبكي عَلى عُمرٍ يُجَاذِبُهُ الرّدَى . جَذبَ الرِّشاءِ عَنِ القَليبِ الأطوَلِ
أخْلِقْ بحَبْلٍ مُرْسَلٍ في غَمرَةٍ ، أنْ سَوْفَ يَرْفَعُهُ بَنَانُ المُرْسِلِ
مَا كُنتُ أطرَبُ للّقَاءِ ، وَلا أرَى قَلَقاً لِبَيْنِ الظّاعِنِ المُتَحَمِّلِ
ألْوِي عِنَاني عَنْ مُنَازَلَةِ الهَوَى ، وَأصُدّ عَنْ ذِكْرِ الغَزَالِ المُغزِلِ
وَأزُورُ أطْرَافَ الثّغُورِ ، وَدُونَهَا طَعْنٌ يُبَرّحُ بالوَشيجِ الذُّبّـا

..

[1] المرمل : المعدم ، الفقير .

أَأَنالُ مِنْ عَذْبِ الوِصَالِ وَدُونَهُ ... مُرُّ الإِبَاءِ وَنَخْوَةُ المُتَدَلِّلِ

مَا كُنْتُ أَجرَعُ نُطْفَةً مَعْسُولَةً ... طَوْعَ المُنَى ، وَإِنَاؤُهَا مِن حَنظَلِ

أَعَقِيلَةَ الحَيَّيْنِ دُونَكِ ، فَارْفَعِي ... ما شِئْتِ مِنْ عَذَبِ القِنَاعِ المُسْبَلِ

هَيهَاتَ تَبلُغُكِ اللِّحَاظُ ، وَبَيْنَنَا ... هَضْبٌ كَخُرْطُومِ الغَمَامِ المُقْبِلِ

أَوْطَانُ غَيرِكِ لِلضِّيَافَةِ طَلْقَةٌ ، ... وَسِوَاكِ فِي اللأْوَاءِ رَحْبُ المَنزِلِ[1]

وَإِذَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ أَضَافَ لِي ... أَمَلِي نَزَلْتُ عَلَى الجَوَادِ المُفضِلِ

بِالطَّائِعِ المَيمُونِ أَنْجَحَ مَطلَبِي، ... وَعَلَوْتُ حَتَّى مَا يُطَاوَلُ مَعقِلِي

قَرْمٌ ، إِذَا عَرَتِ الخُطُوبُ مُرَاحَهُ ... أَدْمَى غَوَارِبَهَا بِنَابٍ أَعْصَلِ

مُتَوَغِّلٌ خَلْفَ العَدُوِّ ، وَعِلمُهُ ... أَنَّ الجَبَانَ، إِذَا سَرَى ، لَمْ يُوغِلِ

وَإِذَا تَنَافَلَتِ الرِّجَالُ غَنِيمَةً ، ... قَسَمَ التُّرَاثَ لَهَا بِحَدِّ المُنْصُلِ

ثَبْتٌ لِهَجْهَجَةِ الخُطُوبِ ، كَأَنَّمَا ... جَاءَتْ تُقَعْقِعُ بِالشِّنَانِ لِيَذْبُلِ[2]

رَأْيُ الرَّشِيدِ ، وَهَيْبَةُ المَنصُورِ فِي ... حُسْنِ الأَمِينِ وَنِعْمَةِ المُتَوَكِّلِ

آبَاؤُكَ الغُرُّ الذِينَ ، إِذَا انتَمَوْا ، ... ذَهَبُوا بِكُلِّ تَطَاوُلٍ وَتَطَوُّلِ

دَرَجُوا كَمَا دَرَجَ القُرُونُ وَعِلمُهُم ... أَنْ سَوْفَ يُخْبِرُ آخِرٌ عَنْ أَوَّلِ

نَسَبٌ إِلَيْكَ تَجَاذَبَتْ أَشْيَاخُهُ ... طِوَلاً مِنَ العَبَّاسِ غَيْرَ مُوَصَّلِ

هَذِي الخِلافَةُ فِي يَدَيْكَ زِمَامُهَا، ... وَسِوَاكَ يَخْبِطُ قَعْرَ لَيْلٍ أَلْيَلِ

أَحرَزْتَهَا دُونَ الأَنَامِ ، وَإِنَّمَا ... خَلَعَ العَجَاجَةَ سَابِقٌ لَمْ يَذْهَلِ

١ اللأواء : الضيق والشدة .

٢ الهجهجة : الهدير. الشنان ، الواحد شن : القربة البالية . يذبل : جبل .

بجَوَادِرٍ يُعنِقْنَ مِنْ تَحتِ القَنا   عَنَقاً يُعَرِّدُ بالذّئَابِ العُسَّلِ[1]
غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ ، إذا احتَضَرَ الوَغَى ،   نَقَبْنَ عَنْ يَوْمٍ أغَرّ مُحَجَّلِ
دُفِعَتْ فَأيُّ الحُزْمِ عَنها لم يَضِقْ ،   عَرَقاً ، وَأيُّ اللُّجْمِ لمْ يَتَصَلْصَلِ
سَلَخَ الظّلامُ إهَابَهُ وَتَهَلّلَتْ   جَنَبَاتُ ذاكَ العَارِضِ المُتَهَلّلِ
طَلَعَتْ بِوَجْهِكَ غُرّةٌ نَبَوِيّةٌ .   كالشّمسِ تَمْلأُ نَاظِرَ المُتَأمِّلِ
وَإذا نَبَتْ بِكَ في مُسالمَةِ العِدَى   أرْضٌ . وَهَبْتَ تُرَابَهَا للقَسْطَلِ
وَفَوَارِسٍ مَا استَعصَمُوا بثَنِيّةٍ ،   إلاّ طَلَعتَ عَلَيهِمُ في جَحفَلِ
شَرَدَتْ بِنا ذُلُلُ الرّكَابِ ، كأنّما   يَذرَعنَ بُرْدَةَ كُلّ قَاعٍ مُمحِلِ
وَالآلُ يَنهَضُ بالشُّخُوصِ أمَامَنا ،   وَيَمُدُّ أعْنَاقَ القِنَانِ المُثَّلِ
مِنْ كُلّ رَابِيَةٍ تَرَفّعَ جِيدُهَا ،   فكَأنّهُ هَادي حِصَانٍ مُقْبِلِ[2]
وَمُعَرَّسٍ هَزِجِ الوُحُوشِ ، كأنّما   طَرَقَ المَسَامعَ عَن غَماغمِ مِرْجَلِ[3]
عرَكَتْ جوَانبَنا الفَلاةُ ، وَأسرَعَتْ   في العَظْمِ وَاقتاتَتْ شُحومَ البُزَّلِ
وَإلَيكَ طَوّحَ بالمَطيّ مُغَرَّرٌ   عَصَفَتْ بهِ أيدِي المَطيّ المُضْلِلِ
فَأتَتْكَ تَلتَهِمُ الهَوَاجِرَ طُلَّحاً ،   وَالظّلُّ بَينَ خِفَافِها وَالجَرْوَلِ[4]

١ الجوادر : وصف حسن للخيل . يعنقن: يسرن سيراً فسيحاً مسبطراً ممتداً. يعرد ، من عرد السهم في الرمية : نفذ منها . العسل : المضطربة في عدوها .
٢ ترفع : علا . جيدها : عنقها . الهادي : العنق .
٣ المعرس : مكان التعريس ، النزول ليلا . الهزج : المصوت . الغماغم ، الواحدة غمغمة : الصوت .
٤ الطلح : المهازيل . الجرول : الأرض ذات الحجارة .

وَخَفَائِفاً فُجِعَتْ بِكُلّ حَقِيبَةٍ ... مَلأى وَكُلٌّ مَزَادِ مَاءٍ أَثْجَلِ[1]
وَعَلى الرِّحَالِ عَصَائِبٌ مُلْتَاثَةٌ ، ... تَلْوِي بِشَعْرٍ ثَمَّ غَيرِ مُرَجَّلِ
عَلِقَتْ حِبَالَكَ ثُمّ أقسَمَتِ المُنى ... أنْ لا لَوِينَ بغَيرِ حَبلِكَ أَنْمُلي
أمَلٌ جِئْنَا بِفِنَاءِ دارِكَ قاطِناً ، ... وَكَأنّهُ بِفِنَاءِ وَادٍ مُبقِلِ
وَمُجَلِّلٌ يُنْدي يَدَيْكَ ، كأنّما ... غَطّاهُ عُرْفُ العَارِضِ المُتَهَدِّلِ[2]
أرْجُوكَ للأمْرِ الخَطِيرِ ، وَإنّمَا ... يُرْجَى المُعَظَّمُ للعَظِيمِ المُعضِلِ
وَأرُومُ مِنْ عُلْوَاءِ عِزّكَ غَايَةً ... قَعسَاءَ،تَستَلِبُ النّوَاظِرَ من عَلِ
كَمْ رَامَها منكَ الجَبَانُ فرَاوَغَتْ ... شَقّاءَ يَلعَبُ شِدْقُهَا بالمِسْحَلِ[3]
تُدْمي قُلُوبَ الحَاسدينَ ، وَتَنْثَني ... فَتَرُدُّ عَادِيَةَ الخُطُوبِ النُّزَّلِ
ضَاقَ الزّمَانُ ، فضَاقَ فيه تَقَلُّبي ، ... كالمَاءِ يَجمَعُ نَفسَهُ في الجَدْوَلِ
هذا الحُسَينُ إلى عَلائِكَ يَنْتَمي ... شَرَفاً ، وَيَنسِبُ مَجدَهُ في المَحفِلِ
أسْلَفْتَهُ وَعْداً ، عَلَيْكَ تَمَامُهُ ، ... وَسَيُدْرِكُ المَطْلُوبَ إنْ لمْ يَعجَلِ
فَاسمَحْ بفِعْلِكَ بَعدَ قَوْلِكَ إنّهُ ... لا يُحمَدُ الوَسميُّ إلاّ بالوَلي[4]
فَلَعَلّنَا نَمتَاحُ إنْ لمْ نَغتَرِفْ ... ماءَ المُنَى ، وَنُعَلُّ إنْ لمْ نُنْهَلِ
كَمْ وَقْفَةٍ نَاجَيْتَهُ في ظِلّهَا ، ... وَالقَوْلُ يَغْدُرُ بالخَطيبِ المِقْوَلِ

1 الحقيبة : الرفادة في مؤخر الرحل . أثجل : واسع .
2 المجلل : لعله أراد به المطر يعم الأرض . العارض : السحاب . وأراد بالعرف : الموج .
3 الشقاء : الفرس البعيدة ما بين الفروج . المسحل : اللجام .
4 الوسمي : أول مطر الربيع . الولي : المطر الذي يليه .

ثَبَّتَتْ فيهَا وِطَاءَهُ ، وَوَرَاءَهُ جزَعٌ يُقَلْقِلُ من قُلُوبِ الجَنَدَلِ
إيهٍ ، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ جَلَّلْتَهُ ، تَضْفُو كَهُدّابِ الرِّداءِ المُخمَلِ
فَسَمَا ، وَحَلّقَ كالعُقابِ إلى العلى ، وَعدُوُّهُ يَهْوِي هُوِيّ الأَجْدَلِ[1]
وَبِوُدّهِ لَوْ كَانَ قَرْناً سَالِفاً ، أوْ نُطْفَةً ذَهَبَتْ بداءٍ مُغيلِ
وَمُشَمِّرِ العِرْنِينِ خَرّ جَبِينُهُ لكَ ، غيرَ مَقبُولٍ وَلا مُستَقبَلِ
لمّا رَآكَ تَقَاصَرَتْ خُطُوَاتُهُ جزَعاً ، وَجَعجَعَ بالرِّوَاقِ الأوّلِ
لله أنْتَ لَقَدْ أثَرْتَ صَنيعَةً بيَدَيْ مُعَمٍّ في الصّنائعِ مُخوَلِ
شَرّفْتَنَا دُونَ الأنَامِ ، وَإنّمَا بِرُّ القَرِيبِ عَلاقَةُ المُتَفَضِّلِ
وَجَذَبْتَنَا جَذْبَ الجَرِيرِ إلى العُلى ، وَإذا ارْتَقَى مُتَمَطِّرٌ لمْ يَنْزِلِ[2]
فلأنْتَ أوْلى بالإمَامَةِ وَالهُدَى ، وَأذَبُّ عَنْ وَلَدِ النّبيّ المُرْسَلِ
أغْبَارُ دَرٍّ مِنْ عَطَائِكَ تُفتَدَى مِنْ دَرِّ غَيرِكَ بالضّرُوعِ الحُفّلِ[3]
لَوْلا غَمَامُ نَدَاكَ أصْبَحَ رَاكِبٌ يَشكُو الأُوَامَ ، وَقَدْ أنَاخَ بمَنهَلِ
وَأحَقُّ بالإطْرَاءِ بَاعِثُ مِنّةٍ ، وَصَلَتْ مِنَ الأرْحَامِ ما لم يُوصَلِ
مَوْلايَ مَن لي أن أرَاكَ ، وَكَيفَ لي بحُضُورِ دارِكَ ، وَالعَدُوُّ بمَعزَلِ
انظُرْ إليّ ببَعضِ طَرْفِكَ نَظرَةً ، يَسمُو لهَا نَظَري وَيُعرِبُ مِقوَلي
فَالآنَ لا أرْضَى ، وَأنْتَ مُمَوِّلي برِضَى القَنُوعِ وَعِفّةِ المُتَجَمِّلِ

١ الأجدل : الصقر .
٢ الجرير : الحبل . المتمطر : الذاهب .
٣ الاغبار : البقايا . الحفل : الممتلئة .

نُعْمَى أميرِ المُؤْمِنِينَ حَرِيّـةٌ أنْ لا نَنَامَ عَنِ الرّجَاءِ المُهْمَلِ
بِفَمٍ ، إذا رَفَعَ الكَلامُ سِجَافَهُ ، أوْحَى بِنَائِلِهِ ، وَإنْ لَمْ يُسْأَلِ
وَيَدٍ إذا استَمطَرْتَ عَابِرَ مُزْنِهَا ، دَفَقَتْ عَلَيكَ من الزُّلالِ السَّلسَلِ
تَمْحُو أساطِيرَ الخُطُوبِ كَمَا مَحَا مَرُّ الشَّمَالِ مِنَ الغَمَامِ المُثْقَلِ
لا يَحتَمي بالرّمحِ بَاعُ مُؤيَّـدٍ ، لَوْ شَاءَ طَاعَنَ بالسِّمَاكِ الأعزَلِ
هذا الخَليفَةُ لا يَغُضّ عَنِ الهُدَى ، إنْ نَامَ لَيْلُ القَائِمِ المُتَبَتِّلِ
لمّا أهَبْتُ بِنَصْرِهِ لِمُلِمّـةٍ ، دَفَعَ الزّمانَ وَقد أناخَ بكَلْكَلِ
وَاليَتُ فيه مَدائِحي ، فكَأنّما أفرَغْتُ نَبْلي كُلّهَا في مَقْتَلِ
مِنْ كُلّ قَافِيَةٍ ، إذا أطْلَقْتُها عَطَفَتْ عِنانَ الرّاكبِ المُستَعجِلِ
وَظَفِرْتُ مِنْ نَفَحَاتِهِ وَجِوَارِهِ بِأجَلّ نَعْمَاءٍ وَأحْرَزِ مَوْئِلِ

احذر عدوك

يمدحه في شهر رمضان ويهنئه بمهرجان سنة ٣٧٧

أمُبَلّغي مَا أطْلُبُ الغَزَلُ ؟ أمْ لا فَتُنجِدُني القَنَا الذُّبُلُ
وَالسّيْفُ أوْلى أنْ أعُوذَ بِهِ مِمّا تَجُرّ الأعيُنُ النُّجُلُ
وَأنَا الذي نَفَرَ الزّمَانُ بِهِ ، وَاستَأنَسَتْ بِرِكَابِهِ السُّبُلُ

أسرِي علَى غرَرٍ ... دُونَ الرِّجالِ ، الأينُقُ الذُّلُلُ[1]
لا المَالُ يَجْذِبُنِي إلَيهِ ، وَلا ... يَعتَاقُهَا الحَوْذانُ وَالنَّفَلُ[2]
عَجِلٌ بيَ الشّدُّ الحَثيثُ إلى الـ ... غاياتِ خرّاجٌ بيَ المَهَلُ
في غِلْمَةٍ تَرَكُوا قُعُودَهُمُ ، ... نَزَعُوا وَرَاءَ اللّيلِ ، وَانحَفَلُوا[3]
وَإذا المَزَادُ حَمَى صَلاصِلَهُ ، ... قَنِعُوا بِمَا تَقضِي لَنَا المُقَلُ[4]
وَمُقَوَّمِ الأُذُنَينِ ... طَوْداً أنَافَ بِصَدْرِهِ جَبَلُ
مُتَطَاوِلٌ يُوفِي معرده ... عُنُقاً تَضَاءَلَ خَلفَها الكَفَلُ[5]
أجهَدْتُهُ ، وَالكَرُّ يَعصِرُهُ ، ... وَالمَاءُ مِنْ عِطْفَيْهِ يَنْهَمِلُ
وَنَجيبَةٍ نَهَضَ الزّمَانُ بِهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا قَعَدَتْ بها العُقُلُ
صَدَعَتْ عَرَانِينَ الرُّبَى وَنَجَتْ ... هَوَجاً ، وَيُنجِدُ وَخدَها الرَّمَلُ[6]
طَلَبَتْ أميرَ المُؤمِنِينَ ، وَلا ... أيْنٌ أطَافَ بِهَا وَلا مَهَلُ
حَيثُ العُلَى لا يُستَرَابُ بِهَا ، ... وَالجُودُ لا يَلوِي بِهِ البَخَلُ
وَالطّائِعُ المَرْجُوُّ إنْ حُمِدَتْ ... أيدي الرِّجَالِ وَقَلّ مَن يَسَلُ

١ الغرر : التعريض للهلكة .
٢ الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر في أصله أصفر . النفل : نبت من أحرار البقول طيب الرائحة تسمن عليه الإبل .
٣ الغلمة : جمع غلام . انحفلوا : اجتمعوا .
٤ المزاد ، الواحدة مزادة : جلود يضم بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء . صلاصله : بقية الماء فيه . المقل ، الواحدة مقلة : الحصاة يقتسم عليها الماء عند الحاجة .
٥ قوله : معرده ، لعله من عرد النجم : ارتفع ، فيكون المعنى عنقه المعرد ، المرتفع .
٦ الهوج : السرعة . الوخد والرمل : ضربان من السير السريع .

مَلِكٌ إذا حُصِرَ السِّمَاطُ بهِ ، كَثُرَ العِثَارُ ، وَطَبّقَ الزّلَلُ[1]
وَإذا السّرِيرُ سَمَا بقَعْدَتِهِ ، غَرِيَتْ بظَاهِرِ كَفّهِ القُبَلُ[2]
جَلّتِ الأئِمّةُ عَنْ مَنَاقِبِهِ ، وَاستَوْدَعَتْهُ نُورَها الرُّسُلُ
وَإذا العُيُوبُ مَشَتْ إلَيْهِ بَدَا وَجْهٌ تَخاوَصُ دُونَهُ المُقَلُ
فاللّحظُ مُحتَبِسٌ وَمُنطَلِقٌ ، وَالقَوْلُ مُنقَطِعٌ وَمُتّصِلُ
طَرِبٌ إلى النَّعْمَاءِ عَاهَدَهَا أنْ لا يَمُرّ بسَمْعِهِ عَذَلُ
يَلقَى الخُطُوبَ،وَوَجْهُهُ طَلِقٌ، وَيَخُوضُهُنّ ، وَقَلْبُهُ جَذِلُ
تُخفي بَشَاشَتُهُ كَالسّمّ مَوّهَ طَعمَهُ العَسَلُ
مِنْ مَعشَرٍ كَانَتَ سُيُوفُهُمُ حَلْياً لمَنْ ضرَبوا ، وَمَن عَطِلُوا
بالفَخرِ يَكْسُونَ الذي سَلَبُوا ، وَالذّكْرِ يُحيُونَ الذي قَتَلُوا
أنْتَ الجَوَادُ ، إذا غَلا أمَلٌ ، وَالمُستَجَارُ ، إذا طَغَى وَجَلُ
وَمُطاعِنٍ بَعَثَتْ يَدَاكَ لَهُ طَعْناً يَذُلّ لوَقْعِهِ البَطَلُ
وَعَلِمْتَ أنّ السّيلَ يَدْفَعُهُ ، لمّا أطَلّ العَارِضُ الهَطِلُ
لله رُمْحُكَ يَوْمَ تُورِدُهُ ، وَالمَاءُ لا صَرِدٌ وَلا عَلَلُ[3]
خَطِلُ المَنَاكِبِ لا يَميلُ بِهِ عِوَجٌ، وَمِنْ نَعتِ القَنَا الخَطَلُ[4]
وَمُطاعِنَينِ ، إذا هُمَا اعترَضَا ، يَتَطَاعَنَانِ ، وَللقَنَا زَجَلُ

١ السماط : صف القوم . وطبق : عم .
٢ غريت : أولعت .
٣ الصرد : الخالص . العلل : الشرب بعد الشرب .
٤ خطل المناكب : خشنها . الخطل : الاضطراب .

نَزَلَ المَصُورُ عَلَى فَرِيسَتِهِ ، وَمَضَى يُدَحْرِجُ نَجوَهُ الجُعَلُ[1]
شَيخَانِ : هذا فَارِسٌ بَطَلٌ أَبَداً ، وَهَذَا عَاجِزٌ مَذِلُ[2]
فإذا الزَّمَانُ أَرَادَ قَوْدَهُمَا ، حَرَنَ الجَوَادُ وَأَصْحَبَ الوَعِلُ[3]
أمريدَ زَائِدَةِ الأَنَامِ أَقِمْ ، هَيهَاتَ مِنكَ الشَّدُّ وَالعَجَلُ
أَتُرِيدُ غَايَاتِ الفَخَارِ ، وَمَا لكَ نَاقَةٌ فيهِ ، ولا جَمَلُ ؟
فانعَقْ بضَأنِكَ عَنْ أَنَاطِحِهِ ، وَدَعِ الغَمِيرَ تَلُسُّهُ الإبلُ[4]
يا قابِضَ الأيَّامِ عَنْ وَجَلٍ ، بيَمينِهِ عَنْ مَسِّهَا شَلَلُ
يَئِلُ الذي أَمِنْتَ رَوْعَتَهُ ، وَالعُصْمُ في الأَطْوَادِ لا تَئِلُ[5]
لِوَلِيِّكَ الدُّنْيَا مُزَخْرَفَةٌ ، وَلأُمِّ مَنْ عَادَيْتَهُ الهَبَلُ
إنْ قَالَ فيكَ عِداكَ مَنقَصَةً ، قَالُوا : السَّمَاءُ أَدِيمُهَا نَغِلُ
احذَرْ عَدُوَّكَ أَنْ تُقَرِّبَهُ مِنْ قَلبِكَ الخَدَعَاتُ وَالحِيَلُ
لا تُخْدَعَنَّ عَلَى رُقَاهُ ، وَلَوْ أَرْضَاكَ مِنْهُ القَوْلُ وَالعَمَلُ
فَفُؤَادُهُ حَنِقٌ عَلَيكَ . وَإنْ طَاطَا ، وَذَلَّلَهُ لكَ الوَجَلُ
إنَّ المُجَرَّدَ في هَوَاكَ فَتًى لا اللَّوْمُ يَرْدَعُهُ ، وَلا العَذَلُ

١ النجو : الغائط . الجعل : ضرب من الخنافس .
٢ المذل : القلق الضجر .
٣ أصحب : انقاد بعد صعوبة . الوعل : تيس الجبل .
٤ انعق بضأنك : صح بها . أناطحه : لعلها جمع أنطح ، اسم تفضيل من نطح . الغمير : النبات
تلسه : تأكله بمقدم فمها .
٥ يئل : يلجأ . العصم ، الواحد أعصم : الظبي في ذراعيه بياض ، وسائره أسود أو أحمر .

مِثْلُ الحُسَيْنِ ، فَبَيْنَ أَضْلُعِهِ قَلْبٌ بِغَيْرِكَ مَا لَهُ شَغَلُ
يُثْنِي عَلَيْكَ بِكُلِّ عَارِفَةٍ أَبَداً ، وَسِتْرُ الغَيْبِ مُنْسَدِلُ
ذاكَ الحُسَامُ أطَلْتَ جَفوتَهُ ، وَلَقَلَّ مَا ظَفِرَتْ بِهِ الخِلَلُ[1]
وَوَعَدْتَهُ وَعْداً تَعَلَّقَهُ ، وَالوَعْدُ مَلْوِيٌّ بِهِ الأمَلُ
فانهَضْ بهِ في النّائِباتِ تَجِدْ عَضْباً تَسَاقَطُ دُونَهُ القُلَلُ
وَاسلَمْ ، أميرَ المُؤمِنِينَ ، إذا شَرَعَ الحِمَامُ وَصَمّمَ الأجَلُ
مُتَقَلِّداً بِنِجَادِ مَمْلَكَةٍ في غِمْدِهَا الأقدارُ وَالدّوَلُ
وَانعَمْ بِيَوْمِ المِهْرَجانِ ، وَلا نَعِمَ العُداةُ بِهِ ، وَلا عَقَلُوا
فَلأنْتَ نَهّاضٌ ، إذا قَعَدُوا ، أبَداً ، وَصَعّادٌ ، إذا نَزَلُوا
يَوْمٌ تُجَدّدُهُ السّنُونَ ، وَقَدْ دَرَجَتْ عَلَيهِ الأعصُرُ الأُوَلُ
فالنّاسُ فيهِ مُعَلَّلٌ طَرِبٌ يَرْجُو الأوَارَ ، وَشَارِبٌ ثَمِلُ
ما استَجمَعَتْ فِرَقُ الهُمُومِ بهِ إلاّ وَبَدّدَ جَمعَهَا الجَذَلُ
هُوَ خِطّةٌ نَزَلَ الشّتَاءُ بِهَا ، وَالصّيْفُ مُنطَلِقٌ وَمُرْتَحِلُ
وَأنَا الذي أهْوَى هَوَاكَ ، وَلَوْ ضُرِبَتْ عَلَيّ البِيضُ وَالأسَلُ
وَطِئَتْ قَبَائِلُ غَالِبٍ عَقِبي ، وَتَشَرّفَتْ بِمَقَامِيَ الحِلَلُ
وَفَقَأتُ عَينَ البُخلِ مُذْ كَثُرَتْ بِنَداكَ عِندي الأينُقُ البُزُلُ
وَمُرَاغِمٍ يَغْدُو عَلَى قَنَصِي ، فَيَحُوزُهُ ، وَيَدايَ مُحْتَبِلُ[2]

١ الخلل ، الواحدة خلة : جفن السيف المغشى بالأدم .
٢ قوله : ويداي محتبل ، هكذا في الأصل .

خُضْتُ الغِمَارَ ، فَجَازَ جُمّتَهَا دُوني ، وَطَبّقَ ثَوْبِيَ البَلَلُ
وَمُذَكّرِي رَحِماً مُعَنّسَةً ، كالشّمسِ أخلَقَ ضَوءَها الطّفَلُ[1]
رَحِمٌ تَعَلّقُ بالبَعيدِ ، كمَا عَلِقَ الحِبَاءَ النّازِحُ الطُّوَلُ[2]
اثنَانِ يَقتَطِعَانِ مِنْ فُرَصِي ، وَأنَا الذي أُرْخي وَأهْتَبِلُ
غَرَضِي بِمَدْحِكَ أنْ يُطَاوِعَني عِوَجٌ بِأيّامي ، وَيَعتَدِلُ
وَأقُومُ بَينَ يَدَيْكَ مُرْتَجِلاً ، لا العَيُّ يَقطَعُني ، وَلا الخَطَلُ
وَلَئِنْ نَمَا كُلٌّ المَدِيحِ إلى فَلَتَاتِ قَوْلي ، وَانتَمَى الغَزَلُ
فالأرْضُ أمٌّ التُّرْبِ أجمَعِهِ ، وَأبُو البَرِيّةِ كُلِّهَا رَجُلُ

وأنعم منا في الحياة بهائم

يمدحه أيضاً في شهر رمضان من سنة ٣٧٧ :

مَسِيرِي إلى لَيلِ الشّبابِ ضَلالُ ، وَشَيْبي ضِيَاءٌ في الوَرَى وَجَمَالُ
سَوَادٌ ، وَلَكِنّ البَيَاضَ سِيَادَةٌ ، وَلَيْلٌ ، وَلَكِنّ النّهَارَ جَلالُ
وَمَا المَرْءُ قَبلَ الشّيبِ إلاّ مُهَنّدٌ صَدِيٌّ ، وَشَيبُ العارِضَينِ صِقَالُ

١ معنسة : محبوسة . أخلق : أوهى . الطفل : قرب الغروب .
٢ الحباء ، من حبا المسيل : دنا بعضه من بعض .

وَلَيسَ خِضَابُ المَرْءِ إلاّ تَعِلّةً ... لمَنْ شَابَ مِنْهُ عَارِضٌ وَقَذالُ
وَللنّفسِ في عَجزِ الفَتى وَزِمَاعِهِ ... زِمَامٌ إلى مَا يَشتَهي وَعِقَالُ
بَلَوْتُ وَجَرّبْتُ الأخِلاّءَ مُدّةً ، ... فأكثَرُ شَيْءٍ في الصّدِيقِ مَلالُ
وَمَا رَاقَني مِمّنْ أوَدُّ تَمَلّقٌ ، ... وَلا غَرّني مِمّنْ أحِبّ وِصَالُ
وَمَا صَحبُكَ الأدْنَوْنَ إلاّ أبَاعِدٌ، ... إذا قَلّ مَالٌ ، أوْ نَبَتْ بكَ حَالُ
وَمَنْ لي بخِلٍّ أرْتَضِيهِ ، وَلَيْتَ لي ... يَمِيناً يُعَاطِيهَا الوَفَاءَ شِمَالُ
تَمِيلُ بيَ الدّنْيَا إلى كُلّ شَهْوَةٍ ، ... وَأينَ مِنَ النّجْمِ البَعِيدِ مَنَالُ
وَتَسلُبُني أيدي النّوَائِبِ ثَرْوَتي ، ... وَلي مِنْ عَفَافي وَالتّقَنّعِ مَالُ
إذا عزّني مَاءٌ . وَفي القَلْبِ غُلّةٌ ، ... رَجَعْتُ ، وَصَبري للغَليلِ بَلالُ
أرَى كُلّ زَادٍ مَا خَلا سَدّ جَوْعَةٍ ... تُرَاباً ، وَكُلُّ المَاءِ عِندِيَ آلُ
وَمِثْلِيَ لا يَأسَى عَلى مَا يَفُوتُهُ ، ... إذا كَانَ عُقبَى مَا يَنَالُ زَوَالُ
كَأنّا خُلِقْنَا عُرْضَةً لِمَنِيّةٍ ، ... فَنَحْنُ إلى داعي المَنُونِ عِجَالُ
نَخِفُّ عَلى ظَهرِ الثّرَى ، وَبُطونُهُ ... عَلَينا ، إذا حَلّ المَمَاتُ ، ثِقَالُ
وَمَا نُوَبُ الأيّامِ إلاّ أسِنّةٌ ... تَهَاوَى إلى أعْمَارِنَا وَنِصَالُ
وَأنْعَمُ مِنّا في الحَيَاةِ بَهَائِمٌ ، ... وَأثْبَتُ مِنّا في التّرَابِ جِبَالُ
أنَا المَرْءُ لا عِرْضِي قَرِيبٌ من العِدى، ... وَلا فِيّ للبَاغي عَلَيّ مَقَالُ
وَمَا العِرضُ إلاّ خَيرُ عُضْوٍ من الفتى ... يُصَابُ ، وَأقْوَالُ العُداةِ نِبَالُ
وَقُورٌ ، فإنْ لمْ يَرْعَ حَقّيَ جاهِلٌ ، ... سألتُ عَنِ العَوْرَاءِ كَيفَ تُقَالُ

إلى كَمْ أمشّي العيسَ غَرْثَى كَليلَةً، وَأُودَعُ مِنْهَا رَبْرَبٌ وَرِئَالُ[1]
أرُوغُ كَأنّي في الصّبَاحِ طَرِيدَةٌ ، وَأسْرِي كَأنّي في الظّلامِ خَيَالُ
تَمَطّى بِنَا أذْوَادُنا كلَّ مَهمَهٍ ، خَفَائِفَ تُخفيهَا رُبًى وَرِمَالُ
لَطَمْنَا بِأيْدِيهَا الفَيَافي إلَيْكُمُ ، وَقَدْ دامَ إغذاذٌ ، وَطَالَ كَلالُ[2]
خَوَارِجُ مِنْ لَيْلٍ كَأنّ وَرَاءَهُ يَدَ الفَجْرِ في سَيفٍ جَلاهُ صِقَالُ
تُقَوِّمُ أعنَاقَ المَطيّ نُجُومُهُ ، فَلَيْسَ لِسَارٍ فَوْقَهُنّ ضَلالُ
وَهَوْجَاءَ قُدّامَ الرّكَابِ مُغِذّةٍ ، لهَا مِنْ جُلُودِ الرّازِحَاتِ نِعَالُ
رَحَلْنا بِها كَالبَدْرِ حُسْناً وَشَارَةً، وَمِلْنَا إلى البَيْداءِ . وَهيَ هِلالُ
إلَيكَ، أمينَ الله ، وَسّمْتُ أرْضَهَا بأخْفَافِهَا . يَدْنُو بِهِنّ نِقَالُ
أيَادِي أميرِ المُؤمِنِينَ كَثيرَةٌ ، وَمَالُ إمَامِ المُؤمِنِينَ مُذالُ
وَأوْقَاتُهُ اللاّتي تَسُوءُ قَصِيرَةٌ ، وَأيّامُهُ اللاّتي تَسُرّ طِوَالُ
مِنَ الضّارِبِينَ الهَامَ وَالخَيلُ تَدّعي، وَإنْ غَابَ أنصَارٌ وَقَلّ رِجَالُ
هُمُ القَوْمُ إنْ وَلّى المَعارِيكُ أقبَلوا، وَإنْ سُئِلُوا بَذْلَ النّوَالِ أنَالُوا
وَإنْ طَرَقَ القَوْمُ العَبُوسُ تَهَلّلُوا ، وَإنْ مَالَتِ السُّمرُ الذّوَابِلُ مَالُوا
أُجيلُ لحاظي لا أرَى غَيرَ نَاقِصٍ ، كَأنّ الوَرَى نَقْصٌ وَأنْتَ كَمَالُ
لَنَا كُلَّ يَوْمٍ في مَعَاليكَ شُعبَةٌ وَفَائِدَةٌ لا تَنقَضِي وَنَوَالُ[3]

[1] الغرثى : الجوعى . الربرب : قطيع بقر الوحش . الرئال ، الواحد رأل : فرخ النعام .
[2] الاغذاذ : الشد في السير . الكلال : التعب .
[3] الشعبة : الطائفة من الشيء . النوال : العطاء .

وَأَنْتَ الذي بَلّغْتَنَا كُلّ غَايَةٍ ، لَنَا فَوْقَ أَعنَاقِ النّجُومِ مَجَالُ
فَمَا طَرَدَ النَّعمَاءَ وَعدُكَ سَاعَةً ، وَلا غَضّ من جدوَى يديك مَطالُ
إذا قُلتَ كانَ الفعلُ ثانيَ نُطقهِ ، وَخَيرُ مَقَالٍ مَا تَلاهُ فَعَالُ
أزِلْ طَمَعَ الأعداءِ عَنّي بفَتْكَةٍ ، فَلا سِلْمَ إلاّ أنْ يَطُولَ قِتَالُ
فَإنّ نُفُوسَ النّاكِثِينَ مُبَاحَةٌ ، وَإنّ دِمَاءَ الغَادِرِينَ حَلالُ
وَشَمّرْ، فَمَا للسّيفِ غَيرُكَ نَاصِرٌ، وَلا للعوَالي ، إنْ قَعَدْتَ ، مَصَالُ
وَمَنْ لي بيَوْمٍ شَاحِبٍ في عَجاجِهِ ، أنَالُ بِأطْرَافِ القَنَا وَأُنَالُ
لكَ الفَرَسُ الشّقرَاءُ في الجَوّ شمسُه لهَا مِنْ غَيابَاتِ الغُبَارِ جِلالُ
أرِدْني مُرَاداً يقعُدُ النّاسُ دُونَهُ ، وَيَغبِطُني عَمٌّ عَلَيْهِ وَخَالُ
وَلا تَسمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ مَا يَقُولُهُ ، فَأكثَرُ أقْوَالِ العُدَاةِ مُحَالُ
هَنَاءٌ لكَ الصّوْمُ الجَديدُ ، وَلا تزَلْ عَلَيكَ مِنَ العَيشِ الرّقيقِ ظِلالُ
وَجادَكَ مُنهَلٌّ الغَمَامِ ، وَصَافَحتْ حِمَاكَ جَنُوبٌ غَضّةٌ وَشَمَالُ
وَلا زَالَ مِنْ آمَالِنَا وَرَجَائِنَا عَلَيكَ ، وَإنْ سَاءَ العَدُوَّ ، عِيَالُ
وَفي كُلّ يَوْمٍ عندَنا منكَ عارِضٌ ، وَعِندَ الأعَادِي فَيْلَقٌ وَنِزَالُ
أنَا القائِلُ المَحسودُ قَوْلي من الوَرَى ، عَلَوْتُ ، وَمَا يَعلُو عَليّ مَقَالُ
يَقُولُونَ : حازَ الفَضْلَ قوْمٌ بسبَقهم ، ـمَا ضربي ابي وَزَالُوا
وَلا فَرْقَ بَيْني في الكَلامِ وَبَيْنَهُم بشَيْءٍ سِوَى أنّي أقُولُ . وَقَالُوا
فَلا زَالَ شِعرِي فيكَ وَحدَكَ كُلُّهُ ، وَلا اضْطرّني إلاّ إلَيْكَ سُؤَالُ

اشرف ممدوح

يمدح الملك شرف الدولة أبا الفوارس ابن عضد الدولة ويشكره على ما عمله مع أبيه من الجميل والتفضل ويصف القلعة التي كان والـــده فيها معتقلا ولم ينفذها إليه وذلك عنـــد دخوله مدينة السلام سنة ٣٧٦ :

أحظَى المُلُوكِ مِنَ الأيّامِ وَالدّوَلِ ، مَنْ لا يُنَادِمُ غَيرَ البِيضِ وَالأسَلِ
وَأشرَفُ النّاسِ مَشْغُولٌ بِهِمّتِهِ ، مُدَفَّعٌ بَينَ أطرَافِ القَنَا الذُّبُلِ
تَطغَى على قَصَبِ الأبْطَالِ نَخوَتُهُ ، وَقائِمُ السّيفِ مَندُوبٌ إلى القُلَلِ ١
ما زِلتُ أبحَثُ أمرِي عَنْ عَوَاقِبِهِ ، حتّى رَأيتُ حُلُولَ العِزّ في الحُلَلِ ٢
وَفي التغَرّبِ إلاّ عَنْكَ مَغْنَمَــةٌ ، وَمَنبِتُ الرّزْقِ بَينَ الكُورِ وَالجَمَلِ
لَوْلا الكِرَامُ أصَابَ النّاسَ كُلَّهُمُ داءُ البِعَادِ عَنِ الأوْطَانِ وَالحِلَلِ ٣
نَرْجُو ،وَبَعضُ رَجَاءِ النّاسِ مَتعَسَةٌ ، قد ضَاعَ دَمعُكَ يا باكٍ على الطّلَلِ
كمِ اغتَرَبتُ عنِ الدّنيا، وَما فَطِنَتْ بي المَهَامِهُ حَتّى جَازَني أمَلي
في فِتيَةٍ رَكبُوا أعرَاضَهُمْ وَرَمَوْا بالذّلّ خَلْفَ ظُهُورِ الخَيلِ وَالإبلِ ٤
وَالمَاءُ إنْ صَفِرَتْ مِنْهُ مَزَادُهُمُ ، شَرِبْتُهُ مِنْ بُطُونِ الأينُقِ البُزُلِ

١ القلل ، الواحدة قلة : أعلى الرأس . وأراد بالقصب : الرماح
٢ أبحث : أكاشف . الحلل : السلاح .
٣ الحلل ، الواحدة حلة : المجتمع ، مكان حلول القوم .
٤ الأعراص : النشاط .

إيهٍ لَقَدْ أَسَرَ الدّنْيَا بنَجدَتِهِ ، أبُو الفَوَارِسِ ، وَالإقدامُ للبَطَلِ
صَانَ الظُّبَى وَاستلَذَّ الرّأيَ وَانكشفتْ لَهُ العَوَاقِبُ بَينَ الهَمّ وَالجَذَلِ
ماضٍ عَلى الهَوْلِ طَلاّعٌ بِغُرّتِهِ عَلى الحَوَادِثِ مِقدامٌ عَلى الأجَلِ
هُنّئْتَ ، يا مَلِكَ الأمْلاكِ ، منزِلَةً رَدّتْ عَلَيكَ بَهاءَ الأعصُرِ الأُوَلِ
دَعَاكَ رَبُّ المَعَالي زَيْنَ مِلّتِهِ ، وَمِلّةٌ أنْتَ فِيهَا أعظَمُ المِلَلِ
صَدَمتَ بَغدادَ ، وَالأيّامُ غافِلَةٌ ، كالسّيلِ يأنَفُ أنْ يأتي عَلى مَهَلِ
بِكُلّ أبْلَجَ مَعرُوفٍ بطَلعَتِهِ ، إذا تَنَاكَرَ لَيلُ الحَادِثِ الجَلَلِ
يا قائِدَ الخَيلِ ، إنْ كانَ السّنَانُ فماً ، فإنّ رُمحَكَ مُشتَاقٌ إلى القُبَلِ
وكَم مَدَدتَ على الأقرَانِ مِن رَهَجٍ في لَيلَةٍ تَغدُرُ الألحَاظُ بالمُقَلِ
وَمُستَغرِّينَ مَا زَالَتْ قُلُوبُهُمُ تُبَدّدُ الرّأيَ بَينَ الرّيثِ وَالعَجَلِ
حتّى أخَذْتَ عَلَيهِمْ حَتفَ أنفُسِهم ما أظلَموا ببُرُوقِ العارِضِ الهَطِلِ
رَأوْا مَقَامَكَ ، فازْوَرّتْ عُيُونُهُمُ ، مَا كلّ لحظٍ إلى الآماقِ مِن قَبَلِ[1]
للهِ زَهْرَةُ مُلْكٍ قَامَ حَاسِدُهَا ، وَليسَ يَعلَمُ أنّ الشمسَ في الحَمَلِ
لا تأسَفَنّ مِنَ الدّنيَا عَلى سَلَفٍ ، فآخِرُ الشّهْدِ فينَا أعذَبُ العَسَلِ
وَلا تُبَالِ بفِعلٍ إنْ هَمَمْتَ بِهِ ، وَلَوْ رَمَى بكَ بَينَ العُذْرِ وَالعَذَلِ
لا تَمْشِيَنّ إلى أمْرٍ تُعَابُ بِهِ ، فَقَلّمَا تَفْطُنُ الأيّامُ بالزّلَلِ
للهِ أيُّ فَتًى أمسَتْ لُبَانَتُهُ رَذِيّةً بَينَ أيدي العِيسِ وَالسُّبُلِ[2]

١ القبل : إقبال سواد العين إلى الأنف .
٢ الرذية : الضعيفة .

لا يَنْشُدُ الحُبُّ رَأياً كانَ أصْلَحَهُ	إذا الفَتَى طَرَدَ الآرَاءَ بالغَزَلِ
رَآكَ أشرَفَ مَمْدُوحٍ لمُمتَدِحٍ ،	وَخَيرُ مَنْ شَرَعَتْ فيه يَدُ الأمَلِ
نحَا لنَحوِكَ لا يَلوِي عَلى أحَدٍ ،	إنّ المُقيمَ عَنِ النُّزّاعِ في شَغَلِ[1]
وَلَيسَ يأتَلِفُ الإحسَانُ في مَلِكٍ ،	حتّى يُؤلَّفَ بَينَ القَوْلِ وَالعَمَلِ
فَمَا أمَلٌ مَديحاً أنْتَ سَامِعُهُ ؛	وَعاشِقُ العِزّ لا يُؤتَى مِنَ المَلَلِ
ما عُذْرُ مثليَ في نَقْصٍ ، وَقَوْلَتِهِ	إنّي الرّضِيُّ وَجَدّي خاتَمُ الرّسُلِ
هذا أبي وَالذي أرْجُو النّجاحَ بهِ ،	أدْعُوهُ منكَ طَليقَ الهَمّ وَالجَذَلِ
لَوْلاكَ ما انفَسَحتْ في العَيشِ همّتُه،	وَلا أقَرّ عُيُونَ الخَيْلِ وَالخَوَلِ
حَطَطتَهُ مِنْ ذُرَى صَمّاءَ شَاهقَةٍ	مِنَ الزّمَانِ عَلَيها غَيرُ مُحتَفِلِ
تَلعَاءَ عَاليَةِ الأرْدافِ تَحسَبُها	رِشَاءَ عَادِيّةٍ مُستَحصَدِ الطُّوَلِ[2]
تَلقَى ذَوَائِبَهَا في الجَوّ ذاهِبَةً ،	يَلُفّهَا البَرْقُ بالأطْوَادِ وَالقُلَلِ
وَأنتَ طَوّقْتَهُ بالمَنّ جَامِعَةً ،	قامَتْ عَلَيهِ مَقامَ الحَلْيِ وَالحُلَلِ[3]
أوْسَعتَهُ ، فَرَأى الآمَالَ وَاسِعَةً،	وَكُلُّ ساكِنِ ضِيقٍ وَاسِعُ الأمَلِ
جَذَبْتَ مِنْ لَهَوَاتِ المَوْتِ مُهجتَهُ،	وَكانَ يَطرِفُ في الدّنيَا على وَجَلِ[4]
ما كانَ إلاّ حُسَاماً أغمَدَتهُ يَدٌ ،	ثمّ انتَضَتهُ اليَدُ الأخرَى على عَجَلِ

١ النزاع : الغرباء .

٢ التلعاء : الطويلة العنق ، المرتفعة . الرشاء : الحبل . العادية : البئر القديمة . المستحصد : المفتول . الطول : الحبل أيضاً .

٣ الجامعة : الغل .

٤ لهوات ، الواحدة لهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، وأراد هنا أشداق الموت . يطرف : ينظر .

فاقذِفْ بِهِ ثُغَرَ الأهْوَالِ مُنصَلِتاً ، وَاستَنصِرِ اللّيثَ إنّ الخِيسَ للوَعَلِ[1]
وَلا تُطيعَنّ فيهِ قَوْلَ حَاسِدِهِ ؛ إنّ العَليلَ لَيَرْمي النّاسَ بالعِلَلِ
أوْلى بتَكْرِمَةٍ مَنْ كانَ يَحمَدُها ، وَالحَمدُ يَقطَعُ بَينَ الجُودِ وَالبَخَلِ
كَفَاكَ مَنظَرُهُ إيضَاحَ مَخبَرِهِ ، في حُمرَةِ الخَدّ ما يُغني عن الخَجَلِ
تحَمّلَ الشّرَفَ العالي ، وكَمْ شرَفٍ غَطّى عَلَيهِ رِداءُ العَيّ وَالخَطَلِ
أوَيتَهُ مِنْ نِزَالِ المُستَطيلِ إلى مَرْعًى أنيقٍ وَظِلٍّ غَيرِ مُنتَقِلِ
إنّا لَنَرْجُوكَ ، وَالأيّامُ رَاغِمَةٌ ، وَالرّوْضُ يُرْجو نوَالَ العارِضِ الخضِلِ
تَبلَى بدَوْلَتِكَ الدّنْيَا ، وَحاشَ لها أنْ لا يكُونَ عَلَينا أبرَكُ الدّوَلِ

احذر مرامي الاقدار

قال قدس الله روحه في الملك قوام الدين وقد ورد الخبر بشكاة عرضت له ثم نهض منها واستقل وذلك في شوال سنة ٣٩٨ :

لا زَعزَعَتكَ الخُطوبُ يا جبَلُ ، وَبالعِدا حَلّ لا بِكَ العِلَلُ
قَدْ يُوعَكُ اللّيثُ لا لِذِلّتِهِ ، عَلى اللّيَالي ، وَيَسْلَمُ الوَعِلُ
لا طَرَقَ الدّاءُ مَنْ بِصِحّتِهِ يَصِحّ مِنّا الرّجَاءُ وَالأمَلُ

[1] الخيس : الشجر الملتف .

حاشَاكَ مِنْ عارِضٍ تُرَاعُ بِهِ ، ذاكَ فُتُورُ النّعيمِ وَالكَسَلُ
النّجمُ يَخفَى ، وَأنتَ مُتّضِحٌ، وَالشّمسُ تَخبُو، وَأنتَ مُشتَعِلُ
وَأنتَ لا مُرْهَقٌ ، وَلا قَلِقٌ ، وَالبَدْرُ مُستَوْفِزٌ وَمُنتَقِلُ[1]
وَعِلْكٌ كمَا يُطبَعُ الحُسَامُ ، وَفي جَوْهَرِهِ صَاقِلٌ لَهُ عَمِلُ
ما ضَرّهُ ذاكَ ، وَهوَ مُنصَلِتٌ ، تَسقُطُ مِنْهُ الرّقَابُ وَالقُلَلُ
مَا صَرَفَ الدّهرُ عَنكَ أسهُمَهُ ، فكُلُّ جُرْحٍ يُصِيبُنَا جَلَلُ
بَاقٍ تَخَطّاكَ كُلُّ نَائِبَةٍ إلى العِدا ، وَالنّوَازِلُ العُضُلُ
قَدْ ضَمِنَ اللهُ أنْ تَدُومَ لَنَا مُسلَّماً ، وَالزّمَانُ وَالدّوَلُ
فَمَا يَقُولُ الأعداءُ لا بَلَغوا الـ سؤلَ ، وَلا أدرَكُوا الذي أمَلُوا
ما قَدَرُوا ، لاعَلَتْ جدودُهُمُ ، وَلا نَجَوْا بَعدَها ، وَلا وَألُوا
لا خَوْفَ ، وَالجَدُّ مُقبِلٌ أبَداً ، عَلى اللّيَالي ، وَأنْتَ مُقْتَبِلُ
هَلْ قَدَمُ الطّوْدِ ، وَهيَ رَاسخةٌ ، يُخَافُ مِنهَا العِثَارُ وَالزّلَلُ
فانْتَفِضِي أيّهَا الرّؤوسُ لهَا ، وَاستَوْثِقي للقِيَادِ يا إبِلُ
فَقَدْ أُعِدّتْ لكِ الأخِشّةُ ممّـ ـهَا الشّدّةُ وَالغُرُوضُ وَالعُقُلُ[2]
لا تَرْتَعي مُعْشِباً ، مَنَابِتُهُ بِيضُ الظُّبَى وَالعَوَاسلُ الذُّبُلُ
تَرْعَى سَوَامَ العَبيدِ هَيبَتُهُ ، فكَيفَ يَرْضَى ، وَذَوْدُهُ هَمَلُ

١ المستوفز : المنتصب غير المطمئن .

٢ قوله : ممها ، هكذا في الأصل ، ولعلها محرفة . الأخشة ، الواحد خشاش : العود يجعل في عظم أنف البعير .

فقُلْ لِغَاوٍ مَشَى الظّلامُ بِهِ : أينَ ، إلى أينَ قادَكَ الخَطَلُ
طَمِعتَ أنْ تَرْتَقي بِلا قَدَمٍ ، إلى العُلى ، رَاعَ أُمَّكَ الثّكَلُ
حَلِمتَ في نَوْمَةِ الغُرُورِ بِهَا شَرٌّ حُلُومٍ وَغَرّكَ المَهَلُ
فاحذَرْ مَرَامِي الأقدارِ عَنْ مَلِكٍ ، مَا أمَرَ الدّهرُ ، فَهوَ مُمْتَثِلُ
أتَزْحَمُ البَحْرَ في غُطَامِطِهِ ، أمْ تَتَعَاطَى السّيُولَ ، يا وَشَلُ[1]
هَيهاتَ أنْ يَسبُقَ الجِيادَ وَجٍ ، وَيَطْلُعَ الغَادِ قَبلَها وَجِلُ[2]
بادَرْتَ نَهبَ العُلى فرَجرَجَهُ بُوعٌ طِوَالٌ وَأذْرُعٌ فُتُلُ
رَأى لِصَاباً ، فَشارَهَا صَبِراً ، ذُقِ الجَنَى قد أظَلّكَ العَسَلُ[3]
سَطْوٌ أقَامَ العِدَى عَلى قَدَمٍ ، وَقَوّمَ المَائِلِينَ ، فاعتَدَلُوا
قَدْ سَبَقَ السّيفُ عَذْلَ عاذِلِهِ لمّا تَجَارَى الحُسَامُ وَالعَذَلُ
ألَيسَ مِنْ مَعشَرٍ بَنَوْا شَرَفاً صَعباً ، وَفيهِمْ خَلائِقٌ ذُلُلُ
قَشَاعِمٌ طَارَتِ الجُدُودُ بِهِمْ ، مُذ صَعِدُوا في العَلاءِ ما نزَلُوا[4]
مَدّوا عَلابيَّ مَجدِهم ، وَسَمَتْ بِهِمْ رِعَانُ الفَضَائِلِ الطُّوَلُ[5]
المُبْشِرَاتُ العُلَى مَنَازِلُهُمْ ، وَالقِمَمُ العَالِيَاتُ وَالقُلَلُ[6]

١ الغطامط : العظيم الأمواج الكثير الماء . الوشل : الماء القليل .
٢ الوجي : الحافي . الغاد بكسر الدال ، أراد الغادي ، فحذف الياء ، وهو مثل قولهم الواد للوادي الوجل : الخائف .
٣ اللصاب ، الواحد لصب : مضيق الوادي ، الشعب الصغير في الجبل . الصبر : عصارة شجر مر
٤ القشاعم : النسور ، أو الأسد المسنة .
٥ العلابي ، الواحدة علباء : عصبة في صفحة العنق . الرعان ، الواحد رعن : أنف الجبل .
٦ المبشرات ، من أبشرت الأرض : أخرجت نباتها .

كَانُوا سَمَاءً لَنَا ، فلا عَجَبٌ ، إنْ قَطَرُوا بالنَوَالِ ، أوْ هَطَلُوا
طَالَ لُزُومُ القَنَا أكُفَّهُمُ يَنَآدُ مِنْ طَعنِهِمْ وَيَعتَدِلُ
كَأنّ أيديهِمُ نَبَتْنَ لَهُمْ مَعَ القَنَا حَيثُ يَنبُتُ الأسَلُ
يُستَعذَبُ القَتْلُ مِنْ أكفّهِمُ كَأنّهُمْ يَنْشُرُونَ مَنْ قَتَلُوا
ما أهمَلُوا السّائماتِ حَيثُ رَعَوْا ، وَلا أضَاعُوا الأمورَ حينَ وَلُوا
إذا استَهَبّوا سُيُوفَهُمْ أبَداً ، فَلَمْ أُعِدّ الغُمُودُ وَالخُلَلُ
مِنْ كُلّ مَمطُورَةٍ مَخالِبُهُ عَلى العِدا ، غَيرَ أنّهُ رَجُلُ
يَعتَرِفُ النّاسُ في مَطالِبِهِ ، وَيَلْتَقي عِنْدَ بَابِهِ السُّبُلُ
يُرَى جَبَاناً عَنْ رَدّ سَائِلِهِ ، وَهوَ إذا اعصَوْصَبَ الوَغى بَطَلُ
بِعُودِهِ عِنْدَ ضَنّهِ يَبَسٌ ، وَفي يَدَيْهِ مِنَ النّدَى بَلَلُ
كَمْ نِعمَةٍ مِنكَ كاللّطيمَةِ مَسْ رَاهَا نَمُومٌ وَعَرْفُهَا ثَمَلُ[1]
ألْبَستَنيها بغَيظِ طالِبِهَا ، وَغُودِرَتْ في الأضَالِعِ الغُلَلُ
أصْبَحَ كَيدُ العَدُوّ يَجذِبُهَا عَنّي ؛ لأيدي الجَوَاذِبِ الشّلَلُ
ما لي ، إذا شِئتُ أنْ أزَادَ حِلًى ، مِنْ غَيرِكُم كانَ حَظّيَ العَطَلُ
أرَى نِهَاباً تُسَاقُ حَافِلَةً ، لا نَاقَةٌ لي بِها وَلا جَمَلُ[2]
وَشَرُّ مَا يَرْجِعُ الغَرِيُّ بِهِ أنْ عَادَ يَرْمي ، وَفَاتَهُ الوَعِلُ
أينَ نَدَى كَفّكَ الكَرِيمِ لَنَا ، وَأينَ عاداتُ طَوْلِكَ الأُوَلُ

١ اللطيمة : وعاء المسك . العرف : الرائحة . الثمل : الباقي ، المقيم .
٢ النهاب : الغنائم .

بنا الأذى لا بكُم، إذا نَزَلَ الخَطْـ ـبُ طَرُوقاً ، وَصَمّمَ الأجَلُ
وَدُمتُمُ للعُلَى ، وَعَيْشُكُمُ غَضٌ، وَرَاوُوقُ عِزّكمْ خَضِلُ
لا عَجَبٌ إنْ نَقيكُمُ حَذَراً ، نَحنُ جُفُونٌ ، وَأنتُمُ مُقَلُ

ينابيع الندى

قال أيضاً قدس الله روحه وكتب بها إلى حضرة
الملك قوام الدين يمدحه ويهنئه بالنيروز سنة٣٩٩ :

أينَ الغَزَالُ المَاطِلُ ، بَعدَكِ ، يا مَنَازِلُ
قَدْ بَانَ حَالي سِرْبِهِ ، فَلِمْ أقَامَ العَاطِلُ ؟
مَنْ لقَتيلِ الحُبّ لَوْ رُدّ عَلَيْهِ القَاتِلُ
يَجرَحُهُ النَّبْلُ ، وَيَهْـ وَى أنْ يَعُودَ النّابِلُ
شُيّعَ بالقَطْرِ الرِّوَى ذاكَ الشّبَابُ الرّاحِلُ
مَا سَرّني مِنْ بَعْدِهِ الأعوَاضُ وَالبَدائِلُ
مَا ضَرّ ذي الأيّامَ لَوْ أنّ البَيَاضَ النّاصِلُ
كُلُّ حَبيبٍ أبَداً أيّامُهُ قَلائِلُ
ظِلٌّ ، وَكَمْ يَبقَى عَلى فَودِكَ ظِلٌّ زَائِلُ
لَقَدْ رَأى بِعَارِضَيْـ ـكَ مَا أحَبّ العَاذِلُ

وَاستَرْجَعَتْ مِنكَ اللّحا ظَ الخُرّدُ العَقَائِلُ
وَأغْمِدَتْ عَنكَ نُصُو لُ الأعيُنِ القَوَاتِلُ
فَلا الدّمَاليجُ يُقَعْقِعْـ نَ ، وَلا الخَلاخِلُ
فإنْ وَعَدْنَ ، فَاعْلَمَنْ أنّ الغَرِيمَ المَاطِلُ
وَوَعدُ ذي الشّيبَةِ بالوَصْـ لِ غُرُورٌ بَاطِلُ
سَقَى لَيَالي الدّارِ جَوْ نُ بَرْقَةٍ سُلاسِلُ[1]
يَخْلُفُهُ عَلى الرُّبَى الـ نُّوّارُ وَالخَمَائِلُ
أطْفَالُ نَوْرٍ أرْضَعَتْ هَا الفِرَقُ المَطَافِلُ[2]
تُكْسَى العَوَالي ، وَتُحَـ لّى بَعْدَهُ العَوَاطِلُ
كَأنّمَا يُمْطِرُهُ مَلْكُ المُلُوكِ العَادِلُ
هُوَ الحَيَا ، وَفي الحَيَا مِنْ جُودِهِ شَمَائِلُ
غِيَاثُ كُلّ أزْمَةٍ ، إنْ عَضّ عَامٌ مَاحِلُ
وَدَاعِمُ الدّنْيَا ، إذا مَادَتْ بِهَا الزّلازِلُ
لَيثٌ هَمُوسُ اللّيلِ عَـ دّاءُ النّهَارِ بَاسِلُ[3]
ذُو رَاحَةٍ يَعْتَرِكُ البَأ سُ بِهَا وَالنّائِلُ
الفَاعِلُ الفِعْلَ الّذي يَعْجِزُ عَنْهُ القَائِلُ

١ السلاسل : العذب .
٢ الفرق ، الواحدة فرقة : ما دون المئة من الإبل ، استعارها للسحاب الماطر . المطافل : ذوا الأطفال .
٣ هموس الليل : سيار فيه .

وَالحَامِلُ العِبْءَ رَمَى أقَلَّ مِنْهُ الحَامِلُ
وَالقَائِدُ الفَيْلَقَ تَنْقَادُ لَهُ القَبَائِلُ
تَنسَدُّ فيهِ الشَّمْسُ قَدْ تَاهَتْ بِهَا القَسَاطِلُ[1]
قَنَابِلٌ تَحْفِزُهَا إلى الرَّدَى قَنَابِلُ[2]
جَمْعٌ كَشَجْرَاءِ اللَّدِيدَيْنِ لَهُ أرَامِلُ[3]
يَخْشَى عَوَالِيهِ وَرَاءَ الحَبَرِ المُقَاتِلُ[4]
كَأنَّ مَعْرُوضَ القَنَا يَنْقُلُهُ الصَّوَاهِلُ
أرَاقِمٌ تَحْمِلُهَا عَقَارِبٌ شَوَائِلُ[5]
كَمَا تَثُوبُ الدَّبْرُ قَدْ عَادَ إلَيْهَا العَاسِلُ[6]
فَقُلْ لِغَاوٍ مَدَّهُ في الغَيِّ رَأْيٌ قَاتِلُ :
إنِّي ارْتَقَيْتُ خِطَّةً ، أمُّكَ فيهَا هَابِلُ
سَاوَرْتَ أطْوَاداً تَرَدَّى دُونَهَا الأجَادِلُ
رَدَّكَ عَنْ صُعُودِهَا بالخِزْيِ جَدٌّ نَازِلُ
فَاتَ يَدَيْكَ قَابُهَا ، وَالقُلَلُ الأطَاوِلُ

١ القساطل ، الواحد قسطل : غبار الحرب .
٢ القنابل ، الواحدة قنبلة : الطائفة من الناس والخيل . تحفزها : تسوقها ، تدفعها .
٣ اللديدان : جانبا الوادي . الأرامل ، الواحدة أرمولة : أصل شجر العرفج .
٤ الحبر بفتح الباء : كثرة النبات في الأرض ، والأثر . وبكسر الباء : البرد الموشى .
٥ الشوائل : الرافعات أذنابها .
٦ الدبر : جماعة النحل .

وَهَلْ تَنَالُ مَا عَلا عَنْ لحظِكَ الأنَاثِلُ[1]
يا لَكَ مِنْ حَافٍ مَشَى حَيْثُ يَزِلُّ النَّاعِلُ
إنَّ قِوَامَ الدِّينِ عَنْ ثَغْرِ العُلَى مُنَاضِلُ
يُمَنِّعُ الطَّوْدَ ، فَلا رَاقٍ وَلا مُطَاوِلُ
أمَا رَأى ابنُ وَاصِلٍ تَقْنِصُهُ الحَبَائِلُ
ألْقَاهُ في تَيَّارِ جَمٍّ مَا لَهُ سَوَاحِلُ
فَطَارَ تَرْقِيهِ الظُّبَى ، وَالأسَلُ الذَّوَابِلُ
أفْلَتَهَا مُنْخَرِقُ الْجِلْدِ لَهُ وَلاوِلُ
عَارٍ عَلى عَاتِقِهِ مِنْ دَمِهِ حَمَائِلُ
يَنزِلُ مِنْهُ مَنزِلَ الرِّدْفِ الطَّوِيلُ الذَّابِلُ
يَلفِظُهُ لَفْظَ السِّحَا الآطَامُ وَالمَعَاقِلُ[2]
تَقَطَّعَتْ بَيْنَهُمَا بالقُضُبِ الوَسَائِلُ
دَلاَّهُ فيهَا مِثلَ مَا دَلَّى السِّنَانَ العَامِلُ
يَمْضِي العَوَالي حَيْثُ تَثْوِي تحتَهَا الأسَافِلُ
وَمَا عَلَى الأكْعُبِ أنْ تَنحَطِمَ العَوَامِلُ
حَاوَلَ رَدَّ غَرْبِهَا ، يا بُعْدَ مَا يُحَاوِلُ
كَدَافِعٍ في صَدرِ سَيْلِ الطَّوْدِ ، وَهوَ سَائِلُ

١ الأنائل ، الواحد نائل : ما ناله الإنسان .
٢ السحا : ما انقشر من الشيء . الآطام والمعاقل : الحصون

حَتّى امتَطَى رَاحِلَةً تُنْكِرُهَا الرّوَاحِلُ
لا تَرِدُ المَاءَ ، وَلا تُطْوَى بِهَا المَنَازِلُ
لِرَبّهَــا نَبَــاهَةٌ في النّاسِ ، وَهوَ خَامِلُ
في العَينِ عَالٍ ، وَهْوَ في الـ قَلْبِ مُذالٌ سَافِلُ[1]
وَفَارِسٌ لا يَنْزِلُ الـ دّهْرَ ، وَلا يُنَــازِلُ
فاخبِطْ رَصِيدَ فِتْنَــةٍ تُخْشَى بِهَا الغَوَائِلُ
هُنَاكَ ضَبٌّ كِدْيَةٍ لاطَ ، وَذِئْبٌ عَاسِلُ[2]
فَاليَوْمَ بَكْرٌ ، وَغَداً صَعْبُ القِيَــادِ بَازِلُ
وَاللهُ فِيــهِ ضَامِنٌ لِمَا أرَدْتَ كَافِلُ
إنْ كَانَ ذا العَامُ لَهُ ، فَلِلْمَنَايَا قَــابِلُ
وَمِنْ دَوَاءِ الدّاءِ أنْ مَاطَلَ كَيٌّ عَاجِلُ
في كُلّ يَوْمٍ مِنْ أيَا دِيكَ قَطِينٌ نَازِلُ
أبْعُدُ عَنهُ ، وَهْوَ عَـ نّي في البِلادِ سَائِلُ
كَالغَيْثِ ضَوْءٌ بَارِقٌ مِنْهُ ، وَرَيٌّ وَابِلُ
أوَاخِـرٌ مِنْ مِنَنٍ يَضُمّهَــا الأوَائِلُ
فَنِعْمَ لي مِنْ وَلَدٍ ، وَنِعْمَتِ الحَــوَامِلُ
فَدُمْ عَلى الدّهْرِ تَخَـ طّى رَبْعَكَ النّوَازِلُ

١ المذال : المهان .
٢ الكدية : الأرض الصلبة . لاط : لصق .

مَا لكَ عَنْ دارِ العُلَى ، أُخْرَى اللَّيَالي ، نَاقِلُ
وَابْلُغْ مِنَ النَّيرُوزِ مَا يَبْلُغُ مِنْكَ الآمِلُ
تَمضِي اللّيَالي بِكَ ، وَالْـ مِقدارُ عَنكَ غَافِلُ
كالنّصْلِ يَمْضِي صَاقِلٌ عَنْهُ ، وَيَأْتي صَاقِلُ
وَهوَ ، كمَا سَاءَ العِدَا ، مَاضِي الغِرَارِ قَاصِلُ
آلَ بُوَيْهٍ أنْتُمُ الْـ أعْنَاقُ وَالكَوَاهِلُ
فيكُمْ يَنَابيعُ النّدَى ، وَالدُّلّحُ الهَوَامِلُ[1]
هَوَاجِرُ الأيّامِ في ظِلالِكُمْ أصَائِلُ
وَالنّاسُ أنتُم ، وَسِوَا كُمْ بَاقِرٌ وَجَامِلُ
مَا في الرّجَاءِ بَعدَكُمْ ، وَلا البَقَاءِ طَائِلُ

١ الدلح ، الواحد دالح : السحابة الكثيرة الماء .

الرؤوس الطائشة

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرة الملك قوام الدين يشكره على ورود الكتب من حضرته الشريفة يتضمن الأمر بإعداد الخلع الجليلة والحملان له أبداً من غير مسألة على العادة الجارية في نظير هذه الحال ويومي إلى الاستعفاء من ذلك لأعذار لا يحتمل الموضع ذكرها وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٠٢ :

أهْلاً بِهِنّ عَلى التّنْوِيلِ وَالبَخَلِ ، وَقَرّبَتْهُنّ أيْدِي الخَيْلِ وَالإبِلِ
القَاتِلاتُ بِلا عَقْلٍ وَلا قَوَدٍ ، وَالمَاطِلاتُ بِلا عُذْرٍ وَلا عِلَلِ [1]
كَانَ اللّقَاءُ إسَاءاتٍ بِذِي سَلَمٍ إلى القُلُوبِ وَإحسَاناً إلى المُقَلِ
كَأنّمَا عاذِلاتُ الصَّبّ بَعدَهُمُ ، يَقتِلْنَ عُقْلاً لشُرّادٍ مِنَ النُّزُلِ [2]
يَرِمنَ في السّارِحِ المَرْعيّ مَحبَسَهُ ، وَهَمُّهُ اليَوْمَ أنْ يَغْدُو معَ الهَمَلِ [3]
رَمَينَ منهُ وَحَادي الشّوْقِ يَحفِزُهُ ، بقَاطِعٍ رِبَقَ الأقيادِ وَالعُقُلِ [4]
يَطلُبْنَ بُرْئي بأمرٍ زَادَ في سَقَمي ؛ إنّ الأُسَاةَ لأعْوَانٌ مَعَ العِلَلِ
حَاوَلْنَ شَغلَ فُؤادي مِنْ عَلاقَتِهِ بالعَقلِ ، وَالقلبُ عندَ البِيضِ في شَغَلِ
إنّ الرّبائِبَ مِنْ غِزْلانِ أسنِمَةٍ ، أعلَقْنَ ذا الشّيبَ أعلاقاً منَ الغَزَلِ [5]

١ العقل : الدية . القود : القصاص ، قتل القاتل بدل القتيل .
٢ العقل ، الواحدة عقلة : ما يعقل به ، أي يربط به كالقيد ، أو الواحد منها عقال : حبل يشد البعير في وسط ذراعه . النزل : النازلون .
٣ يرمن ، من رام يريم بالمكان : ثبت وأقام .
٤ الربق ، الواحدة ربقة : العروة في الحبل .
٥ أسنمة : اسم لجبال .

مِنْ كُلِّ رِيمٍ هَوَى ألحَاظُ مُقْلَتِهِ   يُمسينَ للعُذْرِ أنصَاراً عَلَى العَذَلِ
حُلِيُّهُ جِيدُهُ لا مَا يُقَلِّدُهُ ،   وَكُحْلُهُ مَا بِعَيْنَيْهِ مِنَ الكَحَلِ
غَادٍ تَلَفَّتَ ، وَالمُشتاقُ يَتْبَعُهُ ،   صَفْحَ الطَّليقِ إلى المَقصُورِ بالطِّوَلِ[1]
أمَا كَفَاهُمْ لَجَاجُ الدَّمْعِ بَعدَهُمُ ،   حتّى استَعانُوا على عَيْنيَّ بالطَّلَلِ
يا قاتَلَ اللهُ رَيعَانَ الشَّبابِ ، وَمَا   خلّى عَلَيَّ مِنَ الأشجانِ وَالغُلَلِ
وَرَفضَةٍ مِنْ سَوَادِ اللّيلِ مُطمِعَةٍ   كَانَ المَشيبُ إلَيها رَائِدَ الأجَلِ[2]
قالُوا : الجِفانُ لوُدِّ البِيضِ مُطمِعةٌ ؛   قد ضَلَّ طالِبُ وُدِّ البِيضِ بالحِيَلِ
إنّي أقُولُ لِمَلاّقٍ رَكَائِبهُ :   مَهّلْ عليكَ فليسَ الرِّزْقُ بالعَجَلِ
لَيسَ المُقَامُ بشَانٍ عَنكَ وَارِدَةً   من الحُظُوظِ ، وَلا الأرْزَاقُ بالرِّحَلِ
أما تَرَى الرِّزْقَ في الأوْطانِ يَطرُقُني   وَلَمْ أُقَلقِلْ أُصَيْحَابي وَلا إبِلي
في كُلِّ يَوْمٍ قِوَامُ الدّينِ يَنضَحُني   بِمَاطِرٍ غَيرِ مَنزُورٍ وَلا وَشَلِ
يَرْوِي ،وَلَمْ يُتَوَقَّعْ صَوْبُ عَارِضِهِ ،   وَلَمْ يُقَدِّمْ بَشيرَ الطّارِقِ العَمِلِ
ظَفِرْتُ بالنّفَلِ المَطلوبِ في وَطَني ،   وَإنّمَا يَرْجِعُ الغَازُونَ بالنَّفَلِ[3]
مِنْ كُلِّ بَيضَاءَ لم تَخطُرْ على خلَدي   مِنَ الأيَادِي وَلَمْ تَبلُغْ إلى أمَلي
ذَرّتْ إليّ ذُرُورَ الشّمسِ طالِعَةً ،   شُرُوقُهَا أبَداً بَاقٍ بِلا أُصُلِ[4]

١ أراد بالمقصور بالطول : المقيد أو المربوط بالحبل .

٢ الرفضة : الشيء القليل .

٣ النفل : الغنيمة .

٤ ذرت : طلعت . الأصل ، الواحد أصيل : الوقت بعد العصر والمغرب .

فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٌ مِنْ صَنَائِعِهِ — إليَّ، لا نَاقَتِي فيهَا وَلا جَمَلِي
يَرُدُّنِي بِقَنِيصٍ مَا نَصَبْتُ لَهُ — عَلَى المَطَامِعِ أشْرَاكاً مِنَ الأمَلِ
وَسَمتَ عقلي وَأرْغَمتَ المَعَاطِسَ فِي — مَنِّ العِدا وَأقَمتَ الصَّفْوَ مِن مَيَلِي
رَفَعتَ نَارِي عَلَى عَلياءَ مُشرِفَةٍ — مِنَ المَعَالي وَأخضَعتَ النَّوَائِبَ لِي
فهَلْ تَرَكتَ لذِي الأوْطارِ مِنْ وَطرٍ — يَسعى لَهُ وَلذي الآمَالِ مِنْ أمَلِ
لمْ يُبقِ طَوْلُكَ فِي جِيدِي مكَانَ حلًى، — وَإنّمَا يُستَعَارُ الحَلْيُ للعَطَلِ
أغْنَتْ مَلابِسُ فَخرٍ أنتَ مُسحِبُهَا — عن رَائعِ الحَلْيِ أوْ عن رَائقِ الحُلَلِ
أنتُمْ لَنَا نَفَسٌ مِنْ كُلِّ كَارِبَةٍ، — وَأنجُمٌ في ظَلامِ الحَادِثِ الجَلَلِ
تَنبُو إذا لمْ تَكُنْ عَنكُمْ ضَرَائِبُنا، — وَالسَّيفُ أقطَعُ شيءٍ في يَدِ البَطَلِ
النّاسُ ما غِبتُمُ سِلكٌ بلا دُرَرٍ، — وَلا نِظامٍ، وَأجفَانٌ بِلا مُقَلِ
مثلُ النّهارِ بلا شَمسٍ تُضِيءُ بِهِ، — أوِ الظّلامِ بِلا بَدْرٍ وَلا شُعَلِ
مِنْ مَعشَرٍ وَرَدُوا العَلياءَ جُمعتَها، — وَسَابَقُوا عَجَلَ الجَارِينَ بالمَهَلِ
لَقُوا الخُطوبَ بلا خَوْفٍ ولا ضَعَفٍ، — وَالرّائعاتِ بِلا مِيلٍ وَلا عزَلِ[1]
طَارُوا بألبَابِ ذُؤبَانٍ مُسَوَّمَةٍ، — رَعَينَ بَينَ مَجالِ البِيضِ وَالأسَلِ
في جَحفَلٍ كَشَحَاءِ البَحرِ مَدَّ بهِ — مُزْجِرٌ يَضرِبُ العِرْنِينَ بالجَفَلِ[2]
مَجَرُّهُ كَمَجَرِّ السّيلِ ذُو لَثَقٍ — من انبعاقِ الدّمِ الجارِي وَذو خَضَلِ[3]

١ لعله أراد بالميل جمع اميل : من يميل على السرج إلى جانب ، والجبان ، وبالعزل : من لا سلاح له.
٢ شحاء البحر : أراد سعته . الجفل : الهزيمة والهرب .
٣ اللثق : الماء والطين المختلطان ، الوحل . الخضل : الابتلال .

يَرْمي بهِ مَلِكُ الأمْلاكِ يُعتِبُهُ   قَطْعُ الدّليلِ بِما يُعمي مِنَ السُّبُلِ [1]
أمَا نهَى النّاسَ عنكُمْ صَوْبُ بارِقةٍ   يَشكُو إلى اليَوْمِ ناحيها مِنَ البَلَلِ
في أرْبَقٍ ،وَسُيُوفُ المَوْتِ مَاضِيَةٌ ،   يُطِعْنَ أمرَكَ في الأعناقِ وَالقُلَلِ [2]
قَصّرْتَ رُمحَكَ طُولاً في صُدورِهِمُ ،   ورُمحُ غَيرِكَ لمْ يَقصُرْ وَلمْ يَطُلِ
طاشَتْ رُؤوسُهُمُ حتّى جَعَلتَ لهمْ   مَناصِياً مِنْ أنابيبِ القَنَا الذُّبُلِ
رَامُوا بذُلّهِمُ إيهَانَ عِزّكُمُ ،   كَمِبرَدِ القَينِ نَحاتاً مِنَ الجَبَلِ
فأينَ رُخمُ الرّقَابِ الغُلْبِ رَافعَةً   دونَ العُلى وَقِرَاعُ الأذرُعِ الفُتُلِ [3]
هَيهاتَ رَدّتْ إلى الأعناقِ كَانِعَةً   أيدٍ قَصُرْنَ عَنِ الأطوَادِ وَالقُلَلِ [4]
كَدَأبِها يَوْمَ يَمٍّ ، وَالقَنَا شَرَعٌ ،   وَالضّرْبُ يُبعِدُ بَينَ العُنقِ وَالكَفَلِ
أسَلْنَ بالدّمِ وَادي كُلِّ غَامِضَةٍ   مِنَ العُيُونِ كَمَاءِ المُزْنِ لمْ يَسِلِ
حتّى رَجَعنَ وَلم يَترُكْنَ فَاغِرَةً   مِنَ العَدُوّ إلى قَوْلٍ وَلا عَمَلِ
جرَى الثّقَافُ عَلى عُوذٍ مُقَلقَلَةٍ ،   ذَوْدَينِ مِنْ أوَدٍ بادٍ وَمنْ خَطَلِ [5]
قَضَى لكَ اللهُ أنْ يَجرِي بِلا أمَدٍ ،   وَأنْ يَدُومَ مَعَ الدّنْيَا بِلا أجَلِ
تَوَقُّلاً في بِنَاءٍ غَيرِ مُنتَقِضٍ   مِنَ المَعَالي ، وَظلٍّ غَيرِ مُنتَقِلِ

١ يعتبه : يرضيه ، ويزيل عتبه .

٢ اربق : اسم قرية برامهرمز .

٣ الرخم ، الواحد أرخم : وهو من الخيل ما كان أبيض وسائره أسود .

٤ كانعة : مشنجة .

٥ العوذ : الحديثة النتاج من الظباء والإبل والخيل . ذودين ، الواحد ذود : القطعة من الجمال . الأود : الاعوجاج . الخطل : الخطأ . والبيت غامض معناه .

مُعطًى عِنَاناً من النُّعمَى فقُدْتَ بهِ تَغَايُرَ الدّهْرِ بالأيّامِ وَالدّوَلِ
وكُلّما جُزْتَ عاماً أوْ بلَغتَ مَدًى رُدَّ الزّمَانُ علَى أيّامِكَ الأُوَلِ

صفحات بيض

يمدح الملك قوام الدين على رسمه في خدمته في النيروز الفارسي الواقع في شعبان سنة ٤٠٢ :

ذكَرْتُ، على بُعدِها مِن مَنالي، مَنَازِلَ بَينَ قَباً وَالمَطَالِ
وَمَبْنَى قِبَابِ بَنِي عَامِرٍ ، علَى الغَوْرِ أطنَابُهُنّ العوَالي
عقَائِلُ علّمَهُنّ العفَا فُ وَصْلَ المطالِ وَمطلَ الوِصَالِ
مَرَابِعُ يَشكُو بِهِنّ الجِراحَ أسودُ الشّرَى من ظِباءِ الرّمالِ
مَضَاحِكُهُنّ عُقُودُ العُقُودِ ، وَأجْيَادُهُنّ لآلي اللآلي
أبَعدَ الأسَى عَادَ عِيدُ الغَرَا مِ ،وَقَرْفٌ منَالشّوْقِ بعدَ اندمالِ
هَوَى بَينَ مُقتَصٍّ إثْرِ الغَزَا لِ وَلّى،وَمُنتَصِّ جيدِ الغزَالِ[1]
وَمَا طَلَبُ البَذْلِ مِن بَاخِلٍ بِمَيسُورِهِ ، غَيرُ داءٍ عُضَالِ
وَمَا زَالَ يَلْوِي دُيُونَ الهَوَى، وَيُوئِسُنَا مِنْ قَليلِ النّوَالِ

١ المنتص ، من انتص : ارتفع .

إلى أنْ قَنِعْنَا بِزَوْرِ المَـزَا ... رِ، بَعدَ النّوَى، وَخَيَالِ الخيالِ
إلَيكَ ، فَقَدْ قَلَصَتْ شِرّتي، ... بُعيدَ البَيَاضِ ،قُلوصَ الظّلالِ[1]
وَبُدّلْتُ مِمّا يَرُوقُ الحِسَا ... نَ مِن مَنظَرٍ ما يَرُوعُ العَوَالي
سَوَادٌ يُعَجّلُ زَوْرَ البَيَاضِ ، ... عُلُوقَ الضّرَامِ بِرَأسِ الذّبَالِ
وَمَرّ عَلى الرّأسِ مَرَّ الغَمَامِ ، ... قَليلَ المُقَامِ سَرِيعَ الزِّيَالِ
فلَيسَ الصِّبَا اليَوْمَ مِنْ أُرْبَتي ، ... وَلا ذلكَ البَالُ ، يا عَزّ ، بَالي[2]
حَلَفتُ بِهِنّ دَوَامي الفِجَاجِ ... إلى الحَوْفِ يَطلُبنَهُ مِنْ ألالِ[3]
خِمَاصاً تُسَاوِكُ بالمُجرِمِينَ ... بعُقْلِ الوَجَا وَقُيُودِ الكَلالِ[4]
يُماطِلنَ بالوَخدِ عندَ الجِذابِ، ... كَأنّ الزّمَامَ مَكَانَ العِقَالِ
أُطِرْنَ مِنَ الأينِ حَتّى بُرِيـ ... نَ، أطرَ القِسِيّ وَبَرْيَ النّبَالِ[5]
لَقَدْ رَبّنَا مِنْ غيَاثِ الأنَامِ ... مُقِيمُ الصَّغَا وَدَليلُ الضّلالِ[6]
حَمُولٌ نَهُوضٌ بأعبَائِهَا ، ... إذا البُزْلُ جَرْجَرْنَ تحتَ الرّحالِ[7]

١ قلصت : انقبضت . الشرة : الحدة ، والنشاط .

٢ عز مرخم عزة : اسم امرأة .

٣ الألال : الأمان ، ولعله جمع ألة : وهي الحرب ، والسلاح .

٤ تساوك : تسير سيراً ضعيفاً .

٥ أطرن : انحنين ، وانعطفن .

٦ ربنا : جمعنا . الصغا : الميل .

٧ البزل ، الواحد بازل : الجمل الذي طلع نابه . جرجرن من الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته .

فتًى في النّدى أخرَقُ الرّاحتَينِ، صَنَاعُهُمَا في بِنَاءِ المَعَالي[1]
إذا ما علَقتَ بهِ في الخُطُوبِ زَحَمتَ بكَلكَلِ عَوْدٍ جُلالِ
عرَفنَا بِكَ اليَوْمَ علَيْنَا أبِيـ ـكَ ، والفَحلُ تَعرِفُهُ بالسِّخَالِ[2]
هُوَ الغَيثُ أقْلَعَ مُستَخلِفاً عَلَيْنَا وَقيعَةَ ماءٍ زُلالِ
لَئِنْ كُنتَ تاليهِ في ذا الجَلالِ ، فإنّكَ قُدّامَهُ في الكَمَالِ
وَلَوْلا الحَيَاءُ لجَاوَرْتَهُ ، وَرُبَّ أخيرٍ أمَامَ الأوّالي
مُقيمٌ بِحَيٍّ على فَارِسٍ ، رِقَاقِ البُرُودِ رِقَاقِ النِّعَالِ
أبَوْا أنْ يُخلّوا بِنَارِ القِرَى ، وَلَوْ وَقَدُوا نَارَهُمْ بالعَوَالي
يَدُلُّ الضّيُوفَ عَلى دارِهِمْ سَنَا المجدِ أوْ طيبُ عَرْفِ الخِلالِ
بِنَارِ المَقَارِي وَنَقْعِ الغُبَارِ ، تَشَابَهُ أيّامُهُمْ وَاللّيَالي
لَقَدْ نَطَحَ الجَدُّ أعداءَهُمْ برَأسٍ جَمُوحٍ وَرَوْقٍ طُوَالِ[3]
لهُمْ صَفَحاتٌ كَبِيضِ الصّفيحِ ، حَلاهنّ عن جَوْهرِ المَجدِ حالِ[4]
وَأيْدٍ سِجَاحٍ كِرَامٍ مَعاً ، بمَجدٍ مَصُونٍ وَمَالٍ مُذالِ[5]
إذا افتَخَرُوا ضَعضَعُوا الفَاخِريـ ـنَ ، خَطْمَ القُرُومِ رِقابَ الإفالِ[6]

١ الأخرق : المتوسع بالسخاء . الصناع : الحاذق .
٢ السخال ، الواحدة سخلة : ولد الشاة .
٣ الروق : القرن . الطوال : الطويل .
٤ حلاهن : زينهن .
٥ السجاح : الحسان المعتدلة ، اللينة . المذال : المبتذل بالانفاق .
٦ الخطم : أن يجعل حبل في عنق البعير ويثنى في خطمه ، أي أنفه . الافال ، الواحد أفيل : ابن المخاض ، والفصيل .

وَجاؤوا بِأصْلٍ مِنَ الدَّيلمينَ أرْمَى عُلّى من أُصُولِ الجِبَالِ

أقُولُ لِسَاعٍ عَلى إثْرِهِمْ ، يُطَالِبُ شَأواً بَعِيدَ المَنَالِ

حَذَارِ ، فإنّ عَلى الجَلهَتَينِ هموسَ الدُّجى مُرْصِداً للرِّعالِ [1]

لَهُ هامَةٌ كَرَحَى الطّاحِنَاتِ، تَدُورُ عَلى لُبْدَةٍ كَالثِّفَالِ [2]

يَنُوءُ تَحَامُلَ ذي رَيْثَةٍ ، وَيَقعُدُ إقعَاءَ غَرْثانَ صَالِ [3]

وَمَا زَالَ سَاعِدُهُ وَاللَّبَانُ عَلى جزَرٍ مِنْ لحُومِ الرِّجَالِ

كَسُوبٌ ، إذا مَا اكتَفَى بالقَنيصِ لمْ يَدّخِرْ مَطعَماً للعِيَالِ

ألمْ يَنهَكُمْ رَشُّ شُؤبُوبِهِ بِوَابِلِ ذي بَرَدٍ وَانْسِجَالِ

وَيَحميكُمُ عَنْ وُرُودِ الحِمَامِ تَخَمُّطُ قَرْمٍ قَديمِ الصِّيَالِ [4]

وَقَوْدُ الجِيَادِ عَلى أنّهَا تَصَاهَلُ تحتَ القَنِيّ الطِّوَالِ

تُوَقَّعُ يَوْمَ الوَغَى بالنّجيعِ ، وَتُنعَلُ بَينَ القَنَا بالقِلالِ

سَبَقْنَ العَجَاجَةَ يَحْمِلنَهَا، أرَاقِمُ لامِظَةٌ للنّزَالِ [5]

عَلَيهِنّ كُلُّ ابنِ أُمّ الطّعَانِ رَبيُّ القَنَا، أوْ رَبيبِ النّصَالِ

إذا رِيعَ شَمّرَ للمُحفِظَاتِ ، وَجَرّ ذُيُولَ الحَديدِ المُذالِ

١ الجلهة من الوادي : حافته وجهته التي أمامك . الهموس : السيار في الليل، الأسد الخفيف الوطء ، الأسد الكسار لفريسته . الرعال ، الواحدة رعلة : القطعة من الخيل .

٢ الهامة : الرأس . اللبدة : الشعر المتلبد على كتفي الأسد . الثفال : الحجر الأسفل من الرحى .

٣ ينوء : ينهض بجهد ومشقة . الريثة : البطء . الإقعاء : جلوس الرجل متساندا . الغرثان : الجائع . الصالي ، من صلي النار : قاسى حرها .

٤ التخمط : الفوران غضباً .

٥ العجاجة : الإبل الكثيرة العظيمة ، وغبار الحرب .

نَضَحنَ مِنَ الشَّدِّ نَضْحَ المَزَادِ ، ثُمَّ انطَلَقْنَ انطِلاقَ العَزَالي[1]
يُخَلْنَ ، إذا بَلَّهُنَّ الحَمِيمُ ، عِقبَانَ يَوْمِ نَدًى أوْ طِلالِ[2]
تَرَى كُلَّ مُشْتَرِفٍ للعَوَارِ ضَليعِ الأضَالعِ سَامي القَذَالِ[3]
يَفُوتُ مُقَلَّدُهُ وَالعِذارُ مَرْمَى يدِ الشَّيظَميِّ الطُّوالِ[4]
كَأنَّ الطَّرِيدَ إلى ظُلَّةٍ ، يَمُدُّ بِعَلْوِ لِفَاتَ الجِبالِ[5]
يَنالُ المَدَى قَبلَ رَشحِ العِذارِ ، وَمَا سَوْطُ فارِسِهِ غَيرَ هَالِ[6]
إذا حَرَّكَتْهُ عُرُوقُ السِّبَاقِ بَيْنَ الحِضَارِ وَبَيْنَ الثِّقَالِ[7]
مَضَى يَشِبُ الدَّوَّ وَثبَ التَّمَامِ ، وَيَنضُو المَقاديمَ نَضْوَ التَّوَالي[8]
مَدَدْتُمْ بِبَاعي بَعْدَ القُصُورِ ، وَأَلحَقتُمُ عَطَلي بِالحَوَالي
وَأَطْلَعتُمُونيَ فَوْقَ الرِّجَاءِ ، بَعيداً ، وَفَوْقَ مَنَالِ اللَّيَالي
وَأَطلَقتُمُ الحَدَّ مِنْ مَضْرَبي ، وَحَادَثْتُمُ قائِمي بالصِّقَالِ
وَأحْذَيتُمُ قَدَمي حَذْوَةً مِنَ المَجدِ غيرَ جَذيمِ القِبالِ[9]
رَمَى اللهُ دَوْلَتَكُمْ بالثَّباتِ ، إذا مَا رَمَى غَيرَهَا بالزَّوَالِ

١ العزالي ، الواحدة عزلاء : مصب المياه .
٢ الحميم : معظم الماء .
٣ المشترف : المنتصب . العوار : العيب . القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
٤ الشيظمي : الطويل الجسيم .
٥ اللفات ، الواحد لفت : شق الشيء ، وجانبه .
٦ هال : زجر للخيل .
٧ الحضار : جودة العدو . الثقال : البطء .
٨ التمام : ما يتم به الشيء . ينضو : يتقدم . التوالي : التوابع من الخيل .
٩ الجذيم : المقطوع . القبال : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

وَأسحَبَكُمْ صَافِنَاتِ العَلاءِ ، جَرَّ الشُّمُوسِ طِرَاقَ الجِلالِ
جرَيتُمْ على الدّهرِ جَرْيَ الثّقافِ رَأْبَ اللَّثَى وَقِيَامَ المُمَالِ[1]
زَمَانُ عُلًى كَزَمَانِ الشّبَابِ غَضٌّ الجَنَى ، أوْ زَمانِ الوِصَالِ
لَيَاليهِ صُبْحٌ مِنَ المُغبِطاتِ، وَأيّامُهُ مِنْ سُكُونٍ لَيَالي

سيوف إباء في كفوف ابية

قال يمدح أباه ويهنئه بعيد الأضحى
سنة ٣٧٨ ولم ينشده إياها :

رِدِي ، يا جِيادي ، وَأذِني برَحيلِ ، سَتَرْعَيْنَ أرْضَ الحيّ بَعدَ قَليلِ
ألا إنّ في قَلبي إلى المَجدِ طَرْبَةً ، وَعِنْدَ القَنَا يَوْماً شِفَاءُ غَليلي
إذا مَا اتّخَذْتُ اللّيلَ دِرْعاً حصِينَةً فأهْوِنْ بِخَطْبٍ للزّمَانِ جَليلِ
عَلَيّ دِمَاءُ البُدْنِ إنْ لمْ أُثِرْ بِهَا رَعيلاً يَشُقّ الأرْضَ بعدَ رَعيلِ
فَآخُذَ حَقّي أوْ يَثُورَ غُبَارُهَا ، مِنَ القَاعِ ، عَنْ أرْضٍ بشَرّ مَقيلِ
وَمَا حاجَتي إلاّ المَعالي ، وَقَلّمَا يَضيعُ رَجَائي ، وَالطّعَانُ رَسُولي
وَإنّي لَتَرّاكُ البِلادِ ، إذا نَبَتْ عليّ ، وَمَا ذُو نَجْدَةٍ بِذَليلِ

١ اللثى : ماء يسيل من شجر السمر كالصمغ ، ولثي الثوب : وسخه .

وَإنّي مُعِيرٌ سَاعِدِي مَنْ أرَادَهُ ، بِأبيَضَ طَاغي الشّفرَتَينِ صَقيلِ
إلى المَجدِ دُونَ الرَّبعِ رَمّتْ عزَائمي ، وَبالعِزّ دُونَ الغِيدِ بَانَ نُحُولي[1]
أسُومُ الهَوَى نَفساً عزُوفاً عَنِ الهوَى ، وَقَلْباً لِضَيمِ الحُبّ غَيرَ قَبُولِ
وَأمنَعُ وُدّي النّاسَ إلاّ أقَلَّهُ ، لآمَنَ مِنْ طَاغٍ عَلَيّ صَؤُولِ
وَأعدُوَ مِنْ عَقْلي خَبيئاً أصُونُهُ ، وَأفْدي كَثيري مِنهُمُ بِقَليلِ
وَأحطِمَ سِرّي في الضّلُوعِ مَخافَةً ، ألَمْ يَأنِ يَوْماً أنْ أُذِيعَ دَخيلي
نَدِيمي عَلى شُرْبِ الهُمُومِ مُهَنّدٌ ، إذا شَاءَ أصْغَى الهَمَّ دُونَ مَقيلي[2]
وَإنّيَ آبَى أنْ أذُلّ وَفي يَدِي عِنَاني ، وَلَمْ يُقْطَعْ عَلَيّ سَبيلي
وَكُلُّ دَمٍ عِنْدِي ، إذا مَا حَمَلْتُه ، وَإنْ أثقَلَ الأقْوَامَ ، غَيرُ ثَقيلِ
وَإنّ طَرِيقي بالمَنَاسِمِ فاضِحي ، إذا لَمْ تَسِرْ فيهِ الصَّبَا بذُيُولِ[3]
وَكَمْ مِنْ حَبيبٍ قَدْ سَقَاني فِرَاقُهُ وَغَالَطْتُ عَنْهُ القَلْبَ غَيرَ مَلُولِ
وَقَدْ نَمنَمَ الوَسميُّ بَيْني وَبَيْنَهُ ، وَوَالَى بِمُغْبَرّ الرَّبَابِ هَطُولِ[4]
وَإنّ طِرَادَ النّفسِ عَمّا تَرُومُهُ أشَدُّ عَنَاءً مِنْ طِرَادِ قَتيلِ
يُرَجّي عُداتي كُلّ يَوْمٍ ، وَيُتّقَى شَذاتي ، وَبَعضِي في الجِدالِ لَقيلي[5]

١ رمت : بليت . نحولي : هزالي .
٢ أصغى : أمال .
٣ المناسم ، الواحد منسم : الطريق .
٤ نمنم : نقش ، وزخرف ، وترك أثراً في التراب . الوسمي : أول مطر الربيع . الرباب : السحاب الأبيض . الهطول : الغزير المطر .
٥ الشذاة : بقية القوة . القيل : القول .

يَقَرُّ بِعَيْني أنْ أرُوحَ مُحَسَّداً ، الحُسّادُ غَيرَ نَبيلِ
وَما صَافَحتْ يَوْماً يَدي يَدَ غَادِرٍ ، وَلا ضَاقَ خُلقي عَنْ مُقامِ نَزِيلِ
وَأوّلُ لُؤمِ المَرْءِ لُؤمُ أُصُولِهِ ، وَأوّلُ غَدْرِ المَرْءِ غَدْرُ خَليلِ
عَذُولي مَنْ أوْطَا قَرَا العَجزِ مَرْكَباً ، وَلَكِنْ ظَهرَ العَزْمِ غَيرُ ذَلُولِ[1]
نَسيمٌ مِنَ الدّنْيَا يَطيبُ لِنَاشِقٍ ، وَأيُّ أوَامٍ بَعدَه وَغَليلِ
تَفيءُ اللّيَالي فيئَةَ الظّلّ للفَتَى ، بِنُعمَى ، وَمَا إنْعَامُهَا بِجَزِيلِ
تَداعَتْ لِيَ الأيّامُ حتّى رَمَيْنَني بِمَا كُنتُ أخشَى مِنْ لِقَاءِ بَخيلِ
وَلا بُدّ لي أنْ أغسِلَ العَارَ بَعْدَهُ ، وَيَا رُبّ عَارٍ دامَ غَيرَ غَسيلِ
يَظُنّ الفَتَى أنّ التّطَاوُلَ دائِمٌ ، وَكُلّ صُعُودٍ مُعقَبٌ بنُزُولِ
أأرْجُو ذُبَابَ السّيفِ ثمّ أخَافُهُ ، وَأرْضَى بسُخطِ المَجدِ قَوْلَ عَذولِ
وَبالضّرْبِ ما نَالَ ابنُ مُوسَى مُرَادَهُ ، وَحَلّ ذُرَى العَلْيَاءِ أيَّ حُلُولِ
فَتًى سَوّمَ الآرَاءَ مُبرَمَةَ القُوَى ، وَلا رَأيَ إلاّ الرّأيُ غَيرَ سَحيلِ[2]
تَعَلّمَ مِنْ آبَائِهِ وَثَبَاتِهِمْ عَلى المَجدِ مِنْ عَليَا قَناً وَنُصُولِ
وَمَا ضَرّهُ لَوْ كَانَ كُلُّ قَبيلَةٍ تُطَالِبُهُ يَوْمَ الوَغَى بِذُحُولِ
وَقَدْ عَلِمَ الأعداءُ أنْ لا يَرُدّهُمْ بِغَيرِ زَفيرٍ خَانِقٍ وَعَويلِ
إذا طَرَقَ الخَطْبُ البَهيمُ عِيَالَهُ ، وَقَدْ مالَ عُنقُ الرّأيِ كُلَّ مَميلِ
عَزِيمَةُ لاوٍ مُسْتَبِدٍّ بِرَأيِهِ ، وَعَقْلُ امرِىءٍ لمْ يَستَعِنْ بِعُقُولِ

[1] أوطا : وطأ ، مهد . القرا : الظهر .
[2] السحيل : ما لم يبرم غزله .

جَرُور عَلى مَرّ الحَدائِـعِ ذَيْلَهُ ، وَأعظَمُ مَا يُعطي بغَيرِ سَؤُولِ
وَيَا رُبّ طَاغٍ مِنْ أعَاديهِ طامحٍ أذالَ اللّيَالي مِنْهُ أيّ مُذِيلِ
أطَالَ عِنَانَ الأمْنِ حتّى أظَلّهُ بِأغْبَرَ طَامٍ مِنْ قَنًا وَخيُـولِ
وَكَمْ رَحِيمٍ أطّتْ بهِ وَهوَ مُغضَبٌ فَعادَ إلى الإحسَانِ غَيرَ مَطُولِ[1]
إذا بَعُدَ الأعداءُ عَنْ سَطَوَاتِهِ ، فَلا يَأمَنُوا مِنْ بالِـغٍ وَوَصُولِ
كَأنّي بِهَا بَزْلاءَ قَدْ صَبّحَتْهُمُ سَميطَ الذّنَابَى غَيرَ ذاتِ حُجولِ[2]
مُذَكَّرَةٍ لا تَصْدِمُ القَوْمَ صَدْمَةً فَتُقْلِـعَ إلاّ عَنْ دَمٍ وَقَتِيلِ
نَذارِ لَكُمْ مِنْ كَيدِهِ ، إنّ قَلْبَهُ ضَمُومٌ عَلى الأسرَارِ غَيرُ مُذِيلِ
وَرَجرَاجَةٍ تَلتَفّ أيْدي جِيَادِهَا ، وَأيّ ضَجَاجٍ مِنْ وَغًى وَصَهِيلِ[3]
وَجُرْدٍ تَمَطّى في الأعِنّةِ شُزَّبٍ ، كَأنّ حَوَامِيهَا رِقَابُ وُعُـولِ[4]
ضَوَامِرَ مِن طُولِ الوَجيفِ كَأنّهَا ذَوَائِبُ نَبْتٍ طَامَنَتْ لذُبُولِ
تَدافَعْنَ في شَعوَاءَ لا الطّوْدُ عندَها بعَالٍ ، وَلا جِلْدُ الرُّبَى بحَمُولِ[5]
رَعَيْنَ بِهَا شُولَ الرّمَاحِ كَأنّهَا غَداةَ الوَغَى في بارِضٍ وَجَلِيلِ[6]

١ أطت : حنت . المطول : المماطل .

٢ البزلاء : الداهية العظيمة . السميط : المسموطة . الحجول ، الواحد حجل : القيد ، الخلخال .

٣ الرجراجة : الكتيبة التي تضطرب في سيرها لكثرتها .

٤ الشزب : المضمرة . الحوامي : ميامن الحافر ومياسره .

٥ الشعواء : الغارة المتفرقة . جلد الربى : أراد أرض الربى .

٦ البارض : أول ما تخرج الأرض من النبت . الجليل : يطلق على الثمام وهو ضرب من النبات .

وَكَمْ خاضَ تأمُورَ الظّلامِ بفتيَةٍ ،   يَرَوْنَ وُعُورَ اللّيلِ مثلَ سُهُولِ[1]

تَنُوشُ أنَابيبُ الرِّمَاحِ وَرَاءَهُمْ   كَأُسْدٍ تُمَاشِيها جَوَانِبُ غِيلِ

سيُوفُ إبَاءٍ في أكُفِّ أبِيّةٍ ،   وَكُلٌّ طَوِيلٍ في يَمِينِ طَوِيلِ

تُغَامِرُ بالآرَاءِ قَبْلَ جُيُوشِهِ ،   وَبِيضُ الظُّبَى بِيضٌ بغَيرِ فُلُولِ

فإنْ غَنِمَ الجَيشُ المُغيرُ وَرَاءَهُ ،   فَمَا غُنمُهُ في الحَرْبِ غَيرَ غُلُولِ

لكَ اللهُ هَذا العيدُ يَحدُو طَليعَةً   كَغَائِبِ عِزٍّ مُؤذِنٍ بقُفُولِ

وَلَوْ لمْ يَكُنْ في عيدِنَا غَيرَ أنّهُ   دَليلٌ عَلى السّرّاءِ أيُّ دَليلِ

وَمَا زَاحَمَ الأيّامَ إلاّ تَطَلُّعاً ،   إلَيكَ ، بيَوْمٍ في العُيُونِ جَميلِ

وَمَدَّ سَمَاءً مِنْ عَلائِكَ مِلْؤهَا   نُجُومٌ مِنَ الإقبَالِ غَيرُ أُفُولِ

فَنَلْ ما أنَالَ الدّهرُ سَعداً وَغِبطَةً ،   فَرُبَّ زَمَانٍ حَلّ غَيرِ مُنيلِ

بَقيتَ اللّيَالي مَا سلَبنَ ، وَهَلْ فتًى   يُطالِبُ أمراً إنْ مَضَى بكَفيلِ

بَقيتَ ، وَأفنَيتَ الأعَادي ، فإنّهُ   شِفَاءُ جَوًى بَينَ الضّلُوعِ دَخيلِ

وَهَوّنَ تَقديمَ العَدُوّ بِغُصّةٍ ،   وَلُوجُ الرّدَى في أُسرَتي وَقَبيلي

وَلي في عَدُوّي إنْ مشَى المَوْتُ نحوَهُ   عَزَاءٌ إذا أوْدَى الرّدَى بِخَليلِ

عَلى أنّهُ مَا أخطَأتْني مَنيّةٌ ،   إذا هيَ غَالَتْ مَنْ أوَدُّ بِغُولِ

وَلي غَرَضٌ أنْ لا تزَالَ قَصيدَةٌ   تُجَمجِمُ يَوْماً عَن مُنايَ وَسُولي

كَلامٌ كَنَظمِ الدُّرّ غَيرُ مُنَاهَبٍ ،   وَقَوْلٌ كَصَدْرِ العَضْبِ غَيرُ مَقولِ

وَلَستُ بِداعٍ بَعْدَ هَذِهِ فَوْقَهَا ،   وَلا مِثْلَهَا مِنْ مُوجِزٍ وَمُطيلِ

١ تأمور الظلام : قلبه

صداقة السفهاء داء معضل

قال يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الفطر وأنشده إياها في يومه ويذكر فيها السيرة التي عملها جامعة لذكر مناقب أبيه وأيامه سنة ٣٧٩ :

ما ابيَضّ من لَوْنِ العَوَارِضِ أفضَلُ ، وَهَوَى الفتى ذاكَ البَياضُ الأوّلُ
مِثْلانِ : ذا حَرْبُ المَلامِ وَذا لَهُ سَبَبٌ يُعَاوِنُ مَنْ يَلُومُ وَيَعذُلُ
أرْنُو إلى يَقَقِ المَشيبِ، فَلا أرَى إلاّ قَوَاضِبَ للرّقَابِ تُسَلَّلُ
وَاللِّمّةُ البَيْضَاءُ أهْوَنُ حَادِثٍ في الدّهرِ لَوْ أنّ الرّدَى لا يَعجِلُ
وَلَقَدْ حَمَلتُ شَبَابَهَا وَمَشيبَها ، فإذا المَشيبُ عَلى الذّوَائِبِ أثْقَلُ
إنّي غُرِرْتُ مِنَ الهَوَى ، فشَرِبتُهُ ، لمْ أدْرِ أنّ عَقيبَ شُرْبيَ حَنظَلُ
وَعَلِمْتُ أنّ وَرَايَ أطْوَلَ سَكرَةٍ مِمّا أُعَلّ مِنَ الغرَامِ وَأُنْهَلُ
عَجَباً لِمَنْ يَلقَى الهوَى بفُؤادِهِ ، عَجلانَ ، وَهوَ مِنَ التّجَلّدِ أعزَلُ
إنْ لا يُعَرِّضْ للذّوَابِلِ قَلْبَهُ ، إنّ الطّعَانَ مِنَ البَلابِلِ أسهَلُ[1]
الآنَ جَلّلَني الوَقَارُ رِداءَهُ ، وَانجَابَ عَن عَينيّ ذاكَ الغَيطَلُ[2]
وَنَزَعْتُ وَجْداً كَانَ يَشمَخُ كُلّما أغرَى المَلامُ بِهِ وَلَجّ العُذّلُ
أنَا مَن عَلِمتَ وَلَيسَ يُطفىء سطوَتي غُلَوَاءُ مَنْ يَطْغَى إليّ وَيَجْهَلُ

١ البلابل : الهموم والوساوس .
٢ الغيطل من الضحى : حيث تكون الشمس من مشرقها كهيئتها من مغربها .

يُغضِي العَدُوُّ ، إذا طَلَعتُ ، وَقَلبُهُ يَغلي عَلَيهِ مِنَ الضّغائِنِ مِرْجَلُ
وَيُزِيغُني عَمّا أُجِنُّ مُخاتِلاً ، وَالأوْرَقُ العادِيُّ لا يَتَزَلزَلُ[1]
أجلُو عَلَيهِ ناجِذِي ، وَلَوِ اجتَلَى مَا بَينَ أضْلاعي لَبَاتَ يُقَلْقِلُ
فَعَلامَ أزْجَرُ بالوَعيدِ وَأجتَري ، وَإلامَ أطْلُبُ بالدّخُولِ وَأمْطَلُ
مَا لي قَنِعتُ كَأنّ لَيسَ مُهَنّدي بِيَدي ، وَلا جَدّي النّبيُّ المُرْسَلُ
فَلآخُذَنّ مِنَ الزّمانِ ، غُلُبّةً ، حَقّي ، وَأمنَعُ مَا أشَاءُ وَأبْذُلُ
وَلأدْخُلَنّ عَلى النّساءِ خُدُورَهَا وَاليَوْمُ لَيْلٌ بالعَجاجَةِ ألْيَلُ
مُتَضَايِقٌ يَدْعُو القَريبَ ضَجَاجُهُ أبَداً ، وَيَلمَعُ بالبَعيدِ القَسطَلُ
وَعَليّ أنْ يَطَأ العِرَاقَ وَأهلَهَا ، يَوْمٌ أغَرُّ مِنَ الدّمَاءِ مُحَجَّلُ
يَوْمٌ تَزِلُّ بِهِ القُلُوبُ مِنَ الرّدَى جَزَعاً ، وَأحرَى أنْ تَزِلّ الأرْجُلُ
وَعَجاجَةٍ تَلقَى السّمَاءَ بِمِثلِها عِظَماً ، كَمَا مَدّ الغَمَامُ المُثْقَلُ
لَوْ شَامَ مُوسَى كَفّهُ في لَيلِهَا ، خَفيَ البَياضُ عَلى الذي يَتَأمّلُ
طَلَبَ العُلَى، وَالجَدُّ فيهِ مِنَ العُلى، وَإلى المَرَامِ نَأى وَطَالَ تَغَلغُلُ
فاعزِمْ ، فلَيسَ عَلَيكَ إلاّ عَزْمَةٌ، وَالعَجزُ عُنْوَانٌ لِمَنْ يَتَوَكّلُ
أوْ حَمّلِ اللّوْمَ القَضَاءَ ، فَإنّهُ عَوْدٌ لأثْقَالِ المَلامِ مُذَلَّلُ
وَيُجيرُ مِنْ عَوْرَاءِ هَمّكَ سَابِحٌ، أوْ صَارِمٌ ، أوْ ذابِلٌ ، أوْ مِقْوَلُ
لا تُحدِثَنْ طَمَعاً وَجَدُّكَ مُدبِرٌ ، وَاطلُبْ مَدى الدّنيا وَجَدُّكَ مُقبِلُ

[1] يزيغني : يميلني .

وَاعقِلْ رَجَاءَكَ بالحُسَيْنِ ، فإنّهُ حَرَمٌ يُذِمُ مِنَ الزّمَانِ وَمَعقِلُ[1]
جَذْلانَ تَقطُرُ نِعمَةً أيَامُهُ ، للطّالِبِينَ ، فَرَاغِبٌ وَمُؤمِّلُ
مَاضِي المَقَالِ يَكَادُ مِنْ تَطبيقِهِ، يَوْمَ الجِدالِ ، يَبِينُ مِنهُ المَفصِلُ
غَيرِ المُعَاجِلِ بالعِقابِ ، إذا هَفَا جُرْمٌ ، وَيَسبُقُ بالعَطَاءِ وَيَعجَلُ
ضِرْغَامِ هَيْجَاءٍ كَفَاهُ بأنّهُ عِنْدَ القَوَاضِبِ وَالقَنا بي مُشبِلُ
نَستَعطِفُ الأمرَ المُوَلّي باسمِهِ فيَعُودُ، أوْ نَدْعُو العَلاءَ فيُقبِلُ
وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ مَلأتَ فُرُوجَهُ خَيْلاً ، تَدَرّعُ بالغُبَارِ وَتَرْقُلُ
وَفَوَارِساً يَتَزَاحَمُونَ عَلى الرّدى نَهْلاً ، وَقَدْ عزّ البَرُودُ السّلْسَلُ
مِنْ كُلّ أرْوَعَ مَاجِدٍ في كَفّهِ قَلَقٌ هَتُوفٌ بالمَنُونِ وَمُعْوِلُ
ضَرْباً كَأشداقِ الهِجَانِ رَوَاغياً ، وَوَغًى كمَا اضْطَرَمَ الأبَاءُ المُشعَلُ[2]
وَعُيُونَ طَعْنٍ كَالعُيُونِ يَمُدُّها مَاءٌ مَذانِبُهُ العُرُوقُ الذُّبّلُ
مِنْ كُلّ شَوْهاءَ الضّلوعِ مُثِيرُها مُتَعَوِّذٌ ، وَالنّاظِرُ المُتَأمِّلُ
شَهّاقَةٍ تَدِقُ النّجيعَ ، وَتَنطَوِي فيهَا المَسائِلُ أوْ تَضَلُّ الأُنْمُلُ[3]
يَنْزُو لهَا عَلَقٌ تُمَطّقَ خَلْفَهُ ، أوْ عَانِدٌ يَلْقَى النّوَاظِرَ شَلْشَلُ[4]
وَلَدَيْكَ إنْ طَمَحَ العَدُوُّ صَوَارِمٌ تُدْمي عَرَانِينَ العِدا وَتُذَلّلُ

....

١ يذم : يعطي الذمام ، يجير . المعقل : الملجأ ، الموئل .

٢ الاباء : القصب .

٣ تدق : تقطر . النجيع : الدم .

٤ العلق : الدم . التمطق : التذوق . العاند : العرق الذي لا يرقأ دمه . الشلشل : المتتابع القطر .

كالنّارِ مَا يَسألْنَ غيرَ ضَرِيبَةٍ ، وَالسّيفُ أعلى مَنْ يَجُودُ وَيُسألُ
يُستَبهَمُ الأمرُ الفَظيعُ ، فَلا تَرَى إلاّ القَوَاضِبَ مَطْلَعاً يُتَقَبّلُ
مَا بَينَ مَنْ يَخشَى المَنيّةَ ، وَالذي يَصْلَى بهَا في العُمرِ ، إلاّ مَنزِلُ
لا تَنْظُرِ البَاغي لقُرْبَى ، وَارْمِهِ بالذّلّ ، وَاقطَعْ مَا عَلَيهِ يُعَوَّلُ
هذا الأمينُ أدالَ مِنهُ شَقيقُهُ ، وَمَضَى عَقِيراً بابنِهِ المُتَوَكّلُ
وَالعَفْوُ مَكْرُمَةٌ ، فإنْ أغرَى بِهَا مُتَغَافِلٌ قَالَ الرّجَالُ : مُغَفَّلُ
وَلَقَدْ حضَرْتُ،وَأنتَ غائبُ نكبَةٍ ، فَخَلاكَ مَا قَالَ العِدا ، وَتَقَوّلُوا
لا يَغْرُرَنّكَ أنّهُمْ بسِهَامِهِمْ أشوَوْا ، وَمَا بَلَغُوا مَدَى ما أمّلُوا[1]
هَيهَاتَ لَمْ يَرْمِ العَدُوُّ بسَهمِهِ ، وَإنِ انزَوَى ، إلاّ ليَدْمَى المَقتَلُ
وَأنَا المُضَارِبُ عَنْ عُلاكَ بمِقوَلٍ ماضِي الغِرَارِ، وَلا الجُرَازُ المِصْقَلُ[2]
يُدمي الجَوَارحَ وَهوَ ساكنُ غِمدِهِ ، وَلَقَلّمَا يَمْضِي بغِمْدٍ مُنصُلُ
هَيهَاتَ يَلحَقُ بالصّميمِ مُدَرَّعٌ ، أبَداً ، وَيُزْرِي بالبِحَارِ الجَدْوَلُ
مَا صَارِمٌ كَدِرُ الذُّبَابِ كَصَارِمٍ خَلَعَ الجَلاءَ عَلى ظُبَاهُ الصّيْقَلُ
وَسَمَاؤنَا الظّلْمَاءُ يكتمُ شَخصَهَا أنّى أضَاءَ العَارِضُ المُتَهَلّلُ
لَيسَ التّفَرّدُ بِالعَلاءِ طَمَاعَةً ، إنّ العُلَى دَرَجٌ لِمَنْ يَتَوَقّلُ
نَظْمٌ وَنَثْرٌ قَدْ طَمَحْتُ إلَيهما صُعُداً ، وَيَعْنُو للأخيرِ الأوّلُ
وَحَدِيثُ فَضْلي ضَارِبٌ بعُرُوقِهِ في الأرْضِ يَنقُلُهُ المَطيُّ البُزّلُ

١ اشووا : أصابوا ، ولم يقتلوا .
٢ الغرار : الحد . الجراز : السيف . المصقل من الخطباء : البليغ . ولعله أراد هنا السيف الصقيل .

لَوْلاكَ مَا سَمَحَتْ بقَوْلٍ مِمسي   قَدْرِي أجَلُّ من القَرِيضِ وَأفضَلُ
هَذا ، وَفي بَعضِ الذي امتلأتْ بِهِ   عَنّي البِلادُ لَقَائِلٌ مُتَعَلِّلُ
لمّا نَظَرْتُ إلى عُلاكَ غَرِيبَةً ،   وَمُضَيَّعٌ رَاعي المَنَاقِبِ مُهْمَلُ
أحرَزْتُهَا مُتَوَغّلاً غَايَاتِهَا ،   وَالمَجْدُ مِلْءُ يَدِ الذي يَتَوَغّلُ
في سِيرَةٍ غَرّاءَ تُستَضْوَى بِها الـ   ـدُّنْيَا ، وَيَلبَسُها الزّمَانُ الأطْوَلُ
مُلِئَتْ بِفَضْلِكَ ، فالوَليُّ مُكَثِّرٌ   مَا شَاعَ عَنْهَا ، وَالعَدُوُّ مُقَلِّلُ
يَفْتَنُّ فيهَا القَائِلُونَ كَأنّمَا   طَلَعَتْ كمَا طَلَعَ الكِتَابُ المُنزَلُ
هَنَّأتُ جَدّكَ بالتّحَلّقِ في العُلَى.   وَلأنْتَ نِعْمَ المُقْبِلُ المُتَقَبَّلُ
وَطَرَحْتُ تَهْنِئَةً بِأيّامٍ أرَى   فيهَا سَوَاءً مَنْ يَقِلُّ وَيَنبُلُ
وَأرَى لِحَاظَ الحَاسِدِينَ مُرِيبَةً ،   وَالغَيظُ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَتَغَلْغَلُ
مَا للزّمَانِ يَعُقّنِي بِعِصَابَةٍ   تَجْفُو عَليّ ، مَعَ الزّمَانِ ، وَتَثْقُلُ
يَذْوِي عَلى قَدَمِ اللّيَالي عَهدُها ،   مِثلَ الأدِيمِ عَلى التّقَادُمِ يَنغَلُ[1]
وَدّ الحَلِيمُ شِفَاءَ دائِكَ كُلّهِ ،   وَصَداقَةُ السّفَهَاءِ داءٌ مُعْضِلُ

١ ينغل : يفسد .

هنيئاً لك العيد الجديد

وقال يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الأضحى من هذه السنة ويعرض له بنكبة بعض أعدائه وأنشده إياها من لفظه :

إلى اللهِ إنّي للعَظيمِ مَسُولُ ، كَثيرٌ بِنَفْسِي ، وَالعَديلُ قَليلُ
وَمَنْ طُعمهُ مِنْ سَيْفِهِ كيفَ يتّقي ، وَمَنْ يَطْلُبُ العَلْياءَ كَيفَ يَقيلُ
يَقُولونَ : خَالِلْ في البِلادِ ، وَإنّما خَليليَ مَنْ لا يَطّبيهِ خَليلُ[1]
وَلَيسَ طِبَاعُ النّاسِ وَفقاً ، وَرُبّما تَفَاضَلَ فيهِمْ أنْفُسٌ وَعُقُولُ
وَلَوْلا نُفُوسٌ في الأقَلّ عَزيزَةٌ ، لَغَطّى جَميعَ العَالَمينَ خُمُولُ
فَمَا تَطلُبُ الأيّامُ مِنْ مُتَغَرّبٍ ، لَهُ كُلَّ يَوْمٍ رِحْلَةٌ وَنُزُولُ
رَمَى مَقْتَلَ الدّنْيَا بِسَهْمِ قَنَاعَةٍ ، فَعِزّ لِأنْ غَالَ الرّمِيّةَ غُولُ
ألا إنّمَا الدّنْيَا ، إذا مَا نَظرْتَهَا بِقَلْبِكَ ، أُمٌّ للبَنِينَ ثَكُولُ
وَمَا يُثْقِلُ المَيتَ الصّعيدُ ، وَإنّمَا عَلى الحَيّ عِبْءٌ للزّمَانِ ثَقِيلُ
وَتَخْتَلِفُ الأيّامُ حَتّى تَرَى العُلَى عَنَاءً ، وَيَغدُو مَا يَرُوقُ يَهُولُ
أقُولُ لِغِرٍّ بِالمَنَايَا وَدُونَهُ لَهُنّ خُيُولٌ جَمّةٌ وَحُبُولُ
ستُعطَى يَدَ العَاني ، إذا مَا دَنَا لَهَا بِغَيرِ وَغًى قِرْنٌ ألَدُّ صَؤولُ

---

[1] يطبيه : يستميله .

فَلا تَعتَصِمْ بالبُعْدِ عَنهَا ، فإنّهَا مَسَرّةُ نِقْيٍ في العِظَامِ دَمُولُ[1]
أرَى شَيْبَةً في العَارِضَينِ فيَلتَوِي بقَلْبيَ حَدّاهَا جَوًى وَغَليلُ
وَمن عجَبٍ غضّي عن الشّيبِ جازِعاً، وكَرّي إذا لاقَى الرّعيلَ رَعيلُ
وَلي نَفَسٌ يَطغى ، إذا ما رَدَدْتُهُ ، فيَعرقُني عَرْقَ المُدَى ، وَيَغُولُ[2]
وَمَا تَسَعُ الأضْلاعُ رَيْعَانَ زَفْرَةٍ ، يَكَادُ لهَا قَلْبُ الجَليدِ يَزُولُ
وَمَا ذاكَ مِنْ وَجْدٍ خَلا أنّ هِمّةً عَنَائي بهَا في الوَاجِدِينَ طَويلُ
بكَيتُ وكَانَ الدّمعُ شَيباً مُبَيَّضاً عِذارِيَ، لا جارِي الغُرُوبِ هَطولُ
وَشَوْكَةِ ضِغْنٍ ما انتَقَشتُ شَبَاتَهَا ذهَاباً بنَفْسِي أنْ يُقَالَ عَجُولُ[3]
وَإنّيَ إنْ أُعطِ المَدَى مُتَنَفَّساً ، نَزَعتُ أذاهَا ، وَالزّمَانُ يُدِيلُ
وَمَا أنَا إلاّ اللّيثُ ، لَوْ تَعلَمُونَهُ ، وَذا الشَّعَرُ البادي عَليّ قَبيلُ[4]
وَقَدْ عُصِبَتْ منّي اللّيَالي بِسَاعِدٍ ، تَئِنّ الأعَادي مَرّةً وَتُنِيلُ
إذا سَطّرَتْ نَهْراً وَرَاءَ بُيُوتِهَا ، سَطَوْتُ ، وَمَا يُعدِي عَليّ قَبيلُ[5]
وَزُورُ المَآقي مِنْ جَديلٍ وَشَدْقَمٍ تَبَلّدَ عَنْهَا شَدْقَمٌ وَجَدِيلُ[6]

١ المسرة : لعلها من أسره كتمه . النقي : مخ العظم . الدمول ، من دمل الجرح : تماثل إلى البرء .
٢ يعرقني : يأكل لحمي ، أو يأخذ من لحمي كما تأخذ المدى ، أي السكاكين .
٣ انتقش الشوكة : أخرجها . الشباة : إبرة العقرب وحد كل شيء .
٤ القبيل : الكفيل .
٥ سطرت نهراً : أي اختطت نهراً وراء بيوتها ، ليكون حصناً لها . القبيل : الجماعة .
٦ الزور ، الواحد أزور : المائل . جديل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر .

شَقَقنا بِهَا قَلبَ الظّلامِ ، وَفَوْقَها رِجَالٌ كَأطْرَافِ الذّوَابِلِ مِيلُ
وَهَبّتْ لأصْحَابي شَمَالٌ لَطيفَةٌ ، قَريبَةُ عَهْدٍ بالحَبيبِ بَليلُ
تَرَانَا ، إذا أنْفَاسُنَا مُزِجَتْ بِهَا ، نُرَنَّحُ في أكْوَارِنَا وَنَميلُ
وَلَمْ أرَ نَشْوَى للشَّمَالِ عَشيّةً ، كَأنّ الذي غَالَ الرّؤوسَ شَمُولُ
وَبَرْقٍ يُعاطِينَا الجَوَى غَيرَ أنّهُ بِهِ مِنْ عُيُونِ النّاظِرِينَ نُحُولُ
وَلَيلٍ مَرِيضِ النّجمِ من صِحّةِ الدُّجى نَضَوْنَا ، وَلألاءُ النّصُولِ دَلِيلُ
وَأخضَرَ مَستُورِ التّرَابِ برَوْضَةٍ ، رَعَينَا ، وَقَدْ لَبّى الرُّغَاءَ صَهيلُ
وَعُدْنَا بِهَا وَاللّيلُ يَنفُضُ طَلّهُ ، سِقَاطَ اللآلي ، وَالنّسيمُ عَليلُ
إذا استَوْحَشَتْ آذانُها مِنْ تَنُوفَةٍ ، وَحَمحَمَ وَخدٌ دائِبٌ وَذَمِيلُ[1]
رَمَتْ بِأُنَاسِيّ الحِداقِ وَرَاءَهَا أبَارِقُ يَعرِضْنَ الرّدى وَهُجُولُ[2]
وَلَوْلا رَجاءٌ مِنْكَ هزّ رِقَابَهَا ، لمَا آبَ إلاّ ضَالِعٌ وَكَلِيلُ
وَدُونَ رِوَاقِ المَجْدِ مِنْكَ مُمَنَّعٌ جَزِيلُ المَعَالي ، وَالعَطَاءُ جَزِيلُ
مَرِيرُ القُوَى لا يَرْأمُ الضّيمُ أنْفَهُ ، وَأيْدِي العِدى إلاّ عَلَيهِ تَصُولُ
يُنَهْنَهُ بالأعْدَاءِ ، وَهوَ مُصَمِّمٌ ، وَيُزْجَرُ بالعُذّالِ ، وَهوَ مُنِيلُ[3]
فَتًى لا يَرَى الإحْسَانَ عِبئاً يَجرُّهُ ، وَلَكِنّهُ ، لَوْلا الإبَاءُ ، ذَلُولُ
أقَرَّ بِحَقّ المَجْدِ ، وَهوَ مُضَيَّعٌ ، وَعَظّمَ قَدرَ الدّينِ ، وَهوَ ضَئِيلُ

١ التنوفة : الفلاة . الوخد والذميل : ضربان من السير .
٢ الأناسي : جمع إنسان . الأبارق ، الواحد أبرق : أرض فيها حجارة ورمل وطين . الهجول ، الواحد هجل : المطمئن من الأرض .
٣ ينهنه : يكف ويزجر . المنيل من النوال : العطاء .

سَرَى طَالِباً ما يَطلُبُ النّاسُ غيرَهُ، وَما كلّ قِرْنٍ في الرّجالِ رَجيلُ[1]
فَمَا آبَ حتّى استَفرَغَ المَجدَ كُلّهُ شَرُوبٌ عَلى غَيظِ العَدُوّ أكُولُ
أيُرْجَى مَدَاهُ بَعدَمَا ضَحِكَتْ بهِ، أمَامَ المَعَالي، غُرّةٌ وَحُجُولُ؟
أرَى كُلَّ حَيٍّ مِن فُضَالاتِ سَيفِهِ، وَهَا هُوَذا طاغي الغِرَارِ صَقيلُ
وكَمْ غَمرَةٍ يَعْلُو المُلَجَّمَ ماؤهَا شَقَقتَ، وَلَوْ أنّ الدّمَاءَ تَسيلُ[2]
وَهَوْلٍ يَغيظُ الحَاسِدينَ رُكُوبُهُ، وَحيدَ العُلَى، وَالهَائِبُونَ نُزُولُ
بطَعنَةِ مَيّاسٍ إلى المَوْتِ رُمحُهُ، يَرُومُ العُلَى مِنْ غايَةٍ فَيَطُولُ
فِداكَ رِجَالٌ للمُنَى في دِيارِهِمْ نَحيبٌ، وَللظّنّ الجَميلِ عَويلُ
فَوَاغِرُ عُمْرَ الدّهرِ لمْ يُطعِمُوا العلى، ألا قَلّ مَا يُعطي العَلاءَ بَخيلُ
أرَادُوكَ بالأمْرِ الجَليلِ، وَإنّمَا يُصَادِمُ بالأمْرِ الجَليلِ جَليلُ
أألآنَ إنْ ألقَيْتَ ثِنْيَ زِمَامِهَا، وَعُطّلَ أغْرَاضٌ لهَا وَجَديلُ
وَإلاّ لَيَالٍ أنْتَ رَاكِبُ ظَهرِها، وَأمرُ العُلَى، جَمعاً، إلَيكَ يَؤولُ
وَطَاغٍ، وِعَاءُ الشّرّ بَينَ ضُلُوعِهِ، وَدَاءٌ مِنَ الغِلّ القَديمِ دَخيلُ
رَمَاكَ، وَبَينَ العَينِ وَالعَينِ حاجِزٌ، وَقَالٌ. وَرَاءَ الغَيبِ فيكَ، وَقيلُ
فَما زِلتَ تَستَوْفي مَرَاميهِ، وَالقُوَى تُقَطَّعُ، وَالإقْبَالُ عَنْهُ يَميلُ
إلى أنْ أطَعْتَ اللهَ، ثمّ رَمَيْتَهُ، فَلَمْ تُغضِ إلاّ وَالرّميُّ قَتيلُ
كَذَلِكَ أعْداءُ الرّجَالِ وَهَذِهِ لِسَائِرِ مَنْ يَطغَى عَلَيْكَ سَبيلُ

١ الرجيل : الراجل .
٢ الملجم ، من لجمه الماء : بلغ فاه

وَتَسْمُو سُمُوَّ النّارِ عِزّاً وَهِمّةً ، وَيَهوِي هُوِيَّ الأرْضِ ، وَهوَ ذَليلُ
هَنيئاً لكَ العيدُ الجَديدُ ، فإنّهُ بيُمْنِكَ وَضّاحُ الجَبينِ جَميلُ
وَلا زَالَتِ الأعيادُ هَطْلَى رَخيّةً ، يُحَيّيكَ مِنهَا زَائِرٌ وَنَزِيلُ
وَسَاقٍ عَدَاكَ العاصِفَاتِ وَأقبلَتْ عَلَيْكِ شَمَالٌ لَدْنَةٌ وَقَبُولُ
وَقَد تَعقُمُ الأفهامُ عَن قَوْلِ قائِلٍ ، فيُوجِزُ بَعضَ القَوْلِ وَهوَ مُطيلُ
وَمَا الفَضْلُ إلاّ مَا أقُولُ فَرَاعَةً ، وَبَاقي مَقَامَاتِ الأنَامِ فُضُولُ[1]

ولأنت مثل السيف

قال يمدح أباه رضي الله عنه وهي من أول قوله :

مَنْ لي بِرَعْبَلَةٍ مِنَ البُزْلِ ، تَرْمي إلَيكَ مَعَاقِدَ الرّحْلِ[2]
عَجلَى الرّوَاحِ كَأنّمَا لَمَحَتْ فيكُمْ غَدِيرَ الجُودِ مِنْ قَبْلي
نَغَرْتُهَا ، وَالبَدْرُ مُطّلِعٌ ، حَتّى استَجَابَ لِقائِدِ الأُفْلِ[3]
كَتَبَتْ سُطُوراً مِنْ مَنَاسِمِهَا فَوْقَ الأبَاطِحِ وَالسُّرَى يُملي

١ قوله : فراعة ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن براعة .
٢ الرعبلة : الناقة الضخمة .
٣ نغرتها : صحت بها . الأفل : لعلها جمع أفيل وهو ابن المخاض .

إنّي بِهَا في السّيرِ مُقْتَرِحٌ ، عَجِلاً عَلى الإقْتَابِ وَالجُدْلِ[1]
إنّ الذي وَخَدَتْ إليْهِ فتًى يَبْرًا إلى أمَلي مِنَ البُخْلِ
لا تَمْلِكُ العَرَصَاتُ قَعْدَتَهُ ، وَإنِ استَقَرّ ، فَفي ذُرَى الإبْلِ
لَمْ يُستَمَلْ بالذّلّ جَانِبُهُ ، مُذْ شَدّ قَبضَتَهُ عَلى النّصْلِ
تُنْبيكَ نَفْحَتُهُ ، إذا فَغَمَتْ، عَن طيبِ مَغرِسِ ذلكَ الأصْلِ[2]
وَلأنْتَ مِثْلُ السّيْفِ في مُضَرٍ ، عَاذَتْ بِقَائِمِهِ مِنَ الذّلّ
وَإذا هَتَفْتَ بِهِم لِنَائِبَةٍ ، جَذَبُوا وَرَاءَكَ بالقَنَا الذُّبلِ
لا يُسْلِمُونَ مَنِ اتّقَى بِهِمُ قَرْعَ القَنَا وَمَوَاقِعَ النَّبْلِ
عامي وَعَامُ المَحْلِ في بَلَدٍ ، فَاسْحَبْ إليّ ذُؤابَةَ الوَبْلِ
وَاحصُدْ قُوَايَ ، فإنّني أبَداً بَينَ القَرَائِنِ مَارِجُ الحَبْلِ[3]

١ الإقتاب : شد القتب ، الرحل . الجدل ، الواحد جديل : الزمام المجدول من أدم .
٢ فغمت ، من فغم الطيب فلاناً : ملأ خياشيمه .
٣ مارج الحبل : مرسله .

سآخذها إما استلاباً وإما طراداً

قال يشكر الشيخ أبا الفتح عثمان بن جني
النحوي على تفسير قصيدته الرائية التي رثى بها
أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة الحمداني :

أُرَاقِبُ مِنْ طَيفِ الحَبيبِ وِصَالا ، وَيَأبَى خَيَالٌ أنْ يَزُورَ خَيَالا
وَهَلْ أبْقَتِ الأشجانُ إلاّ مُمَثَّلاً ، تُعَاوِدُهُ أيْدِي الضّنَا ، وَمِثَالا
ألَمّ بِنَا، وَاللّيلُ قَدْ شَابَ رَأسُهُ ، وَقَدْ مَيّلَ الغرْبُ النّجُومَ وَمَالا
وَأنّى اهتَدَى في مُدْلَهِمٍّ ظَلامِهِ ، يَخُوضُ بِحاراً ، أوْ يَجُوبُ رِمَالا
تَأوّبَ مِنْ نَحْوِ الأحِبّةِ طَارِداً رُقَادِي ، وَمَا أسْدَى إليّ نَوَالا
أوَائِلُ مَسّ الغَمضِ أجفَانَ نَاظِرِي، كمَا قارَبَ القَوْمُ العِطاشُ صِلالا[1]
وَمَا كَانَ إلاّ عَارِضاً مِنْ طَمَاعَةٍ ، أزَالَ الكَرَى عَنْ مُقلَتَيّ ، وَزَالا
سَقَى اللهُ أظعاناً أجَزْنَ عَلى الحِمَى خِفَافاً ، كَأقوَاسِ النّصَالِ عِجَالا
يُغَالِبْنَ أعْنَاقَ الرُّبَى عَجْرَفيّةً ؛ قِرَاعُ رِجَالٍ في اللّقَاءِ رِجَالا[2]
وَجَدْتُ اصْطِبَارِي دونهنّ سَفَاهَةً ، وَأبصَرْتُ رُشْدِي بَعدَهُنّ ضَلالا
وَمَا ضَرّ مَنْ أمسى زِمَامِي بكَفّهِ ، عَلى النّأيِ ، لَوْ أرْخَى لَنَا وَأطَالا

١ الصلال ، الواحد صل : المطرة الخفيفة .

٢ يقال : في الجمل عجرفية في المشي ، إذا كان لا يبالي لسرعته .

تَذَكّرْتُ أيّامَ القَرِينَةِ ، وَالهَوَى يُجَدّدُ أقْرَاناً لَنَا وَحِبَالا[1]
مَضَينَ بِعيَشْشٍ لا يَعُدْنَ بمِثْلِهِ ، وَأعقَبْنَنَا مَرَّ الزّمَانِ خيَالا
سَلي عَن فَمي فصْلَ الخطابِ وَعن يدي رِمَاحاً كَحَيّاتِ الرّمَالِ طِوَالا
وَبِيضاً تُرَوّى بالدّمَاءِ مُتُونُهَا ، إذا مَا لَقِينَ الدّارِعِينَ نِهَالا
فَمَا ليَ أرْضَى بالقَليلِ ضَرَاعَةً ، وَأوسِعُ دَينَ المَشْرَفيّ مِطَالا
تُرِيدُ اللّيَالي أنْ تَخِفّ بِمِقْوَدي ، وَأيُّ جَوَادٍ لَوْ أصَابَ مَجَالا
سَآخُذُهَا إمّا استِلاباً وَفَلْتَةً ؛ وَإمّا طِرَاداً في الوَغَى وَقِتَالا
فَإنْ أنَا لمْ أرْكَبْ إلَيهَا مُخَاطِراً ، وَأُعْظِمُ قَوْلاً دُونَهَا وَقِتَالا
فَهذا حُسَامي لِمْ أُرِقّ ذُبَابَهُ ، مَضَاءً ، وَهَذا ذابِلي لِمَ طَالا
وَأطْلُبُهَا بالرّاقِصَاتِ ، كَأنّمَا أُثَوّرُ مِنْهَا رَبْرَباً وَرِئَالا
إذا أسقَطَ السّيرُ العَنيفُ نِعَالَهَا مِنَ الأينِ أحذَتْهَا الدّمَاءُ نِعَالا
وَكُلُّ غَضَنيٍّ ، إذا قُلتُ قَدْ وَنَى مِنَ الشّدّ جَلّى في الغُبَارِ وَجَالا[2]
وَأكْبَرُ هَمّي أنْ أُلاقيَ فَاضِلاً ، أُصَادِفُ مِنْهُ للغَليلِ بَلالا
فِدًى لأبي الفَتْحِ الأفَاضِلُ إنّهُ يَبَرّ عَلَيهِمْ، إنْ أرَمّ ، وَقَالا[3]
إذا جَرَتِ الآدابُ جَاءَ أمَامَهَا ، قَرِيعاً ، وَجَاءَ الطّالِبُونَ إفَالا[4]

١ المراد بالحبال هنا : العهود .
٢ الغضن : تلوي العود وتثنيه استعاره للفرس لكثرة تلويه وتثنيه ، والمراد وكل فرس غضني ، أي منسوب إلى الغضن .
٣ يبر : يحسن عن حب . ارم : سكت .
٤ القريع : فحل الإبل . الافال ، الواحد افيل : الفصيل .

فَتًى مُستَعَادُ القَوْلِ حُسْناً ولَم يكن يَقُولُ مُحَالاً ، أوْ يُحيلُ مَقَالا
ليَقرِيَ أسماعَ الرّجَالِ فَصَاحَةً ، وَيُورِدَ أفهَامَ العُقُولِ زُلالا
وَيُجرِي لَنَا عَذْباً نَميراً، وبَعضُهُم، إذا قالَ ، أجرَى للمَسامِعِ آلا
أسَفُّهُمُ إنْ مُيِّزَ القَوْمُ خِلَّةً ، وَأثْقَبُهُمْ ، يَوْمَ الجِدالِ ، نِصَالا[1]
وَمَا كَانَ إلاّ السّيْفَ أطلَقَ غَرْبَه ، وَزَادَ غِرارَيْ مَضْرَبَيْهِ صِقَالا
وَلَمّا رَأيْتُ الوَفْرَ دُونَ مَحلِّهِ جزَاءً وَقَدْ أسْدَى يَداً وَأنَالا
بَعَثْتُ لَهُ وَفْراً مِنَ الشّعْرِ بَاقِياً ، وَكَنْزاً مِنَ الحَمْدِ الجَزِيلِ وَمَالا
فَسِمْ آخِراً مِنْهُ كَوَسْمِكَ أوّلاً ، وَشُنّ عَلَيهِ رَوْنَقاً وَجَمَالا[2]
وَمِثْلُكَ إنْ أوْلَى الجَميلَ أتَمّهُ ، وَإنْ بَدَأ الإحْسَانَ زَادَ ، وَوَالَى

قلب الشجاع حسام

قال أيضاً وكتب بها إلى أبي الطيب
خداد بن ماقية وقد حصلت بينهما صداقة :

أأبْقَى كَذا أبَداً مُسْتَقِلاً ، يُقَلّبُني الدّهْرُ عِزّاً وَذُلاّ ؟
وَأقْنَعُ بالدّونِ ، فِعْلَ الذّليلِ ، يخشَى الأجَلّ وَيَرْضَى الأقَلاّ

---

١ أسفهم : أحدهم نظراً .
٢ شن عليه : صب عليه .

وَإنّي رَأيْتُ غَنيّ الأنَامِ ، إذا لمْ يَكُنْ ذا عَلاءٍ ، مُقِلاّ
وَمِنْ دُونِ ضَيمي فِنَاءُ الرّمَاحِ ، وَبِيضُ القَوَاضِبِ ذَفّاً وَفَلاّ[1]
فَلا زِلْتُ كَلاًّ عَلَى المُقْرَبَاتِ ، إلى أنْ أنَالَ ذُرَى المَجْدِ كُلاّ[2]
إذا عَزّ قَلْبُكَ في دَهْرِهِ ، فَمَا عُذْرُ وَجْهِكَ في أنْ يَذُلاّ
ألا فَاجْهَدِ النّفسَ في نَيلِهَا ، وَلا تَرْقُبَنّ عَسَى ، أوْ لَعَلاّ
إذا المَرْءُ لمْ يَحْظَ بَعْدَ الطِّلابِ، فَالجدّ لا قَدَمُ المَرْءِ زَلاّ
وَحُلّ حُبى العَجزِ عَنْ هِمّةٍ ، تَؤدّ الأيَانِقَ شَدّاً وَحَلاّ
وَجُبْ غَيرَ مُسْتَكثرٍ بالصِّحَابِ حَزْناً يَغُولُ المَطايا ، وَسَهلا
إلى حَيْثُ تُومي إلَيكَ البَنَانُ ، وَتُصْبِحُ ثَمّ الأعَزّ المُجَلاّ
قَليلَ المِثَالِ وَخَيرَ البِلادِ ، حِمَى مَنْزِلٍ لا أرَى فِيهِ مِثْلا
وَلا تَصْحَبَنْ غَيرَ حَدّ الحُسَا مِ بَرْقاً يَسُحّ مِنَ الضّرْبِ وَبْلا
وَأيْمٍ مِنَ السُّمْرِ طَاغي اللّسَا نِ يَأبَى اللّديغُ بِهِ أنْ يُبِلاّ[3]
وَتَعْلُو المَعَالي إلى العَاجِزِينَ ، وَنَحنُ نَرَى الذّلّ أعلى وَأغْلَى
عَدَتْكَ ، أبَا الطّيّبِ، العادياتُ، فَإنّكَ أبْذَلُ جَاهاً وَبَذْلا
بلَوْتُ خَلائِقَ هَذا الأنَامِ ، وَمَا زِلْتُ أبْلُو مِرَاراً وَأُبْلَى
فَلَمْ أرَ إلاّكَ مَنْ يَصْطَفي ثَنَاءً ، وَيَرْعَى ذِمَاماً وَإلاّ[4]

....

١ الذف من قولهم : ذف على الجريح ، إذا اجهز عليه . الفل : الثلمة في حد السيف .
٢ الكل : العيال . المقربات : الخيول الكريمة .
٣ الأيم : الحية . يبل ، من أبل المريض : شفي .
٤ الإل : العهد .

فَأصْبَحَ قَلْبي يَرَى مُذْ رَآ كَ أنّكَ أوْقَعُ فيهِ وَأحْلى
وَحلّتْ نَدَايَ جَميعَ الوَرَى ، غداةَ اعتَقَدْتُكَ عَضْداً وَخِلاّ
فِدًى لَكَ أعْمًى عَنِ المَكْرُما تِ ، يَعجِزُ أنْ يجعَلَ القَوْلَ فِعلا
يَنَامُ عَنِ الخَيرِ نَوْمَ الضّبَاعِ ، وَفي الشّرّ يَطْلُعُ سِمعاً أزَلاّ[1]
طَوِيلُ اليَدَينِ إلى المُخزِياتِ ، يَمُدُّ إلى المَجْدِ بَاعاً أشَلاّ
فَتًى أعْلَقَتْهُ عِنَانَ الفَخَارِ مَكَارِمُ جَاءَتْ بِهِ المَجْدَ قَبلا
وَأصْبَحَ حَاسِدُهُ خَابِطاً ، إذا كَادَ يُهْدَى إلى المَجْدِ ضَلاّ
أشَمُّ كَعَالِيَةِ السّمْهَرِيّ ، وَهِمّتُهُ مِنْهُ أغْلَى وَأعْلَى
وَيَجْمَعُ قَلْباً جَرِيئاً ، وَوَجْهاً أتَمّ مِنَ البَدْرِ نُوراً وَأمْلا
مَضَاءُ القَضِيبِ ، إذا مَا انجَلَى ، وَضَوْءُ الهِلالِ ، إذا مَا تَجَلّى
وَقَلْبُ الشّجَاعِ حُسَامٌ ، فَإنْ حَلا مَنْظَراً ، فحُسَامٌ مُحَلّى
يُغَيِّمُ يَوْمَ النّدَى المُسْتَهِلُّ ، وَيُقْشِعُ يَوْمَ الوَغى المُصْمَئِلاّ[2]
وَيُوسِعُ مَادِحَهُ بِشْرُهُ ، فَيُولِيهِ أضْعَافَ مَا كَانَ أوْلَى
يُشَمِّرُ للرّوْعِ عَنْ سَاقِهِ ، وَيَسْحَبُ للجُودِ ذَيْلاً رِفَلاّ[3]
فَيَوْماً يَعُودُ بِجَدٍّ عَلِيٍّ ؛ وَيَوْماً يَعُودُ بِقِدْحٍ مُعَلّى
وَيُلْقِي إلَيْهِ عَظِيمُ الزّمَانِ مِنَ المَأثُرَاتِ ، الأجَلَّ الأجَلاّ

١ السمع : ولد الذئب من الضبع . الازل : السريع ، والخفيف الوركين
٢ يقشع ، من أقشع السحاب : انكشف . المصمئل : الشديد .
٣ الرفل : الطويل الذيل .

فيُمْسِي لأسْرَارِهَا حَافِظاً ، وَيَغْدُو بِأعْبَائِهَا مُسْتَقِلاّ
فَدُونَكَهَا كَإضَاةِ الغَدِيرِ ، أوِ السّيْفِ سُلّ أوِ الرّوْضِ طُلاّ
وَلَوْلاكَ كَانَتْ كأمْثَالِهَا ، تُصَانُ عَنِ المَدْحِ عِزّاً وَنُبْلا
فَقَدْ كُنتُ حَصّنتُ أبكَارَهُنّ ، وَعَوّدْتُهُنّ عَنِ القَوْمِ عَضْلا[1]

البيد اولى بي

يفتخر ويذم الزمان ويفتخر
بآبائه الطاهرين عليهم السلام :

أتُذْكِرَاني طَلَبَ الطّوَائِلِ ، أيْقَظْتُمَا مِنّيَ غَيرَ غَافِلِ
قُومَا ، فَقَدْ مَلَلْتُ من إقامَتي ، وَالبِيدُ أوْلَى بي مِنَ المَعَاقِلِ
شُنّا بيَ الغَارَاتِ كُلّ لَيْلَةٍ ، وَعَوّدَاني طَرَدَ الهَوَامِلِ[2]
وَصَيّرَاني سَبَباً إلى العُلَى ، إنّيَ عَينُ البَطَلِ الحُلاحِلِ[3]
قَدْ حَشَدَ الدّهْرُ عَليّ كَيدَهُ ، وَجَاءَتِ الأيّامُ بِالزّلازِلِ
وَمن عَجيبِ مَا أرَى مِنْ صَرْفِهِ قد دَمِيَتْ من نَاجذِي أنَامِلي[4]

١ العضل ، من عضل المرأة عن الزواج : منعها وحبسها عنه .
٢ الهوامل : الإبل المسيبة ليلا ونهاراً .
٣ الحلاحل : الشجاع .
٤ الناجذ : من الأضراس القصوى ، يقول : إن أنامله دميت لعضه إياها .

تُوكِسُ أحداثُ اللّيالي صَفقَتي ، لا دَرَّ دَرُّ الدّهْرِ مِنْ مُعَامِلِ
لا خَطَرَ الجُودُ عَلى بَالي ، وَلا سَقَتْ يَدِي يَوْمَ الطّعَانِ ذابِلي
إنْ لمْ أقُدْهَا كأضَاميمِ القَطَا ، أوْ بَدَدِ العَقَارِبِ الشّوَائِلِ
طَوَامِحَ الأبْصَارِ يَهْفُو نَقعُها عَلى طُمُوحِ النّاظِرِينَ، بَازِلِ
مُستَصْحباً إلى الوَغَى فَوَارِساً ، يَستَنْزِلُونَ المَوْتَ بالعَوَامِلِ
تَحتَهُمُ ضَوَامِرٌ كَأنّهَا أجادِلٌ تَنْهَضُ بِالأجَادِلِ
غُرٌّ ، إذا سُدّتْ ثَنِيّاتُ الدُّجى ، طَلَعْنَهَا بالغُرَرِ السّوَائِلِ[1]
وَذِي حُجُولٍ نَافِضٍ سَبِيبَهُ ، عُجْباً ، عَلى مثلِ المَهاةِ الخاذِلِ[2]
يَنْقَضُ لا تَلْحَقُ مِنْ غُبَارِهِ ، إلاّ بَقَايَا فِلَقِ الجَرَاوِلِ[3]
يَكْرَعُ في غُرّتِهِ مِنْ طُولِهَا، وَيَتّقي الجَنْدَلَ بالجَنَادِلِ
بِمِثْلِهِ أبغي العُلَى ، وَأغتَدي أوّلَ نَزّالٍ إلى النّوَازِلِ
وَذِي فُلُولٍ مُرْهَفٍ ، نِجَادُهُ عَلى لَمُوعٍ ذاتِ ذَيلٍ ذائِلِ[4]
إنّ أميرَ المُؤمِنِينَ ، وَالِدي ، حَزّ الرّقَابَ بالقَضَاءِ الفَاصِلِ
وَجَدّيَ النّبيُّ في آبَائِهِ ، عَلا ذُرَى العَلْيَاءِ وَالكَوَاهِلِ
فَمَنْ كأجدادي إذا نَسَبْتَني ، أمْ مَنْ كَأحيَائيَ ، أوْ قَبَائِلي

١ السوائل ، من سالت غرة الفرس : استطالت وعرضت .
٢ السبيب : الذنب المسترسل . الخاذل : التي خذلت صواحبها ، أي تخلفت عنهن وانفردت .
٣ الجراول : الأراضي ذات الحجارة .
٤ اللموع : وصف للدرع . والذائل : الطويلة .

مِنْ هاشِمٍ أكْرَمِ مَنْ حَجّ، وَمَنْ جَلّلَ بَيْتَ اللهِ بِالوَصَائِلِ
قَوْمٌ لأيْدِيهِمْ عَلَى كُلّ يَدٍ فَضْلُ سِجالٍ مِن رَدًى وَنَائِلِ[1]
فَوَارِسُ الغَارَاتِ لا يُطْرِبُهُمْ، إلاّ تَوَازِي نَغَمِ الصّوَاهِلِ
بالسُّمْرِ تَختَبُّ ثُعَيْلِبَاتُهَا ، مِثْلَ ذِئَابِ الرّدْهَةِ العَوَاسِلِ[2]
وَالبِيضُ قد طَلَعنَ من أغمادِها للرّوْعِ تَعْلُو قِمَمَ القَبَائِلِ
يُخضَبْنَ إمّا مِنْ دِمَاءِ مَارِقٍ ، أوْ مِنْ دِمَاءِ العُوذِ وَالمَطافِلِ[3]
ذَوُو القِبابِ الحُمرِ يُنضَى سَجفُها عَنْ عَدَدٍ مِنْ سَامِرٍ وَجَامِلِ
أرَى مُلُوكاً كَالبِهَامِ غَفْلَةً ، في مِثْلِ طَيْشِ النَّعَمِ الجَوَافِلِ
أوْلى مِنَ الذّوْدِ ، إذا جَرّبتَهُمْ ، بِرَعْيٍ ذي الرّيَاضِ وَالخَمَائِلِ
إنْ أنَا أعْطَيْتُهُمُ مَقَادَتي ، فَلِمْ إذاً أطْلَقَ غَرْبي صَاقِلي
وَمِقْوَلي كَالسّيْفِ يَحتَمي بِهِ أشوسُ أبّاءٌ عَلى المَقَاوِلِ
مَا لكَ تَرْضَى أنْ يُقَالَ شاعرٌ ؟ بُعْداً لهَا مِنْ عَدَدِ الفَضَائِلِ
كَفَاكَ مَا أوْرَقَ مِنْ أغْصَانِهِ ، وَطَالَ مِنْ أعْلامِهِ الأطَاوِلِ
فَكَمْ تَكُونُ نَاظِماً وَقائِلاً ، وَأنتَ غِبَّ القَوْلِ غَيرُ فَاعِلِ
كمْ يَقتضِيني السّيفُ عزْمي وَيَدي تَدْفَعُهُ دَفْعَ الغَرِيمِ المَاطِلِ

١ السجال : العطاء .

٢ تختب : تضطرب . ثعيلباتها ، جمع مصغر للثعلب : طرف الرمح الداخل في جبة السنان . الردهة الحفرة .

٣ العوذ : الحديثات النتاج . المطافل : ذوات الأطفال . يصفهم بالشجاعة والكرم .

أأرْهَبُ القَتْلَ حِذارَ مِيتَـةٍ ، لا بُدَّ ألقَاهَا بِغَيرِ قَاتِلِ
قَدْ غَارَ قَبلي الرّمحُ في عُتَيْبَةٍ ، تَحتَ العَوَالي، وَكُلَيبِ وَائِلِ
هَبْنِي شَبِيباً يَوْمَ طَاحَتْ عُنقُهُ، عن حَدِّ مَفتوقِ الغِرَارِ قَاصِلِ
لمّا رَأى المَوْتَ أوِ الذّلَّ انبرَى إلى الرّدَى مُشَمِّرَ الذّلاذِلِ
أوْ مُصْعَباً لمّا دَنَا مِيقَاتُهُ ، وَضَرَبَ المِقْدارُ بِالحَبَائِلِ
حمَى يَمينَ الضّيمِ أنْ يَقُودَهُ ، وَانقَادَ في حَبْلِ الرّدى المُعاجِلِ
فعلَ امرِىءٍ رَأى الخُمُولَ ذِلّةً، فاختَارَ أنْ يُقبَرَ غَيرَ خَامِلِ
إنْ كانَ لا بُدّ مِنَ المَوْتِ فَمُتْ تحتَ ظِلالِ الأسَلِ الذّوَابِلِ

من يعوم مقامي

قال أقاله الله يفتخر ويذكر غرضاً في نفسه :

لِمَنْ دِمَنٌ بذي سَلَمٍ وَضَالِ ، بَلِينَ ، وَكيفَ بالدّمَنِ البَوَالي ؟
وَقَفْتُ بِهِنّ لا أصْغي لِداعٍ ، وَلا أرْجُو جَوَاباً عَنْ سُؤالي
أيَا دارَ الأُلى دَرَجَتْ عَلَيْهَا حَوَايَا المُزْنِ وَالحِجَجُ الحَوَالي[1]
فَأيُّ حَياً بأرْضِكِ للغَوَادِي ، وَأيٌّ بِلًى بِرَبْعِكِ لِلّيَالي

١ حوايا المزن : سودها .

وَبَيْنَ ذَوَائِبِ العُقَدَاتِ ظَبْيٌ ، قَصِيرُ الخَطْوِ فِي المِرْطِ المُذَالِ[1]
رَبِيبٌ إنْ أُرِيغَ إلى حَدِيثٍ ، نَوَارٌ إنْ أُرِيدَ إلى وِصَالِ[2]
فَهَلْ لِيَ وَالمَطَامِعُ مُرْدِيَاتٌ ، دُنُوٌّ مِنْ لَمَى ذَاكَ الغَزَالِ ؟
لَقَدْ سَلَبَتْ ظِبَاءُ الدّارِ لُبّي ، ألاَ مَا لِلظّبَاءِ بِهَا وَمَا لِي ؟
تُنَغّصُنِي بِأيّامِ التّلاقِي ، مُعَاجَلَتِي بِأيّامِ الزِّيَالِ
تَحَيّفَنِي الصّدُودُ وكنتُ دَهراً أُرَوَّعُ بالصّدُودِ ، فَلا أُبَالِي[3]
وَكَيْفَ أُفِيقُ لا جَسَدِي بِنَاءٍ عَنِ البَلْوَى ، وَلا قَلبِي بِسَالِي
يُرَنّحُنِي إلَيْكَ الشّوْقُ حَتّى أمِيلُ مِنَ اليَمِينِ إلى الشّمَالِ
كَمَا مَالَ المُعَاقِرُ عَاوَدَتْهُ حُمَيّا الكأسِ حالاً بَعدَ حَالِ
وَيأخُذُني لذِكْرِكُمُ ارْتِيَاحٌ ، كَمَا نَشَطَ الأسِيرُ مِنَ العِقَالِ
وَأيْسَرُ مَا أُلاقِي أنّ هَمّاً يُغَصّصُنِي بِذا المَاءِ الزُّلالِ
فَلَوْلا الشّوْقُ ما كَثُرَ التِفَاتِي ، وَلا زُمّتْ إلى طَلَلٍ جِمَالِي
وَإنّي لا أُوَامِقُ ثُمّ إنّي إذا وَامَقْتُ يَوْماً لا أُقَالِي[4]
أنَا ابنُ الفَرْعِ مِنْ أعلى نِزَارٍ ، وَمَنْ يَزِنُ الأسَافِلَ بِالأعَالي
نَمَانِي كُلُّ مُمْتَعِضٍ أبِيٍّ جَرَى طَلَقَ الجَمُوحِ إلى المَعَالِي

١ العقدات : أماكن . المرط : الكساء . المذال : المهان المرسل إلى الأرض .
٢ النوار : النفور من الريبة .
٣ تحيفني : جار علي وظلمني .
٤ أوامق ، من وامق : أحب الواحد الآخر . أقالي ، من المقالاة : المباغضة .

مِنَ القَوْمِ الأُلى مَلَكُوا رِقَابَ الـ أوَاخرِ وَاختلَوا قِمَمَ الأوَالِي
إذا بَسَطوا الخُطا سَحَبُوا رِقاقَ الـ بُرُودِ على الرّقاقِ من النّعالِ
وَإنْ قُسِمَتْ بُيُوتُ المَجدِ حازُوا فِنَاءَ البَيْتِ ذي العَمَدِ الطِّوَالِ
وَإنّهُمُ لأعْنَفُ بِالمَذاكي ، مُحَاضَرَةً ، وَأقْرَعُ بِالعَوَالي
أفظُّ مِنَ الأسُودِ ، فإنْ أنَالُوا رَأيْتَ أرَقَّ مِنْ بِيضِ الحِجالِ
يَخِفُّ عَلَيهِمُ بَذْلُ الأيَادِي ، وَقَدْ أثْقَلْنَ أعْنَاقَ الرّجَالِ
بَني عَمّي ، وَعَزّ عَلى يَمِيني مِنَ الضّرّاءِ مَا لَقِيَتْ شِمَالي
أعُودُ عَلى عُقُوقِكُمُ بحِلْمي ، إذا خَطَرَ العُقُوقُ لَكُمْ بِبَالِ
أرُوني مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامي ، أرُوني مَنْ يَقُولُ لَكُمْ مَقَالي
وَمَن يَحمي الحَرِيمَ مِنَ الأعادي ، وَمَنْ يَشْفي مِنَ الدّاءِ العُضَالِ
يُشَايِحُ دُونَكُمْ يَوْمَ المَنَايا ، وَيَرْمي عَنكُمُ يَوْمَ النّضَالِ[1]
سَأبلُغُ بالقِلَى وَالبُعْدِ عَنكُمْ ، مَبَالِغَ لَيسَ تُبلَغُ بِالألالِ[2]
فَمَنْ لا يَستَقِيمُ عَلى التّصَافي ، جَدِيرٌ أنْ يُقَوَّمَ بالتّقَالي
وَأحسَبُ أنْ سَيَنفَعُني انتصَارِي إذا مَا عَادَ بالضّرَرِ احتِمَالي
أكَيداً بَعدَ أنْ رُفِعَتْ مَنَارِي ، وَأرْسَتْ في مَقَاعِدِهَا جِبَالي
وَشَدّ المَجْدُ أطْنَابي إلَيْهِ ، وَمَدّ عَلى جَوَانِبِهِ حِبَالي

١ يشايح : يقاتل .
٢ الألال : السلاح .

وَتَمّ عَلاؤكُمْ بي بَعدَ نَقصٍ ، تَمَامَ الحَضْرَمِيّةِ بالقِبَالِ[1]

وَمَا فَضْلي عَلى قَوْمي بِخَافٍ ، كمَا فَضْلِ القَريعِ عَلى الإفَالِ

وَإني إنْ لَحِقْتُ أبي جَلالاً ، فَهَذي النّارُ من ذاك الذُّبَالِ

وَأينَ القَطْرُ إلاّ للغَوَادي ؛ وَأينَ النُّورُ إلاّ للهِلالِ

أصُونُ عَنِ الرّجالِ فُضُولَ قَوْلي ، وَأبْذُلُ للرّجَالِ فُضُولَ مَالي

وَرُبّ قَوَارِصٍ نَكَتَتْ جَنَاني ، أشَدَّ عَليّ مِنْ صَرْدِ النّبَالِ[2]

صَبَرْتُ لهَا ، وَلَمْ أرْدُدْ مَقَالاً ، فَكَانَ جزَاءَ قائِلِهَا فِعَالي

وَجَاذَبَني عَلى العَلْيَاءِ قَوْمٌ ، وَمَا عَلِمُوا بِأنّ جَمِيعَهَا لي

لَئِنْ نِلْتُ الكَوَاكِبَ في عُلاها ، لَقَدْ أبْقَيْتُ فَضْلاً مِنْ مَنَالي

حَلَفْتُ بِها كَرَاكِعَةِ الحَنَايَا ، خَوَابِطَ للجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ

مُهَدَّمَةَ العَرَائِكِ مِنْ وَجاها تُعَاضُ مِنَ الغَوَارِبِ بالرِّحَالِ[3]

إلى البَلَدِ الحَرَامِ مُعَرَّضَاتٍ لإجْرَاءِ الطُّلَى بِدَمٍ حَلالِ[4]

لِيَعْتَسِفَنّ هَذا اللّيْلَ مِنّي أُشَيعِثُ ، عَابُ لِمّتِهِ الغَوَالي

خَفِيفُ الحَاذِ يَشْغَلُهُ سُرَاهُ ، زَمَاناً ، أنْ يُفَكّرَ في الهُزَالِ[5]

١ الحضرمية : نعل ملسنة . القبال : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

٢ القوارص : الكلمات المؤلمة . نكتت : أراد أثرت . جناني : قلبي . صرد النبال : نافذها .

٣ العرائك : الأسنمة . الوجا : الحفا .

٤ معرضات : أي معرضات للهلاك .

٥ خفيف الحاذ : خفيف الظهر .

إلى العَلْيَاءِ ، حتّى يُجاوِزَ مَدٌّ غايَةِ كلّ عالِ
فإنْ أنَا لمْ أقُمْ فيهَا ، فقامَتْ على قَبْرِي النّوَادِبُ بالمَآلِ

حسبي على نفسي

يفتخر ويذم الزمان وأهله

حُبُّ العُلى شُغلُ قَلبٍ ما لَهُ شُغُلُ ، وَآفَةُ الصّبّ فيهِ اللّوْمُ وَالعَذَلُ
قالَتْ ضَنيتَ ، فقلتُ الشّوْقُ يَجمعُنا ، وَيَعرُقُ الوَجْدُ ما لا تَعرُقُ العِلَلُ
وَإنْ تَحَوّنَ جِسمي ما علِمْتُ بهِ ، فالرّمْحُ يَنْآدُ طَوْراً ثُمّ يَعتَدِلُ[1]
كَيفَ التّخَلّصُ من عَينٍ لهَا عَلَقٌ بالطّاعِنينَ وَمِنْ قَلْبٍ بهِ خَبَلُ
وَمَنْ لِوَجْدِيَ أنْ يَقتَادَني طَمَعٌ إلى الحَبيبِ ، وَأنْ يَعتَاقَني طَلَلُ
لا تَبعَدَنّ مَطايَانَا الّتي تلكَ الظّعَائِنَ مُرْخَاةً لهَا الجُدُلُ
سَيرُ الدّمُوعِ عَلى آثَارِهَا عَنَقٌ ؛ وَسَيرُهَا الوَخْدُ وَالتّبغيلُ وَالرَّمَلُ
دُونَ القِبَابِ عَفافٌ في جَلابيبِهَا ، وَالصّوْنُ يحفَظُ ما لا تَحفَظُ الكِلَلُ
فَلا الحُدُوجُ يُرَى وَجهُ المُقيمِ بهَا ، وَلا تُحِسُّ بصَوْتِ الظّاعنِ الإبِلُ
وَفي البَرَاقِعِ غِزْلانٌ مُرَبَّبَةٌ ، يَرْمِينَنَا بعُيُونٍ نَبْلُهَا الكَحَلُ

[1] التحون : الذل والهوان .

إذا الحِسانُ حَمَلْنَ الحَلْيَ أسلحَةً ، فَإنّمَا حَلْيُهَا الأجْيَادُ وَالمُقَلُ
ألاّ وِصَالٌ سِوَى طَيْفٍ يُؤرِّقُني ، وَلا رَسَائِلَ إلاّ البِيضُ وَالأسَلُ
وَعَادَةُ الشّوْقِ عِندي غيرُ غافِلَةٍ ، قَلْبٌ مَرُوعٌ وَدَمْعٌ وَاكِفٌ هَطِلُ
وَأفْجَعُ النّاسِ مَنْ وَلّى حَبَائِبُهُ ، وَلا عِنَاقٌ ، وَلا ضَمٌّ ، وَلا قُبَلُ
لا ناصرٌ غَيرَ دَمعي ، إنْ هُمُ ظلموا ، وَالدّمعُ عَوْنٌ لمَنْ ضَاقَتْ بهِ الحِيَلُ
وَالعَذْلُ أثقَلُ مَحمُولٍ على أُذُنٍ ، وَهوَ الخَفيفُ على العُذّالِ إن عذَلُوا
مَنْ لي بِبَارِقٍ وَعْدٍ خَلْفَهُ مَطَرٌ ، وَكَيْفَ لي بِعِتَابٍ بَعدَهُ خَجَلُ
النّفْسُ أدْنَى عَدُوٍّ أنْتَ حَاذِرُهُ ، وَالقَلْبُ أعْظَمُ مَا يُبْلَى به الرّجُلُ
وَالحُبُّ مَا خَلَصَتْ مِنهُ لَذاذَتُهُ ، لا مَا تُكَدِّرُهُ الأوْجَاعُ وَالعِلَلُ
قَدْ عَوّدَ النّوْمُ عَيْني أنْ تُفارِقَهُ ، وَهَوّنَ السّيرَ عندي الأيْنُقُ الذُّلُلُ
فَمَا تَشَبَّثُ بي دارٌ ، وَلا بَلَدٌ ، أنَا الحُسَامُ ، وَمَا تحظى به الخِلَلُ[1]
اللّيلُ أحمَلُ ظَهرٍ أنْتَ رَاكِبُهُ ؛ إنّ الصّباحَ لَطِرْفٌ وَالدُّجى جَمَلُ
وَلّى الشّبابُ وَهَذا الشّيبُ يَطرُدُهُ ، يفدي الطّرِيدةَ ذاكَ الطّارِدُ العَجِلُ
ما نَازِلُ الشّيبِ في رَأسي بِمُرْتَحِلٍ عَنّي ، وَأعْلَمُ أنّي عَنْهُ مُرْتَحِلُ
مَنْ لمْ يَعِظْهُ بَيَاضُ الشّعرِ أدْرَكَهُ في غِرّةٍ حَتْفُهُ المَقْدُورُ وَالأجَلُ
مَنْ أخطَأتْهُ سِهَامُ المَوْتِ قَيّدَهُ طُولُ السّنِينَ ، فَلا لَهْوٌ وَلا جَذَلُ
وَضَاقَ مِنْ نَفْسِهِ ما كانَ مُتّسِعاً ، نَى الرّجاءُ ، وَحتّى العَزْمُ وَالأملُ

تشبث : تعلق ، تمسك . الخلل ، الواحدة خلة : جفن السيف .

مَا عِفَّتي في الهَوَى يَوْماً بِمَانِعَتي أنْ لا تَعِفَّ بكَفّيّ القَنَا الذُّبُلُ
وَلِلرِّجَالِ أحَادِيثٌ ، فأحسَنُهَا مَا نَمّقَ الجُودُ لا مَا نَمّقَ البَخَلُ
وَلا اقتِحامي عَلى الغارَاتِ يَعصِمُني مِنَ المَنُونِ ، ولا رَيثٌ، وَلا عَجَلُ
وَمِيتَتي في النّوَى وَالقُرْبِ وَاحِدَةٌ، إذا تَكَافَأتِ الغَايَاتُ وَالسُّبُلُ
يَستَشعِرُ الطِّرْفُ زَهْواً يَوْمَ أرْكَبُه، كَأنّهُ بِنُجُومِ اللّيْلِ مُنتَعِلُ
وَالخَيْلُ عَالِمَةٌ مَا فَوْقَ أظْهُرِهَا مِنَ الرِّجَالِ جَبَانٌ كانَ أوْ بَطَلُ[1]
أغَرُّ أدْهَمُ صِبْغُ اللّيْلِ صِبْغَتُهُ ، تَضَلُّ في خَلْقِهِ الألحَاظُ وَالمُقَلُ
مُنَاقِلٌ في عِنَانِ الرّيحِ جِرْيَتُهُ ، كَأنّهُ قَبَسٌ أوْ بَارِقٌ عَمِلُ[2]
قَصِيرُ مَا بَينَ أُولاهُ وَآخِرِهِ ، كأنّمَا العُنُقُ مَعقُودٌ بِهَا الكَفَلُ
إذا الرّبيعُ كَسَا البَيداءَ بُرْدَتَهُ ، ضَاقَتْ رِكابي وِهادُ الأرْضِ وَالقُلَلُ
وَالوَارِداتُ مِيَاهَ القَاعِ سَانِحَةٌ عَلى جَوَانِبِهَا الحَوْذانُ وَالنَّفَلُ
وكَالثّغُورِ أقَاحِيهَا ، إذا غَرَبَتْ شمسُ النّهارِ،وَألقَتْ صِبغَهَا الأُصُلُ
وِرْدٌ وَمَرْعًى ،إذا شَاءَتْ مَشافِرُها، مُستَجمِعَانِ ، وَلا كَدٌّ وَلا عَمَلُ
وَغَافِلِينَ عَنِ العَلْيَاءِ قَائِدُهُمْ في كُلّ غَيٍّ فَتيُّ العَقْلِ مُكْتَهِلُ
شَنّوا الخِضَابَ حِذاراً أنْ يُطالِبَهُمْ بِحِلمِهِ الشّيبُ، أوْ يُقصِيهِمُ الغزَلُ
عَارِينَ إلاّ مِنَ الفَحْشَاءِ يَستُرُهمْ ثَوْبُ الخُمُولِ وَتَنْبُو عَنهمُ الحُلَلُ
قَوْمٌ بأسمَاعِهِمْ عَنْ مَنطِقي صَمَمٌ، وَفي لَوَاحِظِهِمْ عن مَنظرِي قَبَلُ

١ كان : تامة ، معناها حدث ووقع .
٢ العمل : الدائم .

يُبَدّدُونَ ، إذا أقبَلْتُ ، لحظَهُمُ ، شُرْبَ المُرَوَّعِ لا عَلٌّ ، ولا نَهَلُ
يُبدُونَ وُدّي ويَحْمُوني ثَرَاءَهُمُ ، لوْ كانَ حَقّاً تَساوَتْ بَينَنا الدّوَلُ
كَفَى حَسُودِيَ كَبْتاً أنّهُ رَجُلٌ أغرَى بِهِ الهَمّ مُذْ أغرَى بيَ الجَدَلُ
مَا بَالُ شِعْري ملُوماً لا يُجانِبُهُ عن كلّ ما يَقتَضِيهِ القَوْلُ وَالعَمَلُ
لا حاجَةٌ بي إلى مَالٍ يُعَبّدُني لَهُ الرّجاءُ ، ويُضْنيني بهِ الشّغَلُ
حَسبي غِنَى نَفسيَ الباقي ، وكلُّ غنًى مِنَ المَغَانِمِ وَالأمْوَالِ يَنْتَقِلُ
تَغَيّرَ النّاسُ في سَمْعٍ وَفي نَظَرٍ ، وَاستَحسنَ الغدرُ حتى استُقبحَ الخِلَلُ
فَمَا طِلابُكَ إنْسَاناً تُصَاحِبُهُ ، كُلُّ الأنامِ ، كمَا لا تَشتَهي ، هَمَلُ
يَستَبشرُونَ ، إذا صَحّتْ جُسُومُهم ، وَبالعُقُولِ ، إذا فَتّشْتَها ، عِلَلُ
مَا هَيّجَتْني العِدا ، إلاّ وَكنتُ لهَا سَمَاءَ كُلّ جَوَادٍ أرْضُهُ القُلَلُ
يَمشي الحُسَامُ بكَفّي في رُؤوسِهِمُ ، وَيَخرُقُ الرّمحُ ما تَعيا بهِ الفُتُلُ[1]
قَوْمي هُمُ النّاسُ لا جِيلٌ سَوَاسيَةٌ ، الجُودُ عِندَهُمُ عَارٌ ، إذا سُئِلُوا
أبي الوَصيُّ وَأُمّي خَيرُ وَالِدَةٍ ، بِنْتُ الرّسُولِ الذي ما بَعدَه رُسُلُ
وَأينَ قَوْمٌ كَقَوْمي إنْ سَألتَهُمُ سَوَابِقَ الخَيلِ في يَوْمِ الوَغى نزَلُوا
كالصّخرِ إنْ حَلُموا وَالنّارِ إنْ غضِبوا ، وَالأُسدِ إنْ رَكِبُوا وَالوَبلِ إن بذلُوا
الطّاعِنِينَ مِنَ الجَبّارِ مَقْتَلَهُ ، وَالضّارِبِينَ ، وَذَيلُ النّقعِ مُنسَدِلُ
وَالرّاكِبِينَ المَطَايَا ، وَالجِيَادَ مَعاً ، لا الشُّكلُ تَحبسُها يَوْماً وَلا العُقُلُ

[1] الفتل ، الواحد فتيل : ما يوضع في جرح الجريح .

تُغضي عيُونُ الأعادي عَن رِماحِهِم ، وَلِلأسِنّةِ فيهِم أعيُنٌ نُجُلُ
لَيسَ المَعَادُ إلى الدّنيَا بِمُتّفِقٍ ، وَلا رُجُوعٌ لمَن يَمضِي بهِ الأجَلُ
وَاللهُ أكرَمُ مَولًى أنتَ آمِلُهُ ، يَوماً، وَأعظَمُ مَن يُعطي وَمن يَسَلُ
عَفوٌ، وَحِلمٌ، وَنَعماءٌ، وَمَقدِرَةٌ ، وَمُستَجيبٌ، وَمِعطَاءٌ ، وَمُحتَمِلُ
وَكَيفَ نأمُلُ أنْ تَبقَى الحَيَاةُ لَنا، وَغَيرُ رَاجِعَةٍ أيّامُنَا الأُوَلُ

قل الحامدون

قال لما تقلد النقابة وقد بلغه عن بعض أعدائه
أنه قلق لما جرى تقليده قلقاً شديداً ويذكر معنى آخر :

قَلِقَ العَدُوُّ ، وَقَد حَظيتُ برتبةٍ تَعلُو عَنِ النُّظَرَاءِ وَالأمثَالِ
لَوْ كُنتُ أقنَعُ بالنِّقَابَةِ وَحدَها لَغَضَضْتُ، حينَ بَلَغتُها ، آمَالي
لَكِنَّ لي نَفْسٌ تَتُوقُ إلى التي مَا بَعْدَ أعلاهَا مَقَامٌ عَالِ[1]
قالوا: حَجَرْتَ على نَداكَ، وَطالمَا أرْغَمتَ فيهِ مَعاطِسَ العُذّالِ
هَيهاتَ! قَلّ الحامدونَ وَصَارَ مَن أحبُوهُ يَحسُدُني عَلى أموَالي
مَن لي بمَنْ تَزْكو الصّنائعُ عنده، حتّى أشَاطِرَهُ كَرَائِمَ مَالي

[1] لكن : اسمها ضمير الشأن تقديره : لكنه .

نحن القروم الصيد

قال في سنة ٤٠٤ لما وقف على منازله :

أَمِلْ مِنْ مَثَانِيهَا ، فَهَذا مَقيلُها، وَهَذي مَغَاني دارِهِمْ وَطُلُولُهَا[١]
حَرَامٌ عَلى عَيْني تَجاوُزُ أرْضِهَا ، ولَمْ يَرْوِ أظْمَاءَ الدّيَارِ هُمُولُهَا
وَقَدْ خالَطَتْ ذاكَ الثّرَى نَفَحاتُها، وَجرّتْ عَلى ذاكَ الصّعيدِ ذُيُولُهَا
حُقُوفُ رِمَالٍ ما يُخَافُ انهِيَالُها، وَأغْصَانُ بَانٍ مَا يُخَافُ ذُبُولُهَا
إذا مَا تَرَاآهَا اللّوَائِمُ سَاعَةً ، فَأعْذَرُهَا فيمَنْ يُحِبُّ عَذُولُهَا
رَضِينَا وَلَمْ نَسمَحْ من النَّيلِ بالرّضَا، وَلكِنْ كَثيرٌ ، لَوْ عَلِمنا ، قَليلُهَا
شُمُوسُ قِبابٍ قَدْ رَأيْنا شُرُوقَها، فَيَا لَيتَ شِعرِي أينَ منّا أُفُولُهَا
تَعَالَينَ عَنْ بَطْنِ العَقيقِ تَيَامُناً، يُقَوّمُهَا قَصْدَ السُّرَى وَيُميلُهَا
فَهَلْ مِنْ مُعيرِي نَظرَةً فأُرِيكَها ، شُرَيْقيَّ نَجْدٍ يوْمَ زَالَتْ حُمُولُهَا
كَطَامِيَةِ التّيّارِ يَجْرِي سَفينُهَا ، أوِ الفُلَجِ العَلْيَاءِ يَهْفُو نَخيلُهَا[٢]
وَلَمْ تَرَ إلاّ مُمْسِكاً بِيَمِينِهِ رَوَاجِفَ صَدْرٍ مَا يُبَلّ غَليلُهَا
وَمُخْتَنِقاً مِنْ عَبْرَةٍ مَا تَزُولُهُ ، وَمُختَبِطاً في لَوْعَةٍ مَا يَزُولُهَا
محَا بَعدَكُمْ تِلكَ العُيونَ بُكَاؤها ، وَغَالَ بكُمْ تِلكَ الأضَالعَ غُولُهَا

١ أمل من مثانيها : أراد أمل من أعنتها .
٢ الفلج ، الواحدة فلجة : الأرض المشقوقة للزراعة

فمِنْ ناظِرٍ لَمْ تَبْقَ إلاّ دُمُوعُهُ ، وَمِنْ مُهْجَةٍ لَمْ يَبْقَ إلاّ غَليلُهَا
دَعُوا ليَ قَلْباً بِالغَرَامِ أُذِيبُهُ عَلَيكُمْ ، وَعَيناً في الطُّلُولِ أُجيلُهَا
سَقَاهَا الرّبَابُ الجَوْنُ كُلُّ غَمامَةٍ يَهَشّ لها حَزْنُ المَلا وَسُهُولُهَا[1]
إذا مَلَكَتْ رِيحُ الجَنُوبِ عِنَانَهَا ، أحَالَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ لأيٍ قَبُولُهَا
وَسَاقَ إلَيْهَا مُثْقَلاتِ عِشَارِهِ ، ضَوَامرَ ، تَرْغُو بالضّرِيبِ فُحولُهَا[2]
نَجَائِبَ لا يُودِي بأخفَافِهَا السُّرَى ، وَإنْ طَالَ بِالبِيدِ القِوَاءِ ذَمِيلُهَا[3]
فكَمْ نَفحةٍ مِنْ أرْضِها بَرّدتْ حشًى ، وَبَلّ غَلِيلاً مِنْ فُؤادٍ بَلِيلُهَا
تَخَطّى الرّيَاحُ الهُوجُ أعنَاقَ رَملِها فَتَجبرُهَا جَبْرَ القَرَا ، وَتَهيلُهَا[4]
مَنَازِلُ لا يُعطي القِيَادَ مُقيمُهَا ، مُغَالَبَةً ، وَلا يُهَانُ نَزيلُهَا
خَليليّ قَدْ خَفّ الهَوَى وَتَرَاجَعَتْ إلى الحِلْمِ نَفْسٌ لا يَعِزُّ مُذِيلُهَا
فلَستُ ابنَ أُمّ الخَيلِ إنْ لمْ أملْ بها عَوَابِسَ في دارِ العَدُوّ أُبِيلُهَا
إذا انجَفَلَتْ مِنْ غَمرَةٍ ثَابَ كَرُّها ، وَعَادَ إلى مَرّ المَنَايَا جُفُولُهَا
يُزَعفَرُ مِنْ عَضّ الشّكيمِ لُعابُها ، وَيُرْعَدُ مِن قَرْعِ العَوَالي خَصِيلُهَا[5]
وَأعطِفُ عَن خوْضِ الدّماءِ رُؤوسَها ، فَقَدْ فُقِدَتْ أوْضَاحُهَا وَحُجولُهَا

١ الرباب الجون : السحاب الأبيض أو الأسود . الحزن : ما غلظ من الأرض . الملا: الصحراء .
٢ الضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح في إناء واحد ، وأراد هنا المطر .
٣ القواء : القفر . الذميل : السير اللين .
٤ القرا : الظهر ، وأراد ظهر الأكمة . تهيلها ، من هال الرمل : صبه .
٥ الخصيل : كل لحمة فيها عصب .

نَميلُ علَيْهَا بِالسِّيَاطِ نَوَازِعاً، إلى كُلِّ بَيْدَاءٍ يَرِمُّ دَليلُهَا[1]
تَوَقَّرَ مِنْ عُنْفِ السِّيَاطِ مِرَاحُها، وَغَاضَ على طُولِ القيادِ صَهيلُهَا[2]
وَنحنُ القُرُومُ الصِّيدُ إنْ جاشَ بأسُها تُنُوذِرَ مَرْعَى ذَوْدِهَا وَمَقيلُهَا[3]
بِأيْمَانِنَا بِيضُ الغُرُوبِ خَفَائِفٌ، نَغُولُ بِهَا هَامَ العِدا وَتَغُولُهَا
تَفَلَّلْنَ حتّى كادَ مِنْ طُولِ وَقعِها بِيَوْمِ الوَغَى يَقضِي عَلَيها فُلُولُهَا
قَوَائِمُ قَدْ جَرّبْنَ كُلَّ مُجَرَّبٍ، بِضَرْبِ الطُّلى حتّى تَفانَتْ نُصُولُهَا
وَأوْدِيَةٌ بَيْنَ العِرَاقِ وَحَاجِرٍ بِبِيضِ المَوَاضِي وَالعَوَالي نُسيلُهَا
يَمُدّ بِدُفّاعِ الدّمَاءِ غُثَاؤهَا ، وَيَجْرِي بِأعْنَاقِ الرِّجَالِ حَميلُهَا[4]
إذا هَاشِمُ العَلْيَاءِ عَبَّ عُبَابُهَا ، وَسَالَتْ بِأطْنَابِ البُيُوتِ سُيُولُهَا
مُدَفَّعَةً تَحْتَ الرِّحَالِ رِكَابُهَا ، مُحَفَّزَةً تَحْتَ اللُّبُودِ خُيُولُهَا
وَكُلٌّ مُثَنّاةِ النُّسُوعِ مُطَارَةٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا حَلُّهَا وَرَحيلُهَا
كَأنّ عَلى مَتْنِ الظّليمِ قُتُودها ، وَفي يَدِ عُلْوِيِّ الرّيَاحِ جَديلُهَا[5]
رَأيْتُ المَسَاعي كُلّهَا وَتَلاحَقَتْ فُرُوعُ العُلَى مَجمُوعَةً وَأُصُولُهَا
إذا استَبَقَتْ يَوْماً تَرَاخَى تَبيعُهَا، وَخَلّى لهَا الشّأوَ البَعيدَ رَسيلُهَا[6]

١ يرم : يسكت
٢ توقر : سكن . مراحها : نشاطها .
٣ تنوذر ، من تناذر القوم أمراً : حذر بعضهم بعضاً منه .
٤ الحميل : ما يحمله السيل من الغثاء .
٥ الظليم : الذكر من النعام . القتود : خشب الرحل . الجديل : الزمام المجدول .
٦ التبيع : الذي يتبعها . الشأو : الغاية والسبق . الرسيل : الذي يرسل معها .

وَإمّا أمَالَتْ للطّعَانِ رِمَاحَهَا ، وَشُنّ عَلَيْهَا للّقَاءِ شَلِيلُهَا[1]
فثَمّ عوَالٍ مَا تُرَدّ صُدُورُها ؛ وَثَمّ جِيَادٌ مَا يُفَلّ رَعِيلُهَا
وَثَمّ الحُماةُ الذّائدونَ عَنِ الحِمى ، عَشِيّةَ لا يَحْمي النّسَاءَ بُعُولُهَا
أبي ، ما أبي ، لا تَدّعُونَ نَظِيرَهُ ، رَدِيفُ العُلى مِن قَبلكُم وَزَمِيلُهَا
هُوَ الحَامِلُ الأعبَاءَ كَلٍّ مُطيقُها ، وَعَجّ عَجِيجَ المُوقَرَاتِ حَمُولُهَا
طَوِيلُ نِجَادٍ يَحتَبي في عِصَابَةٍ ، فَيَفْرَعُهَا مُسْتَعْلِياً ، وَيَطُولُهَا
إذا صَالَ قُلنا: أجمعَ اللّيثُ وَثبَةً ؛ وَإنْ جادَ قُلنا: مَدّ مِن مصرَ نيلُهَا
حَلِيمٌ ، إذا التَفّتْ عَلَيْهِ عَشِيرَةٌ تَطَاطَا لَهُ شُبّانُهَا وَكُهُولُهَا
وَإنْ نُعْرَةٌ يَوْماً أمَالَتْ رُؤوسَهَا ، أقَامَ عَلى نَهْجِ الهُدَى يَستَمِيلُهَا
وَأنظَرَهَا حتّى تَعُودَ حُلُومُهَا ، وَأمْهَلَهَا حتّى تَثُوبَ عُقُولُهَا
وَلمْ يَطْوِها بالحِلْمِ فَضْلَ زِمَامِهَا ، فتَعْثُرَ فِيهِ عَثْرَةً لا يُقِيلُهَا
فعَنْ بأسِهِ المَرْهوبِ يُرْمَى عَدُوُّها ، وَمن مالِهِ المَبذُولِ يُودَى قَتيلُهَا
أكَابِرُنَا ، وَالسّابِقُونَ إلى العُلَى ، ألا تِلْكَ آسَادٌ ، وَنَحنُ شُبُولُهَا
وَإنّ أسُوداً كُنتُ شِبلاً لبَعْضِها ، لمَحْقُوقَةٌ أنْ لا يُذَلّ قَتِيلُهَا

١ الشليل : الدرع الصغيرة تحت الدرع الكبيرة .

الأماني حسرة وعناء

يرثي أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء سنة ٣٨٧ :

رَاحِلٌ أنْتَ ، وَاللّيَالي نُزُولُ ، وَمُضِرٌّ بِكَ البَقَاءُ الطّوِيلُ
لا شُجَاعٌ يَبْقَى فَيَعْتَنِقَ الْـ بِيضَ، وَلا آمِلٌ ، وَلا مَأمُولُ
غَايَةُ النّاسِ في الزّمَانِ فَنَاءٌ ، وَكَذا غَايَةُ الغُصُونِ الذّبُولُ
إنّمَا المَرْءُ للمَنِيّةِ مَخْبُو ءٌ ، وَللطّعْنِ تُسْتَجَمّ الخُيُولُ[1]
مِنْ مَقِيلٍ بَيَنَ الضّلُوعِ إلى طو لِ عَنَاءٍ ، وَفي التّرَابِ مَقِيلُ
فَهْوَ كَالغَيْمِ ألّفَتْهُ جَنُوبٌ، يَوْمَ دَجْنٍ ، وَمَزّقَتْهُ قَبولُ
عَادَةٌ للزّمَانِ في كُلّ يَوْمٍ ، يَتَنَاءَى خِلٌّ ، وَتَبكي طُلُولُ
فَاللّيَالي عَوْنٌ عَلَيْكَ مَعَ البَيْـ نِ ، كمَا ساعَدَ الذّوَابلَ طُولُ
رُبّمَا وَافَقَ الفَتَى مِنْ زَمَانٍ فَرَحٌ ، غَيرُهُ بِهِ مَتْبُولُ
هيَ دُنيَا إنْ وَاصَلَتْ ذا جَفَتْها ذا مَلالاً ، كَأنّهَا عُطْبُولُ[2]
كُلٌّ بَاكٍ يُبْكى عَلَيْهِ ،وَإن طا لَ بَقَاءٌ ، وَالثّاكِلُ المَثكولُ

١ تستجم من قولهم : استجم البئر : تركها حتى تمتلىء ماء ، وأراد هنا : تترك الخيول مستريحة حتى تمتلىء نشاطاً وقوة .
٢ العطبول : المرأة الفتية الجميلة .

وَالأمَانيُّ حَسْرَةٌ وَعَنَـاءٌ لِلّذي ظَنّ أنّهَا تَعْليلُ
مَا يُبَالي الحِمَامَ أينَ تَرَقّى ، بَعْدَمَا غَالَتِ ابنَ فاطمَ غُولُ
أيُّ يَوْمٍ أدمَى المَدامِعَ فيهِ ، حَادِثٌ رَائعٌ، وَخَطبٌ جَليلُ
يَوْمُ عاشورَاءَ الذي لا أعَانَ الـ صّحْبُ فيهِ وَلا أجَارَ القَبيلُ[1]
يا ابنَ بنتِ الرّسُولِ ضَيّعَتِ العَهْـ دَ رِجالٌ ، وَالحافِظونَ قَليلُ
ما أطَاعُوا النبيّ فيكَ، وَقَدْ مَا لَتْ بِأرْمَاحِهِمْ إلَيكَ الذُّحولُ[2]
وَأحَالُوا عَلَى المَقَادِيرِ في حَرْ بِكَ لَوْ أنّ عُذرَهُمْ مَقبُولُ
وَاستَقَالُوا مِنْ بَعدِ ما أجلَبوا فيـ هَا أالآنَ أيّهَـا المُسْتَقيلُ
إنّ أمراً قَنَعْتَ مِنْ دُونِهِ السّيْـ فَ لِمَنْ حَازَهُ لَمَرْعًى وَبِيلُ
يا حُسَاماً فَلّتْ مَضَارِبَهُ الهَا مَ ، وَقَدْ فَلّهُ الحُسَامُ الصّقيلُ
يا جَوَاداً أدْمَى الجَوَادَ مِنَ الطّعْـ نِ ، وَوَلّى ، وَنَحرُهُ مَبلُولُ
حَجَلَ الخيلُ مِن دِماءِ الأعادي يومَ يَبدو طَعنٌ، وَتخفى حُجولُ
يوْمَ طاحَتْ أيدي السّوَابقِ في النّقْـ عِ وَفاضَ الوَنى وَغاضَ الصّهيلُ
أتُرَاني أُعِيرُ وَجْهِيَ صَوْناً ، وَعَلَى وَجهِهِ تَجولُ الخُيولُ
أتُرَاني ألَـذُّ مَاءً ، وَلَمّا يَرْوَ مِنْ مُهجَةِ الإمامِ الغَليلُ
قَبّلَتْهُ الرّمَاحُ وَانتَضَلَتْ فيـ هِ المَنَايَا ، وَعَانَقَتْهُ النُّصُولُ
وَالسّبَايَا عَلَى النّجَائِبِ تُسْتَا قُ، وَقد نَالَتِ الجُيوبَ الذّيولُ

---

١ القبيل : الجماعة من أقوام شتى .
٢ الذحول : الثارات .

مِنْ قُلُوبٍ يَدْمَى بِهَا نَاظِرُ الوَجْـ ـدِ وَمن أدمُعٍ مَرَاهَا الهُمُولُ[1]
قَدْ سَلَبْنَ القِنَاعَ عَن كلِّ وَجْهٍ فيهِ للصَّوْنِ مِنْ قِنَاعٍ بَديلُ
وَتَنَقَّبْنَ بِالأنَامِلِ ، وَالدَّمْـ ـعُ عَلى كُلِّ ذي نِقَابٍ دَليلُ
وَتَشَاكَيْنَ ، وَالشَّكَاةُ بُكَاءٌ ، وَتَنَادَيْنَ ، وَالنِّدَاءُ عَوِيلُ
لا يَغُبُّ الحَادي العَنيفُ ، وَلا يَفْـ ـتُرُ عَنْ رَنَّةِ العَديلِ العَديلُ
يا غَرِيبَ الدِّيارِ ! صَبرِي غَرِيبٌ ، وَقَتيلَ الأعداءِ ، نَوْمي قَتيلُ
بِي نِزَاعٌ يَطغَى إلَيكَ وَشَوْقٌ ، وَغَرَامٌ ، وَزَفْرَةٌ ، وَعَوِيلُ
لَيتَ أنّي ضَجيعُ قَبرِكَ ، أوْ أنّ ثَرَاهُ بِمَدْمَعي مَطْلُولُ
لا أغَبَّ الطُّفُوفَ في كُلِّ يَوْمٍ من طِرَافِ الأنوَاءِ غَيثٌ هَطولُ[2]
مَطَرٌ نَاعِمٌ ، وَرِيحُ شَمَالٍ ، وَنَسيمٌ غَضٌّ ، وَظِلٌّ ظَليلُ
يا بَني أحمَدٍ ! إلى كَمْ سِنَاني غَائِبٌ عَنْ طِعَانِهِ مَمطُولُ
وَجِيَادي مَرْبُوطَةٌ ، وَالمَطَايا ، وَمَقَامي يَرُوعُ عَنهُ الدَّخيلُ[3]
كَمْ إلى كم تَعلو الطُّغاةُ ، وكم يحـ ـكُمُ في كُلِّ فاضِلٍ مَفضُولُ
قَدْ أذاعَ الغَليلُ قَلبي ، وَلَكِنْ غَيرَ بَدْعٍ إنِ استَطَبَّ العَليلُ
لَيْتَ أنّي أبقَى ، فأمتَرِقَ النّا سَ وَفي الكَفّ صَارِمٌ مَسلُولُ[4]

١ مراها : استخرجها .
٢ الطفوف ، الواحد طف : شاطىء الفرات وما ارتفع من جانبه
٣ يروع : يرتد .
٤ امترق : اخترق .

وَأَجُرَّ القَنَا لِثَارَاتِ يَوْمِ الـ طَّفّ يَستَلحِقُ الرَّعيلَ الرَّعيلُ[1]
صَبَغَ القلبَ حُبُّكُمْ صِبغَةَ الشّيْـ ـبِ وَشَيبي ، لوْلا الرَّدى ، لا يَحول ُ
أنَا مَوْلاكُمُ ، وَإنْ كُنتُ منكُم ، وَالدي حَيدَرٌ ، وَأُمّي البَتُول[2]
وَإذا النّاسُ أدْرَكُوا غَايَةَ الفَخْـ ـرِ شَآهُم مَن قالَ جَدّيَ الرّسُول[3]
يَفرَحُ النّاسُ بي لأنيَ فَضْلٌ ، وَالأنَامُ الذي أرَاهُ فُضُولُ
فَهُمُ بَينَ مُنْشِدٍ مَا أُقَفّيـ ـهِ سُرُوراً ، وَسَامعٍ مَا أقُولُ
لَيتَ شِعرِي ، مَن لائمي في مَقالٍ تَرْتَضِيهِ خَوَاطِرٌ وَعُقُولُ
أتَرُكُ الشيْءَ عاذِرِي فيهِ كلٌّ الـ ـنّاسِ مِن أجلِ أنْ لحَاني عَذُولُ
هُوَ سُؤلي إنْ أسْعَدَ اللهُ جَدّي ، وَمَعَالي الأُمُورِ للذِّمرِ سُولُ[4]

١ يوم الطف : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين ابن الإمام علي .
٢ حيدر : لقب الإمام علي . البتول : لقب زوجه فاطمة بنت النبي .
٣ شآهم : سبقهم .
٤ الذمر : الشجاع .

موت الفتى خير له

يعزي الخليفة عن عمر بن إسحق بن المقتدر وآخر ولد كان بقي للمقتدر من ظهره وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٧٧ :

أيُرْجِعُ مَيْتاً رَنّةٌ وَعَوِيلُ ، وَيَشْفَى بِأسرَابِ الدّمُوعِ غَليلُ ؟
نُطيلُ غرَاماً ، وَالسّلُوُّ مُوَافِقٌ ، وَنُبْدي بُكَاءً ، وَالعزَاءُ جَميلُ
شَبَابُ الفَتى لَيلٌ مُضِلٌّ لطُرْقِهِ ، وَشَيبُ الفَتى عَضبٌ عَلَيهِ صَقيلُ
فَمَا لَوْنُ ذا قَبلَ المَشيبِ بدائِمٍ ، وَلا عَصرُ ذا بَعدَ الشّبابِ طَوِيلُ
وَحَائِلُ لَوْنِ الشّعْرِ،في كُلّ لِمّةٍ ، دَليلٌ عَلى أنّ البَقَاءَ يَحُولُ
نُؤمّلُ أن نَرْوَى من العَيشِ ،وَالرّدى شَرُوبٌ لأعْمَارِ الرّجَالِ أكُولُ
وَهَيهَاتَ مَا يُغْني العَزِيزَ تَعَزُّزٌ فَيَبَقى ، وَلا يُنجي الذّليلَ خُمُولُ
نَقُولُ : مَقيلٌ في الكَرَى لجُنُوبِنا ، وَهَل غَيرُ أحشَاءِ القُبُورِ مَقيلُ
دَعِ الفِكْرَ في حُبّ البَقاءِ وَطولِهِ ، فَهَمُّكَ ، لا العُمرُ القَصِيرُ ، يَطولُ
وَلاتَرْجُ أنْ تُعطَى من العَيشِ كثرَةً ، فكُلُّ مُقَامٍ في الزّمَانِ قَليلُ
وَمَنْ نَظَرَ الدّنْيَا بِعَينِ حَقيقَةٍ ، دَرَى أنّ ظِلاًّ لمْ يَزُلْ سَيَزُولُ
تُشَيِّعُ أظْعَانٌ إلى غَيرِ رَجْعَةٍ ، وَتُبْكَى دِيَارٌ بَعْدَهمْ وَطُلُولُ
لمَاذا تُرَبّي المُرْضِعَاتُ طَمَاعَةً ؛ لمَاذا تَخَلّى بِالنّسَاءِ بُعُولُ[1]

... .

[1] تخلى : تنفرد في خلوة .

أَلَيسَ إلى الآجَالِ نَهوِي، وَخَلفُنا مِنَ المَوْتِ حَادٍ لا يَغُبُّ عَجُولُ؟
فمُحتَضَرٌ بَينَ الأقارِبِ ، أَوْ فَتًى تَشَحّطَ مَا بَينَ الرّمَاحِ قَتيلُ[1]
إذا لمْ يكُنْ عقلُ الفتى عونَ صَبرِهِ ، فلَيسَ إلى حُسْنِ العزَاءِ سَبيلُ
وَإنْ جَهِلَ الأقدارَ وَالدّهرَ عاقِلٌ ، فَأضْيَعُ شَيْءٍ في الرّجَالِ عُقُولُ
تَغَيّرُ ألْوَانُ اللّيَالي ، وَتَنْمَحي بِهِ غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
تَعَزَّ ، أمِينَ الله ، وَاستَأنِفِ الأسَى ، فَفي الأجرِ مِن عُظْمِ المُصَابِ بَديلُ
وَمَا هَذِهِ الأيّامُ إلاّ فَوَارِسٌ تُطَارِدُنَا ، وَالنّائِبَاتُ خُيُولُ
وَإنْ زَالَ نَجْمٌ مِن ذُؤابَة هاشِمٍ ، فَلا عَجَبٌ ، إنّ النّجومَ تَزُولُ
مَضَى وَالذي يَبقَى أحَبُّ إلى العُلى ، وَأهدَى إلى المَعرُوفِ حينَ يُنيلُ
بَقَاءَكَ نَهْوَى وَحْدَهُ دُونَ غَيرِهِ ، فَدَعْ كُلَّ نَفسٍ ما سِوَاكَ تَسيلُ
وَمَوْتُ الفتى خَيرٌ لَهُ من حَيَاتِهِ ، إذا جَاوَرَ الأيّامَ ، وَهوَ ذَليلُ
تَلَفّتْ إلى آبَائِكَ الغُرِّ هَل تَرَى مِنَ القَوْمِ بَاقٍ جاوَزَتْهُ حُبُولُ[2]
وَهَلْ نالَ في العَيشِ الفتى فوْقَ عمرِهِ ، وَهَلْ بُلَّ مِنْ داءِ الحِمَامِ غَليلُ
وَمَن ماتَ لمْ يَعلَمْ وَقد عانَقَ الثّرَى بَكَاهُ خَليلٌ أمْ سَلاهُ خَليلُ
فكَفْكِفْ عِنانَ الوَجدِ ،إمّا تَعزّياً ، وَإمّا طِلاباً أنْ يُقَالَ حَمُولُ
فكُلٌّ ،وَإن لمْ يَعجلِ المَوْتُ ، ذاهِبٌ ، ألا إنّ أعْمَارَ الأنَامِ شُكُولُ
وَللحُزْنِ ثَوْرَاتٌ تَجُورُ عَلى الفتى ، كمَا صَرَعَتْ هَامَ الرّجَالِ شَمُولُ

١ المحتضر : الذي حضره نزع الموت . تشحط : تضرج بالدم ، اضطرب فيه .
٢ الحبول : أراد الداهية .

لقد كنتُ أُوصِي بالبُكَاءِ مِنَ الجوَى ... لَوَ انّ غَرَاماً بالدّمُوعِ غَسيلُ
فَـأمّا ، وَلا وَجْدٌ يزُولُ بعَبرَةٍ ، ... فصَبرُ الفَتى ، عِندَ البَلاءِ ، جَميلُ
وكَم خالَطَ الباكينَ مِن سن ّضَاحكٍ ، ... وبَينَ رُغَاءِ الرّازِحَاتِ صَهيلُ[1]
وَإنّي أرَاني لا ألِينُ لِحَادِثٍ ... لَهُ أبَداً وَطْءٌ عَليّ ثَقيلُ
وَأُغضِي عَنِ الأقدارِ،وَهيَ تَنوبُني ، ... وَمَا نَظَرِي، عِندَ الأمُورِ، كَليلُ
يُهَوِّنُ عِندي الصّبرَ ما وَقَعَتْ بِهِ ... صُرُوفُ اللّيالي، وَالخُطوبُ نُزُولُ
وَمَا أنَا بالمُغضِي عَلى ما يَعيبُني ؛ ... وَلا أنَا عَنْ وُدّ القَريبِ أحُولُ
وَلا قَائِلٌ مَا يَعْلَمُ اللهُ ضِدّهُ ، ... وَلَوْ نَالَ مِنْ جِلْدِي قَناً وَنُصُولُ
وَلَوْلا أميرُ المُؤمِنِينَ تَحَضّرَتْ ... بيَ البِيدَ هَوْجاءُ الزّمَامِ ذَمُولُ[2]
وَطَوّحَ بِي ،في كُلّ شَرْقٍ وَمَغرِبٍ، ... زَمَانٌ ضَنِينٌ بِالرّجَاءِ بَخيلُ
وَلَكِنّهُ أعلَى مَحَلّي عَلى العِدا ، ... وَعَلّمَ نُطْقي فِيهِ كَيفَ يَقُولُ
وَعَوّدَني مِنْ جُودِ كَفّيْهِ عَادَةً ، ... أعُوجُ إلَيْهَا بِالمُنى وَأمِيلُ
يَقولونَ :لوْ أمّلْتَ في النّاسِ غَيرَهُ ، ... وَهَلْ فَوْقَهُ للسّائِلِينَ مَسُولُ
وَمَنْ يَكُ إقْبَالُ الخَلِيفَةِ سَيفَهُ، ... يُلاقِ اللّيَالي ، وَهيَ عَنهُ نُكُولُ
وَمَنْ كَانَ يَرْمي عَن تَقَدّمِ باعِهِ ... يُصِبْ سَهمُهُ أغرَاضَهُ وَيَؤُولُ[3]

١ الرغاء : صوت الجمل . الرازحات : النياق التي سقطت إعياء وهزالا .
٢ تحضرت بي : عدت بي . الهوجاء : الناقة المسرعة . الذمول : التي تسير الذميل وهو سير متوسط .
٣ يؤول : يرجع .

فتَى تُبصِرُ العَلْيَاءُ في كُلّ مَوْقِفٍ ... بِهِ الرّمْحَ أعمَى وَالحُسَامَ ذَليلُ
وَيُدْخِلُ أطْرَافَ القَنَا كُلّ مُهجَةٍ ... بِهَا أبَداً غِلٌ عَلَيْهِ دَخيلُ
إذا لاحَ يَوْمُ الرّوْعِ في سرْجِ سابحٍ ... تَنَاذَرَهُ بَعْدَ الرّعيلِ رَعيلُ
بَقيتَ ، أميرَ المُؤمِنينَ ، فَإنّما ... بَقَاؤكَ بِالعِزّ المُقيمِ كَفيلُ
وَلا ظَفِرَتْ مِنْكَ اللّيَالي بفُرْصَةٍ ، ... وَلا غَالَ قَلباً بَيْنَ جَنبِكَ غُولُ
وَأعطِيتَ ما لمْ يُعطَ في المُلكِ مالِكٌ ، ... فإنّكَ فَضْلٌ ، وَالأنَامُ فُضُولُ

سقوط طود وزوال ملك

قال أيضاً لما خلع الخليفة الطائع لله يذكر أيامه ويرثيها ويتوجع له مما لحقه وذلك في شعبان سنة ٣٨١ :

إنْ كَانَ ذاكَ الطّوْدُ خَـ ... رَّ ، فَبَعدَما استَعلى طَوِيلا
مُوفٍ عَلى القُلَلِ الذّوَا ... هِبِ في العُلى عَرْضاً وَطُولا
قَرْمٌ يُسَدِّدُ لَحْظَهُ ، ... فَتَرَى القُرُومَ لَهُ مُثُولا
وَيُرَى عَزِيزاً حَيْثُ حَـ ... لَّ ، وَلا يرَى إلاّ ذَليلا
كَاللّيثِ ، إلاّ أنّـهُ ... اتّخَذَ العُلى وَالمَجْدَ غِيلا
وَعَلا عَلى الأقْرَانِ لا ... مِثلاً يُعَدّ وَلا عَديلا
مِنْ مَعْشَرٍ رَكِبُوا العُلى، ... وَأبَوْا عَنِ الكَرَمِ النّزُولا

غُرٌّ ، إذا نَسَبُوا لَنَا الـ غُرَرَ اللَّوَامِعَ وَالحُجُولا
كَرُمُوا فُرُوعاً ، بَعدَما طابُوا ، وَقد عُجموا أُصُولا
نَسَبٌ غَدَا رُوّادُهُ يَستَنجِبُونَ لَنَا الفُحُولا
يا نَاظِرَ الدّينِ الّذي رَجَعَ الزّمَانُ بِهِ كَلِيلا
يا صَارِمَ المَجْدِ الّذي مُلِئَتْ مَضَارِبُهُ فُلُولا
يا كَوْكَبَ الأحْسَابِ أعْـ جَلَكَ الدُّجَى عنّا أُفُولا
يَا غَارِبَ النِّعَمِ العِظَا مِ غَدَوْتَ مَعموراً جَزِيلا[1]
يا مُصْعَبَ العَلْيَاءِ قا دَتْكَ العِدا نِقْضاً ذَلُولا[2]
لَهْفي عَلَى مَاضٍ قَضَى ألاّ تَرَى مِنْهُ بَدِيلا
وَزَوَالُ مُلْكٍ لمْ يَكُنْ يَوْماً يُقَدَّرُ أنْ يَزُولا
وَمَنَازِلٍ سَطَرَ الزّمَا نُ عَلَى مَعالِمِهَا الحُؤولا[3]
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ عَلَى الـ أيّامِ مَرْبَأَةً زَلُولا[4]
وَالأُسْدُ تَرْتَكِزُ القَنَا فِيهَا ، وَتَرْتَبِطُ الخُيُولا
مَنْ يُسبِغُ النِّعَمَ الجِسَا مَ ، وَيَصْطَفي المجدَ الجَزِيلا
مَنْ يُنْتِجُ الآمَالَ يَوْ مَ تَعُودُ باللَّيّانِ حُولا[5]

١ الغارب : الكاهل . المعمور : الباقي على الزمان .
٢ المصعب : الفحل . النقض : المهزول .
٣ الحؤول : التحول من حالة إلى أخرى .
٤ المربأة : المكان الذي يقف فيه من يرقب . الزلول : المزلقة .
٥ الليان : المطل . الحول : من التحول والانقلاب .

مَنْ يُورِدُ السُّمْرَ الطُّوَا ل َ، وَيَطعَمُ البيضَ النُّصُولا
مَنْ يَزْجُرُ الدَّهْرَ الغَشُو م َ، وَيَكشِفُ الخَطبَ الجليلا
وَتَرَاهُ يَمْنَعُ دُونَنَا وَادي النَّوَائِبِ أنْ يَسيلا
عقّادُ ألْوِيَةِ المُلُو كِ على العُلى جِيلاً، فجيلا
هَذا ، وَكَمْ حَرْبٍ تَبُزُّ الأُسْدَ سَطوَتُها الغَليلا[1]
صَمّاءُ تُخرِسُ آلَها ، إلاّ قِراعاً ، أوْ صَهيلا
وَالخَيْلُ عَابِسَةٌ تَجُرُّ مِنَ العَجاجِ بها ذُيُولا
أجتَابُ عَارِضَهَا ، وَقَدْ رَحَلَ المَنُونُ بِهِ هَمُولا[2]
كَالثّائِرِ الضِّرْغَامِ إنْ لَبِسَ الوَغى دَقّ الرّعيلا
صَانَعْتُ يَوْمَ فِرَاقِهِ قَلْباً ، قَدِ اعتَنَقَ الغَليلا
ظَعَنَ الغِنَى عَنّي ، وَحَ وَّلَ رَحْلَهُ إلاّ قَليلا
إنْ عَادَ يَوْماً عَادَ وَجْ هُ الدّهْرِ مُقْتَبِلاً جَميلا
وَلَئِنْ مَضَى طَوْعَ المَنونِ مُؤمِّماً تِلْكَ السّبيلا
فَلَقَدْ تَخَلّفَ مَجْدُهُ عِبْأً عَلى الدّنْيا ثَقيلا
وَاستَذْرَتِ الأيّامُ مِنْ نَفَحَاتِهِ ظِلاًّ ظَليلا[3]

١ تبز : تسلب . الغليل : الحقد .
٢ الهمول : المتروك ليلا ونهاراً يرعى بلا راع .
٣ استذرت : استظلت .

ايها الظاعن

قال قدس الله روحه يرثي الخليفة الطائع لله وقد توفي في مجلسه وهو مخلوع يوم الأربعاء الليلتين خلتا من شوال سنة ٣٩٣ ودفن في تربة كان عمرها بالرصافة وكان في خلافته شديد الميل إليه وكان بينهما أحوال وكيدة وأنس :

أيُّ طَوْدٍ دُكَّ مِنْ أيِّ جِبَالِ ، لقحتْ أرْضٌ بِهِ بَعدَ حِيَالِ[١]
مَا رَأى حَيٌّ نِزَارٍ قَبْلَهَا جَبَلاً سَارَ عَلَى أيدي الرِّجالِ
عَجَباً أصْبَحتُ للضَّيْمِ ، وَمَا نَثَرَ الطَّعْنُ أنَابِيبَ العَوَالي
فَإذا رَامي المَقَادِيرِ رَمَى فَدُرُوعُ المَرْءِ أعْوَانُ النِّصَالِ
قَادَهُ المِقْدارُ قَسْراً بَعْدَمَا أكْرَهَ السُّمْرَ عَلى المَقِّ الطِّوَالِ[٢]
وَأبَالَ الخَيْلَ في كُلِّ حِمًى ، يَمنَعُ المَاطِرَ مُنهَلَّ العَزَالي[٣]
مِثلَ عِقْبَانِ المَوَامي دُلَّحاً ، رَاشَهَا قَرْعُ الحَنَايا بالنِّبَالِ[٤]
حَامِلاً عَنْ قَوْمِهِ العِبْءَ ، وَمَا حَمِدُوا عُرْعُرَةَ العَوْدِ الجُلالِ[٥]
القَبرُ الذي أمْسَى بِهِ عَاطِلَ الأرْضِ جَميعاً وَهوَ حالي

١ لقحت : حملت .
٢ المق : الشق .
٣ منهل العزالي : هو من قولهم أرسلت السماء عزاليها إذا أمطرت مطراً شديداً .
٤ الموامي : الفلوات . الدلح ، الواحد دالح : السحاب الكثير الماء .
٥ العرعرة : السنام . العود : الجمل المسن .

لَمْ يُوَارُوا بِكَ مَيْتاً إنّمَا أفرَغُوا فيكَ ذَنُوباً مِن نَوَالِ
طَالَ مَا لاذَ بِهِ المَالُ كَمَا لاذَتِ الإصْبِعُ يَوْماً بالقِبالِ
حَمَلُوهُ بَازِلاً مُحْتَقِراً دَلَجَ اللّيْلِ وَلَزّاتِ الحِبَالِ[1]
إنْ غَدا مَجْدُوعَةً أشْرَافُهُ ، فالبُنَى وَافِيَةٌ ، وَالمَجدُ عَالي
عَقَرُوا لَيثاً ، وَلَوْ هَاهُوا بِهِ كانَ بَعدَ العقرِ أرْجَى للصِّيالِ[2]
وَكَذا الأيّامُ مَنْ قَارَعَهَا ، تركَتْ فِيهِ عَلامَاتِ النِّزَالِ
عَقَلُوهُ بَعْدَمَا جَازَ المَدَى ، وَطَوَى شَأوَ مَسَاعٍ وَمَعَالي
وَكَذا السّابِقُ ، يَوْماً بِعِنَانٍ يُحرِزُ السَّبْقَ ، وَيَوْماً بعِقَالِ
قُمْتَ عَنْهَا بَعْدَمَا عَجّ بِهَا ، وَرَمَى أوْسُقَهَا بُزْلُ الجِمَالِ
وَانتَزَعْتَ النّصْلَ مِنْ مُقْلَتِها، بَعدَ غَايَاتِ نِزَاعٍ وَمَطَالِ
لَيتَهُمْ أعْطَوْكَ إنْ لمْ يَعدِلُوا، بُسْلَةَ الرّاقي مِنَ الدّاءِ العُضَالِ[3]
نَتَجُوا في المَجْدِ مَا ألقَحْتَهُ ، رُبّمَا أوْقَدَ نَاراً غَيرُ صَالي
وَكَأنّي خِلَلَ الغَيْبِ أرَى نَغرَةً مِنْ جُرْحِها بَعدَ اندمالِ[4]
وَإذا الأعْداءُ عَدّوكَ لَهَا سَلّمُوا فَضْلَكَ مِن غَيرِ جِدالِ
لا أضَاعُوا رَابِئاً في قُلّةٍ كَلأَ المَجدِ ، وَقَدْ نَامَ الكَوَالي[5]

١ اللزات : الشدات .
٢ هاهوا به : زجروه ، ودعوه بقولهم : هاها .
٣ البسلة : الأجرة .
٤ النغرة : سيلان الدم من الجرح .
٥ الرابىء : الرقيب . الكلأ : الحرس . الكوالي ، الواحد كالىء : الحارس .

يَوْمَ للشَّعْبِ دِهَانٌ مِنْ دَمٍ ،   وَالمَوَاضِي للمَقَادِيمِ فَوَالي[1]
في فُتُوٍّ شَيَّعُوا أرْمَاحَهُمْ ،   أمَمَ المَوْتِ إلى الطّعنِ عِجَالِ
بخِفَافٍ فَوْقَ أيْمَانِ رِجالٍ ،   وَثِقَالٍ فَوْقَ أعْنَاقِ رِجَالِ
قُضُبٌ، يَوْمُ صَداها في الوَغَى ،   بالطُّلَى، أطولُ مِن يَوْمِ الصّقالِ
لَكَ مِنْهَا نَاحِلٌ تَعصَى بهِ ،   يَوْمَ أبْدَلْنَ عَصِيّاً بِعَوَالي
تُلْحِمُ الأعْداءَ مِنهُ جَازِراً ،   يَنقُلُ اللّحْمَ إلى غَيرِ عِيَالِ
قَد قَدَحتَ العِزّ زَنْداً غيرَ كابٍ ،   وَلَبِستَ المَجدَ بُرْداً غَيرَ بَالي
وَإذا أغْلَى الوَرَى أُكْرُومَةً ،   وَجَدُوا عِندَكَ أثْمَانَ الغَوَالي
إنّ للطّائِعِ عِندي مِنّةً ،   وَحِمًى قَدْ بَلّهَا لي ببِلالي
لَيسَ يُنسيها ، وَإنْ طالَ المدى،   مَرُّ أيّامٍ عَلَيْهَـا وَلَيَالي
فَاتَني مِنكَ انْتِصَارٌ بِيَمِيني ،   فَتَلافَيْتُ انْتِصَاراً بِمَقَالي
لا عَجيبٌ حِفظُ كَفّ لِبَنَانٍ ،   وَوَفَاءٌ مِنْ يَمِينٍ لِشِمَالِ
عَزّ مَنْ أمْسَى مُعِدّاً ظَهْرَهُ ،   أخذَ الأُهْبَةَ يَوْماً للزّيَـالِ
يَنظُرُ الدّنْيَا بعَيْنَيْ نَاهِضٍ ،   مَطَرٌ يَنْفضُ أنْداء الطِّلالِ[2]
يَنشُطُ البُلْغَةَ مِنْ آكِلِهَا ،   نِشطَةَ المَطرُودِ وَلّى، وَهوَ خالي
لا يَرِمْ قَبرَكَ مِبرَاقُ الذُّرَى ،   مُنجِدَ الأعناقِ غَوْرِيَّ التّوَالي[3]

١ المقاديم ، الواحد مقدام : الكثير الإقدام .
٢ الناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه وقدر على الطيران .
٣ لا يرم : لا يبرح . المنجد : المرتفع . غوري : منخفض ، نسبة إلى الغور .

كُلَّمَا عَجَّ رَمَى في عُرْضِهِ ... شُعَلَ البَرْقِ الرَّبَابُ المُتَعَالي[1]

كَرِهَاءِ الدُّهْمِ لاقَيْتَ بِهِ ... في رِعَالٍ يَتَعَدَّى بِرِعَالِ[2]

تُطْلِقُ الصَّرَّةَ مِنْ أَخْلافِهِ ، ... أُمُّ أَوْبَيْنِ: نُعَامَى وَشَمَالِ[3]

أَلْحِقَتْ شَعَّاعَةُ الرِّيحِ كَمَا ... جَرَّتِ الخَيْلُ رَعَابِيبَ الحِلالِ[4]

لا أَرَى الدَّمْعَ كِفَاءً للجَوَى ، ... لَيسَ أَنَّ الدَّمعَ مِنْ بَعدِكَ غالي

وَبِرُغْمي أَنْ كَسَوْنَاكَ الثَّرَى ، ... وَفَرَشْنَاكَ زَرَابِيَّ الرِّمَالِ[5]

وَهَجَرْنَاكَ عَلَى ضَنِّ الهَوَى ؛ ... رُبَّ هِجرَانٍ عَلى غَيرِ تَقَالي

أيُّها الظَّاعِنُ لا جازَ الحَيَا ... أبداً بَعدكَ بالحيِّ الحِلالِ

كنتَ في الأحجالِ أرْجُوكَ ، وَلا ... أرْتجي اليَوْمَ عَظيماً في الحِجَالِ[6]

كُلُّ مَأسُورٍ يُرَجّى فَكُّهُ ، ... غَيرَ مَنْ أصْبَحَ في قَيدِ اللّيَالي

نَسَبٌ كَالشَّمْسِ أَوْفَيتَ بِهِ ... في المَعَالي بَينَ نَجْمٍ وَهِلالِ

زَلِقَ المَرْقَى بَعيدَ المُنتَمَى ، ... في قِنَانٍ للمَسَاعي وَقِلالِ

تَقصُرُ الألحَاظُ عَنْهُنّ ، فَمَا ... ظَنُّ مَنْ مَدّ يَدَيْهِ للمَنَالِ

١ عرضه : ناحيته .

٢ رهاء الدهم : تتابع الخيل السود . الرعال : جماعة الخيل .

٣ الصرة : شد ضرع الناقة . الأوبين : الجهتين . النعامى : ريح الجنوب .

٤ شعاعة الريح : الريح التي اختلفت مهابها . الرعابيب : النوق الطياشة ، الواحدة رعبيب . الحلال : البيوت ، الواحدة حلة .

٥ الزرابي : البسط .

٦ الأحجال ، الواحد حجل : القيد . الحجال ، الواحدة حجلة : ما يزين بالثياب والستور للعروس

فِي الرَّوَابِي مِنْ مَعَدٍّ ، وَالذُّرَى نُهِزَ المَجْدُ بِعَادِيِّ السِّجَالِ

وَإِذا مَا الأَرْضُ كَانَتْ شَوْكَةً خَطَرُوا فِيها عَلى غَيْرِ نِعَالِ

كُلُّ رَاقٍ مَرَّ بِالنَّجْمِ إِلى قُنَنِ السُّؤْدَدِ وَالمَجْدِ الطِّوَالِ

مَعْشَرٌ ، إِنْ غابَتِ الأَرْضُ بِهِمْ ، لَمْ يَغِيبُوا عِنْدَ مَجْدٍ وَفَعَالِ

كُلَّمَا ازْدادَتْ بِلًى أَعظُمُهُمْ نَشَرَتْهُمْ سُمَعٌ غَيْرُ بَوَالِي

وَالعُلَى مَا لَمْ يَرُبُّوا دارَهَا ، طُرُقٌ عُوجٌ ، وَأَطْلالٌ خَوَالِي[1]

ضَمِنَتْ مِنهُمْ قَرَارَاتُهُمُ عَمَدَ المَجدِ ، وَأَرْكَانَ المَعَالِي

لا تَقُلْ تِلْكَ قُبُورٌ ، إِنَّمَا هِيَ أَصْدافٌ عَلى غَيْرِ لآلِ

نجم المعروف المحلق

يرثي الصاحب أبا القاسم كافي الكفاة إسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى وقد ورد الخبر بوفاته في يوم الأربعاء لعشر ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٨٥ وقيل إنه توفي للنصف وقد كان قارب الستين سنة من عمره :

أَكَذا المَنُونُ تُقَنْطِرُ الأَبْطَالا ؛ أَكَذا الزَّمَانُ يُضَعْضِعُ الأَجْبَالا[2]

أَكَذا تُصَابُ الأُسْدُ ، وَهِيَ مُدِلَّةٌ تَحْمِي الشُّبُولَ ، وَتَمنَعُ الأَغْيَالا؟

١ يربوا : يقيموا ويصلحوا .

٢ تقنطر : لم نجد لها معنى موافقاً ، ولعله أراد بها ترفعهم من الدنيا ، ترديهم .

أكَذا تُقَامُ عَنِ الفَرَائِسِ بَعْدَمَا مَلأتْ هَمَاهِمُهَا الوَرَى أوْجَالا ؟[1]
أكَذا تُحَطّ الزّاهِرَاتُ عَنِ العُلَى، مِنْ بَعدِما شَأَتِ العُيُونَ مَنَالا ؟
أكَذا تُكَبّ البُزْلُ وَهيَ مَصَاعِبٌ، تَطوِي البَعيدَ ، وَتَحمِلُ الأثقَالا ؟
أكَذا تُغَاضُ الزّاخِرَاتُ وَقَدْ طغتْ لُجَجاً ، وَأورَدَتِ الظّمَاءَ زُلالا ؟
يا طَالِبَ المَعْرُوفِ حلّقَ نَجْمُهُ ، حُطّ الحُمُولَ وَعَطّلِ الأجمَالا !
وَأقِمْ عَلى يَأسٍ ، فقَدْ ذَهَبَ الذي كَانَ الأنَامُ عَلى نَداهُ عِيَالا
مَنْ كانَ يَقرِي الجَهلَ عِلماً ثاقِباً ، وَالنّقْصَ فَضْلاً ، وَالرّجَاءَ نَوَالا
وَيُجَبّنُ الشّجْعَانَ دُونَ لِقائِهِ ، يَوْمَ الوَغَى ، وَيُشَجّعُ السّؤّالا
خلَعَ الرّدَى ذاكَ الرّداءَ نَفَاسَةً عنّا ، وَقَلّصَ ذَلِكَ السّرْبَالا
خبَرٌ تَمَخّضَ بالأحِبّةِ ذِكْرُهُ ، قَبلَ اليَقِينِ ، وَأسْلَفَ البَلبَالا[2]
حتّى إذا جَلّى الظّنُونَ يَقِينُهُ ، صَدَعَ القُلوبَ ، وَأسقَطَ الأحمالا[3]
الشّكُّ أبْرَدُ للحَشَا مِنْ مِثْلِهِ ، يَا لَيتَ شَكّي فيهِ دامَ وَطَالا
جَبَلٌ تَسَنّمَتِ البِلادُ هِضَابَهُ ، حتى إذا مَلأَ الأقَالِمَ زَالا
يا طَوْدُ! كَيفَ وَأنتَ عاديُّ الذُّرَى، ألْقَى بِجَانِبِكَ الرّدَى زِلْزَالا
إنْ قَطّعَ الآمَالَ مِنكَ ، فإنّهُ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكَ قَطّعَ الأُمّالا
مَا كُنْتُ أوّلَ كَوْكَبٍ تَرَكَ الدُّنَا وَسَمَا إلى نُظَرَائِهِ ، فَتَعَالَى

١ الأوجال ، الواحد وجل : الخوف .
٢ البلبال : شدة الهم والوساوس .
٣ الاحمال ، الواحد حمل : ما تحمله المرأة من الولد في بطنها .

أنفاً منَ الدّنيا بتَتَّ حبالَهَا ، وَنزَعْتَ عنْكَ قميصَها الأسمَالا[1]
ذا المَنْزِلُ المِظعَانُ قدْ فارَقْتَهُ ، وَغَداً تبَوّأُ منزِلاً مِحْلالا[2]
لا رُزْءَ أعظَمُ مِنْ مُصَابِكَ، إنّهُ وَصَلَ الدّمُوعَ ، وَقَطّعَ الأوْصَالا
يا آمرَ الأقْدارِ كَيْفَ أطعتَهَا ، أوَمَا وَقَاكَ جَلالُكَ الآجَالا
كَيفَ اغتَفَلْتَ،فَفاجأتْكَ بِغُرّةٍ ، أوَلَيسَ كُنتَ المِخلَطَ المِزْيَالا[3]
لمْ تَكْفِ ، يا كافي الكُفَاةِ ، منيّةً نَفَذَتْ إلَيْكَ صَوَارِماً وَألالا[4]
ألاّ وَقَى المَجْدُ المُؤثَّلُ رَبَّهُ ؛ ألاّ زَوَى المِقدارُ ، ألاّ حَالا[5]
ألاّ أقَالَتْكَ اللّيَالي عَثْرَةً ، يا مَنْ ، إذا عَثَرَ الزّمَانُ ، أقَالا
إنّ الّذي أنْحَى إلَيْكَ بِسَهْمِهِ ، قَدَرٌ يَنَالُ ذُبَابُهُ الرّئبَالا[6]
لا مُسْمِعُ الإنْبَاضِ منهُ، فيُتّقَى يَوْماً ، وَلا مَالي الجَفيرِ نِبَالا[7]
وَأرَى اللّيَالي طَارِحَاتِ حِبَالِهَا تَسْتَوْثِقُ الأعْيَانَ وَالأرْذالا
يَبْرِينَ عُودَ النّبْعِ غَيرَ فَوَارِقٍ بَينَ النّبَاتِ كَمَا بَرَيْنَ الضّالا[8]
لا تَأمَنِ الدّنْيَا عَلَيْكَ ، فَإنّهَا ذاتُ البُعُولِ تُبَدّلُ الأبْدالا

١ بتت : قطعت . الأسمال : الخلق البالي .
٢ المظعان : الكثير الظعن ، السير . تبوأ : يهيأ لك .
٣ المخلط : الذي يخالط الناس والأمور . المزيال : اللطيف .
٤ لم تكف : لم تمنع . الألال : جميع أداة الحرب . والحربة الواحدة ألة .
٥ زوى : منع .
٦ الرئبال : الأسد .
٧ الانباض ، من انبض وتر القوس : حركه لترن . المالي : مسهل مالىء . الجفير : الكنانة .
٨ النبع : شجر تصنع منه القسي والسهام . الضال : النبق .

وَتَنَاذَرِ الدَّهْرَ الذي شرَعَ الرَّدَى   وَتَخَرَّمَ الأذْوَاءَ وَالأقْيَالا[1]

وَاستَرْجَلَ الأمْلاكَ قَسْراً بَعدَمَا   رَكِبُوا مِنَ الشَّرَفِ المُطِلِّ جِبَالا

وَطَوَى مَقَاوِلَ مِنْ نِزَارٍ ذادَةٍ   في الحَرْبِ لا كُشُفاً وَلا أمْيَالا[2]

قَوْمٌ ، إذا وَقَعَ الصَّرِيخُ تَنَاهَضُوا   بِالخَيْلِ قُبّاً وَالقَنِيِّ طِوَالا[3]

وَتَرَى خِفافاً في الوَغَى ، فإذا انتَدَوْا   وَتَلاغَطَ النَّادي رَأيْتَ ثِقَالا

صَاحَتْ بِهِمْ نُوَبُ اللَّيَالي صَيْحَةً   فَتَتَابَعُوا لِدُعَائِهَا أرْسَالا

يَتَوَاكَلُونَ المَوْتَ جُبْناً بَعدَمَا   كَانُوا أُسُودَ مَغَاوِرٍ أبْطَالا[4]

نَزَعوا الحَمائلَ عَن عَوَاتِقِ فِتيَةٍ ،   كَانُوا لِكُلِّ عَظِيمَةٍ حُمَّالا

مِنْ بَعْدِ مَا دَعَموا القِبابَ وَخَيَّسوا   ذُلُلَ المَطِيِّ وَدَمَّنُوا الأطْلالا[5]

عَرَبٌ ، إذا دَفَعُوا الجِيَادَ لِغَارَةٍ   هَزّوا العُبَابَ وَخَضْخَضُوا الأوْشَالا[6]

مِنْ كُلِّ مُنْهِبِ مَالِه سُؤّالَهُ ،   أوْ بَالِغٍ بِعَطَائِهِ مَا نَالا

أوْ بَائِتٍ يَرْعَى النُّجُومَ لِغَارَةٍ ،   وَيَعُدُّ لِلمَغْدَى قَناً وَنِصَالا

١ تناذر ، من تناذروا العدو : خوف بعضهم بعضاً منه . تخرم : اقتطع . الأذواء : ملوك اليمن التبابعة ، أول أسمائهم ذو ، مثل « ذو يزن » . الأقيال : هم أقيال اليمن ، الملوك الذين تحت الملك الأعظم .

٢ المقاول : الملوك . الذادة : حماة الحقيقة ، الواحد ذائد . الكشف ، الواحد أكشف : الذي لا ترس معه . الأميال ، الواحد أميل : الذي لا سيف معه .

٣ الصريخ : المستغيث . القني ، الواحدة قناة : قصب الرمح .

٤ يتواكلون : يتكل بعضهم على بعض .

٥ خيسوا : حبسوا ، ذللوا . دمنوا ، من دمنت الماشية المكان : سودته بالسرقين .

٦ العباب : معظم السيل وارتفاعه ، وأمواجه . الأوشال ، الواحد وشل : الماء القليل ، والماء الكثير (ضد) .

لَمْ تَرْهَبِ الأَقْدارُ عِزّتَهُ ، وَلا   اتَّقَتِ النّوَائِبُ جَمعَهُ العُضّالا
وَعَصَائِبُ اليَمَنِ الّذِينَ تَبَوّأُوا   قُلَلَ الهِضَابِ وَشَرّدُوا الأوْعَالا
كَانُوا فُحُولَ وَغًى تُسَانِدُ بالقَنا ،   لا كالفُحُولِ تُسَانِدُ الأجذَالا[1]
زَفَرَ الزّمَانُ عَلَيهِمُ ، فَتَطارَحُوا   فِرَقاً وَطَارُوا بِالمَنُونِ جِفَالا
وَعَلى الهَبَاءَةِ آلُ بَدْرٍ إنّهُمْ   طَرَحُوا لَهُ الأسْلابَ وَالأنْفَالا[2]
مِنْ بَعدِ ما خَلَطوا العَجاجَ وَجلجلوا   تِلْكَ الزّعَازِعَ وَالقَنَا العَسّالا[3]
وَالمُنذِرُونَ الغُرُّ شَرّدَ مِنْهُمُ   حَيّاً عَلى لَقَمِ العِرَاقِ حِلالا
وَالأزْدَشِيرِيّونَ أبْرَزَ مِنْهُمُ   مُتَفَيّئِينَ مِنَ النّعِيمِ ظِلالا
تَلْوِي لَهُمْ عُنقُ الفُرَاتِ بِمَدّهِ ،   وَيُرَوّقُونَ البَارِدَ السّلْسَالا
مِنْ مَعشَرٍ وَرَدُوا المَنونَ ، وَمَعشرٍ   سَلَبوا الحِجالَ ، وَألبَسوا الأحجَالا
قَدْ غَادَرُوا الإيوَانَ بَعدَ فِرَاقِهِمْ   يَنعَى القَطِينَ وَيَندُبُ الحُلاّلا
إنْ كُنتَ تَأمُلُ بعدَهم مَهلاً فقَدْ   مَنّتْكَ نَفْسُكَ في الزّمَانِ ضَلالا
لِمَنِ الضّوَامِرُ عُرّيَتْ أمْطَاؤهَا ،   حَوْلَ الخِيَامِ ، تُنَازِعُ الأمْطَالا
بُدّلْنَ مِنْ لُبْسِ الشّكِيمِ مَقاوِداً   مَرْبُوطَةً ، وَمِنَ السّرُوجِ جِلالا
فُجِعَتْ بِمُنْصَلِتٍ يُعَرِّضُ للقَنا   أعْنَاقَهَا ، وَيُحَصّنُ الأكْفَالا
لِمَنِ المَطَايَا غَيرُ ذاتِ رَحَائِلٍ ،   فَارَقْنَ ذاكَ السَّدْوَ وَالإرْقَالا[4]

١ تساند : تعاضد . الأجذال ، الواحد جذل : عود ينصب للجربى لتتحكك به .
٢ الهباءة : أرض لغطفان . الانفال : الغنائم .
٣ جلجلوا : حركوا . الزعازع : شدائد الدهر .
٤ السدو : الاتساع في الخطو . الإرقال : الإسراع .

أمْ [illegible] بِالسِّقَابِ ، وَطالمَا ... جُعِلَ الظُّبَى لِرِضَاعِهِنّ فِصَالا[1]

مَنْ كَانَ يَحْمِلُ فَوْقَهُنّ عِصَابَةً ... مِثْلَ الصّقُورِ غَرَانِقاً أزْوَالا[2]

مَنْ كَانَ يُجْشِمُهُنّ كُلّ مَفازَةٍ ... تَلِدُ المَنُونَ ، وَتُنْبِتُ الأهْوَالا

لِمَنِ النّصُولُ نَشِبْنَ في أغْمَادِها ، ... كَلَفَ الظُّبَى لا يَنْتَظِرْنَ صِقَالا

لِمَنِ الأسِنّةُ قَدْ نَصَلْنَ عَنِ القَنا ، ... وَعَدِمْنَ جَرّاً في الوَغَى وَمَجَالا

إنْ صِينَ سَرْدُكَ في العِيابِ ، فَطالمَا ... أمْسَى عَلَيْكَ مُذَيَّلاً وَمُذالا[3]

كَمْ حُجّةٍ في الدّينِ خُضْتَ غِمارَها ، ... هَدْرَ الفَنِيقِ تَخَمّطاً وَصِيَالا[4]

بِسِنانِ رُمحِكَ ، أوْ لِسَانِكَ مُوسِعاً ... طَعْناً يَشُقّ عَلى العِدَا وَجِدالا

إنْ نَكّسَ الإسْلامُ بَعْدَكَ رَأسَهُ ، ... فَلَقَدْ رُزِي بِكَ مَوْئِلاً وَمآلا

وَاهاً عَلى الأقْلامِ بَعْدَكَ إنّهَا ... لَمْ تَرْضَ غَيرَ بَنَانِ كَفِّكَ آلا

أفْقَدْنَ مِنكَ شُجاعَ كُلّ بَلاغَةٍ ، ... إنْ قَالَ جَلّى في المَقَالِ وَجَالا

مَنْ لَوْ يَشَا طَعَنَ العِدَا برُؤوسِها ، ... وَأثَارَ مِنْ جِرْيَالِهَا قَسْطَالا[5]

سُلطَانُ مُلكٍ كُنتَ أنتَ تُعِزّهُ ، ... وَلَرُبّ سُلْطَانٍ أعَزّ رِجَالا

إنّ المُشَمَّرَ ذَيْلَهُ لكَ خِيفَــةً ، ... أرْخَى وَجَرّرَ بَعْدَكَ الأذْيَالا

١ السقاب ، الواحد سقب : ولد الناقة .

٢ الغرانق بفتح الغين الواحد غرانق بالضم : الشاب الأبيض الجميل . الأزوال ، الواحد زول : الفتى الخفيف الظريف .

٣ السرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق . العياب ، الواحدة عيبة : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق .

٤ تخمطاً : تكبراً . الصيال : السطو .

٥ الجريال : الدم . القسطال : الغبار .

مَا كنتُ أخشَى أنْ تَزِلّ لحَادِثٍ   قَدَمٌ جَعَلْتَ لهَا الرِّكَابَ قِبَالا
دَفَعَ الزّمَانُ لكَ النّوَائِبَ دَفْعَةً،   وَتَصَوّبَ الوَادي إلَيْكَ، فَسَالا
يا شَامِتاً بالسّيْفِ أُغْمِدَ غَرْبُهُ،   كَمْ هَبّ مُنْدَلِقُ الغِرَارِ وَصَالا[1]
إنْ طَوّحَ الفَعّالَ دَهْرٌ ظَالِمٌ،   فَلَقَدْ أقَامَ وَخَلّدَ الأفْعَالا
طَلَبُوا التُّرَاثَ، فلَم يرَوْا من بعدهِ   إلاّ عُلاً، وَفَضَائِلاً، وَجَلالا
هَيْهَاتَ فَاتَهُمُ تُرَاثُ مُخَاطِرٍ،   حَفِظَ الثّنَاءَ، وَضَيّعَ الأمْوَالا
قَدْ كانَ أعرَفَ بالزّمَانِ وَصَرْفِهِ،   مِنْ أنْ يُثَمِّرَ، أوْ يُجَمِّعَ مَالا
مِفْتَاحُ كُلّ نَدًى وَرَبٌّ مَعَاشِرٍ،   كَانُوا عَلى أمْوَالِهِمْ أقْفَالا
كَانَ الغَرِيبَةَ في الأنَامِ، فأصْبَحوا   مِنْ بَعْدِ غَارِبِ نَجْمِهِ أمثَالا
قَرْمٌ، إذا كَحَلَتْ بهِ ألحَاظَهَا   شُوسُ القُرُومِ تُقَطِّعُ الأبْوَالا
وَإذا تَجَايَشَتِ الصّدُورُ بِمَوْقِفٍ   حَبَسَ الكَلامَ وَقَيّدَ الأقْوَالا
بِصَوَائِبٍ كَالشّهْبِ تَتْبَعُ مِثْلَها،   وَرِعَالِ خَيْلٍ يَتّبِعْنَ رِعَالا
مَنْ فَاعِلٌ مِنْ بَعْدِهِ كَفِعَالِهِ،   أوْ قَائِلٌ مِنْ بَعْدِهِ مَا قَالا
سِمْعٌ يُرَقِّعُ للسّؤالِ سُجُوفَهُ،   وَيُحَجِّبُ الأهْزَاجَ وَالأرْمَالا[2]
يَا طَالِباً مِنْ ذا الزّمَانِ شَبِيهَهُ؛   هَيهَاتَ كَلّفْتَ الزّمَانَ مُحَالا
إنّ الزّمَانَ أضَنُّ بَعدَ وَفَاتِهِ   مِنْ أنْ يُعِيدَ لِمثْلِهِ أشْكَالا
وَأرَى لكَمَالَ جنَى عَلَيه، لأنّهُ   غَرَضُ النّوَائِبِ مَنْ أُعِيرَ كَمَالا

١ مندلق الغرار : أراد السيف الخارج من غمده دون أن يسل .
٢ السمع : المسموع الكلمة ، الذي يسمع له . الاهزاج والارمال : ضـ ب من الأغاني . والموسيقى

صَلّى الإلهُ عليكَ مِنْ مُتَوَسَّدٍ ، بَعْدَ المِهادِ ، جَنادِلاً ورِمالا
كَسَفَ البِلى ذاكَ الجَمالَ المُجتلَى ، وأجَرَّ ذاكَ المِقْوَلَ الجَوّالا
ورأيتَ كُلَّ مَطيّةٍ قَدْ بُدِّلَتْ مِنْ بَعْدِ يَوْمِكَ بالزِّمامِ عِقالا
طَرَحَ الرِّجالُ لكَ العَمائِمَ حَسرةً لمّا رأوْكَ تَسيرُ أوْ إجْلالا
قالوا، وقد فُجِئوا بنَعشِكَ سائراً : مَنْ مَيَّلَ الجَبَلَ العَظيمَ ، فَمالا
وتَبادَرُوا عَطَّ الجُيُوبِ ، وعاجلوا عَضَّ الأنامِلِ يَمْنَةً وَشِمالا[1]
ما شَقّقُوا إلاّ كُساكَ ، وألّمُوا إلاّ أنامِلَ نِلْنَ مِنْكَ سِجالا
مَنْ ذا يَكُونُ مُعَوِّضاً ما مَزّقُوا ، ومُعَوِّلاً لِمُؤمِّلٍ وثِمالا[2]
فرَغَتْ أكُفٌّ مِنْ نَوالِكَ بعدَها، وأطالَ عُظْمُ مُصابِكَ الأشْغالا
أعززْ عَليَّ بأنْ يَهُزّكَ طالِبٌ فتَضَنّ ، أوْ تَلْوِي النّوالَ مِطالا
أوْ أنْ تُبَدِّلَ مَنْ يَوْمِكَ زائراً ، بَعْدَ التّهَلّلِ ، عِندَكَ استِهلالا[3]
أوْ أنْ يُناديكَ الصّريخُ لكُرْبَةٍ ، حُشِدَتْ علَيْهِ ، فَلا تُجيب مَقالا
يا شافيَ الأدْواءِ كَيفَ جَهِلْتَهُ داءً رَماكَ بِهِ الزّمانُ عُضالا
يا كاشِفَ الأمحالِ كَيفَ رَضِيتَهُ لِمَقِيلِ جَنْبِكَ مَنْزِلاً مِمْحالا
قَدْ كُنتُ آمُلُ أنْ أراكَ ، فأجتَني فَضْلاً ، إذا غَيري جنَى أفضالا
وأُفيد سَمعَكَ مِقوَلي وفَضائِني ، وتُفيدني أيامُكَ الإقْبالا

١ عط الجيوب : شقها .

٢ الثمال : الغياث .

٣ التهلل : تلألؤ الوجه بشاشة . الاستهلال : رفع الصوت بالبكاء .

وَأعدُّ منكَ لريْبِ دَهرِي جُنّةٌ ، تَشْنِي جُنُودَ خُطُوبِهِ فُلاّلا
وَطَوَاكَ دَهْرُكَ غَيرَ طَيّ صِيَانَةٍ ، وَأعَادَ أعْلامَ الهُدَى أغْفَالا
قَبْرٌ بِأعْلَى الرّيّ شُقّ ضَرِيحُهُ ، لأعزّ حَقّرَهُ الرّدَى إعْجَالا
إنْ يُمْسِ مَوْعِظَةَ الرّجَالِ فطالمَا أمْسَى مُهَاباً للوَرَى وَمُهَالا
لِتُسَلَّبِ الدّنْيَا عَلَيْهِ ، فإنّهَا نَزَعَتْ بِهِ الإحْسَانَ وَالإجْمَالا[1]
وَرَعَاهُ مَنْ أرْعَى البَرِيّةَ سَيْبَهُ ، وَسَقَاهُ مَنْ أسْقَى بِهِ الآمَالا

صبراً جميلاً يا علي

قال يعزي أبا سعد علي بن محمد بن
أبي خلف عن أخت له توفيت :

إلاّ يَكُنْ نَصْلاً فَغِمْدُ نُصُولِ ، غَالَتْهُ أحْداثُ الزّمَانِ بِغُولِ
أوْ لا يَكُنْ بِأبِي شُبُولٍ ضَيغَمٍ ، تَدْمَى أظَافِرُهُ ، فَأُمُّ شُبُولِ
تِلْكَ الغَمَامَةُ كَانَ بَارِقُ خالِها، لَوْ أنْسَتِ الأيّامُ ، غَيرَ مُخيلِ[2]
كُنّا نُؤمّلُ أنْ نُجَلّي صَوْبَهَا ، عَنْ أخضَرٍ غَضّ الجَنَى مَطلُولِ
لَوْلا طِلابُ النّصْلِ يُورِقُ عُودُهُ ، بَاتَ النّسَاءُ سُدًى بغَيرِ بُعُولِ
وَلَرُبّمَا بُكِيَ الفَقِيدُ لِنَفْسِهِ ، أوْ للمَطَامِعِ فِيهِ وَالتّأميلِ

١ تسلب : تحد .
٢ الخال : السحاب لا يخلف مطره . المخيل : السحاب لا مطر فيه

أتُرَى بِمَا نغتَرُّ مِنْ أيّامِنَا ، وَنُطِيلُ مِنْ أمَلٍ لَهُنّ طَوِيلِ
أبِوِرْدِهَا المَطْرُوقِ ، أوْ بِنَعِيمِهَا الـ ـمَمْذُوقِ ، أمْ ميعَادِها المَمْطُولِ[1]
نَرْجُو البَقَاءَ ، كأنّنَا لمْ نَختَبِرْ عَادَاتِ هَذَا العَالَمِ المَجْبُولِ
لَوْ أنّ غَيرَ يَدِ الزّمَانِ تُرِيعُنِي ، وَتَفُلّ حَدّ مَعَاشِرِي وَقَبيلي
لَلَوَيْتُ مِنْ دُونِ المَذَلّةِ جَانِبِي ، وَجرَرْتُ عَنْ دارِ الهَوَانِ ذُيُولي
لَكِنّ سُلْطَانَ اللّيَالي غَالِبٌ عَزْمي ، وَقَطّاعٌ عَليّ سَبِيلي
قَدَرَتْ فَذَلّ لهَا العَزِيزُ مَهَابَةً ، لَيسَ الذّلِيلُ لِقَادِرٍ بِذَلِيلِ
وَهوَ الزّمَانُ يُبيحُ كُلّ مُمَنَّعٍ ، وَيَغُضّ مِنْ طَمَحَاتِ كلّ جَليلِ[2]
مِنْ بَينِ مَجرُوحٍ بِحَدّ نُيُوبِهِ ، يَدْمَى ، وَبَينَ مُبَضَّعٍ مَأكُولِ
أعدَى جَذِيمَةَ بالرّدَى وَعَدا عَلى رِدْفَيْ جَذِيمَةَ مَالِكٍ وَعَقِيلِ[3]
وَاستَنْزَلَ الأذْوَاءَ عَنْ نَجَوَاتِهِمْ ، فَغَدَوْا ذَوِي ضَرَعٍ وَطولِ خُمولِ
وَحَدَا بِآلِ المُنْذِرِينِ ، فَوَدّعوا بالحِيرَةِ البَيْضَاءِ كُلّ مَقيلِ
وَسَطَا عَلى أبْنَاءِ قَيصَرَ سَطْوَةً ، أمَماً ، فأجلَتْ عَن دَمٍ مَطْلُولِ[4]
وَأعَادَ إيوَانَ المَدائِنِ مَحرَماً ، عُرْيَانَ مِنْ بُرْدِ العُلَى المَسدُولِ
وَاستَلّ مِنْهُ مَالِكِيهِ ، وَدُونَهُم عَدَدُ الدّرَارِي مِنْ قَناً وَخُيُولِ

١ المذوق : المشوب بكدر .
٢ الطمحات : الطموح ، ارتفاع البصر إلى الشيء .
٣ جذيمة : هو الأبرش ملك الحيرة ، وردفاه مالك وعقيل : أي نديماه
٤ الأمم : القصد . المطلول : المهدور .

وَهَوَى بِتيجَانِ الجَبَابِرَةِ الأُلى ، عَنْ كُلِّ مَطرُورِ الغِرَارِ صَقيلِ[1]
بَلّتْ مَفَارِقَهُمْ دَماً ، وَلَطَالمَا عَرَفُوا بِمِسْكٍ فَوْقَهُنّ بَليلِ[2]
أوْ بَعدَمَا رَفَعُوا القِبَابَ وَخوّلُوا في ظِلّ مُمتَنِعِ المَقَامِ ظَليلِ[3]
مِن كُلّ أغْلَبَ كانَ يَحسَبُ عهدَهُ في العِزّ وَالعَلْيَاءِ غَيرَ مُحيلِ
وَيَظُنّ أنْ لَوْ طَاوَلَتْهُ مَنيّةٌ ، لأبَى إبَـاءَ المُصْعَبِ المَعْقُولِ
أوْ لَوْ طَغَى غَرْبُ الفُرَاتِ لرَدّهُ مُتَقَطّعاً ، وَأقَامَ مَدّ النّيلِ
نَزَلَ القَضَاءُ بِهِ ، فَعَادَ كَـأنّهُ لَمْ يَغنَ أمْسِ بِطَارِقٍ وَنَزِيلِ
صَبْراً جَميلاً يَا عَليّ ، فرُبّمَا صَبَرَ الفَتَى ، وَالصّبرُ غَيرُ جَميلِ
لَوْ كُنتُ أعلَمُ أنّ وَجْداً نَافِعٌ ، لَقَدَحْتُ فيكَ بزَفْرَةٍ وَغَليلِ
وَجَعَلتُ تَصْعيبَ المُصَابِ مُعَظِّماً مِنْ شَأنِهِ بَدَلاً مِنَ التّسْهيلِ
لَكِنّهَا الأقدارُ يَمضِي حُكْمُهَا أبَداً عَلى الأُصْعُوبِ وَالأُذْلُولِ
وَلَرُبّمَا ابْتَسَمَ الفَتَى وَفُؤادُهُ شَرِقُ الجَنَانِ بِرَنّةٍ وَعَوِيلِ[4]
وَلَرُبّمَا احتَمَلَ اللّبيبُ مُمَوِّهاً عَضّ الزّمَانِ بِبِشْرِهِ المَبْذُولِ
وَغَطَى عَلى تِلْكَ الجِرَاحِ ، كأنّه مَا آبَ مِنْهُ بغارِبِ مَخْزُولِ[5]

١ المطرور : المسنون . الغرار : حد السيف .
٢ عرفوا : سطع عرفهم ، رائحتهم الطيبة .
٣ خولوا : رعوا أغنامهم .
٤ الشرق : الممتلىء .
٥ غطى : ستر . الغارب : الكاهل . المخزول : المقطوع .

قصاير في بيوت العز

قال أيضاً وقد ورد الخبر بوفاة بنت سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان بن عبد الله بن حمدان رحمهم الله المسماة بتقية بمصر وقد انتقلت إليها عن الشام وكانت من أفاضل نساء قومها وكان كثيراً ما تبلغه شدة شغفها بما يقع إلى تلك البلاد من شعره حتّى انها التمست انتساخ نسخة عن ديوانه على التمام وحملها إليها من العراق، وكان ورود الخبر بوفاتها في شهر رمضان سنة ٣٩٩ قدس الله روحها :

نُغَالِبُ ثُمّ تَغْلِبُنَا اللّيَالي ، وَكَمْ يَبْقَى الرّمِيّ عَلى النّبَالِ
وَنَطمَعُ أنْ يَمَلّ مِنَ التّقَاضِي غَرِيمٌ لَيسَ يَضْجَرُ بالمَطَالِ
أتَنْظُرُ كَيْفَ تَسفَعُ بالنّوَاصِي لَيَالِينَا ، وَتَعثُرُ بالجِبَالِ[1]
يَحُطّ السّيْلُ ذُرْوَةَ كُلّ طَوْدٍ رُهُوناً بِالجَنَادِلِ وَالرّمَالِ
هيَ الأيّامُ جَائِرَةُ القَضَايَا ، وَمُلْحِقَةُ الأوَاخِرِ بِالأوَالي
يُمَنّيْنَ الوُرُودَ ، فإنْ دَنَوْنَا ضَرَبْنَ عَلى المَوَارِدِ بالحِبَالِ
نُطَنّبُ للمُقَامِ قِبَابَ حَيٍّ ، وَيَحْفِزُنَا المَنُونُ إلى الرّحَالِ
وَنَسْرَحُ آمِنِينَ ، وَللمَنَايَا شَبَاً بَيْنَ الأخامِصِ وَالنّعَالِ[2]
وَبَيْنَا المَرْءُ يَلْبَسُهَا نَعِيماً ، تَهَجّرَ ضَاحِياً بَعْدَ الظّلالِ[3]
نَعَى النّاعُونَ وَاضِحَةَ المُحَيّا، ألوفَ البَيتِ ذي العَمَدِ الطِّوَالِ

١ تسفع بالنواصي : تقبض عليها فتجتذبها .
٢ الشبا ، الواحدة شباة : العقرب ساعة تولد ، وحد كل شيء .
٣ يلبسها : يعيش معها . تهجر : سار في الهاجرة . ضاحياً : أراد به مائتاً من ضحى ظله : مات

مِنَ البِيضِ العَقائِلِ مِنْ مَعَدٍّ ، بَنَيْنَ قِبابَهُنَّ عَلى الجَلالِ
نَعَوْا ظُبَةً لأبْيَضَ مَشرَفِيٍّ ، قَديمِ الطّبعِ عَادِيٍّ الصِّقالِ
لِسَيْفِ الدّوْلَةِ العَرَبيّ فِيهَا صَنِيعُ القَينِ قَامَ عَلى النّصَالِ
إذا مَا الفَحْلُ أنجَبَ نَاتِجَاهُ ، فَقَدْ ضَمِنَ النّجابَةَ للسِّخالِ
ومَا طَابَتْ غَوَادي المُزْنِ إلاّ أطَبْنَ وَقَائِعَ المَاءِ الزّلالِ
قَصَايِرُ في بُيُوتِ العِزّ تُنمَى مَنَاسِبُهَا إلى المَجْدِ الطِّوالِ[1]
وَكُلٌّ عَقِيلَةٍ للجُودِ تُمْسِي عَطُولَ الجِيدِ حالِيَةَ الفِعالِ
كَأنّ خُدُورَهَا أصْدافُ يَمٍّ ، مُحَصَّنَةٌ ضُمِمْنَ عَلى لآلِ
طَهُرْنَ نَبَاهَةً ،وَبَرَزْنَ طَوْلاً ، وَهُنّ وَرَاءَ مَعدُودِ الحِجَالِ[2]
غَلَبْنَ عَلى جَمَالِ الخُلْقِ حتّى تَرَكْنَ الخَلْقَ مَنسِيَّ الجَمالِ
لهَا نَسَبُ العِتَاقِ مُرَدَّداتٍ إلى الغَايَاتِ أيّامَ النّضَالِ
تُعَدّ النّوقُ مِنْ شَرَفٍ فُحُولاً إذا انتَسَبَتْ إلى العَوْدِ الجُلالِ[3]
عَمَائِرُ مِنْ رَبِيعَةَ أنْزَلَتْهُمْ أعَالي المَجْدِ أطْرَافُ العَوَالي
هُمُ الرّأسُ الذي رَفَعَتْ مَعَدٌّ قَدِيماً لا يُطَأطَأُ للفَوَالي
فُحُولُ المَجْدِ جَعجَعَها المَنايا ، وَأسْلَمَهَا الزّمَامُ إلى العِقَالِ[4]

١ القصاير ، الواحدة قصيرة : المحجبة التي لا تخرج من بيتها .
٢ الحجال ، الواحدة حجلة : موضع يعد للعروس .
٣ العود : المسن من الإبل . الجلال : العظيم .
٤ جعجعها : حبسها على مكروهها .

وَلَمْ يَكُ عِزُّهُمْ إلاّ اختِلاساً ، كَصَفْقٍ باليَمينِ علَى الشِّمَالِ
كَقَوْمِكِ لا يُعيدُ الدّهرُ قوْماً، وَمِثْلِ أبيكِ لا تَلِدُ اللّيَالي
أُرِيقَتْ في قُبُورِهِمُ اللّوَاتي بِبَطْنِ القَاعِ أذْنِبَةُ النّوَالِ[1]
لَقَدْ رُسّتْ حَفَائِرُهُمْ جَميعاً عَلى هَامِ المَكَارِمِ وَالمَعَالي[2]
سَقَى تِلْكَ القُبُورَ، فإنّ فيهَا سُقَاةَ العَاجِزِينَ عَنِ البِلالِ
بِأيْدٍ تَحْبِسُ الأوْرَادَ عِزّاً ، وَتأمَنُ مِنْ مُلاطَمَةِ السِّجالِ[3]
غَمَائِمُ للرّعُودِ بِهَا أزِيزٌ ، رُغَاءُ العَوْدِ رَازَمَتِ المَتَالي[4]
كَحَمحَمَةِ الأداهِمِ أقبَلُوها لَيَالي الوِرْدِ مَائِلَةَ الجِلالِ
فَسَقّى عَهْدَ دارِهِمُ حَيَاهَا، وَحَيّا بِالنُّعَامَى وَالشَّمَالِ
إذا ابْتَدَرَتْ نِسَاؤهُمُ المَسَاعي، فَمَا ظَنّي وَظَنُّكَ بِالرّجَالِ

١ الأذنبة ، الواحد ذنوب : الدلو .
٢ رست : حفرت ، ودس فيها .
٣ الأوراد : إما جمع ورد بالفتح وهو من الخيل ما بين الكميت والأشقر ، أو جمع ورد بالكسر الماء الذي يورد . السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة المملوءة ماء .
٤ رازمت : جمعت . المتالي : الفصال الّتي تتلو أمّاتها .

نحبها ونودعها مرغمين

يرثي بعض أصدقائه :

ما بَعدَ يَوْمِكَ ما يَسلُو بهِ السّالي ، وَمِثْلُ يَوْمِكَ لمْ يَخطُرْ على بَالي
وَكَيفَ يَسلُو فُؤادٌ هاضَ جانِبَهُ قَوَارِعٌ مِنْ جَوَى هَمٍّ وَبَلبَالِ
يا قَلْبِ صَبراً، فَإنّ الصّبرَ مَنزِلَةٌ، بَعْدَ الغُلُوّ إلَيْهَا يَرْجعُ الغَالي
وَلا تَقُلْ سَابِقٌ لمْ يَعْدُ غايَتَهُ ، فَمَا المُقَدَّمُ بالنّاجي ، وَلا التّالي
نَقصُ الجَديدينِ من عُمرِي يزِيدُ على ما يُنْقِصَانِ عَلى الأيّامِ مِنْ حالي
دَهْرٌ تُؤثّرُ في جِ نَوَائبُهُ ، فَمَا اهتمامي ، إذا أوْدى بسِرْبَالي[1]
نَغتَرّ بالحِفْظِ مِنهُ ، وَهوَ يَختُلُنا ، كمَا يَغُرّ ذُبُولُ الجَمْرَةِ الصّالي
مَضَى الذي كُنتُ في الأيّامِ آمُلُهُ مِنَ الرّجَالِ ، فَيَا بُعداً لآمَالي
قَدْ كانَ شُغلي منَ الدّنيَا، فمُذ فرَغَتْ مِنهُ يَدي زَادَ طُولُ الوَجدِ أشغالي
تَرَكْتُهُ لِذُيُولِ الرّيحِ مُدْرَجَةً، وَرُحْتُ أسْحَبُ عَنْهُ فَضْلَ أذيالي
كأنّني لم أدَعْ في الأرْضِ، يوْمَ ثوَى مُوَدَّعاً ، شَطْرَ أعضَائي وَأوْصَالي
مَا بَالَيَ اليَوْمَ لمْ ألحَقْ بهِ كَمَداً، أوْ أنزِعِ الصّبرَ وَالسُّلوَانَ مِنْ بَالي
عَوَاطِفُ الهَمّ ما تَنفَكّ تُرْجِعُ لي مِن ذاهِبٍ وَجَديدِ الوَجْدِ من بَالِ

---

١ السربال : القميص ، والدرع .

ما شئتُ من وَالِدٍ يُودي وَمن وَلَدٍ ، يَمْضِي الزّمَانُ بِآسَادي وَأشْبَالي
بِالمَالِ طَوْراً وَبِالأهْلِينَ آوِنَةً ، مَا أضْيَعَ المَرْءَ بَعْدَ الأهْلِ وَالمَالِ
ألِيحُ مِنهُ رُوَيداً ، أوْ عَلى عَجَلٍ ، لَوْ كَانَ يَنفَعُ إرْوَادي وَإعْجَالي[1]
مَا أعجَبَ الدّهرَ ، وَالأيّامُ دائِبَةٌ ، تَسعَى عَلى عَمَدٍ نَحوِي وَتَسعى لي
نُحبِبُّهَا ، وَعَلى رُغْمٍ نُوَدّعُهَا ، إلى المَنُونِ ، وَدَاعَ الصّارِمِ القَالي
كَمْ أنزَلَ الدّهرُ مِن علياءَ شاهقَةٍ ، وَشَالَ مِنْ قَعْرِ نائي الغَوْرِ مِنهالِ
وَكَمْ هَوَى بعَظِيمٍ في عَشيرَتِهِ ، مِطْعَامِ أنْدِيَةٍ طَعّانِ أبْطَالِ
عَالٍ عَلى نَظَرِ الأعداءِ يَلحَظُهُمْ لَوَاحِظَ الصّقرِ فَوْقَ المَرْبإِ العَالي
لَئِنْ تَرَامَتْ بكَ الأعوَادُ مُعجِلَةً عَنِ الدّيَارِ إلى مُزْوَرّةِ الحَالي[2]
فَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الدّنْيَا عَلى ثِقَةٍ ، وَالدّهْرُ أعوَجُ لا يَبقَى عَلى حَالِ
فَلا يَسُرّكَ إكْثَارِي وَلا جِدَتي ، وَلا يَغُمّكَ إقْتَارِي وَإقْلالي
أرَى يَقِينَ المُنَى شَكّاً فأرْفُضُهُ ، مَا أشْبَهَ المَاءَ في عَيْنَيّ بِالآلِ
قُبّحْتِ ، يا دارُ ، مِنْ دارٍ نُغَرُّ بها ، فَأنْتِ أغْدَرُ مِطْعَانٍ وَمِحْلالِ

[1] الارواد : التمهل ، ضد الإعجال .
[2] المزورة : المقبوضة .

شر اللباس

يعزي صديقاً له عن بنت توفيت له عقب أخرى

نَخْطُو وَمَا خَطْوُنَا إلاَّ إلى الأجَلِ ، وَنَنقَضِي ، وَكَأنَّ العُمرَ لمْ يَطُلِ
وَالعَيشُ يُؤذِنُنَا بالمَوْتِ أوّلُهُ ، وَنَحنُ نَرْغَبُ في الأيّامِ وَالدّوَلِ
يَأتي الحِمَامُ فيَنسَى المَرْءُ مُنيَتَهُ ، وَأعضَلُ الدّاءِ ما يُلهي عَنِ الأمَلِ
تُرْخي النّوَائِبُ مِنْ أعمَارِنَا طَرَفاً ، فنَستَعزُّ ، وَقَدْ أمسَكنَ بالطِّوَلِ
لا تَحسَبِ العَيشَ ذا طُولٍ فتركبَه ، يا قُرْبَ ما بَينَ عُنقِ اليَوْمِ وَالكَفَلِ
نَرُوغُ عَنْ طَلَبِ الدّنْيَا ، وَتَطلُبُنا مَدَى الزّمَانِ بأرْماحٍ من الأجَلِ[1]
سَلّى عَنِ العَيشِ أنّا لا نَدُومُ لَه ، وَهوّنَ المَوْتَ مَا نَلْقَى من العِلَلِ
تَدْعُو المَنُونُ جَبَاناً لا غَنَاءَ لَهُ ، مُحَلَّأً عَن ظُهورِ الخَيلِ وَالإبِلِ[2]
وَيَسلَمُ البَطَلُ المُوفي بِسَابِحَةٍ ، مَشْياً عَلى البِيضِ وَالأشلاءِ وَالقُلَلِ
يَقُودُني المَوْتُ مِنْ داري فأتبَعُهُ ، وَقَدْ هَزَمتُ بأطرَافِ القَنا الذُّبُلِ
وَالمَرْءُ يَطْلُبُهُ حَتْفٌ ، فيُدرِكُهُ وَقَد نجَا من قِرَاعِ البِيضِ وَالأسَلِ
لَيسَ الفَنَاءُ بِمَأمُونٍ عَلى أحَدٍ ، وَلا البَقَاءُ بِمَقْصُورٍ عَلى رَجُلِ
يَبكي الفَتَى وَكلامُ النّاسِ يأخُذُهُ ، وَالدّمعُ يَسرَحُ بَينَ العُذرِ وَالعَذَلِ

١ روع : تحد
٢ المحلأ : الممنوع

وَفي الجُفُونِ دُمُوعٌ غَيرُ فائضَةٍ ، وَفي القُلُوبِ غَرَامٌ غَيرُ مُتّصِلِ
تَعَزّ ما اسطَعتَ ، فالدّنيَا مُفارِقَةٌ ، وَالعُمْرُ يُعنِقُ ، وَالمَغرُورُ في شغَلِ[1]
وَلا تَشُكّ زَمَاناً أنْتَ في يَدِهِ رَهْنٌ فَما لكَ بالأقدارِ مِنْ قِبَلِ
عَادَ الحِمَامُ لأُخرَى بَعدَ ماضِيَةٍ ، حتّى سَقَاكَ الأسَى عَلاًّ على نَهَلِ
مَنْ ماتَ لمْ يَلقَ مَن يَحيا يُلائِمُهُ ، فكُنْ بكُلّ مُصَابٍ غَيرَ مُحتَفِلِ
وَكُلٌّ بَاكٍ عَلى شَيْءٍ يُفَارِقُهُ ، قَسراً ، فيَقتَصُّ من ضِحكٍ وَمن جذلِ
ما أقرَبَ الوَجدَ من قَلبٍ وَمن كَبِدٍ ، وَأبعَدَ الأنسَ مِنْ دارٍ وَمن طَلَلِ
العَقلُ أبلَغُ مَنْ عَزّاكَ من جزَعٍ ، وَالصّبرُ أذْهَبُ بالبَلْوَى مِنَ الأجَلِ
سَقَى الإلَهُ تُرَاباً ضَمّ أعظُمَهَا مُجَلجِلَ الوَدقِ مَجرُوراً على القُلَلِ[2]
وَلا يَزَالُ عَلى قَبْرٍ تَضَمّنَهَا بَرْقاً يَشُقّ جُيُوبَ العارِضِ الهَطِلِ
وَكُلّما اجتَازَ رَيْعَانُ النّسِيمِ بِهِ لمْ يُوقِظِ التُّرْبَ مِنْ مَشْيٍ على مهلِ
يا أرْضُ ! ما العذرُ في شخصٍ عصَفتِ به بَينَ الأقَارِبِ وَالعُوّادِ وَالخَوَلِ
أرَدْتِ أنْ تَحجُبَ البَيداءُ طَلعتَهُ ، ألمْ يكُنْ قَبلُ محجوباً عَنِ المُقَلِ ؟
جِسمٌ تَفَرّدَ بِالأكْفَانِ يَجْعَلُها مُذْ طَلّقَ العُمْرَ أبدالاً من الحُلَلِ
وَغُرّةٌ كَضِيَاءِ البَدْرِ لامِعَةٌ ، صَارَ التّرَابُ بهَا أوْلى مِنَ الكِلَلِ
شَرُّ اللّبَاسِ لِبَاسٌ لا نُزُوعَ لَهُ ، وَالقَبرُ مَنْزِلُ جَارٍ غَير مُنتَقِلِ
للمَوْتِ مَنْ قَعَدَتْ عَنْهُ رَكَائِبُهُ ، وَمَن سرَى في ظُهورِ الأينُقِ البُزُلِ

1 يعنق : يطول .
2 المجلجل : المصوت . الودق : المطر .

ما يَدْفَعُ المَوْتُ عَنْ بُخلٍ ولا كَرَمٍ ، وَلا جَبَانٍ وَلا غَمرٍ وَلا بَطَلٍ [1]
وَمَا تَغافَلَتِ الأقدارُ عَنْ أحَدٍ ، وَلا تَشَاغَلَتِ الأيّامُ عَن أجَلِ
لَنَا بِمَا يَنْقَضِي مِن عُمرِنا شُغُلٌ ، وَكُلُّنَا عَلِقُ الأحشَاءِ بالغَزَلِ
وَنَستَلِذُّ الأمَانِي ، وَهيَ مُرْوِيَةٌ ، كَشَارِبِ السّمّ مَمزُوجاً معَ العَسَلِ
نُؤمّلُ الخُلْدَ ، وَالأيّامُ مَاضِيَةٌ ، وَبَعْضُ آمَالِنَا ضَرْبٌ من الخَطَلِ
وَحَسبُ مِثْلِي مِنَ الدّنْيا غَضَارَتُها ، وَقَدْ رَضِينا مِنَ الحَسْنَاءِ بالقُبَلِ
هذا العزَاءُ وَإنْ تَحزَنْ فلا عَجَبٌ ، إنّ البُكَاءَ بقَدرِ الحادِثِ الجَلَلِ
وَكَيْفَ نَعْذُلُ مَنْ يَبكي لِمَيّتِهِ وَنَحْنُ نَبْكي عَلى أيّامِنَا الأُوَلِ

لا فتى كمحمد

يرثي بعض أصدقائه

ما التَامَتِ الأرْضُ الفَضَاءُ عَلى فتًى كَمُحَمّدٍ مِنْ بَعْدِهِ أوْ قَبْلِهِ
عُمرِي لَقَدْ فَنِيَتْ مَحَاسِنُ وَجهِهِ فِيهَا ، وَقَدْ بَقِيَتْ مَحاسِنُ فِعْلِهِ
زَادَتْ مَنَاقِبُهُ انْتِشَاراً بَعْدَهُ ، وَحَدِيثُهُ ، فَكَأنّهُ في أهْلِهِ

[1] الغمر : الكريم ، الواسع الخلق

حسبنا الله

قال في الزهد

إنْ أشرَ الخَطْبُ فلا رَوْعَةٌ ، أوْ عَظُمَ الأمرُ ، فَصَبرٌ جَميلْ
لِيُهْوِنِ المَرْءُ بأيّامِهِ ، إنّ مُقَامَ المَرْءِ فيهَا قَليلْ
هَلْ نَافِعٌ نَفسَكَ أذْلَلْتَهَا كَرَامَةُ البَيْتِ وَعِزُّ القَبِيلْ
إنّا إلى اللهِ ، وَإنّا لَهُ ، وَحَسْبُنا اللهُ ، وَنِعْمَ الوَكيلْ

ليل طويل

قال أيضاً في النسيب رحمه الله تعالى :

خَليليّ ! هَلْ لي لَوْ ظَفِرْتُ بِنِيّةٍ إلى الجِزْعِ مِنْ وَادي الأرَاكِ سَبيلُ
وَهَلْ أنَا في الرّكبِ اليَمانيّ دَالجٌ، وَأيدِي المَطَايَا بالرّجَالِ تَميلُ[1]
وَفي سَرَعَانِ الرّيحِ لي لَوْ عَلِمتُمَا شِفَاءٌ ، وَلَوْ أنّ النّسيمَ عَليلُ

١ قوله : دالج ، لعلها مدلج : أي سائر الليل كله ، لأن معنى الدالج : الآخذ دلو الماء من البئر والمفرغها في الحوض .

وَفي ذَلِكَ السِّرْبِ الذي تَرَيَانِهِ ، أحَمُّ غَضِيضُ النّاظِرَيْنِ كَحِيلُ [1]
شَهِيُّ اللَّمَى عَاطٍ إلى الرَّكْبِ جِيدُهُ ، خَتُولٌ لأيْدي القانِصِينَ مَطُولُ [2]
وَكَمْ فيهِ مِنْ حَوّ اللِّثَاتِ كَأنّمَا جَرَى ضَرَبٌ مَا بَيْنَها وَشَمُولُ [3]
تَجَلّلْنَ بالرَّيْطِ اليَمَاني ، كَأنّمَا ضَمِمْنَ غُصُوناً مَسّهُنّ ذُبُولُ
عَلِقْناكَ ، يا ظَبيَ الصّرِيمِ ، طَماعةً ، أعِندَكَ مِنْ نَيلٍ لَنَا ، فَتُنِيلُ ؟
أنِلْ نَائِلاً ، أوْ لا تُشَنَّ بِنَظْرَةٍ ، فإنّيَ بالأُولى ، الغَدَاةَ ، قَتِيلُ
وَإنّي ،إذا اصْطَكّتْ رِقابُ مَطيّكُمْ ، وَثَوّرَ حَادٍ بالرّفَاقِ عَجُولُ [4]
أُخالِفُ بَيْنَ الرّاحَتَيْنِ عَلَى الحَشَا ، وَأنْظُرُ أنّي مُلْتَمٍ ، فَأمِيلُ [5]
أحِنُّ وَتُجرِيني على الشّوْقِ قَسوَةٌ ، ألا غَالَ مَا بَيْني وَبَيْنَكَ غُولُ
وَمَا ذادَني ذِكرُ الأحبّةِ عَن كَرًى ، وَلَكِنّ لَيْلي بالعِرَاقِ طَوِيلُ

١ الأحم : الأسود .
٢ اللمى : سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن . عاط : رافع . الختول : الخداع . المطول المسوف بوعده .
٣ الحو : العسل . اللثات ، الواحدة لثة : مغرز الأسنان .
٤ ثوره : جعله يثور ، هيجه .
٥ الملتمي ، من التمى لونه : تغير ، أو من لتمه : ضربه ، أو طعنه في منحره .

القبل المسروقة

وَرُبَّ يَوْمٍ أخذْنا فيه لَذّتَنَا ، مِنَ الزّمَانِ ، بِلا خَوْفٍ وَلا وَجَلِ
كُنّا نُؤمّلُهُ في الدّهْرِ وَاحِدَةً ، فَجاءَنا بالذي يُوفي عَلى الأمَلِ
وَرُبَّ لَيْلٍ مَنَعْنَا مِنْ أوَائِلِهِ إلى الصّبَاحِ جوَازَ النّوْمِ بالمُقَلِ
بِتْنَا ضَجِيعَينِ في ثَوْبِ الظّلام كمَا لَفَّ الغُصَيْنَينِ مَرُّ الرّيحِ بالأُصُلِ
طَوْراً عِناقاً كأنّ القَلْبَ من كَثَبٍ يَشكُو إلى القَلْبِ ما فيهِ من الغُلَلِ[1]
وَتَارَةً رَشَفَاتٌ لا انْقِضَاءَ لهَا ، شُرْبَ النّزِيفِ طَوَى عَلاًّ علىنَهَلِ[2]
وَكَمْ سرَقنا،على الأيّامِ، من قُبَلٍ، خوْفَ الرّقيبِ كشُرْبِ الطائرِ الوَجِلِ

غيري يحول عن الود

غَيرِي عَنِ الوِدّ الصّرِيحِ يَحُولُ ، عُمْرَ الزّمَانِ ، وَغَيرُكَ المَملُولُ
أتَظُنُّ أنّي بالقَطيعَةِ رَاغِبٌ ؛ هَيهَاتَ وَجهُكَ بالوَفَاءِ كَفِيلُ
وَكَذا الصّديقُ ، إذا أرَادَ قَطيعَتي ، ظَنّ الظّنونَ ، وَقالَ : أنتَ مَلولُ

١ من كثب : من قرب . الغلل ، الواحدة غلة : العطش الشديد .
٢ النزيف : من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه . العل : الشرب تباعاً . النهل : أول الشرب.

كبر الملول ورقة المملول

وَمُقَبّلٍ كَفّي وَدَدْتُ بِأنّهُ أوْمَى إلى شَفَتَيّ بالتّقْبيلِ
جاذَبْتُهُ فَضْلَ العِتابِ ، وَبَيْنَنَا كِبَرُ المَلُولِ ، ورِقّةُ المَمْلُولِ
وَلحَظْتُ عَقْدَ نِطَاقِهِ ، فكأنّمَا عُقِدَ الجَمَالُ بِقُرْطَقٍ مَحْلُولِ[1]
جَذلانُ يَنفُضُ من فُرُوجِ قَميصِهِ أعطَافَ غُصْنِ البَانَةِ المَطْلُولِ
مَنْ لي بِهِ ، وَالدّارُ غَيرُ بَعيدَةٍ عَنْ دارِهِ ، وَالمَالُ غَيرُ قَليلِ

ليلة بليال

وَقَدْ كُنْتُ آبي أنْ أذِلّ لِصَبْوَةٍ ، وَأنْ تَمْلِكَ البِيضُ الحِسَانُ عِقالي
خَميصاً من الأشجانِ لا يُوضِعُ الهوَى بِقَلْبي ، فَلا اجْتَازَ الغَرَامُ بِبَالي[2]
إلى أنْ تَرَاءى السّرْبُ بَينَ غَزَالَةٍ تَرَنّحُ في ثَوْبِ الصِّبَا ، وَغَزَالِ
فَلَمّا التَقَيْنَا كُنتُ أوّلَ وَاجِدٍ ؛ وَلَمّا افتَرَقْنَا كُنْتُ آخِرَ سَالي
وَلَيْلَةِ وَصْلٍ بَاتَ مُنجِزُ وَعدِهِ حَبيبي فيهَا ، بَعْدَ طُولِ مِطَالِ

١ القرطق : ملبوس كالقباء ، وهو من ملابس العجم .

٢ يوضع : يسرع .

شَفَيْتُ بِهَا قَلْبَاً أُطِيلَ غَلِيلُهُ ، زَمَاناً ، فَكَانَتْ لَيْلَةٌ بِلَيَالي
فَيَا زَائِراً ، لَوْ أستَطيعُ فَدَيتُهُ بِأهْلي ، عَلى عِزّ القَبيلِ ، وَمَالي

عجلت يا شيب

قال أيضاً وقد ورد عليه أمر يهمه فرأى في شعر رأسه طاقات بياض وذلك في أوائل سنة ٣٨٣ وسنه يومئذ ٢٣ سنة :

عَجِلْتَ ، يا شَيبُ ، على مَفرِقي ، وَأيُّ عُذْرٍ لَكَ أنْ تَعْجَلا
وَكَيْفَ أقْدَمْتَ عَلى عارِضٍ ما استَغرَقَ الشَّعرَ ، وَلا استكمَلا
كُنتُ أرَى العِشرِينَ لي جُنّةً ، مِن طارِقِ الشّيبِ ، إذا أقبَلا
فَالآنَ سِيّانِ ابنُ أمّ الصِّبَا ، وَمَنْ تَسَدّى العُمُرَ الأطْوَلا
يَا زَائِراً مَا جَاءَ حَتّى مَضَى ، وَعَارِضاً مَا غَامَ حتّى انجَلَى
وَمَا رَأى الرّاؤونَ مِنْ قَبلِهَا ، زَرْعاً ذَوَى مِنْ قَبلِ أنْ يُبقِلا[1]
لَيْتَ بَيَاضاً جَاءَني آخِراً فِدَى بَيَاضٍ كَانَ لي أوّلا
وَلَيْتَ صُبْحاً سَاءَني ضَوْءُهُ زَالَ ، وَأبْقَى لَيلَهُ الألْيَلا
يَا ذابِلاً صَوّحَ فَيْنَانُهُ ، قَدْ آنَ للذّابِلِ أنْ يُختَلَى[2]

---

١ أبقل الزرع : ظهر ، نبت .
٢ صوح : تناثر ، وأراد شعره . فينانه : ما فيه من أفنان . يختلى : يجز .

حَطّ بِرَأسِي يَقَقاً أبْيَضاً ، كَأنّمَا حَطّ بِهِ مُنْصُلا
هَذا ، وكَمْ أعْذُ بِحَالِ الصّبَا ، فكَيْفَ مَنْ جَاوَزَ ، أوْ أوْغَلا
مِنْ خَوْفِهِ كنتُ أهابُ السُّرَى ، شُحّاً عَلى وَجْهيَ أنْ يُبْذَلا
فَلَيْتَني كُنْتُ تَسَرْبَلْتُهُ في طَلَبِ العِزّ وَنَيْلِ العُلَى
قالُوا : دَعِ القاعدَ يُزْرِي بِهِ ، مَنْ قَطَعَ اللّيْلَ وَجابَ الفَلا
قَدْ كَانَ شِعرِي رُبّمَا يَدّعي نُزُولَهُ بي قَبْلَ أنْ يَنْزِلا
فَالآنَ يَحْمِيني بِبَيْضَائِهِ أنْ أكْذِبَ القَوْلَ ، وَأنْ أبْطِلا
قُلْ لِعَذُولي اليَوْمَ نَمْ صَامِتاً ، فَقَدْ كَفَاني الشّيبُ أنْ أُعْذَلا
طِبْتُ بِهِ نَفْساً ، وَمَنْ لمْ يجِدْ إلاّ الرّدَى أذْعَنَ وَاستَقْبَلا
لمْ يَلْقَ مِنْ دُوني لَهُ مَصرِفاً ، وَلَمْ أجِدْ مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا

أحبك وأقلاك

قال في غرض من الأغراض :

أُحِبّكَ بالطّبْعِ البَعيدِ مِنَ الحِجى ، وَأقلاكَ بالعَقْلِ البرِيءِ مِنَ الخَبلِ [1]
فأنتَ صَديقي إنْ ذَهَبتُ إلى الهَوَى ؛ وَأنتَ عَدُوّي إنْ رَجَعتُ إلى العَقلِ

[1] الحجى : العقل والفطنة . أقلاك : أبغضك . الخبل : الفساد .

وَسِيّانِ عِنْدِي مَنْ طوَاني على جوًى ... يُعَذّبُ قَلبي ،أوْ طوَاني على دَخْلِ[1]
وَمَا الحُبّ إلاّ ذِلّةٌ وَاستِكَانَةٌ ... لِمَوْلًى أرَى إعْزَازَهُ ، وَيَرَى ذُلّي
وَلَوْ أنّني خُيّرْتُ مَن أمنَحُ الهوَى ، ... لمَا اختَرْتُ أن أهوَى هَوًى وَمعي عقلي
وَلَكِنّهُ لا رَأيَ في الحُبّ للفَتَى ، ... فَيَعْلَمَ يَوْماً مَا يُمِرّ وَمَا يُحْلي
وَلوْ كانَ في العِشقِ اختيارٌ لأقصَرَتْ ... قُلوبٌ عنِ المَحبوبِ ما ضَنّ بالبَذلِ
وَلَمْ يُحسِنِ الصّبُّ التّقاضِيَ وَدُونَهُ ... غَرِيمٌ مُسيءٌ لا يَمَلُّ مِنَ المَطلِ

العوائد الراقصة

قال رضي الله تعالى عنه أيضاً

أيَا أثَلاتِ القَاعِ كَمْ نَضْحُ عَبرَةٍ ... لِعَيْني ، إذا مَرّ المَطيُّ بذي الأثْلِ
وَيا عَقَدَاتِ الرّمْلِ كَمْ ليَ أنّةٌ ، ... إذا مَا تَذَكّرْتُ الشّقيقَ من الرّمْلِ[2]
وَيَا ظُعُنَاتِ الحَيّ يَوْمَ تَحَمّلُوا ، ... عُقِرْتِ، وَأفنى اللهُ نَسلَكِ من إبلِ[3]
وَيا ظَبَيَاتِ الجِزْعِ يَسنَحنَ غُدوَةً ، ... لقد طَلّ من ترْشُقْنَ بالأعيُنِ النُّجلِ

١ الدخل : الداء ، الريبة .
٢ عقدات الرمل : ما تعقد منه .
٣ الظعنات : الجمال التي يظعن ، يسافر عليها .

وَيا بَانَـةَ الوَادي أدَمعيَ في الهوَى أبرٌّ حيَاً ، أم ما سقَاكِ مِنَ الوَبلِ ؟
عوَائدُ من ذِكرَاكِ يرْقُصنَ في الحشا ، وأضرَمنَ ما بيَنَ الذّؤابةِ والنّعْلِ[1]

العين المالحة

قال على لسان إنسان أصابه
حبيباً له بعينه وقد سئل ذلك

أصَبْتُ بِعَيْني مَنْ أصَابَ بعَيْنِهِ فُؤادِي ، ولَمْ يَعقِلْ دمي يوْمَ طَلّه[2]
لَقَدْ ثَأرَتْ عيْني بقَلْبي ، ولَمْ يكن حَلالاً لَهُ من مُهجَتي ما استَحَلّه
فَأهْلاً بِعَيْنَيْهِ ، وَإنْ طَلّتَا دمي ، فَكَمْ مالِكٍ لمْ يُرْزَقِ العَبدُ عدلَه
وَبُعْداً لِعَيْني لِمْ أصَابَتْهُ بالأذَى ، وَألاّ تَلَقّتْ واقِعَ السّوءِ قَبلَه
فَيا ظالِماً تَستَحسِنُ النّفسُ ظُلمَهُ ، وَيا قَاتِلاً يَستَعذِبُ القَلبُ قَتلَه
ليَهنِكَ أنّ النّفسَ تَمنَحُكَ الهوَى جَميعاً ، وَأنّ القَلبَ عندَكَ كُلَّه

١ العوائد ، الواحدة عائدة : ما يعود إلى نفس الإنسان من الذكريات
٢ يعقل : يؤدي العقل ، الدية . طله : أطله ، أهدره .

من دلك على مقتلي

قال رضي الله تعالى عنه أيضاً :

سَهْمُكَ مَدْلُولٌ عَلى مَقتَلي ، فَمَنْ تُرَى دَلّكَ يا قَاتِلُ
لَيْسَ لِقَلْبي ثَائِرٌ يُتَّقَى ، وَلَيْسَ في سَفْكِ دَمي طَائِلُ
مَطَلْتَني حِينَ مَلَكْتَ الحَشَا ، ألا وَقَلْبي ليَ يَا مَاطِلُ
قَدْ رَضِيَ المَقْتُولُ كُلَّ الرِّضَا ، يَا عَجَبا لِمْ غَضِبَ القَاتِلُ

ما لي بدل غيركم

قال رضي الله عنه وكتب بها إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة في آخر كتاب كتبه إلى حضرته بفارس رحمه الله تعالى :

وَمَا تَلَوَّمَ جِسْمي عَنْ لِقَائِكُمُ ، إلاّ وَقَلْبي إلَيْكُمْ شَيّقٌ عَجِلُ[1]
وَكَيْفَ يَقعُدُ مُشْتَاقٌ يُحَرّكُهُ إلَيكُمُ الحافزَانِ : الشّوْقُ وَالأمَلُ
فإنْ نَهَضْتُ فَمَا لي غَيرَكم وَطَرٌ ، وَإنْ قَعَدْتُ فَما لي غَيرَكم شُغُلُ
لَوْ كانَ لي بَدَلٌ ما اختَرْتُ غَيرَكُمُ ، فكَيْفَ ذاكَ ، وَمَا لي غَيرَكم بدَلُ
وكَمْ تَعَرّضَ لي الأقْوَامُ قَبلَكُمُ يَستَأذِنُونَ عَلى قَلْبي فَمَا وَصَلُوا

١ تلوم : تمكث وانتظر . الشيق : الكثير الشوق .

لا يقبل الوشاية

لا تَحسَبيهِ ، وَإنْ أسَأتِ بِهِ ، يُرْضِي الوُشَاةَ ، وَيَقبَلُ العَذَلا
لَوْكنتِ أنتِ ، وَأنتِ مُهجَتُهُ ، وَاشِي هَوَاكِ إلَيْهِ مَا قَبِلا

زودني ودادك

قال قدس الله تعالى روحه في معنى سئل القول فيه

سلَيمانُ ! دَلّتْني يَدَاكَ على الغِنى ، وَأجرَيْتَ لي عَزْماً أغَرّ مُحَجَّلا
مَدَدْتَ بِضَبْعي جَاهداً ، فعَقَدتَ لي مَصَاداً بأعنَانِ السّمَاءِ وَمَعْقِلا[1]
وَعَلّيْتَني حَتّى ظَنَنْتُ بأنّني سأعبُرُ مِنْ عَرْضِ المَجَرّةِ جَدوَلا
فكَيْفَ ارْتِحالي عَنْكَ غَيرَ مُزَوَّدٍ ، وَيَا رُبّ زَادٍ لا يُبَلِّغُ مَنْزِلا
وَلا سَيرَ إلاّ أنْ أشُدّ حَقيبَةً . أرَى ضِمنَهَا مِنْ ضَامِرِ الزّادِ أبحَلا[2]
وَإلاّ ، فَزَوّدْني وَدادَكَ إنّني أسُلُّ على جَيشِ الطّوَى منكَ مُنصُلا

١ الضبع : العضد كلها ، ومددت بضبعي : أي أغثني وأعني . المصاد : مكان الصيد . المعقل: الملجأ
٢ الحقيبة : الخريطة التي يضع فيها المسافر الزاد . الأبحل : الفقر الشديد .

فَمَا صِرْتُ حَرْبَ الدّهرِ حتّى رأيتهُ يُحَارِبُ مَنْ أمسَى وأصْبَحَ مُرْمِلا[1]
وكُنْتُ ، إذا مَا نَاكَرَتْنِيَ بَلْدَةٌ ، فَزِعتُ إلى الجُرْدِ العَنَاجِيجِ وَالمَلا[2]
وَمَن كانَ مَهجُوراً كَمَا أنا فيكُمُ ، فَمَا يَسْتَحي الأيّامَ أنْ تَتَبَدّلا

عربي يعشق الغزل

قال في معنى عرض له

أوَعِيداً ، يا بَني جُشَمٍ ، نَنْقُضُ الأطنَابَ وَالحِلَلا[3]
وَطِرَاداً في مُلَمْلَمَةٍ ، تَسْتَبِيحُ الخَيْلَ وَالإبِلا[4]
وَنِزَاعاً لا وُرُودَ لَهُ ، يَعجُمُ الحَوْذانَ وَالنَّفَلا[5]
سَتَرَاني مُسْيَ ثَالِثَةٍ ، لا أُضِيفُ الهَمّ إنْ نَزَلا
وَخَفِيرِي في غَيَاهِبِهَا سَابِحٌ ضَمّنْتُهُ الأمَلا

١ المرمل : الفقير .
٢ ناكرتني : جهلتني . فزعت : أسرعت ، لجأت . العناجيج ، الواحد عنجوج : الجيد من الخيل والإبل . الملا : الصحراء .
٣ بنو جشم : أحياء من مضر واليمن وغيرهما . ننقض : نهدم . الأطناب ، الواحد طنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت . الحلل ، الواحدة حلة : محلة القوم .
٤ الململمة : الكتيبة المجموعة .
٥ النزاع : الخصام . يعجم : يعض ، ويمضغ . الحوذان والنفل : نبتان مر ذكرهما .

طَرِبٌ للصَّوْتِ تَحْسَبُهُ عَرَبِيّاً يَعْشَقُ الغَزَلا
سَوْفَ يَغْشَى أَرْضَكُمْ أَسَدٌ يَفْرِسُ الأَيَّامَ وَالدُّوَلا
لا يَنَامُ السَّيْفُ في يَدِهِ ، وَيُرَى في بَابِلٍ رَجِلا[1]
إنَّمَا الدُّنْيَا لِمُقْتَدِرٍ ، أَيْنَ أَلْقَى قَوْلَهُ فَعَلا

الآمال الطوال

قال في معنى عرض له

لا تَعْذُلَنِّي في السُّكُو تِ ، فَرُبَّ قَوْلٍ لا يُقَالُ
كَمْ صَامِتٍ مُتَوَقِّعٍ أَنَّى يَعِنُّ لَهُ المَقَالُ
إنَّ التَّحَمُّلَ نُطْفَةٌ أَبَداً ، يُرَنِّقُهَا السُّؤالُ
مَا كُنْتُ أَرْغَبُ في الحَيَا ةِ ، وَلَيْسَ لي عِزٌّ وَمَالُ
لِي، لَوْ عَلِمْتَ، إلى ذُرَى الْ عَلْيَاءِ آمَالٌ طِوَالُ

١ بابل : بلدة في العراق . الرجل : الراجل ، من يمشي على رجليه .

لا يبعده الله

قال في وداع صديق له :

وَقَائِلٍ ليَ : هَذا الطّوْدُ مُرْتَحِلٌ ، وَهَل يَخِفُّ عَلى الأيّامِ مَحمَلُهُ ؟
لا يُبْعِدِ اللهُ مَنْ غَالَتْ رَكَائِبُهُ صَبرِي ، وَقَلقَلَ من دَمعي تَقَلقُلُهُ
يُطَيِّبُ النّفسَ أنّ النّفْسَ تَتْبَعُهُ ، وكَيفَ يرْحلُ مَن في القَلبِ منزِلُهُ

البخيل ذليل

قال أيضاً في معنى مثله :

قَصَدْتُ العُلى ، وَالمَكرُماتُ سَبيلُ ، وَطُلاّبُهَا ، لَوْلا الكِرَامُ ، قَليلُ
وكُلُّ فتًى لا يَطلُبُ المَجدَ أعزَلٌ ؛ وكُلُّ عَزيزٍ لا يَجُودُ ذَليلُ[1]
صَبَغتُ الأماني بالمَعالي، فلَمْ تَحُلْ ، عَلى أنّ ألْوَانَ الظّنُونِ تَحُولُ
فأينَ كَمُوسَى ، وَالرّمَاحُ شَوَارِعٌ إلى الطّعنِ ، وَالبِيضُ الرّقاقُ تجولُ
إذا جرّ أذْيَالَ العوَالي لِمَعْرَكٍ ، فإنّ جَلابِيبَ التّرابِ ذُيُولُ

١ الأعزل : أراد به الأعزل من الخير ، أي البعيد .

أخُو عزَمَاتٍ لا يُكَفْكِفُ عَزْمَهُ حِذارُ الأعادي ، وَالدّماءُ تَسيلُ
وَلا يَستَكِنُّ الرّوْعُ في طَيّ قَلْبِهِ ، وَلا يَصْحَبُ الصّمصَامَ ، وَهوَ كَليلُ
فَكُلُّ فَلاةٍ مِنْ نَوَالِكَ لُجّةٌ ؛ وَكُلُّ مَكَانٍ مِن رِماحِكَ غِيلُ

عصيان وطاعة

قال وهي من أول قوله وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

عَصَيْنَا فيكَ أحْداثَ اللّيَالي ، وَطَاوَعْنَا المَكَارِمَ وَالمَعَالي
وَفيكَ رَجَمْتُ أحْشَاءَ الأعادي بِأطْرَافِ الذّوَابِلِ وَالنّصَالِ
وَعُذْتُ بِجانِبَيْكَ مِنَ الرّزَايا ، مَعَاذي في الهَوَاجِرِ بالظّلالِ
دَعَوْتُكَ يَوْمَ دافَعَ عَنكَ نَحرِي جِنَايَاتِ الصّوَارِمِ وَالعَوَالي
فَمَا خَلَبَ النّوَائِبُ مِنكَ بَرْقاً يَدُلّ عَلى الوَفَاءِ ، إذا بَدا لي[1]
وَمَا هَوْلُ الفُؤادِ مِنَ التّصَافي ، بَعِيدٌ مِنْ فُؤادٍ فيهِ خَالي
وَلَمْ أعْلَمْ كَعِلْمِ بَني زَمَاني ، بِأنّ القُرْبَ داعِيَةُ المَلالِ
وَأنّكَ حِينَ تَطْمَعُ في نِضَالي ، وَتَعْلَمُ أنّ لي سَبْقَ النّضَالِ
كَمَاشٍ في الهِيَاجِ بِلا حُسَامٍ ، وَسَاعٍ في الظّلامِ بِلا ذُبَالِ[2]

١ خلب : أخلف .
٢ الهياج : القتال . الذبال ، الواحدة ذبالة : الفتيلة

وَإنّي في زَمَاني مِنْ رِجَالٍ مِزَاجُ وِدادِهِمْ مَاءُ التّقَالي[1]
شِمَالُ المَالِ تَعْلُو عَنْ يَمِيني ، وَيُمْنى المجدِ تَقصُرُ عَنْ شِمالي
أقُولُ لِهِمّتي لَمّا أبَتْ لي مُعَاتَبَةَ المَلُولِ عَلى الوِصَالِ
أُعَاتِبُهُ لَعَلّ العَتْبَ يَشْفي ، وَإنْ كَانَ الزّعِيمَ بكَسفِ بَالي
وَلَوْ لَمْ يَبْلُغِ العُتْبَى بِقَوْلٍ ، لَعَاتَبْنَاهُ بِالبِيضِ الصّقَالِ
رَأى العُذّالُ بَذْلَ المَالِ طَبعي ، وَأسْبَابَ الشّجَاعَةِ من خِلالي
فَلَمْ أُعذَلْ عَلى خَوْضِ المَنَايا ؛ وَلَمْ أُعتَبْ عَلى بَذْلِ النّوَالِ
أبَتْ هِمَمي تَسيغُ المَاءَ صَفواً ، إذا مَا الذّلّ حَامَ عَلى الزّلالِ
أُذَمّ عَلى العُلَى ظُلْماً لأنّي أعُلّ بِمَائِهَا ظَمَأ السّؤالِ
وَمَا زِلْنَ العَوَاطِلُ كُلّ يَوْمٍ مِنَ العَلْيَاءِ يَدّمُمْنَ الحَوَالي[2]
وَلَمّا مَاطَلَتْ بالحَرْبِ سَعْدٌ سَنَنّا المَوْتَ فِيهَا بالمِطَالِ
أثَرْنَا في قَبَائِلِهَا عَجَاجاً ، تَرَكْنَا مِنْهُ أثْراً في الهِلالِ[3]
فَمَنْ يُهْدي لآلِ تَمِيمَ عَتبي ، مُقِيماً في ذُرَى الأسَلِ الطِّوَالِ
مَنَحتُكُمُ الوِدادَ ، فلم تَوَدّوا ، فَألقَيْتُ المَلامَ عَلى فِعَالي
وَلَستُ بِبَاسِطٍ كَفّي لأنّي أرَى الأفلاكَ تَقصُرُ عَنْ مَنَالي

١ التقالي : التباغض .
٢ العواطل : غير الحاليات .
٣ الأثر بالسكون أراد الأثَر بالفتح فسكن لضرورة الشعر .

ان لم أطع همماً

قال أيضاً وهي من أول قوله رحمه الله تعالى :

إنْ لمْ أُطِعْ هِمماً، وَأعصِ عَوَاذِلا ، قُلِبَتْ صَوَامِتُهَا عَليّ مَقَاوِلا
وَأُجِيعُ أعْيَاساً ، وَأُشْبِعُ صَارِماً ، وَأعُلّ خُرْصَاناً، وَأُظمىءُ صَاهِلا[1]
وَلَرُبّ مَصْحُوبٍ شَرِقْتُ بِلُؤمِهِ ، فَلَفَظْتُهُ قَبْلَ الإسَاغَةِ عَاجِلا
وَلَبِثْتُهُ زُجّ القَنَاةِ مُوَزَّعاً ، فَكَأنّمَا أعْمَلْتُ فيهِ عَامِلا
وَمَنَحْتُهُ أرْوَى القَوَافي عَاتِباً ، فَاكْتَنّ في جَنْبَيْهِ سُمّاً قاتِلا
وَكَسَوْتُ مِنْ مُورِ المَلامِ جَنَانَهُ قَبلَ العِقابِ، فصَارَ فيهِ جَنادِلا[2]
وَهَزَزْتُ أغْصَانَ المَخَاوِفِ دُونَهُ ، فَاجْتَازَ يَحْسَبُهَا ظُبًى وَذَوَابِلا

١ الأعياس : العيس ، الإبل البيضاء . الخرصان : الرماح .
٢ المور : الغبار المتردد ، والتراب تثيره الريح . الجنادل ، الواحد جندل : الحجارة .

قال وكتب إلى بعض أصدقائه يعاتبه :

وَجَدَ القَرِيضُ إلى العِتابِ سَبِيلا ، فَثَنَى مَعَاذِرَكَ الوُعُورَ سُهُولا
مَا لي أحَرِّكُ مِنْ وَفَائِكَ سَاكِناً، وَأهُزُّ مِنْكَ إلى الصَّفَاءِ كَلِيلا
طَالَ المِطَالُ بِرَدِّ وِدٍّ لَمْ يَزَلْ عِنْدِي مَصُوناً فِيكُمُ مَبْذُولا
فَإلى مَتَى يُنْشِي عِتَابُكَ هَبْوَةً ، وَتَشُنُّهَا قَالاً عَلَيَّ وَقِيلا
في كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ مَا تَنْقَضِي ، إلاّ وَتَثْنِي سَيْفَهُ مَفْلُولا
إنَّ الَّذِي قَصَدَ المَدَائِحَ غُلَّةً ، أحرَى بِأنْ يَجِدَ الهِجَاءَ غَلِيلا
كَمْ مِن نظامٍ قَد نَشَرْنَ هَوَاجِسِي حَتَّى نَظَمْتُ العُذْرَ فِيهِ فُصُولا
وَقَصَائِدٍ سَدَّدْتُهُنَّ أسِنَّةً ، وَشَهَرْتُهُنَّ قَوَاضِباً وَنُصُولا
جُعِلَتْ لِرَقْرَاقِ السُّرُورِ جَدَاوِلاً ، نَحْوَ القُلُوبِ ، وَلِلهُمُومِ سَبِيلا

خير المواهب العاجل

كتب إلى بعض أصدقائه وقد وعده
وعداً في أمر رجل سأله في بابه فأخره :

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّ ذَيْلَ الفَخَا رِ إلاّ ابنُ مُنجبَةٍ باسِلُ
جَرِيءٌ يُشَيِّعُهُ قَلْبُهُ ، كَمَا شَيَّعَ اللَّهْذَمَ العامِلُ[1]
يَنالُ مِنَ الطّعْنِ ما يَشتَهي ، وَيَأخُذُ مِنْهُ القَنَا الذّابِلُ
وَهَا أنَا ذا غَرِضٌ بالزّمَانِ ، فَلا عَيْشَ يَألَفُهُ العَاقِلُ[2]
وَكُلُّ سُرُورٍ أرَى أنّهُ خِضَابٌ عَلى لِمّتي نَاصِلُ
إذا أنَا أمّلْتُ قَالَ الزّمَا نُ : أوْرَقَ حَبلُكَ يا حَابِلُ[3]
وَلا بُدّ مِنْ أمَلٍ لِلْفَتَى ، وَأُمُّ المُنَى أبَداً حَامِلُ
وَدَهْرٌ يُتَابِعُ أحْداثَهُ ، كَمَا تَابَعَ الطّلَقَ النّابِلُ
فَذاكَ ، أبَا حَسَنٍ ، في السّمَا حِ مَنْ لا يُلِمّ بهِ السّائِلُ
لَئيمٌ تَمَلّسُ مِنْهُ العُلَى ، وَيَأنَفُ مِنْ يَدِهِ النّائِلُ[4]

١ اللهذم : السنان القاطع .
٢ الغرض ، من غرض منه : مل ، والباء في « بالزمان » بمعنى من .
٣ الحبل بالسكون أصلها الحبل بفتح الباء ، وسكن للضرورة : شجر العنب . الحابل : الصائد بالحبـالة .
٤ تملس : تتفلت .

فَمِثْلُكَ مَنْ لا يَنِي وَبْلُهُ ، إذا اسْتَمْطَرَ البَلَدُ المَاحِلُ
فَمَا هَزِئَتْ بِقِرَاكَ الضُّيُوفُ ، وَلا ذَمَّ مَنْزِلَكَ النَّازِلُ
وَكَمْ لكَ مِن هِمّةٍ يَستَطيلُ بِهَا العَضْبُ وَالأزْرَقُ العَاسِلُ
وَوَعْدٍ تُنَفِّرُهُ بِالعَطَاءِ كَالعَامِ أزْعَجَهُ القَابِلُ
وَأفْوَهَ بَادَرْتَهُ بِالمَقَالِ ، وَقَدْ لَجّجَ الذَّرِبُ القَائِلُ[1]
فَرَجّعَ في حَلْقِهِ غُصّةً ، كَمَا رَجّعَ الجِرّةَ البَازِلُ
لكَ الخَيرُ ، وَعدُكَ لا يُقتَضَى وَإنْ حَالَ مِنْ دُونِهِ حَائِلُ
وَلا ضَيرَ بَعْدَ مَجيءِ الغَمَامِ ، إنْ أبْطَأ الوَابِلُ الهَاطِلُ
وَمَطْلُ الكَرِيمِ سَرِيعُ الزّوَالِ ، كالظِّلّ رَيعَانُهُ زَائِلُ
وَأنتَ ، وَإنْ كُنتَ بَحرَ السّماحِ ، فخَيرُ مَوَاهِبِكَ العاجِلُ
وَمَا صِدقُ وَعدِكَ إلاّ حُلًى مُكَرّمَةٍ ، جِيدُهَا عَاطِلُ

١ الأفوه : الواسع الفم . لجج : خاض اللجة . الذرب : الفصيح ، الحاد اللسان .

خمر كماء الهجير

وسئل وصف الخمر فقال

رَاحٌ يَحُولُ شُعَاعُهَا بَيْنَ الضَّمَائِرِ وَالعُقُولِ
فَكَأَنَّهَا في كَأسِهَا ، وَاللّيلُ مُنسَحِبُ الذّيولِ
مَاءُ الهَجِيرِ مُرَقْرِقاً ، في سُرّةِ الظّلّ الظّليلِ[1]

الجبن ضرب من البخل

قال في غرض رحمه الله

سأبذُلُ دونَ العزّ أكْرَمَ مُهْجَةٍ ، إذا قامَتِ الحَرْبُ العوَانُ على رِجْلِ[2]
وَمَا ذاكَ أنَّ النّفسَ غيرُ نَفيسَةٍ ، ولكِنْ رَأيتُ الجُبنَ ضرْباً من البُخْلِ
وَمَا المُكرِهُونَ السّمهَرِيّةَ في الطُّلى بأشجَعَ ممّن يكرَهُ المالَ في البَذْلِ[3]

١ السرة : مستقر الماء .
٢ المهجة : بقية الروح . العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .
٣ السمهرية : الرماح . الطلى : الأعناق .

من عاذري من الزلل

قال على لسان إنسان سأله ذلك :

زَلَلْتُ في وَقْفَتي عَلى طَلَلٍ بالٍ ، فمَن عاذِري من الزّلَلِ ؟
لمّا تأمّلْتُ قُبْحَ صُورَتِهِ ، رَجَعْتُ أبْكي دَماً عَلى أمَلي
وَجْهٌ كَظَهْرِ المِجَنّ مُشْتَرَقُ الـ حُسْنِ ، وَأنفٌ كغارِبِ الجَمَلِ[1]

لا هناك البدل

قال رضي الله تعالى عنه في معنى عرض له

أبيعُكَ بَيْعَ الأديمِ النّغِلْ ، وَأطْوِي وِدادَكَ طَيَّ السّجِلّ[2]
وَأنْفُضُ ثِقْلَكَ عَنْ عاتِقِي ، فَقَدْ طَالَ ما أدْتَني يا جَبَلْ[3]
قَوَارِصُ لَفْظٍ كَحَزّ المِدَى ، وَشَذّانُ لَحظٍ كوَقْعِ الأسَلْ[4]

١ قوله : مشترق ، هكذا في الأصل ولم نجدها ، ولعله مسترق الحسن ، أي مسروق حسنه ، فهو لا حسن فيه . وقوله : وجه كظهر المجن ، أي صلب ، جاف . الغارب : الكاهل .

٢ الأديم : الجلد . النغل : الفاسد في الدباغ .

٣ أدتني : أجهدتني .

٤ الشذان : ما تفرق من الحصى وغيره .

تَبَدَّلْتَ مِنّي ، وَلَوْ سَاءَني لَقُلْتُ إذاً لا هُنَاكَ البَدَلْ
فَكَيْفَ ، وكُنتَ عَلَى السّاعدَيْـ نِ جَامِعَةً ، وَعلى الجِيدِ غُلّ[1]
وَمَا عَطَلُ المَرْءِ يُزْرِي بِهِ ، إذا كَانَ طَوْقُ وَرِيدَيْهِ صِلّ[2]
نَصَبْتَ الحِبَالَةَ لي طَامِعاً ، لَقَدْ خَابَ ظَنُّكَ يا مُحتَبِلْ
ولَمْ تَدْرِ أنّي جَرِيّ الوُثُوبِ ، إذا الحَبْلُ مَرّ بجَنْبي نَصَلْ
وَأمّلْتَ مَا عَكَسَتْهُ الخُطُوبُ سَفَاهاً أجرّكَ هَذا الأمَلْ
لقَدْ كِدتَ أن تَستَزِلّ الأديبَ ، وَلَكِنْ تَحَامَلَ سِمْعٌ أزَلّ[3]
أفَخْراً ، فحَسبي بِمَا قَدْ أطَا لَ بَاعي وَأنزَلَني في القُلَلْ
وَإنْ أذَلّ الأذَلّينَ مَنْ يُرِيعُ بِبِضْعِ النّسَاءِ الدُّوَلْ[4]
حَمَلْتُ بقَلْبي حِمْلَ الجَمُوحِ ، كمَا قَطَعَ الصّعبُ ليَّ الطِّوَلْ[5]
نَجَوْتُ ، وَمَنْ يَنجُ مِنْ مِثلِها يَعِشْ آمِناً بَعْدَهَا مِنْ زَلَلْ
وَغَادَرْتُ غَيرِيَ تَحْتَ الهَوَا نِ يُضرَبُ ضَرْبَ عِرَابِ الإبِلْ[6]

١ الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق . الغل : طوق من حديد يجعل في العنق .
٢ الوريدان : عرقان في العنق . الصل : الحية .
٣ السمع : ولد الذئب من الضبع . الأزل : الخفيف الوركين .
٤ يريع : يفزع . البضع : من الثلاث إلى التسع .
٥ اللي : الفتل . الطول : الحبل يشد به قائمة الدابة ويمسك طرفه ، وترسل لترعى .
٦ العراب : الإبل الكريمة . ولعلها الغراب ، أي الغريبة ، لأن العرب كانوا يضربون الإبل الغريبة إذا دخلت إلى مراعيهم ليخرجوها منها .

أليس أبي حسباً وفخراً

قال رضي الله تعالى عنه وكان قد واصل الاستعفاء في النقابة فأعفي منها ووردت إلى من خطبها وبذل عليها فذكر هذه الحالة وذلك في ذي القعدة سنة ٣٨٤ :

تَطاطَ لهَا، فيُوشِكُ أنْ تُجلّى، وَوَلِّ جُنُونَ دَهْرِكَ مَا تَوَلّى
وَلا تَكِلِ الزّمَانَ إلى عِتَابٍ ، فَلا يَدْرِي الزّمَانُ أسَاءَ أمْ لا
خبُوطٌ باليدَينِ يُشتِّ شَمْلاً جَميعاً ، بالنّوَى ، وَيَلُمّ شَمَلا
يُعَرّي الغَارِبَ الأعلى وَيُحْذِي عَظيمَ العِزّ وَالخَطَرَ الأظَلا[1]
فَقَدْتُكَ مِنْ زَمَانٍ كُلّ فَقْدٍ ، وَفِعْلُكَ مَا أخَسّ وَمَا أذَلاّ
أمِثْلي يُستَضَامُ وَمَا تَرَى لي ، إذا عَرَضَ العِيَانُ ، بَنيكَ مِثلا؟
فحَسبُكَ قد حَمَلتَ على مُطيقٍ شَآكَ تَجلّداً ، وَشَجَاكَ حَملا
مُحَمّدُ طَالَ ما شَمّرْتَ فِيها، فَدُونَكَ فاسحَبِ الذّيْلَ الرِّفَلا[2]
وَنَمْ مُسْتَوْدَعاً صَوْناً وَأمْناً ، فَقَدْ أسلَفْتَهَا جزَعاً وَذُلاّ
فَإنْ أتْبَعتَ هَذا الأمْرَ لَهْفاً ، فَإنّكَ أعزَبُ الثّقَلَينِ عَقْلا[3]
يَرَاهُ المُسْتَغِرّ عَليّ طَوْقاً ، فيَغْبِطُني بِهِ ، وَأرَاهُ غُلاّ

١ الخطر الأظل : الخطر الداني ، الغاشي .
٢ الرفل : الطويل الذيل .
٣ أعزب : أبعد . الثقلان : الإنس والجن .

وَمَا حَطَّ الأعَادِي لي مَحَلاً ، وَلَكِنْ حَطَّ عَنّي الدّهرُ كَلاّ[1]

فَإنْ أخَذُوا الأقَلّ مِنَ المَعَالي ، فقَد تَرَكُوا مِنَ الصّوْنِ الأجَلاّ

خُذُوا مِنّي بذِي جَلَبٍ ثُقَالٍ ، بَعيدٍ أنْ يَخِفّ وَأنْ يَزِلاّ[2]

هَوَتْ أُمُّ الخُطُوبِ إلى التّسَاقي ، وَقَدْ أفْنَيْتُهَا نَهْلاً وَعَلاّ

وَكَيْفَ يُضَائِلُ الحِدْثَانُ مِنّي وَقَدْ ضَاءَلْتُهُ حتّى اضْمَحَلاّ[3]

سَجيّةُ مُسْتَميتٍ لا يُبَالي ، مِنَ العَلْيَا يُعَطَّلُ أمْ يُحَلّى

أنَا الرّجُلُ الذي عَلِمَتْ نِزَارٌ ، أجَلُّ مَغَارِساً وَأعَزُّ نَجْلا

أمُرُّ عَلى لُهَى الأضْدادِ طَعماً ، وَأنْفُذُ في طُلَى الأعداءِ نَبْلا

ألَيْسَ أبي أبي حَسَباً وَفَخْراً ، وَبَاعاً وَاسِعاً ، وَعُلًى ، وَنُبلا ؟

وَقَبلَكَ أوْقَرَ الأيّامَ مَجْداً ، وَأوْضَعَ بالعُلَى حتّى أكَلاّ

فَإنْ يَقْعُدْ فَقَدْ طَلَبَ المَعَالي فَعُلّقَهَا ، وَأوْصَلَهَا ، وَمَلاّ

وَنَفْسِي ما عَلِمتَ ، وَلي جَنَانٌ ، أبَى لي أنْ أُهَانَ وَأنْ أُذَلاّ

فَلِمْ آسَى وَقَدْ أحرَزْتُ مَجداً كَفَاني مَا يُبَلّغُني المَحَلاّ

إذا خَلَتِ المَنَازِلُ لِلْمُوَلّي ، فَيَا سِرْعَانَ مَا عُزِلَ المُوَلّى

وَبَيْنَا أنْ يَقُولُوا قَدْ تَمَلّى بِهَا ، حتّى يَقُولُوا مَا تَمَلّى

بِمالِكَ نِلتَهَا ، وَكَفَاكَ عاراً ، فَألاّ نِلْتَهَا بِالمَجْدِ ألاّ ؟ !

١ الكل : الثقل ، والتعب .

٢ ذو الجلب الثقال : الجيش العظيم الجلبة ، الذي يثقل زحفه لكثرته .

٣ حدثان الدهر : نوائبه . يضائل : يصغر .

فَمَنْ وَجَدَ الطّرِيقَ إليّ صَعْباً، فقَدَ وَجَدَ الطّرِيقَ إلَيكَ سَهْلا
وَهَلْ في ذاكَ إلاّ أنْ يَقُولُوا : تَسَبّبُ مُكْثِرٍ غَلَبَ المُقِلاّ
وَمَا لكَ مَطعَمٌ فيها ، لأنّي تَرَكتُ عَلَيكَ فَضْلاً قد أظَلاّ
تَهَلّل ، إذْ أصَبْتُ بهَا حَبيبي ، وَلَوْ غَيرِي أُصِيبَ بهَا استَهَلاّ[1]
شَقَى بِلِبَاسِهَا غِلاً قَدِيماً ، وَعُدْتُ بنَزْعِها ، فشَفَيتُ غِلاّ
فَإنْ يَكُ نَالَهَا ، فلَقَدْ أنِفْنَا، فَأرْخَصنَا بِقِيمَتِهَا ، وَأغْلَى
فَلَمْ يَكُ جُودُهُ في ذاكَ جُوداً، وَلَمْ يَكُ بُخلُنا في ذاكَ بُخْلا
فَمَا المَغبُونُ إلاّ مَنْ تَوَلّى ، وَمَا المَغْبُوطُ إلاّ مَنْ تَخَلّى

ليس العز بغال

قال على البديهة وقد أجرى قوم بحضرته ذكر ما بذله الوزير أبو العباس عيسى بن ماسرجس من الدنانير حتّى قلد الوزارة واستكثروه وذلك في شوال سنة ٣٨٤ :

اشْتَرِ العِزّ بِمَا بِيـ ـعَ فَمَا العِزّ بِغَالِ
بالقِصَارِ الصُّفرِ، إن شِئْـ ـتَ أوِ السُّمرِ الطِّوَالِ
لَيسَ بالمَغبُونِ عَقْلاً مَنْ شَرَى عِزّاً بِمَالِ

١ استهل : رفع صوته بالبكاء .

إنّمَا يُدّخَرُ المَـا ... لُ لحَاجَاتِ الرّجَالِ
وَالفَتَى مَنْ جَعَلَ الأمْـ ... ـوَالَ أثْمَانَ المَعَالي

غزال دأبه المطل

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه في بعض أسفاره ويذكر غرضـاً في نفسه وذلك في شعبان سنة ٣٩١ :

بِحَيْثُ انعَقَدَ الرّمْلُ ... غَزَالٌ دَأبُهُ المَطْلُ
جَرُورٌ لِلْمَوَاعِيدِ ، ... فَلا مَنْعٌ ، وَلا بَذْلُ
وَلَوْ صَرّحَ بِاليَأسِ ، ... أبَى وَجدِيَ أنْ أسْلُو
لَئِنْ آيَسَنِي الصّدُّ ، ... لَقَدْ أطْمَعَنِي الدَّلّ
لَهُ عَيْنَانِ تُبْرَى مِنْـ ... هُمَا لِلأعْيُنِ النَّبلُ
سَوَاءٌ بِهِمَا الإحْيَا ... ءُ لِلوَاجِدِ ، وَالقَتْلُ
أمِنْكَ الظُّعُنُ الغَادُو ... نَ زُمّتْ لَهُمُ الإبْلُ
كَمَا أشْرَقَتِ الدَّوْمُ ... ضُحًى ، أوْ طَلَعَ الرَّقلُ[1]
جَلا عَنْهَا طِرَاقُ اللّيْـ ... ـلِ ، وَاقلَوْلَى بها الهَجْلُ[2]

١ الدوم : شجر يشبه النخل ، وضخام الشجر . الرقل ، الواحدة رقلة : النخلة الطويلة
٢ طراق : تتابع . اقلولى : انكمش ، رحل . الهجل : المطمئن من الأرض .

وَفيِها القُضُبُ الرّيّا الـ ـنّدى ، وَالقُضُبُ الجَذل[1]
ألاَ لِلّهِ كَمْ تَرْشُـ ـقُ فِينَا الأعيُنُ النُّجْلُ
وَتُصْبِينَا دِيَارُ الحَـ ـيِّ إنْ سَارُوا وَإنْ حَلّوا
فَذِي الدّارُ ، إذا تَغنَى ، وَذِي الدّارُ ، إذا تَخْلُو
خَلَعْنَا طَاعَةَ الحُبّ ، فَلا عَهْدٌ وَلا إلّ[2]
إذا مَا نَفَعَ الجَهْلُ ، فإنّ الضّائِرَ العَقْلُ
فَإمّا تَرَيَنّي اليَـوْ مَ يَبْلُوني الّذِي يَبْلُو
صِرَاعاً للزّمَانِ العَـوْ دِ أغْلُوهُ كَمَا يَغْلُو
تَقَيتُ الشّوْكَ بالنّعْلِ ، فَشَاكَتْ قَدَمي النّعْلُ
فَقَدْ أُنْهَزْ بالثّقْلِ ، إذا مَا عَظُمَ الثّقْلُ
وَأنْزُو نَزْوَةَ البَـازِ لِ لا يُبْرِكُهُ الحَمْلُ[3]
فَقَدْ يَنْهَتِكُ الحَيّ ، وَفِيهِ البِيضُ وَالذُّبلُ
وَقَدْ يَنْتَصِرُ الوَاحِدُ لا مَالٌ ، وَلا أهْلُ
يُضَامُ العَدَدُ الكُثْرُ ، وَيَأبَى العَدَدُ القُلّ
أخِلاّئِي بِبَغْـدادَ جَنَى دُونَكُمُ الرّمْلُ
وَحَالَتْ دُونَ لُقْيَاكُمْ زَحَالِيفُ القَنَا الزُّلّ[4]

١ الجذل : ما عظم من أصول الشجر .
٢ الإل والعهد : واحد .
٣ أنزو : أقفز . البازل : البعير فطر نابه .
٤ الزحاليف ، الواحدة زحلوفة : كل منحدر مملس يتزلج عليه الصبيان وغيرهم .

لَقَدْ كُنتُ شَدِيدَ الضّنِّ أنْ يَنْقَطِعَ الحَبْلُ
وَأنْ يَنْصَدِعَ الشّعْبُ الذي لوئِمَ ، وَالشّملُ
وَلَكِنّي رَعَيْتُ الأرْضَ مَا طَابَ لِيَ البَقْلُ
وَعَجّلْتُ النّوَى لَمّا فَشَا اللأوَاءُ وَالأزْلُ[1]
وَمَنْ أنْزَلَهُ خِصْبُ الرُّبَى أظْعَنَهُ المَحْلُ
وَلا عَارٌ عَلَى المَاتِحِ أنْ يَغْلِبَهُ السَّجْلُ[2]
نَدامَايَ عَلى الهَمّ سَقَى عَهْدَكُمُ الوَبْلُ
وَحَيّاكُمْ بِرَيّاهُ ، جَدِيدُ النَّورِ مُخضَلّ[3]
تَذَكّرْتُكُمُ ، وَالدّمْعُ لا وَبْلٌ وَلا طَلّ
فَمَا أخْلَفَكُمْ جَارٍ مِنَ المَاقَينِ مُنْهَلّ
وَفي الأيّامِ مَا يُسْلي ، وَلَكِنْ أينَ مَا يَسْلُو
أبَى لي طَاعَةَ الضّيْمِ مَضَاءُ القَلْبِ وَالنّصْلُ
وَإنّي مِنْ مَنَاجِيبٍ لَهُمْ أنَفٌ ، إذا ذُلّوا
لَئِنْ عُدْتُ إلى الضّيْمِ ، فَلا رَحْبٌ ، وَلا سَهْلُ
وَإنْ جُزْتُ عَنِ العِزّ ، فَلا جَاوَزَني الذُّلّ
هِيَ البَيْدَاءُ وَالظّلْمَاءُ وَالنّاقَةُ وَالرّحْلُ

١ اللأواء والأزل : واحد ، الضيق والشدة .
٢ الماتح : الذي ينزع الماء من البئر بالدلو .
٣ النور : الزهر الأبيض . المخضل : الندي .

شِرَاءُ المَوْتِ لِلعِزّ بِبَيْعِ الضّيْمِ لا يَغْلُو
وَإنّ الجَانِبَ الوَعْرَ عَلَيّ الجَانِبُ السّهْلُ

لا يطلب العز الا بالسيف

قال قدس الله تعالى روحه في هذا المعنى :

أغَرّ أيّاميَ مِنّي ذا الطَّلَلْ ، وَأنّهَا مَا حَمّلَتْني أحتَمِلْ
وَأنّني بَقِيّةُ البُزْلِ الأُوَلْ ، قد يَجسرُ العَوْدُ على طول العَمل[1]
شَيْبٌ وَمَا جُزْتُ الثّلاثينَ نزَلْ نُزُولَ ضَيْفٍ بِبَخيلٍ ذي عِلَلْ
يصرِفُ عنه السّمعَ إن رَغا الجَمَلْ ، وَلا يَقُولُ إنْ أنَاخَ: حيّ هَلْ[2]
كَأنّهُ لَمّا طَرَا عَلى عَجَلْ سَوَادُ نَبْتٍ عَمّهُ بَيَاضُ طَلّ
يَجيءُ بِالهَمّ ،وَيَمضِي بالأجَلْ ، فأوهِ إنْ حَلّ ، وَوَاهاً إنْ رَحَلْ
أبدَلٌ مِنَ الشّبَابِ لا بَدَلْ ، سِرْعَانَ مَا رَقّ الأديمُ وَنَغِلْ
هَلْ يَنفَعَنّي في الوِهَادِ وَالقُلَلْ مَدُّ العَلابيّ مِنَ النّوقِ الذُّلُلْ[3]

١ يجسر : يقدم على العمل ، يجترىء .
٢ حي هل : هلم .
٣ العلابي ، الواحدة علباء : عصبة ممتدة في العنق .

فِي فِتيَةٍ عَوّدَهم جَوْبُ السُّبلْ ... أنْ يَشرَبوا ماءَهُم عَلى المَقَلْ[١]

يَنْضُونَ باللّيْلِ غُلالاتِ الكَسَلْ ، ... وَيَستَسِلّونَ الكَرَى مِنَ المُقَلْ

إذا دُعُوا للطّعْنِ وَالخَطْبُ جلَلْ ... حَسِبْتَ أيديهِم منَ القَنا الذُّبُلْ

يُبقُونَ آثاراً مِنَ الطّعنِ نَجَلْ ... من كُلّ فَوْهاءَ كمَا ضَغّ الوَعِلْ[٢]

يَطمَعُ في حامِلِها السِّمعُ الأزَلّ ، ... يَقولُ مَنْ عايَنَها مِنَ الوَجَلْ :

كَذا الطّعَانُ لا عَمًى وَلا شلَلْ ... في كلّ يَوْمٍ أنا مِخماصُ الأُصُلْ[٣]

آكُلُ بالمَيسِ غَوَارِبَ الإبِلْ ، ... أهْدُمُ مَا يَبْني السّنَامُ وَالكَفَلْ[٤]

بَينَ عَجارِيفِ العَنيقِ وَالرّمَلْ ، ... مُشْتَمِلاً بُرْدَ الجَنوبِ وَالشَّمَلْ[٥]

وَطالعاً مَعَ الشّميطِ ذي الشُّعَلْ ، ... وَغارِباً مَعَ الظّلامِ وَالطَّفَلْ[٦]

تَعَرُّضاً للرّزْقِ وَالرّزْقُ أشَلّ ، ... وَشَنَجِ الكَفّ ، إذا قيلَ بَذَلْ

رِدْ ما سَقاكَ الدّهرُ عَلاًّ وَنَهَلْ ، ... وَمَا حذَتكَ النّائِباتُ ، فانتَعِلْ

ما دُمتَ جَثّاماً عَلى نِضْوِ الإبلْ ... مُسَوَّفاً في كُلّ يَوْمٍ بالرِّحَلْ

مَن لمْ يُعَانِ الغَزْوَ لمْ يُعطَ النَّفَلْ ، ... قدِ انقضَى العُمرُ وَأنتَ في شَغَلْ

١ المقل : الحصى يقسم عليه الماء في السفر ، وقد مر .

٢ النجل : سعة العين . الفوهاء : الواسعة الفم . الضغ من الضغضغة وهي أن يتكلم الرجل فلا يبين كلامه . ولعلها ضغا : صوت .

٣ المخماص : الضامر البطن . الأصل ، الواحد أصيل : العشي .

٤ الميس : أراد الرحل المصنوع من خشب شجر الميس .

٥ الشمل : ريح الشمال .

٦ الشميط : الصبح . الطفل : الظلمة . وطفل العشي : آخره عند الغروب .

فاجسُرْ على الأهوَالِ إن كنتَ رَجُلْ ، وَنَلْ بأطرَافِ القَنا ما لمْ يُنَلْ
مَنْ طَلَبَ العِزَّ بغيرِ السّيفِ ذَلّ ، وَامشِ إلى المَجدِ ولَوْ على الأسَلْ
وَانجُ من الهُونِ كما يَنجو البَطَلْ ، مَن لمْ يَئِلْ من بَعدِها فلا وَأَلْ [1]

الملقى الحبيب

قال أيضاً يصف فراخ حمامة شاهدها وقد سئل ذلك

لَحَبَّ إليَّ بالدَّهْنَاءِ مَلْقًى لأيدي العِيسِ وَاضِعَةَ الرِّحَالِ
مُنَاخُ مُطَلَّحِينَ تَقَاذَفَتْهُمْ غَرِيبُ الحَاجِ وَالهِمَمُ العَوَالِي [2]
أرَاحُوا فَوْقَ أعضَادِ المَطَايَا ، قَدِ افتَرَشُوا زَرَابِيَّ الرِّمَالِ [3]
فبَيْنَ مُمَضْمِضٍ بالنَّوْمِ ذَوْقاً ، وَبَيْنَ مُقَيَّدٍ بِعُرَى الكَلالِ [4]
إلى أنْ رَوَّعَ الظَّلْمَاءَ فَتْقٌ أغَرُّ كَجَلْحَةِ الرَّجُلِ البَجَالِ [5]
فَقَامُوا يَرْتَقُونَ عَلى ذُرَاهَا سَلالِيمَ المَعَالِقِ وَالحِبَالِ

١ يئل : ينجو ويخلص .
٢ المطلحون : المعيون ، المتعبون . الحاج : الواحدة حاجة .
٣ زرابي : بسط .
٤ الممضمض : أراد به الذاب النعاس في عينيه . الكلال : التعب .
٥ الجلحة : انحسار الشعر . البجال : الشيخ الكبير ، السيد العظيم .

وَأرّقَني دُعَاءُ الوُرْقِ فيهَا ، عَلى جُرْحٍ قَريبِ الانْدِمَالِ
تُذَكّرُني بِسَالِفَةِ اللّيَالي ، وَسَالِفَةِ الغَزَالَةِ وَالغَزَالِ
وَأيّامُ الشّبَابِ مُسَاعفَاتٌ ، جُمِعْنَ لَنَا وَأيّامَ الوِصَالِ
كَأنْفَاسِ الشَّمُولِ كرَعتُ فيها عَلى ظَمإٍ وَأنْفَاسِ الشَّمَالِ
أقُولُ لهَا ، وَقَدْ رَنّتْ مِرَاحاً ، لَبَالُكِ يا حَمَامَةُ غَيرُ بَالي
تَبَاعَدَ بَيْنَنَا مَنْ قِيلَ شَاكٍ تَعَلّقَ بالغَرَامِ ، وَقيلَ سَالي
تَرِيعُ إلى دَرَادِقَ عَاطِلاتٍ ، وَهُنّ بُعَيْدَ آونَةٍ حَوَالي[1]
لهَا صِنْعٌ يَطُولُ عَلى طُلاها ، قَلائدُ لا تُفَصَّلُ باللآلي[2]
عَوَارٍ لا تَزَالُ الدّهْرَ حتّى تُجلّلَهَا بِرَيْطٍ غَيرِ بَالي
وَكُلٌّ أزَيْرِقٍ قَصُرَتْ خُطَاهُ ، كَشَيْخِ الحَيّ طَأطَأ للعَوَالي[3]
مِرَاحُكَ قَبْلَ طَارِقَةِ المَنَايَا ، وَقَبْلَ مَرَدّ عَادِيَةِ اللّيَالي

١ تريع : ترجع . الدرادق : الأطفال ، الواحد دردق .
٢ الصنع : الثوب الذي يصنع . طلاها : أعناقها .
٣ الأزيرق ، مصغر الأزرق : البازي .

العقل الضائر

قال ارتجالا وقد كثرت على قلبه الهموم

أقُولُ ، وَالهَمُّ زَميلُ رَحْلي ، يَعْرُقُني مِطَالُهُ وَيُبْلي
وَلا أرَى مِنْ زَمَني مَا يُسْلي ، مَنْ يَشْتَرِي مني جَميعَ فَضْلي
بِسَاعَةٍ مِنْ عَيْشِ أهلِ الجَهلِ ، كُنتُ أرَى العَقْلَ نِفاقَ مِثْلي
فَصَارَ أدْنَى ضَائِرٍ لي عَقْلي

لقد طال هزي

قال أيضاً قدس الله تعالى سره :

لَقَدْ طَالَ هَزّي مِنْ قَوَائمِ مَعشرٍ كِلالِ الظُّبَى لمْ أرْضَ من بينها نَصْلا
رِجَالٌ ، إذا نَادَيْتَهُم لصَنِيعَةٍ ، وَجَدتَهُمُ مِيلاً عن الجودِ أوْ عُزْلا
إذا جُشّمُوا النّزْرَ القَليلَ رَأيتَهُمْ يَعجوّنَ مِنْ لُؤمٍ وَما حُمّلوا ثِقْلا[1]
عَلى النَّفْسِ أثْني بالمَلامِ لأنّني نحَلتُ وُسُومَ الخَيلِ أحمرَةً غُفلا

[1] جشموا : كلفوا على مشقة . يعجون : يصيحون .

لَبِثْتُ أُمَطّي البِكارَ مَآرِبي ... وَلَمّا أُحَمِّلْها المَصاعِبَ وَالبُزْلا[1]

يُشيعُ لَئيمُ القَوْمِ ذو الجَهْلِ لُؤْمَهُ، ... وَيَستُرُ بَعضَ اللُّؤْمِ من صَحِبَ العَقلا

ألا رُبَّما أُوقي اللّئيمَ، فَيَنْثَني ... وَأعضَلَني مَن يَجمَعُ اللُّؤمَ وَالجَهلا

حَبالى بِمَوْعُودِ العَطاءِ تَجَرَّمَتْ ... شُهوراً وَأعواماً وَما طَرَقوا حَمْلا[2]

تَواصَوْا بِمَطلِ الوَعدِ ثُمّ تَجاسَروا ... على اللُّؤمِ حتى جانَبوا الوَعدَ وَالمَطلا

ذُنابَى قِصارٍ لا يَزيدونَ بَسطَةً، ... وَإنْ رَكِبُوا يَوْماً ظَنَنتَهُمُ رَجْلا

فَشَتّانَ أنتُمْ وَالمُسيلُونَ للجَدا، ... إذا عَدِمَ العامُ النّدى رَوَّضُوا المَحلا

يَكُونُونَ للوَبْلِ الغَمَامِيّ إخْوَةً، ... فإنْ ضَنّ عَن أوْطانِهِ خلَفوا الوَبلا

يَبيتُون غَرْثَى يَعلِكونَ سِياطَهم، ... وَقد طَرَدُوا عَنّا المَجاعَةَ وَالأزْلا[3]

حِياضُ مِعانِ الماءِ غادِيَةُ الحَيا، ... يُدَلُّ عَلَيْها الخابِطانِ، إذا ضَلاّ[4]

يَذُودونَ عَنها للغَريبِ سَوَامَهُمْ، ... وَلَوْ أنّهُمْ شاؤوا القَذى وَرَدوا قَبلا

إذا سالَموا لمْ يَمنَعوا النِّصْفَ طالِباً؛ ... وَإنْ طاعَنُوا الأقرانَ لم يَعرِفوا العدلا

إذا فَغَرَتْ شَوْهاءُ من جانبِ العِدا ... عَلى غَيرِ نَذْرٍ لَقّمُوها القَنا الذُّبلا

ثِقالٌ بِأيديهِمْ، خِفافٌ كَأنّما ... أطارُوا إلى الأعداءِ من رُوسِها نَحْلا

كَأنّ طُرُوقَ الحَيّ يُخرِجُ منهُمُ، ... إذا غَضِبُوا، الدّاءَ المُجَنّةَ وَالخَبلا

١ البزل، الواحد بازل: البعير الذي طلع نابه.

٢ الحمل: الجنين تحمله المرأة في أحشائها.

٣ الأزل: الداهيــة.

٤ معان الماء: ظاهره. الخابطان: السائران ليلا على غير هدى.

إذا ما دُعوا خيلتَ الرِّياحَ عوَاصِفاً ، تَهيلُ ثرًى من جانبِ الغَوْرِ أوْ رَملا
يُنادي الفتى باللّيلِ مُوقِدَ نَارِهِ ، حِبابَ القِرَى ، ظاهرْ لها الحطبَ الجزْلا
وَيا رَاعيَ الكَوْماءِ للسّيفِ ظَهرُهَا ، فَضَعْ عَنْ بَوَانيهَا الحَوِيّةَ وَالرّحلا[1]
أولَئِكَ قَوْمي لا الذينَ مَقَالُهُمْ لِباغي النّدى أوْ طارِقِ اللّيلِ : لا أهْلا

ينازعني الأحساب

وقال قدس الله تعالى روحه في بعض الأغراض :

إذا رَابَنِي الأقْوَامُ بَعدَ وَدادَةٍ ، لَبِسْتُ القِلَى نَعْلاً بِغَيرِ قِبَالِ[2]
وَأغبَطْتُ رَحْلَ الهَمّ في ظَهرِ عزْمَةٍ مُوَاشِكَةٍ مِنْ عَجرَفٍ وَنِقَالِ[3]
وَما كُنتُ إن فارَقتُ حَيّاً ذَمَمْتُهُ ، بِطُولِ نِزَاعي أوْ تَحِنُّ جِمَالي
إذا عَلِمُوا مِنّي عَلاقَةَ وَامِقٍ ، فَلا يَأمَنُوا يَوْماً نُزَاعَةَ سَالي[4]
أأذْهَبُ عَنْ قَوْمٍ كِرَامٍ أعِزّةٍ ، إلى جِذْمِ قَوْمٍ عَاجِزِينَ بِخَالِ[5]
كَمَن بادَلَ الإجلاءَ في العَينِ بالقَذَى ، وَآبَ بِداءٍ لا يُطَبُّ عُضَالِ

١ البواني : أضلاع الصدر ، قوائم الناقة .
٢ القبال : زمام النعل .
٣ النقال : الإسراع في السير .
٤ النزاعة : ما نزعته بيدك ثم ألقيته .
٥ الجذم : الأصل .

يُنازِعُني الأحسابَ مُستَضعَفُ القوَى، لَهُ عَنْ رِهَانِ المَجْدِ أيُّ عِقالِ
إذا مَغرَمٌ غَادَى اتّقَاهُ بِعِرضِهِ أمَامَ يَدَيْهِ ، وَاتّقَيْتُ بِمَالي
يَمُدّ يَداً مَخبُولَةً لِيَنَالَني ، وَقَدْ أعجَزَ الأيدي الصّحاحَ مَنَالي
تَعَرّضْتُ للعِرّيضِ حَتّى عَلِقْتُهُ ، بأُظفُورِ أقنى ذي نَدًى وَظِلالِ[1]
وَمَنْ لمْ يَدَعْ إيقَادَ نَارٍ بقَرّةٍ ، فَلا بُدّ يَوْماً أنْ يَجيءَ بِصَالي
وَإنّي عَلى بُعْدٍ برَمي قَوَارِصِي ، لأرْغَبُ جُرْحاً مِنْ رَميّ نِبَالي[2]
يُشَكِّكُ فيّ النّاظِرُونَ : أفلّه غِرَارُ مَقَالي أمْ غِرَارُ نِصَالي ؟
لَئِنْ أطمَعَ الأقْوَامَ حِلْمي ، فرُبّما أخَافَهُمُ ، بَعْدَ الأمَانِ ، صِيَالي
وَلَيسَ قُبُوعُ الصِّلّ مانعَ وَثْبِهِ ، إذا نَالَ مِنْهُ وَالِغٌ بِمَنَالِ[3]

ذنب المقل

قال قدس الله روحه وقد سئل ذلك

غَدَتْ عِرْسِي تُجَرِّمُ لي ذُنُوباً، وَذَنْبي عِنْدَهَا ذَنْبُ المُقِلّ
تُرِيني الدَّلّ عَمداً ، وَهوَ فَرْكٌ، وَهَيهاتَ الفرُوكُ مِنَ المُدِلّ[4]

١ العريض : الذي يتعرض للناس . اظفور اقنى : أراد ظفر عقاب .
٢ قوارص الكلام : مؤلماته . الجرح الرغيب : الواسع .
٣ القبوع : التواري . الوالغ : الكلب .
٤ الدل : تدلل المرأة على زوجها . الفرك : البغضة بين الزوجين .

فروع لئام

قال رضي الله تعالى عنه :

أبَى اللهُ أنْ تَـأتي بخَيرٍ ، فتُرْتجَى ... فُرُوعُ لِئَامٍ قَدْ ذَمَمْنَا أُصُولَهَا
إذا الدّارُ مِنْ قَبلِ العَفاء نَبَتْ بِنَا ، ... فَكَيْفَ نُرَجّي للمُقَامِ طُلُولَهَا
هزَزْتُ المَوَاضِيَ فانثنَتْ عن ضرَائبي ، ... فَمَا أرَبي في أنْ أهُزّ كَليلَهَا
إذا قيلَ : بيَتُ الفَخرِ كنتم ضُيوفَهُ ؛ ... وَإنْ قِيلَ : دارُ اللّؤمِ كُنْتمْ حُلُولَهَا
وَقَوْلَةُ خِزْيٍ فيكُمُ تَستَفِزُّني ، ... وَأعْلَمُ أنْ لا بُدّ مِنْ أنْ أقُولَهَا

وذي ضغن

قال رضي الله تعالى عنه في
غرض آخر ويصف الأسد :

وَذي ضَغَنٍ مَعْسُولَةٍ كَلِمَاتُهُ ، ... وَمَسمُومَةٍ تَبْرَى إلى القَلْبِ نَبْلُهُ
عَرَكْتُ بحِلْمي جَهلَهُ ، فكَدَدْتُهُ ... عِرَاكاً إلى أنْ مَاتَ حِلمي وَجَهلُهُ
رَكِبْتَ ظِرَابَ اللاّبتَينِ علَى الحَفا ، ... وَغَيرُكَ لمْ تَسْلَمْ عَلَيهِنّ نَعلُهُ[1]

[1] الظراب ، الواحد ظرب : الحرة . اللابتان ، الواحدة لابة : الأرض ذات الحجارة السوداء

لَقَدْ أوْعَرَ النّهجُ الذي أنتَ خابِطٌ ، فقِفْ سالِماً حيثُ انتَهَى بكَ سَهلُهُ[1]

لأشْفيَ مَرِيضَ الودّ بَيني وَبَينَكم ، وَعَاوَدَ نُكْساً بَعدَ بُرْءٍ مُبِلّه[2]

وَكَانَ الأذَى رَشحاً فقدصَارَ غَمرَةً ، وَأوّلُ أعْدادِ الكَثيرِ أقَلّهُ

نَهَيتُكَ عَن شِعبٍ عَسيرٍ وُلُوجُهُ بذي الرِّمثِ قد أعيَا على النّاسِ صِلّه[3]

وَبَيتٍ كلِصْبِ الأرْيِ لا تَستَطيعُهُ صُدورُ الطّوَالِ الزّاعبيّاتِ نَحلُهُ[4]

فَلا تَقرَبَنّ الغَابَ يَحميهِ لَيثُهُ ، وَدَعْ جَانِباً وَعراً علَى مَن يَحلّهُ

كأنّ عَلَى الأطوَادِ من نَزْعِ بِيشَةٍ ، رَصِيدَ طَرِيقٍ ضَلّ مَنْ يَستَدِلّه[5]

تَلَفّعَ في ثِنْيٍ عَبَاءٍ مُشَبْرَقٍ ، أصَابِيغُ ألْوَانِ الدّمَاءِ تَبُلّهُ[6]

قُصَاقِصَةٌ مَا بَاتَ إلاّ عَلَى دَمٍ ، تَمَضْمَضُ مِنهُ عِرْسُهُ ثمّ شِبْلُهُ[7]

أخُو قَنَصٍ كَفّاهُ كِفّةُ صَيْدِهِ . إذا جَاعَ يَوْماً وَالذّرَاعانِ حَبلُهُ

يُشَقّقُ عن حَبّ القُلوبِ بمَخصَفٍ أزَلّ كَمَا جَلّى عَنِ الرّمحِ نَصْلُهُ[8]

كَخَارِزِ مَقْدُودِ الأدِيمِ رَأيتَهُ يَبِينُ عَنِ الإشفَى وَطَوْراً يَغُلّه[9]

١ الخابط : الضارب في الليل على غير هدى .
٢ المبل ، من أبل من مرضه : شفي .
٣ الرمث : مرعى من الحمض ، وشجر يشبه الغضا .
٤ اللصب : الشعب الصغير في الجبل . الأري : العسل ، أو ما تجمعه النحل في أجوافها وتلفظه
الزاعبيات : الرماح المنسوبة إلى زاعب وهو بلد ، أو رجل .
٥ بيشة : مأسدة بطريق اليمامة . رصيد الطريق : السبع يرصد الوثوب .
٦ تلفع : التحف . المشبرق : المقطع ، الممزق .
٧ القصاقصة : الغليظ ، وهو نعت للأسد . تمضمض : لا تحتمل ما يسومها .
٨ المخصف : مخرز الإسكاف .
٩ يبين : يفارق . الإشفى : المثقب . يغله : يدخله .

قَلِيلِ ادِّخَارِ الزَّادِ يَعلَمُ أنّهُ ... مَتى ما يُعايِنْ مَطعَماً ، فهوَ آكِلُهُ
تُصَدِّعُ عَنْ هَمهامَةِ الخَيلِ وَالقَنا ... صِياحُكَ في أعقَابِ طَرْدٍ تَشُلُّهُ [1]
لَهُ وِقفَةُ المِجْزَاعِ ثُمّ تُجيزُهُ ... حَفيظَةُ مَجموعٍ على الرُّوعِ شملُهُ [2]
وَمُستَوْقَدَاتٍ من لَظَى العارِ أجّجتْ ... لهَا حَطَباً لا يَنقضِي الدّهرَ جَزْلُهُ [3]
تَوَرّدَهَا قَوْمٌ ، فَطاحُوا جَهالَةً ، ... وَكانَ عِقَالَ المَرْءِ عَنهن عَقلُهُ
وَطَوْقٍ مِنَ المَخزَاةِ فيكُمْ عَقَدتُه ، ... ألا إنّ عَقْدَ العَارِ يُعْجِزُ حَلّهُ
مَضَغْتُكُمُ بالذّمّ ، ثمّ لَفَظْتُكُمْ ، ... وَمَا كُلُّ لحمٍ يُعجِبُ المَرْءَ أكلُهُ
شَغَلْتُ بكُمْ قَوْلي ، وَعندي بَقيّةٌ ، ... وَقد يُرْدَفُ الظّهرُ الذي آدَ حَمْلُهُ [4]
فَلا تَفتَقِدْ خِلاً يَسوءُكَ بَعضُهُ ، ... وَإنْ غابَ يَوْماً عَنكَ ساءكَ كُلُّهُ
إذا شِئتَ أنْ تَبلُو امرَأً كَيفَ طَبعُهُ ... فدَعهُ ، وَسائِلْ قَبلَها كيفَ أصْلُهُ

١ الهمهامة : القطيع . تشله : تطرده .
٢ المجزاع : الكثير الخوف . الروع : القلب .
٣ الجزل : الحطب اليابس .
٤ آد : اشتد وقوي .

تغير القلب

تَغَيّرَ القَلْبُ عَمّا كُنْتَ تَعرِفُهُ ... أيّامَ قَلْبيَ دارٌ مِنكَ مِحلالُ
وَأدْبَرَ الوُدُّ ما بَيْني وَبَيْنَكُمُ، ... وَللمَوَدّاتِ إدْبارٌ وَإقْبالُ
ما كُنتُ صَبّاً فما في النّاسِ لي بدلٌ، ... وَإنْ سَلَوْتُ فكلٌّ النّاسِ أبدالُ

بين اللوم والعذر

قال في غرض :

وَلمّا بَدا لي أنّ ما كُنتُ أرْتَجي ... مِنَ الأمْرِ وَلّى، بَعدَما قلتُ أقبَلا
تَلَوّمْتُ بَينَ اللّوْمِ وَالعُذْرِ ساعَةً؛ ... كذي الوِرْدِ يُرْمى قَبلَ أنْ يَتبَدّلا
فَلَمّا رَأيتُ الحِلْمَ قَد طارَ طَيرَةً، ... وَلَمْ أرَ إلاّ أنْ ألُومَ وَأعْذُلا
رَجَعْتُ أُوَلّي عاثِرَ الجَدّ لَوْمَهَا، ... فَلا قَامَ بَيْنَ العاثِرِينَ وَلا عَلا
ألَعّنُهُ مُسْتَثْنياً مِنْ عِنانِهِ، ... كَرَدّكَ في الغِمْدِ الكَهَامَ المُفَلَّلا[1]
وَأعْفَيْتُ مِنْ لَوْمي امرَأً ما وَجَدتُهُ ... مُليماً، وَلا بَاباً عَنِ الجُودِ مُقفَلا
لجَدّي إذاً باللّوْمِ أوْلَى مِنَ الحَيَا، ... وَمَنْ ذا يَلُومُ العارِضَ المُتَهَلِّلا

[1] الكهام : السيف الكليل . المفلل : المثلم .

اسرة عز

قال قدس الله روحه الطاهرة

أشمُّ ببابلَ بوّ الصَّغارِ ، وَلَوْ أنَا بالرّمْلِ لمْ أفْعَلِ[1]
وألقَى التحيّاتِ مِنْ مَعشَرٍ ، كما ارْتَجَمَ الحَيُّ بالجَندَلِ
وأنْزِلُ في القَوْمِ أقْلالَهُمْ ، وَلَوْلا الحَضَارَةُ لَمْ أنْزِلِ
وَلَوْ كُنتُ رَاكبَ هذا الجَوَادِ بوَادي القَرينَةِ لمْ أرْحَلِ[2]
وَلَوْ مُدّ لي طُنُبٌ بالفَلا ، حَمَاني لِداغَ القَنَا الذُّبّلِ
وأسْرَةِ عِزٍّ طِوَالِ القَنَا ، إذا نَزَلَ الذّلُّ قالُوا: ارْحَلِ
مُهَجَّنَةٍ أصْطَلي نَارَهَا ، وَعَزّ عَلى الرّجُلِ المُصْطَلي
وَلَوْ شُوِّرَ السّيفُ في مِثْلِها ، لَقَالَ : أطِعْني وَلا تَقْبَلِ[3]
فَلَوْ كُنتُ مِنْ شاهِدِيها رَأيْتُ هُوِيّ الرّؤوسِ على الأرْجُلِ
مَقَامٌ يُدَنّسُ عِرْضَ الأبيّ، وَيَلْعَبُ بِالقُلّبِ الحُوّلِ[4]
وَلَوْ كُنتُ ذا هِمّةٍ حُرّةٍ ، لَرَحّلَني الضّيْمُ عَنْ مَنزِلي

١ بابل : موضع في العراق . البو : جلد يحشى تبناً ، لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها . الصغار الذل . الرمل : موضع .
٢ القرينة : موضع .
٣ شور : من المشاورة .
٤ القلب الحول : البصير بتقليب الأمور وتحويلها .

وَكَيفَ تَقَلُّبُ ذي هِمّةٍ ، وَقَدْ لُزّ بالقَرَنِ الأطْوَلِ[1]
أآبَى ، وَلا حَدّ أسْطُو بِهِ ، وَأينَ الإبَاءُ مِنَ الأعزَلِ
تُرَى الجَاهلِيّةُ أحْمَى لَنَا ، وَأنْأى عَنِ المَوْقِفِ الأرْذَلِ
فَلَوْلا الإلَهُ وَتَخْوَافُهُ ، رَجَعْنَا إلى الطّابَعِ الأوّلِ[2]

طارق الشيب

قال قدس الله تعالى روحه في بعض الأغراض وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٨ :

إيّاكَ عَنْهُ عَذَلَ العَاذِلِ ، قَلبُ الفَتى في شُغُلٍ شَاغِلِ
دعِي ومَنْ يَسْلُبُ ... مَا أطْلُبُ العَوْنَ عَلى قَاتِلي
وَيَا غَرِيمي بِعَقِيقِ الحِمَى ، حَصَلْتُ مِنْ حَقّي عَلى البَاطِلِ
يُعْجِبُني مَطْلُ غَرِيمِ الهَوَى لِطُولِ تَرْدادي إلى المَاطِلِ
وَطَارِقٍ للشّيْبِ حَيّيْتُهُ ، سَلامَ لا الرّاضِي وَلا الجَاذِلِ[3]
أجرَى عَلى عُودي ثِقافَ الهَوَى ، جَرْيَ الثّقَافَينِ عَلى الذّابِلِ[4]

---

١ لز : شد . القرن : الحبل .
٢ الطابع : السجية كالطبع .
٣ الجاذل : الفرحان .
٤ الثقاف : ما تقوم به الرماح .

وَاعَدَني عَقْرَ مِرَاحِي لَهُ ، لا دَرَّ دَرُّ الشَّيبِ مِنْ نَازِلِ
فَاليَوْمَ لا زَوْرٌ وَلا طَرْبَةٌ ، نَامَ رَقِيبِي ، وَصَحَا عَاذِلِي
يا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ مَصْبُوبَةً عَلى المَلا كَالصَّدَعِ العَاقِلِ[1]
كَأنّمَا يَرْمي جِلادَ الصّفَا ، بِأوْبِ رِجْلَيْ ذَرَعٍ جَافِلِ[2]
رَاعَتْ حَصَى نَجْدٍ بِأخفَافِهَا بَعْدَ التِزَامي بِشَرَى بَابِلِ
أبْلِغْ قُوَيماً كَثرُوا قِلّةً ، بَعْدَ مُضِيّ السّلَفِ الرّاحِلِ
كانُوا صَفَاءَ الكأسِ ، ثمّ انجلَوا مِنَ البَوَاقِي عَنْ قَذًى ثَافِلِ
زَالَ نُجُومٌ ، عُرِفُوا بَعدَهُم ، وَفي التّفَاني نَبَهُ الخَامِلِ
ضَرُورَةً حُمْتُ عَلى وِرْدِكُمْ ، لمّا خَطَاني مَطَرُ الوَابِلِ
لا يَرْكَبُ النّاهِقَ ذُو أُرْبَةٍ ، إلاّ إذا رُدّ عَنِ الصّاهِلِ
أغْمَدْتُمُوني بَعدَ صَقْلِ الشَّبَا ، إغْمَادَ لا المَاضِي وَلا القَاصِلِ
وَحَاجَةُ السّيْفِ إلى ضَارِبٍ ، يَوْمَ المَنَايَا ، لا إلى صَاقِلِ
لا تَحْسُنُ النِّيقَةُ في قَاطِعٍ مَنْ لَيْسَ للقَاطِعِ بالحَامِلِ[3]
آلَيْتُ أنْ أحْذُو بِأعْرَاضِكُمْ حَذْوَ أبي عُرْوَةَ بِالجَامِلِ
وَسَوْفَ أحْمي لَكُمُ مِيسَماً يُنْبَشُ مِنْهُ وَبَرُ البَازِلِ
إذا انبَرَى للجِلْدِ أبْقَى لَهُ عَلْطاً مِنَ الزَّوْرِ إلى الكَاهِلِ[4]

١ الصدع : الفتيّ القوي . العاقل : الصاعد .
٢ الذرع : ولد البقرة الوحشية .
٣ النيقة : التنوق ، التجود . القاطع : السيف .
٤ العلط : الوسم .

أطْوَاقُ عَارٍ إنْ تَقَلَّدْتُهَا ... حَسَدْتُ مِنْهَا عُنُقَ العَاطِلِ

أُرْسِلُهَا هَزْلاً وَأرْمِي بِهَـا ... مَا بَلَغَ الجِـدُّ مِنَ الهَازِلِ

يَعْشُو إلَيْهَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ، ... كالنّارِ فَوْقَ الشّرَفِ القَابِلِ

قَوْلٌ كَـأنْيَابِ صِلالِ النّقَا ، ... تُشَاكُ مِنْهُ قَدَمُ النّاعِلِ

أسرَعُ في النّاسِ ، إذا قُلْتُهُ، ... مِنْ خَبَرِ السّوءِ إلى النّاقِلِ

لا تُنكِرُوا السّيلَ ، إذا كُنْتمُ ... عَلى طَرِيقِ اللّجِبِ الهَاطِلِ

قُلْ لأبي العَوّامِ مُستَدْفِعاً ... بِهِ جِمَاحَ القَدَرِ النّازِلِ

يا نَجْوَةَ الخَائِفِ مِنْ دَهْرِهِ ، ... وَيَا ثِقَافَ الخَطَلِ المَائِلِ

جَذَبْتُ حَبلي مِنْ يَدَيْ قاطعٍ ، ... فامْدُدْ لَهُ مِنكَ يَدَيْ وَاصِلِ

هَيهَاتَ مَا غَيْمُكَ بالمُنجَلي ، ... يَوْماً ، وَلا ظِلُّكَ بِالزّائِلِ

وَلا خِضَابُ العَهْدِ أعْطِيتَهُ ، ... إنْ نَصَلَ الأقْوَامُ ، بالنّاصِلِ[1]

مَا كُنتَ لمّا طَلَبَتْ دَعْوَتي ... سَمْعَكَ بالوَاني ، وَلا الغَافِلِ

قُمْتَ قِيَامَ الرّمحِ في نُصْرَتي ، ... مُرَافِدَ اللّهْذَمِ بِالعَامِلِ[2]

هَبْني خَسأتُ الخَطبَ عنّي، وَمَا ... قَدّرْتُ إلاّ أنّهُ آكِلي

كَمْ غَرّني غَيرُكَ مِنْ نَاصِرٍ، ... أبْطَـأَ ، وَالمُبطِيءُ كالخَاذِلِ

أطمَعَني ، حَتّى إذا جِئْتُهُ ، ... كَانَ سَرَابَ البَلَدِ المَـاحِلِ

تَعَذّبُ الآمَالُ في ظِلّهِ ، ... وَتَنْثَني عَنْهُ بِلا طَائِلِ

١ الناصل : الخارج من الخضاب .

٢ مرافداً : معاوناً . اللهذم : سنان الرمح . العامل : صدره دون السنان .

مِنْ كُلِّ مَلْبُوسٍ عَلى غِرّةٍ ، لبسَ مُطَالِ السّقَمِ الآزِلِ[1]
مُمَوَّجِ الأخْلاقِ لا مُحسِنٍ ، رَبِّ يَدِ الجُودِ ، ولا بَاخِلِ
كالعَيْرِ في عَانَةٍ ذي طَخفَةٍ ، لا طَالِبِ النّسْلِ ولا عَازِلِ[2]
وَانَدَمَا إنْ لَمْ أكُنْ سَامِعاً مَشُورَةَ الصِّلِّ أبي وَائِلِ
قالُوا: وَرَأيُ المَرْءِ مِنْ عَقْلِهِ ، وَيَذْهَبُ الرّأيُ عَنِ العَاقِلِ
أغْلُوطَةٌ لا نَهْضَ مِنْ عَثْرِها ، قَدْ سَبَقَ السّهْمُ يَدَ النّابِلِ

غض من العنان قليلا

قال أيضاً في غرض آخر :

جَمَحتْ بكَ الجَاهاتُ في غُلَوَائِها سفهاً ، فَغُضّ مِنَ العِنَانِ قَلِيلا
وَاحذَرْ لَوَاذِعَ قَائِلٍ مُتَغَطرِفٍ ، أمسَى يَسُنّ لِسَانَهُ لِيَقُولا[3]
بِفَوَاقِرٍ تَدَعُ الرّؤوسَ أميمَةً ، وَقَوَارِعٍ تَدَعُ العَزِيزَ ذَلِيلا[4]
قَدْ كانَ عِرْضُكَ في الصِّوَانِ بطَيّهِ ، فَلَئِنْ أبَيْتَ لَيَغْدُوَنْ مَبْذُولا[5]
إنّ العُبَابَ ، إذا تَغَطغَطَ ، أوْ طَمى ، جَعَلَ الجِبَالَ ، وَإنْ عَلَوْنَ ، مَسيلا[6]

---

١ الآزل : الشديد .
٢ العازل : ضد طالب النسل .
٣ المتغطرف : المتكبر .
٤ الأميمة : المشدوخة في أم الدماغ .
٥ الصوان : ما تصان فيه الثياب .
٦ تغطغط البحر : علت أمواجه .

صحاح اديم الود

وَقالُوا : أسِغهَا ! إنّما هيَ مَضْغَةٌ بفيكَ أبا الغَيداقِ تُرْبٌ وَجَندَلُ
صَدَفتُ بوَجهي لا بقَلْبيَ عَنْكُمُ ، ويَصْدِفُ قَلبُ المَرْءِ وَالوَجهُ مُقبلُ
رَجَعنَا علَى الأعقابِ، فيما يَسرّنا، نُجرّ إلى مَا لا نَوَدّ وَنُعْتَلُ
صِحَاحُ أديمِ الودّ لا عَيبَ فِيهِمُ ، سِوَى ما يَقُولُ الجادِبُ المُتَعَلِّلُ[1]
فَزِعتُ إلى الأبْدالِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ ، فأعوَزَني ، يا عمرو ، مَنْ أتَبَدّلُ

خلق زلال

قال أيضاً على البديهة في غرض من الأغراض :

لَبّاكَ مَشْزُورُ القُوَى ذَيّالُ ، أغْلَبُ قَوّالُ النّدِي فَعّالُ[2]
مِنْ قَبْلِ أنْ تَدْعُو بِهِ الآمَالُ ، إنْ قَالَ لمْ تَقعُدْ بِهِ الفِعَالُ
يُنِيلُ جُوداً فَوْقَ مَا يَنَالُ ، خُلْقٌ رَقِيقٌ مَاؤهُ زُلالُ
كَالخَمْرِ إلاّ أنّهُ حَلالُ ، المَالُ يَفْنَى وَالثّنَاءُ المَالُ
تَبْقَى العُلَى ، وَتَذْهَبُ الرِّجَالُ

١ الجادب : العائب .
٢ المشزور : المفتول . الذيال : الطويل الذيل . الندي : النادي .

الدنيا تعاليل

قال يهنىء بعض أصدقائه

إنّ غَرْبَ الدّهْرِ مَصْقُولُ ، وَغِرَارَ الجَدّ مَسْلُولُ[1]
وَرِدَاءَ الفَجْرِ مُنْسَحِبٌ ، وَنِطَاقَ اللّيْلِ مَسْدُولُ
وَحَوَاشِي الجَوّ نَاصِلَةٌ ، وَالدُّجَى بالصّبْحِ مَطْلُولُ
وَثَنَايَا اليَوْمِ يُضْحِكُهَا مِنْ قُدُومِ العِيدِ تَقْبِيلُ
شَهِدَتْ فِينَا مَخَائِلُهُ : أنّ هَذا الصّوْمَ مَقبُولُ
فَأطِعْ حُكمَ السّرُورِ ، وَإن زُخرِفَتْ فِيهِ الأضَالِيلُ
وَتَعَلّلْ بِالمُدامِ لَهُ ، إنّمَا الدّنْيَا تَعَالِيلُ

١ الغرب : السيف . الغرار : الحد .

سل الهضب

قال من مرثية

سلِ الهَضْبَ ما بَيْنَ الهضَابِ الأطاولِ : مَتَى رِيعَ يَوْماً قَبلَهَا بالزّلازِلِ
وَهَلْ خُضِدَتْ تِلكَ الرِّمَاحُ لِغامزٍ ، وَهَل أكثبَتْ تلكَ النّجومُ لنائِلِ [1]
مَضَى النُّجَبَاءُ الأطْوَلُونَ ، وَخلّفوا قِصَارَ الخُطَا عَنْ كُلّ مَجدٍ وَنائلِ

قبور على هام المكارم

رُسّتْ قُبُورُهُمُ عَلَى هَامِ المَكَارِمِ وَالمَعَالي [2]
فَكَأنّمَا هَرَقَ النّدَى فِيهِنّ أذْنِبَةَ النّوَالِ [3]
مِنْهُمْ وَرَاءَ التُّرْبِ أمْثَالُ الصّوَارِمِ وَالعَوَالي
أتُرَى المَنَايَا كَيْفَ جُلْنَ بِذلكَ الحَيّ الحِلالِ ؟

١ أكثبت : دنت .
٢ رست : حفرت .
٣ الأذنبة ، الواحد ذنوب : الدلو .

أقصر ملامك

تُكلّفُني عُذْرَ البَخيلِ ،ولي مالُ ، ملامَكَ! لا يذهَبْ بكَ القيلُ والقالُ
فَعِندكَ إكثارِي إذا كُنتُ مُكْثِراً ، وَعِندِيَ إقْلالي ، إذا كانَ إقلالُ
وإنّي لأَرْمي بِالنّوَالِ مَسَافَةً من الجُودِ لا يَسطيعُها الرّجلُ النّالُ[1]

خماشات

تَقَارَعْنَا عَلى الأحْسَابِ حَتّى تَوَادَعنَا ، فَكُلٌ غَيرُ آلِ
فكَانَتْ بَينَ قَوْمِكُم وَبَيْني خُمَاشَاتٌ بِأطْرَافِ العَوَالي[2]

١ النال : الجواد ، الكريم .
٢ الخماشات ، الواحدة خماشة : الخداشة ، الجرح الصغير

يا سعد

يا سَعدُ سَعدَ الخَيلِ وَالإبِلِ ، إدْفَعْ صُدُورَ الأيْنُقِ البُزُلِ
أوَمَا رَأيْتَ العِيسَ آخِذَةً لَكَ أُهْبَةَ الإدْلاجِ وَالعَمَلِ

ضيف الشيب

ألا حَيِّ ضَيْفَ الشَّيْبِ إنَّ طُرُوقَهُ رَسُولُ الرّدَى قُدّامَهُ ، وَدَلِيلُهُ
وَقَدْ كانَ يُبْكيني لشِعرِي نُزُولُهُ ، فَقَدْ صَارَ يُبكيني لَعَمرِي رَحيلُهُ

وقائع من دماء

وَقَدْ تَرَكَتْ صَوَارِمُهُمْ بحِجرٍ وَقَائِعَ مِنْ دِمَاءِ بَني عِقَال
وَمَا ضَلّتْ ضَلالَهُمُ بحِجْرٍ سَقِيطَةُ جَنْدَلٍ بَينَ الرّجَالِ

معترك الوصل

وَمُعتَرَكٍ للوَصْلِ يُجلَى عَجاجُه ... ببَطحاءِ قَوْمٍ عَن قَتيلٍ وَقاتِلِ
وَأكثَرُ مَا يُلقَى بهِ غِبَّ نَوْمِهِ ، ... سِقاطُ اللآلي أَوْ فُصُومُ الخَلاخلِ [1]

خناذيذ طوال

وَإذا ما دَعَوْا ، وَقَدْ نَشَطَ الرّوْ ... عُ ، خُيُولَ العِدا مِنَ الأجلالِ [2]
شَمّرُوا يَطلُبُونَ ناشِئَةَ الصّوْ ... تِ خَنَاذيذَ كالجُذُوعِ الطّوَالِ [3]

التوحيد والعدل

أصْبَحْتُ لا أرْجُو، وَلا أبْتَغي ... فَضْلاً ، وَلي فَضْلٌ هوَ الفَضْلُ
جَدّي نَبيٌّ ، وَإمَامي أبي ، ... وَرَايَتي التّوْحيدُ وَالعَدْلُ

١ الفصوم : الكسور ؛ الانقطاع .
٢ الأجلال ، الواحد جل : وهو للدابة كالثوب للانسان .
٣ الخناذيذ ، الواحد خنذيذ : الشجاع .

لا مرحباً ولا أهلاً

يا عاذِلانِ أسأتُما العَذْلا ، لا مَرْحَباً بكُما ، ولا أهْلاً
أعذَلتُما مَنْ لَمْ يَمَلْ هوًى ، وتَرَكْتُما عَذْلَ الذي مَلاّ
وَلحَوْتُما المَقْتُولَ مِنْ كَمَدٍ ، وَعَذَلتُما مَنْ طَرّقَ القَتلا[1]
لَوْ أنّ غيرَ دَمي ذَهَبتِ بِهِ لمْ تُسألي قَوَداً ولا عَقْلا[2]

خطوب ورزايا

رَائِعَاتٌ أخَفُّهُنّ ثَقِيلُ ، وَخُطُوبٌ أدَقُّهُنّ جَلِيلُ
وَرَزَايَا تَهْفُو لَهُنّ حُلومٌ ، رَاسِيَاتٌ وَتُستَزَلُّ عُقُولُ

تذارعن بالأيدي

تَذارَعنَ بالأيدي مِنَ الغَوْرِ بَعدَمَا تَقَدّمَ عِرْنِينٌ مِنَ اللّيلِ مائِلُ[3]
فَمَا عَمّمَتْهَا الشّمسُ حتّى رَأيتُها بنَجْدٍ تُسَامِيهَا النّجادُ القَوَابِلُ[4]

---

١ طرقه : جعله طريقاً له .
٢ القود : القصاص . العقل : الدية .
٣ تذارعن : قطعن بسرعة . العرنين : أول الشيء .
٤ القوابل ، الواحدة قابلة : المتهيئة للقبول .

حرف الميم

ذكرى

قال قدس الله تعالى روحه في النسيب وهي من الحجازيات

تَذَكَّرْتُ، بَيْنَ المَأزِمَيْنِ إلى مِنًى، غَزَالاً رَمَى قَلْبِي وَرَاحَ سَلِيمَا[1]
لَئِنْ كُنْتُ أسْتَحلي مَوَاقِعَ نَبْلِهِ، فإنّي أُلاقي غِبَّهُنّ ألِيمَا
أصَابَ حَرَاماً يَنْشُدُ الأجرَ غُدْوَةً، فَمَا عَادَ مَأجُوراً وَعَادَ أثِيمَا
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي بَارِئاً مَا ألِمْتُهُ، وَلَكِنّ أسْقَاماً أصَبْنَ سَقِيمَا
إذا بَلّ مِنْ دَاءٍ أعَادَتْ لَهُ المَهَا نُكَاساً، إذا مَا عَادَ عَادَ مُقِيمَا
يظُنّونَني اسْتَطرَفتُ دَاءً منَ الهوَى، وَهَيهاتَ، داءُ الحبّ كانَ قَدِيمَا
قَنَصْتُ بجَمْعٍ شادِناً فَرَحِمتُهُ، وَأخفَقَ قَنّاصٌ يكُونُ رَحِيمَا[2]
أأغْدُو مُهِيناً بالحَبَائِلِ سَاعَةً غَزَالاً على قَلبي، الغَدَاةَ، كَرِيمَا
تَرَاءَتْ لنا بالخَيفِ نَفحُ لَطيمَةٍ، سَرَتْ عَنكَ إلاّ عَبْقَةً وَنَسِيمَا[3]

١ المأزمين : مضيق بين مكة ومنى .
٢ جمع : اسم للمزدلفة .
٣ اللطيمة : وعاء المسك ، أو سوقه .

وكَمْ أرَ مِثْلَ المَاطِلاتِ عَشِيّةً ، ذَوَاتِ يَسَارٍ مَا قَضَيْنَ غَرِيمَا
فَلا يُبْعِدِ اللهُ الذي كَانَ بَيْنَنا مِنَ العَهْدِ إلاّ أنْ يكونَ ذَمِيمَا

حبيبي

وسئل وصف غلام أعجمي فقال :

حَبِيبيَ ما أزْرَى بِحُبّكَ في الحَشَا ، ولا غَضَّ عِندي مِنكَ أنّكَ أعجمُ
وَعَابَكَ عِندِي العائِبَاتُ ظَوَالِماً، وَإنّي ، إذا طَاوَعتُهُنّ ، لأظلَمُ
بنَفسِيَ مَن يَستَدرِجُ اللّفظَ عُجمةً كمَا يَمضَغُ الظّبيُ الأرَاكَ وَيَبغَمُ

ليلة السفح

يا لَيلَةَ السّفْحِ ألاّ عُدْتِ ثانِيَةً ، سَقَى زَمَانَكِ هَطّالٌ مِنَ الدّيَمِ
ماضٍ من العَيشِ لوْ يُفدى بذَلْتُ له كَرَائِمَ المَالِ مِنْ خَيلٍ وَمن نَعَمِ
لمْ أقضِ مِنكِ لُبَانَاتٍ ظَفِرْتُ بهَا، فَهَلْ ليَ اليَوْمَ إلاّ زَفرَةُ النّدَمِ
فلَيتَ عَهدَكِ، إذْ لمْ يَبقَ لي أبَداً، لمْ يُبقِ عِندي عَقَابيلاً مِنَ السّقَمِ[1]

---

[1] العقابيل ، الواحدة عقبولة : بقية العلة .

تَعَجَّبُوا مِنْ تَمَنّي القَلْبِ مُؤْلِمَهُ ، وَمَا دَرَوْا أنّهُ خِلْوٌ مِنَ الألَمِ
رُدّوا عَلَيّ لَيَالِيّ الّتي سَلَفَتْ ، لمْ أنْسَهُنّ ، وَلا بالعَهْدِ مِن قِدَمِ
أقُولُ للآئِمِ المُهْدي مَلامَتَهُ : ذُقِ الهَوَى وَإنِ اسطَعتَ المَلامَ لُمِ
وَظَبْيَةٍ مِنْ ظِبَاءِ الإنْسِ عَاطِلَةٍ تَستَوْقِفُ العَينَ بينَ الخمصِ وَالهَضَمِ[1]
لَوْ أنّهَا بِفِنَاءِ البَيْتِ سَانِحَةٌ لصِدْتُها وَابتَدَعتُ الصّيدَ في الحَرَمِ
قَدِرْتُ مِنهَا بِلا رُقْبَى وَلا حَذَرٍ عَلَى الذي نَامَ عَنْ لَيلي، وَلَمْ أنَمِ
بِتنَا ضَجيعَينِ في ثَوْبَيْ هوًى وَتُقًى، يَلُفُّنَا الشّوْقُ مِنْ فَرْعٍ إلى قَدَمِ
وامسب الرّيحُ كالغَيرَى تُجَاذِبُنَا عَلَى الكَثِيبِ فُضُولَ الرِّيطِ وَاللِّمَمِ[2]
يسِي بِنَا الطّيبُ أحياناً ، و اوبه يُضِيئُنَا البَرْقُ مُجتازاً على أضَمِ[3]
وَبَاتَ بَارِقُ ذاكَ الثّغْرِ يُوضِحُ لي مَوَاقِعَ اللّثْمِ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبَيْنَنَا عِفّةٌ بَايَعْتُهَا بِيَدي ، عَلَى الوَفَاءِ بِهَا وَالرّعْيِ للذّمَمِ
يُوَلِّعُ الطّلُّ بُرْدَيْنَا ، وَقد نَسَمَتْ رُوَيْحَةُ الفَجرِ بَينَ الضّالِ وَالسّلَمِ[4]
وَأكتمُ الصّبحَ عنها، وَهيَ غافِلَةٌ ، حتّى تَكَلّمَ عُصْفُورٌ عَلى عَلَمِ
فَقُمْتُ أنْفُضُ بُرْداً مَا تَعَلّقَهُ غَيرُ العَفَافِ ، وَرَاءَ الغَيبِ وَالكَرَمِ
وَألمَسَتْني ، وَقَدْ جَدّ الوَداعُ بِنَا، كَفّاً تُشِيرُ بقُضْبَانٍ مِنَ العَنَمِ[5]

١ خمص البطن : ضموره . الهضم : لطف الحصر ، وضمور البطن .
٢ الريط ، الواحدة ريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد أو كل ثوب رقيق . اللمم ، الواحدة لمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
٣ يشي : ينم . أضم : واد فيه المدينة النبوية .
٤ يولعه : يجعل فيه لمع بياض . الضال والسلم : من الشجر .
٥ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

وَألثَمَتْني ثَغْراً مَا عَدَلْتُ بِهِ أرْيَ الجَنَى بِبَنَاتِ الوَابِلِ الرُّذُمِ[1]
ثُمّ انثَنَيْنَا،وَقَدْ رَابَتْ ظَوَاهِرُنا، وَفي بَوَاطِنِنَا بُعْدٌ مِنَ التُّهَمِ
يا حَبّذا لَمّةٌ بالرّمْلِ ثَانِيَةٌ ، وَوَقْفَةٌ بِبُيُوتِ الحَيّ مِنْ أمَمِ
وَحَبّذا نَهْلَةٌ مِنْ فِيكِ بَارِدَةٌ ، يُعدي عَلى حَرّ قَلبي بَرْدُها بفَمي
دَيْنٌ عَلَيكِ ، فإنْ تَقضيهِ أحيَ بهِ ، وَإنْ أبَيْتِ تَقَاضَيْنَا إلى حَكَمِ
عَجِبتُ مِنْ بَاخِلٍ عَنّي برِيقَتِهِ ، وَقَدْ بَذَلْتُ لَهُ دُونَ الأنامِ دَمي
مَا سَاعَفَتْني اللّيَالي بَعدَ بَينِهِمُ إلاّ بَكَيْتُ لَيَالينَا بذِي سَلَمِ
وَلا استَجَدّ فؤادي في الزّمانِ هوًى إلاّ ذَكَرْتُ هَوَى أيّامِنا القُدُمِ
لا تَطْلُبَنّ ليَ الأبْدالَ بَعدَهُمُ ، فَإنّ قَلْبيَ لا يَرْضَى بِغَيرِهِمِ

تعالوا نغتنم الأوقات

قال قدس الله تعالى سره في اجتماع أصدقائه عنده :

نُظِمنا نِظَامَ العِقْدِ وُدّاً وَألْفَةً ، وَكَانَ لَنَا البَتّيُّ سِلْكَ نِظَامِ[2]
أخي وَابنُ عَمّي وَابنُ حَمْدٍ فإنّه تَبَارِيحُ قَلْبي خَالِياً وَغَرَامي[3]

١ الأري : العسل . الرذم ، الواحد رذوم : السائل من كل شيء .
٢ البتّي : بائع البت ، وهو الطيلسان من خز ونحوه ، أو نسبة إلى البت : قرية بالعراق قرب راذان
٣ التباريح : التوهج .

وَسَادِسُنا الأزْدِيُّ ما شِئتَ مِنْ أبٍ جَوَادٍ وَمِنْ جَدٍّ أغَرَّ هُمَامِ
أحَادِيثُ تَستَدْعي الوَقُورَ إلى الصِّبَا، وَتَكْسُو حَلِيمَ القَوْمِ ثَوْبَ عُرَامِ[1]
فَنُضْحِي لها طَرْبَى بِغَيرِ تَرَنّمٍ، وَنُمْسِي لهَا سَكْرَى بِغَيرِ مُدامِ
تَعَالَوْا نُوَلِّ اللاّئِمِينَ تَصَامُماً، وَنَعْضِ عَلَى الأيّامِ كُلَّ مَلامِ
وَنَغْتَنِمِ الأوْقَاتَ إنّ بَقَاءَهَا كَمَرِّ غَمَامٍ، أوْ كَحِلْمِ مَنَامِ
مِنَ اللهِ أسْتَبقي صَفَاءً يَضُمُّنَا، وَطَاعَةَ أيّام وَدارَ مُقَامِ
وَأستَصْرِفُ الأعداءَ عَنّا، فإنّنَا مُذُ اليَوْمِ أغرَاضٌ لِكُلِّ مَرَامِ

ثياب عار

قال قدس الله روحه في بعض الأغراض وذلك في رجب سنة ٣٩٠

ألَمْعُ بَرْقٍ أمْ ضَرَمْ بَينَ الحِرَارِ وَالعَلَمْ
تَضْحَكُ عَنْ وَمِيضِهِ لَمّاعَةٌ مِنَ الدِّيَمْ
كَمَا اسْتَشَبّ نَارَهُ قَينٌ بِضَالٍ وَسَلَمْ
قَدْ هَدَلَتْ شِفَاهَهَا عَلى القِنَانِ وَالأكَمْ
تَهْدُرُ عَنْ رُعُودِهَا هَدْرَ الفَنِيقِ ذي القَطَمْ[2]

١ العرام : الحدة والنشاط .
٢ القطم : الهيجان .

لَهَا فَسَاطِيطٌ عَلَى ذُرَى الرَّوَابِي وَخِيَمْ
أَشِيمُـــهُ لِفِتْيَـةٍ تَضَرَّعُوا عَلَى اللُّمَمْ[1]
قَدْ سَوَّرُوا أَكُفَّهُمْ بِلَيِّ أَطْرَافِ الخُطُمْ[2]
وَجَلَّلُوا مَيْسَ الرِّحَا لِ بِالشُّعُورِ وَالجُمَمْ[3]
أُوقِظُهُمْ ، وَلِلكَرَى فِيهِمْ خَبَالٌ وَلَمَمْ[4]
كَأَنَّمَا يَجْذِبُهُمْ مِنَ الرِّقَابِ وَالقِمَمْ
مِنْ كُلِّ مَعْرُوقِ العِظَا مِ أَمْلَسٍ وَلَّى الزُّلَمْ[5]
يَلُوكُ فُوهُ مَضْغَةً ضَعِيفَةً عَنِ الكَلِمْ
إذا أَرَادَ قَوْلَ لا ، مِنْ سُكْرِهِ قَالَ : نعمْ
وَالرَّكْبُ في مَضَلَّةٍ ، لا نَضَدٌ ، وَلا عَلَمْ[6]
مَا انتَعَلَتْ بِأَرْضِهَا خُفُّ بَعِيرٍ أَوْ قَدَمْ
أَقُولُ لَمَّا أَنْ دَنَا مِنَ المَصَابِ وَعَزَمْ[7]
يا بَرْقُ إنْ صُبْتَ الحِمَى فَلا تَصُبْ إلاّ بِدَمْ
عَلَى دِيَارِ مَعْشَرٍ خَانُوا العُهُودَ وَالذِّمَمْ

١ تضرعوا : تقربوا في روغان . اللمم ، الواحدة لمة : جماعة الأصحاب في السفر .
٢ الخطم ، الواحد خطام : كل ما وضع في أنف البعير يقتاد به . وسوروا أكفهم : ألبسوها اسور
٣ الجمم ، الواحدة جمة : مجتمع شعر الناصية .
٤ الخبال : البله ، والهوج . اللمم : طرف من الجنون .
٥ الزلم : الظلف أو الذي خلفه ، وأراد هنا القوائم على التشبيه بالأزلام ، وهي السهام .
٦ نضد : صخور بعضها فوق بعض . العلم : الجبل .
٧ المصاب : الصوب ، أي المطر ، ومكانه ، وزمانه .

تَجَهّمُوا ضَيْفَ العُلَى وَامتَهَنُوا زَوْرَ النِّعَم[1]
مِنْ كُلّ رَاعِيْ أُمّةٍ أجهَلَ مِنْ رَاعِي غَنَمْ
مَا بَيْنَهُمْ في المَكْرُمَا تِ نَسَبٌ وَلا رَحِمْ
وَمَا بِهِمْ إلى النّدَى لا ظَمَأٌ وَلا قَرَمْ
كَمْ أذْكَرُونِي مَعشَراً كَانُوا قَرَارَاتِ الكَرَمْ
مَا حَمَلَتْ أمْثَالَهُمْ يَوْماً غَوَارِبُ النِّعَمْ
كَمْ فيهِمُ لمُطْرَدٍ مِنْ وَزَرٍ وَمُعتَصَم[2]
كانُوا ، إذا الخَطْبُ دَجا وَجَلجَلَتْ إحدى الغُمَم[3]
مَأمَنَةً مِنَ الرّدَى ، وَنَجْوَةً مِنَ العَدَمْ
إذا هُمُ تَيَقّظُوا فيهَا ، فَقُلْ للجَارِ: نَمْ
هُمْ وَسَمُوا مَا أغْفَلَ الـ نّاسُ عَلى طُولِ القِدَمْ
إذا أذَمّوا ضَمِنُوا عَلى الزّمَانِ مَا اجتَرَم[4]
وَأمّنُوا حَتّى عَلى الـ قُلُوبِ مِنْ طَارِقِ هَمّ
أهْلُ النّصُولِ وَالقَنَا وَالمُعْطيَاتِ في اللُّجُمْ
وَالسّامِرِ الهَبهَابِ في الظّلمَاءِ وَالشّرْبِ العَمَم[5]

---

١ تجهموا : استقبلوا بوجه كريه . امتهنوا : ابتذلوا .
٢ الوزر : الملجأ . المعتصم ، من اعتصم بالشيء : التجأ إليه وامتنع به .
٣ الغمم ، الواحدة غمة : الحزن ، والشدة .
٤ أذموا : جعلوا في ذمامهم ، أجاروا .
٥ السامر : أراد به النجم . الهبهاب : المتلألىء .

جِنٌّ ، إذا تَعَانَقَ الـ أبْطَالُ بِالبِيضِ الحُذُمْ
في حَيْثُ لا يَلَذُّنَا مُعْتَنِقٌ وَمُلْتَزِمْ
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى عَظِيمَةٍ مِنَ الهِمَمْ
مِنْ عِشْقِهِ يَوْمَ الوَغَى يَرَى الطِّعَانَ في الحُلُمْ
مُحتَمِلُ الأعْبَاءِ لا يَجُرُّهَا مِنَ السّأمْ
عَفٌّ ، فَإنْ لَمْ يَحْمِهِ الـ ضّيمَ سوَى الظلم ظلمْ
صَاحَتْ بِهِمْ عَلَى الرّدَى مُسْمِعَةٌ عَلَى الصّمَمْ
وَانتَزَعَتْ مِنْ عِزّهِمْ تِلْكَ العِمَادَ وَالدُّعُمْ
بَاطِشَةً بِلا يَدٍ ، وَاعِظَةً بِغَيْرِ فَمْ
وَقَبْلَ مَا كُبّتْ لهَا قِبَابُ عَادٍ وَإرَمْ
فَاليَوْمَ مَرْمَى دارِهِمْ لا كَثَبٌ وَلا أمَمْ
قُلْ لِلْعَدُوّ هَرَباً : قَدْ زَخَرَ الوَادي وَطَمّ
وَشَافَهَتْ أمْوَاجُهُ ذُرَى القِلالِ وَالأُطُمْ
وَمَنْ يَكُنْ تَحتَ مجَـ ـرِّ السّيْلِ يَوْماً لا يَقُمْ
تَسُومُني الضّيمَ ، لقَدْ نَفَخْتَ في غَيرِ ضَرَمْ
أمَا عَلِمْتَ أنّهُ مَنْ كَانَ حُرّاً لمْ يُضَمْ
أبِالمَخَازِي أبَداً مُدَرَّعٌ وَمُلْتَثِمْ
ثِيَابَ عَارٍ أبَداً فَضْفَاضَةً عَلى القَدَمْ
تَجزِيكَ في الصّبحِ وَتَسـ ـتَغْني بِهَا عَنِ الظُّلَمْ

قُبّحْتِ مِنْ خَلائِقٍ لَئِيمَةٍ ، وَمِنْ شِيَمْ
يُرِيدُ جَهْلاً أنْ يُسِيءَ عَامِداً وَلا يُذَمّ
هَيْهَاتَ أعْيَا مَا يُرِيدُ قَبْلَهُ عَلى الأُمَمْ
سِيّانِ مَنْ قَبّلَ عُضْوا مِنكُمُ وَمَنْ عَذَمْ[1]
وَمَنْ سَمَا بِهَامِكُمْ إلى العُلَى وَمَنْ وَقَمْ[2]
جَوَامِحاً في العَارِ لا بُقْيَا وَلا رَعْيَ ذِمَمْ
أحْرَجْتَني ، فَهَاكَهَا بِنْتَ عِنَاقٍ وَالرَّقَمْ[3]
وَاللّيْثُ لا يَخْرُجُ إلاّ مُحْرَجاً مِنَ الأجَمْ
كَلَذْعَةِ المِيسَمِ في شُوَاظِ نَارٍ وَضَرَمْ[4]
وَالحَيّةُ الرّقْطَاءُ تُرْدي أبَداً بِغَيرِ سُمّ
حقّاً عَلى أعْرَاضِكُمْ تَعُطُّهَا عَطَّ الأدَمْ
فَاستَنشقُوهَا نَفْحَةً ، تَجْدَعُ مَارِنَ الأشَمّ[5]
تَقرِضُ مِنْ جُنُوبِكُم طَمَّ اللِّمَامِ بِالجَلَمْ[6]

١ عدم : عض .

٢ وقم : قهر وأذل.

٣ العناق : أراد بها الشدة والخيبة ، والأصل في عناق دابة تسمى عناق الأرض موصوفة بالشدة الرقم : الداهية .

٤ الميسم : المكواة . الشواظ : لهب لا دخان فيه .

٥ تجدع : تقطع . المارن : الأنف . الأشم : السيد ذو الأنفة .

٦ الطم : الجز . الجلم : المقراض . اللمام : جمع لمة ، وقد مرت .

كَـأنـّمَـا تَـضرِبُ في العِرْ ضِ الأعَزّ بالقُـدُمُ[1]
مَـذكُـورَةٌ مَـا بَقِيَتْ مِنْ غَيرِ عَقْدٍ لِرَتَم[2]
تَـرَى عَلى عَارِي العِظَـا مِ وَسْمَـهَـا ، وَهْيَ رِمَمْ
فَلَوْ نَزَعْتَ الجِلْدَ كَا نَ رَقْمُهَا كَمَا رُقِمْ
كَمْ جَرّدَتْ شِفَارُهَا لَحمَ فَتًى بِلا وَضَم[3]
خَابِطَةً لا تَتّقي صَدْمَ أخٍ وَلا ابنِ عَمّ
تَبِيتُ مِنْ سَمَاعِهَا تَئِنّ مِنْ غَيرِ ألَمْ
لَتَندَمَنّ بَعْـدَهَا ، هَيهَاتَ ، حِينَ لا نَدَمْ
كَمْ سَقَمٍ مِنكَ أتَى عَلى عَقَابِيلِ سَقَمْ
سَلَكْتَ في مَحَجّةٍ لا نَهَجاً وَلا لَقَم[4]
صَلعَاءُ لا يُعطَى الهُدَى دَليلُهَا ، فَلا جَرَم[5]

١ القدم ، الواحد قدوم : آلة قاطعة للنجر .
٢ عقد الرتم : هو أن يعقد المرء في إصبعه خيطاً ليتذكر حاجة يريد تذكرها ، الواحدة رتمة ، ورتيمة .
٣ الوضم : خشب يوضع تحت اللحم عند تقطيعه .
٤ المحجة : جادة الطريق . النهج : الواضح . اللقم : معظم الطريق أو وسطه .
٥ الصلعاء : الأرض لا نبات فيها . لا جرم : أي حقاً ، ومعنى لا جرم في الأصل : لا بد ولا محالة ، ثم كثرت فصارت بمعنى حقاً .

أوداع أم سلام

قال وكتب بها إلى الملك قوام الدين وينتجز وعداً له عليه في شيء يخصه وذلك في شوال سنة ٣٩٧ :

زَارَ ، وَالرَّكْبُ حَرَامُ ، أَوَدَاعٌ أَمْ سَلامُ ؟
طَارِقاً ، وَالبَدْرُ لا يَحْـ ـفِزُهُ إلاّ الظَّـلامُ
بَيْنَ جَمْعٍ وَالمُصَلّى ، رِيمُ سِرْبٍ لا يُرَامُ
وَحُلُولٍ مَا قَرَى نَا زِلَهُمْ إلاّ الغَرَامُ
بَدّلُوا الدُّورَ ، فَلَمّا نَزَلُوا القَلْبَ أَقَامُوا
يَا خَلِيلَيَّ اسْقِيَانِي ، زَمَنُ الوَجْدِ سَقَامُ
وَصِفَا لي قُلْعَةَ الرّكْـ ـبِ وَللّيْلِ مُقَامُ
مِنْ أَلالٍ حَفَزُوا العِيـ ـسَ كَمَا رِيعَ النّعَامُ[1]
فَزَفِيرٌ ، وَنَشِيجٌ ، وَعَجِيجٌ ، وَبُغَامُ[2]
وَمِنًى ، أَينَ مِنًى مِـ ـنّي، لَقَدْ شَطّ المَرَامُ[3]
هَلْ عَلى جَمْعٍ نُزُولٌ ، وَعَلى الخَيْفِ خِيَامُ

١ ألال : جبل بعرفات ، أو جبل رمل عن يمين الإمام بعرفة . حفزوا : دفعوا من خلف .

٢ الزفير : إخراج النفس مع مده . النشيج : الغصص بالبكاء . العجيج : الصياح . البغام : صوت الظباء والإبل .

٣ شط : بعد . المرام : ما يرام ، يراد .

يا غَزَالَ الجِزْعِ لَوْ كا نَ عَلى الجِزْعِ لُمَامُ[1]
أحْسُدُ الطَّوْقَ عَلى جِيـ ـدِكَ ، والطَّوْقُ لِزَامُ
وأعَضُّ الكَفَّ إنْ نَا لَ ثَنَايَاكَ البَشَامُ[2]
وأغَارُ اليَوْمَ إنْ مَـ رَّ عَلى فِيكَ اللثَامُ
أنَا عَرَّضْتُ فُؤادي ، أوّلُ الحَرْبِ كَلامُ
أن جَعَلتُ القَلبَ مَرْمًى كَثُرَتْ فِيهِ السّهَامُ
مَنْ يُداوِي داءَ أحْشَا ئِكَ ، والدّاءُ عُقَامُ
يا غِيَاثَ الخَلْقِ ! أيّا مُكَ في الأيّامِ شَامُ
غُرَرٌ واضِحَةُ الأعْ لامِ ، والدّهرُ ظَلامُ
أنْتَ للدّنْيَا وَللدّيـ نِ مِسَاكٌ وَنِظَامُ
وَبَهَاءٌ ، وَضِيَاءٌ ، وَغِيَاثٌ ، وَقِوَامُ
إنّ أعْداءَكَ لَمّا قَادَهُمْ ذاكَ الزّمَامُ
وَرَأوْا أنّ طَرِيقَ الْـ مَجْدِ وَعْرٌ وإكَامُ
واستَطَالُوا الغَايَ حَتّى جَرْجَرَ الثِّلْبُ العَبَامُ[3]
سَلّمُوا الثّقْلَ إلى العَوْ دِ ، فَمَا نَاءَ ، وقامُوا
مُقْرَمٌ إنْ قِيدَ للوِرْ دِ ، وَقَدْ حَرّ اللِّطَامُ[4]

١ اللمام ، الواحدة لمة بالضم : الصاحب ، أو الأصحاب في السفر ، والمؤنس .
٢ البشام : شجر طيب الرائحة .
٣ الثلب : البعير المنكسرة أسنانه من الهرم . العبام : العيي الثقيل .
٤ اللطام : أراد ملاطمة الإبل بعضها بعضاً حين التزاحم على ورود الماء .

حَبَسَ الأوْرَادَ بالغُلَّةِ ، وَالحَيُّ قِيَام[1]
لَيْسَ بَدْرٌ إنْ بَغَى أوْلَ مَنْ عَزّ الحِمَام[2]
جَامِحٌ أقْعَصَهُ مِنْ قَائِمِ العَضْبِ لِجَام[3]
كَانَ مِمَّنْ أسكَرَتْهُ ، أمْسِ ، هَاتِيكَ المُدامُ
وَنَجَا مِنْ زَحْمَةِ المَوْتِ ، وَللمَوْتِ زِحَامُ
طَافِياً تَقْذِفُهُ الغَمْرَةُ ، وَالمَاءُ جُمَامُ
مَنْزِعُ النَّبْلَةِ قَدْ طَارَ بِهَا الرِّيشُ اللُّؤامُ
عَجْمَةً طَوّحَهَا المِرْضَاخُ ، وَالعَجْمُ رِمَام[4]
وَإلى اليَوْمِ قَذَى نَاظِرُهُ ذاكَ القَتَامُ
قَدّرَ العَاجِزُ أنّ الغِيلَ يُخْلِيهِ الهُمَام[5]
كَانَ في مَعْطِسِهِ الرّغْمُ ، وَفي فيهِ الرّغَام[6]
أتُرَى لَمْ يَكْفِهِ مَا لَقِيَ الحَيْلُ الطَّغَام[7]

١ الأوراد ، الواحد ورد : الإشراف على الماء ، أو جمع ورد بفتح الواو وهو من الخيل ما بين الكميت والأشقر . الغلة : العطش .

٢ البدر : السيد . عز : غلب . الحمام : الموت .

٣ أقعصه : قتله . العضب : السيف .

٤ عجمة : صخرة . طوحها : توهها وبعدها في الأرض فرمت هي بنفسها هنا وهنا ، المرضاخ : حجر يرضخ به أي يكسر به النوى . الرمام : العظام البالية .

٥ الغيل : غاب الأسد . الهمام : الأسد .

٦ المعطس : الأنف . الرغام : التراب .

٧ الطغام : أوغاد الناس .

لا حَدِيثُ القَوْمِ مَنْسِيٌّ ، وَلا العَهْدُ قُدَامُ
جَاشَ وَادِيكَ ، فَسَالَ السَّيْلُ ، وَالقَوْمُ نِيَامُ
رَاكِباً ظَهْراً مِنَ الغَيِّ ، مُسِيمٌ وَمُسَامُ[1]
خُطِمَ الأوَّلُ ، وَالآخِرُ يَبْغِيهِ الخِطَامُ
شَمَّهُ رِئْبَالُ غَابٍ ، أَوَّلُ الفَرْسِ شِمَامُ[2]
يا دَلِيلَ المَجْدِ إنْ ضَلَّ عَنِ المَجْدِ الكِرَامُ
وَالّذِي يُرْعِي بِدارِ العِزِّ ، وَالنَّاسُ بِهَامُ
لِي مَوَاعِيدُ ، وَوَعدُ الغَيْبِ عَقْدٌ وَزِمَامُ
لَوِيَتْ عَنّي ؛ فَيَا للنّاسِ ! هَلْ ضَنَّ الغَمَامُ
حُبِسَ القَطْرُ بأرْضِي ، وَأرَى الجَوَّ يُغَامُ
إنّمَا اللّوْمُ لجَدّي ، مَا عَلَى الغَيْثِ مَلامُ
قَدْ تَيَقّظْتُمْ لأمْرِي ؛ لَكِنِ الجَدُّ يَنَامُ
وَعِتَابُ القَوْمِ إلاّ بِالمَعَارِيضِ خِصَامُ
عَجَباً كَيْفَ نَبَا اليَوْمَ بِكَفّيّ الحُسَامُ
لا ذِرَاعِي رِخْوَةُ الحَبْلِ ، وَلا السّيْفُ كَهَامُ
مَوْضِعُ الذّمّ زَمَانِي ، وَخَلاكَ اليَوْمَ ذَامُ

١ أسام الإبل : أخرجها إلى المرعى ، وأسامه : رماه بنظرة ، ولعله أراد هنا من سامه الخسف أذلــه .

٢ الفرس ، من فرسه : قتله .

أيّهَا الزّارِعُ سقْياً ، فَبِـذا الزّرْعُ أوَامُ
إنّمَا غَرْسُكَ نَبْعٌ ، وَمِنَ الغَرْسِ ثُمَامُ[1]
عُدْ بِمَا عَوّدْتَنِي ، مِنْ لكَ أياديكَ الجِسَامُ
ثمّ دُمْ مَا حَسُنَ العَيْـ شُ ، وَمَا طَابَ الدّوَامُ
آمِراً تَخْدُمُكَ الـ أيّامُ طَوْعاً وَالأنَامُ
إنّمَا الأقْدارُ جُنْدٌ لكَ ، وَالدّهْرُ غُلامُ

خل عن الطريق

قال أيضاً وكتب بها إلى حضرة الملك قوام الدين يعزيه عن كريمة من بناته توفيت وهي التي عقد عليها لأمير المؤمنين القادر بالله وأنفذت هذه القصيدة إلى الحضرة بالأهواز وذلك في شهر ربيع الآخر

لهَانَ الغِمْدُ مَا بَقيَ الحُسَامُ ، وَبَعضُ النّقصِ ، آونَةً ، تَمَامُ
إذا سَلِمَتْ قُوَاهُ ، فَلا جزَعٌ ، إذا انتَقَصَ النّظَامُ
وَأهْوِنْ بالمَناكِبِ يَوْمَ يَبقَى لَنَا الرّأسُ المُقَدَّمُ وَالسّنَامُ
وَمَا شكوَى المَناهلِ حِينَ تُمسِي مُغَيَّضَةً ، إذا بَقِيَ الغَمَامُ[2]

١ النبع والثمام : نباتان

٢ المغيضة : القليلة الماء .

وَهَلْ هُوَ غَيرُ قَدّ أخلَفَتْهُ لكَ العَلْيَاءُ ، وَالنَّعَمُ التؤَام
وَمَا شَرَرٌ تَطَاوَحَ عَنْ زِنَادٍ ، بِمُفْتَقَدٍ ، إذا بَقِيَ الضّرَامُ
أفِقْ ، يا دَهرُ ، مَن أمسَيتَ تحدو ، وَقَدْ مَنَعَ الخِزَامَةُ وَالزّمَامُ[1]
قَدَعتَ مُبَرِّزَ الحَلَبَاتِ يَغْدُو جَمُوحاً ، لا يُنَهْنِهُهُ اللّجَامُ[2]
وَلُوداً مثلَ مَا خالَستَ مِنْهُ ، وَأنْتَ بِمِثْلِهِ أبَداً عَقَامُ
مِنَ القَوْمِ الّذِينَ أقَامَ فِيهِمْ عِدادُ المَجْدِ وَالعَدَدُ اللُّهَامُ
إذا سَلِمُوا ، فَقَدْ سَلِمَ البَرَايا ، وَإنْ فُقِدُوا ، فَقَدْ فُقِدَ الأنَامُ
لَهُمْ كَرَمٌ تُزَيّدُهُ المَعَالي ، إذا لَؤُمَ المَعَاشِرُ ، أوْ ألامُوا
وَأيّامٌ مِنَ الإحْسَانِ بِيضٌ ، لَهُمْ نَسَبٌ إلى العَلْيَا قُدَامُ
مَرَاجِحَةٌ ، وَأصْبِيَةٌ مُلُوكٌ ، إلَيهِمْ يَعقُدُ النّادي الكِرَامُ[3]
وَكُلُّ مُعَمَّمٍ بالمَجدِ قَضّى بِهِ ذِمَمَ العَلاءِ أبٌ هُمَامُ
رَبَا بَينَ الصّوَارِمِ وَالعوَالي ، فَجَاءَ كَأنّ تَوْأمَهُ الحُسَامُ
يَرُوعُ سَوَامَهُ بالسّيْفِ ، حتّى تَمَنّى أنْ أَسرّتَهَا اللّئَامُ
مَعَاشِرُ للسّوَائِمِ في ذَرَاهُمْ أمَانُ الطّيرِ آمَنَهَا الحَرَامُ
يُذَمُّ اللّؤمُ عِندَهُمُ عَلَيْهَا ، وَلَيسَ لجَارِهِمْ أبَداً ذِمَامُ
وَحَادِثَةٍ لهَا في العَظْمِ وَقْرٌ ، كَفَضّ السّنّ لَيسَ لَهُ التِئَامُ[4]

١ الخزامة : حلقة يشد فيها الزمام .
٢ قدعت : كبحت . ينهنه : يكفكفه .
٣ مراجحة : ذوو عقول راجحة ، حلماء .
٤ الوقر : الصدع ، الثقل . الفض : الكسر .

كَفَى بعِتَاتِهَا ، وَالمَوْتُ دانٍ ،   وَقَدْ قَعَدَ الرِّجَالُ بِهَا وَقَامُوا[1]

فَقُلْ للحَائِنِ المَغْرُورِ أمْسَى   بِمَارِنِكَ الرَّغَامَةُ وَالرَّغَامُ[2]

أتَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِرُ، أوْ تُسامي   غُرُوراً مَا أرَاكَ بِهِ المَنَامُ

فَخَلِّ عَنِ الطّرِيقِ لسَيلِ طَوْدٍ   تَحَدّرَ لا يُخَاضُ وَلا يُعَامُ

ألَمْ يُقْنِعْكَ بالأهْوازِ مِنْهُ   قِطَارٌ ، غَيْمُ عَارِضِهِ القَتَامُ[3]

بأرْبَقَ حَطّ عَارِضَهُ وَأجلَى   عَنِ الأعداءِ وَالأعداءُ هَامُ[4]

وَأرْسَلَهَا تَخُبُّ بِدارِ زَيْنٍ   عُبَابَ اليَمّ لَجّ بِهِ التِطَامُ

يَمِلْنَ مِنَ اللُّغُوبِ كَمَا تَهادى   نِسَاءُ الحَيّ يُثْقِلُهَا الخِدامُ[5]

وَكُنّ ، إذا رَمَينَ إلى عَدُوٍّ   طَلَبْنَ أمَامَ حَتّى لا أمَامُ

وَلَستُ لحَاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا   مَوَاقِرَ ، حَمْلُهَا بِيضٌ وَلامُ[6]

تُوَقّصُ تَحتَهَا القُلَلُ الرّوَابي ،   وَتُجدَعُ مِن حَوَافِرِها الإكَامُ[7]

بنَقْعٍ يُظْلِمُ الإصْبَاحُ مِنْهُ ،   عَلى بَيْضٍ يُضِيءُ بِهَا الظّلامُ[8]

١ عتاتها : خصامها .

٢ الحائن : الأحمق .

٣ الأهواز : تسع كور بين البصرة وفارس لكل منها اسم . القطار ، الواحد قطر : ما يقطر القتام : الغبار الأسود .

٤ اربق : قرية برامهرمز . الهام : قرية باليمن .

٥ الخدام : الخلاخيل ، الواحدة خدمة .

٦ حاصن : امرأة عفيفة . مواقر : محملة . اللام : الدروع ، الواحدة لامة .

٧ توقص : تكسر .

٨ البيض ، الواحدة بيضة : الخوذة .

تُفَارِطُ بالقَنَا مُتَمَطِّرَاتٍ كَمَا فَاجَاكَ بالدَّوِّ النَّعَامُ[1]
حَذارِ لَهُ ، فَبَعْدَ اليَوْمِ يَوْمٌ لَهُ شَرَرٌ ، وَبَعْدَ العَامِ عَامُ
وَمَا تَرَكَ الرِّمَاءَ قُصُورَ بَاعٍ ، وَلَكِنْ كَيْ تُرَاشَ لَهُ السِّهَامُ
فمِنْهُ البِيضُ مَاضِيَةٌ ، وَمنكم، يَدَ الدَّهْرِ ، المَفارِقُ وَاللِّمَامُ
لَنَا تحتَ الصَّفَائحِ كُلَّ يَوْمٍ ، مُقِيمٌ لا يَرِيمُ وَلا يُرَامُ
كَرَائِمُ مِنْ قُلُوبٍ أوْ عُيُونٍ عَلَيْهِنّ الجَنَادِلُ وَالرِّجَامُ
صُمُوتٌ لا يُجَابُ لَهُنّ داعٍ أرَنّ ، وَلا يُرَدّ لَهُ سَلامُ
فَدُمْ مَا طَابَ للبَاقِي بَقَاءٌ ، وَمَا حَسُنَ التّلَوُّمُ ، وَالدّوَامُ
فَلا كُشِفَ الضّيَاءُ عَلى اللّيَالي، وَلا عُدِمَ الغِيَاثُ وَلا القِوَامُ
يَكُونُ لَكَ التّقَدّمُ في المَعَالي، وَفي الأجَلِ التّأخّرُ وَالمَقَامُ
وَكَانَ لَنَا أمَامَكَ كُلُّ نَقْصٍ يَكُونُ مِنَ الرّدَى وَلكَ التّمَامُ

[1] الدو : الفلاة .

الطاهر ابن الطاهرين

قال قدس الله روحه يرثي والده الطاهر الأوحد ذا المناقب أبا أحمد الحسين الموسوي نضر الله وجهه وأكرم مثواه ومنقلبه وتوفي في ليلة السبت لخمس ليال بقين من جمادى الأولى سنة ٤٠٠ وله من العمر ٩٧ سنة :

وَسَمَتْكَ حالِيَةُ الرّبيعِ المُرْهِمِ ، وَسَقَتْكَ ساقيَةُ الغَمَامِ المُرْزِمِ[١]
وَغَدَتْ عَلَيكَ مِنَ الحَيا بمُوَدِّعٍ لا عَنْ قِلًى ، وَمِن النّدى بمُسَلِّمِ
قَد كُنتُ أعذُلُ قَبلَ مَوْتكَ مَن بكى ، فَاليَوْمَ لي عَجَبٌ مِنَ المُتَبَسِّمِ
وَأذُودُ دَمعي أنْ يَبُلّ مَحاجِرِي ، فَاليَوْمَ أعلِمُهُ بِمَا لَمْ يَعلَمِ
لا قُلْتُ بَعدَكَ للمَدامِعِ كَفكِفي مِنْ عَبرَةٍ وَلَوَ انّ دَمعي مِن دَمي
إنّ ابنَ مُوسَى ، وَالبَقاءُ إلى مَدًى ، أعطَى القِيَادَ بمارِنٍ لَمْ يُخْطَمِ
وَمَضَى رَحيضَ الثّوْبِ غَيرَ مُدَنَّسٍ ، وَقَضَى نَقيَّ العُودِ غَيرَ مُوَصَّمِ[٢]
وَحَمَاهُ أبيَضُ عِرْضِهِ وَثَنَائِهِ ، ضَمَّ اليَدَينِ إلى بَيَاضِ الدّرْهَمِ
وَغَنِي عَنِ الدّنْيَا ، وكانَ شَجًى لها ، إنّ الغَنيّ قَذًى لطَرْفِ المُعدِمِ
مَلأ الزّمَانَ مَنَائِحاً وَجَرَائِحاً ، خَبَطاً بِبُؤسَى في الرّجَالِ وَأنعُمِ
وَاستَخدَمَ الأيّامَ في أوْطَارِهِ ، فَبَلَغْنَ أبْعَدَ غَايَةِ المُستَخدَمِ

١ المرهم : المخصب . المرزم : الرعد الشديد صوته .
٢ الرحيض : المغسول . موصم : مصدوع ، أو فيه عار

اليَوْمَ أغمَدْتُ المُهَنّدَ في الثّرَى ، وَدَفَنتُ هَضْبَ مُتَالِعٍ وَيَلَملَمِ[1]
وَغَدَتْ عَرَانِينُ العُلَى وَأكُفُّهَا مِنْ بَيْنِ أجدَعَ بَعدَهُ أوْ أجذَمِ[2]
مُتَبَلِّجٌ كَرَماً ، إذا سُئِلَ الجَدا ، مَطَرَ النّدَى أمَماً ، وَلَمْ يَتَغَيّمِ
جَذْلانُ تُطْلِعُ مِنهُ أندِيَةُ العُلَى وَجْهاً كَرِيمَ الحَدّ غَيرَ مُلَطَّمِ
يَرْمي المَغَارِمَ بالتّلادِ ، وَيَنْثَني ثَلِجَ الضّميرِ ، كَأنّهُ لمْ يُغْرَمِ
الوَاهِبَ النَّعَمَ الجَرَاجِرَ عَادَةً ، مِن ذي يَدَينِ إذا سَخا لَمْ يَندَمِ[3]
جَاءَتْ بِهَا حُمْرَ الرّبيعِ مَشيدَةً ، حَمرَاءَ تَحسَبُهَا عُرُوقَ العَندَمِ
مُتَبَقِّلاتٍ بِاللّدِيدِ وَرَامَةٍ بَينَ القَنَا المَنْزُوعِ وَالمُتَلَهْذِمِ[4]
بِيَدَيْ أغَرّ يَرُدّ ألْوِيَةَ القَنَا ، غِبَّ الوَقائعِ ، يُعتَصَرْنَ مِنَ الدّمِ
وَيَقولُ للنّفْسِ الكَرِيمَةِ : سَلّمي يَوْمَ اللّقَاءِ ،وَلا يَقُولُ لهَا:اسلَمي
هَتَفَ الحِمَامُ بهِ فكَانَ وَصَاتَهُ بَذْلُ الرّغائِبِ وَاحتِمَالُ المَغرَمِ
هَلْ يُورِثُ الرّجلُ الكَرِيمُ إذا مضَى إلاّ بَوَاقيَ مِنْ عُلًى وَتَكَرُّمِ
يَأبَى النّدى تَرْكَ الثّرَاءِ على الفَتَى ، وَيَقِلُّ مِيرَاثُ الجَوَادِ المُنعِمِ
مَلأتْ فَضَائِلُكَ البِلادَ ، وَنَقّبَتْ في الأرْضِ يَقذِفُها الخَبيرُ إلى العَمي
فكَأنّ مَجدَكَ بَارِقٌ في مُزْنَةٍ ، قِبَلَ العُيُونِ ، وَغُرّةٌ في أدْهَمِ

١ متالع ويلملم : جبلان .
٢ الأجدع : المقطوع الأنف . الأجذم : المقطوع اليد .
٣ النعم : الإبل . الجراجر : الضخام منها .
٤ اللديد : ماء لبني أسد . رامة : موضع بالبادية . المتلهذم : المقطوع .

أنعاكَ للخَيْلِ المُغيرَةِ شُزَّباً خبَطَ المَغَارَ بهِنّ مَنْ لمْ يُجْرِمِ
كالسِّرْبِ أوْجَسَ نَبأةً مِنْ قانِصٍ فَمَضَى يَلُفّ مُؤخَّراً بِمُقَدَّمِ
وَاليَوْمُ مُقْذٍ للعيُونِ بِنَقْعِهِ ، لا يَهتَدي فيهِ البَنَانُ إلى الفَمِ
لمْ يَبقَ غيرُ شَفَافَةٍ مِنْ شَمْسِهِ كَضِيقِ وَجْهِ الفَارِسِ المُتَلَثِّمِ
مِنْ خائِضٍ غَمْرَ الدّماءِ يَبُلّهُ ، بَلْ النّدى مَطَرَ القَنَا المُتَحَطِّمِ
أوْ نَاقِشٍ مِنْ جِلْدِهِ شَوْكَ القَنَا عَن كُلّ فاغرَةٍ كَشِدقِ الأعْلَمِ
أوْ مُفلتٍ حُمَةَ السّنَانِ نجَتْ بِهِ رَوْعَاءُ لا تَدَعُ العِذارَ لمُلجِمِ
يَنْزُو بِهِ الفَزَعُ الكَذُوبُ وَيَتّقي مُرَّ الحَديثِ بكُلّ يَوْمٍ أيْوَمِ[1]
وَيَرُوعُهُ وَصْفُ الشّجاعِ لطَعْنَةٍ مِنْ ذابِلٍ أوْ ضَرْبَةٍ مِنْ مِخذَمِ
حتّى يَظُنّ الصّبْحَ سَيفاً مُنْتَضًى ، أهْوَى إليْهِ مَعَ الكَميّ المُعْلِمِ[2]
وَمُقَاوِمٍ عَرَضَ الكَلامُ بُرُودَهُ فيهِنّ بَينَ مُعَضَّدٍ وَمُسَهَّمِ[3]
أغْضَى لهَا المُتَشَدّقُونَ وَسَلّمُوا لهَديرِ شِقْشِقَةِ الفَنيقِ المُقْرَمِ[4]
بالرّأيِ تَقْبَلُهُ العُقُولُ ضَرُورَةً ، عِنْدَ النّوَائِبِ لا بكَيْفَ وَلا لِمِ[5]
حَمَلَ العَظَائِمَ وَالمَغَارِمَ نَاهِضاً وَمَضَى على وَضَحِ الطّرِيقِ الأقوَمِ

١ الأيوم : الشديد .
٢ الكمي : لابس السلاح . المعلم : الواضع علامات الحرب ، والشجاعة .
٣ المعضد : ثوب له أعلام في موضع العضد . المسهم : البرد المخطط .
٤ المتشدقون : الذين يلوون أشداقهم للتفصح . المقرم : الذي لا يحمل عليه ولا يذلل .
٥ لمِ : لم ، كسر الميم للضرورة .

حتّى إذا أرْمَى الجِذابُ مِلاطَهُ ، وَأَوَى الزّمَامُ لأنْفِهِ وَالمَلْطَمِ
طَرَحَ الوُسُوقَ فَلَمْ يَدَعْ من بَعده عِنْدَ العَظِيمَةِ حَامِلاً للمُعْظَمِ
كالنِّقضِ قد عرَكَ الدُّؤوبُ صِفاحَهُ عَرْكَ الضّبَاعِ مِنَ العِنانِ المُؤْدِمِ[1]
رَقَدَ المُلُوكُ بِحَزْمِ أبْلَجَ رَأيُهُ فَلَقٌ لِعَاشِيَةِ العُقُولِ النُّوَّمِ
ـص عَنْهُ النّائِبَاتُ كَأنّهَا وَبَرُ المُوَقَّعِ نَشّ تَحتَ المِيسَمِ[2]
كانُوا إذا قَعَدَ البِكَارُ بِثِقْلِهِمْ قالوا لذا العَوْدِ الجُلالِ : تَقَدّمِ
عَمْرِي لقَد قَذَفوا الكُرُوبَ بفارِجٍ مِنهُ وَقد رَجَموا الخُطوبَ بمِرْجَمِ[3]
فَكَأنّمَا قَرَعُوا القَنَا بعتَيْبَةٍ ، وَلَقُوا العِدا برَبِيعَةَ بنِ مُكَدَّمِ
رَقّاءُ أضْغَانٍ يَسُلّ شَبَاتَهَا ، حَتّى يُغَيّرَ طَبْعَ سُمّ الأرْقَمِ[4]
سَبعٌ وَتِسعونَ اهتَبَلْنَ لكَ العِدا ، حَتّى مَضَوْا وَغَبَرْتَ غَيرَ مُذَمَّمِ[5]
لَمْ يَلحَقُوا فيها بشَأوِكَ بَعدَمَا أمَلُوا ، فَعاقَهُمُ اعتِرَاضُ الأزْلَمِ
إلاّ بَقَايَا مِنْ غُبَارِكَ أصْبَحَتْ غُصَصاً وَأقْذاءً لِعَينٍ ، أوْ فَمِ
إنْ يَتْبَعُوا عَقِبَيْكَ في طَلَبِ العُلى ، فالذّئْبُ يَعسُلُ في طَرِيقِ الضّيغَمِ[6]
هلْ منْ أبٍ كَأبِي لجُرْحِ مُلِمّةٍ أعْيَا ، وَشَعْبِ عَظيمَةٍ لمْ يُلأَمِ[7]

١ النقض : المهزوم من السير ناقة كان أو جملا . الدؤوب : الجد والتعب . المؤدم : المسمر .
٢ الموقع : البعير الذي أثر الوبر في ظهره . نش : غلى . الميسم : المكواة .
٣ المرجم : الشديد .
٤ الشباة : إبرة العقرب .
٥ اهتبلن : اغتنمن .
٦ يعسل : يسرع ويضطرب في عدوه ويهز رأسه . الضيغم : الأسد .
٧ الشعب : الصدع . يلأم : يصلح .

إنّ الخُطُوبَ الطّارِقَاتِ فَجَعْنَنَا مِنّي الأنّ

بِمُمَهَّلٍ في الغَابِرِينَ مُؤخَّرٍ ، وَمُحَفَّزٍ في السّابِقِينَ مُقَدَّمِ [2]

الطّاهِرِ ابنِ الطّاهِرِينَ وَمَنْ يكُنْ لأبٍ إلى جِذمِ النّبُوّةِ يَعْظُمِ [3]

مِنْ مَعشَرٍ تخِذوا المَكارِمَ طُعمَةً ، وَرَوُوا مِنَ الشّرَفِ الأعَزّ الأقدَمِ

مِنْ جَائِدٍ ، أوْ ذائِدٍ ، أوْ عاقِرٍ ، أوْ مَاطِرٍ ، أوْ مُنعِمٍ ، أوْ مُرْغِمِ

وَفَرُوا على المَجدِ المَشيدِ هُمومَهم ، وَتَهَاوَنُوا بِالنّائِلِ المُتَهَدِّمِ

عِيصٌ ألَفُّ تَقَابَلَتْ شُعُبَاتُهُ في المَجْدِ ، شَجرَ مُقَوَّمٍ لمُقَوَّمِ [4]

يتَعَاوَرُونَ المَكْرُمَاتِ وِلادَةً ، مِنْ بَينِ جَدٍّ في المَكارِمِ وَابنِمِ [5]

قَدْ قُلْتُ للحُسّادِ حِينَ تَقارَضُوا حُرَقَ القُلُوبِ جوًى وَحَرْقَ الأُرَّمِ [6]

لا تَحسُدُوا المُتَرَادِفِينَ عَلى العُلى ، وَالغَالِبِينَ عَلى السّنَامِ الأكْوَمِ [7]

وَالطّاعِنِينَ بِكُلّ جَدٍّ مِدْعَسٍ ، وَالمَاطِرِينَ بِكُلّ نَيلٍ مُرْزِمِ [8]

لَكُمُ الفُضُولُ ، إذا تَكونُ وَقيعَةٌ ، أوْ غارَةٌ ، وَلَهُمْ صَفِيّ المَغْنَمِ

١ الجنة : الوقاية . المستلئم : اللابس اللأمة ، أي الدرع .

٢ المحفز : المدفوع من خلف .

٣ الجذم : الأصل .

٤ العيص : منبت خيار الشجر . شجر مقوم لمقوم : أي ربط مقوم بمقوم .

٥ يتعاورون : يتداولون . الابنم : الابن ، والميم زائدة .

٦ حرق الأرم : العض على الأصابع غيظاً .

٧ الأكوم : المرتفع .

٨ المدعس : الطعان . النيل : السحاب . المرزم ، من أرزم الرعد : اشتد صوته .

عَطِرُونَ ما لأنُوفِكُمْ من طيبِهِمْ بَيْنَ المَجَامِعِ غَيْرَ شَمِّ المَرْغَمِ[1]
يَتَسَانَدُونَ إلى عُلًى عَادِيَّةٍ ، وَمَكَارِمٍ قُدْمٍ ، وَمَجدٍ قَشْعَمِ[2]
مُتَزَيِّدِينَ إلى السُّؤالِ ، وَعِندَكُمْ أُمُّ العَظَاءِ ، مُفِذَّةٌ لَمْ تُتْئِمِ[3]
فَتَعَلَّقُوا عَجَبَ المَذَلَّةِ ، وَاترُكوا رَفْعَ العُيُونِ إلى البِنَاءِ الأعْظَمِ[4]
تلكَ الأُسُودُ ، فمَنْ يَجرُّ فَرِيسَهَا ، أمْ مَنْ يَمُرُّ بِغَابِهَا المُتَأجِّمِ
حُطّتْ بِأطْرَافِ البِلادِ قُبُورُهُمْ ، رُقُمُ النّجومِ ، سقوفُ لَيلٍ مُظلِمِ[5]
وَكَفَاكَ مِنْ شرَفِ القَبيلِ بأن ترَى بَدَدَ القُبُورِ لمُنْجِدٍ ، أوْ مُتْهِمِ
عُدّوا جِبَالاً للعَلاءِ ، وَإنْ غَدَوْا أمشَاجَ مَجْدٍ في رَمَائِمِ أعْظُمِ[6]
وَضَعَتْ بتِلْكَ صَفائِحاً وَضَرَائِحاً أثْقَالَ أوْطَفَ بالرُّعُودِ مُزَمزِمِ[7]
وَسَقَتْ ثَرَاهنّ الدّمُوعُ مُرِشّةً فَغَنَينَ عَنْ قَطْرِ الغَمائِمِ وَالسُّمِيّ[8]
جَدَثٌ بِبَابِلَ أشْرِجَتْ رُجُمَاتُهُ طَبَقاً عَلَى مَطَرِ النّدَى المُتَهَزِّمِ[9]

١ المرغم : الأنف .
٢ القشعم : أراد به القديم .
٣ المفذة : التي تلد واحداً .
٤ العجب : أصل الذنب .
٥ هذا البيت غامض المعنى .
٦ الأمشاج ، الواحد مشيج : المخلوط . الرمائم : البالية .
٧ الأوطف : السحاب المسترخي لكثرة مائه .
٨ السمي ، الواحد سماء : المطر .
٩ أشرجت : أدخل بعضها في بعض . الرجمات : حجارة مرتفعة ... ب على القبر . الطبق : الغطاء

ضَمِنَ السَّمَاحَةَ في مَلاثِ إزَارِهِ ، وَالمَجْدَ في نُوَّارِهِ المُتَكَمِّمِ[1]
لا تَحْسَبَنْ جَدَثاً طَوَاهُ ضَرِيحُهُ قَبراً ، فَذاكَ مَغَارُ بَعضِ الأنْجُمِ
أعرَيتَ ظَهرِي للعِدا ، وَلَوِ اتّقَى بِزُهَاءِ مُزْدَحِمِ العَدِيدِ عَرَمْرَمِ
وكَشَفْتَ لِلأيّامِ عَوْرَةَ مَقتَلي، حتّى رَدَدْنَ عليّ بَعدَكَ أسهُمي
قَدْ كُنتَ مَا بَيني وبَينَ سِهَامِهَا ، فَاليَوْمَ لا يُخطِينَ شاكِلَةَ الرَّمي[2]
هَلْ تَسمَعَنّ مِنَ الزّمَانِ ظُلامَتي فِيمَا جَنَى، وَإلى الزّمَانِ تَظَلُّمي
قُلْ للنّوَائِبِ لا أُقِيلُكِ عَثْرَةً ، فَتَشَزَّني لوَقَائِعي ، وَاستَسلِمي[3]
لا تَصْفَحَنّ عَنِ المُلِمّ إذا جَنَى ، وَإذا المَضَارِبُ أمكَنَتْكَ، فصَمِّمِ
فالغِمرُ مَن تَرَكَ الجَزَاءَ على الأذَى، وَأقَامَ يَنْظُرُ عُذْرَةً مِنْ مُجرِمِ
وَمَحوكَةٍ كالدِّرْعِ أحكَمَ سَرْدَهَا صَنَعٌ فَأفصَحَ في الزّمَانِ الأعجَمِ
عَضّلْتُهَا زَمَناً لأطْلُبَ كُفْؤهَا ، وَزَفَفْتُهَا لكَ نِعْمَ بَعْلُ الأيّمِ
إنّي نَزَلْتُ ، وكنتُ غَيرَ مُذَلَّلٍ ، بَيتَ المُهَانِ وَأنتَ عَينُ المُكْرَمِ

١ ملاث ازاره : مداره .
٢ الشاكلة : الخاصرة . الرمي : المرمي .
٣ تشزني : اشتدي ، وانتصبي لي في الخصومة .

قوام الدين

قال قدس الله روحه يمدح الملك قوام الدين ويشكره على ما أنعم به من التقدم بمخاطبته عن حضرته بالكفاية رفعاً له عن الخطاب بالكاف وفي ذلك من إعلاء القدر ما لا خفاية به ونفذت هذه القصيدة إلى حضرته بأرجان في رمضان سنة ٤٠٠ :

أعَلَى الغَوْرِ تَعَرَّفتَ الخِيَامَا ، وَلِدارِ الحَيِّ مَلْهًى وَمُقَامَا[1]
مَنْزِلٌ مِنْ آلِ لَيلَى لمْ يَدَعْ وَلَعُ الدّهْرِ بِهِ إلاّ رِمَامَا
حَبّذا الدّارُ ، وَإنْ لَمْ يَلْقَنَا قَاطِنُ الدّارِ بِهَا إلاّ لمَامَا
مَنْ رَأى البَارِقَ في مَجنُوبَةٍ ، هَبّةُ البَارِقِ قَدْ رَاعَ الظّلامَا[2]
كُلّمَا أوْمَضَ مِن نَحوِ الحِمَى أقعَدَ القَلْبَ مِنَ الشّوْقِ وَقَامَا
مَا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ نَبّهَهُ بَارِقٌ مِنْ قِبَلِ الغَوْرِ ، فَشَامَا
يا خَلِيلَيّ انظُرَا عَنّي الحِمَى ، إنّ طَرْفَ العَينِ بالدّمعِ أغَامَا
طَالَ مَا استَسقَوْا لَعَيني دَمعَهَا أينَمَا استَسقَيْتُ للدّارِ الغَمَامَا
أخْلَقَ الرّبْعُ ، وَأثْوَابُ الهَوَى مُستَجِدّاتٌ وُلُوعاً وَغَرَامَا
مِنْ بَرْقٍ عَلَى ذي بَقَرٍ . نَبّهَ الشّوْقَ على القَلبِ وَنَامَا[3]

١ الغور : موضع .

٢ المجنوبة : التي هبت بها ريح الجنوب

٣ ذو بقر : واد .

كَمْ رَعَيْنا العَيْشَ فيهِ ناضِراً ،   وَوَرَدْنَا أوّلَ الحُبّ جِمَامَا
وَغَرِيمَيْ صَبْوَةٍ قَدْ قَضَيَا   بَعضَ دَيْنِ الشّوْقِ ضَمّاً وَلزَامَا
يا قِوَامَ الدّينِ قُدْهَا صَعْبَةً ،   لمْ تكُنْ تَتبَعُ من قَبلُ الزّمَامَا
أنْتَ فِينَا هَضْبَةُ اللهِ الّتي   زَادَهَا قَرْعُ المَقَادِيرِ التِئَامَا
وَيَدٌ للدّهْرِ مَوْهُوبٌ لهَا ،   إنْ أسَاءَ الدّهْرُ يَوْماً وَألامَا[1]
ما يَضُرّ القَوْمَ أوْقِظْتَ لَهُمْ   أن يكُونُوا عَن حِمى العِزّ نِيَامَا
مَنْبِتٌ تَحْرُزُ عَنْ أعْرَاقِهِ   حَسَبٌ لا يَقبَلُ العَارَ قُدَامَا[2]
إرْثُ آبَاءٍ عَلَوْا ، فاقتَعَدُوا   عَجُزَ المَجدِ ،وَأعطَوْكَ السّنَامَا[3]
أمطَرُوا الجُودَ مُضِيئاً بِشْرُهُمْ ،   فَرَأيْنَاهُمْ شُمُوساً وَغَمَامَا
شَغَلُوا قِدْماً عَنِ النّاسِ العُلَى ،   وَرَمَوْا عَنْ ثُغَرِ المَجدِ الأنَامَا
مَعشَرٌ تَمّوا ، فلَمْ يَنْثَلِمُوا ،   ثَلَمَ الأقمَارِ يَنظُرْنَ التّمَامَا
كَحُمَيّا الطّوْدِ رَأياً وَحِجاً ،   وَرِمَاحِ الخَطّ غَرْباً وَقِيَامَا[4]
أفْرَجَ المَجدُ لَهُمْ عَنْ بَابِهِ ،   وَلَقِي الأعْداءُ ضُعْفاً وَزِحَامَا
غَائِبٌ مِثْلُكَ مِنْ شُهّادِهِ ،   مَا قَضَى العُمْرَ وَلا ذاقَ الحِمامَا
لمْ يَعِشْ مَن عاشَ مَذْمُوماً وَلا   مَاتَ أقوَامٌ ، إذا مَاتُوا كِرَامَا

١ ألام : أتى بما يلام عليه .
٢ تحرز : تحرس . الأعراق : الأصول . القدام : القديم .
٣ العجز : مؤخر الشيء . السنام : أعلاه .
٤ حميا الطود : قوة الجبل وشدته . الخط : موضع باليمامة وهو خط هجر. ب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به . الغرب : الحد .

يَعظُمُ النّاسُ ، فَإنْ جِئنا بكُمْ ، كُنتُمُ الرّاعِينَ ، وَالنّاسُ سَوَامَا
أوَلَمْ يَنْهَ العِدَا في أرْبَقٍ لَجِبٌ قَادَ الجَماهِيرَ العِظَامَا
لُجَجاً يَلغَطُ فِيهِنّ القَنَا ، لَغَطَ الأوْرَادِ دَفْعاً وَلِطَامَا[1]
يَوْمَ وَلّى قَوْمَهُ في هُوّةٍ مُستَغِرٌ دَمّرَ الجِيلَ الطَّغَامَا[2]
مُستَعِيراً هَامَهُمْ يَحْسَبُهَا جَفَنَاتِ الحَيّ يَنقُلْنَ الطّعَامَا
شَهِدَ الرّوْعَ ، فَلَمْ يُعطِ القَنَا نُهزَ الطّعْنِ وَلَمْ يُرْضِ الحُسامَا
وَنَجَا الغَاوِي يُفَدّي مُهْرَهُ ، خَزِيَ المَوْقِفِ قَدْ لِيمَ وَلامَا
طَرَحَ الدّرْعَ دَمِيماً وَاتّقَى بِمَطَاهُ الطّعْنَ شَمّاً وَعُرَامَا[3]
يَسْتَزِيدُ الطِّرْفَ حَتّى لَوْ رَأى مُهلَةَ الوَاقِفِ قَد ألقَى اللّجَامَا[4]
خِلْفَةً وَطْفَاءَ يَمْرِيهَا الرّدَى مَطَرَ الطّعْنِ رَذاذاً وَرُهَامَا[5]
دَأبُهَا في دارِ زَيْنٍ تُنْتَحَى ، شَلّةَ الطّارِدِ بالدّوّ النَّعَامَا[6]
بِتْنَ بالشّدّ يُخَرّقْنَ الثّرَى ، دَلَجَ اللّيْلِ ، وَيَرْقَعنَ القَتَامَا[7]

١ الأوراد : الإبل الواردة الماء لتشرب .
٢ الطغام : أوغاد الناس . المستغر : الآتي على غرة ، على غفلة .
٣ شماً : تكبراً . عراما : شراسة وشدة .
٤ الطرف : الكريم من الخيل .
٥ لعله أراد بالخلفة الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة مائها ، أو لعله أراد الناقة الكثيرة شعر الحاجبين والعينين ، استعارها للسحابة . يمريها : من مرى الناقة ، مسح ضرعها لتدر . الرذاذ : المطر الضعيف الساكن . الرهام ، الواحدة رهمة : المطر الضعيف الدائم .
٦ الشلة : الطرد . الدو : الفلاة .
٧ يريد : يرقعن الغبار المتمزق بما يثرنه من الغبار في سيرهن في الليل، مخرقات للتراب بأخفافهن .

خِلْتَ أيْدِيهِنّ في مَعْزَائِهَا ، أنْمُلَ الوِلدانِ يَفْلِينَ اللِّمَامَا[1]
جَاذَبَتْ فُرْسَانَهَا أعْنَاقَهَا ، كُلّمَا نَهْنَهْنَ طالَبْنَ أمَامَا
وَلَيَالي السّوسِ صَبّحْتُ بِهَا ، صَائِحاً يَسْقِي دَمَ الطّعنِ مُدامَا[2]
تُضْمَنُ الأعْنَاقُ للسّيْفِ ، إذا أخفرَ السّيفُ على الدّرْعِ الذّمامَا
رِشْتُمُ سَهمي . وَضَاعَفتُم لَهُ ، عَقِبَ النَّعْمَاءِ وَالرّيشِ ، اللُّوَامَا[3]
كُلَّ يَوْمٍ نِعَمٌ مَشْفُوعَةٌ ، لاحِقَاتٌ ، وَتَوَالٍ وَقُدَامَى
أصْبَحَتْ عِنْدِي وَلُوداً نَاتِجاً ، يَوْمَ تَغْدُو نِعَمُ القَوْمِ عِقَامَا
مثلَ رَشْقِ النَّبْلِ إلاّ جَرْحَهَا ، تُبرِدُ الغُلّ ، وَتَستَلُّ الأُوَامَا
كُلّمَا شَيّخَ عِندِي ضَيفُهَا ، رَجّعَتْهُ جُدُدُ الطَّوْلِ غُلامَا
يَا جزَتْ عَنّي الجَوَازِي مَعشَراً مَلَكوا الوِرْدَ ، فأعطَوْني الجُمامَا
جِئتُهُمْ في جَفوَةِ الدّهرِ ، فَلا أوْصَدوا البابَ وَلا لَطّوا القِرَامَا[4]
ضَرَبَ العِزُّ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ . ثُمّ ألقَى الرّحْلَ فيهِمْ ، وَأقامَا
وَعَمَرْتُمْ آمِنِي رَيْبِ الرّدَى ، يَمطُلُ الخَطبُ بكُمْ عاماً فَعامَا
كُلّمَا خَفَّ إلَيكُمْ حَادِثٌ . غَلّطَ النّهْجَ، وَلَمْ يُعطِ المَرَامَا
مَا رَأيْنَا سِلْكَهَا مِنْ غَيرِكُم جَمَعَ النّثْرَ، وَلا ضَمّ النّظَامَا

١ المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة . اللمام ، الواحدة لمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن
٢ السوس : اسم كورة بالأهواز .
٣ رشتم سهمي : ألزقتم عليه ريشه . اللوام : اللوم .
٤ لطوا : أغلقوا . القرام : الستر الأحمر .

لا طَوَتْ عَنّا اللّيَالي مَنْ غَدا للوَرَى غَيْثاً ، وَللدّينِ قِوَامَا
كُلّمَا رَحّلَتِ اليَوْمَ فَتًى ، نُوَبُ الأيّامِ زَادَتْكَ مَقَامَا

لو لا قوام الدين

قال أيضاً يستعفي بهاء الدولة من تدبير الأعمال التي ناطها به ويسأله صونه عنها ورفعه عن التلبس بها استثقالا لها وزهداً فيها وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٠ :

يا مَنْ رَأى البَرْقَ عَلى الأنْعَمِ يَطْوِي بِسَاطَ الغَسَقِ المُظْلِمِ [1]
مُحْمَرّةً مِنْهُ كِفَافُ الدُّجَى، نَضْحَ جِرَاحِ الفَرَسِ الأدْهَمِ
قَامَ نِسَاءُ الحَيّ يَقْبَسْنَهُ نَاراً مِنَ الإيمَاضِ لمْ تُضْرَمِ
تَطَاوَلَ المُنْجِدُ ضَنّاً بِهِ ، وَقَدْ عَطَا للبَلَدِ المُتْهِمِ [2]
حَتّى رَمَى الإصْبَاحَ في لَيْلَةٍ ، لَفّتْ إزَارَ الرّجُلِ المُحْرِمِ
لا جَازَ مَغْنَاهُمْ بذاتِ النّقَا قَطْرُ الغَوَادي وَطِلالُ السُّمي [3]
وَلَوْا عَلى قَلْبي عَنِيفَ الجَوَى . يُعَاقِبُ القَلْبَ . وَلَمْ يُجرِمِ
اللهَ في طَرْفٍ بِكُمْ دامِعٍ ، دامٍ ، وَقَلْبٍ بِكُمُ مُغْرَمِ

١ الأنعم : موضع بالعالية .
٢ المنجد : القاصد نجداً . عطا : رفع . المتهم : القاصد تهامة .
٣ السمي ، الواحد سماء : المطر .

لا يَتْعَبُ العَاذِلُ في حبِّهِمْ ، قَدْ ذَهَبَ السّهْمُ بقَلْبِ الرّمي
عَيْني مَعَ اليَقظَى غَرَاماً بهِمْ ، وَعَينُ مَنْ يَلْحَى معَ النُّوَّمِ
لَوْلا قِوَامُ الدّينِ ما استَوْسَقَتْ أعْنَاقُهَا في السَّنَنِ الأقْوَمِ[1]
وَلا رَأيْنَا النّجْمَ ذا خِفْيَةٍ ، مِنْ قَارِعِ الحَافِرِ وَالمَنْسِمِ
يُغيرُ للمَجْدِ ، إذا غَيرُهُ أغَارَ للسّلّةِ وَالمَغْنَمِ[2]
لا يَصْحَبُ الأغْمَادَ مَنْ لمْ تزَلْ سيُوفُهُ في حُلَلٍ مِنْ دَمِ
للهِ نَعْلٌ حُذِيَتْ في العُلَى أخْمَصَ ذاكَ العَارِضِ المُرْزِمِ
يَوَدّ لَوْ أصْبَحَ شِسْعاً لهَا ، نِجَادُ عُنْقِ المَلِكِ الأعْظَمِ[3]
أغَرُّ مِنْ غُرٍّ رَبَوْا في العُلَى ، وَأفْصَحُوا بالكَرَمِ الأعْجَمِ
بَنَوْا علَى مُضْطَرِبَاتِ القَنَا ، بِنَاءَ عِزٍّ غَيرِ مُسْتَهدِمِ
تُشَبّ بِالمَنْدَلِ نِيرَانُهُمْ ، لِطَارِقِ اللّيْلِ ، وَلَمْ يُظْلِمِ
لا يُدْفَعُ الأضْيَافُ مِنْهُمْ إلى مَمْنُونِ زَادٍ وَقِرًى مُعتِمِ[4]
قَلّتْ عُيُونُ النّاسِ عَنْ نَيلِهِم، فَعَوّذُوا مِنْ أعْيُنِ الأنْجُمِ
أسَاوِدٌ تُنْتِجُهَا في العُلَى أسْدٌ إلى أمْثَالِهَا تَنْتَمي
فَيَخرُجُ الأرْقَمُ مِنْ ضَيغَمٍ ، وَيَخْرُجُ الضّيْغَمُ مِنْ أرْقَمِ

١ السنن : نهج الطريق .
٢ السلة : السرقة .
٣ الشسع : قبال النعل . النجاد : حمائل السيف .
٤ الممنون : المقطوع . المعتم : البطيء .

سُمِّيَتِ الغَبْرَاءُ في عَهْدِهِمْ حَمْرَاءَ مِنْ طُولِ قُطَارِ الدَّمِ
تَحْمَرُّ مِنْهَا كُلُّ مُخْضَرَّةٍ ، كَأَنَّ لا نَبْتٌ سِوَى العَنْدَمِ
كُلُّ فَتًى يَفْضَحُ أَطْوَاقَهُ ، وَجْهٌ مُضِيءُ الجِيدِ وَالمَلْطَمِ [1]
للبِشْرِ في دِيبَاجِهِ لامِعٌ ، طِرَازُ عَصْبِ اليَمَنِ المُعْلَمِ [2]
قَوْمٌ رِبَاطُ الخَيلِ في دُورِهِمْ ، كَالبُهْمِ في غَامِدَ أَوْ يَقْدُمِ [3]
مِن كُلِّ مَحبوكِ القَرَا مِحصَفٍ أُمِرَّ فَتْلُ الرَّسَنِ المُبْرَمِ [4]
كَأَنَّهُ يَنْظُرُ مُسْتَوْجِساً رَبِيئَةً قَامَ عَلَى مَخْرِمِ [5]
مَتَى أَرَاهَا كَذِئَابِ الغَضَا ؛ تُحَرِّضُ الهَائِبَ بِالمُقْدِمِ
أَعِنَّةُ الفُرْسَانِ أَعْرَافُهَا ، عَجْلَى عَنِ المُسْرَجِ وَالمُلْجَمِ
مِنْ فارِسٍ يَحمِلُ أُسدَ الشَّرَى لِمُلتَقَى يَوْمِ رَدًى أَيْوَمِ
تَرْمي جِبَالُ الثَّلْجِ مِنْ قَدْحِها نَارَ الوَغَى بالشَّرَرِ المُضْرَمِ
أَرْعَنُ قَدْ كَدَّرَ مَاءَ الحَيَا في مُزْنِهِ بِالرَّهَجِ الأَقْتَمِ [6]
يَوْمٌ يَوَدُّ القِرْنُ لَوْ أَنَّهُ يَزِيدُ في الرُّمْحِ مِنَ المِعْصَمِ

١ الملطم : الخد .
٢ الديباج : ثوب سداه ولحمته من الابريسم ، أي الحرير . العصب : من برود اليمن . المع الذي جعل له علم من طراز وغيره .
٣ البهم ، الواحد بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر . غامد : أبو قبيلة وكذلك يقدم .
٤ القرا : الظهر . المحصف : الشديد الركض . أمر : أحكم فتله .
٥ مستوجساً : مستمعاً الصوت الخفي . المخرم : أنف الجبل .
٦ الأهوج : الأحمق . الرهج : الغبار والسحاب بلا ماء . الأقتم : الأسود .

كَمْ قُلَّةٍ مُمْتَنِعٍ طَوْدُهَا   إلاّ عَلى ذي الجُدَدِ الأعْصَمِ[1]
قَدْ أمْسَتِ الحَيْلُ ضُيُوفاً بهَا   للوَعِلِ العَاقِلِ والقَشْعَمِ[2]
ثَلَّمتَهَا كَيْداً ، وكَمْ شابَكَتْ   أيْدِي المَقَادِيرِ ولَمْ تُثْلَمِ
يُخَالُ بَاقِي رَوْقِ أطْوَادِهَا   بَاقِيَ أنْيَابِ فَمِ الأهْتَمِ
قَدْ يَنْفُذُ الحِلْمُ على غَرْزَةٍ   بمُحفِظَاتِ الغَادِرِ المُجْرِمِ[3]
وَطُولُ نَزْفِ النَّغْبِ يَفْنى بِهِ   غَمْرُ جُمَامِ الغَدِقِ المُفْعَمِ[4]
أقْدَمَ للحَيْنِ ، ويَا رُبّمَا   أجلَى الوَغى ، وَالغُنْمُ للمُحجِمِ[5]
يَسلَمُ كَعبُ الرّمحِ مُستَأخِراً ،   وَيُوقِعُ الإقْدامُ باللّهْذَمِ[6]
مَا كَانَ إقْداماً . ولَكِنّهُ   تَسَرُّعُ العَيرِ عَلى الضّيغَمِ[7]
وَلّى ، وَقَدْ أرْدَفَ هَدّارَةً ،   يَقْطَى على اللّيْلِ لَغُوطَ الفَمِ[8]
لا يُؤمَنَنْ . بَعدَ كَلالِ الشَّبَا ،   كَمْ صَائِلٍ بالسّاعِدِ الأجْذَمِ
قَدْ يَهْلِكُ النّسْرُ ، وَفي رِيشِهِ   عَوْنُ الرّدى الجَارِي معَ الأسهُمِ

١ قلة الجبل : أعلاه . الجدد : العلامات ، الواحدة جدة . الأعصم : الوعل في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .
٢ الوعل : تيس الجبل . العاقل : صفة للوعل ، والصاعد . القشعم : النسر العتيق .
٣ الغرزة : ضد الحلم ، الجهل .
٤ النزف : نزح الماء . النغب : حسو الطائر . الغدق : الماء الكثير . المفعم : المملوء . وبكسر العين : المالىء .
٥ الحين : الهلاك . المحجم : المتأخر ، المتردد عن الإقدام .
٦ اللهذم : القاطع من الأسنة .
٧ العير : الحمار وغلب على الوحشي . الضيغم : الأسد .
٨ اللغوط : الكثيرة الجلبة ، والأصوات المبهمة التي لا تفهم .

يُـ... المَالَ ، ويَأبَى الغِنَى ،   إلاّ مِنَ الذّابِلِ والمِخْذَمِ

لا يَدّخِرُ الضّيغَمُ مِنْ قُوتِهِ ،   مَا يَدّخِرُ النّمْلُ مَنَ المَطْعَمِ

لا تَستَشِرْ غَيرَكَ في كَيّهَا ،   قَدْ بَلَغَ الدّاءُ إلى المِيسَمِ

وَاخطُبْ علىسَيفِكَ بِكرَ العُلَى ،   فَقَدْ تَمَلأتَ مِنَ الأيّمِ

حُسَامُكَ النّصْرُ ؛ فَصَمّمْ بِهِ ،   وَدِرْعُكَ الإقْبَالُ ، فَاستَلْئِمِ

لا يُصْلِحُ النّاسَ لأرْبَابِهِمْ ،   غَيرُ بَيَاضِ السّيْفِ وَالدّرْهَمِ

يا مُلْبِسِي النُّعْمَى الّتِي أوْرَقَتْ   عُودي مِرَاراً وكَسَتْ أعظُمي

وَمُطْلِعِي في رَأسِ عَادِيّةٍ   تَخسَأُ طَرْفَ الجَذَعِ الأزْلَمِ[1]

نَزْعُ العُلَى عَنّي كَإلْبَاسِهَا ،   وَالغُنْمُ بالبَذْلَةِ كَالمَغْرَمِ

أكْرَمُ عَنْهَا ، وَبِهَا مَرّةً ،   كِلاهُمَا عِنْدِي مِنَ الأنْعُمِ

وكَيْفَ نَوْمُ المَرْءِ مِنْ تَحتِهِ ،   دونَ الكَرَى مُضْطَرِبُ الأرْقَمِ

بَينَ خِصَافَيْ نَعْلِهِ شَوْكَةٌ   إنْ شَدّدَ الوَطْءَ عَلَيها دَمِي

فَامْلِكْ بِهَا رِقّي وَحَرّرْ بِهَا   عُنقي . وَرِقُّ الحُرّ للمُنْعِمِ

وَحُزْ بِهَا مَا بَقِيَ العُمْرُ لي   صَفَاءَ قَلْبي ، وَصَفَايَا فَمي

غَوْثُكَ مِنها يا غِيَاثَ الوَرَى ،   قَدْ ثَقُلَ العِبْءُ عَلى المَهْرَمِ

صُونُوا بِهَا عِرْضِي وَوَجهي مَعاً ،   صَوْنَهُمَا في الزّمَنِ الأقْدَمِ

لا تَحْسَبُوا أنّي ، عَلى جُرْأتي ،   أحجَمتُ حتّى ضَاقَ لي مَقدَمي

---

١ العادية : البناية القديمة الممتنعة . تخسأ طرفه : تجعله كليلا . الجذع الأزلم : الدهر الشديد البلايا .

مَا لانَ عُودي في يَدَيْ غَيرِهَا ، يَوْماً ، وَلا خَارَ عَلى مَعْجَمِ[1]
عَطْفاً عَلَينا أنْ يَقُولَ امرُؤٌ : إنّ عَلُوقَ المَجْدِ لمْ تَرْأمِ[2]
يُخدَعُ بالشّهْدِ مَذاقُ الفتَى ، وَرُبّمَا آلَ إلى العَلْقَمِ
عَظيمَةٌ نَادَيتُ مِنْ ثِقْلِهَا بالبَازِلِ النّاهِضِ بِالمُعْظَمِ
عَاداتُ إحْسَانِكَ أمْثَالُهَا ؛ قَدْ لَوّمَ الدّهْرُ بِهَا ، فاكرِمِ
وَطُلْ وَصُلْ وَاعْفُ وَهَبْ وَانتقم وَابقَ وَدُمْ وَاعلُ وَثِبْ وَاسلَمِ

كفان من ندى ودم

قال قدس الله تعالى روحه يمدح فخر الملك وكتب بها إليه وهو بفارس :

أحَقُّ مَنْ كَانَتِ النَّعْمَاءُ سابِغَةً عَلَيْهِ مَنْ أسبَغَ النُّعمَى على الأُمَمِ
وَأجدَرُ النّاسِ أنْ تَعْنُو الرّقَابُ لَهُ مَنِ استَرَقّ رِقَابَ النّاسِ بالنّعَمِ
إذا سَمَا فإلى العَلْيَاءِ نَهْضَتُهُ ؛ وَإنْ مَشَى فَعَلَى الأعنَاقِ وَالقِمَمِ
للهِ أمٌّ تَلَقّتْهُ بِرَاحَتِهَا ، مَاذا تَلَقّتْ إلى الدّنْيَا مِنَ الكَرَمِ
في صِبْيَةٍ للمَعَالي كَانَ أوْلَعَهُمْ بالمَكْرُمَاتِ ، وَألقَاهُمْ إلى الدّيَمِ

١ خار : ضعف . المعجم : من عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره ، رخاوته .
٢ العلوق : الناقة التي تعطف على غير ولدها . لم ترأم : لم تحن .

كَمْ غِبتُ عنه، وَما غابَتْ مكارِمُه، وَنِمْتُ عَنْهُ بِآمَالي، وَلَمْ يَنَمِ
لا يُتْبِعُ المَالَ أنْفَاساً مُصَاعدَةً، وَلا يُعيرُ العَطَايَا زَفْرَةَ النّدَمِ
يا مُمْرِضاً بالمَسَاعي قَلبَ حَاسِدِهِ، على العُلى، وَمُداوِي الفَقْرِ وَالعَدَمِ
أقْبَلْتَهَا بِسِيَاطِ العَزْمِ تَحفِزُها للطّعنِ، لا بعِرَاكِ العُذْرِ وَاللُّجُمِ
مِنْ دَوْمَةٍ بِجِبَالِ الغَوْرِ حَامِلَةٍ حَقَائِبَ المَوْتِ للأعْداءِ وَالنِّقَمِ
عَلى قَطَاهُنَّ صَدّارُونَ عَنْ نَهَلٍ مِنَ القَوَاضِبِ وَرّادُونَ للقُحَمِ[1]
طَرِيدَةٌ للعُلَى جَلّى، فَأدْرَكَهَا بَعدَ المِطالِ، جَنَاحُ الأجدَلِ الضَّرِمِ[2]
أقَامَ سُوقَ المَسَاعي، وَهيَ بائِرَةٌ، مَجَالُ عَزْمِكَ بَيْنَ السّيفِ وَالقَلَمِ
فَفي النّزَالِ يَدٌ حَمرَاءُ مِن علَقٍ؛ وَفي النّوَالِ يَدٌ بَيضَاءُ مِنْ كَرَمِ
أعيَا الرّجالَ وَإنْ عَزّوا وَإنْ كَرُمُوا، مَكَانُ كَفّيكَ فيها من نَدًى وَدَمِ

١ القطا : مقعد الرديف من ظهر الدابة . القحم : عظائم الأمور
٢ الأجدل : الصقر . الضرم : الجائع .

لكم حرم الله

قال قدس الله تعالى روحه في بعض الأغراض :

لَكُمْ حَرَمُ اللهِ المُعَظَّم لا لَنَا ، وَبَطْحَاؤهُ وَالأخشَبَانِ وَزَمزَمُ[1]
وَمَا رَدّ شِعْبَ المَأزِمَينِ على مِنًى ، وَجَمعٍ ، وَمَا وَارَى السّتارُ المُحَرَّمُ[2]
لئِنْ لمْ تُصَبِّحْكُمْ بِها مُستَغيرَةٌ ، كَصَكّةِ أنْفِ المَرْءِ يَتبَعُها الدّمُ

من محبس المجد

قال قدس الله تعالى روحه يشكر ملك الملوك قوام الدين على إخراج مكاتبته بالشريف الأجل مضافاً إلى الخطاب بالكناية بعد أن كان الخطاب بالشريف الجليل ابتداء من غير مسألة وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠١ :

ثَوّرْتُهَا تَنْتَعِلُ الظّلامَا ، لا نَقْوَ أبْقَينَ وَلا سُلامَى[3]
قُوداً . إذا اللّيلُ بِهَا تَرَامَى . مَرَقْنَ مِنْ ظَلْمَائِهِ سِهَامَا

١ الأخشبان : جبلان في مكة وهما أبو قبيس والأحمر ، وجبلا منى . زمزم : بئر في مكة
٢ المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة ، وآخر بين مكة ومنى . وجمع اسم لمزدلفة .
٣ النقو : كل عظم له مخ . السلامى : عظام صغار في اليد والرجل .

تُرَجِّعُ الحَنِينَ وَالبُغَامَا ، شكوَى المريضِ ماطَلَ السّقامَا[1]
أعلقتُهَا مِنَ النّدَى زِمَامَا ، لا وَاهِنَ العَقْدِ ، وَلا رِمَامَا
أي غِيَاثَ الخَلْقِ وَالقِوَامَا ، إنّ بِأرْجَانَ لَنَا غَمَامَا[2]
هَا أوْشكِي أنْ تَرِدِي الحِمَامَا غَمْراً ، يَزِيدُ لُجُّهُ التِطَامَا
إنْ نَاطَحَ الأكْرَادَ وَالأرْوَامَا ، يُرَوِّحُ الإحسَانَ وَالإنْعَامَا[3]
إذا الرِّجَالُ رَوَّحُوا الأنْعَامَا ، قَوَّمَ دَرْءَ الدِّينِ فَاستَقَامَا[4]
قَدْ وُلِدَ المَجْدُ لَهُ تَمَامَا ، إذا رَأيْنَا المَلِكَ الهُمَامَا
نَرَى سَرِيراً يَحْمِلُ الأنَامَا ، وَالسّوْدَدَ القُدامِسَ القُدَامَا[5]
إنّ عَلَى أعْوَادِهِ الضِّرْغَامَا تُخدِجُ مِنْ هَيبَتِهِ السُّلامَى[6]
تَعنُو المُلُوكُ حَوْلَهُ إعْظَامَا ، نَستَكْثِرُ اليَوْمَ لَهُ القِيَامَا
أُسْداً تَرَاهَا عِنْدَهُ بِهَامَا . شُلّتْ يَدُ الجاذِبِ ماذا رَامَا[7]
مِنْ بَازِلٍ قَدْ مَنَعَ الخِطَامَا . وَأعْجَزَ الوِرَاكَ وَالزِّمَامَا[8]
لا يَعْرِفُ الرَّحْلُ لَهُ سَنَامَا . وَلّى الأعَادي مَنكِباً حَطّامَا

١ البغام ، من بغمت الناقة : قطعت الحنين ولم تمده .
٢ قوله : أي غياث ، هكذا في الأصل والوزن مختل ولعلها أيا .
٣ يروح : أي يعمل هذا مرة وذاك أخرى ، يراوح بين أمرين .
٤ روحوا : ردوا الإبل إلى المراح ، أي المأوى . الأنعام : الإبل الراعية . الدرء : العوج .
٥ القدامس : الشديد . القدام : القديم .
٦ تخدج : تنقص . السلامى بالضم : كل عظم مجوف من صغار العظام ، وبالفتح : ريح الجنوب
٧ البهام ، الواحدة بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر .
٨ الوراك من الرحل : الموضع الذي يجعل عليه الراكب رجله إذا مل من الركوب .

يَوْمَ الضِّغَاطِ يَأْمَنُ الزِّحَامَا ، مِنْ مَعشَرٍ تَفَرَّعُوا الأعْلامَا
مُطَاوِلاً مَجدُهُمُ الأيّامَا ، حَلّوا القُصُورَ البِيضَ وَالآطامَا
يُخالِطُونَ الشَّرْبَ وَالمُدامَا ، وَالعَازِفَاتِ الغُرَّ وَالنَّدامَى
كَرَائِماً لاقَيْنَهُمْ كِرَامَا ، حَتّى إذا يَوْمُ الرَّدَى أغَامَا
مُحْتَزِماً قَدْ لَبِسَ القَتَامَا، رَأيْتَهُمْ ضَرَاغِماً تَسَامَى
عَلَى الجِيَادِ تُعْلَفُ الإجَامَا في البِيدِ لا ظِلٌّ ، وَلا خِيَامَا
غَدَوْا يُبَارُونَ بِهَا النَّعَامَا ، مُرَابِعِينَ الحَامِلَ الهَمهامَا[1]
مِنْ كُلّ أقْنَى يَنفُضُ اللّجَامَا كالنّصْلِ إلاّ الفُوقَ وَاللُّؤامَا[2]
إنْ قَعَدَ الخَطْبُ إلَيْهِ قَامَا ، حَتّى يُرَوّي الرّمحَ وَالحُسَامَا
يَقظانُ مُذْ ذُمَّ الكَرَى ما نامَا، قَدْ بَعَثُوهُ شَائِماً ، فَشَامَا[3]
مِنْ مَقْبِسِ المَجدِ لهُمْ ضِرَاما جَاءَ بِهِ يَضْطَرِمُ اضْطِرَامَا
حُلّوا الحُبَى بُلّغتُمُ المَرَامَا، سَعيٌ كَفَى الآبَاءَ وَالأعمَامَا
كَمْ قَلّدُوني النِّعَمَ الجِسَامَا، سَوَابِغاً تَرْفَعُ لي الأعلامَا
أمْطَوْنيَ الغَارِبَ وَالسَّنَامَا ، وَطَالَ ما غاظُوا بيَ الأقوَامَا
وَجَدّدُوا الأحْقَادَ وَالأوْغَامَا، هُمْ قَدّمُوني في العُلَى أمَامَا[4]

١ مرابعين ، من رابعه الحمل: أي رفع معه العدل بالمربعة على ظهر البعير . والمربعة: خشبة تستعمل لرفع الحمل . الهمهام : الملك العظيم ، والسيد الشجاع .
٢ الأقنى : المرتفع الأنف . الفوق : موضع الوتر من السهم . اللؤام : السهم الذي عليه ريش .
٣ الشائم،من شام مخايل الشيء: تطلع نحوه ببصره منتظراً له،وشام البرق: نظر إلى سحابته أين تمطر.
٤ الأوغام : الحروب ، والأحقاد الثابتة في الصدور .

وَأخّرُوا عَنْ غَايَتي الإقْداما ، فَذّاً مِنَ النَّعْماءِ أوْ تُؤاما
كالسّلكِ ضَاعَفتَ بهِ النّظَاما ، إلى مَ مَدّ بَحرُكُم إلى مَا ؟
مُلِئتُمُ النَّعْماءَ وَالدّوَاما ، عاماً عَلى رَغْمِ العِدا ، فعَامَا
تُماطِلُونَ القَدْرَ وَالحِمَاما ، شَمْلُ الثّرَيّا ضَمِنَ المَقَاما
طَوْقُ الهِلالِ لا يُرَى انفِصَاما ، لا رَوّعَ الدّهْرُ لَكُمْ سَوَاما
يَوْماً ، وَلا فَضّ لَكُمْ نِظَاما ، حتّى يُلاقي يَذْبُلٌ شَمَاما[1]

لا در در السقام

وكتب إليه في كتاب وقد نالته علة :

يا دَهرُ ! ماذا الطُّرُوقُ بالألَمِ ، حَامٍ لَنَا عَنْ بَقِيّةِ الكَرَمِ
إنْ كُنتَ لا بُدّ آخذاً عِوَضاً ، فَخُذْ حَيَاتي وَدَعْ حَيا الأُمَمِ[2]
لا دَرَّ دَرُّ السّقامِ كَيفَ رَمَى طَبِيبَ آمَالِنَا مِنَ السّقَمِ

١ يذبل وشمام : جبلان .
٢ الحيا : الخصب والمطر .

لون الشباب

قال قدس الله تعالى روحه وقد أسرف بعض حاضري مجلسه في استحسان ما وصف به ابن الرومي الجارية السوداء في قصيدته القافية المشهورة على البديهة في المعنى :

وَلا مِثْلُ لَيلي بالشّقيقَةِ وَالهوَى ، يَضُمُّ إلى نَحْرِي غزَالاً مُنَعَّمَا[1]
خلَوْتُ بكَالغُصْنِ المُرَنَّحِ فتَحتَتْ أعَاليهِ غِبَّ القَطْرِ نَوْراً مُكَمَّمَا
وَأبْيَضَ بَرّاقِ النّظَامِ كَأنّهُ حَصَى بَرَدٍ لَوْ أنّهُ نَقَعَ الظّمَا
فَسقْياً لألمَى ذي غُرُوبٍ تَخالُهُ غزَالاً رَعَى بالنِّيِّ مَرْداً وَعِظْلِمَا[2]
وَلا نَعِمَ الحُمْرُ الشّفَاه كَأنّمَا تَبَطّنَّ داءً ، أوْ وَلَغْنَ بِهَا دَمَا
أحِبُّكَ يا لَوْنَ الشّبَابِ ، لأنّني رَأيتُكُمَا في القَلْبِ وَالعَينِ تَوْأمَا
سَوَادٌ يَوَدّ البَدْرُ لَوْ كَانَ رُقْعَةً بجِلْدَتِهِ ، أوْ شُقّ في وَجْهِهِ فَمَا
لَبَغّضَ عندي الصّبْحَ ما كانَ مُشرِقاً. وَحَبّبَ عندي اللّيلَ ما كانَ مُظلِمَا
سكَنتَ سَوَادَ القَلبِ إذْ كنتَ شِبهَه، فلَم أدرِ مِنْ عِزٍّ مَنِ القَلبُ منكُمَا
وَمَا كانَ سَهمُ الطّرْفِ لوْلا سَوَادُهُ لِيَبْلُغَ حَبّاتِ القُلُوبِ إذا رَمَى
إذا كُنتَ تَهوَى الظّبيَ ألمَى فَلا تَعِبْ جُنُوني عَلَى الظّبيِ الذي كُلُّهُ لَمَى

١ الشقيقة : الفرجة بين الجبلين تنبت العشب .

٢ الألمى : المسود الشفة . النِّي : السمن . المرد : من ثمر الأراك . العظلم : نبت يصبغ به .

ما اطول هذا الغرام

قال قدس الله تعالى روحه الزكية
يذم الزمان في صفر سنة ٣٩٢ :

يا قَلْبِ مَا أطْوَلَ هَذا الغَرَامْ ، يَوْمَ نَوَى الحَيِّ، وَيَوْمَ المُقَامْ
في القُرْبِ لَيّانُ دُيُونِ الهَوَى، وَفي نَوَى الدّارِ رَجيعُ السّقَامْ
مُقيمَةٌ عِنْدَكَ أشْجَانُهُمْ ، وَلا يُلاقُونَكَ إلاّ لِمَامْ
لَمْ يَنْقَعُوا الظّمْآنَ مِنْ غُلّةٍ ، وَلَمْ يُبَالُوا طَرَبَ المُسْتَهَامْ[١]
مَتَى تُفيقُ اليَوْمَ مِنْ لَوْعَةٍ ، وَأنْتَ نَشْوَانُ بِغَيرِ المُدامْ ؟
صَبَابَةٌ ، وَالحَيُّ قَدْ قَوّضُوا عَنْ جَانِبِ الغَوْرِ عِمادَ الخِيَامْ
سَقَى المَغَاني بِجُنُوبِ النّقَا مَاءُ المَآقي ، ثُمّ مَاءُ الغَمَامْ
وَزَائِرٍ زَارَ عَلى نَأيِهِ ، بَعْدَ الأسَى عَادَ بَعيدَ الغَرَامْ
أمَنْزِلٌ عِنْدَ عَقيقِ الحِمَى ، وَمَضْجعٌ عِندي بأعلَى الشّآمْ ؟
زِيَارَةٌ زَوّرَهَا خَاطِرِي ، مَا أقْنَعَ النّفْسَ بِزَوْرِ المَنَامْ
خَدائِعٌ أُغْضِي عَلى عِلْمِهَا ، لَعَلّهَا تَنْقَعُ هَذا الأُوَامْ
يَا قَاتَلَ اللهُ الغَوَاني لَقَدْ سَقَيْنَني الطَّرْقَ بُعَيْدَ الجِمَامْ[٢]

١ الغلة : العطش . الطرب : الحزن .

٢ الماء الطرق : الذي خوضته الإبل . الجمام : معظم الماء .

أعرَضْنَ عَنّي حينَ وَلّى الصِّبَا ، وَاختَلَجَ الهَمُّ بقَايَا العُرَامْ[1]
وَشَاعَتِ البَيْضَاءُ في مَفرِقي ، شَعْشَعَةَ الصّبْحِ وَرَاءَ الظّلامْ
سِيّانِ عِنْدِي أبَدَتْ شيبَةٌ في الفَوْدِ أوْ طبّقَ عَضْبٌ حُسامْ[2]
ألْقَى بِذُلَّ الشّيْبِ مِنْ بَعْدِها مَنْ كُنتُ ألقاهُ بدَلّ الغُلامْ[3]
تُرَى جَميمُ الشّيْبِ لمّا ذَوَى يُرَاجِعُ العِظْلِمَ بَعدَ الثَّغَامْ[4]
كَمْ جُدْنَ بالأجيَادِ لي وَالطُّلى، فَاليَوْمَ يَبْخَلْنَ بِرَدّ السّلامْ
وَكُنتُ إنْ أقبَلْتُ أسْمَعْنَني قَعاقِعَ الحَلْيِ وَرَاءَ القِرَامْ[5]
أيّامَ أغْدُو وَالصِّبَا مِقْوَدِي ، أسْلُسُ للقَائِدِ طَوْعَ الزّمَامْ
في فِتْيَةٍ تَحْسَبُهُمْ لُثّمُوا عَلى العَرَانِينِ بُدُورَ التّمَامْ
تَخَالُ أثْوَابَهُمْ في القَنَا مِنْ شَطَطِ الخَلْقِ وَمطّ القَوَامْ[6]
إذا دَعَوْا وَالوِرْدُ مُسْتَوْبَلٌ ، دَفّوا إلى الطّعْنِ دَفيفَ النَّعَامْ[7]
وَظَاهَرُوا النَّقْعَ على زَغْفِهِمْ، وَرَجّلُوا بالدّمِ سُودَ الجِمَامْ[8]
وَصَاحِبٍ في الحَيّ جَثّامَةٍ ، مُعَانِقِ الخفْضِ ، بَطِيءِ القِيامْ

١ اختلج : انتزع . العرام من العظم : العراق ، أكل اللحم كله .
٢ الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن .
٣ الدل : التدلل .
٤ جميم الشيب : كثيره . الثغام : نبات يكون بالجبال ، إذا يبس ابيض ويشبه به الشيب .
٥ القرام : الستر الأحمر .
٦ الشطط : تجاوز القدر المحدود . مط : مد .
٧ دفوا : أسرعوا .
٨ الزغف : الدروع . الجمام ، الواحدة جمة : مجتمع شعر الرأس .

لَبّاسَةٍ للعَــارِ لا يَـأنَفُ الـ ذُلَّ ، وَلا يَـألَـمُ حَرَّ اللِّطَامْ
قَدْ عَاقَدَ العَجزَ عَلى أنّهُ يَهُونُ في الضّيمِ بطُولِ المَلامْ
لا يَعْقُدُ المِئْزَرَ في حَادِثٍ ، وَلا يَرَى النّصرَ، وَلَوْ بالكَلامْ
نَابٍ ، إذا جَرّبْتَهُ في العِدَا ، وَهوَ على عُنقيَ ماضٍ هَذَامْ[1]
إذا رَأى وَطْفَاءَ عُلْوِيّـةً أيقَظَني شَائِمَ بَرْقٍ وَنَامْ
مِنْ مَعْشَرٍ شَبّوا على إحْنَتي، وَأُوجِرُوا بُغضِيَ عندَ الفِطامْ[2]
أقارِبٌ ، إنْ وَجَدُوا غَمرَةً ، رَاشُوا إلى قَلْبي مِرْطَ السّهَامْ[3]
وَيَعْرُقُوني بِالأذَى كُلّمَا لانَ لَهُمْ مَسّيَ عَرْقَ العِظَامْ
جِوَارُهُمْ مِثْلُ نَسيمِ الصَّبَا ، وَغَيْبُهُمْ مِثْلُ أجيجِ الضّرَامْ
سَمَاؤهُمْ تَشْمُسُ بي كُلّمَا أظْلَمَ جَوٌّ ، وَبجُودي تُغَامْ
سَيَذْكُرُوني إنْ نَبَا جَانِبٌ مِنَ العِدا ، وَانحَلّ عَقدُ الزّمَامْ
وَأصْحَرَتْ أعْرَاضُهُمْ لِلأذَى ، تُصْرِدُ فيهِنّ نِبَالُ المَرَامْ[4]
مَنْ لَهُمُ مِثْلي ، إذا استُزْلِقَتْ أقْدامُهُمْ يَوْمَ ذَلِيلِ المَقَامْ
مَنْ لَهُمُ مِثْلي ، إذا أصْبَحُوا بِعارِضٍ يَهضِبُ بِيضاً وَلامْ[5]
وَشَلّتِ الأرْمَاحُ مِنْ أرْضِهِمْ ، طَرْدَ الغَوَاني بَعدَ طَرْدِ السّوَامْ

١ الهذام : السيف القاطع .
٢ الإحنة : الحقد . أوجروا : أراد أشربوا ، أرضعوا .
٣ غمرة الشيء : شدته ومزدحمه . المرط من السهام : ما لا ريش عليه .
٤ أصحرت : برزت إلى الصحراء لا يسترها شيء . تصرد : تخطىء ، وتنفذ .
٥ يهضب : يمطر . اللام : الدروع .

وَالخَيلُ تُستَلدَغُ شَوْكَ القَنَا ، في يَوْمِ لا ظِلٌّ بِغَيرِ القَتَامْ
كَأنّهَا سَيْلُ مَضِيقٍ لَـهُ دُونَ الثّنَايَا زَجَلٌ وَازْدِحَامْ
لأُطْعِمَنّ اللّيْلَ عِيدِيّةً ، ضَابِعَةً تَكْسُو البَرَى باللُّغَامْ [1]
مِثْلَ نَعَامِ الدّوّ هَاهَا بِهِ مَعَ الدُّجَى بَارِقُ حَيّ رُكَامْ
آلَيْتُ لا أحْفِلُ في نَصّهَا إنْ مَرَجَ الغَرْضُ وَرَثّ الخِطامْ [2]
فَوْقَ ذُرَاهَا كَصُدُورِ القَنَا مُخلَصَةٌ مِنْ كُلّ عابٍ وَذامْ
عَلّي ألاقي بَعْدَ إطْرَادِهِ حَظّيَ أوْ أبْلُغَ بَعْضَ المَرَامْ
يا دَهْرُ كَمْ تَحدُو بِذِي نُقْبَةٍ مُعْتَرَقِ النّيّ أجَبِّ السّنَامْ [3]
بِصَفْحَتَيْهِ جُلَبٌ قُرّفَتْ ، مِنَ اللّيَالي ، وكُلُومٌ دَوَامْ [4]
قَدْ أُغبِطَ المَيْسُ عَلى عَقْرِهِ مَعَ نَقَبِ المَنْسِمِ عَاماً ، فَعَامْ [5]
في كُلّ يَوْمٍ نَاشِدٌ هِمّـةً أضَلّهَا العَاجِزُ في ذا الأنَامْ
يَعَضُّ كَفّيْهِ عَلى حَظّهِ ، وَيَسْألُ الدّهرَ حُظُوظَ اللّئَامْ
يَجُرُّ طِمْرَيْ عَدَمٍ فِيهِمَا ، مُعَذَّلٌ يَفْعَلُ فِعْلَ الكِرَامْ

١ العيدية : الناقة المنسوبة إلى العيدي بن مهرة بن حيدان . الضابعة : المادة أضباعها ، أي أعضادها ، في السير . البرى : التراب . اللغام : لعاب الجمل .

٢ نصها : استخراج أقصى ما عندها من السير . مرج : قلق واضطرب . الغرض : حزام الرحل .

٣ النقبة : أول الجرب . المعترق : قليل اللحم . الني : الشحم . أجب : مقطوع .

٤ جلب ، الواحدة جلبة : القشرة تعلو الجرح . قرفت : قشرت . وكلوم دوام : جراح دامية .

٥ الميس : التبختر . العقر : أثر كالحز في قوائم الإبل . والنقب : رقة خف البعير . المنسم : خف البعير .

لا ضَائِعٌ في الدّهْرِ منْ ذِلّةٍ ، وَلا خَذُولُ الرِّجلِ يَوْمَ الزّحَامْ
لَوْ أنْصَفَ الدّهْرُ لأوْفَى بِهِ عَلى رِقَابٍ مِنْ رِجَالٍ وَهَامْ
وَمَا انْتِفَاعُ المَرْءِ يُمْسِي لَهُ جَدٌّ وَرَاءٌ ، وَطِلابٌ أمَامْ
وَكَانَ رَاعِي كُلّ تَرْعِيَةٍ في النّاسِ ، أوْ كانَ إمامَ الإمَامْ

عز كلبدة الضرغام

قال رضي الله تعالى عنه وهي مرثية لبعض أصدقائه من العرب وقتله رجل من بني تميم :

لَعَمرُ الطّيرِ ، يوْمَ ثوَى ابنُ لَيلى ، لَقَدْ عَكَفَتْ عَلى لَحمٍ كرِيمِ
وَإنّ قَنَا العِدا لَيَرِدْنَ مِنْهُ دَماً لَمْ يَجْرِ في عِرْقٍ لَئيمِ
كَأنّ الرّمْحَ يَصْدُرُ مِنْهُ عَدْواً عَنِ الأجَميّ ذي اللِّبَدِ الكَليمِ[1]
وَأُقْسِمُ أنّ ثَوْبَكَ ، يا ابنَ لَيلى ، لَمَجْمُوعٌ عَلى عِرْضٍ سَليمِ
رُزِئْتُكَ كَالوَذِيلَةِ لمْ تُمَتَّعْ بهَا ، بَعدَ الوُجُودِ ، يَدُ العَديمِ[2]
تَنَامُ ، وَتَترُكُ الأضْغانَ يَقظَى خُمَاشَاتُ الذّوَابِلِ في تَميمِ[3]

١ الأجمي : المنسوب إلى الأجمة : الشجر الكثير الملتف . ذي اللبد : الأسد .
٢ الوذيلة : القطعة من الفضة المجلوة .
٣ الخماشات من الجراحات : ما ليس لها ارش معلوم .

إذا نَزَعُوا المَلابِسَ أذْكَرَتْهُمْ دُخُولَ يَدَيْهِ آثارُ الكُلُومِ
وَمَنْ مَطَلَ الدّيُونَ أعَدّ صَبراً عَلى عَنَتِ المُطَالِبِ وَالغَرِيمِ
تَدَاعَتْ لي بِمَصْرَعِهِ اللّيَالي ، وَأوْعبَتِ النّوَائِبُ في أدِيمِي
وَنَابَتْ رَأسِيَ الوَفَرَاتُ حَتّى تَطَأطَأ ، حنوَةَ الرّجلِ الأميمِ[1]
وَتَقتَرِنُ القَوَارِعُ في جَنَاني ، قِرَانَ النَّبْلِ في الغَرَضِ الرّجيمِ
أألجْزَعُ إنْ حَطَمْنَ حِجازَ أنْفي ، وَهُنّ يَقِصْنَ أعنَاقَ القُرُومِ[2]
وَمَا لي لا أُرَاعُ ، وَقَدْ رَمَتْني يَدُ الجُلّى بِقَارِعَةِ التّميمي[3]
أحِنُّ إلَيْهِ ، وَاللُّقْيَا ضِمَارٌ ، حَنِينَ العَوْدِ للوَطَنِ القَدِيمِ[4]
وَأنْشُدُهُ ، وَأعْلَمُ أينَ أمْسَى ، مِطَالاً للبَلابِلِ وَالهُمُومِ
كَأدمَاءِ القَرَا نَشَدَتْ طَلاها ، وَمَا وِجْدَانُ جَازِيَةٍ بَغُومِ[5]
تُطِيعُ اليَأسَ ثمّ تَعُودُ وَجْداً إلَيْهِ ، بالمَقَصّةِ وَالشّمِيمِ[6]
يُعَارِضُني بِذِكْرِكَ كُلُّ شَيْءٍ ، عِدَادَ الدّاءِ غَبَّ عَلى السّلِيمِ
أجِدَّكَ أنْ تَرَى بَعدَ ابنِ لَيلى طِعَاناً بَينَ رَامَةَ وَالغَمِيمِ

١ تطأطأ : انخفض . الأميم : الذي أصيبت أم رأسه .
٢ يقصن : يكسرن .
٣ قوله : التميمي ، لعله يشير إلى متمم بن نويرة التميمي ، والقارعة التي أصيب بها هي مقتل أخيه مالك ، قتله خالد بن الوليد في حرب أهل الردة .
٤ الضمار : الذي لا يرجى عوده .
٥ ادماء : أي ظبية بيضاء . نشدت : طلبت . طلاها : ولدها . الجازية : البقرة الوحشية . البغوم : التي تصيح لولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
٦ المقصة ، من قص أثره : تتبعه . الشميم : الشم .

وَلا نَقْعاً يَثُورُ عَلى مُغِيرٍ ، وَلا بَيْتاً يَظَلُّ عَلى مُقِيمِ
وَلا لَجَّ الصَّهِيلَ مُسَوَّمَاتٌ مَجَجنَ دَماً على عَلْكِ الشَّكِيمِ
جَعَلْنَ ثِيَابَ بِذْلَتِها الدَّيَاجي، وَقَسْطَلَهَا غِمَاداً للنُّجُومِ
وَلا أسَلاً إسِنَّتُهَا ظِمَاءٌ ، مُنِعْنَ مَنَابِتَ الكَلإِ العَمِيمِ
وَلا عُوداً مِنَ الأحْسَابِ يُمسِي نَقِيَّ اللِّيطِ مِنْ عُقَدِ الوُصُومِ[1]
فَكَانَ كَلِبدَةِ الضِّرْغَامِ عِزّاً، إذا ذَلّ المُوَقَّعُ للخُصُومِ
إذا أرْعَى بِأرْضٍ لَمْ تَجِدْهُ يُشَارِكُ في الجِمَامِ وَفي الجَمِيمِ
أأرْجُو للحَوَاضِنِ كابنِ لَيلَى ، أحَلْتُ ، إذاً ، عَلى بَطنٍ عَقِيمِ

الكرامة لا المكرمات

قال رضي الله تعالى عنه يمدح الخليفة الطائع لله ويعاتبه على تأخير الإذن له في لقائه بمجلس خاص وقد اتصلت المواعيد بذلك وذلك من قبل أن يصل إليه ويخلع عليه وذلك سنة ٣٧٩ :

ضَرَبْنَ إلَيْنَا خُدُوداً وِسَامَا ، وَقُلْنَ لَنا: اليَوْمَ مُوتوا كِرَامَا
وَلا تَبْرُكُوا بِمُنَاخِ الذّلِيلِ ، يُرَحِّلُهُ الضّيمُ عَاماً ، فَعَامَا
إلى كَمْ خُضُوعٌ لِرَيْبِ الزّمَانِ ، قُعُوداً ، ألا طَالَ هَذا مَنَامَا

١ الليط : قشر القصب . الوصوم : العقد في العود ، الواحد وصم .

وَلا أنْفَ تَحْمي لهَذا الهَوَانِ ، وَلا قَلْبَ يَأنَفُ هَذا المَقَامَا
فإنْ رَابَكُمْ مَا يَقُولُ النّصِيحُ، فسالُوا القَنا ،وَاستَشيرُوا الحُسامَا[1]
وَأدْنُوا العَلِيقَ إلى المُقْرَبَاتِ ، تَقُلْ لَكُمُ لَيسَ إلاّ اللّجَامَا
تَيَقّظْتُمُ لِدِفَاعِ الخُطُوبِ، فَلِمْ تَترُكُونَ الأعَادِي نِيَامَا
ألَسْنَا بَني البِيضِ مِنْ هاشِمٍ أعَزَّ جَنَاباً وَأوْفَى ذِمَامَا
وَمَا تَفْتَلِينَا المَنَايَا غُلامَاً يُؤمَّلُ إلاّ افْتَلَيْنَا غُلامَا[2]
لَنَا كُلُّ مُغْتَرِبٍ في العَلا ءِ لا يَطْرُقُ الحَيَّ إلاّ لِمَامَا
وَقَدْ كَانَ إنْ شَمّ ضَيْماً أبَى ، فَمِنْ أينَ عُلّمَ هَذا الشِّمَامَا
إلى الطّائِعِ العَدْلِ أعْمَلْتُهُنّ سَوْمَ القَطا يَدّرِعنَ الظّلامَا[3]
كَأنّي أرُوعُ بِهَا جِنّـةً ، إذا التَبَسَتْ بالدُّجَى، أوْ نَعَامَا[4]
يَقُولُ الرِّفَاقُ ، إذا رَجّعَتْ مِنَ الأينِ جَرْجَرَةً أوْ بُغَامَا[5]
لَكَ اللهُ جَعْجِعْ بأنضَائِهِنّ تُعَفَّ السّنَامَ وَتَنْقِ السُّلامَى[6]
إلى أينَ خَلْفيَ أثْني العِنَانَ ، إذا مَا وَجَدْتُ أمَامي إمَامَا

١ سالوا : مسهل اسألوا .
٢ تفتلينا ، من افتلاه : فطمه وعزله عن أمه .
٣ أعملتهن : سقتهن . السوم : سرعة المر .
٤ الجنة : الجان .
٥ الأين : التعب . الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته . البغام ، من بغمت الناقة: قطعت الحنين ولم تمده .
٦ جعجع : أنخ . أنضائهن ، الواحد نضو : المهزول . تعف ، من عفاه : محاه . تنق ، من نقى العظم : استخرج مخه .

إذا مَا أنَخْنَا إلى ابنِ المُطيعِ　　　حَمِدْنَا السُّرَى وَأطَلْنَا المُقَامَا

إمَامٌ تَرَى سِلْكَ آبَائِهِ ،　　　بُعَيْدَ الرّسُولِ ، إمَاماً إمَامَا

يَعُدُّ لِعَلْيَائِهِ هَاشِماً ،　　　إذا مَا الأذِلاّءُ عَدّوا هِشَامَا

مِنَ الرّاكِزِينَ الرّمَاحَ الطِّوَا　　　لَ ، وَالرّافِعِينَ العِمَادَ العِظَامَا

إذا مَا بَنَوْا بَيْتَ أُكْرُومَةٍ　　　أطالوا السُّموكَ وَمَدّوا الدِّعَامَا[1]

مَعَ الشّمسِ قَدْ فَرَشُوهُ نجُوماً　　　مِنَ العِزّ أوْ ظَلّلُوهُ غَمَامَا

كَأنّكَ تَلْقَى بُدُوراً تُضِيءُ ،　　　إذا طَلَعُوا ، أوْ قُرُوماً تَسَامَى

هُمُ استَيقَظوا وَحدَهم للخُطُوبِ،　　　فَقَامُوا بهَا . وَأنَامُوا الأنَامَا

لَهُمْ نَسَبٌ كَاشتِبَاكِ النّجومِ　　　تَرَى للمَنَاقِبِ فِيهِ ازْدِحَامَا

مُضِيءٌ كَشَعشَعَةِ المَشرَفيّ ،　　　يَنْفي الظّلامَ ، وَيَأبَى الظِّلامَا[2]

يَزُرّ السّمَاحُ عَلَيهِ الشُّفُوفَ .　　　وَيُلْبِسُهُ العِزُّ بَيْضاً وَلامَا[3]

عَلَيْهِ مِنَ المُصْطَفَى لامِعٌ　　　يُمِيطُ الأذَى وَيُجَلّي القَتَامَا

إذا أنْشَأُوا للعِدَا عَارِضاً　　　أسَالَ بِوَادِيهِمُ ، أوْ أغَامَا

وَبَاتُوا قَدِ اكتَحَلُوا بالطّعَانِ ،　　　وَقَدْ رَجّلُوا بالنّجيعِ الجُمَامَا[4]

وَطَارَتْ بِقَلْبِهِمُ المُقْرَبَا　　　تُ تَرْكَبُ أعقَابُهُنّ القُدَامَا

١ السموك ، الواحد سمك : السقف ، أو من أعلى البيت إلى أسفله .

٢ المشرفي : السيف ، نسبة إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب . الظلام بالكسر : الظلم .

٣ الشفوف : الأثواب الرقيقة . البيض ، الواحدة بيضة : الخوذة . اللام ، الواحدة لأمة : الدرع

٤ رجلوا : سرحوا . النجيع : الدم . الجمام ، الواحدة جمة : مجتمع شعر الرأس .

وَقَدْ طَوَّحَ الألمَعيُّ العِنَانَ مِنَ الرَّوْعِ ، وَالأعوَجيُّ الحِزَامَا[1]
كَأنَّ الرِّمَاحَ بِأعْجَازِهَا ، يَمَانِيَةٌ تَسْتَهِلُ الغَمَامَا[2]
شوَاحٍ مِنَ الطّعْنِ أفْوَاهَهَا ، كمَا جرّتِ النّاصِحُونَ الجِلامَا[3]
رَمَوْا في بُيُوتِهِمُ جَمْرَةً ، أطَالُوا القُعُودَ لهَا وَالقِيَامَا
إذا ذَكَرُوا الوِترَ حَزّوا الرِّقَابَ ، وَإنْ ذَكَرُوا العَفوَ جَزّوا اللِّمَاما[4]
عَلاؤكَ أعظَمُ مِنْ أنْ يُرَامَ ، وَمَجْدُكَ أمْنَعُ مِنْ أنْ يُضَامَا
وَأنْتَ المُعَظَّمُ في هَاشِمٍ ، إذا مَا بَدا بَادَرُوهُ قِيَامَا
وَأخْلَوْا لَهُ مُعْشِبَاتِ العَلاءِ يَرْعَى الجَميمَ وَيُسقى الجِمَامَا
مَشَيتَ البَرَاحَ ، وَرَاحَ الذّليلُ يُوصِدُ بَاباً ، وَيُرْخي قِرَامَا
وَمَا كُنتُمُ ،الدّهْرَ،إلاّ الرِّعَاةَ ، وَلا سَائِرُ الخَلْقِ إلاّ السَّوَامَا
حَلَفْتُ بِهَا كَقِسِيِّ النَّبَاعِ تَحسَبُ أعنَاقَهُنّ السِّهَامَا
كَحَافِلَةِ المُزْنِ آنَسْتُهَا مُسَمَّحَةً في قِيَادِ النُّعَامَى
وَكُلُّ فَنِيقٍ إلى نَاقَةٍ يُسَاقِطُهَا زَبَداً ، أوْ لُغَامَا
وَكُلُّ ابنِ لَيْلٍ عَلى مُقرَمٍ ، إذا مَا وَنَى زَاغَ مِنهُ الزِّمَامَا
وَلِلرَّحْلِ لَحْيَانِ في دَفّهِ ، إذا اجلَوّذَ اللّيْلُ لاكَ السَّنَامَا[5]

١ الألمعي : الذكي ، المتوقد الذهن ؛ وهو هنا اسم فرس ، وكذلك الأعوجي ، وكان لبني هلال .
٢ يمانية : أي بروق يمانية . تستهل : تستمطر .
٣ شواح أفواهها : فاتحات أفواهها . الناصحون : الخياطون . الجلام ، الواحد جلم : المقص .
٤ الوتر : الثأر ، أو الظلم .
٥ اجلوذ الليل : ذهب .

يَبِيتُ كَأنّ بِهِ أوْلَقاً ، مِنَ السَّيرِ ، أوْ خابِلاً ، أوْ عُدَاما[1]
يُؤدّي أُشَيْعِثَ جَمَّ الهُمُومِ ، حَرَاماً يُزَاوِلُ أرْضاً حَرَاما
كَنَصْلِ اليَمَانيّ أبْلَى القِرَابَ ، وَمَا أضْمَرَ الغِمْدُ مِنهُ كَهَاما
يُبَيِّنُ للمَجْدِ في وَجْهِهِ سُفُوراً ، وَلَمْ يَنضُ عَنهُ اللّثَاما
وكَبَّ الهَدِيَّ لأذْقَانِهِ ، يَؤمّ بِهِ زَمْزَماً وَالمَقَاما
تَخَالُ النّجِيعَ لِهَذا صِداراً ، إذا مَا جرَى ، وَلِهَذا زِمَاما
لأنْتُمْ أعَزُّ عَلى مُهْجَتي مِنَ المَاءِ يَنْقَعُ مِنْهُ الأُوَاما
وَإنّي ، وَإنْ كُنْتُمُ في البِلا دِ ، أنْأى دِيَاراً وَأبْدَى خِيَاما
ألَيسَ أبُوكُمْ أبي ، وَالعُرُوقُ تُخَلّطُ لَحْمي بِكُمْ وَالعِظَاما
نَبَتْنَا مَعاً ، فَالتَقَيْنَا عُرُوقاً ، بأرْضِ العُلى ، وَاختَلَطْنَا رُغَاما
إذا عَمّمَ المَجْدُ هَامَاتِكُمْ ، كَفَانيَ لَوْثاً بِهِ وَاعتِمَاما
لَئِنْ كَانَ شَخصِيَ في غَيرِكُمْ ، فَإنّ لِقَلْبيَ فيكُمْ مَقَاما
وَإنّ لِسَاني لَكُمْ وَالثّنَاءَ ، وَإنّ وُلُوعي بِكُمْ وَالغَرَاما
وَكُنْتُ زَمَاناً أذُودُ المُلُوكَ عَنِ السّلْكِ رَقرَقتَ فيهِ النّظَاما
أُرِيدُ الكَرَامَةَ لا المَكْرُمَاتِ ، وَنَيلَ العُلى لا العَطايا الجِسَاما
فَحُوزُوا العَقَائِلَ عَنْ خاطِرِي ، إلى مَ أُمَاطَلُ عَنْهَا إلى مَا ؟
لَقَدْ طَالَ عَتْبي عَلى نَاظِرٍ رَأى بَارِقاً غَيرَ دانٍ ، فَشَاما

[1] الأولق : الجنون . الخابل : الجني . العدام : الفقر ، الفقدان .

إلى كَمْ أُجَدّدُ وَجْدي بكُمْ ،   وَأَعْلَقُ مِنكُمْ حِبَالاً رِمَامَا
أَزِيدُ مَعَاقِدَهَا مِرّةً ،   وَتَأبَى العَلائِقُ إلاّ انجِذامَا
وَإنّي أعُوذُ بِكُمْ أنْ يَعُودَ   حُبَابي قِلًى ، وَثَنَائي مَلامَا
فَهَلْ صَافِقٌ ، فَأبيعَ العِرَا   قَ غيرَ غَبِينٍ وَأشرِي الشّآمَا ؟
إذا لَمْ أزُرْ مَطْلَعَ المَكْرُمَا   تِ قَدْ أخَذَ البَدْرُ فيهِ التّمَامَا
فَأُلْبِسُ عِطْفَيّ ذاكَ الجَلالَ ،   وَأُورِدُ عَيْنَيّ ذاكَ الهُمَامَا
فَمَا أحْفِلُ الخَطْبَ مِنْ بَعدِها   إذا جَلّ بَلْ لا أُبَالي الحِمَامَا
أتُرْوَى الغَرَائِبُ مِنْ وِرْدِكُمْ ،   وَذَوْدي عَلى جَانِبَيْهِ يُظَامَى
فَلا تُنْكِرُوا قُلْعَةً مِنْ فَتًى ،   أقَامَ عَلى مَطْلِكُمْ مَا أقَامَا[1]
سَلامٌ ، إذا لَمْ يَكُنْ لُقْيَةٌ ،   وَإنّ يَداً أنْ تَرُدّوا السّلامَا !

رب اح

رُبّ أخٍ لي لَمْ تَلِدْهُ أُمّي ،   يَنفي الأذَى عنّي ، وَيَجلو هَمّي
وَيَصْطَلي دُونيَ بِالمُلِمّ ،   إذا دُعيتُ اشتَدّ ماضِي العَزْمِ
كَأنّ مَا قَالَ مُنَادٍ باسمي

١ القلعة : المال العارية .

شكوى

لا أشتَكي ضُرّي مِنَ الـ نّاسِ، وَهُمْ مَنْ أعلَمُ
إنّ إلَهاً مَسّ بِالـ ضّرّ جَوَادٌ مُنْعِمُ
أشْكُو الّذي يَرْحَمُني إلى الّذي لا يَرْحَمُ

المال

قَدْ يَبْلُغُ الرّجُلُ الجَبَانُ بِمَالِهِ مَا لَيسَ يَبلُغُهُ الشّجَاعُ المُعدِمُ
لا تَخْدَعَنْ عَنهُ فَرُبَّ ضَرِيبَةٍ يَنبُو الحُسامُ بهَا وَيَمضِي الدّرْهَمُ

الدخيل المجمجم

قال رضي الله تعالى عنه :

وَلي كَبِدٌ من حُبّ ظَمياءَ أصْبَحتْ كَذي الجُرْحِ يُنكى بعدَما رَقأ الدّمُ[1]
أصَابَ الهوَى قلباً بَعيداً مِنَ الهوَى، وَمَا كُلُّ مَنْ يَبغي السّلامَةَ يَسلَمُ
أجَمجِمُ عَنْ عُوّادِ قَوْميَ عِلّتي ، وَحُبُّكُمُ ذاكَ الدّخيلُ المُجَمجَمُ[2]

النعم تفسد القوم

قال رضي الله تعالى عنه في غرض
آخر وذلك في شعبان سنة ٣٩٤ :

أبَا نِزَارٍ تُفْسِدُ القَوْمَ النِّعَمْ ، غَفّلَكَ الوُجْدُ ، وَزَكّاني العَدَمْ[3]
تُرَمّمُ المَالَ ، وَبالعِرْضِ ثُلَمْ ، إنّي ، إذا رَاحَتْ عَلى الحَيّ النَّعَمْ

١ الظمياء من الشفاه : الذابلة في سمرة ، ومن العيون الرقيقة الأجفان . ينكى : يقشر قبل أن يبرأ . رقأ : خف وسكن .
٢ أجمجم : أخفي في صدري .
٣ غفلك : صيرك غافلا . الوجد : الغنى . زكاني : طهرني ، وأصلحني ، جعلني زكياً ، أي نامياً طيباً . العدم : الفقر

رَاحَ عَلى بَيْتَي الثّنَاءُ وَالكَرَمْ ، لا سَلِمَ المَالُ ، إذا العِرْضُ سَلِمْ
قَدْ كُنْتُ نَادَيْتُكَ ،وَالأمْرُ أَمَمْ ، أمَا تَرَى خَلفُ عقَابيلَ الظُّلُم[1]
لَوْثُ خِمَارِ الصّبحِ فيرَأسِ العَلَمْ ؛ نَفْسَكَ إنّ الخَيلَ بالقَوْمِ زِيَمْ[2]
انجُ فَعَنْ لَفتَتِكَ الرّمحُ الأصَمّ ، نَاشَدْتُكَ اللهَ وَتَحْنَانَ الرَّحِمْ
وَقُلْتُ حِدْ عَن مَنهجٍ غَيرِ لَقَمْ ، فَلَمْ تُطِعني ، رُبَّ رَأيٍ مُتّهَمْ
سَمعُكَ وَاعٍ ، وَبِعَقْلِكَ الصَّمَمْ ، حتّى لَقيتَ خَطفَةَ البازِي الضَّرِم[3]
أُمَّ الدُّهيمِ حَامِلاً بِنتَ الرَّقَمْ ، أمَرَّهَا المِقْدارُ إمْرَارَ الوَذَم[4]
أُفْلِتَّ مِنْهَا بَعْدَ إنْشَابِ القَدَمْ ، وَبَعدَمَا ضَاقَ عَلَيكَ المُزْدَحَمْ
مُنفَلَتَ الأُظْفُورِ مِن شَقّ الجَلَمْ ، أقسَمْتُ بالبَيْتِ الحَرَامِ وَالحُرُمْ
وَبالمُلَبّينَ غَدَوْا شُعْثَ اللِّمَمْ ، عَلى رَذايَا مِنْ وَجًى وَمِنْ سَأم[5]
يَطلَعنَ مِنْ أجبَالِ رَضْوَى وَخِيَمْ بهَا وَقَارٌ بَعدَمَا كَانَ لَمَم[6]
وَمَا جَرَى بالخَيفِ مِنْ دَمعٍ وَدَمْ ، يَوْمَ يُطِيرُ النّاسُ غِرْبانَ الجُمَمْ
حَيثُ تَرَى تِلكَ المَجَالي وَالقِمَمْ ، يُمْسِينَ غِرْبَاناً ، وَيَغدُونَ رَخَم[7]

١ الأمم : القريب . خلف : مبنية على الضم لانقطاعها عن الإضافة . العقابيل : الشدائد .
٢ زيم : متفرقة .
٣ الضرم : الجائع .
٤ أم الدهيم : الداهية ، وكذلك الرقم . الوذم : السيور التي بين آذان الدلو .
٥ الرذايا : أراد الإبل الضعيفة المهزولة . الوجى : الحفا .
٦ رضوى : جبل . اللمم : الجنون .
٧ الرخم ، الواحدة رخمة : طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة .

وَالمُسْتَجَارُ بَعْدَ ذا وَالمُلْتَزَمْ ... تَلْقَى بِهِ لِأُمَمٍ بَعدَ أُمَمْ
مُفتَرِقاً لا عَنْ قِلىً وَمُصْطَدَمْ ... صَكَّ المُجيلِ زَلَماً بَعدَ زَلَمْ [1]
لأَصْدَعَنْ عِرْضَكَ صَدعاً لا يُلَمّ ، ... عَطّاً كَمَا عَطّ الفَزَارِيُّ الأَدَمْ [2]
دَبيبُ نَارِ القَيْنِ طَارَتْ في الفَحَمْ . ... أَقْرَعُ فيهِ بِشَبَا طَعْنٍ وَذَمّ
نَهزُ الدّلاءِ تَلتَقي ، وَالمَاءُ جَمّ ؛ ... وَيلٌ إذاً ، يَوْمَ النّطاحِ ، للأجَمّ
كَم يَلبَثُ الأَصْلُ على ضَرْبِ القُدُمْ . ... عُرّضْتَ مِنّي لِبَصِيرٍ بالقِيَمْ [3]
حَامي الأُوَارِ مُنضِجٌ إذا وَسَمْ ، ... آسي الحَفيظَاتِ ، إذا الدّاءُ أَلَمّ
عَاجَلَ أدْوَاءَ العُرُوقِ ، فحَسَمْ ... حَشْحَشَةَ الذّئْبِ عَوَى مِنَ القَرَمْ [4]
آنَسَ وَهْناً نَسْمَ رِيحٍ ، فَنَسَمْ ، ... مَاضٍ عَلى اللّيْلِ ، إذا لمْ يَرَ شَمّ
مَنْ أسقَمَ النّاسَ رَمَوْهُ بالسّقَمْ ، ... وَمَنْ رُمي بالمُوقِظَاتِ لَمْ يَنَمْ
كَمْ ضَافَ رَحْلي منكُمُ طارِقَ هَمّ ، ... بِتُّ لَهُ أَخْطِمُ دائي وَأَزُمّ
تَوَجُّسَ اللّيثِ استَرَابَ بِالأَجَمْ ، ... أَهدُرُ عَنْ شِقْشِقَةِ العَوْدِ القَطِمْ
حَتّى رُميتُ ، رُبَّ نَبلٍ عَنْ كَلِمْ : ... إنّ هُمُومَ القَلْبِ أَعْوَانُ الهِمَمْ
قَدْ يَقْدَعُ المَرْءُ وَإنْ كانَ ابنَ عَمّ . ... وَيَقطَعُ العُضْوَ الكَريمَ لِلألَمْ [5]

١ المجيل : الذي يجيل سهام الميسر . الزلم : السهم .
٢ العط : الشق .
٣ القدم ، الواحد قدوم : آلة للنجر .
٤ حسم الداء : قطعه . الحشحشة : الاضطراب . القرم : الجوع .
٥ يقدع : يكف .

لأُلزِمَنْ، إنْ لَمْ يُغَيِّبْكَ الرَّجَمْ، لِهزْمتَيكَ عَاقِراً مِنَ اللُّجُمْ[1]
يَسيلُ ذِفرَاكَ دَماً، وَمَا ظَلَمْ مَوَارِدَ الجَهْلِ مَصَادِرُ النَّدَمْ[2]
نفْحَةُ عَارٍ مِثْلُهَا نَفْثَةُ سَمّ، تَشُمُّهَا بِمَارِنٍ غَيرِ أشَمّ
إذا وَعَاهَا ضَاحِكُ القَوْمِ وَجَمْ، يَخَافُهَا، وَمَا جَنَى وَلا جَرَمْ
خُذْهَا حُرُوباً كَأهَاضِيبِ الدِّيَمْ، لا عَزّ مِنّا اليَوْمَ مَنْ ألقَى السَّلَمْ[3]
إنْ كُنتَ حُرّاً غيرَ مَغمُوزِ الشِّيَمْ، فَقُلْ لَنَا مَنِ العَبِيدُ وَالقَزَمْ؟
جَاءَتْ بِهِ مِخْدَاجَةٌ غَيرَ مُتَمّ، لَهَا الرّزَايَا، وَلِبَطْنِهَا العَقَمْ[4]

اعز من القلب

وكَمْ صَاحِبٍ كالرّمحِ زَاغَتْ كعوبُهُ، أبَى بَعدَ طُولِ الغَمزِ أنْ يَتَقَوّمَا
تَقَبّلْتُ مِنْهُ ظَاهِراً مُتَبَلِّجاً، وَأدْمَجَ دُوني بَاطِناً مُتَجَهّمَا
فأبدَى كرَوْضِ الحَزْنِ رَقّتْ فرُوعُه، وَأضْمَرَ كاللّيلِ الخُداريّ مُظلِمَا[5]
وَلَوْ أنّني كَشّفْتُهُ عَنْ ضَميرِه أقَمتُ عَلى مَا بَيْنَنَا اليَوْمَ مَأتَمَا

١ الرجم : القبر . اللهزمتان : عظمان ناتئان في اللحيين ، تحت الأذنين .
٢ الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
٣ الأهاضيب ، الواحدة أهضوبة : الدفعة من المطر . السلم : السلام ، الاستسلام .
٤ المخداجة : الملقية ولدها قبل تمامه .
٥ الحزن : موضع لبني يربوع فيه رياض وقيعان . الخداري : المظلم .

فَلا باسِطاً بالسّوءِ، إنْ ساءَني، يداً، وَلا فاغِراً بالذّمّ، إنْ رَابَني، فَمَا
كَعُضْوٍ رَمَتْ فيهِ اللّيالي بفَادِحٍ، وَمَنْ حَمَلَ العُضْوَ الأليمَ تَألّمَا
إذا أمرَ الطِّبُّ اللّبيبُ بِقَطْعِهِ، أقُولُ عَسَى ضَنّاً بِهِ، وَلَعَلّمَا
صَبَرْتُ عَلى إيلامِهِ خوْفَ نَقصِهِ، وَمَنْ لامَ مَن لا يَرْعوِي كانَ ألوَمَا
هيَ الكَفّ مَض تَرْكُها بَعدَ دائِها، وَإنْ قُطِعَتْ شانَتْ ذِرَاعاً وَمِعصَمَا
أرَاكَ عَلى قَلبي، وَإنْ كنتَ عَاصِياً، أعزَّ مِنَ القَلْبِ المُطيعِ وَأكْرَمَا
حَمَلتُكَ حَملَ العَينِ لَجّ بها القذى، وَلا تَنجَلي يَوْماً وَلا تَبلُغُ العَمَى
دَعِ المَرْءَ مَطْوِيّاً على ما ذَمَمْتَهُ، وَلا تَنشُرِ الدّاءَ العُضَالَ فتَنْدَمَا
إذا العُضْوُ لَمْ يُؤلِمْكَ إلاّ قَطَعْتَهُ عَلى مَضَضٍ لمْ تُبقِ لحماً، وَلا دَمَا
وَمَنْ لمْ يُوَطّنْ للصّغيرِ مِنَ الأذَى، تَعَرّضَ أنْ يَلْقَى أجَلّ وَأعظَمَا

الغواني والشيب

قال رضي الله تعالى عنه في ذم الشيب :

يا عَذُولَيّ! قَدْ غَضَضْتُ جِمَاحي، فَاذْهَبَا حَيْثُ شِئْتُمَا بِزِمَامي
بَعْدَ لَوْثي عِمَامَةَ الشّيْبِ اختَا لُ بِبُرْدَيْ بِطَالَةٍ وَعُرَامِ[1]

١ البطالة : التفرغ . العرام : الشراسة والأذى .

خُفّضَتْ نَزْوَةُ الشّبَابِ ، وَحَالَ الـ هَمُّ بَيْنَ الحَشَا وَبَيْنَ الغَرَامِ
غَالَطُوني عَنِ المَشيبِ ، وَقَالوا : لا تُرَعْ ! إنّهُ جلاءُ الحُسَامِ
أيّهَا الصّبْحُ زُلْ ذَميماً فَمَا أظْ لَمَ يَوْمي مِنْ بَعْدِ ذاكَ الظّلامِ
أرْمَضَتْ شَمْسُكَ المُنيرَةُ فَوْدَيَّ ، فَمَنْ لي بِظِلّ ذاكَ الغَمَامِ [1]
قُلتُ : ما أمْنُ مَنْ عَلى الرّأسِ منهُ صَارِمُ الجَدّ في يَدِ الأيّامِ
إنّ ذَنْبي إلى الغَوَاني ، بِشَيْبي ، ذَنْبُ ذِئْبِ الغَضَا إلى الآرَامِ [2]
كُنّ يَبْكِينَ قَبْلَهُ مِنْ وَداعي ، فَبُكَاهُنّ بَعْدَهُ مِنْ سَلامي

اكف تميم

قال أيضاً على لسان إنسان سأله القول في هذا الغرض

تَـألّقَ نَجْدِيٌّ ، كَـأنّ وَمِيضَهُ قَوَاعِدَ رَضْوَى أوْ مسا حِب رِيمِ [3]
أقُولُ لَهُ ، لَمّا تَفَارَطَ صَوْبُهُ : وَرَاءَكَ قَدْ ألقَحْتَ كُلّ عَقِيمِ
تَبَعّقَ حَتّى خِلْتُ أنّ بُعَاقَهُ عَلى عَدَمِ الجَدْوَى ، أكُفُّ تَميمِ

١ أرمضت : أحرقت . الفودان : جانبا الرأس .
٢ الغضا ، الواحدة غضاة : ضرب من الشجر ، ومنه ذئب الغضا . الآرام : الغزلان البيض ، الواحد رئم .
٣ ريم : موضع .

أتيتُهُمُ ، وَالجَدبُ قد عَضّدَ القَرَا ، وَلا عَهْدَ للباغي النّدَى بِكَرِيمِ[1]
فَما استَحضرُوا العِلاّتِ وَهيَ كَريمةٌ ، وَلا أطرَقُوا مِنْ رَوْعَةٍ وَوُجُومِ
هُمُ ضَمِنوا اللأوَاءَ ، وَالأزْلُ رَاكدٌ عَلى مُقْعِدٍ مِنْ عُسْرِهِمْ وَمُقيمِ[2]
فَمَا وَلَدَتْ أمُّ المَكَارِمِ مِثْلَهُمْ كِرَاماً ، وَلَمْ تَغلَطْ لَهُمْ بِلَئيمِ

عرام جديد

عَطَوْنَ بِأعنَاقِ الظِّبَاءِ ، وَأشرَقَتْ وُجُوهٌ عَلَيْهَا نَضْرَةٌ وَنَعيمُ[3]
أمَطْنَ سُجُوفاً عَنْ خُدُودٍ نَقيّةٍ صَفَا بَشَرٌ مِنْهَا وَرَقَّ أديمُ[4]
شُفُوفٌ عَلَى أجْسَادِهِنّ رَقيقَةٌ ، وَدُرٌّ عَلَى لَبّاتِهِنّ نَظيمُ[5]
يُجِلْنَ خَلاخِيلَ النُّضَارِ ، وَمِلؤهَا بَوَادِيُّ غَيْلٍ بَيْنَهُنّ عَميمُ[6]
تَأطّرَ أغصَانِ الأرَاكِ أمَالَهَا ، وَقَد رَقّ جِلبابُ الظّلامِ ، نَسيمُ[7]

١ عضد : قطع . القرا : الظهر .
٢ اللأواء : الشدة .
٣ عطون : رفعن رؤوسهن وأيديهن .
٤ أمطن : نحين ،أبعدن.السجوف ، الواحد سجف:الستر . البشر ، الواحدة بشرة:ظاهر الجلد .
٥ اللبات ، الواحدة لبة : موضع القلادة من الصدر .
٦ قوله : بوادي ، هكذا في الأصل ولم نجدها . الغيل : الساعد الريان الممتلىء . العميم : كل ما اجتمع وكثر .
٧ تأطر : تثني .

غَرَامي جَدِيدٌ بالدّيَارِ وَأهْلِهَا ، وَعَهْدِي بهَاتِيكَ الطُّلُولِ قَدِيمُ

يَقُولُونَ : ما أبقَيتَ للعَينِ عَبرَةً ، فَقُلتُ: جَوًى ، لوْ تَعلَمونَ ، أليمُ

أيَسْمَحُ جَفْني بالدّمُوعِ وَأغتَدي ضَنيناً بِهَا ؟ إنّي إذاً لَلَئِيمُ

وَلَوْ بَخِلَتْ عَيْني ،إذاً لَعَسَفْتُها، فَكَيْفَ وَدَمْعُ النّاظِرِينَ كَرِيمُ[1]

امر الخلافة في يديك

قال يمدح الطائع لله أمير المؤمنين ويشكره على ما أسداه إلى أبيه من الجميل عند دخوله إليه بعد عوده من فارس سنة ٣٧٦ :

هيَ سَلْوَةٌ ذَهَبَتْ بِكُلّ غَرَامِ ، وَالحُبُّ نَهْبُ تَطَاوُلِ الأيّامِ

وَلَقَدْ نَضَحْتُ مِنَ السّلُوّ وَبَرْدِهِ حَرَّ الجَوَى فبَرَدْتُ أيَّ ضِرَامِ

مِنْ بَعدِ ما أظمَى الغَليلُ جَوَانحي ، وَأطَالَ مِنْ مَلَلِ الزُّلالِ أُوَامي

نَشَزَ الجَنِيبُ عَلى ثَنِيّاتِ الهَوَى ، وَنَجَوْتُ مَرْمِيّاً إليّ زِمَامي[2]

سُلْوَانَ لا أعْطي الجَآذِرَ لَفتَةً ، أوْ نَظْرَةً إلاّ بِعَيَنٍ لَمَامِ[3]

نَفَضَ الصّبَابَةَ خاطِري وَجوَانحي ، وَأبَى المَذَلّةَ مَنْزِلي وَمَقَامي

١ عسفتها : ظلمتها ، أخذتها بالقوة .

٢ نشز : ارتفع . الجنيب : الغريب . الثنيات : العقبات ، أو الجبال ، الواحدة ثنية .

٣ السلوان : السلو ، مصدر سلا الشيء وعنه : نسيه . لمام : أي حيناً بعد حين .

وَالحُبُّ داءٌ يَضْمَحِلُّ كَأَنَّمَا ... تَرْغُو رَوَازِحُهُ بِغَيْرِ لُغَامِ[1]
لا يَدَّعِ العُذَّالُ نَزْعَ صَبَابَتِي ، ... بِيَدِي حَسَرْتُ عَنِ الغَرَامِ لِثَامِي
قدكانَتِ الصَّبَوَاتُ تَعسِفُ مِقوَدِي ، ... فالآنَ سَوْفَ أُطِيلُ مِنْ إجْمَامِي
هَيهَاتَ يَخفِضُني الزَّمَانُ ، وَإنَّمَا ... بَيْنِي وَبَينَ الذّلّ حَدُّ حُسَامِي
اربصي بالمَاء إلاّ ... وَلَرُبَّ طَافِحَةٍ بِغَيرِ جِمَامِ
وَأَصُدُّ عَنْ مَاءِ القَلِيبِ ، وَمَاؤهُ ... فِي حَيّزِ الإكْرَابِ وَالأوْذَامِ[2]
وَلَقَدْ لَبِسْتُ مِنَ القَنَاعَةِ جُبَّةً ... تَضْفُو عَلَيّ ، وَلا تَبِينُ لِذَامِ[3]
كَمْ ذَلّلَ العُدمُ العزيزَ، وَعَظّمتْ ... نَفَحَاتُ هَذا المَالِ غَيرَ عُظَامِ
مَا هَمَّ مَنْ حُرِمَ الثّرَاءَ إذا سَما ، ... وَأحَظُّ مِنْ شَرَفٍ وَمِنْ إعْظَامِ
شَحَبَ الزّمانُ عَليّ بَعْدَ غَضَارَةٍ ، ... وَإذا نَقَضْتُ فقد قضَيتُ تَمَامي[4]
وَجَرَى الثّقَافُ علىأوَائِلِ صَعْدَتي ، ... فاقتَصّ مِنْ طَرَبِي وَفَضْلِ عُرَامي[5]
عَنّي إلَيكَ ، فَمَا الوِصَالُ بِنَافِعٍ ... مَنْ لا تُعَذَّبُ قَلْبُهُ بِعرامِ
مَا كُنتُ أسمَحُ بالسّلامِ لمُعرِضٍ ، ... وَعَلى أمِيرِ المُؤمِنِينَ سَلامي
مَلِكٌ سَمَا حتّى تَحَلّقَ في العُلَى ، ... وَأذَلّ عِرْنِينَ الزّمَانِ السّامي

١ الروازح : الساقطات إعياء . اللغام : اللعاب .

٢ الحيز : المكان . الاكراب : الملء . الأوذام : السيور التي بين آذان الدلو وأطراف العراقي ، الواحد وذم .

٣ تضفو : تطول . الذام : الذم .

٤ شحب : تغير لونه من هزال أو جوع . الغضارة : النعمة ، والخصب .

٥ الصعدة : القناة المستوية ، وكنى بها عن جسمه ، وقامته .

يا ابنَ القَمَاقِمِ والغَطَارِفَةِ الأُلى ، قِمَمِ العُلَى وَدَعَائِمِ الإسْلامِ[1]
الطَّوْدُ أيْهَمُ ، وَالسَّمَاءُ عَرِيضَةٌ ، وَاليَوْمُ أيْوَمُ ، وَالقَلَمَّسُ طَامِ[2]
سِيمَاءُ مُشْتَهِرٍ ، وَقَلْبُ مُشَيَّعٍ ، وَأَنَاةُ مُقْتَدِرٍ ، وَرَأيُ إمَامِ[3]
أمْرُ الخِلافَةِ في يَدَيْكَ ، وَإنّمَا هِيَ عُقْبَةٌ تُقْضَى بكُلّ هُمَامِ
قَدْ كانَ جَدُّكَ عِصْمَةَ العُرْبِ الأُلى ، وَالآنَ أنتَ لَهُمْ مِنَ الإعْدامِ
حَفِظُوا أيَاديكَ الجِسَامَ ، وَإنّمَا وُصّوا بِحِفْظِ الخَيْلِ وَالأنْعَامِ
بالطّائِعِ الهَادي الإمَامِ أطاعَنِي أمَلي ، وَسَهّلَ لي الزّمَانُ مَرَامي
مِنْ مَعْشَرٍ مَا فيهِمُ إلاّ فَتًى ، أوْ جَائِدٌ ، أوْ ذائِدٌ ، أوْ حَامِ
قَوْمٌ ، إذا عَزَمُوا الغِوَارَ تَرَاجَعُوا يَتَقَاسَمُونَ ضَرَاغِمَ الآجَامِ
لا يَسْتَقِرُّ المَالُ فَوْقَ أكُفّهِمْ ، كالسّيلِ يَزْلَقُ عَنْ ذُرَى الأعلامِ
البَيْتُ ذُو العَمَدِ الطّوَالِ يُظِلّهم ، بَينَ القَنَا ، وَالحَامِلِ الهَمْهَامِ
يَفْدِيكَ كُلُّ مُزَنَّدٍ وَمُعَرَّدٍ ، يَوْمَ الوَغَى ، وَمُطَاوِلٍ وَمُسَامِ[4]
وَمُبَخَّلٍ أعْطَى القَلِيلَ ، وَرُبّما سَمَحَتْ حُرُوفُ التّاءِ للتَّمْتَامِ[5]
أثَرُ النُّدُوبِ بِصَفْحَتَيْهِ وَنَحْرِهِ ، لِصَفَا مُرَادٍ ، أوْ سِهَامِ مَرَامِ

١ القماقم ، الواحد قمقام : السيد الكثير الخير . الغطارفة ، الواحد غطريف : السيد الشريف والسخي السري .
٢ الأيهم : الجبل الصعب ، الأصم . أيوم : شديد . القلمس : البحر . الطامي : العالي .
٣ المشيع : الشجاع .
٤ المزند : البخيل . المعرد : الهارب .
٥ التمتام : الذي يتردد في لفظ التاء .

طَلَبَ الغِنى لا للحِبَاءِ، وَلا النّدى، مَا كُلُّ عَارٍ جَاءَ لِلإحْرَامِ
أحَسُودَ ذي النّورِ المُبِينِ عَلَى العُلى، إرْبَعْ على ظَلَعٍ، وَأنفُكَ دامِ[1]
إمّا تُنَازِعْهُ العَلاءَ، فَإنّهُ قَرْمٌ يُخَاطِرُهُ بُوَيزِلُ عَامِ[2]
وَلَرُبَّ قِرْنٍ فَاتَ أطْرَافَ القَنَا، حتّى أخَذْتَ عَلَيْهِ بالأقْلامِ
وَوَلِعْتَ في جِدّ الحَديثِ وَهَزْلِهِ، وَلَعَ القَوَاضِبِ بالطُّلى وَالهَامِ
في فَيلَقٍ جَمّ الذّوَابِلِ وَالظُّبَى، مُثْرٍ مِنَ الإسْرَاجِ وَالإلجَامِ
مُتَدَفّقِ القُطْرَينِ يَرْجُفُ نَقْعُهُ، بِعَصَائِبِ الرّايَاتِ وَالأعْلامِ
فَكَأنّهُ، وَالنّقْعُ فَوْقَ رِوَاقِهِ، سَيْلٌ يُسَايِرُ مُسْتَطِيلَ غَمَامِ
ما زِلْتَ تَكْشِفُهُ بِمَصْقُول القَرَا، وَالخَيْلُ بَينَ مُغِيرَةٍ وَصِيَامِ
قَلَقَلْتَ مِنْ أعْطَافِهِ، فكَأنّما فَجّرْتَ يَنْبُوعاً عَلى الأقْدامِ
طِرْفٌ يَتِيهُ عَلى اللّجَامِ تَكَبّراً، فَتَكَادُ تَرْكَبُهُ بِغَيرِ لِجَامِ
وَيَدٌ تَصُولُ عَلى الحُسامِ شَجاعَةً، فَتَكَادُ تَبْسُطُهَا بِغَيرِ حُسَامِ
وَالطّعنُ يَرْجعُ بالقَنَا، وَصُدُورُها خَطّاطَةٌ خَلْفَ الجِيَادِ دوَامِ
حُمْرُ الكُعُوبِ، كَأنّمَا ألْوَى بها نَضْخٌ مِنَ الشّيّانِ وَالعُلاّمِ[3]
إيهاً، وَأنتَ حَيّاً إلى أوْطَانِهِ، دَفْعُ الزّمَانِ بِمُعْرِقٍ وَشَآمِ
هَذا الحُسَينُ، وَقد جذبت بضبعهِ جَذْباً يُمِرُّ قَرَائِنَ الأرْحَامِ

[1] اربع على ظلع: أي تمكث وانتظر.
[2] يخاطره: يباريه. بويزل مصغر بازل: البعير فطر نابه.
[3] النضخ: الأثر الباقي في الثوب من الطيب. الشيان: دم الأخوين. العلام: الحناء.

أعْطَيْتَهُ مَحْضَ المَوَدّةِ وَالهَوَى وَغَرَائِبَ الإعْزَازِ وَالإكْرَامِ
وَرَدَدْتَهُ بالقَوْلِ لَيسَ بخُلَّبٍ في عَقْبِهِ ، وَالوَعْدُ غَيرُ جَهَامِ[1]
مُتَنَاوِلاً طَرَفَ الفَخَارِ يَجُرّهُ ، وَيَقُودُ مُصْعَبَهُ بِغَيرِ زِمَامِ
لَمّا رَآكَ رَأى النّبِيَّ مُحَمّداً في بُرْدَةِ الإجْلالِ وَالإعْظَامِ
وَرَأى بِمَجْلِسِكَ المُعَرّقِ في العُلَى حَرَمَ الرّجَاءِ وَقُبّةَ الإسْلامِ
أوْسَعتَ مِنْ خُطُوَاتِهِ في مَوْقِفٍ مُتَغَلْغِلٍ بِتَضَايُقِ الأقْدَامِ
وَرَفَعْتَ نَاظِرَهُ إلَيْكَ مُسَلِّماً في أيّ أُبّهَةٍ وَأيّ مَقَامِ
وَمِنَ القُلُوبِ سَوَاكِنٌ وَخَوَافِقٌ ، وَمِنَ العُيُونِ غَوَامِضٌ وَسَوَامِ
قَرّبْتَ مِنْ فَمِهِ أنَامِلَ رَاحَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِالنّقْضِ وَالإبْرَامِ
وَخَصَصْتَهُ بالبِشْرِ مِنكَ ، وَإنّمَا بِشْرُ الإمَامِ قَرَابَةُ الإنْعَامِ
بِرٌّ الأقَارِبِ وَالأبَاعِدِ وَاجِبٌ ، وَأحَقُّ بالنُّعْمَى بَنُو الأعْمَامِ
لا تُشْمِتَنّ بِهِ الأعَادي بَعْدَ مَا عَرَضُوا مِنَ الأحْقَادِ وَالأوْغَامِ[2]
هيَ قَوْلَةٌ لا يُسْتَطَاعُ رُجُوعُها ، كَالسّهمِ يَخرُجُ عَن بَنَانِ الرّامي
وَالقَوْلُ يَعرِضُ كالهِلالِ ، فإن مشَى فيهِ الفَعَالُ ، فَذاكَ بَدْرُ تَمَامِ
وَلَرُبّ فَاعِلِ فَعْلَةٍ لا تَنْثَني ، لَوْ رَامَ رَجْعَتَهَا بكُلّ مَرَامِ
وَكَذا المُلُوكُ تَقَوّضُوا وَاستَصْعَبوا تَقْوِيضَ مَا رَفَعُوا مِنَ الآطَامِ[3]

١ البرق الخلب : هو المطمع بالمطر ، المخلف .الجهام : السحاب لا مطر فيه .
٢ الأوغام ، الواحد وغم : الحقد الثابت في الصدر .
٣ تقوضوا : جاؤوا وذهبوا . التقويض : التهديم . الآطام : القصور ، الواحد أطم .

وَغَدَا سِنَانُ ابنِ المُشَلَّلِ عَاجِزاً عَنْ نَقْضِ مَا عَلّى مِنَ الأهْرَامِ
وَكَذاكَ عمرٌو ذو المَعَابِلِ فَاتَهُ ، بَعدَ اضْطِرَابِ النّزْعِ ، رَدُّ سِهَامِ[1]
وَيْلٌ لمَغْرُورٍ عَصَاكَ ، فَإنّهُ مُتَعَرّضٌ لمَخَالِبِ الضِّرْغَامِ
هَيْهاتَ طاعَتُكَ النّجَاةُ وَحُبُّكَ الـ تّقوَى وَشكرُكَ أفضَلُ الأقسامِ
فَاسْلَمْ ، أمِيرَ المُؤمِنِينَ ، لِغِبْطَةٍ مَعْقُودَةٍ بِذَوَائِبِ الأعْوَامِ
وَتَمَلَّ أيّامَ البَقَاءِ ، وَلا تَزَلْ تَطْغَى بِشُكْرِكَ ألسُنُ الأقْوَامِ
نَفْسٌ يُحَرِّمُهَا الحِمَامُ مَهَابَةً ، لَيسَ النّفُوسُ عَلى الرّدَى بحَرَامِ
فَاللهُ يَعْلَمُ أنّ نُورَكَ لَمْ يَزَلْ مُسْتَهْزِئاً بِالظّلْمِ وَالإظْلامِ
وَالمَجْدُ يُخْبِرُ عَنْ فَعالِكَ أنّهُ يُدْلي إلَيْهِ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامِ
فَاسمَعْ ، أمِيرَ المُؤمنينَ ، فإنّما الـ أسْمَاعُ أبْوَابٌ إلى الأفْهَامِ
القَوْلُ في الإطْرَاءِ غَيرُ مُبَلَّدٍ ، وَالشّكْرُ للنَّعْمَاءِ غَيرُ عُقَامِ
جاءَتْكَ مُحْصَدَةَ القُوَى حَبّارَةً ، تَستَعْبِدُ الأرْوَاحَ في الأجْسَامِ[2]
مَنْ لي بِإنْشَادِيكَهَا في مَوْقِفٍ أعْتَدُّهُ شَرَفاً مَدَى أيّامي
لا أدّعي فِيهِ الغُلُوَّ ، وَإنّمَا يُوفي عَلى قُلَلِ الرّجَالِ كَلامي

١ ذو المعابل : أي ذو النصول العريضة .
٢ محصدة : محكمة الصنعة . الحبارة : السارة ، من الحبور .

لك الجبل الممنع

يشكر الطائع ويمدحه على تواصل الكرامة له :

أميرَ المُؤمنينَ بَثَثْتَ فينَا صَنَائِعَ بَعْضُهَا خَطَرٌ عَظِيمُ
وَمَا اقتَعَدَ العُلَى إلاّ شُجَاعٌ ، وَلا بَلَغَ المُنى إلاّ كَرِيمُ
لِمِثْلِكَ تُحْرِزُ المَالَ اللّيَالي ، وَأوْلى النّاسِ بالعُدْمِ اللّئِيمُ
وَأنْتَ حَمَيْتَنَا مِنْ كُلّ ضَيْمٍ ، وَقد ضَرِيَتْ على الطّمعِ الخُصُومُ[1]
أنَفتَ بِنَا عَلى قِمَمِ الأعَادي ، وَكَادَ الجَدُّ يُدْرِكُ ما يَرُومُ
خَلائِقُ مِنكَ نَعرِفُهَا يَقيناً ، وَكُلُّ فَتًى بشيمَتِهِ عَلِيمُ
فداؤكَ كُلُّ مُنتَحِلِ المَعَالي ، يُقَطِّعُ دُونَهُ النّسَبُ الصّميمُ
بِأخْلاقٍ كَمَا دَجَتِ اللّيَالي، وَأحْسَابٍ كَمَا نَغِلَ الأدِيمُ[2]
وَآخَرُ هَزّ عِطْفَيْهِ اغْتِرَاراً بِحِلْمِكَ يَوْمَ يُفتَقَدُ الحَلِيمُ
تَبَلّجَ فِيهِ وَسمُكَ ، وَالمَطَايا تُغَلغِلُ في حَوَارِكِها الوُسُومُ[3]
وَكَم فَوْقَ البَسيطةِ مِنْ شريفٍ أغَرّ الوَجْهِ ، شِيمَتُهُ بَهِيمُ
لكَ الجَبَلُ المُمَنَّعُ إنْ تَسَامَى عَدُوٌّ لا يَنَامُ وَلا يُنِيمُ

١ ضريت : تعودت ، وأولعت .
٢ نغل : فسد . الأديم : الجلد ، أي فسد بالدباغ .
٣ الوسم : الأثر ، العلامة . تغلغل : تدخل . الحوارك : أعالي الكواهل ، الواحد حارك .

جَذَبْتَ عَنِ المُطيعِ زِمامَ عِزٍّ | أطاعَ الوَخْدُ مِنهُ وَالرّسِيمُ[1]
سَمَا بِكَ خَيرُ آبَاءٍ ، وَلكِن | مَضَوْا طَلَقاً ، وَمَجدُهُمُ مُقيمُ
دَعَوْتُكَ ، يا إمَامُ ، وَمِن وَرَائي | سَفيهُ الرّأيِ يَعذُلُ ، أوْ يَلُومُ
وَحَسْبي أنْ تَعيشَ عَلى اللّيَالي | سَليماً ، لا يُطَلّقُكَ النّعيمُ
فإنّ العَيشَ ، مَا جُرّدْتَ مِنْهُ ، | حِمَامٌ ، وَالصّحيحُ بِهِ سَقِيمُ
رَجَوْتُكَ ، وَالرّجاءُ يَمُدّ باعي ، | وَأنْتَ لِكُلّ مَكْرُمَةٍ حَميمُ
وَإنّي ، إنْ دَعَوْتُكَ للمَعَالي ، | لأعْلَمُ أيَّ بَارِقَةٍ أشِيمُ
وَقَبْلَكَ ضَاعَ حَقّي في اللّيَالي ، | كَمَا ضَاعَ الغَريبُ ، أوِ اليَتيمُ
وَنَعْمَاءٍ شَقِيتُ بِهَا ، وَلَكِنْ | غَدا حَظّي مِنَ الرّيحِ السَّمُومُ
وَمَنْ لي أنْ أرَاكَ ، وَلي مَقَامٌ | بِدارِكَ لا أزُولُ ، وَلا أرِيمُ[2]
وَمَا لي لا أصُولُ عَلى الأعَادي ، | وَأعلَمُ أنّ دارَكَ لي حَرِيمُ
تَدارَكَني صَنيعُكَ . وَالأماني | تُفَلّلُ مِنْ جَوَانِبِها الهُمُومُ
وَلَوْلا ما أنَلْتَ مَشَتْ بِرَحْلي | نَقيبُ الخُفّ حِلْيَتُها الكُلُومُ[3]
وَإنْطَافٌ تَسَاقَطَ مِنكَ وَهْناً | عَلَيّ ؛ كمَا تَهَوّرَتِ النّجُومُ
أعَدْتَ سَوَادَ أيّامي بَيَاضاً ؛ | وَأيّامُ الوَرَى بِيضٌ وَشِيمُ[4]

١ الوخد والرسيم : ضربان من العدو .
٢ رام المكان : برحه .
٣ نقيب الخف : رقيقته .
٤ الشيم : السود .

وَقد عَطَفَتْ علَيّ بَنَاتُ دَهرِي، كمَا عَطَفَتْ علَى السَّقبِ الرَّؤُوم [1]
وَمِنكَ تَوَالَتِ الأنْوَاءُ رَيّي. وَطَبّقَ أرْضِيَ الكَلأُ العَمِيمُ
فَلا غَرِضَتْ سِنوكَ مِنَ اللّيالي، وَعُمرُ عَدُوّ مَجدِكَ لا يَدُوم [2]
تَذُوبُ علَى مَنَازِلِكَ الغَوَادى. وَيَرْكُضُ في حَدائِقِكَ النّسيمُ

غيث يخلفه الربيع

قال يمدحه وكان قد أخر مدحه فواصل اقتضاءه عن الحضرة
أبو الحسن علي بن حاجب النعمان وعاتبه على تأخيره إياه
وذلك في ربيع الأول سنة ٣٨٠ :

لِلهِ ثُمّ لَكَ المَحَلُّ الأعْظَمُ. وَإلَيكَ يَنْتَسِبُ العَلاءُ الأقْدَمُ
وَلَكَ التُّرَاثُ مِنَ النّبيّ مُحَمّدٍ. وَالبَيْتُ وَالحَجَرُ العَظِيمُ وَزَمْزَمُ
ما نَاقَلَتْ رِكْبُ الرّكابِ إلى مِنًى، وَأرَاقَ مِنْ عَلَقِ الدّمَاءِ المَوْسِمُ
خَطَرٌ مِنَ الدّنْيَا يَجُلّ وَسُورَةٌ تَعْلُو. وَقَدْرٌ زَائِدٌ يَتَقَدّمُ [3]
تَمضِي المُلُوكُ وَأنتَ طَوْدٌ ثَابِتٌ. يَنْجَابُ عَنْكَ مُتَوّجٌ وَمُعَمَّمُ

١ السقب : ولد الناقه . الرؤوم : الناقة الحانة على ولدها .

٢ الغرض : الضجر والملل .

٣ الخطر : التشرف . السورة : المنزلة الرفيعة .

مَا ذاكَ إلاّ أنّ غَرْبَكَ مِنهُمُ أمضَى ، وَأنّ عُلُوّ مَجدِكَ أعظَمُ
إنّ الخِلافَةَ مُذْ نَهَضْتَ بِعبئِهَا ، هَدَأ الضّميرُ بِهَا ، وَنَامَ النُّوَّمُ
قَدْ كَانَ مِنبَرُها تَضَاءَلَ خيفَةً ، وَاستُلّ مِنهُ الهِزْبَرِيّ الأعظَمُ [1]
حتّى تَخَمّطَ مِنكَ فَوْقَ سرَاتِه ، وَالأرْضُ رَاجِفَةٌ ، فَنيقٌ مُقْرَمُ [2]
لله أيُّ مَقَامِ دِينٍ قُمْتَهُ وَالأمرُ مَرْدُودُ القَضِيّةِ مُبْرَمُ
فَكَأنّمَا كُنْتَ النّبيّ مُنَاجِزاً بالقَوْلِ ، أوْ بِلِسَانِهِ تَتَكَلّمُ
أيّامَ طَلّقَهَا المُطيعُ ، وَأوْحَشَتْ مُذْ زَالَ عَن ذا الغابِ ذاكَ الضّيغَمُ
فَمَضَى ، وَأعقَبَ بَعْدَهُ مُتَيَقّظاً سِجلاهُ بُوسَى في الزّمَانِ وَأنْعُمُ
كالغَيثِ يَخلُفُهُ الرّبيعُ ، وَبَعضُهم كَالنّارِ يَخْلُفُهَا الرّمَادُ المُظْلِمُ
لا تَهْتَدي نُوَبُ الزّمَانِ لِدَوْلَةٍ ، اللهُ فِيهَا وَالنّبيُّ وَأنْتُمُ
شَرَفاً بَني العَبّاسِ مَدّ رِوَاقَهُ ، وَعُلًى تُسَانِدُهَا القَنَا وَالأنجُمُ
كَمْ مَهْمَهٍ لَبِسَتْ إلَيْكَ رِكَابُنا ، وَالأرْضُ بُرْدٌ بِالمَنُونِ مُسَهَّمُ
حتّى تَرَاعَفَتِ المَنَاسِمُ وَالذُّرَى ، فَسَوَاءٌ الأعْلَى دَماً وَالمَنْسِمُ
هُنّ القِسِيّ مِنَ النّحولِ ، فإنْ سَما طَلَبٌ ، فَهُنّ مِنَ النَّجاءِ الأسهُمُ
يَضْمَنّ أمْراً مَا تَضَمّنَ مِثلَهُ ، أيّامَ أيّامَ الجَديلُ وَشَدْقَمُ [3]

١ الهزبري : نسبة إلى الهزبر : الأسد .
٢ تخمط : اضطرب في مشيه . السراة : الظهر . المقرم : البعير لا يحمل عليه ولا يذلل .
٣ الجديل وشدقم : فحلان مشهوران .

فِي حَيثُ لا وِرْدُ العَطَاءِ مُصَرَّدٌ ، أبَداً ، وَلا فِعلُ الزّمانِ مُذَمَّمُ[1]
وَأنَا النّذيرُ لمَارِقٍ يَمتَمْتُهُ مِنْ ضَوْءِ نَارٍ ، للطّغَاةِ مُضَرَّمُ
حَمْرَاءُ جَاهِلَةُ الشّرَارِ مَهُولَةٌ للنّاظِرِينَ لهَا دُخَانٌ أدْهَمُ
وَمُلَمْلِمٌ يَرْمي العَدُوَّ بِرُكْنِهِ ، مَاضٍ كَفِهْرِ المِنْجَنِيقِ مُلَملمُ[2]
في مَعْرَكٍ فُقِدَ التّكَلّمُ تَحتَهُ ، للرَّوْعِ ، إلاّ أزْمَلٌ وَتَغَمغُمُ[3]
كَثُرَ الحَدِيدُ بِهِ ، فبَعضٌ يتّقي كَلْمَ الطّعانِ بهَا وَبَعضٌ يُكْلَمُ
مِنْ كُلّ ضَاحِكَةِ القَتِيرِ كَأنّها بُرْدٌ أعَارَكَهُ الشّجاعُ الأرْقَمُ
وَطَوِيلِ سَالِفَةِ السّنَانِ يَؤودُهُ خَطِلُ الكُعوبِ وَفي الضّلوعِ يُقَوَّمُ[4]
وَمُرَقْرَقِ الغَرْبَينِ ، إلاّ كُلْفَةً مِمّا يُطَبِّقُ دائِماً وَيُصَمِّمُ[5]
في فِتْيَةٍ رَكِبُوا العُلَى مِنْ هاشِمٍ ، يَرْمُونَ أقْطَارَ العَدُوّ كَما رُمُوا
يَجرِي الحَيَاءُ الغَضُّ في قَسَمَاتِهِم ، في حِينَ يَجرِي في أكفّهِمُ الدّمُ
فإذا غَضِبتَ، فأنتَ أنتَ شُجَاعَةً تُوفي عَلى غَضْبِ الرّدى، وَهمُ هُمُ
بحَمَائِلِ المَلِكِ الجَليلِ مُقَلَّدٌ ، وَبِخَاتَمِ النّبَإِ العَظيمِ مُخَتَّمُ

١ مصرد : مقطع
٢ الفهر : الحجر . المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة في الحرب .
٣ الازمل : الصوت المختلط .
٤ الخطل ، يقال رمح خطل : اي طويل مضطرب .
٥ الكلفة : حمرة كدرة . يطبق ، هو من قولهم طبق السيف المفصل : أبانه .

وَعَظُمتَ قَدراً أنْ يرُوقكَ مَغنَمٌ، أوْ أنْ يَصِرّ عَلى بَنَانِكَ دِرْهَمُ
هيَ رَاحَةٌ مَا تَستَفيقُ مِنَ النّدَى، أبَدَ الزّمَانِ، وَبَدْرَةٌ لا تُختَمُ
مَلِكٌ تَلاعَبُ بالهَوَى عزَمَاتُهُ، بُعْداً بِهِ عَمّا يَقُولُ اللُّوّمُ
عَالٍ عَلَى نَظَرِ الزّمَانِ مُبَرّأٌ مِمّا يَمُنّ بِهِ الزّمَانُ وَيَثْلِمُ
بَينَا يُضيءُ عَلى الزّمَانِ، فيَنجَلي، حتّى يُغيرُ عَلى الضّيَاءِ، فَيُظْلِمُ
النّفْعُ وَالإضْرَارُ شُغْلُ لِسَانِهِ، لبُرَاشَ عَافٍ، أوْ يُضَعضعَ مُجرِمُ
وَيَرُوحُ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ: هَذا يَزِيدُ غِنًى، وَهَذا يَعْدَمُ
فَعَلَى المُقَارِبِ مَطْلَعٌ مُتَبَلِّجٌ، وَعَلَى المُجَانِبِ عارِضٌ مُتَجَهّمُ
في كُلّ يَوْمٍ خَالِعٌ مُتَأخّرٌ يَرْدَى، وَجَدٌّ غَالِبٌ مُتَقَدّمُ
وَفُتُوحُ أمْصَارٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدي عَفْواً إلَيكَ، وَغَيرُهَا يُتَجَشّمُ
لَوْلاكَ لَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُرْتَقَى عُلْواً، وَلَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُغنَمُ
مَا كَانَ يَوْمي دُونَ مَدحِكَ أنّني صَبٌّ بغَيرِ جَلالِ وَجْهِكَ مُغرَمُ
لَكِنّهَا نَفْسٌ تُصَانُ لتُنْتَضَى، وَتُجَمّ مِنْ طُولِ المَقَالِ، فتُفعَمُ[1]
أنتَ العُلى. فَلِقَصْدِها مَا أقْتَني مِنْ جَوْهَرٍ، وَلِمَدْحِهَا مَا أنْظِمُ
مَا حَقُّ مِثْلي أنْ يُضَاعَ، وَقَوْلُهُ بَاقي العِمَادِ عَلَى الزّمَانِ مُخَيِّمُ
وَأجَلُّ مَا أبْقَى الرّجَالَ فَضِيلَةٌ تَمتَاحُهُا أُذُنٌ، وَيُودِقُهَا فَمُ[2]
وَأنَا القَرِيبُ قَرَابَةً مَعْلُومَةً، وَالعِرْقُ يَضرِبُ وَالقَرَائِبُ تُلحَمُ

١ تنتضى : تسل ، تجرد . تجم : تترك . تفعم : تملأ .
٢ تمتاحها : أراد تنتزعها ، تعبا . يودقها : يمطرها .

إنّي لأرْجُو منْكَ أنْ سيَكونُ لي يَوْمٌ أغيظُ بِهِ الأعادي أيْوَمُ
وأنالُ عِندَكَ رُتْبَةً مَصْقُولَةً إنْ عايَنَ الأعْداءُ رَوْنَقَها عَمُوا
إنّي ، وإنْ ضَرَبَ الحِجابُ بطَوْدِهِ أوْ حالَ دُونَكَ يَذْبُلٌ ويَلَملَمُ
لأرَاكَ في مِرْآةِ جُودِكَ مِثلَما يَلْقَى العِيانَ النّاظِرُ المُتَوَسِّمُ
ولَقَدْ أطاعَكَ مِنْ عَليٍّ نَاصِحٌ مَاضِي الجَنانِ ، إذا أظَلّكَ ، مُغرَمُ
يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ ، وبَينَ ضُلُوعِهِ قَلْبٌ ، بِمَا يُدْنِي إلَيكَ ، مُتَيَّمُ
فاشدُدْ يَدَيكَ بهِ يَدُمْ لكَ نَاقضٌ يَؤُدَ مِنَ الأُمُورِ وَمُبرَمُ[1]
عِلْماً أقُولُ بَدِيهَةً ورَوِيّةً ، ويَضَلّ عِندَكَ قَائِلٌ لا يَعلَمُ
شِعْراً أثِيرَ بِهِ العَجاجُ بَسَالَةً ، كالطّعْنِ يُدْمي ، والقَنَا يَتَحَطّمُ
وفَصَاحَةً ، لَوْلا الحَيَاءُ لهَجّنَتْ أعْلامَ مَا قَالَ الوَليدُ وَمُسْلِمُ
وخَطَابَةً للسّمْعِ في جَنَبَاتِها شُغْلٌ يَعُوقُ عَنِ الذي يَتَرَنّمُ
فَعَلَى مَ يَطْلُبُ غَايَتي مُتَسَرّعاً ، غُلُقُ الجَنَانِ ، أقولُ مَا لا يَفهَمُ[2]
هَيهَاتَ أقعَدَكَ الحَضِيضُ مُؤخَّراً عَنّي ، وَجَاوَرَني السُّهَا وَالمِرْزَمُ[3]
أزْدادُ فِكْراً في الزّمَانِ ، فإصْبَعي لِنَوَاجِذِي ، أبَدَ اللّيَالي تَرْأَمُ[4]
وَأرَى الحَليمَ يُنَالُ مِنْ إعرَاضِهِ ، وَيَسُلُّ مِقْوَلَهُ السّفيهُ ، فيَعظُمُ

١ يؤد : يثقل .
٢ غلق الجنان : مغلق القلب .
٣ السها والمرزم : من النجوم
٤ ترأم : تألف وتلزم .

يقتادُ مَخْشِيٌّ الرّجالِ مُرادَهُ عفْواً ، ويُظلَمُ كُلُّ مَن لا يَظلِمُ
قَلبٌ يُسيغُ الحادثاتِ ، وعِندَهُ عزْمٌ على نُوَبِ الزّمانِ مُصَمِّمُ
يا دَهرُ! دونَكَ قد تماثَلَ مُدنَفٌ، واقتَص مُهتَضَمٌ ، وأورَقَ مُعدِمُ
إنّي علَيكَ ، إذا امتَلأتَ حَمِيّةً ، بِندَى أميرِ المُؤمنينَ مُحَرَّمُ
ومُذِ ادّرَعْتَ عطاءَهُ وفِناءَهُ ، أرمي ويَرْميني الزّمانُ ، فأسلَمُ
وإذا الإمامُ أعارَ قلبيَ هِمّةً ، فالأمرُ أمري ، والمَعاطِسُ ترْغَمُ

مسوم الرايات

قال يمدح الملك بهاء الدولة ويهنئه بتحويل سنته وأنفذها إليه وهو بواسط في جمادى الآخرة سنة ٣٨٨ :

أترَى دِيارَ الحَيِّ بالـ جِزْعَينِ باقيَةَ الخِيامِ
أمْ فرّقَتْهُمْ خِلْفَةُ الـ أيّامِ ، أوْ نَجعُ الغَمامِ[١]
ماذا على الرُّكبانِ لَوْ حَيَّوا طُلُولَكَ بالسّلامِ
أوْ بَلّغُوا عَنْ واجِدٍ لَفَّ الضّلُوعَ على الغَرامِ
دارٌ وَصَلْتُ بِها الهوَى ، وقَطَعْتُ أقرانَ المَلامِ

١ الخلفة : الاختلاف . النجع : تتبع الغيث لرعي الكلإ . الغمام : السحاب .

وَبَلَوْتُ مِنْ سُكْرِ الشَّبَا ... بِ أجَنَّ مِن سُكْرِ المُدامِ
أيّامَ أنْظُرُ في مَعَا ... طِفِ شَمْلَتي نَظَرَ القَطامي[1]
وَأرُوحُ قَائِدَ فِتْيَةٍ ... سُودِ الغَدائِرِ وَالجُمَامِ
سَقْياً لأزْمَانٍ بِهَا ... كُنْتُ المُلَقَّبَ بالغُلامِ
قَدْ قُلتُ للرّكبِ الهُجُو ... دِ عَلَى الأمَاعِزِ وَالإكَامِ[2]
هُبّوا ، فقَدْ تَتَيَقَّظُ الـ ... أجْدادُ للقَوْمِ النّيَامِ
زَمّوا المَطِيّ وَأحْلَسُوا ... مِنهَا عَلَى الدُّبرِ الدّوَامي[3]
وَدَعُوا نَوَاظِرَها مِنَ الـ ... إرْقَالِ تَعْمَى بِاللُّغَامِ
حتّى تُنِيخُوا في حِمَى ... صَعْبِ المَرَاقي وَالمَرَامي
مَلِكِ المُلُوكِ بِهِ يُرَا ... وَحُ بَينَ عَفْوٍ وَانْتِقَامِ
مَا إنْ أبَالي مَنْ وَرَا ... ئي بَعدَ أنْ يُضْحي أمَامي
كاللّيْثِ يَقْتَنِصُ الرِّجَا ... لَ وَلا يُغِيرُ عَلَى السّوَامِ
يُظْمي الرِّوَاءَ ، إذا سَطَا ، ... وَإذا سَخَا أرْوَى الظّوَامي
القَائِدُ الجُرْدِ العِتَا ... قِ يَجُلْنَ في بيضٍ وَلامِ
مِنْ كُلّ ذي خُصَلٍ مُرَا ... حِ السّوْطِ مكدودِ اللّجامِ[4]

١ شملّي : ما أشتمل به ، ألتف به . القطامي ، بالفتح والضم : الصقر .
٢ الأماعز ، الواحدة معزاء : الأرض الغليظة .
٣ أحلسوا ، من أحلس البعير : غشاه بالحلس ، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . الدبر ، الواحدة دبرة : قرحة الدابة .
٤ الخصل : الشعور المجتمعة ، الواحدة خصلة . المراح من الاراحة : المكدود ، المتعب .

وَمُسَوَّمِ الرَّايَاتِ يَخْـ فِقُ في الجَمَاهِيرِ العِظَامِ
وَمُخَوَّلِ النِّعَمِ الجِسَا مِ وَنَازِعِ النِّعَمِ الجِسامِ
إنّ الجِيَادَ عَلى المَرَا بِطِ تَشْتَكي طولَ الجُمامِ
تَرْمي بِأعْيُنِهَا إلى البَلَدِ اليَمَاني وَالشّآمِ
يَصْهُلْنَ مِنْ شَوْقٍ إلى قَطْعِ المَفَاوِزِ وَالمَوَامي
وَمُصِرّةِ الآذانِ تَرْ قُبُ وَثْبَةً بَعْدَ القِيَامِ
فَاصْدُمْ بِهَا ثَغْرَ العِدا بِجَوَانِبِ اللَّجِبِ اللُّهَامِ[1]
يَحْمِلْنَ أُسْدَ الغَابِ قَدْ عَقَدُوا الدّوَابِرَ بِاللِّمَامِ
مُسْتَلْثِمِينَ بِهَا كَأَ نَّ رُؤوسَهُم بَيضُ النّعامِ
مِنْ كُلِّ هَفّافِ القَمِيـ صِ أَشَمَّ مَعْرُوقِ العِظَامِ
مَاضٍ كَأنّ ذِرَاعَهُ مِنْ قَائِمِ العَضْبِ الحُسامِ
يَغْدُونَ في فِيحِ الفَلا . مُتَجَارِحِينَ مِنَ الزّحَامِ
يَتَفَيّؤونَ عَجَاجَةً كَجَآجِيءِ الغَيْمِ الرُّكَامِ[2]
حَتّى تَقُودَ مِنَ المَطَا لِبِ كُلَّ مَمْنُوعِ الزّمَامِ
لا تَغْرُرَنّكَ مِنْ عَدُ وِّكَ رَمْيَةٌ مِنْ غَيرِ رَامِ
أَشْلَى بِهَا الضِّرْغامُ حَـ تَّى هَبَّ مِنْ طِيبِ المَنامِ[3]

١ اللهام : الجيش العظيم .
٢ الجآجيء ، الواحد جؤجؤ : . الركام : السحاب المتراكم
٣ أشلى بها : دعا بها .

هيَ عِنْدَهُ سَبَبُ الشَّبَا ب، وَعندَنا سَبَبُ الفِطامِ
أنّى يُقَرْطِسُ ذُو العَمَى غَرَضَ المَرَامي بالسِّهَامِ[1]
هَيهَاتَ أنْ تَطَأَ الذّئَا بُ مَرَابِضَ اللّيثِ الهُمَامِ
أينَ النّجُومُ مِنَ الحَصَى ؛ أينَ النُّضَارُ مِنَ الرُّغَامِ
غَلَبَتْ عَلى كَرَمِ المَعَا رِقِ فيهِ أخْلاقُ اللّئَامِ
فَذَوَتْ نَضَارَتُهُ ، وَغُصْ نُكَ دُونَهُ رَيّانُ نَامِ
طَلَبَ العُلَى خبَطاً ، فَضَلَّ ضَلالَ عاشِيَةِ الظّلامِ
يَحْدُو بِهَا سَفَهاً ، وَقَدْ عَلِقَتْ يَمينُكَ بالخِطامِ
يا كَاشِفَ الكَرْبِ المُلِمِّ ، وَكَافيَ الدّاءِ العُقَامِ
بُلّغْتَ غَايَاتِ المُنَى ، وَوَرِثْتَ أعْمَارَ الأنَامِ
فَاسْلَمْ عَلى غَيظِ الزّمَا نِ ، وَدُمْ على رُغمِ الحِمامِ
وَتَهَنَ بِالتّحْوِيلِ غَيْرَ مُحَوَّلٍ عَنْ ذا المَقَامِ
مُتَمَلّياً بِالعُمْرِ يُعْطيكَ الرّدى عَقْدَ الذّمامِ
لا زِلْتَ تَلْبَسُ كُلَّ عَا مٍ وَاعِدٍ بِبُلُوغِ عَامِ
لَوْ كَانَ شَيْءٌ دائِماً بَشّرْتُ مُلْكَكَ بالدّوَامِ

[1] يقرطس : يصيب .

عيفان الخمر

قال في صفة مجلس وقد سئل ذلك

وَلَيْلَةٍ مَا خَلَصْتُ مِنْهَا ... إلى خُفُوقٍ وَلا مَنَامِ[1]
يَفْعَلُ فِيهَا ضِيَاءُ وَجهي ... مَا يَفعَلُ البَدْرُ في الظّلامِ
عِفتُ بِها الخَمرَ ، وَهيَ تُجلى ، ... وَالكَأسُ مَحطُوطَةُ اللّثَامِ
وَحَاشَ للبَدْرِ ، وَهوَ وَجهي ، ... يَخْطُبُ شَمْساً مِنَ المُدامِ
غَيرِي مِنَ الخَمرِ في رِضَاعٍ ، ... أرْغَبُ عَنْهُ إلى الفِطَامِ

سأمطرها دماً

أبَا هَرِمٍ أنْحُهَا ، إنّني ... سَأُمْطِرُهَا عَنْ قَلِيلٍ دَمَا
وَلا تَشْمَخَنّ بِأنْفِ الأبيّ ، ... فَأوْلَى لأنْفِكَ أنْ يُرْغَمَا
وَإنّكَ يَوْمَ تَنَزّى عَليّ ... وَتَبْغي ليَ المُؤيَدَ الصَّيْلَمَا[2]
كَمَنْ صَارَعَ الأسَدَ المُسْتَغيرَ ... في الغابِ ، أوْ ساوَرَ الأرْقَمَا

١ الخفوق : تحريك الرأس من النعاس .
٢ المؤيد : الأمر العظيم ، الداهية . الصيلم : الأمر الشديد .

بَدَأْتَ ، فعَقّبتَ في المُعضِلاتِ ، وكُنتُ أرَى البَادىءَ الأظْلَمَا
وَمَا كُنْتُ أرْمي بِسَهْمِ العُقُو قِ إلاّ امْرَأً صَابَني إذْ رَمَى
قَذَفْتُكَ في التّيهِ مِنْ بَعدِ ما سَلَكْتُ بكَ السَّنَنَ الأقْوَمَا
وَقَدْ كَانَ أشرَقَ جَوّي عَلَيكَ ، وَلَكِنْ لِظُلْمِكَ مَا أظْلَمَا
فَقِفْ حَيْثُ أنْتَ ، فَما كلّ مَن بَغَى أنْ يَطُولَ وَيَسمُو سَمَا
وَلا مَنْ تَقَدّمَ نَالَ العُلَى رَخيصاً ، وَلَكِنّ مَنْ قُدّمَا
سَأبْعَثُهَا ظُبَةً تَختَلي الْـ خَصَائِلَ ، أوْ تَعرُقُ الأعظُمَا
فَدُونَكَهَا قَاصِفاً عَاصِفاً ، مِنَ الشّرّ ، أوْ عَارِضاً مُرْزِمَا
قَوَارِصَ تَنْثُرُ نَظْمَ الدّرُوعِ ، وَتَستَنْزِلُ البَطَلَ المُعْلَمَا
فَمَنْ كَانَ يَسقيكَ رَيّ الجَنَى ، فَإنّي سَأُلْعِقُكَ العَلْقَمَا
وَمَنْ كَانَ يَلْقَاكَ مُستَسلِماً ، فَإنّي أُلاقِيكَ

أتطمع

أتَطْمَعُ أنْ أُلْقي إلَيكَ مَقَادَتي ؛ وَلي مَارِنٌ مَا مَرّنَتْهُ الخَزَائِمُ[1]
وَتُكْثِرُ بِالأمْرِ العَظِيمِ تَهَدُّدي . وَمِنّيَ تَنْفَضّ الأمُورُ العَظَائِمُ
وَقَدْ عَجَمَ الأقوَامُ بَعدَكَ صَعدَتي ؛ فَمَا أثّرَتْ فِيهَا النّيوبُ العَوَاجِمُ

١ الخزائم ، الواحدة خزامة : ما يوضع على جانب منخر البعير

اكبر آمالي

أأبْقَى علَى نِضْوِ الهُمُومِ كَأنَّمَا سَقَتْني اللّيالي مِنْ عَقابيلِها سُمّا[1]
وَأكْبَرُ آمَالي مِنَ الدّهْرِ أنّني أكُونُ خَليّاً لا سُرُوراً وَلا هَمّا
أكُرّ أحَاديثَ المَطامِعِ ضِلّةً ، وَألْقِحُ مِن هذي المُنى أبطُناً عُقْمَا
فَلا جَامِعاً مَالاً ،وَلا مُدرِكاً عُلًى ، وَلا مُحرِزاً أجْراً ، وَلا طالباً عِلْمَا
بأُرْجُوحَةٍ بَينَ الخَصَاصَةِ وَالغِنَى، وَمَنْزِلَةٍ بَينَ الشّقَاوَةِ وَالنّعْمَى

ابا مطر

أبَا مَطرٍ ، وَجِذْمُكَ مِنْ مَعَدٍّ ، كَذاتِ العُرّ في السّرْحِ السّليمِ[2]
سُرَاةُ أديمِ هَذا الحَيّ فِهرٌ ، وَبَعضُ القَوْمِ زِعْنِفَةُ الأديمِ[3]
قَنَاةٌ نَحنُ أمْلَسُهَا ، وَأنْتُمْ مَكَانُ العَابِ مِنْهَا وَالوُصُومِ
وَمَا وَضَعَتْكَ حَاضِنَةٌ . وَلَكِنْ تَمَطّقَ فُوكَ مِنْ لَبَنٍ لَئيمِ
إذا المِنْتَاجُ لَمْ يَنْجُبْ فَتَاهَا . فَلَيْسَ الفَضْلُ إلاّ للعَقيمِ[4]

١ عقابيلها : شدائدها .
٢ جذمك : أصلك . ذات العر : الجربى . السرح : الماشية .
٣ الزعنفة : طرف الجلد كاليدين والرجلين .
٤ المنتاج : الكثيرة النتاج .

ما الذنب للمزن

قال في معنى سئل القول فيه :

قالُوا: رَجَوْتَ النّدى منه بلا سَبَبٍ، فقُلتُ: هَلْ سَبَبٌ أقوَى من الكَرَمِ
وَسيلَتي أنّهُ غَيْثٌ، وَلي ظَمَأٌ. وَإنْ ظَمِئْنَا تَوَسّلْنَا إلى الدِّيَمِ
قَرَعْتُ بَابَكَ لا أخشَى تَمَنُّعَهُ. فَإنْ تَمَنّعَ لَمْ أعْذِلْ وَلَمْ ألُمِ
لَمْ أرْمِ بالظّنّ إلاّ مَنْ يُصَدّقُهُ. وَلا تَوَخَّيْتُ إلاّ مَوْضِعَ النِّعَمِ
ما الذّنْبُ للمُزْنِ جَازَتْني مَوَاطِرُه، وَإنّمَا الذّنْبُ لِلأرْزَاقِ وَالقِسَمِ

قضى الحمام وطره

قال قدس الله تعالى

إذا أرْعَدُوا يَوْماً لَنَا بِوَعيدِهِمْ، عَلَى النّأيِ، أبْرَقْنَا لهُمْ بالصّوَارِمِ
وَيَوْماً عَلَى الأهوَازِ كانَتْ جِيَادُهُ تُوَدِّجُ فِي لَبّاتِهَا بِاللّهَاذِمِ
قضَى وَطراً مِنها الحِمامُ. وَمَا اشتَفَى حُسامُكَ فيهِ مِنْ قِرَاعِ الجَماجِمِ

أنوف المجد

فِي كُلِّ يَوْمٍ أُنُوفُ المَجدِ تُصْطَلَمُ ، وَتُستَزَلُ لأرْكَانِ العُلَى قَدَمُ[1]
طَوْدٌ تَصَدّعَ مِنْ صَمّاءَ شَاهِقَةٍ ، تَنْبُو مِنَ العِزّ عَن أقطارِهِ القُدُمُ[2]
جَوَائفٌ مِنْ جِرَاحِ الدّهرِ بَالغَةٌ إلى القُلُوبِ ، وَلا يَجرِي لهنّ دَمُ[3]

أولى الصباح

وكَأنّمَا أُولى الصّبَاحِ ، وَقَدْ بَدَا فَوْقَ الطُّوَيْلِعِ ، رَاكِبٌ مُتَلَثّمُ
وَأذاعَ بالظّلْمَاء فَتْقٌ وَاضِحٌ ، كَالطّعْنَةِ النّجْلاءِ يَتْبَعُهَا الدّمُ

١ تصطلم : تستأصل .
٢ القدم ، الواحد قدوم : آلة للنجر .
٣ الجوائف ، الواحدة جائفة : الطعنة تبلغ الجوف .

ترحلنا الايام

تُرَحّلُنَا الأيّامُ ، وَهْيَ تُقيمُ ، وَيَجرَحُ فينا الخَطبُ، وَهوَ سليمُ
وَيَبقَى عَلى رَيبِ الزّمانِ لَهِنّهُ عَلى ذي اللّيَالي هَيّناً لكَرِيمُ[1]

شهب ودهم

بَعَثْتُ بِهَا مُعَرَّقَةَ الهَوَادي ، وَقَعنَ إلى المَدى وَقْعَ السّهَامِ
فَمِنْ شُهُبٍ كَغُرّانِ المَسَاعي، وَمِنْ دُهْمٍ كأخلاقِ اللّئَامِ

اعقل قلوصك

أعقُلْ قَلوصَكَ بالأجرَاعِ من إضَمٍ ، حيثُ استُسيغَ النّدى وَاستُلفظَ اللُّومُ[2]
تَلقَى على المَاءِ بِيضاً مِنْ بَنِي ثُعَلٍ ، دِيباجُ أوْجُهِهِمْ بالبِشرِ مَرْقُومُ
عِمادُ أبياتِهِمْ سُمرُ الرّماحِ ، وَمِنْ أطنابِها الخَيلُ تَعطُو وَالأنَاعِيمُ[3]

١ لهنه : لأنه .
٢ اللوم : مسهل اللؤم .
٣ الأناعيم : جمع جمع للنعم ، أي الإبل

كأن ايديها

كَـأنَّ أيْديِهَا بَوَادِي الرُّمَامْ ، بَيْنَ حِفَافَيْ جَنْدَلٍ أوْ أرَامْ[1]
أنَامِلُ الوِلْدانِ يَفلِينَ الهَامْ

سود وحمر

وَسُودُ النّوَاظِرِ حُمرُ الشّفَا ه ، تَحسَبُهُنّ وَلَغْنَ الدّمَا
قَرِيبْ لِألْوَانِهِنّ الشّقِيـ قُ ، مُفتَضَحٌ عندَهنّ اللّمَى

ربما رد عنك

رُبّمَا رَدّ عَنْكَ سَهْمَ المُرَامي ، عَاكِسٌ مِنْ عَوَائِقِ الأيّامِ
حَابِسُ الفِيلِ بالمُغَمَّسِ ،وَالأُحْ بوشُ يَزْجُرْنَهُ قَدامِ قَدامِ[2]

١ الرمام : البقل . حفافي : جانبي . الجندل : الموضع الحجر . ارام : جبل .
٢ المغمس : موضع بطريق الطائف . قدام : اسم فعل بمعنى أقدم . وأراد بالأحبوش : جماء أبرهة وهم ، عند العرب ، أصحاب الفيل .

كل يوم

كُلَّ يَوْمٍ يُجَبُّ مِنّي سَنَامُ ، وَتَدَاعَى لِثَلْمِيَ الأيّامُ[1]
وَاقِفاً كُلَّ مَوْقِفٍ تَتَهَاوَى دُونَهُ ، أَوْ تُزَلْزَلُ الأقدامُ

بذلة العيون

إتّقَوْا بِذْلَةَ العُيُونِ ،فَعَابُوا، وَبِآرَائِهِمْ يُرَبُّ الأنَامُ[2]
إنَّ مَنْ خاضَتِ النّوَاظِرُ فيهِ لحَرٍ أنْ تَخُوضَهُ الأقْدامُ

مجيري همام

قال في معنى عرض

يَعْلَمُ الجَدُّ أنّني لا أضَامُ . وَمُجِيرِي مِنَ الزّمَانِ هُمَامُ
لحَمَاني أغَرُّ ، شِيمَتُهُ الكَرُّ ، وَنَصْلٌ حَلِيُهُ الإحْرَامُ

١ يجب : يقطع . الثلم : احداث الخلل .
٢ بذلة العيون : أي العيون المبتذلة ، التي تترك الاحتشام و التصون . يرب : يساس

رُبَّ قَوْلٍ نُمي إليَّ ، وَعزْمي غَافِلٌ ، وَالهُمُومُ عَنّي نِيَامُ
وَتَعَرّفْتُ قَائِلِيهِ ، ولَكِنْ ، آهِ لَوْ كَانَ في يَميني حُسَامُ
كَيفَ تَخدي إليهِمُ الذُّبَّلُ السُّمْرُ ، وَتُعدَى عَلَيهِمُ الأقْلامُ[1]
دُونَ أنْ أَقبَلَ المَذَلّةَ ؛ للعِزِّ إبَاءٌ وَنَخْوَةٌ وَعُرَامُ
وَطِعَانٌ تَنْدَقّ فيهِ العَوَالي ، وَضِرَابٌ يَزْوَرّ مِنْهُ الحِمَامُ
لَسْتُ أدْرِي مَاذا يَقولُ لِسَاني ، وَفَمي للمَقَالِ فِيهِ ازْدِحَامُ
وكَأنّ الحِمَامَ فِينَا جَنِيبٌ ، يَتْبَعُ العَيشَ ، وَالزّمَانُ زِمَامُ
فاصرِفِ الهَمَّ ، إنّما العَيشُ يوْمٌ ، وَدَعِ القَوْلَ إنّمَا الدّهرُ عَامُ
أيّهَا العَاجِزُ المُكَدّرُ وِرْدي ، رُبّمَا عَرّفَتْكَ تِلْكَ الجُمَامُ[2]
فانتَفِقْ في الوِجَارِ ، وَاقعُد ذَليلاً ، قَدْ كَفَاكَ الجُلّى رِجالٌ قِيَامُ[3]

محرس الدهر

يفتخر ويمدح أباه رضي الله عنهما :

بَيْني وَبَينَ الصّوَارِمِ الهِمَمُ ، لا سَاعِدٌ في الوَغَى وَلا قَدَمُ
لا تَسبرِيني بغَرْبِ عَذلِكِ لي ، فَمَا لجُرْحي مِنَ النّدى ألَمُ

١ تخدي : تسرع . تعدى : تنصر وتقوى .
٢ الجمام : معظم الماء .
٣ انتفق في الوجار : ادخله ، والوجار : جحر الضبع وغيرها . الجلى : الأمر العظيم .

وَخَائِفٍ في حِمَايَ قُلْتُ لَهُ : كُلٌّ دِيَارٍ وَطِئْتُهَا حَرَمُ
يُعْجِبُنِي كُلٌّ حازِمِ الرَّأيِ لا يَطْمَعُ في قَرْعِ سِنِّهِ النَّدَمُ
إنْ قَامَ خَفَّتْ بِهِ شَمَائِلُهُ ، أوْ سَارَ خَفَّتْ بِوَطْئِهِ القَدَمُ
وَلا أُحِبّ الغُلامَ مُتَّهِماً ، يَشُقّ جِلْبَابَ سِرّهِ الكَلِمُ
صَدْرٌ كَصَدْرِ الحُسَامِ لَيسَ لَه سِرٌّ بِنَضْحِ الدّمَاءِ مُنْكَتِمُ
صُفّتْ نِطَافُ المُنَى فقُلتُ لهَا : مَا أجنَتْ في دِيَارِنَا النِّعَمُ[1]
تَجْرِي اللّيَالي عَلى حُكُومَتِنا ، وَفي الزّمَانِ النّعِيمُ وَالنِّقَمُ
تَلْعَبُ بالنّائِبَاتِ أنْفُسُنَا ، كَأنّهَا في أكُفّنَا زَلَمُ[2]
وَلَيْلَةٍ خُضْتُهَا عَلى عَجَلٍ ، وَصُبْحُهَا بالظّلامِ مُعتَصِمُ
تَطَلّعَ الفَجْرُ مِنْ جَوَانِبِهَا ، وَانْفَلَتَتْ مِنْ عِقَالِهَا الظُّلَمُ
كَأنّمَا الدَّجْنُ ، في تَزَاحُمِهِ ، خَيلٌ لهَا مِنْ بُرُوقِهِ لُجُمُ
مَا زَالَتِ العِيسُ تَستَهِلّ بِنَا ، وَاللّيْلُ في غُرّةِ الضّحَى غَمَمُ[3]
فَاضَ عَلى صِبغَةِ الظّلامِ بِنَا شَيبٌ مِنَ الصّبحِ وَالرُّبَى لِمَمُ[4]
يا زَهرَةَ الغُوطَتَينِ تَبْخُلُ بِالْبِشْرِ ، وَما مَسّ أرْضَكِ العَدَمُ[5]
كَمْ فيكِ مِنْ مُهجَةٍ مُعَذَّبَةٍ ، هَجِيرُهَا بالنّسِيمِ يَلْتَطِمُ

١ أجنت : تغيرت .
٢ الزلم ، واحد الأزلام : السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .
٣ قوله : غمم ، شبه سيلان الظلام على الأرض بسيلان الشعر على الجبهة والقفا ، حتى يضيقا.
٤ الربى : الأمكنة المرتفعة ، الواحدة ربوة . اللمم ، الواحدة لمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
٥ الغوطتان مثنى غوطة : إحداهما لبني أبي بكر والثانية بأرض طي .

وَمِنْ غُصُونٍ ، عَلَى ذَوَائِبِهَا يَزْلَقُ طَلُّ الرِّيَاضِ وَالدِّيَمُ
وَفِتْيَةٍ عَلَّمُوا القَنَا كَرَماً ، فأصْبَحَتْ مِنْ ضُيُوفِها الرَّخَمُ
تَكَادُ إنْ أشرَقَتْ جِباهُهُمُ تُضِيءُ مِنْهَا الشُّعُورُ وَاللِّمَمُ
وكَيفَ يُخفيهِمُ الظَّلامُ ، وَفي جَحَافِلِ اللَّيْلِ مِنهُمُ رَثَمُ[1]
إنَّ يَمينَ الحُسَيْنِ تُنصِفُنِي ، إنْ جَارَ أعداؤهَا وَإنْ ظَلَمُوا
لا يَطمَعُ الذّلُّ في جِوَارِ فَتًى تَلْمَعُ فيهِ الصَّوَارِمُ الخُذُمُ
يَثْبُتُ في كَفِّهِ الحُسَامُ كَمَا يَعْثُرُ في غَيرِ كَفِّهِ الكَرَمُ
إذا تَخَطّى عَجَاجَةً زَحَفاً آرَاؤهُ ، وَالرِّمَاحُ تَنهَزِمُ[2]
تَضْحَكُ عَنْ وَجْهِهِ غَيَاهِبُها، كَأنّهُ بِالهِلالِ مُلْتَثِمُ
فَشَقّهَا وَالحَدِيدُ مُطّرِدٌ ، وَخَاضَهَا وَالضِّرَابُ مُضْطَرِمُ
وَاستَلّ أسْيَافَهُ مُحَرَّشَةً ، فَاستَلَبَتْهَا الرِّقَابُ وَالقِمَمُ
إذا المَذاكي بَاحَتْ مَحَازِمُهَا ، وَاضْطَرَمَتْ في شُدُوقِها اللُّجُمُ
وَقَرّهَا ، وَالرِّمَاحُ طَائِشَةٌ ، وَكَفّهَا ، وَالسّيُوفُ تَزْدَحِمُ
إذا ذُبُولُ الشِّفَاهِ شَمّرَهَا في الغَمَرَاتِ الحِفَاظُ وَالسَّأمُ[3]
قَلّصَ عَنْ ثَغْرِهِ مَضَاحِكَهُ . كَأنّهُ في العُبُوسِ مُبْتَسِمُ
إذا خِمَارُ الظّلامِ لَثّمَهُ ، تَسَاقَطَتْ عَنْ قَمِيصِهِ التُّهَمُ

١ الجحافل ، الواحدة جحفلة : هي للخيل بمنزلة الشفة للإنسان . الرثم : كل بياض أصاب الجحفلة العليا ، فبلغ موضع الرسن .
٢ قوله : زحفاً ، هكذا في الأصل ولعلها : زحفت .
٣ شمرها : أرسلها . الغمرات : الشدائد . الحفاظ : الذب عن المحارم .

كَـأنّهُ مِنْ سُرُورِ يَقْظَتِـهِ ، بَشّرَهَ بِالمَدائِـحِ الحُلُمُ

إذا استَطَالَتْ هُمُومُهُ سَكِرَتْ في كَفّهِ البِيضُ وَانتَشَى القَلَمُ

وَإنْ سرَى أسْفَرَتْ صَوَارِمُهُ ، وَالتَثَمَتْ بالحَوَافِرِ الأكَمُ

مَا ضَجّ مِنْ طُولِ مَطْلِهِ أمَلٌ ، وَلا اشتَكَتْهُ العُهُودُ وَالذِّمَمُ

لَوْ فَطَنَتْ بالقِرَى سَوَائِمُهُ ، لمَا مَشَتْ تَحتَ وَفْدِهِ النَّعَمُ

يُعارِضُ الخَيلَ ، في عَرَضْنَتِها ، قَرْمٌ إلى نَهْبِ لَحْمِهَا قَرِمُ[1]

وَاسعُ خَرْقِ الضّميرِ حيثُ سرَى ، تَبَحبَحَتْ في مُرادِهِ الهِمَمُ

كَأنّمَا بِيضُهُ ضَرَاغِمَةٌ ، غُمُودُهَا في الكَتَائِبِ الأجَمُ

لارْتَشَفَ الخَمْرَ ،وَهْوَ يَلفِظُها ، لَو انّ مَا تُضْمِرُ الكُؤوسُ دَمُ

إنّ العِدا عَنْ غُرُوبِهِ طَلَعوا ، وَبَعْدَمَا غَارَ سَيفُهُ نَجَمُوا

مَا ألِمُوا للوَعِيدِ فِيكَ شَبَا الـ طّعْنِ ، وَبَعْدَ المَصَائِبِ الألَمُ

يا مُخرِسَ الدّهْرِ عنْ مَقالَتِهِ ، كُلُّ زَمَانٍ عَلَيْكَ مُتّهَمُ

شَخصُكَ ، في وَجهِ كُلّ داجِيَةٍ ضُحًى ، وَفي كُلّ مَجهَلٍ عَلَمُ

إلى أبي أحْمَدٍ صَدَعْتُ بِهَا قَلْبَ الدُّجَى وَالضّميرُ يَضْطَرِمُ

بَزّ زُهَيراً شِعرِي ، وَهَا أنَا ذا لمْ أرْضَ في المَجْدِ أنّهُ هَرِمُ

١ العرضنة : بية نشيطة ، فيها بغي . القرم بالسكون : الفحل . القرم بالكسر : شديد شهوة اللحم .

حلأني الأعداء

قال في معنى عرض له :

لا عَادَتِ الكَأسُ عَليلَ النّسيمْ بَعدي ، وَلا فُضّتْ ختامُ الهُمومْ
في لَيْلَةٍ غَابَ مَعي بَدْرُهَا ، وَحَارَبَتْهَا في الظّلامِ النّجُومْ
لا سَحَبَ النّشْوَانُ مِنْ ذَيْلِهِ فيهَا ، وَلا دَرّتْ عَلَيها الكُرُومْ
غِبتُ ، وَشَوْقي عِندَها حَاضِرٌ ، شَيّعَهُ القَلْبُ وَرَاءَ الحَرِيمْ
جَاءَ وَجِلبَابُ الدُّجَى شاحِبٌ ، وَعَادَ وَالجَوُّ صَقِيلُ الأدِيمْ
لَوْ أنّ قَلْبي مُطْلَقٌ في الحَشَا، جَرَى إلَيْهَا في عِنَانِ النّسيمْ
يَا لَيْلَةً تَكْسِرُ ألحَاظَهَا ، كَأنّهَا مَكْحُولَةٌ بالغُيُومْ
كَمْ لَيْلَةٍ مِثلِكِ أنْضَيْتُهَا ، وَالرّاحُ تُزْجَى مِنْ إزَارِ النّديمْ
يَكَادُ مِنْ حُسنٍ ،إذا زُرْتُهَا، تُحْدِثُ بُرْءاً في الهِلالِ السّقيمْ
في مَجْلِسٍ قَوّمَ أعْطَافَهُ ، تَقَارُبُ الوَصْلِ وَقُرْبُ النّعيمْ
يَجلُو عَليّ الكَأسَ مِنْ خِدرِها أبيَضُ سامي الفَرْعِ نامي الأرُومْ
تَعَلّقَ الحُسْنُ بِأطْرَافِهِ ، فَمَالَ ، وَالأغصَانُ لا تَستَقيمْ
مُوَقَّرُ الشّيمَةِ إنْ جَاذَبَتْ مَقالَهُ، يوْمَ الجِدالِ ، الخُصُومْ
في حَيثُ تَنزُو عَذَبَاتُ الحُبَا بالقَوْمِ ، حتّى تَستَطيرُ الحُلومْ[1]

[1] تنزو : تثب . عذبات ، الواحدة عذبة : الطرف من كل شيء . الحبا ، الواحدة حبوة : ما يحتبى به . الحلوم ، الواحد حلم : العقل .

يُقْرِضُني الوُدَّ على نَأيِهِ ، وَعندَ قُرْبِ الدّارِ نِعمَ الحَميمْ

حَلأني الأعْداءُ عَنْ وِرْدِهِ ، وَبي إلى الماءِ نِزَاعٌ مُقِيمْ [1]

أُذادُ أنْ أرْفُلَ في أرْضِهِ ، ويَرْتَعي ذاكَ الجَنابَ العَميمْ [2]

إنْ دَفَعُوا ظِمئي ، فَيا رُبّمَا ذادَتْ عن الماءِ الحِقاقُ القُرُومْ [3]

مِنْ بَعدِ ما مُدّتْ حَيازِيمُهُمْ على قُلُوبٍ داميَاتِ الكُلُومْ

في كُلّ يَوْمٍ تُنتَضَى مِنْهُمُ قَوَارِصٌ تَعقرُ حِلْمَ الحَليمْ

أحيَتْ شَآبِيبُ الحَيَا مَنْزِلاً مَاتَ لَنَا فيهِ الزّمَانُ القَديمْ

أيّامَ يَغْدُو الرّوْضُ مُستَبشِراً ، وَنَجتَلي تلكَ الرُّبَى وَالرّسُومْ

كَمْ صَبَغَ الدّهرُ قَميصَ الثّرَى ، وَعادَ رِقٌّ الأرْضِ ضَاحيَ الوُشومْ [4]

وَالدّهْرُ في أبْيَاتِنَا جُؤذَرٌ ، فالآنَ أضْحَى وَهوَ لَيثٌ شَتيمْ [5]

أيّامَ نُزْجي مِنْ مَوَاعيدِنَا ضَرَاغِماً تَفرِسُ عُدْمَ العَديمْ

تَنظُرُ في أثْنَاءِ أوْطَانِنَا ، لِقَاحَ جُودٍ للرّجَاءِ العَقيمْ

لي في حَوَاشِي البَرْقِ أنسٌ ، فلا أدْرِي أأُغضِي دونَهُ أمْ أشيمْ

١ حلأني : أبعدني ، طردني . ورده : شربه .

٢ أذاد : أمنع . أرفل : أجر ذيلي تبختراً . الجناب : الفناء . العميم : الكثير ، أي كثير من الناس يرتعون ذاك الجناب وهو ممنوع .

٣ الحقاق ، الواحد حق : وهو من الإبل ما طعن في السنة الرابعة . القروم ، الواحد قرم : البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل .

٤ الوشوم : أراد به النبات على التشبيه بالوشم . الضاحي : الظاهر .

٥ الشتيم : العابس .

أخَافُ مِنْ سَطْوَةِ شُؤبُوبِهِ ، وَبَيْنَنَا مِنْ دجنِهِ هَضْبُ رِيم[1]
أجْفُو مَغَانِيهِ ، وَمَا بَيْنَنَا لا يُغْضِبُ النّاقَةَ فِيهِ الرّسِيمْ
وكُنتُ لا أبْرَحُ أوْطَانَهُ ، مُطَنِّباً بَيْنَ الضّحَى وَالصّرِيم[2]
أسْلُبُ في الجرْيِ إلى رُبْعِهِ ، سَنطَلَةَ الذّئْبِ وَشَأوَ الظّلِيم[3]
يا دِينَ قَلْبِي لَكَ مِنْ لَوْعَةٍ ، تُعَاوِدُ القَلْبَ عِدادَ السّلِيمْ
قُلْ لغَرِيمي بِدُيُونِ الهَوَى : يا حَبّذا مِنكَ مِطَالُ الغَرِيمْ
ذَمَمْتُ دَهْراً لمْ يزَلْ صَرْفُهُ يَطرُقُنِي ؛ وَفدَ الفَعالِ الذّمِيمْ
أرَى الأسَى إنْ جَلّ خَطبُ الأسَى أسمَحَ مِنْ طَبعِ العَزَاءِ اللّئِيمْ
وَالقُرْبُ في الوُدّ ، عَلى نَأيِنَا ، أحسَنُ مِنْ قُرْبِ العِدا بالجُسومْ
أكْرِمُ وُدّي دُونَ خُطّابِهِ ، أنْ يَصِلَ الحَبْلَ بغَيرِ الكَرِيمْ

الليث من يدل بنفسه

يصف الأسد ويذكر سير الليل :

بَنِي عَامِرٍ مَا العِزُّ إلاّ لِقَادِرٍ عَلى السّيفِ لا تَخطو إلَيهِ المَظالِمُ
ضَجيعُ الهُوَيْنا يَغلِبُ الخَصْمَ رَأيُهُ ، وَأكبَرُ سُلْطَانِ الرّجَالِ الحَصَائِمُ

١ الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء . هضب ريم : مطر دائم .
٢ الصريم : الليل ، والصبح (ضد) .
٣ السنطلة : الطول . الشأو : الغاية . الظليم : ذكر النعام .

أرَى إبِلَ العَوّامِ تُحدَى على الطَّوَى ، … وَتَأكُلُ حَوْذانَ الطّرِيقِ المَنَاسِمُ[1]

وَتَظمَى عَلى الإغذاذِ أشداقُ خَيلِهِ ، … وَتَشرَبُ مِنْ أفْوَاهِهِنَ الشّكائِمُ[2]

يُحاوِلُ أمْراً يَرْمُقُ المَوْتَ دُونَهُ ، … لَقَدْ زَلّ عَنْهُ مَا تَرُومُ المَرَاوِمُ

أقَامَ يَرَى شَمّ النّسيمِ غَنيمَةً ، … وَلا بُدّ يَوْماً أنْ تُرَدّ الغَنَائِمُ

وَتُعْجِبُهُ غُرُّ البُرُوقِ يَشيمُهَا … سِرَاعاً ، إذا مَرّتْ عَلَيها الغَمَائِمُ

أمَسّحُ عِرْنِينَ الظّلامِ بِعَرْعَرٍ ، … وَمِنْ دُونِهِ خَدٌّ مِنَ اللّيلِ ساهِمُ[3]

وَلي بَينَ أخفَافِ المَرَاسيلِ حاجَةٌ ، … ستصـ ُ، وَالأيّامُ بِيص بواعم

تُحَارِبُني في كُلّ شَرْقٍ وَمَغرِبٍ ، … وَأكْبَرُ ظَنّي أنّهَا لا تُسَالِمُ

أقُولُ ، إذا سَالَتْ مَعَ اللّيلِ رِفقَةٌ … تَقَاذَفُهَا حَتّى الصّبَاحِ المَخارِمُ[5]

دَعي جَنَبَاتِ الوَادِيَينِ ، فَدُونَهَا … أشَمُّ طَوِيلُ السّاعِدَينِ ضُبَارِمُ[6]

إذا هَمّ لَمْ تَقْعُدْ بِهِ عَزَمَاتُهُ ؛ … وَإنْ ثَارَ لا تَعْيَا عَلَيْهِ المَطاعِمُ

كَأنّ عَلى شِدْقَيْهِ ثَغْراً وَرَاءَهُ … ذَوَابِلُ مِنْ أنْيَابِهِ وَصَوَارِمُ

فَمَا جَذَبَ الأقرَانُ مِنهُ فَرِيسَةً ، … وَلا عَادَ يَوْماً أنْفُهُ وَهوَ رَاغِمُ

١ العوام : رجل . الطوى : الجوع . الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أ‍ـ في أصله صفرة
المناسم ، الواحد منسم : خف البعير .

٢ الاغذاذ ، من أغذ السير : أسرع .

٣ عرعر : موضع . ساهم : متغير .

٤ ستصحب ، من أصحب : انقاد .

٥ المخارم ، الواحد مخرم : الطريق في الجبل .

٦ الضبارم : الأسد .

يَرَى راكِبَ الظّلْماءِ في مُستقَرّهِ ، وَتَستَنُّ منهُ في العَرينِ الغَماغِمُ
تَمُرّ وَرَاءَ اللّيلِ تَكتمُهُ السُّرَى ، وَقَدْ فَضَحَتْنَا بالبُغَامِ الرّوَاسِمُ[1]
لَهُ كُلّ يَوْمٍ غَارَةٌ في عَدُوّهِ ، تُشَارِكُهُ فيهَا النّسُورُ القَشاعِمُ
كَأنّ المَنَايَا إنْ تَوَسّدَ بَاعَهُ ، تَيَقّظُ في أنْيَابِهِ ، وَهوَ نَائِمُ
وَما اللّيْثُ إلاّ مَنْ يَدِلّ بِنَفْسِهِ ، وَيَمضِي ، إذا مَا بَادَهَتهُ العَظَائِمُ
وَمَا كُلّ لَيثٍ يَغنَمُ القَوْمُ زَادَهُ ، إذا خَفَقَتْ تحتَ الظّلامِ الضّرَاغِمُ

يا ايها ذا الندب

قال يمدح أباه وأنفذها إليه قبل دخوله بغداد بأيام
يسيرة على يد بعض أصحابه رحمة الله عليه :

شَوْقٌ يُعَرِّضُ لا إلى الآرَامِ ، وَجَوًى يُخَادِعُني عَنِ الأحْلامِ
وَمَقِيلُ صَبْرٍ شَذّبَتْهُ يَدُ الهَوَى ، في غَيرِ مَا طَرَبٍ وَلا استِغرَامِ
بَلْ في انتِزَاعِ المَجدِ مِنْ سَكِناتِهِ بِمَطَالِبٍ تَسْطُو عَلى الأيّامِ
وَمَنَاقِبٍ تَبقَى : وَيَفنَى أهْلُهَا ، إذْ كُلُّ عَيشٍ فُرْصَةٌ لِحِمَامِ
اَعَذَرْتُ مَن في المَجد يمرَضُ فكرُهُ ، وَتَكُنّ فِيهِ بَوَاطِنُ الآلامِ

[1] الرواسم : الإبل تسير الرسيم ، وهو ضرب من العدو

يا راكباً تخدي بهِ عيرانةٌ سُرُحٌ تشُقّ جلابيبَ الآكامِ[1]
خوصاءُ تحسبُ عينَها ماويّةً ، نظرتْ بها الفلواتِ شخصَ غمامِ[2]
جارٍ كأنّ ربابهُ متعلّمٌ شيمَ الرّياحِ الهُوجِ في الإقدامِ
أقرِ السّلامَ فتًى تخاوصُ هيبةً عنْهُ عيُونُ تحيّتي وسلامي
سيفٌ صقيلٌ أغمدتْهُ عداتُهُ ، فاستُلّ، وهوَ، منَ الأعادي، دامِ
ما ضرّهُ منْ أنْ يُشامَ وما اقتنى صدأً يُشبّهُ نصلُهُ بكهامِ[3]
إنْ غبتَ عنّا فالقُلوبُ حواضرٌ، في حيثُ أنتَ ، نوازعُ الأوهامِ
ونفُوسُنا مرْضَى تشبّثُ منكُمُ بشَناً يُطهّرُها منَ الأسقامِ
يا أيّها ذا النّدبُ دعوةَ مُدنَفٍ ، علقتْ ضمائرُهُ بكُلّ غرامِ
لمّا ذكرْتُكَ عادَ قلبي شوقُهُ ، فبكَينَ عنْهُ مدامعُ الأقلامِ
خلّفتَني زرْعاً ، فطُلْتُ ، وإنّما ذاكَ الغِرارُ نُمي إلى الصّمْصامِ
كمْ مدحةٍ لي في علاكَ ، كأنّما تفْترّ عنْ خُلُقِ الغمامِ الهامي
أكْدتْ عليّ الأرضُ منْ أطرافِها، وتدرّعتْ بمدارعِ الإظْلامِ[4]
وعهِدْتُها خضراءَ كيفَ لقيتُها أبْصرْتُ فيها مسْرحاً لسوامي
أشكُو، وأكتمُ بعضَ ما أنا واجدٌ، فأعافُ أنْ أشْكُو منَ الإعْدامِ

١ العيرانة : الناقة النشيطة . السرح : السريعة .
٢ الخوصاء : الصغيرة العين . الماوية : المرآة .
٣ يشام : يغمد . الكهام : الكليل .
٤ أكدت : أجدبت .

وَإذا ظَفِرْتُ مِنَ المَنَاقِبِ بالمُنى ... أهوَنْتُ بِالأرْزَاقِ وَالأقسَامِ
جَاءَتْكَ تَحدُوها يَدا ذي فَاقَةٍ ، ... وَهْيَ السّفِينُ لَهُ إلى الإنْعَامِ
فاعرِفْ لَهُ مَا مَتّ من شِعرِي بِهِ ، ... فَلَقَدْ أتَاكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامِ[1]

جد بعيد المرام

قال يفتخر وهي من أول قوله رحمه الله تعالى وذلك سنة ٣٧٤ :

هُوَ الدّهْرُ فِينَا خَلِيعُ اللّجَامِ ، ... فَطَوْراً يُغِيرُ ، وَطَوْراً يُحَامي
وَإنّي أُرَوّعُهُ بِالوَدَا ... عِ ، حتّى يُخَادِعَني بالسّلامِ
فَمَنْ عَرَفَ العَيشَ خبّتْ بِهِ ... عَزَائِمُهُ في طَرِيقِ الحِمَامِ
أُرِيدُ مِنَ الدّهْرِ حَظّ الجَبَا ... نِ ، لا قَدْرَ حَظّ الشّجاعِ الهُمامِ
فَأيُّ مُنًى لَمْ يَسُمْهَا نَوَالي ، ... وَأيُّ عُلًى لمْ يَطَأها اعتِزَامي[2]
قَطَعْتُ مَفَازَةَ هَذا الرّجَاءِ ، ... وَلَكِنّ جَدّي بَعِيدُ المُرَامِ
أُخَفّضُ عَزْمِيَ عَنْ رتْبَةٍ ، ... أُبَلّغُهَا بالحُظُوظِ السّوَامي
لَعاً لمُنَايَ ، وَإنْ لَمْ تُصِبْ ، ... فَمَا عَثَرَتْ بِرَجَاءِ اللّئَامِ

١ مت : توسل بقرابة .
٢ يسمها ، من سام السلعة : طلب ابتياعها .

وَمَا احتَشَمَتْ مِن يَدَيَّ النّصُو ... لُ ، إلاّ مَهَزّةَ نَصْلٍ كَهَامِ
أمَا عَانَقَتْني صُدُورُ السّيوفِ ، ... أمَا قَبّلَتْني نُصُولُ السّهَامِ
ألَمْ يَشرَبِ الصّبرَ قَلْبِي ، وَلا انْ ... ثَنَى مَرَحاً ، وَالعَوَالي ظَوَامي
ألَمْ أسرِ في لَيْلِهَا ، وَالعَجَا ... جُ يُلْحِمُ بَيْنَ الرّعيلِ اللُّهَامِ
أُكَلّلُ بالطّعْنِ يَوْمَ النّزَالِ ... خُدُوداً تَشُفّ لِغَيرِ اللُّطَامِ
إذا عَصْفَرَ الخَوْفُ مَاءَ الوُجُوه، ... رَآهَا مِنَ الدّمِ حُمْرَ الوِسَامِ
عَدُوّيَ أقْعِ عَلى ذِلّةٍ ، ... فكَم زَلّ من أخمَصٍ عن مَقَامي
عَليّ بِأنْفٍ رَأيْ ... تَ مَعْطِسَهُ دامِياً مِنْ زِمَامي
وَأصْبَحْتَ تَعطُو بِعَينِ الأبيّ ، ... وَذِفرَاكَ مَقرُوحَةٌ مِنْ لِجَامي
تَرُومُ ابتِزَازِيَ فَضْلي ، وَذاكَ ، ... إذاً ، فكُّ أطوَاقِ وُرْقِ الحَمامِ
أمَا يَحْلَمُ الدّهْرُ في فِتْيَةٍ ، ... أمَاتُوا المَلامَ بِجَهْلِ المُدامِ
عُقَارٌ يُلاحِظُ مِنْهَا الكُؤو ... سَ أفْوَاهُنَا بِجُفُونٍ دَوَامِ
وَأيّامُنَا مِنْ خُمَارِ الشّبَابِ ... نَشَاوَى تَجُرّ ذُيُولَ العُرَامِ[1]
أُعيذُكَ مِنْ خَجَلاتِ الهَوَى ، ... إذا رَمَقَتْهُ عُيُونُ المَلامِ
وَأنْ يَرْشُفَ الهَجرُ ماءَ الوِصَالِ ؛ ... وَأن يَهتِكَ العُذرُ سُجفَ الذّمامِ
مَنَحتُكَ صِدْقَ وَدادٍ يَتُوقُ ... إلى رَنْقِهِ كُلُّ هَذا الأنَامِ[2]
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَبْلُ أثْكِلْتُهَا ... وَأثْكَلْتَهَا فيّ طَيفَ المَنَامِ

[1] العرام : الشراسة والأذى .
[2] الرنق : الحسن والبهاء .

إلى أنْ بَدا فَجرُهَا مُسفِراً ، يُمَزّقُ عَنهَا فُضُولَ اللّثَامِ
تُخَادِعُنَا نَفَحَاتُ النّسِيمِ ، إذا عَبِقَتْ بحَوَاشِي الظّلامِ
وَقَدْ شَمَلَتْهُ شُفُوفُ الشَّمالِ ، وَرَصّعَ قُطْرَيْهِ قَطْرُ الرِّهَامِ[1]
تَثُورُ إلَيْهِ سَوَامُ اللّحَاظِ ، وَتَسرَحُ مِنْ حُسْنِهِ في مَسَامِ[2]
وَلَوْ وَجَدَ الزّهْرُ وَجدي عَلَيْكَ لاصْفَرّ فيهِ خُدُودُ الثَّغَامِ[3]
ذَعَرْتُ الهُمُومَ بِخَطّارَةٍ ، تَسيلُ بهَا في قُلُوبِ الإكَامِ[4]
تُلَثِّمُ مَنْسِمَهَا بالدّمَاءِ ، إذا ما اطمَأنّ ، بقَرْعِ السّلامِ[5]
خَلَطْتُ بِمَنْسِمِهَا في الثّرَى على الرّكْضِ مِيسَمَ أيدي النّعَامِ[6]
وَأنْكَحْتُ أخْفَافَهَا سَيرَهَا لِعَزْمٍ وَلُودٍ وَأمْرٍ عُقَامِ
تَخَايَلُ بَيْنَ غَرِيرِيّةٍ زَوَافِرَ تَكْسُو الثّرَى باللُّغَامِ[7]
وَمَاءٍ وَرَدْتُ عَلى كُورِهَا ، وَعَرّجْتُ عَنْهُ قَتيلَ الأُوَامِ
مَرِيضِ المَشارِعِ مِمّا تُرِيقُ عَلَيْهِ الرّيَاحُ دُمُوعَ الغَمَامِ
يُخَيِّلُ لي أنّ نَجْمَ السّمَا ءِ يَرْعَدُ في صَفوِ تِلكَ الجِمامِ

١ الرهام : المطر الخفيف .
٢ السوام في الأصل : الإبل الراعية . المسامي : المراعي .
٣ الثغام : شجر أبيض الزهر واحدته ثغامة .
٤ الخطارة : الناقة التي تخطر في سيرها .
٥ السلام : الحجارة .
٦ الميسم : الأثر .
٧ تخايل : تتبختر . الغريرية : المنسوبة إلى غرير ، وهو فحل

وَطِفْلَ الدُّجَى في حُجُورِ البِلا   دِ يَطْعَمُ بالفَجْرِ مُرَّ الفِطَامِ
نَزَاحَمُ لِلآفُـو   لِ ، وَالبَدْرُ في إثْرِ ذاكَ الزِّحَامِ
وَيَهْمَاءَ بالقَيْظِ   تُطالِعُنَا في هُبُوبِ السَّهَامِ[1]
تَعَقَّلَ شَارِدُ وَهجِ الهَجِيرِ   في جَوّهَا بِخُيُوطِ السُّهَامِ[2]
وَبِكْرٍ مِنَ القَطْرِ حتّى كأنَّ   ما افتَضّهَا غَيرُ غَيْمٍ جَهَامِ
مُمَاطِلَةٍ رَكْبَهَا بِالوُرُو   دِ إلاّ إذا حَانَ وِرْدُ القَطَامي
قَطَعْتُ ، وكَالِئَتي هِمّةٌ ،   إذا أسمَعَ الرّعبُ قالتْ: صَمامِ[3]
وَمُلْتَهِبِ السّرْدِ عَارِي الرِّمَا   حِ مُرْتَعِدِ البِيضِ داميالحَوَامي[4]
قَلِيلِ حَيَا الرِّمحِ عِندَ الطِّعانِ ،   وَقُورِ الجَوَادِ سَفِيهِ الحُسَامِ
تُطَرِّزُ شَمْسُ الضّحى بَيضَهُ ،   إذا انفَرَجَتْ عَنهُ سُجفُ القَتامِ
إذا سَارَ ، فالشّمسُ مَستُورَةٌ   وَوَجْهُ الثّرَى بَارِزُ الخَدّ دَامِ
حَلَلْتُ حُبَى نَقْعِهِ بالطِّرَا   دِ لمّا احتَبَى فَرَسِي بالحِزَامِ
وَإنّي شَقِيقُ الوَغَى وَالنّدَى ،   رَضِيعُ لِبَانِ المَعَالي الجِسَامِ
إذا مُضَرٌ ظَلّلَتْني   وَسَالَتْ قَبائِلُهَا مِنْ أمَامي
لَبِسْتُ بِهَا جُنّةً   ضٌ مَسرُودُهَا بنِبَالِ المُرَامي

١ اليهماء : الفلاة . السهام : حر السموم ووهج الصيف .
٢ السهام بالضم : غزل عين الشمس .
٣ كالئتي : حافظتي . صمام : اسم فعل بمعنى تصاموا في السكوت .
٤ السرد : الدروع . الحوامي : حوافر الخيل .

قال أيضاً في معنى مثله :

لِأمرٍ يَا بَني جُشَمٍ حَبَسْتُ المَاءَ في الأَدَمِ[1]
وَقَلْقَلْتُ الجِيَادَ دَوَا مِيَ الأشْداقِ باللُّجُمِ
وَأزْعَجْتُ القَطَا الوَسْنَا نَ بالمَخطُومَةِ الرُّسُمِ
تَفَلَّتُ في الدّيَاجي عَنْ عِقَالِ الأيْنِ وَالسَّأمِ
وَتَقْرُو كُلَّ مَجْهَلَةٍ ، بِلا نَضَدٍ وَلا عَلَمِ[2]
وكَمْ لَيْلٍ رَقَدْتُ بِهِ خَلِيّاً مِنْ يَدِ السّقَمِ
وَنَارٍ بِتُّ أرْمُقُهَا كَلَيّ الرّيحِ بِالعَلَمِ[3]
ألِمْتُ بِهَا ، وَمُوقِدُها شِفَاءُ الدّاءِ مِنْ ألَمي
وَأيْنَ ضِرَامُهَا مِمّا بِأحْشَائي مِنَ الضّرَمِ
قَرِيرُ العَيْنِ بِالأحْبَا بِ أرْعَى رَوْضَةَ الحُلُمِ
وَإمّا أنْ يَرَاني العَزْ مُ بَينَ ضَمَائِرِ الخِيَمِ
وَإمّا شَارِداً في البِيدِ حَشْوَ حَيَازِمِ الظُّلَمِ

١ الأدم : الجلد ، وأراد القرب .

٢ تقرو : تقصد ، تتبع . نضد : جنادل تنصب للدلالة على المجاهل . العلم : ما ينصب في الطريق ليهتدى به .

٣ العلم : الراية .

فَدَى عَزْمي وَصِدْقي كُـ ... لُّ مُعْتَزِمٍ وَمُتَّهَمِ

وَكُلُّ مُشَيَّعٍ يَصْبُو ... إلى المَأْثُورَةِ الخُذُمِ[1]

إذا بَعُدَ الكَلامُ دَنَتْ ... عَلَيَّ مَسَافَةُ الكَلِمِ

وَلي خُلْقَانِ مَا صَلُحَا ... لِغَيرِ السَّيْفِ وَالقَلَمِ

وَأَيُّ خَمِيلَةٍ شَرَقَتْ ... عَلى الأيّامِ مِنْ شِيَمي

أزَاهِيرٌ تَرَفَّعُ عَنْ ... قَبُولِ مَوَاهِبِ الدِّيَمِ

نَسِيمٌ نَشْرُهُ عَبِقٌ ... يَجُرُّ سَوَالِفَ النِّعَمِ

أنَا ابنُ البِيضِ ، وَالبِيـ ... ـضِ الظُّبَى ، وَالخيلِ وَالنَّعمِ

وَكُلِّ مُطَهَّمٍ تَنْبُو ... حَوَافِرُهُ مِنَ الأَكَمِ

وَكُلِّ مُثَقَّفٍ يَحْتَـ ... ـلُّ حَيثُ مَوَاطِنُ الهِمَمِ

وَكُلِّ مُهَنَّدٍ يَسْتَـ ... ـنُّ في الأعْنَاقِ وَالقِمَمِ

وَكُلِّ أغَرَّ قَدْ شَرَقَتْ ... خَلائِقُهُ مِنَ الكَرَمِ[2]

ضَرُوبٍ حَيثُ تَعثُرُ شَفْـ ... ـرَةُ الصَّمصَامِ باللِّمَمِ

وَطَعّانٍ ، إذا مَا النَّقْـ ... ـعُ عُصْفِرَ ثَوْبُهُ بِدَمِ

وَقَوْمي الضّامِنُونَ الأَمْـ ... ـنَ إنْ هَجَمُوا عَلى حُرَمِ

إذا مَا خَائِفٌ غَلَبَتْ ... عَلَيْهِ سَطْوَةُ العَدَمِ

قَرَوْهُ بَعْدَمَا عَقَدُوا ... عَلَيْهِ تَمَائِمَ الذِّمَمِ

١ المأثورة : السيوف . الخذم : القواطع
٢ شرقت : زهت .

إلى أنْ تَكْشِفَ المَكْتو مَ عَن خَدّاعةِ التّهَمِ
وَأصْبَحَ مَنْ أسَرّ الغَيِّ مُعْتَذِراً مِنَ الجَرَمِ
وَصَارَتْ غَايَةُ المُغْتَرِّ جانِحَةً إلى النّدَمِ
وَصَرّحَ كُلّ قَوْلٍ عَنْ غُرُورِ الحِلْفِ وَالقَسَمِ
أمَانيُّ استَرَكّتْ كُلّ صَبّارٍ عَلى الألَمِ
كَفَاكَ بِأنّ عِرْضَكَ مِنْ طُرُوقِ العَارِ في ذِمَمي
وَذَلِكَ عِصْمَةٌ مِنّي بِحَبْلٍ غَيرِ مُنْجَذِمِ
وَحَسْبُكَ أنْ يَقُلّ شَبَاةَ هَجوِكَ أشعَرُ الأمَمِ

من كل لفظ نغم

قال أيضاً يفتخر وهي من قديم قوله رضي الله تعالى عنه :

أمَا آنَ للدّمعِ أنْ يَستَجِمّ ، وَلا للبَلابِلِ أنْ لا تُلِمّ ؟[1]
فَتَلْهُو عَزَائِمُنَا بالخُطُوبِ ، وَتَهْزَأُ أجْفَانُنَا بِالحُلُمْ
فَإنّا بَنُو الدّهْرِ مَا نَستَفِيقُ مِنْ نَشْوَةِ الهَمّ حتّى نُهَمّ
وَلا نَصْحَبُ اللّيلَ حتّى نَخالُ كَوَاكِبَهُ في الفَيَافي بُهُمْ[2]

١ يستجم : يجتمع . البلابل : الوساوس ، والهموم . تلم : تأتي .
٢ البهم ، الواحدة بهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر .

وَلا بُـدّ مِنْ زَلّـةٍ للفتَى تُعَرّفُهُ كَيفَ قَدْرُ النِّعَمْ
فحسنُ العُلى بَعدَ حالِ الخُضُوعِ ، وَطيبُ الغِنى بَعدَ حالِ العَدَمْ
أأرْجُو المَعالي بِغَيرِ الطِّلابِ ، وَمِنْ أينَ يَحلُمُ مَنْ لَمْ يَنَمْ
إذا صَالَ بالجَهْلِ قَلبُ الجَهُو لِ فاعذِرْ فَما كلّ جَهلٍ لمَم[1]
رَأى الدّهرَ يَعصِفُ بالفاضِلينَ ، فَحَبّ مِنَ النّقصِ أنْ يَغتَنِمْ
سَتَقبُرُني الطّيرُ كَيلا أكُونَ سَوَاءً وَأموَاتَهُ في الرَّجَم[2]
أذُمّ رِجَالاً بتَرْكِ المَديحِ ، وَبَعضُ السّكوتِ عن المَدحِ ذَمّ
صِلِ اليأسَ وَانهضْ بِعبْءِ الخطوبِ، فَمَا يُثقِلُ الظّهرَ إلاّ الهَرَمْ
وَلا تَهجُرِ العَزْمَ عندَ المَشيبِ ، فَلَيسَ عَجيباً بِهَمٍّ يَهُمّ
وَمِنّيَ في ثَوْبِ هَذا الزّمَا نِ عَضْبٌ، إذا ما سَطا أوْ عزَمْ
وَما حِليَةُ البِيضِ صَوْغُ اللّجَينِ، وَلَكِنْ حِلاهَا دِمَاءُ القِمَمْ
أمرْخي ذؤابَةِ ذاكَ الهَجيرِ عَلى مَنكِبَيْ مَجْهَلٍ أوْ عَلَمْ
أرِحْنَا نُرِحْ وَتَرَاتِ المَطيّ ، فَإنّ بِهَا مَا بِنَا مِنْ ألَم[3]
وَيَا أهْيَفاً رَمَقَتْهُ العُيُونُ ، وَرَقّتْ عَلَيْهِ قُلُوبُ الأُمَمْ
تَضَرّمَ خَدّاهُ حتّى عَجِبْتُ لعَارِضِهِ كَيْفَ لَمْ يَضْطَرِمْ
لَئِنْ لمْ تَجِدْ طَائِعاً بالنّوَالِ ، لَقَدْ جَادَ عَنكَ الخَيالُ المُلِمّ

١ لمم : جنون .
٢ الرجم : القبر .
٣ الوتَرات ، الواحدة وترة : عظم رخص في أعلى الأذن ، حرف المنخر ، عصبة تحت اللسان .

وَمِثْلِكِ ظَالِمَةِ المُقْلَتَيْنِ   تَلاقَى الجَمَالُ عَلَيْهَا وَتَمّ
لَهَا في الحَشَا حَافِزٌ كُلَّمَا   جَرَى الدَّمعُ دَلَّ عَلَيْهِ وَنَمّ
أقُولُ لَهَا ، وَالقَنَا شُرَّعٌ ،   وَيُرْغَمُ مِنْ قَوْمِها مَنْ رُغِمْ
لَنَا دونَ خِدْرِكِ نَجوَى الزَّفِيرِ ،   وَمَجرَى الدّموعِ وَشكوَى الألَمْ
وَإلاّ فَقَرْعُ صُدُورِ القَنَا ،   وَوَقْعُ الظُّبَى وَصَليلُ اللُّجُمْ
وَنُقْبِلُهَا كَذِئَابِ الرِّدَا   هِ ، تَمْري عُلالَتَهُنّ الجُذُمْ[1]
دُفِعْنَ عَلى غَفَلاتِ الظُّنُو   نِ يَمضَغنَ مَضْغَ العَليقِ الحَكَمْ[2]
إلى أنْ تُلَطّمَهُنّ النّسَا   ءُ بالخُمْرِ دُونَ طَرِيقِ الحَرَمْ
أجِبْ أيّهَا الرَّبْعُ تَسآلَنَا ،   فَلَسْتَ عَلى بُعدِهِمْ مُتّهَمْ
فكَيفَ، وَأنتَ مَرِيضُ الطّلُولِ ،   ضَجيعُ البَلا ، وَنَجيُّ السّقَمْ
كَأنّكَ لمْ يَعتَنِقْكَ النّسيمُ ،   وَلا مَالَ نَحوَكَ قَطرٌ بِفَمْ
وَلا نَشَرَتْ فيكَ تِلكَ الرّياحُ   غَدائرَ مِنْ مُزْنَةٍ أوْ جُمَمْ
تَنَشَّرَ فيكَ سَحابُ الحَيَا ،   فَطَوّقَ جِيدَكَ لَمّا انْتَظَمْ
وَدَرّتْ عَلَيكَ ثُدِيُّ الغَمَامِ ،   كَأنّ رُبَاكَ سِقَابُ الدِّيَمْ[3]
ثَرًى يَرْمُقُ الغَيثَ عَنْ مُقلَةٍ   بهَا رَمَدٌ مِنْ رَمَادِ الحُمَمْ[4]

١ الرداه ، الواحدة ردهة : الحفرة في أعلى الجبل . تمري : تستخرج . العلالة : جري الفرس الجذم : السياط المتقطعة الأطراف ، الواحد أجذم .
٢ الحكم ، الواحدة حكمة : ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه .
٣ السقاب : أولاد النياق ساعة تولد ، الواحد سقب .
٤ الحمم : الفحم وكل ما احترق من النار .

وَمِنْ أَينَ تَعرِفُكَ اليَعمَلا تُ ، وَالدّمعُ في خَدّها مُزْدَحِمْ
وَلَكِنْ أحَسّتْ بِأعطَانِهَا ، وَأوْطَانِهَا في اللّيَالي القُدُمْ
أحِنُّ إلَيكَ ، وَتَأبَى المَطيُّ بِخَدّ تُرَابِكَ أنْ يَلْتَطِمْ
وَخَرْقٍ تَدافَعُهُ المُقْرَبَا تُ خَوْفاً وَتَنفرُ مِنهُ الرُّسُمْ
تَجَلّلْتُ فيهِ رِداءَ الظّلامِ ، وَسِرْتُ ، وَحَاشِيَتَاهُ الهِمَمْ
عَلى كُلّ خَطّارَةٍ لَمْ تَزَلْ تُجَاذِبُنَا السّيرَ ، حتّى انفَصَمْ
خرَقْنا مَعَ الشّمسِ تلكَ الفَلاةَ ، وَجُبْنَا مَعَ اللّيْلِ تِلكَ الأكَمْ
صَلِينَا بجَمْرَةِ ذاكَ الهَجِيرِ ، وَعُدْنَا بِفَحْمَةِ هَذي العُتُمْ
كَأنّ مَنَاسِمَهَا في السُّرَى تَلاعَبُ بَينَ الحَصَى بِالزُّلَمْ
وَمَالَ النّهَارُ بِأخْفَافِهَا ، إلى أدْعَجٍ بالدُّجَى مُدْلَهِمّ
زَحَمْنَ بِنَا اللّيْلَ في ثَوْبِهِ ، فَكَادَتْ مَنَاكِبُهُ تَنحَطِمْ
نُعَانِقُ بِيضاً كَأنّ الصّدَا بِأطْرَافِهَا شَحبَةٌ ، أوْ غَمَمْ[1]
وَقَدْ لَمَعَتْ مِن حَوَاشِي الغُمودِ كمَا نَصَلَتْ أنْمُلٌ مِنْ عَنَمْ
وَقُلّصَ عَنّا قَمِيصُ الظّلامِ ، فَكَانَ بِأنْفِ الدّيَاجي شَمَمْ
وَيَوْمٍ يَرِفّ عَلَيْهِ الرّدَى بأجنِحَةِ المُصْلَتَاتِ الخُذُمْ
مَتَى انْسَلّ لَحظُ ذُكَاءٍ بِهِ ، فَأجْفَانُهُ قَادِمَاتُ الرَّخَمْ[2]

١ الشحبة من الشحوب : تغير اللون . غمم : مر شرحه .

٢ ذكاء : علم للشمس . القادمات : الريشات في مقدم جناح الطائر . الرخم ، الواحدة رخمة طائر أبقع اللون يشبه النسر .

عَلَيَّ طِعَانٌ يَرُدُّ الجَسوَا دَ بالدّمِ أَلْمَى مَكَانَ الرَّثَمْ[1]
وَأيْدٍ تُجِيلُ قِداحَ الرِّمَاحِ ، وَبَاعُ المُعَرِّدِ عَنْهَا بَرَمْ[2]
قُلُوبٌ كأُسدِ الشّرَى الضّارِياتِ، وَأَحشَاؤهُمْ دُونَهَا كَالأَجَمْ
فَمَا تَرْشُفُ المَاءَ إلاّ اعتِلالاً ؛ وَلا تَجْرَعُ المَاءَ إلاّ قَرَمْ[3]
إذا حَسَرُوا قَالَ سَيفُ الحِمامِ ؛ وَأَعْطَافُهُ عَلَقاً تَنسَجِمْ[4]
أللطّعنِ تُهتَكُ هَذي النّحورُ ، وَللضّرْبِ تُكشَفُ هذي القِمَمْ
إذا صَحِبُوا الدّمَ في البَاتِرَاتِ ، فَلا صَحِبُوا مَاءَهُمْ في الأَدَمْ
مَضَوْا ما طوَى العَذلُ من جودِهِمْ وَلا أتْبَعُوا المَالَ عَضَّ النّدَمْ
وَسَالَتْ لمَجْدِهِمُ غُرّةٌ ، تَكَادُ تَكُونُ حِجَالَ القَدَمْ
قدِ استَحيَتِ السُّمرُ من طَعنِهِمْ ، فَكَادَتْ لإفْرَاطِهِ تَحْتَشِمْ
هُوَ الطّعْنُ يَفتَرّ مِنْهُ الجَوَادُ ، وَلَوْ كَانَ ذا مَرَحٍ لابتَسَمْ
رِدِي أحمرَ المَاءِ ، قُبَّ الجِيادِ ، فَأبْيَضُ غُدْرَانِهِ للنَّعَمْ
غِنَاءُ ظُبَانَا عَوِيلُ النّسَاءِ ، وَقَرْعُ قَنَانَا لِطَامُ اللِّمَمْ
ألَيْسَ أبُونَا أعَزَّ الوَرَى جَنَاباً ، وَأَكْرَمَ خَالاً وَعَمّ
كَأنّكَ تَلقَى بِهِ السّمهَرِيّ ، إذا مُدّ يَوْمَ وَغًى ، أوْ أتَمْ[5]

١ ألمى : مسود الشفة . الرثم : بياض في الجحفلة العليا ، وقد مر .
٢ المعرد : الهارب . البرم : الذي لا يحضر الميسر لبخله ولؤمه .
٣ قوله : قرم ، استعار شهوة اللحم لشهوة الماء .
٤ قال سيف الحمام : أي تكلم . أعطافه : أي أعطاف السيف . العلق : الدم . تنسجم : تن
٥ أتم : أقام بالمكان ، أبطأ . أو لعلها أتّم بتشديد الميم : قصد ومضى .

يَقُدُّ ، إذا مَا نبَا العَاجِزُونَ ؛ وَضَرْبُ الظُّبَى غيرُ ضربِ القَدُمْ
أسِرّةُ كَفّيْهِ عُمْرُ الزّمَانِ ، جَداولُ مَاءِ الرّدَى وَالكَرَمْ
فَإمّا تَفيضُ بِغَمْرِ النّوَالِ عَلى المُعتَفِينَ ، وَإمّا بِدَمْ
تَعَوّذُ مِنْ خَوْفِهِ العَاصِفَاتُ ، إذا عَصَفَتْ في حِمَاهُ الأشَمّ
وكَانَ ، إذا رَامَ خَدْعَ العُلَى ، تَقَنّصَهَا ، وَالعَوَالي خُطُمْ
يَقي كُلَّ شيْءٍ ، فَلَوْ يَستَطيعُ غَدَا لخُدُودِ الأعادي لُثُمْ
وَيَرْضَى ،إذا قيلَ يا ابنَ النّجادِ ، وَيَدْعُو الجِيَادَ بَنَاتِ الحُزُمْ
فَتًى لَوْ أذَمّ عَلَى صُبْحِهِ لمَا جَازَ في الضّوْءِ أمرُ الظُّلَمْ
وَأهْيَفُ ، إنْ زَعزَعَتْهُ البَنَانُ أمطَرَ في الطِّرْسِ لَيلاً أحَمّ
يَشِيبُ ، إذا حَذّفَتْهُ المُدَى ، وَتَخْضِبُ لِمّتَهُ لا هَرَمْ[1]
وَتَنْطِفُ عَنْ فَمِهِ رِيقَةٌ سُوَيْداءُ تَقتُلُ مِنْ غَيرِ سُمّ
لَهُ شَفَتَانِ ، فَلَوْ كَانَتَا لِسَاناً لمَا بَانَ عَنْهُ الكَلِمْ
وَربّتَمَا ظَنّهَا الخَائِفُونَ لِسَانَ فَمِ الأرْقَمِ ابنِ الرَّقَمْ[2]
لَهُ سَبْتَةٌ بَينَ لِهبَيْ صفاً ، يَقُولُونَ نَامَ ، وَلَمّا يَنَمْ[3]
وَأنتِ ابنَةُ الفِكْرِ قابَلْتِنَا بِعِقْدٍ لجِيدِ العُلَى مُنْتَظِمْ
تَرُوقِينَ أسمَاعَنَا في النّشيدِ ، كَأنّكِ مِنْ كُلّ لَفظٍ نَغَمْ

١ حذفته : قطعت أطرافه . المدى : الشفرات ، الواحدة مدية .
٢ الأرقم : حية خبيثة . الرقم : الداهية .
٣ السبتة : النومة . اللهب : الفرجة بين جبلين . الصفا : الحجارة ، الواحدة صفاة

ألا خبر من الغور

قال أيضاً في معنى عرض له :

ألا خَبَرٌ عَن جانِبِ الغَوْرِ وَارِدٌ ، تَرَامَى بِهِ أيدي المَطيِّ الرَّوَاسِمِ
وَإنّي لأرْجُو خُطْوَةً لَوْذَعِيّةً ، تُجيبُ بِنا داعي العُلى وَالمَكَارِمِ[1]
نُداوِي بهَا مِنْ زَفرَةِ الشّوْقِ أنفُساً تَطَلّعُ مَا بَيْنَ اللُّهَى وَالحَيَازِمِ
وَإنّي، على ما يُوجِبُ الدّهرُ للفَتى، وَلَوْ سامَهُ حَمْلَ الأمورِ العَظَائِمِ
مُقيمٌ بِأطْرَافِ الثّنَايَا ، صَبَابَةً ، أُسَائِلُ عَن أظعانِكمْ كلَّ قَادِمِ
وَأرْقُبُ خَفّاقَ النّسيمِ ، إذا حَدَا مِنَ الغَرْبِ أعناقَ الرّياحِ الهَوَاجِمِ
بَنَاتِ السُّرَى، هذا الذي كَانَ قَلْبُهُ يَسُومُكِ أن تَصْلَيْ بنارِ العَزَائِمِ
وَمِنْ كُلِّ وَضّاحِ الحُسَامِ مُشَمِّراً إذا شَحَبَتْ فينَا وُجُوهُ المَظالِمِ
يُمَسّحُ أضْغَانَ العَدُوّ ، وَإنّمَا يُقَبّلُ ثَغراً مِنْ ثُغُورِ الأرَاقِمِ
إذا شَهِدَ الحَرْبَ العَوَانَ تَدافَعَتْ صُدورُ المَوَاضِي في الطُّلى وَالجَمَاجِمِ
وَعَفّرَ فُرْسَانَ العِدا ، وَدِمَاؤهُمْ جَوَامِدُ مَا بَيْنَ اللّحَى وَالعَمَائِمِ
حَدا فَقْدُهُ كُلَّ العُيونِ إلى البُكَا، فَقَطّعَ أرْسَانَ الدّمُوعِ السّوَاجِمِ
وَمَا خَطَرَتْ منهُ على المَجدِ زَلّةٌ ، فَيَقْرَعَ في آثَارِهَا سِنَّ نَادِمِ
ألا لَيْتَ شِعرِي هَلْ أبيتَنّ لَيلَةً ألاطِمُ أعنَاقَ الرُّبَى بالمَنَاسِمِ

---

١ اللوذعية : الخفيفة الذكية الذهن ، الحديدة الفؤاد ، استعارها للخطوة .

وَهلْ تَقذِفُ البيداءُ رَحْلي إلَيكُمُ ،	تَنَفَّسُ عَنْ لَيلي أُنُوفُ المَخَارِمِ
وَلا بُدّ أنْ ألقَى العِدا في خَميلَةٍ	من الخَيلِ تُولى بالقَنا وَالصّوَارِمِ [1]

انا الاسد الماضي

قال أيضاً يفتخر ويذم الزمان :

ألا لَيتَ أذْيَالَ الغيُوثِ السّوَاجِمِ	تُجَرّ على تِلْكَ الرُّبَى وَالمَعَالِمِ
وَلَوْلاك ما استَسقَيتُ مُزْناً لمَنْزِلٍ ،	فَأحْمِلَ فيهِ مِنّةً للغَمَائِمِ
وَيا رُبّ أرْضٍ قد قَطعتُ تَشُقّ بي	جُيُوبَ المَلا أيدي المَطيّ الرّوَاسِمِ [2]
وَلَيْلٍ طَوِيلِ البَاعِ قَصّرْتُ طولَهُ	إلَيك ، وَقَد ألقَى يَداً في المَخارِمِ
وَعِيسٍ خَطَتْ عَرْضَ الفَلا برِحالنا	تُزَعزِعُ في الأعناقِ رُقشَ التّمَائِمِ [3]
إذا فَاحَ رَيْعَانُ النّسيمِ رَأيتَهَا	إلى الجَانبِ الغَرْبيّ عُوجَ الخَيَاشِمِ
يَسيرُ بهَا مُستَنْجِدٌ بِعِصَابَةٍ	أنَامِلُهَا مَلْوِيّةٌ بِالقَوَائِمِ
تُبَارِي نُجومَ اللّيلِ بالبِيضِ وَالقَنا	وَضَوْءَ بُدُورٍ هَامُهَا في العَمَائِمِ

١ الخميلة : الشجر المجتمع الكثير ، استعارها للخيل الكثيرة المجتمعة . تولى : ت
٢ الملا : الصحراء .
٣ تزعزع : تحرك . الرقش ، الواحد أرقش ورقشاء : المزينة . التمائم ، الواحدة تميمة : ما يعلق في الأعناق ليطرد العين .

حَقِيقٌ بِأَنْ لا يَهتِكَ الدّهرُ ثَوْبَهُ ؛ عَنِ العارِ كأسٌ مِن عَجاجِ المَلاحمِ[1]

فأينَ مِنَ الدّهرِ استِماعُ ظُلامَتي ، إذا نُظِرَتْ أيّامُهُ في المَظَالِمِ

فَهَلْ نافعي أنْ يَنصُرَ المَجدُ عَزْمَتي عَلى هَذهِ العَلياءِ ، وَالمَالُ ظالمِي

أنَا الأسَدُ المَاضِي عَلى كُلّ فَعلَةٍ ، تُمَشّي شِفارَ البِيضِ فوْقَ الجَماجِمِ

وَفي مِثلِها أرْضَيتُ عن عَزْمِيَ المُنى ، وَصَافَحتُ أطرَافَ القَنَا وَالصّوَارِمِ

ولَمْ أدْرِ أنّ الدّهْرَ يَخْفِضُ أهلَهُ ، إذا سكَنَتْ فيهِمْ نفوسُ الضّرَاغِمِ

وَمَا العَيشُ إلاّ فَرْحَةٌ إنْ هَجَرْتَها سَطَوْتَ عَلى الدّنيَا بسَطْوَةِ حَازِمِ

سأصْبِرُ حتّى يَعلَمَ الصّبرُ أنّني ملَكتُ به دَفعَ الخُطوبِ الهَوَاجِمِ

وَآخُذُ ثارِي مِنْ زَمَانٍ تَعَرّضَتْ مَغَارِمُهُ بَيْني وَبَينَ المَغانِمِ

وَمَا نامَ إغْضَاءٌ عنِ الدّهرِ صَارِمي، وَلَكِنّني أُبْقي عَلى غَيرِ رَاحِمِ

وَإنْ أنَا أهلَكْتُ الزّمانَ فَما الذي يُصَدّعُ عَزْمي في صُدورِ العَظائِمِ

وَرَكْبٍ سَرَوْا ، وَاللّيلُ مُلقٍ جِرَانه عَلى كُلّ مُغبَرّ المَطالِعِ قَاتِمِ[2]

حدَوْا عزَمَاتٍ ضَاعتِ الأرْضُ بَينَها، فَصَارَ سُرَاهُمْ في صُدُورِ العَزَائِمِ

تُرِيهِمْ نُجُومُ اللّيْلِ مَا يَبْتَغُونَهُ عَلى عَاتِقِ الشّعرَى وَهامِ النّعائِمِ[3]

وَغَطّى على الأرْضِ الدُّجَى فكأنّنَا نُفَتّشُ عَنْ أعلامِهَا بِالمَنَاسِمِ

١ هذا البيت مضطرب التركيب ، غامض ، وقد يكون فيه تحريف .

٢ الليل ملق جرانه : مقبل ، ملق أثقاله .

٣ الشعرى : كوكب ، وهما شعريان : الشعرى العبور والشعرى العميصاء ، ولهما أسطورة عند العرب معروفة . النعائم : من منازل القمر .

وَفِتيَةِ صِدْقٍ من قُرَيشٍ ، إذا انتدوا	أرَوْكَ عَطَاءَ المَالِ ضَرْبَةَ لازِمِ
إذا طَرَدُوا في مَعرَكِ المَجدِ قَصّفُوا	رِمَاحَ العَطايا في صُدُورِ المَكَارِمِ
وَإنْ سَحَبُوا خِرْصَانَهم لكَريهَةٍ	تَصَدّعَ صَدرُ الأرْضِ عنقلبِ وَاجمِ[1]
وَتَثْبُتُ في علْيا مَعَدّ غُصُونُهُمْ ،	ثَبَاتَ بَنَانٍ في قُلُوبِ البَرَاجِمِ[2]
أيَسمَحُ لي هذا الزّمَانُ بِصَاحِبٍ	طَوِيلِ نِجادِ السّيفِ من آلِ هاشِمِ
إذا أنَا شَيّعْتُ الحُسَامَ بِكَفّهِ	مضَى عزْمَ مَشبوحِ الذّرَاعِ ضُبارِمِ[3]
وَإنْ ضَافَهُ الهَمّ النّزِيعُ رَمَى بهَا	نَزَائِعَ لا يُعلَفنَ غَيرَ الشّكَائِمِ
وَلَستُ بمُستَصْفٍ سِوَى كلّ خائضٍ	إلى كُلّ بَحْرٍ بِالقَنَا مُتَلاطِمِ
أنَامِلُهُ في الحَرْبِ عَشْرُ أسِنّةٍ ،	وَلَكِنّهَا في الجُودِ عَشرُ غَمَائِمِ
طَمُوحٍ ،إذا غَضّ الشّجاعُ لحاظَه ،	وَأطرَقَ عَنْ بَرْقِ الظُّبَى كلُّ شائِمِ
أعاذِلَ مَا سَمعي للوْمِكِ مَرْتَعاً ،	إذا كَانَ مَصْرُوفاً إلى غَيرِ لائِمِ
أبُثّك عَنْ لَيْلٍ تَعَسّفْتُ مَتْنَهُ	كأنّيَ أمشِي في مُتُونِ الأرَاقِمِ
يُخَيّلُ لي أنّ النّجُومَ ضَمَائِرٌ	تَقَلْقَلُ فِيهِ خَشيَةً مِنْ عَزَائمي
لَقيتُ ظَلامَ اللّيلِ في لَوْنِ مَفرِقي ،	وَفَارَقْتُهُ وَالصّبحُ في لَوْنِ صَارِمِي
أُجَوّبُ آجَامَ المَنَايَا ، وَأُسْدُهَا	تُرَوّعُنِي مِنْ بَيْنِهَا بالهَمَاهِمِ
وَبَيني وَبَينَ القَوْمِ مِنْ آلِ يَعرُبٍ	ضَغَائِنُ تَثْنيني زَهِيدَ المَطَاعِمِ[4]

١ الخرصان : الأسنة . الواجم : الممسك عن الكلام لحزنه .
٢ البراجم : مفاصل الأصابع .
٣ مشبوح الذراع ضبارم : أراد الأسد العظيم الجسيم .
٤ زهيد : نصبه بنزع الخافض ، أي عن زهيد .

إذا ما جَنَوْا مِنْ مالِهم ثَمَرَ العُلى، جَنَيتُ المَعالي من غُصُونِ اللّهاذِمِ
أغَرَّ بَني فِهرٍ وَعيدُ مجاشعٍ، وأيُّ وَعيدٍ بَعْدَ وَقْعِ الصّوَارِمِ
أيُوعِدُنا مَن عَطّلَ البِيضَ والقَنا، وأقسَمَ لا يَنجُو بغَيرِ الهَزَائمِ
عَشيّةَ خُضْنا بالضّوَامرِ لَيلَهُمْ، وَفي كُلّ جَفنٍ منهُمُ طَيفُ حالِمِ
نُرِيهِمْ صُدورَ السُّمْرِ بينَ نحورِهمْ، فَما استَيقَظوا إلاّ بقَرْعِ الحَلاقِمِ
كأنّ الكرَى يَقتَصُّ من طول نوْمهم فيُسْهِرُ مِنْهُ بالقَنَا كُلَّ نَائِمِ
وكُلُّ غُلامٍ خالَطَ البأسُ قَلبَهُ، يُقَطّعُ أقرَانَ الأمُورِ الغَوَاشِمِ
وَنَحْنُ دَلَفْنَا للأرَاقِمِ فِتْيَةً يُضِيفُونَ أطرَافَ القَنَا في الحَيازِمِ
تَطَلّعُ مِنْ خَلفِ العَجاجِ كَأنّما تُطَالِعُهُمْ مِنْهَا عُيُونُ القَشاعِمِ
إذا اشتَجرَ الضّرْبُ الدّرَاكُ تمَطّقتْ إلى الطّعنِ أفوَاهُ النّسُورِ الحَوَائِمِ
وَوَلّوْا على الخَيلِ العِتاقِ كأنّهُمْ تَزَاحُمُ غَيمِ العارِضِ المُتَرَاكِمِ
تَفيضُ عُيونُ الطّعنِ بالدّمِ منهُمُ، وَيَغلِبُها فَيضُ العُيُونِ السّوَاجِمِ

قال أيضاً يفتخر وهي من أول قوافيه وقد أسقط منها بعض أشياء :

هَذي الرِّماحُ عصِيُّ الضَّالِ وَالسَّلَمِ ، لولا مُطَاعَنَةُ الآرَاءِ وَالهِمَمِ [1]
إنَّ الذَّوَابِلَ وَالأقْلامَ أرْشِيَةٌ إلى العُلَى ، لِمُلُوكِ العُرْبِ وَالعَجَمِ [2]
لَيسَ السّيوفُ عَنِ الأقلامِ مُغنيَةً ، الفَرْيُ للسّيفِ ، وَالتّقديرُ للقَلَمِ
كالكَوْكَبِ انتَشَرَتْ منْهُ ذَوَائِبُهُ ، وَمُوقِدُ النّارِ يُذكيها عَلى أضَمِ [3]
أوْ كالشّجاعِ تَمَطّى بَعدَ هَجعتِهِ يُرْخي لِساناً كغَرْبِ اللَّهذَمِ الخَذِمِ [4]
غُرّانِ مَا اجتَمَعَا إلاّ لمُنْصَلِتٍ عَلى الحَوَادِثِ صَبّارٍ عَلى الألَمِ
لِهَاشِمٍ غُرَرٌ تُلْقَى لِسَائِلِهَا طَلاّعَةٌ مِنْ ثَنَايَا البأسِ وَالكَرَمِ
وخُضْخِضَ السَّجلُ في قَعرِ القليبِ فلم يَنْزَحْ لَهُ غَيرُ مكتُومٍ مِنَ الوَذَمِ [5]
وَأصْبَحَ البَرْقُ يُخفي حُرَّ صَفحَتِهِ عَنِ المَرَابعِ ، أوْ يَبرَا مِنَ الدِّيَمِ
وَأجْدَبَ القَوْمُ وَاضْطُرّتْ أكفُّهُمُ ، وَإنْ تَطَهّرْنَ مِنْ إثْمٍ ، إلى الزَّلَمِ [6]
وَقَلّ عِنْدَ كِرَامِ الحَيِّ نَائِلُهُمْ حَتّى جَلا يَوْمَ نَحرٍ مَنزِلَ البَرَمِ

١ الضال والسلم : من أنواع الشجر .
٢ الأرشية ، الواحد رشاء : الحبل .
٣ أضم : جبل .
٤ الشجاع : ضرب من الحيات . اللهذم : السنان . الخذم : القاطع .
٥ المكتوم : الخرز الذي لا ينضح منه الماء . الوذم : سيور بين آذان الدلو والعراقي .
٦ الزلم : السهم ، واحد السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .

وَكُلُّ سَائِمَةٍ بَاتَتْ تُمَسِّحُهَا كَفُّ المُسِيمِ غَدَتْ لحماً على وَضَمِ[1]

وَصَوّحَ النّبْتُ حتّى كادَ مِن سغَبٍ فيهِمْ يُصَوِّحُ نَبْتُ الهَامِ وَاللِّمَمِ[2]

كَانُوا السّحائِبَ تَرْمي من كنائنِها مَقَاتِلَ المَحلِ كالمُثعَنجِرِ الرّذِمِ[3]

أرْغَتْ مَعَدٌّ وَأثغَى مَن يُنَاضِلُها، وَمَنْ يُقَايِسُ بَيْنَ الشّاءِ وَالنَّعَمِ

دُنْيَا تَرَشّفُ عَيشي ، وَهيَ كالحَةٌ غَضْبَى ، وَأبسِمُ فيها باديَ الكَظَمِ[4]

كالخَمرِ يَعبِسُ حاسيها على مِقَةٍ ، وَالكَأسُ تَجلُو عَلَيهِ ثَغرَ مُبتَسِمِ

الجِدُّ لا يَقْتَضِي إسْمَاعَ مُلهِيَةٍ ، وَالهَزْلُ يكمُنُ في الأوْتَارِ وَالنّغَمِ

وَمَا ابنُ غِيلٍ تُذيعُ المَوْتَ طَلعَتُهُ ، إذا تَطَلّعَ غَضْبَاناً مِنَ الأجَمِ[5]

يَجلُو دُجَى شِدقِهِ عن صُبحِ عاصِلةٍ مَطرُورَةٍ كَشَبَا المَطرُورَةِ الخُذُمِ[6]

يوْماً بأقْدَمَ مِني في مُلَملَمَةٍ شَعوَاءَ تُعرَفُ بالعِقبَانِ وَالرَّخَمِ[7]

وَاليَوْمَ قَطّعَ قَرْعُ البِيضِ حَبوَتَهُ عَنِ العَجاجِ وَخَيلُ اللهِ في الحَرَمِ

إذا العَوَالي على أشداقِها هَجَمَتْ أعدى اللّمى بالدّمِ الجاري على الرّثَمِ

وَالطّعْنُ يَنتَجِعُ الأجسادَ أنفُسَهَا، وَالضّرْبُ يَبخَلُ بالبُقيَا على القِمَمِ

وَرُبّ لَيْلٍ كَأنّ النّارَ مُقلَتُهُ ، وَالكَلبَ يَسمَعُهُ النّائي عن الصّمَمِ

١ المسيم : الراعي .
٢ صوح : تشقق وتناثر .
٣ المثعنجر بفتح الجيم : وسط البحر ، وبكسرها : الماء السائل . والرذم : السائل .
٤ الكظم : الكرب والغم .
٥ الغيل : الأجمة ، وابنها : الأسد .
٦ العاصلة : أراد أنيابه العوجاء . مطرورة : محددة . الشبا : حد كل شيء . الخذم : القاطعة
٧ الململمة : الكتيبة . الشعواء : المتفرقة لكثرتها .

سَهِرْتُهُ ، وَالأمَاني تَرْتَقي فِكَرِي، حتّى تَطَلّعَ مِنْ هَمّي إلى هِمَمي
أُرَاقِبُ الضّيْفَ أنْ يرْعَى مَطيّتَهُ وَبَيْنَنَا مَنكِبٌ عَالٍ مِنَ الظُّلَمِ
أوْحَى الظّلامُ إلى الإصْبَاحِ أنّ فتًى أسرَى وَمَا خَدَعَتْهُ لَذّةُ الحُلُمِ
عَلى جُماليّةٍ تُوفي الزّمَامَ خُطاً ، تَكَادُ تَسبُقُهُ من خِفّةِ القَدَمِ
خَرّاجَةِ الصّدْرِ إنْ صَاحَ المُهيبُ بهَا على الوَجى من صُدورِ الأينُقِ الرُّسُمِ
حَرْفٍ تبَوّعُ بي في كلّ مَجْهَلَةٍ ، كَأنّني رَاكِبٌ مِنْهَا على عَلَمِ[1]
تُلقي الأجِنّةَ قَتلَى في مَسَالِكِها ، دياتُهَا في رِقَابِ القَصْدِ وَالأمَمِ
متى تَنَسّمُ مَسّ السّوْطِ جِلدَتُها ، زَافَتْ كمَا زَافَ عُنُقُ المُصْعَبِ القَطِمِ[2]
تُطغي الخِطامَ ، إذا ما البرّ صَافَحَهُ تَيّارُ بَحرٍ بأيدي العِيسِ مُلتَطِمِ
هَوْجَاءُ ما التَفَتَتْ يوْماً عَلى ألَمٍ مِنَ السّياطِ وَلا حَنّتْ إلى قَرَمِ[3]
إذا جَذَبْتُ لذِكْرِ السّيرِ مِقوَدَهَا كَأنّمَا جَذَبَتْهَا سَوْرَةُ اللَّمَمِ[4]
ما يَطلُبُ الدّهرُ وَالأيّامُ من رَجُلٍ يَعُوذُ بالحَمدِ إشفاقاً عَلى النِّعَمِ
إذا اقتَضَتْهُ الأمَاني بَعضَ مَوْعِدِهِ غَطّى بسَتْرِ العَطَايا عَوْرَةَ العَدَمِ
مَنْ مَدّ مِعصَمَهُ مُستَعصِماً بِيَدي عَصَمْتُهُ بإخَاءٍ غَيرِ مُنْجَذِمِ
وَمَنْ أُشَيّعْهُ يَأمَنْ مِنْ لَوَائِمِهِ، وَلَوْ رَمَوْهُ بِجَرّاحٍ مِنَ الكَلِمِ
وَلَوْ هتكتُ حِجابَ الغيبِ لافتَضَحتْ أجفانُ كُلّ مُرِيبِ اللّحظِ مُتّهَمِ

١ الحرف : الناقة الضامرة ، وهو نعت للجمالية أي الناقة الصلبة الشديدة . تبوع : تمد باعها .
٢ زافت : تبخترت . المصعب : الفحل الصعب . القطم : الهائج .
٣ قوله القرم : استعار شهوة اللحم لشهوة المرعى .
٤ السورة : الحدة ، الشدة . اللمم : طرف من الجنون .

كَفَى الذي سبّني أنّي صبرْتُ لهُ ، فاستنصرَ العُذرَ واستحيا من الحُرَمِ
بُرْدي عفيفٌ إذا غيري لفجرتِهِ كانتْ مناسجُ بُرْدَيهِ على التُّهَمِ
أنا زُهيرٌ ، فمَنْ لي في زمانِكَ ذا ببعضِ ما افترقتْ عنهُ يدا هَرِمِ
إذا العدُوّ عصاني خافَ حدّ يدي ، وعِرْضُهُ آمنٌ مِنْ هاجراتِ فمي
جعلتُ سمعي على قوْلِ الخنا حرَماً ، فأيُّ فاحشةٍ تدْنُو إلى حرَمِ
يكادُ أنْفي إذا ما استافَ مرْتبَةً من التّواضُعِ ينضُو خُلعةَ الشَّمَمِ
جدّي النّبيّ ، وأُمّي بنتُهُ ، وأبي وَصيُّهُ ، وجُدُودي خيرَةُ الأُمَمِ
لقَصْدِنَا تتَمطّى كُلّ راقِصَةٍ هَوْجاءَ تَخبِطُ هامَ الصّخرِ والرَّجَمِ[1]
بكُلّ أشعثَ مُنقَدّ القَميصِ ، إذا جَدّ النّجاءُ بِهِ عَن أطيَبِ الشّيَمِ
لنَا المَقامُ ، وبَيتُ اللهِ حُجرَتُهُ في المَجدِ ثابتَةُ الأطْنابِ والدُّعُمِ
ومَوْلدي طاهرُ الأثوابِ تَحسَبُني وُلدتُ في حِجرِ ذاكَ الحِجرِ والحَرَمِ

ماذا قال الضمير

قال في معنى عرض له

قَالَ الضّميرُ بِمَا عَلِمْ : أنْتَ المُحكَّمُ فاحتَكِمْ
خَجِلٌ يُنَمّقُ عُذْرَهُ ، والعُذْرُ شاهِدُ مَنْ نَدِمْ

١ الراقصة الهوجاء : الناقة المسرعة . الرجم : الحجارة .

لا تُلْزِمَنّي زَلّـةً ، سَفَهَتْ عَلَيَّ بهَا القَدَمْ
فَلَقَلّمَا غَضِبَتْ عَلى أشْبَالِهَا أُسدُ الأجَمْ
هَلْ أنْتَ إلاّ البَدْرُ يَطْـ رِفُ ضَوْءُهُ مُقَلَ الظُّلَمْ
صَافَحْتُ رَاحَتَهُ ، وَحَشْـ وُ بَنَانِهَا عَبَقُ الكَرَمْ
فَكَأنّمَا جَذَبَتْ يَدِي بِذُؤابَتَيْ سَيْلِ العَرِمْ[1]
جَاءَتْ كَأنّ بِعِطْفِهَا خَجَلَ المَحولِ من الدّيَمْ[2]
حَطّتْ إلَيْكَ مِنَ الضّمَا ئِرِ فِي رِشَاءٍ مِنْ نَدَمْ

الموت يبلغ كل نفس

قال أيضاً رحمه الله تعالى يرثي بنت صديق له توفيت ويعزيه عنها :

عَجِزْنا عَن مُرَاغَمَةِ الحِمَامِ ، وَداءُ المَوْتِ مُغرًى بالأنَامِ
وَما جَزَعُ الجَزُوعِ ،وَإنْ تَنَاهَى، بمُنْتَصِفٍ مِنَ الدّاءِ العُقَامِ
وَأينَ نَحُورُ عَن طُرُقِ المَنَايَا ، وَفي أيْدِي الرّدَى طرَفُ الزّمَامِ
نَوَائِبُ مَا أصَخْنَ إلى عِتَابٍ يَطُولُ وَلا حَذِرْنَ عَلى مَلامِ

١ العرم : السيل الذي لا يطاق دفعه .
٢ المحول من الديم : السحب غير الماطرة .

هيَ الأيّامُ تـأكُلُ كُلَّ حَيٍّ ، وتَعْصِفُ بالكِرَامِ وَباللّئَامِ
وَكُلٌّ مُفَارِقٍ للعيْشِ يلقَى كَمَا لَقِيَ الرّضِيعُ مِنَ الفِطَامِ
وَكَمْ لِيَدِ النّوَائِبِ مِنْ صريعٍ بِداءِ السّيْفِ أوْ داءِ السّقَامِ
فَمَنْ وَرَدَ المَنيّةَ عَنْ وَفَاةٍ كآخرَ عاثِرِ العِرْنِينِ دامِ
وَلَوْ أمِنَ الجَبَانُ مِنَ المَنَايَا ، لأغْمَدَ سَيفَهُ البَطَلُ المُحامي
وَمَا يَغْتَرُّ بالدّنْيَا لَبيبٌ يَفِرّ مِنَ الحَيَاةِ إلى الحِمَامِ
تُنَافِرُ ثمّ تَرْجِعُ بَعدَ وَهْنٍ رُجُوعَ القَوْسِ تَرْمَحُ بالسّهَامِ
خُطوبٌ لا أُجِمّ لهَا جوَادي ، وَعَزْمٌ لا أحُطّ لَهُ لِثَامي[1]
رَأيْتُ المَوْتَ يَبلُغُ كُلّ نَفْسٍ عَلى بُعْدِ المَسَافَةِ وَالمَرَامِ
سَوَاءٌ إنْ شَدَدْتُ لَهُ حَزِيمي ، زِماعاً ، أوْ حَلَلْتُ لَهُ حِزَامي[2]
عَزَاءَكَ ما استَطَعتَ،فكلُّ حزْنٍ يَؤولُ بِهِ الغُلُوّ إلى الأثَامِ[3]
وَعُمْرُ المَرْءِ يَنْقُصُ كلّ يوْمٍ ، وَلا عُمْرٌ يَقَرّ عَلى التّمَامِ
وَمَا تُنجي الدّموعُ مِنَ المَنَايَا ؛ فَتُرْسِلَهَا بِأرْبَعَةٍ سِجَامِ
وَكُنّا عِنْدَ مُخْتَلِفِ اللّيَالي ، وَكَرِّ الدّهْرِ عَاماً بَعْدَ عَامِ
إذا أخَذَ الرّدَى مِنّا رَجَعْنَا إلى صَبرٍ يُشَرِّدُ بالغَرَامِ
وَكَانَ الصّبرُ يَقبِضُ كُلَّ وَجدٍ ، كَمَا قَبَضَ الصّباحُ مِنَ الظّلامِ
وَفي حُسنِ العَزَاءِ لَنَا مُجِيرٌ ، يُخَلّصُنَا مِنَ الكُرَبِ العِظَامِ

---

١ أجم جواده : ترك ركوبه .
٢ الزماع : الخوف .
٣ الأثام : العقوبة .

أَسَاكِنَةَ التّرَابِ، وَكُلُّ حَيٍّ جَدِيرٌ أَنْ يُغَيَّبَ في الرِّجَامِ[1]
تَقَنّصَكِ الرّدى عَرَضاً وَأمسَى يُجَاذِبُكِ المَسِيرَ عَنِ المُقَامِ
وَلَجْلَجَ مَنْ نَعَاكِ، وكل ناعٍ يُجَمجِمُ أوْ يُلَجلِجُ في الكَلامِ
وَكُلُّ حَشًى عَلَيكِ كأنّ فيهِ سِنَانَ الرّمْحِ أوْ طَرَفَ الحُسَامِ
أيَا قَبراً تَقَسّمَ كُلَّ صَبْرٍ، وَقَلْقَلَ عَبرَةَ المُقَلِ الدّوَامي
أقَامَتْ فيكَ مَاجِدَةٌ حَصَانٌ كَمَاءِ المُزْنِ مِنْ بِيضِ الخِيامِ
تَطَرّقَكَ النّسِيمُ مِنَ الخُزَامَى، وَدَرّتْ فِيكَ أنْـوَاءُ الغَمَامِ
وَأصْبَحَتِ الشّفاهُ عَلَيكَ فَوْضَى تَهَافَتُ بالتّحِيّةِ وَالسّلامِ
فَمَا بَكَتِ الحَمَامُ عَلَيكَ إلاّ كمَا غَنّتْكَ أصْوَاتُ الحَمَامِ
ألا للهِ كُلُّ فَتًى أبِيٍّ عَزِيزِ الأنْفِ يَغضَبُ للذِّمَامِ
يُجِيرُ مِنَ الزّمَانِ، إذا تَغاوَى، بِصَبْرٍ للنّوَائِبِ وَاعتِزَامِ[2]
وَأيّامٍ تُفَلِّلُ مِنْ غُرُوبي على مَضَضٍ وَتُنقِصُ من عُرَامي
تَلاعَبُ بي أمَاماً أوْ وَرَاءً، طِرَادَ الشّيخِ يَلعَبُ بالغُلامِ
بَرَاني الدّهْرُ سَهْماً ثُمّ وَلّى، فَجَرّدَني مِنَ الرّيشِ اللُّؤامِ
وَهَا أنَا ذا أبُثّكَ كُلّ بَيْتٍ رَقيقِ النّسْجِ رَقرَاقِ النّظَامِ

١ الرجام ، الواحد رجم : القبر .
٢ تغاوى : تكلف الغي ، ضد الرشد .

لله جيد

قال في معنى مثله

لِلّهِ جِيدٌ مَا تَمَهَّدَ غيرَ أحشاءِ المكارِمْ
فتَطَوّقَ العَلْيَاءَ ، وَهْوَ قريبُ عَهدٍ بالتّمائمْ
نِيطَتْ بعِطْفَيْهِ حَمالاتُ المَغَانِمِ وَالمَغَارِمْ[1]

الشكر مهر

قال أيضاً في مثل ذلك

ألْبَسْتَني نِعَماً عَلى نِعَمٍ ، وَرَفَعْتَ لي عَلَماً عَلى عَلَمِ
وَعَلَوْتَ بي حتّى مَشَيتُ على بُسطٍ مِنَ الأعناقِ وَالقِمَمِ
فَلأشكُرَنّ نَداكَ مَا شَكَرَتْ خُضرُ الرّياضِ صَنَائِعَ الدِّيَمِ
فالحَمْدُ يُبْقي ذِكْرَ كلّ فتًى وَيُبِينُ قَدْرَ مَوَاقِعِ الكَرَمِ
وَالشّكْرُ مَهْرٌ للصّنيعَةِ إنْ طُلِبَتْ مُهُورُ عَقَائِلِ النِّعَمِ

١ نيطت : علقت . حمالات ، الواحدة حمالة : الدية والغرامة .

نهنه عتابك

قال أيضاً وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

نَهنِهْ عِتَابَكَ إلاّ إنْ هَفَا جَرَمَ ، بَعضُ العِتابِ على الإخلاصِ مُتّهَمُ[1]
مَا لي أقُولُ ، فَلا تُصْغي بسامِعَةٍ ، تَصَامُمٌ بكَ عن ذا القوْلِ أم صَمَمُ ؟
رِفقاً بِأنْفِكَ لا تَشْمَخْ على مُضَرٍ ، وَانظُرْ بعَينِك مَن زُمّوا وَمن خُطِموا
فَلَستَ أولَ مَنْ رَاقَتْ لَهُ حُلَلٌ ؛ وَلَستَ أوّلَ مَنْ رَاحَتْ له نَعَمُ
مَن أضْمرَ الصّدّ عمّن ليس يُضْمِرُهُ بَغياً ، مشَى في نوَاحي سرّهِ النّدَمُ
مَن أنهَضَتهُ لقَطعِ الوُدّ عُذرَتُهُ ، كانَ المُذَمَّمَ منهُ الكَفُّ وَالقَدَمُ
مَنْ سَاءَ ظَنّاً بمَنْ يَهوَاهُ فارَقَهُ ، وَحرّضَتْهُ عَلى إبْعادِهِ التُّهَمُ
مَتى تَهَجّمَ غَدراً سِرُّ عَهدِكُمُ ، فإنّ عَهدي عَلى غَدْرٍ بكُمْ حَرَمُ
يَصُدّ عَنّيَ مَنْ ودّي لَهُ صَدَدٌ ، وَلا أؤمّ الذي وُدّي لَهُ أَمَمُ

[1] نهنه : كفكف . هفا : ارتكب هفوة . جرم : أراد مجرماً .

الفتى بعلمه لا بماله

يفتخر ويذم الزمان وأهله :

قَليلٌ مِنَ الخُلاّنِ مَنْ لا تَذُمُّهُ ، وَكُثْرٌ مِنَ الأعداءِ مَن أنتَ هَمُّهُ
وَغَيرُ بَعيدٍ مِنْكَ نَاءٍ تَزُورُه ؛ وَغَيرُ قَريبٍ قاطِنٌ لا تَؤمّهُ
مُصَافيكَ في الأيّامِ أنْفُكَ أنْفُهُ ، إذا جَلّ مَا تَلقى ، وَرُغمُكَ رُغمُهُ
ألا لَيتَ بَينَ الحَيّ لمْ يَقضِ يَوْمَهُ ، وَلَيتَ ظَليعَ الذّوْدِ لم يُبرَ سُقمُهُ[1]
وَلَيتَ أديمَ الأرْضِ يَعرَى كما اكتسَى مِنَ النّاسِ أوْ يَعفُو كمَا بانَ رَسمُهُ
فَمَا ذا الوَرَى مِمّنْ يُرَادُ بَقَاؤهُ ، وَلا المَوْتُ مَعذولٌ إذا جارَ حُكمُهُ
تُباشِرُ عيني فيهِم ما يَسوءهَا ، وَيَلْقَى جَنَاني مِنهُمُ ما يَغُمّهُ
سقَى اللهُ قَلْباً بَينَ جَنْبَيّ رَيّه ، وَمَا نَافِعٌ قَلبي مِنَ المَاءِ جَمّهُ
وَلَكِنّ مُشْتَاقاً ، إذا بَلَغَ المُنَى تَقَضّى أُوَامُ القَلْبِ أوْ زَالَ وَغمُهُ[2]
أما عَلِمَ الغادونَ وَالقَلبُ خَلفَهم ، يَضُمّ زَفيراً يَصْدَعُ الصَّلدَ ضَمُّهُ
بأنّ وَميضَ البَرْقِ ما لا أَشيمُهُ ؛ وَأنّ نَسيمَ الرّوْضِ ما لا أشُمّهُ
وَرُبّ وَميضٍ نَبّهَ الشّوْقَ وَمضُهُ ؛ وَرُبّ نَسيمٍ جَدّدَ الوَجدَ نَسمُهُ
أضَعْتُ الهَوَى حِفظاً لحَزْمي ، وَإنّما يُصَانُ الهوَى في قلبِ من ضَاعَ حَزْمُهُ

١ الظليع : الذي يغمز في مشيه . الذود : الإبل .
٢ الوغم : الحقد الثابت في الصدر .

وَطَيفِ حَبيبٍ رَاعَ نَوْمي خيَالُه ، وَعرّفني طُولَ اللّيَالي مُلِمُّهُ [1]

وَمَا زَارَني إلاّ لِيُخْجِلَ طِيبُه نَسيمَ الصَّبا أوْ يَفضَحَ اللّيلَ ظَلمُهُ [2]

تَطلّعَ مِنْ أرْجاءِ عَيْنيَ دَمْعُهَا ، وَما كادَ لَوْلا الوَجدُ يَنقادُ سجمُهُ

ألا هَلْ لحُبٍّ فاتَ أُولاهُ رَجعَة ، وَإن زَادَ عندي أوْ تضَاعفَ اسمُهُ

لَيَاليَ أسْرِي في أُصَيْحَابِ لَذّةٍ وَمُخّ الدُّجى رَارٌ، وَقد دَقّ عظمُهُ [3]

وَأغدو عَلى رَيعانِ خَيْلٍ تَلُفُّهَا صُدُورُ القَنا وَالنّقعُ عَالٍ أحَمُّهُ [4]

رَأيتُ الفَتى يَهوَى الثَّرَاءَ، وَعُمرُه يُرَى كُلَّ يَوْمٍ زَائداً مِنهُ عُدْمُهُ

عَقيبُ شَبابِ المَرْءِ شَيبٌ يَخُصّهُ، إذا طَالَ عُمرٌ أوْ فَنَاءٌ يَعُمّهُ

طَليعَةُ شَيبٍ بَعدَها فَيلَقُ الرّدَى ، برَأسِي لَهُ نَقعٌ، وَبالقَلبِ كَلْمُهُ

أُغالِطُ عَنْ نَفسِي حِمامي ، وَإنّما أُداري عَدُوّاً مَارِقاً فيّ سَهْمُهُ

وَلَيسَ يَقُومُ المَرْءُ يَوْماً بحُجّةٍ ، إذا حَضرَ المِقدارُ، وَالمَوْتُ خَصْمُهُ

وَأوْلى بمَنْ يَستَخلِفُ الدّهرَ بَعدَه على صِرْمه أن يُودِعَ الأرْضَ صِرْمُهُ [5]

فَوَا عَجبَا للمَرْءِ ، وَالداءُ خَلفه ، وَمِنْ حَوْلِهِ الأقدارُ وَالمَوْتُ أَمّهُ [6]

يُسَرّ بِمَاضِي يَوْمِهِ ، وَهوَ حَتفُه ، وَيَلتَذّ مَا يُغذَى بِهِ ، وَهوَ سُمّهُ

١ الملم : الآتي .
٢ ظلمه : بريق أسنانه .
٣ المخ : ما يسميه العامة النخاع . رار : ذائب
٤ ريعان كل شيء : أوله . احمه : أسوده .
٥ الصرم : الجماعة .
٦ أمه : قصده ، أمامه .

وَرُودٌ مِنَ الآجَالِ لا يَستَجِمّنَا ، وَوِرْدٌ مِنَ الآمَالِ لا نَستَجِمّهُ[1]

إلى كم أذُودُ السّيفَ عن هامِ عُصْبَةٍ ، أما فيهِمُ مَن يَطعَمُ السّيفَ لحمَهُ

وَعنديَ عالٍ من دَمِ الجَوْفِ شُرْبُهُ ، وَماضِي الظُّبى من أسودِ القَلبِ طَعمُهُ[2]

أقُولُ لِغِرٍّ بي : لُفِفْتُ بضَيغَمٍ يَؤدّ الأعادي خَطفُهُ ثمّ حَطمُهُ[3]

فدَعْ هَضْبَةً منّا بنَى اللهُ سَمكَها ، فَإنّ بِناءَ اللهِ يُعييكَ هَدْمُهُ

وَمِنْ عَجَبِ الأيّامِ أنّي مُحَسَّدٌ ، أعادَى على ما يوجبُ الوُدّ حُكْمُهُ

وَليسَ الفتى مَن يُعجِبُ النّاسَ مالُه ، وَلكِنّهُ مَنْ يُعجِبُ النّاسَ عِلمُهُ

تَشُفّ خِلالُ المَرْءِ لي قبلَ نُطقِهِ ، وَقبلَ سُؤالي عَنهُ في القَوْمِ ما اسمُهُ

أساءَ جِوَارُ الذّلّ منّي ابنَ هِمّةٍ إذا هَمّ وَاطَى بَينَ رَأيَيْهِ هَمّهُ[4]

وَلَوْ غَيرَ قَلبي ضَمّ ذا العزْمَ شَقّهُ ، وَلكِنّهُ لا يَقتُلُ الصِّلَّ سُمّهُ

وَأبْلَجَ لا يَرْضَى عَنِ العَجزِ رَأيُه ، تُمَدّ على أضْوَى من البَدرِ لُثْمُهُ[5]

إذا خلَعَ اللّيلُ النّهارَ سمَتْ بِهِ مَآرِبُ مَضّاءٍ عَلى مَا يَهُمّهُ

وكم في نِزَارٍ مِنْ نَهيضٍ نَجيبَةٍ ، إذا سَلّ عَضْباً سابَقَ الضّرْبَ عزْمُهُ

أنِيسٍ بلُقْيَانِ الحُرُوبِ كَأنّمَا تَمَطّتْ بِهِ في نَاشِرِ النّقعِ أُمّهُ[6]

١ يستجمنا : يتركنا .

٢ العالي : الرمح . الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف .

٣ الغر : الشاب لا تجربة له . يؤد : يثقل . الحطم : الكسر .

٤ واطى : واطأ ، وافق .

٥ لثمه ، الواحد لثام : ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاد

٦ تمطت به أمه : أراد ولدته .

إذا ضَرَعَ الأقوامُ من سُوءِ نكبةٍ جَلاها قَوِيمُ الأنفِ فيهَا أشَمّهُ[1]
رَفيعُ بُيُوتِ المَجْدِ كَالجَدّ جَدُّهُ ، فَخاراً ، وَفي العلْيَاءِ كالخَالِ عمُّهُ
مَهيبُ وَقارِ الجَانبيَّنِ أبيّهُ ، وَمُخولُ مَجْدِ الوَالِدَينِ مُعِمّهُ
فَمِنْ خَائِفٍ عِندَ اللّيَالي نُجيرُهُ ، وَمن شَعَثٍ بَينَ المَعَالي نَلُمّهُ[2]
وَإنّي لَدَفّاعٌ بيَ العزْمُ وَالمُنَى ، إلى كُلّ لَيلٍ يَعقِدُ الطّرْفَ نَجمُهُ
وَما تَستَدِلّ النّجمَ عيناي في الدُّجى ضَلالاً ، وَلكِنْ مثلُ عَينيّ جِرْمُهُ
شَدَدْنَا بأيدي العِيسِ كُلّ ثَنِيّةٍ ، وَمِنْ دُونِها جَوْنُ القَرَا مُدلَهِمّهُ[3]
وَمُنْخَرَقٍ لا يَقطَعُ الطّرْفُ عَرْضَهُ ، وَلا يَنزَوِي عن أعيُنِ الرّكبِ خَرْمُهُ[4]
تَوَهّمتُ عَصْفَ الرّيحِ بَينَ فرُوجِهِ يُسِرّ إلى سَمعي مَقَالاً يُصِمّهُ
وَجَيشٍ يُسامي كُلَّ طَوْدٍ عَجاجُهُ ، وَيَفتَرّ عَنْهُ كُلُّ وَادٍ يَضُمّهُ
تَخَطّفُ أبصَارَ الأعَادي سُيُوفُهُ ، وَتَملأُ أسْمَاعَ القَبَائِلِ لُجْمُهُ
إذا سارَ صُبْحاً طارَدَ الشّمسَ نَقعُهُ ، وَإنْ سارَ لَيلاً طَبّقَ الأرْضَ دَهمُهُ[5]
تَرَاجَعُ حُمراً من دَمِ الضّرْبِ بِيضُهُ ، وَتَنجابُ شُقراً من دَمِ الطّعنِ دُهمُهُ[6]
صَدَمْنا بهِ الجَبّارَ في أُمّ رَأسِهِ ، وكانَ شِفاءَ الرّأسِ ذي الدّاءِ صَدمُهُ

١ ضرع : ذل .
٢ الشعث : التفرق ، انتشار الأمر .
٣ الثنية : طريق العقبة . الجون : الأسود . القرا : أراد ظهر الأكمة . مدلهمه : مظلمه .
٤ المنخرق : المفازة الواسعة تنخرق فيها الرياح . خرم الجبل : أنفه .
٥ دهمه : مفاجأته .
٦ دهمه ، الواحد أدهم : الأسود .

وَمَا ضَاقَتِ الأقطارُ مِنْ دُونِ فَوْتِهِ ... ظُبَانا، وَلَكِنْ أوْبَقَ العَبدَ ظُلمُهُ[1]

عَذيرِيَ مِمّنْ ذَمّ عَهدي، وَقد نَبا ... مِرَاراً ، وَقَلْبي وَادِعٌ لا يَذُمّهُ

تَجَرّمَ لَمّا لَمْ يَجِدْ ليَ زَلّةً ، ... وَأقصَدَني باللّوْمِ ، وَالجُرْمُ جُرْمُهُ

تَعَمّدتُ بُعدي عَنه من غيرِ سَلوَةٍ ، ... ليُعلِمَني يَوْمَ النّوَى كيفَ طَعمُهُ

وَأجمَمْتُهُ لا عَنْ غَنَاءٍ ، وَإنّمَا ... لأشْرَبَهُ في [illegible] [2]

وَإنّي، وَإنْ وَالَى على القَلبِ حَرْبَه، ... لَمُنتَظِرٌ أنْ يَعْقُبَ الحَرْبَ سِلمُهُ

وَلا تَيْأسَنْ مِنْ عَفْوِ حُرٍّ ، فإنّما ... تَحَمّلُهُ بَاقٍ ، إذا ضَاعَ حِلمُهُ

أأطْمَعُ أنْ أنْسَاكَ يَوْماً ، وَإنّمَا ... هَوَاكَ ضَجيعُ القَلبِ منّي وَحُلْمُهُ

يقَرّ بِعَيْني مَنظَرٌ أنْتَ قَيْدُهُ ، ... وَيَعتَاقُ قَلبي مَطلَبٌ أنتَ غُنْمُهُ

وَأنتَ الفَتَى لا عاجزٌ عَن فَضيلَةٍ ، ... وَغَيرُ قَليلٍ مَنْ مَعاليهِ قَسْمُهُ[3]

تجاوَزْ بعَمدٍ وَاعفُ، فالعَتبُ إن يَدُمْ ... على الخِلّ يَفسُدْ ظَنُّ قلبٍ وَوَهمُهُ

أرَى آخِرَ الخُلاّنِ وُدّاً يَسُوءُني، ... وَيَمْدَحُ عِندي أوّلاً طَالَ ذَمّهُ

عَلى أنّني رَاضٍ بِمَا جَرّ هَجْرُهُ ، ... وَهَل أنا إلاّ القَلبُ يَلتاثُ جِسْمُهُ[4]

١ أوبق العبد : هربه .

٢ أجممته : تركته يجتمع .

٣ القسم : الخلق والعادة .

٤ يلتاث : يلتف ، يقوى .

اولى بلاد بالمقام

يهنىء الوزير أبا منصور محمد بن الحسن
ابن صالح بالمهرجان سنة ٣٧٨ :

بِعَاداً لِمَنْ صَاحَبْتُ غَيرَ المُقَوَّمِ ، وَبُعداً لِكُلّ الرّيّ إلاّ مِنَ الدّمِ
إذا ظُلَمٌ لَمْ أمضِ فِيهَا عَزِيمَةً ، فَساعَةُ لَيلي مِثلُ حَوْلٍ مُجَرَّمِ[1]
وَمِنْ شَغَفِي بالطّعنِ أغدُو، وَذابلي إذا قَلّ جُرْمٌ مَالَ بي في التّجَرّمِ[2]
وَمَا أنَا مِمّنْ يَقْبَلُ الطّعمَ قَلبُه، وَلَمْ تَعلَمِ الأرْماحُ مِن أينَ مَطعَمي
سَأُقْدِمُ لا مُستَعظِماً مَا لَقِيتُهُ ، تَوَسّعَ لي في الرّوْعِ أوْ ضَاقَ مَقدمي
فَقَدْ فَجَعَ المَاضِي لَبيداً بِأرْبَدٍ ، وَعُزّيَ قَبْلي مَالِكٌ مِنْ مُتَمّمِ[3]
وَعَزْمٍ أُعاطِيهِ العَوَالي وَحَاجَةٍ رَمَيتُ بِها ما بَينَ أرْضٍ وَمَنْسِمِ[4]
وَلَيْسَ الفَتَى إلاّ الّذي إنْ رَأيْتَهُ رَأيتَ غَنيّ النّفسِ في ثَوْبِ مُعدِمِ
قَلِيلُ مُقَامٍ بَينَ أهْلٍ وَثَرْوَةٍ ، كَثِيرُ طُلُوعٍ بَينَ وَادٍ وَمَخرَمِ
أمُطّلِعٌ يَوْمي عَليّ ، وَلَمْ أخُضْ دِماءَ الأعادي بالوَشيجِ المُقَوَّمِ[5]

١ المجرم : التام .
٢ الجرم : الخطأ والذنب . التجرم : التهمة بالذنب .
٣ لبيد العامري : أحد شعراء الجاهلية ومن أصحاب المعلقات . اربد : أخوه قتلته صاعقة . مالك ابن نويرة ومتمم أخوه ، قتل فبكاه في شعره .
٤ المنسم : الطريق .
٥ الوشيج : شجر الرماح .

وَلَمْ أُجْهَدِ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجادُهُ، أمامَ الظُّبى ، وَالنَّقعُ بالنَّقعِ يَرْتَمي

وَلَيسَ شِفاءُ النَّفسِ إلاّ مُثَقَّفٌ يُعَدّ لِيَوْمٍ بِالغُبَارِ مُلَثَّمِ

وكم لِيَ مِنْ رَمّاحَةٍ تُزْعِجُ الحَصَى بِوَابِلِهَا في مَعْلَمٍ بَعدَ مَعلَمِ[1]

إذا اللهُ لمْ يَنصُرْ حُسامي عَلى العِدا، فَمَا أنَا إلاّ عُرْضَةُ المُتَهَضِّمِ[2]

وَإن هوَ نَجّى من فَمِ المَوْتِ مُهجتي نَجَوْتُ ، وَإلاّ كُنتُ أوّلَ مَطعَمِ

أبِيتُ ، وَلي في كُلّ أرْضٍ عَزِيمَةٌ تُزَعزِعُ أعنَاقَ المَطِيّ المُحزَّمِ[3]

وَمُستَوْصِيَاتٍ بالذّميلِ كَأنّمَا يُدارِسُ إدآبَ الجَديلِ وَشَدقَمِ[4]

تَرَى كُلّ حَمْرَاءِ المِلاطِ كَأنّمَا تَخَلّجَ في آمَاقِها عِرْقُ عَندَمِ[5]

بخُفٍّ كَشِدقِ الأعلَمِ استُضْعِبَ على ظِلّ عُنقٍ ذي عَثانِينَ مُرْجِمِ[6]

كأنّ الغُلامَ الضَّرْبَ في الرّحلِ رِيشة خَفَتْ فوْقَ زَوْرٍ من ظَليمٍ مُصَلَّمِ[7]

١ الرماحة : القوس الشديدة . بوابلها : أي بسهامها المنصبة كالمطر . معلم الشيء : مظنته وما يستدل به .

٢ المتهضم : الظالم ، والغاصب .

٣ المحزم : المشدود الحزام . ذكره إتباعاً للفظ المطي ، لا لمعناه .

٤ الذميل : السير اللين . الإدآب : الجد والتعب والعادة . الجديل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

٥ الملاط : الجنب . تخلج : اضطرب ، تحرك .

٦ الأعلم : المشقوق الشفة العليا . العثانين ، الواحد عثنون : شعرات تحت حنك البعير . المرجم : الذي يرجم الأرض بحوافره .

٧ الضرب : الماضي في الأمور ، والندب ، والخفيف اللحم . خفت : خفيت . المصلم : المقطوع الأذنين .

إذا أوْجَسَتْ حِسَّ القَطيعِ وَرَاءَها ... ألاحَتْ بخَيشُومٍ كَرِيمٍ وَمَلْطَمِ [1]

تَخَيّلَ من فَضْلِ الزّمامِ ابنَ رَملَةٍ ... لَهُ نَهَشَاتٌ في مكانِ المُخَطَّمِ [2]

طَلَعْنَ عَلى لَيْلٍ بِنَا وَوَصَلْنَهُ ... بِأبْلَجَ لَمّاعِ الجَوَاشِنِ مُعْلَمِ [3]

وَمَنْ جَعَلَ القَلبَ الجَرِيءَ دَليلَه، ... فَكُلّ ظَلامٍ عِندَهُ غَيرُ مُظلِمِ

بُليتُ ، وَأبْلاني زَمَاني ، بعُصْبَةٍ ... يَخوضُونَ بي في كلّ غيَبٍ مُرَجَّمِ [4]

مَذاييعُ للسّرّ المَصُونِ ، وَليتَهُمْ ... أذاعُوهُ طَلْقَ البُرْدِ لَمّا يُنَمْنَمِ [5]

قَليلُ حَديثٍ مارِقٍ غَيرُ مُكثِرٍ ، ... وَبَدْءُ مَقَالٍ وَارِدٍ مِنْ مُتَمَّمِ [6]

زَمَانُ الأذَى عِشْ فيهِ تُشْجَ بأهلِهِ، ... وَتُغْضِ على ذُلٍّ ،وَمُتْ فيهِ تَعظُمِ

على أنّني لا غالبُ الرّأيِ بالهوَى ، ... وَلا قائِلٌ للشّوْقِ إنْ ضَلّ يَمّمِ

وَلا قاطِعٌ بالظّنّ ما كُنتُ وَاصِلاً ، ... وَرُبّ مَغيظٍ قَاطِعٍ بالتّوَهّمِ

وَإنّيَ مِمّا آلفُ الجِدّ بَاخِلٌ ... بثَغرِي فَما يَدرِي امرُؤٌ أينَ مَبسمي

فِرَاقٌ من الأحبابِ أمضَى من الرّدَى ، ... وَأقطَعُ للأقْرَانِ مِنْ غَرْبِ مِخذَمِ

لكَ اللهُ مِنْ وَادٍ تَوَرّكْنَ عُرْضَهُ ، ... وَنَقّبْنَ فيهِ عَنْ عَرَارٍ وَعِظلِمِ [7]

وجـ ت . القطيع : السوط . ألاحت : أشارت . الخيشوم : أقصى الأنف . الملطم مكان اللطم ، الخد .

٢ المراد بابن رملة : الثعبان .

٣ الجواشن ، الواحد الجوشن : الصدر . المعلم، من أعلم الفرس: علق عليها صوفاً ملوناً في الحرب.

٤ المرجم : المظنون ، الذي لا يوقف على حقيقته .

٥ ينمنم : يزخرف وينقش ويزين .

٦ المارق ، من مرق السهم : نفذ .

٧ توركن : اعتمدن على أوراكهن . العرض : الجانب . العرار والعظلم : ضربان من النبات .

يُبارِينَ نَفّاحَ الخُزامَى عَشِيّةً ، بأطْيَبَ مِنْ رِيحِ الخُزامَى وَأنْعَمِ
أُغالِبُ دَمعي ثمّ يَغلِبُ جارِياً ، وَمَنْ لمْ يُسِلْ دَمعاً على الحُبّ يظلمِ
وَما ذَكَرَتكَ النّفسُ إلاّ وَضَمّهَا إلى القَلْبِ بَاعُ المُوجعِ المُتَألّمِ
خَليليّ لَيسَ الدّمعُ عَنّي بِدافِعٍ وَلُوعَ غَرَامٍ كَالحَرِيقِ المُضَرَّمِ
وَهَلْ أنَا إلاّ رَبُّ نَفْسٍ مُعَارَةٍ ، وَقَلْبٍ مُعَارٍ للجَوَى وَالتّألّمِ
إذا مَا جَوَادي مَرّ بي في دِيَارِها ، تَقاضَى زَفِيرِي دائِباً بالتّحَمحُمِ[1]
أحِنُّ، وَلا يُرْمَى حَنيني بِتَهمَةٍ ، وَأدْنُو ، وَلا يُعزَى دُنُوّي بِمَأثَمِ
وَمَا مَنظَرُ الحَسنَاءِ عِندي برَائِقٍ ، وَلا نَيلُها وَالقُرْبُ عِندي بِمَغْنَمِ
إلى كَمْ تَصَبّاني الغَوَاني ، وَبَينَهَا وَبَيْني عَفافٌ مِثلُ طَوْدِ يَلَملَمِ
وَإنّي لمَأمُونٌ عَلى كُلّ خَلْوَةٍ ، أمِينُ الهَوَى وَالقَلبِ وَالعَينِ وَالفَمِ
وَغَيرِي إلى الفَحشَاءِ إنْ عَرَضَتْ له أشَدُّ مِنَ الذّؤبانِ عَدواً على الدّمِ
وَمَنْ كانَ إنْعَامُ الوَزِيرِ حَبيبَهُ أغَارَ الغَوَاني بَينَ بِكْرٍ وَأيِّمِ[2]
أبِيتُ بهَا هادي الحَشا في نَوَائِبٍ يَبيتُ لهَا غَيرِي بقَلبٍ مُقَسَّمِ[3]
وَحيدَ العُلَى لا يَنتَجي غَيرَ نَفْ إذا عَنّ خَطبٌ أوْ دَنَا يوْمُ مَغرَمِ[4]
وَمُنْتَصِرٍ يَرْعَى بحِلْمٍ حقُودَهُ وَيَطرُدُ أضْغَانَ العِدا بالتّكَرّمِ

١ الزفير : إخراج النفس بعد مده مستمراً . التحمحم : تردد صوت الفرس في صدره .
٢ الأيم : من لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً .
٣ المقسم : الذي تقسمته الهموم .
٤ ينتجي : يناجي .

إذا عَظُمَ الطّلاّبُ لمْ يَثْنِ كفَّهُ ؛ وَإنْ طالَ نُطقُ القَوْمِ لمْ يَتَجَهّمِ
يَزِمّ إلى العَافِينَ أعنَاقَ مَالِهِ ، وَمَالُ رِجَالٍ مُقْرَمٌ لَمْ يُخَطَّمِ[1]
كَثيرِ ارْتياحِ القَلبِ في عقبِ جودهِ إذا جَائِدٌ ألقَى يَداً في التّنَدّمِ
سريعٍ ، إذا داعي الطّعانِ دَعَا بِهِ ، غَدَا طاعِناً قَبلَ العِدا في التّلَوّمِ
وَمَا هَمّ إلاّ قَعقَعَ البَيضَ بالظُّبَى ، وَرَدّ القَنا يَجرِي على كلّ مِعصَمِ[2]
وَلا رَكْزَ إلاّ أنْ تُميرَ زِجَاجُهَا عَوَامِلَهَا فَضْلَ النّجيعِ المُحَرَّمِ[3]
وَكلٌّ صَبَاحٍ شاحبٍ مِنْ عَجاجَةٍ ، وَشَائِعُ بُرْدٍ بالعَوَالي مُسَهَّمِ[4]
إذا عَنّ جُودٌ قيلَ: دُفَّاعُ وَابِلٍ ؛ وَإنْ عَنّ رَوْعٌ قيل: تَقحيمُ ضَيغَمِ
يَشُنّ وُجُوهَ البِيدِ في كُلّ مَسلَكٍ بِجَرّ العَوَالي وَالرّعيلِ المُسَوَّمِ[5]
فَعَالٌ جَرِيٌّ لا يَزَالُ مُدافِعاً إلى المَجْدِ ،طَلاّعاً إلى كلّ مُعظَمِ
وَلَكِنّهُ بالعِزّ وَالمَجْدِ وَالعُلَى أحَقٌّ وَأوْلَى مِنْ سَمَاءٍ بأنْجُمِ
أتَتْهُ ، وَلَمْ يَمدُدْ يَداً في طِلابِهَا ، وَمَا انقادَ مَن قادَ العَوَالي بمَخطَمِ[6]
وَلَوْ لمْ يُقِرّ الغَابِطُونَ بِمَجْدِهِ ، أقَرّوا عَلَى رُغْمٍ بفَضْلِ التّقَدّمِ
وَما كَذِبُ الحُسّادِ للبَدرِ ضَائِراً ، وَلَيسَ يَضُرّ الذّمٌّ غَيرَ المُذَمَّمِ

١ يزم : يشد . العافون : طالبو المعروف . المقرم : البعير لا يحمل عليه ولا يذلل .
٢ البيض ، الواحدة بيضة : الخوذة . الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف .
٣ الركز ، من ركز الرمح : غرزه في الأرض . يمير : يأتي بالميرة ، يجلب الطعام . الزجاج ، الواحد زج : الحديدة في أسفل الرمح ويقابلها السنان . العوامل : الرماح . النجيع : الدم .
٤ الوشائع ، الواحدة وشيعة : الطريقة في البرد . المسهم : المخطط .
٥ يشن، من شن الغارة عليهم: وجهها من كل جهة . الرعيل : القطعة من الخيل . المسوم: المرعي .
٦ المخطم : الخطام .

وَحَيٍّ حِلالٍ قد ذَعَرْتُ بِكُبّةٍ مِنَ الخَيْلِ ، لا تَرْعى ذِماماً لِمَحرَمِ[1]
على حينَ حاصَرْتُ الظّلامَ إليهِمُ ، بأرْعَنَ يَرْدي في الحَديدِ المُنَظَّمِ[2]
وَما افتَرّ يَوْمٌ قَطُّ إلاّ لَقيتُهُ بِوَجْهٍ جَليٍّ ، أوْ بِكَفٍّ مُغَيِّمِ
إذا مَارِقٌ لاقَاكَ غَضّ عِنانَهُ ، وَرَدّ أظَافيرَ القَنَا لَمْ تُقَلَّمِ
وَرُبّ نَسيبٍ لِلرِّماحِ مُغَامِرٍ خَفيفِ الشَّوَى عاري الجَناحينِ أعلَمِ
هزَّ يَوْماً للغِوارِ رَأيتَهُ أنَمّ إلى الأرْوَاحِ مِنْ كُلّ لَهْذَمِ
يَسرّكَ في فَلّ الصّوَارِمِ وَالقَنا ، وَيُرْضِيكَ في رَدّ اللُّهامِ العَرَمرَمِ
لَهُ رِيقَةٌ تَجْري بِما شاءَ رَبُّهُ ، كَمَا حَالَ سُمٌّ بَيْنَ أنْيابِ أرْقَمِ
أمالىءَ أيّامِ النّدى كلّ عَارِضٍ ، وَمالىءَ أيّامِ الوَغَى كلّ مُلجَمِ
تَهَنّ قُدُومَ المِهرَجانِ ، فَإنّهُ إلَيكَ عَلى الأيّامِ يُنمَى وَيَنتَمي[3]
وَمَا زَارَ هَذا العِيدُ إلاّ صَبَابَةً إلَيكَ بقَلْبٍ طامِحِ الوَجدِ مُغرَمِ
أتَى يَستَفيدُ الجُودَ منكَ وَيَجتَلي مَحَاسِنَهُ مِنْ ثَغْرِكَ المُتَبَسّمِ
فَلا عارَ أن تَستَنجِدَ الكأسَ رَاحَةٌ أضَرّ بها حَملُ الجُرَازِ المُصَمِّمِ[4]
أرَاكَ بِعَينٍ لا يَسُوءُكَ لَحظُهَا . وَأرْعَاكَ بالوُدّ الذي لَمْ يُذَمَّمِ
وَفي نَظَرِي عُنوَانُ ما بَينَ أضْلُعي ، وَرُبّ لَحاظٍ نَائِبٍ عَنْ تَكَلُّمِ

١ الكبة من الخيل : الجماعة .
٢ الأرعن : الأهوج . يردي : يرجم الأرض بحوافره .
٣ المهرجان : عيد الفرس ، مركبة من مهر : محبة ، وجان روح ، فيكون معناها : محبة الروح
٤ الجراز : السيف . المصمم : الماضي في العظم .

وكم نَظرَةٍ تَستَوْهبُ القوْلَ من فَمي تُكَلِّفُ نُطقي في جوَابِ المُكَلِّمِ
ولَستُ ولَوْ خادَعتَني عَن مَطالبي مُطَاوِعَ عُذّالي علَيكَ ولُوّمي
وَأكرَمُ مَأمُولٍ وَأشرَفُ مَاجِدٍ جوَادٌ متى يُندَبْ إلى الجُودِ يُقدِمِ
أُعيذُكَ أنْ تُظمي فتًى كانَ طَرْفُهُ عَقيداً لبَرْقِ العَارِضِ المُتَرَنِّمِ
وَمَنْ غرّهُ مَالٌ رَضِي بِبَشَاشَةٍ ، وَعادِمُ مَاءٍ قَانِعٌ بالتّيَمّمِ
ألا إنّ شعرِي فيكَ يَبقَى وَغَيرُهُ تَطِيرُ بِهِ أيْدِي اللّيَالي وَتَرْتَمي
وَتَعقِدُ طَرْفِي منكَ في كُلّ نَظرَةٍ طَلاقَةُ بَدْرٍ بالمَعَالي مُعَمَّمِ
وَلَوْلاكَ ما فاقَتْ ببَغدادَ نَاقَتي ، وَلا كُنتُ إلاّ لاحِقاً بالمُقَطَّمِ[1]
وَأوْلى بِلادٍ بالمُقَامِ مِنَ الدُّنَا بِلادٌ متَى يَنزِلْ بهَا الحُرُّ يَغنَمِ
مَدَحْتُ أميرَ المُؤمِنِينَ ، وَإنّهُ لأشْرَفُ مَأمُولٍ وَأعلَى مُؤمَّمِ
فَأوْسَعَني قَبلَ العَطاءِ كَرَامَةً ، وَلا مَرْحَباً بالمَالِ إنْ لَمْ أُكرَّمِ
وَإنّي ، إذا ما قُلتُ في غَيرِ مَاجِدٍ مَديحاً ، كَأنّي لائِكٌ طَعمَ عَلقَمِ
وَإنّ رَجَائي زَيْنَ مِلّةِ هَاشِمٍ لَنُعمَى ، وَحَسبي من جوَادٍ وَمُنعِمِ
فَكُنْ شَافِعي يَوْماً إلَيْهِ لَعَلّهُ يَرِيشُ العَوَاري مِن نِبالي وَأسهُمي
أغَارُ عَلَى عَلْيَائِهِ مِنْ مُقَصِّرٍ يَقُولُ وَلَمْ يُرْزَقْ مَقَالي وَلا فَمي
فَإنْ شَاءَ فَالوَسْمُ الذي قَد عَرَفْتُهُ مُبِينٌ لِعَينِ النّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

[1] فاقت الناقة : اجتمعت الفيقة ، أي اللبن ، في ضرعها .

طود لا يرام

يعزي الوزير أبا منصور محمد بن الحسن
ابن صالح عن والدته وقد توفيت سنة ٣٧٨ :

هي ما علِمتَ فهل تُرَدّ هُمومُها؟ نُوَبٌ أراقِمُ لا يُبِلّ سَليمُها[1]
أرْوَاحُنَا دَيْنٌ ، وَمَا أنْفَاسُنَا إلاّ قَضَاءٌ ، وَالزّمَانُ غَرِيمُهَا
فَلأيّ حَالٍ تَستَلِذُّ نُفوسُنا نَفَحاتِ عَيشٍ لا يَدومُ نَعيمُهَا
يَمضِي الزّمانُ وَلا نُحِسّ كأنّه رِيحٌ تَمُرّ وَلا يُشَمّ نَسيمُهَا
لمْ يَشْفَعِ الدّهرُ الخَؤونُ لمُهجَةٍ في العُمرِ إلاّ عادَ وَهوَ خَصِيمُهَا
وكَأنّما الدّنيَا الغَرُورَةُ بُرْدَةٌ بِيَدَيْ بِلًى، وَيَرُوقُنا تَسهيمُهَا[2]
يا دَهرُ! كَم أسهَرْتَني مِن لَيلةٍ قَد كُنتُ فيكَ أنامُها وَأُنيمُهَا
وَالأرْضُ دارٌ لا يَلَذّ نَزِيلُهَا ، عُمرَ الزّمانِ، وَلا يَذيمُ مُقيمُهَا[3]
كَمْ بَاعَ أبّاءٍ تَفُلّ بُطُونُها ، وَأدِيمِ جَبّارٍ يَقُدّ أدِيمُهَا[4]
قَبْرٌ عَلى قَبْرٍ لَنَا ، وَأوَاخِرٌ يَلْقَى رَمِيمَ الأوّلِينَ رَمِيمُهَا
إنّ الوَزِيرَ،وَإنْ تَطَرّقَهُ الرّدَى، وَعَدا علَيه من الخُطوبِ ذَميمُهَا

١ يبل : يبرأ . سليمها : لديغها .
٢ تسهيمها : تخطيطها .
٣ يذيم : يعاب .
٤ أديم الجبار : جلده . أديم الأرض : وجهها .

مُستَلَئِمٌ لَقِيتَهُ ، أوْ لَمْ تَلقَهُ بنوَائبٍ،بِيضُ المَنونِ وَشيمُهَا[1]
الدّمعُ أعظَمُ مَن تُحارِبُ جُرْأةً ، فانظُرْ لعَينٍ ما أُبيحَ حَرِيمُهَا
وَتَعَزّ ،إنّ مِنَ العَزَاءِ شَجاعَةً ، وَأعَزّ ما عَزّى نُفُوساً خِيمُهَا[2]
بِمَكَارِمٍ غُرّ الوُجُوهِ تُنيلُهَا ، وَمَقَاوِمٍ غُلبِ الرّقابِ تَقُومُهَا
كَمْ ذاهبٍ أبكَى النّوَاظِرَ مُدّةً وَمَضَى ، وَطابَ لمُقلَةٍ تَهويمُهَا[3]
أوْ ثَغرِ مَحزُونٍ تَبَسّمَ سَلْوَةً ، وَالعَينُ لمّا يَرْقَ بَعدُ سُجومُهَا
إنّي لأرْجو أنْ يَكُونَ مَقَامُهَا في حُفرَةٍ خضلُ الغَمامِ نَديمُهَا
مِنْ كُلّ غادِيَةٍ سُلافَةُ بارِقٍ ، وَمِنَ الرّياضِ رَطيبُها وَعَميمُهَا
في رِفقَةٍ لا يَستَطِيلُ سَفِيهُهَا أبَداً ، وَلا يَدرِي المَقالَ حَليمُهَا
مثلُ الكَبيرِ مِنَ الرّجالِ صَغيرُها ، يَبلى ، وكالعَبدِ الذّليلِ زَعيمُهَا
مَا ضَرّ رَاحِلَةً ، وَأنتَ وَرَاءَهَا ، مِن أن يكونَ على المَنونِ قدومُهَا
تَرَكَتكَ طَوْداً لا يُرَامُ وَجَمرَةً لا تُصْطَلَى وَيَداً يُذلّ مُضِيمُهَا
هل خَبّرَتْ لمّا أتَتْ بك ما الذي في مَهدِها ، أوْ ما يَضُمّ حَزِيمُهَا
أمْ هل دَرَتْ أنّ الحُسامَ جَنينُها طَلْقاً ، وَأنّ أبَا العَلاءِ فَطِيمُهَا
وكأنتَ فَلتَلِدِ النّساءُ نَباهَةً ، أوْ لا ، فمُنجِبَةُ النّساءِ عَقيمُهَا
صَبراً فَما اعتاضَ المُصَابُ كصَبرِهِ شَيئاً ، إذا غَمَرَ القُلوبَ هُمومُهَا

١ شيمها : سودها .
٢ الخيم : السجية والطبيعة .
٣ التهويم : هز الرأس من النعاس ، أو النوم القليل .

في الذّاهبِ الموْرُوثِ سلوَةُ وَارِثٍ، وَأمَرُّ ما وَرِثَ الرّجالُ غُمُومُهَا
ما ساجَلَتكَ من المَقاوِلِ عُصْبَةٌ إلاّ وَضَلّ مَقَالُهَا وَغَرِيمُهَا
إنْ قيلَ إقدامٌ ، فأنتَ شُجاعُها ، أوْ قيلَ إعطَاءٌ ، فأنتَ كَرِيمُهَا
هذا ، وكم لكَ من عزَائمَ جَمّةٍ في كُلّ حادِثَةٍ تُضِيءُ نُجومُهَا
وَتَهُزّ أحْشَاءَ البِلادِ بِضُمّرٍ يَرِدُ الطّعانَ أغَرُّها وَبَهِيمُهَا
غَرْثَى يُنازِعُها النّجاءَ نَجائِبٌ، قَد هَلّلَتْ بَعدَ الرَّوَاءِ جُرُومُهَا
إن كانَ رُزْؤكَ ذا جَسيماً ، فالذي يُنمَى إلَيكَ من الأمورِ جَسيمُهَا
وَلأنْتَ أنْجَدُ صَابِرٍ لِمُلِمّةٍ ، وَأعَزُّ مَن يَنجابُ عَنهُ أرُومُهَا
للنّائِبَاتِ مِنَ الرّجالِ جَرِيئُهَا ، يَوْمَ اللّقَاءِ ، وَللعَظِيمِ عَظيمُهَا

نفس تتوق الى النجوم

يفتخر ويذم الزمان وذلك سنة ٣٧٩ :

أرَى نَفْسِي تَتوقُ إلى النّجومِ ، سَأحمِلُهَا عَلى الخَطَرِ العَظيمِ
وَإنّ أذَى الهُمُومِ على فُؤادي أضَرُّ مِنَ النّصُولِ عَلى أديمي
وَإنّي ، إنْ صَبَرْتُ ثَنَيتُ قَلبي عَلى طَرَفٍ مِنَ البَلوَى ألِيمِ
وَلي أمَلٌ كَصَدْرِ الرّمحِ ماضٍ ، سوَى أنّ اللّيَالي مِنْ خُصُومي
وَيَمنَعُني المُدامَ طُرُوقُ هَمّي، فَمَا يَحظَى بِهَا إلاّ نَديمي

وَما أوْفَتْ على العِشرينَ سِنّي ، … وَقَدْ أوْفَى عَلى الدّنيا غَرِيمي

وَنَجوَى قَد شَهِدتُ وَعُدتُ ألقي … عِنَانَ فَمي إلى قَلْبٍ كَتُومِ

وَهَوْلٍ يُرْعَدُ النَّسيانُ مِنْهُ ، … رَكِبْتُ مَعارِضَ الحَدِّ المَرُومِ[1]

إذا ما حاجَةٌ قُضِيَتْ بسَيفي ، … شَكَرْتُ لهَا يَدَ اللّيلِ البَهيمِ

وَيَعرِفُني العَدُوُّ بِوَقْعِ رُمْحي … إذا مَا الوَجْهُ مُوّهَ بالسُّهُومِ[2]

وَمَا لي هِمّةٌ إلاّ المَعَالي ، … وَذَبٌّ الضّيمِ عَن نَسبٍ صَميمِ

وَقَوْدُ الخَيلِ تَرْكَعُ مِنْ وَجَاها … وَقد غَلَبَ النّجيعُ عَلى الكُلُومِ[3]

تُصَبِّحُ في الطُّلَى بدِرَاكِ طَعْنٍ … كرَمحِ الشّوْلِ زُغْنَ عن المُسيمِ[4]

وَيُذْهِلُها ، إذا التَقَتِ العَوَالي ، … ضِرَامُ الطّعنِ عن مَضْغِ الشّكيمِ

وَكُلُّ نَحيلَةٍ كَالسّهْمِ تُصْمي … عَرَانِينَ الأمَاعِزِ وَالحُزُومِ

تُرِيني الشّمسَ أوّلَ مَنْ يرَاها ، … وَآخِرُ شَأوِها طَلَقُ الظّليمِ

وَحَثٌّ العيسِ تَستَلِبُ الفَيَافي ، … بِإملاءِ الذّميلِ عَلى الرّسيمِ[5]

جَزَعنَ اللّيلَ ، وَالآفاقُ خُلسٌ ، … كأنّ نُجُومَهَا نَغِلُ الأديمِ[6]

١ يرعد : تأخذه الرعدة ، الاضطراب . النسيان ، الواحد نسا : عرق من الورك إلى الكعب .

٢ موه : طلي . السهوم : العبوس .

٣ الوجى : الحفا . الكلوم : الجراح ، الواحد كلم .

٤ الدراك : المتوالي . الرمح ، من رمحته الدابة : رفسته . الشول : الإبل مر على حملها أو وضعها سبعة أشهر . المسيم : الراعي .

٥ الاملاء ، من أملى البعير : أرخى له ووسع في قيده . الذميل والرسيم : ضربان من العدو .

٦ جزعن : قطعن . الخلس ، الواحد أخلس : الأسمر ، وأراد اختلاط النور بالظلمة . نغل الأديم : فاسده ، والمراد تثقيب النجوم .

وَأبْلَجَ مِثْلَ فَرْقِ الرّأسِ نَهجٍ   قَطَعْنَ وَما قَلِقْنَ مِنَ السّؤومِ
وَمَاءٍ قَدْ تَخَفّرَ بالدّيَاجي ،   عَنِ الطُّرّاقِ وَالسَّلَمِ المُقيمِ[1]
وَرَدْنَ ، وَلا دِلاءَ لَهُنّ إلاّ   مَشَافِرُهُنّ في الوِرْدِ الجَمُومِ[2]
وَعُدنَ ، وَقد وَهَى سِلكُ الثّرَيّا ،   وَكَرَّ الصّبْحُ في طَلَبِ النّجومِ
وَقَدْ لاحَتْ لأعْيُنِنَا ذُكَاءٌ   وَرَاءَ الفَجْرِ كَالخَدّ اللّطِيمِ
وَمُخْتَلِطِ النّدى أرِجِ الخُزَامَى   رَطِيبِ ذَوَائِبِ الكَلإِ العَمِيمِ
أبَحْتُ حَرِيمَهُ إبلي ، فَأمْسَتْ   تُغَيرُ شِفَاهَهُنّ عَلى الجَمِيمِ
ألا هَلْ أطْرُقُ السّمُرَاتِ يَوْماً   بَرِيءَ القَلْبِ من عَنَتِ الهُمومِ ؟
وَألْصِقُ بالنّقَا كَبِدي ، وَيَهفُو   إليّ مِنَ النّقَا وَلَعُ النّسِيمِ
وَأُطْلِقُ عُقْلَهَا بِرُبًى تَرَاهَا   مِنَ الأنْوَاءِ ضَاحِكَةَ الوُشُومِ
أرَى الأيّامَ عَادِيَةً عَلَيْنَا ،   بِبِيضٍ مِنْ نَوَائِبِهَا وَشِيمِ
يُضِلّ نُفُوسَنَا داءٌ عُقَامٌ ،   فَيُسْلِمُنَا إلى أرْضٍ عَقِيمِ
وَنُتْبِعُ بالدّمُوعِ ، وَأيُّ دَمْعٍ   يُجِيرُ ، وَلَوْ أقَامَ عَلى السُّجومِ
وَيُفْرِدُنَا الزّمَانُ ، بِلا قَرِيبٍ   يَذُمّ مِنَ الزّمَانِ وَلا حَمِيمِ
وَنَلْقَى قَبْلَ لُقْيَانِ المَنَايَا   رِمَاحَ الدّاءِ تَطعَنُ في الجُسومِ
فَلَوْ كانَتْ خُصُوصاً سُرّ قَوْمٌ ،   وَلَكِنّ العَنَاءَ عَلى العُمُومِ
وَيُكْثِرُ مَطلِيَ الغُرَمَاءُ ، إلاّ   إذا رَاحَ الرّدَى ، وَغَدا غَرِيمي

١ تخفر : تحرز ، واستجار . السلم : شجر العضاه ، الواحدة سلمة .
٢ الجموم : الكثير الماء .

رَأيتُ المَالَ يَرْفَعُ مِنْ سَفيهٍ ،   وَعُدْمُ المَالِ يُنقِصُ مِن حليمِ
فَلَيتَ كَرِيمَ قَوْمٍ نالَ عِرْضِي ،   وَلَمْ يَدْنَسْ بِذَمٍّ مِنْ لَئيمِ
يَلُومُ ، وَقَدْ ألامَ ، وَشَرُّ شيْءٍ   إذا لاقَاكَ لَوْمٌ مِنْ مُليمِ
أشُبّ ، لأحرِقَ الأعداءَ ، لحظي ،   فيُرْجِعُني إلى الإغْضَاءِ خيمي
أبَى لي الذّمَّ آبَاءٌ تَسَامَوْا   إلى عَنْقَاءَ طَيّبَةِ الأرُومِ[1]
إذا اشتَمَلُوا عَلى الأعداءِ عادوا ،   وَقَدْ غَمَرُوا الضّغائِنَ بالحُلُومِ
ألا مَنْ مُبلِغُ الأحيَاءِ أنّي   قَطَعْتُ قَرَائِنَ الزّمَنِ القَديمِ
وَأنّي قَدْ أبيتُ مُقَامُ رَحْلي   بوَادي الرّمثِ أوْ جَبَلِ الغَميمِ
وَعَنْ قُرْبٍ سَيَشْغَلُني زَمَاني ،   برَعْيِ النّاسِ عَنْ رَعيِ القُرُومِ
وَمَا لي مِنْ لِقَاءِ المَوْتِ بُدٌّ ،   فَمَا لي لا أشُدّ لَهُ حَزِيمي
سَألتَمِسُ العُلَى إمّا بِعُرْبٍ   يُرَوّونَ اللّهَاذِمَ أوْ بِرُومِ[2]
وَلَوْ أنّي أُعِنْتُ بِآلِ عُكْلٍ   رَغِبتُ عَنِ الذّوَائبِ مِن تَميمِ[3]
حَذارِكُمُ بَني الضّحّاكِ أنّي   إلى الأمْرِ الذي تُومُونَ أومي
فَلا تَتَعَرّضُوا بِذِرَاعِ عَادٍ   مُدلّ عِنْدَ خـ   ستيمِ

١ إلى عنقاء : أي إلى هضبة عنقاء ، وهي المرتفعة الطويلة . الأروم : الأصول ، الواحدة أرومة ، وأروم بالفتح .
٢ اللهاذم : الأسنة القاطعة .
٣ آل عكل : قوم ضعاف . الذوائب : السادات .
٤ العادي : الأسد . المدل : أي المدل بشجاعته ، الجريء . خيسته : غابته . الشتيم: القبيح الخلقة، العابس .

فإنْ تكُ مَدْحَةٌ سبَقَتْ فإنّي   بِضِدّ نِظَامِهَا عَيْنُ الزّعيمِ
وَقافِيَةٍ تُخَضْخِضُ ما تَرَامَتْ   بهِ الأيّامُ في عِرْضِ اللّئيم
تُرَدّدُ مَا لهَا مِمّنْ يَعِيهَا ،   سِوَى الإطْرَاقِ مِنهَا وَالوُجُومِ
لهَا في الرّأسِ سَوْرَاتٌ يُطَاطي   لهَا الإنْسَانُ كالرّجُلِ الأميمِ[1]
ليَعْلَمَ مَنْ أنَاضِلُ أنّ شِعرِي   يُطَالِعُ بالشّقَاءِ وَبالنّعِيمِ

نبت السيادة والحلم

قال عند نبات الشعر بعارضيه

رَأت شَعَرَاتٍ في عِذارِيَ طَلْقَةً ،   كما افترّ طفلُ الرّوْضِ عن أوّلِ الوَسمي
فقلتُ لهَا : ما الشّعرُ سَالَ بعارِضِي ،   وَلَكِنّهُ نَبْتُ السّيَادَةِ وَالحِلْمِ
يَزِيدُ بِهِ وَجْهي ضِيَاءً وَبَهْجَةً ،   وَما تُنقِصُ الظّلماءُ من بهجةِ النّجمِ

١ الأميم : الذي أصيبت أم رأسه

الحياة ظل والمنى احلام

يرثي الملك أبا الفوارس شرف
الدولة وزين الملة ابن عضد الدولة
وقد توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٧٩ :

هَلْ كانَ يَوْمُكَ إلاّ بَعْدَ أيّامِ ، سَبَقْتَ فِيهَا بِإنْعَامٍ وَإرْغَامِ
وَهَلْ أزَالَكَ عَنْ هذا سِوَى قَدَرٍ تَنَاوَلَ الأُسْدَ مِنْ غِيلٍ وَآجَامِ
إنّ المَنَايَا مُغِرّاتٌ لِأنْفُسِنَا ، وَإنْ أمَدّتْ بِأعْوَامٍ وَأعْوَامِ
نَسعَى بأقدامِنَا عنهَا فتُدْرِكُنَا ، سَبْقَ الجِيَادِ وَمَا تَسعَى بأقدامِ
مَا لي بِطَيّ اللّيَالي غَيرُ مُكْتَرِثٍ ، وَمَا وَرَائِيَ مِنهَا كَانَ قُدّامي
أظُنّ شَخصَ الرّدَى فَرْداً فأحذَرُهُ ، وَالمَوْتُ أكبَرُ مِنْ ظَنّي وَأوْهامي
إنّ الحَيَاةَ ، وَإنْ غَرّتْ مَخائِلُها ، ظِلٌّ ، وَإنّ المُنَى أضْغاثُ أحْلامِ
نَامي البَقَاءِ إلى الذّاوِي تَرَاجُعُهُ ، كُلاًّ ،وَلا يَرْجعُ الذّاوِي إلى النّامي
أبَا الفَوَارِسِ ما أعلى يَداً عَصَفَتْ مِنَ المَنُونِ بِأعلى عِزّكَ السّامي
إنّ المَنِيّةَ مَا زَالَتْ مُفَوَّقَةً ، حتّى رَمَتكَ ،وَلا عَدوَى عَلى الرّامي
كَرّتْ،فلَمْ تَثْنِها بالسُّمرِ مُشرَعَةً ، وَلَمْ تَرُعْهَا بإسْرَاجٍ وَإلجَامِ
ألاّ اتّقَيْتَ بما سَوّمتَ مِنْ عُدَدٍ ، وَما تَعَلّمتَ مِنْ نَقضٍ وَإبْرَامِ[1]

[1] العدد ، الواحدة عدة : ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح .

هَيهَاتَ ألقَى حِمامٌ كُلَّ مَارِنَةٍ تَدْمَى ، وَأبطَلَ مَوْتٌ كُلَّ إقْدامِ
تُملي المَقَادِيرُ أعمَاراً ، وَتَنسَخُهُا، وَيَضْرِبُ الدّهْرُ أيّاماً بِأيّامِ
فَمِنْ كَمِينِ رَدًى تَسرِي عَقارِبُهُ ، وَمِنْ طَلُوعٍ برَايَاتٍ وَأعْلامِ
أينَ السّرِيرُ وَقد قامَ السّماطُ لَهُ ، إجْلالَ أرْوَعَ عَالي القَدّ بَسّامِ[1]
أينَ الجِيَادُ تَنَزّى في أعِنّتِها ، يَطلُبنَ يَوْماً قَطُوباً وَجهُهُ دامِ
أينَ الفُيُولُ كَأنّ المُمْتَطِينَ لهَا عَلى ذَوَائِبِ أطْوَادٍ وَأعْلامِ
أينَ الوُفُودُ عَلى الأبوَابِ مُذكِرَةً بالفَرْطِ مِنْ مَجدِ أخوَالٍ وَأعمَامِ
أينَ المَرَاتِبُ ، وَالدّنْيَا عَلى قَدَمٍ ، مَوْقُوفَةٌ بَينَ أرْمَاحٍ وَأقْلامِ
مَضَى وَلمْ يُغنِ ما عَدّدْتُ عَنهُ ، وَلا كَسبُ العُلى وَاجتِنابُ اللّوْمِ وَالذّامِ
وَعادَ أعظَمُ مَن في جَيشِهِ جُرَةً ، وَلَيسَ يَملِكُ إلاّ عَضّ إبْهَامِ[2]
وَكَانَ أقْطَعَ مِنْ صَمصَامَةٍ ظُبَةً فينَا وَأمضَى مَضَاءً منهُ في الهَامِ[3]
لمْ يُجرِ يَوْماً بأطرَافِ العِرَاقِ دَماً ، إلاّ وَرَاعَ دِمَاءَ القَوْمِ بالشّامِ
وَكانَ إنْ حافَ عُدْمٌ ثمّ عُذْتَ بهِ ملأتَ أرْضَكَ مِنْ خَيلٍ وَأنعَامِ[4]
يَحْنُو عَلى رَحِمٍ مَجْفُوّةٍ ، وَيرَى قَطعَ الرّقابِ وَلا قَطعاً لأرْحَامِ
تَبكي الرّكابُ وَقَدْ رُدّتْ أزِمّتُها ، فالرّكْبُ مَا بَينَ إعْوَالٍ وَإرْزَامِ

١ السماط : صف القوم .
٢ الجرة : الشجاعة ، الجرأة .
٣ الصمصامة : السيف . الظبة : حد السيف . الهام ، الواحدة هامة : الرأس .
٤ حاف : جار ، ظلم .
٥ الإرزام ، من أرزم الرعد : اشتد صوته .

الْيَوْمَ يَرْتَاحُ مَنْ كانَتْ أصَابِعُهُ عَلى قَوَادِمِ أحْقَادٍ وَأوْغَامِ
يَمُوتُ قَوْمٌ، فَلا يَأسَى لهم أحَدٌ، وَوَاحِدٌ مَوْتُهُ حُزْنٌ لِأقْوَامِ
سَقَى الحَيَا مِنْكَ أوْصَالاً مُفَرَّقَةً فِيهَا مَجَامِعُ إجْلالٍ وَإعْظَامِ
غَيْثَانِ : ذا جَامِدٌ تَخفَى مَخائِلُهُ عنِ العُيونِ، وَذا بادي الذَّرَى هامي[1]
لِلهِ دَرُّكِ مِنْ غَرّاءَ أحْرَزَهَا مَوْسُومَةً قَلْبُ ضِرْغَامٍ لِضِرْغَامِ
قَدْ كِدْتُ أعقِلُهَا لَوْلا مُحَافَظَةً عَلى يَدٍ سَلَفَتْ مِنْهُ وَإنْعَامِ
أعَادَ عِزَّ أبي غَضّاً وَخَوّلَهُ مَا شَاءَ مِنْ بَذْلِ إعْزَازٍ وَإكْرَامِ
وَكُنْتُ أجْمَمْتُهُ للعِزّ أطْلُبُهُ، وَإنّمَا كَانَ لِلمَقْدُورِ إجْمَامي
وَدونَ ما تَشْتَهِيهِ النّفْسُ مُتْعَبَةٌ، إنّ اللآلي وَرَاءَ الأخضَرِ الطّامي[2]
فاذهَبْ كما ذَهَبَ البَدرُ استَبَدّ به، بِرُغْمِ أعْيُنِنَا، جِلبابُ إظْلامِ
فَمَا لِدارِكَ مِنّا غَيرُ مَقلِيَةٍ، وَلا لِقُرْبِكَ مِنّا غَيرُ إلْمَامِ

١ الذرى : الدمع المصبوب . الهامي : السائل الذي لا يثنيه شيء
٢ الأخضر الطامي : البحر الممتلىء .

مالىء الدنيا نوالا

يمدح الخليفة الطائع لله وينتجز منه الإذن في الوصول إلى حضرته ويهنئه بشهر رمضان سنة ٣٨٠ وكان المنشد لهذه القصيدة كاتبه أبو الحسن علي ابن عبد العزيز بن حاجب النعماني :

مَتَى أنَا قَائِمٌ أعْلَى مَقَامِ وَلاقٍ نُورَ وَجْهِكَ بالسّلامِ
وَمُنصَرِفٌ، وَقَدْ أثقَلْتَ عِطفي مِنَ النَّعْمَاءِ وَالمِنَنِ الجِسَامِ[1]
وَلي أمَلٌ أطَلْتُ الصّبرَ فيهِ ، لَوَ انّ الصّبرَ يَنقَعُ مِنْ أوَامي[2]
وَما خِفْتُ النّوَائِبَ تَرْتَمي بي ، وَقَدْ أقْعَى بجَامِحِهَا لِجَامي[3]
أيَعْرُقُني الطّوَى وَالرّوْضُ حالٍ ، وَيَغلِبُني الظّمَا وَالبَحرُ طامٍ ؟
وَلي قُرْبَى رَؤومٌ كُنْتُ أرْجُو يَمينَكَ أنْ تُقَرّبَ لي مَرَامي
وَبَابُ الإذْنِ منّي ، كُلَّ يَوْمٍ ، يُقَعْقِعُ بالقَوَافي وَالنّظَامِ
لَكُمْ أرْجَاءُ زَمْزَمَ وَالمُصَلّى وَبَطْحَاءُ المَشَاعِرِ وَالمَقَامِ
وَأنْتُمْ أطْوَلُ العُظَمَاءِ طَوْلاً ، وَأندَى في المُحولِ مِنَ الغَمَامِ
وَأبْعَدُ مَوْطِناً مِنْ كُلّ عَارٍ . وَأمْنَعُ جَانِباً مِنْ كُلّ ذامِ

١ المنن ، الواحدة منة : الإحسان .
٢ ينقع : يسكن . أوامي : عطشي .
٣ أقعى فرسه : رده . جامحها : الفرس المتغلب على راكبه ، الذاهب به لا ينثني .

وَأجرَى عِندَ مُختَلَفِ العَوَالي ، وَأفلَجُ عِندَ مُعتَرَكِ الخِصَامِ[1]
بِآبَاءٍ مَضَوْا ، وَهُمُ عَوَارٍ مِنَ القَوْلِ المُهَجَّنِ وَالمَلامِ
وَأُمّاتٍ دَرَجْنَ عَلى اللّيَالي ، وَهُنّ أصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ
وَعِزٍّ لا يُزَعْزَعُ بالرّزَايَا ، وَطَوْدٍ لا يُضَعضَعُ بالزّحَامِ
وَفَخْرٍ شامِخِ العِرْنِينِ عَالٍ ، وَمَجْدٍ طَائِرِ العَزَبَاتِ سَامِ
تَسِيلُ إلَيْهِمُ أيْدي المَطَايَا ، بِكُلّ أشَمّ مَعرُوقِ العِظَامِ
يُغَلِّبْنَ البعَادَ عَلى التّداني ، وَيُؤثِرْنَ المَسيرَ عَلى المَقَامِ
وَيُعلِفْنَ الذّميلَ ، وَلا سَبِيلٌ إلى الغُدرَانِ وَالنُّطَفِ الطّوَامي[2]
وَيَنصُلُ لَيْلُهَا عَنْ كُلّ عَنسٍ غَضِيضِ الطّرْفِ فاتِرَةِ البُغَامِ[3]
أحَفّتْ مِنْ جَوَانِبِهَا الفَيَافي ، وَسَاقَطَ نَحضَهَا خوْضُ الظّلامِ[4]
تُنَاخُ بِمَالِىءِ الدّنْيَا نَوَالاً ، وَصَادِعِ بَيضَةِ المَلِكِ الهُمَامِ[5]
ببأسٍ مِثلِ غَرْبِ السّيفِ ماضٍ ، وَجُودٍ مِثْلِ مَاءِ المُزْنِ هَامِ
وَصَوْلاتٍ أمَرَّ مِنَ المَنَايَا عَلى بَشَرٍ ، ألَذَّ مِنَ المُدامِ
أمِيرَ المُؤمِنِينَ ، وَأنتَ أوْلَى بِغَايَاتِ الفَخَارِ مِنَ الأنَامِ

١ أفلج : أظفر .
٢ الذميل : السير اللين . والمراد الذي يسير الذميل . النطف ، الواحدة نطفة : الماء الصافي قل أو كثر ، والبحر .
٣ العنس : الناقة الصلبة .
٤ أحفت من جوانبها : أخذت منها . نحضها : لحمها .
٥ البيضة : الخوذة وهي من آلات الحرب لوقاية الرأس .

وَأنْتَ مُمَلَّكٌ شَرْقاً وَغَرْباً ، حَرِيمَ الأرْضِ وَالبَلَدِ الحَرَامِ
أجِبْ صَوْتِي إلَيكَ ، فكُلُّ مَلكٍ يَلَذُّ عَلى مَسَامِعِهِ كَلامي
وَجَرّدْنِي تُلاقِ الدّهْرَ مِنّي بِمَسْمُومٍ مَضَارِبُهُ حُسَامِ
وَلا تَتَغَاضَيَنّ عَنِ القَوَافِي ، فَقَدْ أرْبَتْ عَلى طُولِ الجِمَامِ[1]
وَإنّي نِعْمَ دامِغُ كُلّ قِرْنٍ يُرَادي بالعَدَاوَةِ ، أوْ يُرَامي
وَدافِعُ كُلّ داهِيَةٍ نَآدٍ ، وَقائِدُ كُلّ ذي لَجَبٍ لُهَامِ[2]
لَعَلّي بَالِغٌ أمْرِي وَلاقٍ مُنَى نَفْسِي مِنَ النِّعَمِ العِظَامِ
وَأمْراً مِنْكَ يَحْذَرُهُ الأعَادي، فَيَلحَظُهُ بِأجْفَانٍ دَوَامِ
فَأعيُنُهُمْ لبَغضَتِهِ غَوَاضٍ ، وَهُنّ لعُظْمِ مَنظَرِهِ سَوَامِ
تَهَنّ قُدُومَ صَوْمِكَ ، يا إماماً، يَصُومُ عَلى الزّمَانِ مِنَ الأثَامِ
إذا مَا المَرْءُ صَامَ مِنَ الدّنَايَا ، فَكُلُّ شُهُورِهِ شَهْرُ الصيَامِ
ألانَ جَذَبْتَ مِنْ أيدي اللّيَالي عِنَاني ، وَاشتَمَلْتَ عَلى زِمَامي
فَمَا أخشَى الزمانَ ، وَلَوْ تَلاقَتْ يَدَاهُ مِنْ وَرَائي أوْ أمَامي
وَلا سِيما وَقَدْ أمْسَى عَليٌّ ظَهِيرِي ، وَالسّفِيرَ إلى إمَامي

١ أربت : زادت . الجمام : الراحة .
٢ النّآد : الداهية ، وصف الشيء بمثله للتعظيم .

اذا غضبوا جاشت ربى الارض

يمدح أباه ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٨١ :

حَلَفْتُ بها صِيدَ الرّؤوسِ سَوَامٍ ، طِوَالَ الذُّرَى يَمدُدْنَ كلَّ زِمامِ
بِكُلّ غُلامٍ حَرّمَ النّوْمَ هِزّةً إلى بَلَدٍ نَائي المَزَارِ حَرَامِ
لأستَمطِرَنّ العِزّ نَفْساً مُرِيغَةً وُرُودَ عَلاءٍ ، أوْ وُرُودَ حِمَامِ[1]
وَأستَنْزِلَنّ المَجْدَ مِنْ قُذُفَاتِهِ وَلَوْ كَانَ أعْلَى يَذْبُلٍ وَشَمَامِ[2]
مَلَلْتُ مُقامي غَيرَ شكوَى خَصَاصَةٍ ، وَإنّي لأمْرٍ مَا أمَلُّ مُقَامي
نِزَاعاً عَنِ الدّارِ الّتي أنَا عِندَهَا كَثِيرُ لُبَانَاتٍ طَوِيلُ غَرَامِ
صَرِيعُ هُمُومٍ يَحْسَبُ النّاسُ أنّني لِمَا أخَذَتْ مِنّي صَرِيعُ مُدامِ
نَوَائِبُ أيّامٍ نَسَرْنَ خَصَائِلي ، مُغَالَبَةً ، حتّى عَرَقنَ عِظَامي[3]
وَدُونَ وُلُوجِ الضّيمِ فيّ ذَوَابِلٌ ، طِوَالٌ بِأيْدِي مُنجِبِينَ كِرَامِ
وَإنّ زَمَاني يَوْمَ يَحْرُقُ نَابَهُ أعَاذِمُهُ حَتّى يَمُدّ عِذامي[4]
وَكَمْ يَستَفِزُّ الذّلُّ قَلبَ ابنِ همّةٍ ، لَهُ أمَلٌ نَائي المَدَى مُتَرَامِ

١ المريغة : الطالبة . الورود : الشرب .

٢ القذفات ، الواحدة قذفة : ما أشرف من رؤوس الجبال .

٣ نسرن ، من نسر البازي الطائر : نتف لحمه بمنسره .

٤ حرق نابه : حكه حتى سمع له صريف . عاذمه : بادله اللوم ، أو الشتيمة .

يُذادُ عَنِ المَاءِ الذي فيهِ رِيُّهُ ، وَيَرْمي إلى الغُدْرَانِ مُقْلَةَ ظَامي
وَتَعرِضُ غُرّاتُ العُلى، وَهو كانِعٌ ، فَيَلْحَظُهَا شَزْراً بِعَيْنِ قَطامي[1]
وَلَسْتُ بِرَاضٍ عَنْ مَنَازِلَ جَمّةٍ أمُرُّ بِهَا في الأرْضِ مَرّ لَمَامِ
سوَى مَنْزِلٍ حَصْبَاءُ أرْضِي بجَوّهِ نُجُومٌ ، وَأظْلالُ الغَمَامِ خِيَامي
فذاكَ مَكاني ، إنْ أقمتُ بمَنزِلٍ ، وَإلاّ فَفي أيدي الطِّلابِ زِمَامي
خَفيفٌ عَلى ظَهرِ الجَوَادِ تَسَرُّعي، ثَقِيلٌ عَلى هَامِ الرِّجَالِ قِيَامي
خَليليّ رُوداً باليَفَاعِ ، فأشرِفَا عَلى قُلَلٍ بالأبْرَقَينِ سوَامِ[2]
لِبَرْقٍ كتَلْوِيحِ الرِّداءِ يَشُبّهُ تَضَايُقُ مِرْنَانِ الرّعُودِ رُكَامِ
تَرَبّصَ أنْ يُلْقي بِنَجْدٍ بَعَاعَهُ ، وَسَاقَ إلى البَيْضَاءِ عِيرَ غَمَامِ[3]
زَفَتْهُ النُّعامَى ، فاستَمَرّ جِمامُهُ، تَجَفُّلَ سِرْبَيْ رَبْرَبٍ وَنَعَامِ[4]
يُضِيءُ إلى الرَّبعِ الذي كُنْتُ آلِفاً بِهِ بَرْءَ أسْقَامي وَبَلَّ أُوَامي
مَنَازِلَ كانَ الطّرْفُ يَرْتَاحُ بَينَهَا لخُضْرٍ جَمِيمٍ ، أوْ لزُرْقِ جِمَامِ
سَقَى تُرْبَهَا حَتّى استَثَارَ خَبيئَهُ سَقِيطُ رَذاذٍ دائِمٍ وَرِهَامِ[5]
وَرَاقَتْ بهَا الأنْوَاءُ كُلَّ صَبِيحَةٍ ، وَرَقّتْ بهَا الأرْوَاحُ كُلَّ ظَلامِ

١ الكانع : المتشنج . القطامي : الصقر .

٢ رودا، من راد الأرض : تفقد ما فيها من المراعي والمياه ليرى هل تصلح للنزول فيها . اليفاع: التل . الأبرقان : أراد ابرقي حجر اليمامة .

٣ بعاعه : ما فيه من مطر . البيضاء : الأرض . وأراد بعير كل غمام : قوافل كل سحاب .

٤ زفته : ساقته ، طردته . النعامى : ريح الجنوب .

٥ الرذاذ : المطر الخفيف . الرهام ، الواحدة رهمة : المطر .

تَضُمُّ رِجَالاً كالرِّمَاحِ ، إذا دُعُوا إلى الحَرْبِ لَقّوا نَارَهَا بِضِرَامِ
لهُمْ عَدَدٌ جَمٌّ مِنَ البِيضِ وَالقَنا، وَزَافِرَةٌ باللّيلِ ذاتُ بُغَامِ[1]
إذا غَضِبوا جاشَتْ رُبَى الأرْضِ منهم بِبَيْضٍ ، وَبِيضٍ كالنّجُومِ وَلامِ[2]
بِأيّ سَرَاةٍ أحْمِلُ الخَطْبَ إنْ عَرَا، وَقَدْ جُبَّ مِنهُمْ غارِبي وَسَنامي[3]
وَكَانُوا دُرُوعي إنْ رَمَتْني مُلِمّةٌ ، وَنَبلي إنْ رَامَى العِدا وَسِهَامي
وَلَوْلا ابنُ موسَى ما اعتَصَمتُ بجُنّةٍ ، وَلا عَلِقَتْ كَفّي بِعَقْدِ ذِمَامِ[4]
مَلاذِيَ إنْ أعطِي الزّمَان مَقَادَتي ، مَعَاذِيَ إنْ جَرّ العَدُوُّ خِطَامي
مِنَ القَوْمِ ما زرّوا الجيوبَ على الخَنا، وَلا قُرِعَتْ أسْمَاعُهُمْ بِمَلامِ
سَرِيعُونَ إنْ نُودُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ، جَرِيئُونَ إنْ قِيدُوا لِيَوْمِ خِصَامِ
لهُمْ شَرَفٌ آبٍ عَلى النّاسِ أقعَسٌ ، وَفَضْلٌ عَديدٌ للعَدُوّ لُـ ـا[5]
نُجُومُهُمُ في العِزّ غَيرُ غَوَارِبٍ ، وَأجدادُهُمْ في المَجْدِ غَيرُ نِيَامِ
يُهَابُ بِهِمْ مُستَلئِمِينَ إلى الرّدَى عَلى عَارِفَاتٍ بالطّعَانِ دَوَامِ
عَنَاجيجُ قَد طَوّحنَ كلّ حَقِيبَةٍ مِنَ الرّكضِ وَاستَهلكنَ كلّ لجَامِ[6]

١ الزافرة ،من زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه، وأراد بها النياق . البغام : أن تقطع الناقة حنينها ولا تمده .
٢ البيض بالفتح ، الواحدة بيضة : الخوذة . البيض بالكسر : السيوف ، الواحد أبيض . اللام : الدروع ، الواحدة لأمة .
٣ السراة : الظهر . جب : قطع .
٤ الجنة : السترة ، الوقاية .
٥ الأقعس من العز : المنيع ، الثابت .
٦ العناجيج : جياد الخيل . طوحن : ألقين في الهواء ، ضيعن . الحقيبة : الرفادة في مؤخر الرحل .

نَزَائِــعُ مَا تَنفَكُّ تَفرِي صُدُورَها جُيُوبَ ظَلامٍ ، أوْ ذُيُولَ قَتَامِ
يُخالِطْنَ بالفُرْسَانِ كلَّ طَرِيدَةٍ ، وَيَبلُغْنَ بالأرْمَاحِ كُلَّ مَرَامِ
أحاسدَ ذا الضِّرْغامِ دونَكَ فاجتَنِبْ بَوَادِرَ مِقدامِ الجَنَانِ مُحَامي
حَذارِكَ مِنْ لَيثٍ تَرَى حَوْلَ غِيلِه سَوَاقِطَ أيْدٍ للرِّجَالِ ، وَهَامِ
لهُ العَدْوَةُ الأولى التي تَحطِمُ القَنا، وَتُجلي الأعَادي كُلَّ يَوْمِ مُقَامِ
هَنيئاً لكَ العِيدُ الجَديدُ ، وَلا تَزَلْ تَخَلَّصُ مِنْ عَامٍ يَمُرُّ وَعَامِ
تَنَشَّمتَ من فَضْلِ العَفافِ عنِ الهوَى، نَجَاءً مِنَ الدُّنْيَا ، أعزَّ لِثَامِ
وَخالَفتَ في ذا الصَّوْمِ سُنَّةَ مَعشَرٍ صِيَامٍ ، عَنِ العَوْرَاءِ غَيرُ صِيَامِ
ألا إنّني غَرْبُ الحُسَامِ الذي تَرَى وَغَارِبُ هَذا الأرْعَنِ المُتَسَامي
كِلانَا لَهُ السَّبْقُ المُبِرُّ إلى العُلَى ، وَإنْ كانَ في نَيلِ العَلاءِ إمَامي
وَمَا بَيْنَنَا يَوْمَ الجزَاءِ تَفَاوُتٌ سِوَى أنّهُ خَاضَ الطَّرِيقَ أمَامي

حرق وآلام

قال في مدح قوم على لسان من سأله ذلك :

مَا إنْ رَأيْتُ كَمَعشَرٍ صَبَرُوا لقَوَارِعِ اللَّزَبَاتِ وَالأزْمِ[1]
بَسَطُوا الوُجُوهَ وَفي ضُلُوعِهِمُ حُرَقُ الجَوَى وَمَـآلِمُ الكَلْمِ
جَمَحَتْ بِهِمْ خَيلُ الأسَى فثَنَوْا أعنَاقَهَا بِأعِنّـةِ الحَزْمِ

١ اللزبات ، الواحدة لزبة : الشدة ، القحط . الأزم ، الواحدة أزمة : الشدة ، الضيقة ، القحط

نأنف من موت الهرم

يفتخر ويذم الزمان

قَعَدَ الرّاضُونَ بالذّلّ فَقُمْ ، إنّمَا المَاضِي إذا هَمّ عَزَمْ
مَا مُقَامي غَيرُ مُمْضِي نِيّـةٍ دائِباً أهْدُرُ كَالفَحْلِ السّدِمِ[1]
أعرِضُ الآمَالَ مَشْغُوفاً بهَا ، ثُمّ أنْسَاهَا إذا الخَطْبُ ألَمّ
طَالَ لَبْثي سَادِراً في غُمّةٍ ، وَقَدِيماً كُنْتُ فَرّاجَ الغُمَمْ[2]
لا ألُومُ الهَمّ إنْ لازَمَني ، فَهُمُومُ المَرْءِ يَبعَثْنَ الهِمَمْ
لَسْتُ بالوَاني ، وَلَكِنّي فتًى ظَلَمَتْهُ نَائِبَاتٌ ، فانظَلَمْ
وَزَمَانٌ شُرّعٌ أنيَابُهُ ، أبَداً ، يَعرُقُنا عَرْقَ السَّلَمْ[3]
المَعَازِيلُ كِرَامٌ عِنْدَهُ ؛ وَالمَنَاجِيبُ كَمَلفُوظِ العَجَمْ[4]
خَضَعَ الدّهْرُ لَنَا ثمّ نَبَا ، وَكَذا الدّهرُ إذا سَافَ عَذَمْ[5]
أنَا مِنْ أبْنَائِهِ في مَعْشَرٍ يَتَوَاصَوْنَ بِإخْفَارِ الذّمَمْ
إنْ طَوَاني الغَيْبُ عَنْ ألحاظِهِمْ مَزّقُوا عِرْضِيَ تَمزِيقَ الأدَمْ

١ الفحل السدم : الجمل الهائج .
٢ السادر : المتحير . الغمة : الحزن والكرب .
٣ السلم : شجر العضاه ، وهو كل شجر يعظم وله شوك .
٤ المعازيل : من لا رماح معهم ، الواحد معزال . العجم : النوى .
٥ ساف وعذم : عض .

لا يُلاقُونيَ إلاّ خـائِضاً أخْطُمُ الأقْوَالَ مِنْهُمْ وَأزُمّ
إنْ تَرَاني مُطْرِقاً عَنْ سَوْرَةٍ كَقَبُوعِ الصِّلّ أُغضِي وَأرِم[١]
فَهُمُومي سَاعِيَاتٌ جُهْدَها ، لَيسَ كُلّ السّعْيِ يَوْماً بالقَدَمْ
قَدْ يُجيبُ العِزَّ مَنْ أقْعَدَهُ عَنْ طِلابِ العِزّ خَوْفٌ وَعَدَمْ
وَيُجيبُ الطّالِبَ المُثْرِي ، وَقَدْ يُدرِكُ الشّأوَ أخُو العَجزِ الهَرِمْ
أبقَتِ الأيّامُ مِنّي صَعْدَةً ، تَزْبُنُ العاجِمَ عَنها إنْ عَجَم[٢]
وَإذا زَعزَعَها الدّهْرُ سَمَتْ لَدْنَةً تَنمي عَلى طُولِ القِدَمْ
لَستَ لِلزّهْرَاءِ إنْ لَمْ تَرَها كوُعولِ الهَضْبِ يَعجُمنَ اللُّجُم[٣]
تُستَجَنُّ البِيدُ مِنْ فُرْسَانِهَا بَينَ بَغْدادٍ إلى أرْضِ الحَرَم[٤]
بِعَجَاجٍ يَمْلأُ الأُفْقَ دُجًى ، وَطِعَانٍ يَخْضُبُ الأرْضَ بِدَمْ
شُرَّعاً تَفْتَرُّ عَنْ أعْنَاقِهَا قُلَلُ القُورِ وَغِيطَانُ الأكَمْ
كالرّدَى أقدَمَ ، وَالغَيثُ همَى ، وَالدُّجَى طَبّقَ ، وَالسّيلُ هجَمْ
حَامِلاتٍ كُلّ غَضْبَانٍ بِهِ مِنْ لمَامِ الغَيْظِ مَسٌّ وَلَمَمْ
كالصّقُورِ الغُلْبِ ألحَاظُهُمُ كالجُذَى يَلمَعنَ مِن خَلفِ اللُّثُم[٥]
بَدّدُوا مَا جَمَعَ البَأسُ لَهُمْ بِأنَابِيبِ العَوَالي في الكَرَمْ

١ السورة : الحدة . قبوع الصل : أن يجمع الحية نفسها ، وتدخل رأسها في عنقها . ارم : أسكت
٢ تزبن : تصدم .
٣ لعله أراد بالزهراء الكتيبة ، بدليل قوله في الشعر التالي : تستجن البيد من فرسانها .
٤ تستجن : تجن .
٥ الجذى ، الواحدة جذوة : الجمرة الملتهبة .

لَستُ بالعَاذِرِ جَدّي إنْ هَوَى، وَجُدُودي في العُلى أعلى الأُمَمْ

وَبَنَاني خُلِقَتْ أطْرَافُهَا عَقِباً للرّمحِ، طَوْراً، وَالقَلَمْ [1]

لا يُرَى مِثْلِيَ إلاّ طَالِباً ذُرْوَةَ المِنبَرِ أوْ قَعرِ الرَّجَمْ

طَامِحَ الرّأسِ عَلى أعْوَادِهِ، أوْ عَلى عَالِيَةِ الرّمحِ الأصَمّ

خُطّةٌ: إمّا عَلاءٌ، أوْ رَدًى، مُعجِلي أنْ أقْرَعَ السّنّ النّدَمْ

بِنْ مِنَ النّاسِ بِعِزٍّ وَعُلًى، ستُسَاوِيهِمْ غَداً بَيْنَ الرِّمَمْ

هَبْنيَ الرّمْحَ بِكَفّيْ فَارِسٍ بَطَلٍ أكْرَهَهُ حَتّى انحَطَمْ

هَبْنيَ العَضْبَ ذَلِيقاً حَدُّهُ ثَلّمَ البِيضَ ضِرَاباً وَانْثَلَمْ [2]

أتُرَاني دُونَ مَنْ رَامَ العُلَى في اللّيَالي مُنذُ عَادٍ وَإرَمْ

وَدَنيٌّ ضَارِعٌ عَنْ أمْرِهِ أخَذَ العُرْبَ بتِيجَانِ العَجَمْ

كَمْ أبٍ لي جَدّ في إحْرَازِهَا يَحرُفُ النّابَ عَلَيها وَابنِ عَمّ

طَلَبُوهَا فَهَوَى بَعْضُهُمُ، وَرَمَى بَعْضٌ إلَيْهَا فَغَنِمْ

صَبَرُوا فيهَا عَلى كُلّ أذًى، وَلَقُوا مِنْ دُونِهَا كُلّ ألَمْ

إنْ يَكُنْ مُلْكٌ، فمِثْلي نالَهُ، أوْ يَكُنْ حَتْفٌ، فإنّي لمْ ألَمْ

إنّمَا يَهْلِكُ مِنّي مَاجِدٌ يُولِغُ السّيْفَ عَرَاقيبَ النّعَمْ

نَاقِصُ الأمْوَالِ في بَذْلِ النّدى، زَائِدَ الخَطْوِ إلى ض ممم

نَحنُ قَوْمٌ قَسَمَ اللهُ بالرّزَايَا، وَرَضِنَا بالقَسَمْ

١ أراد بعقباً: التعاقب، أي يتعاقب على أطراف بنانه الرمح والقلم.

٢ الذليق: الحديد. انثلم: انكسر حرفه.

إنّمَا قَصّرَ مِنْ آجَالِنَا أنّنَا نَأنَفُ مِنْ مَوْتِ الهَرَمْ
نِصْفُ عَيْشِ المَرْءِ حُلمٌ، وَالذي يَعقِلُ العَاقِلُ مِنْهُ كالحُلُمْ

النوائب بيض وسود

يذكر تعتب الوزير أبي القاسم علي بن أحمد المعروف بالبرقوهي لأمر بلغه فأوحشه ويقرظه ويصف أفعاله ويستصوب رأيه :

تَأبَى اللّيَالي أنْ تُدِيمَا بُؤساً لخَلْقٍ ، أوْ نَعيمَا
وَنَوَائِبُ الأيّامِ يَطْرُقْـ نَ الوَرَى بِيضاً وَشِيمَا[1]
وَالدّهرُ يُوجِفُ فيهِ مُعوَ جَّ الطّرِيقِ وَمُسْتَقِيمَا[2]
وَالمَرْءُ بِالإقْبَالِ يَبْـ لُغُ وَادِعاً خَطَراً جَسِيمَا
وَيَنَالُ بُغْيَتَهُ ، وَمَا أنضَى الذّميلَ وَلا الرّسيمَا[3]
وَإذا انْقَضَى إقْبَالُهُ رَجَعَ الشّفيعُ لَهُ خَصِيمَا
بَيْنَا يَسِيغُ شَرَابَهُ ، حتّى يَغَصّ بِهِ وُجُومَا[4]

١ الشيم : السود .
٢ يوجفه : يجعله يعدو عدواً سريعاً .
٣ أنضى : أهزل . وقوله ذميلا ورسيماً : أي البعير الذي يسير السيرين المسميين هكذا .
٤ ساغ الشراب : سهل مدخله في الحلق . الوجوم : السكوت والعجز عن التكلم من كثرة الغم والخوف ، والإمساك عن الأمر وهو كاره

وَهُوَ الزّمَانُ إذا نَبَا سَلَبَ الذي أعْطَى قَدِيمَا
كَالرّيحِ تَرْجِعُ عاصِفاً، مِنْ بَعْدِ مَا بدَأتْ نَسِيمَا
يَستَكهِمُ العَضْبَ القَطُو عَ، وَيُزْلِقُ الرّمحَ القَوِيمَا[1]
وَيَعُودُ بِالرّأسِ الطَّمُو حِ العَيْنِ مِطرَاقاً أمِيمَا[2]
كَمْ ذابِلٍ قَادَ الجِيَا دَ القُبَّ يَعلُكْنَ الشّكِيمَا
كَعَوَاسِلِ الذّؤبَانِ يَذْرَعْـ نَ الأمَاعِزَ وَالحُزُومَا[3]
وَمُجَمِّرٍ للجَيْشِ قَدْ نَسِيَتْ ضَوَامِرُهُ الجُمُومَا[4]
قَلِقٌ عَلَى الأنْمَاطِ حَتّى يُدْرِكَ الثّأرَ المُنِيمَا
لا يُصْدِرُ الرّايَاتِ حَـ دَماً جَمُومَا[5]
عَصَفَ الحِمَامُ بِهِ ، وَفَرّقَ ذَلِكَ الجَمعَ العَمِيمَا
وَرَمَى بِهِ غَرَضَ الرّدَى، عُرْيَانَ قَدْ خَلَعَ النّعِيمَا
زَالَ الوَزِيرُ ، وَكَانَ لي وَزَراً أجُرّ بِهِ الخُصُومَا
فَالآنَ أغْدُو للعِـدَا وَنِبَالِهَا غَرَضاً رَجِيمَا
سَدّ العُلَى ، وَأنَارَ لا فَظّ القَضَاءِ ، وَلا ظَلُومَا
حَتّى ، إذا لَمْ يَبْقَ إ لاّ أنْ يُلامَ وَأنْ يُلِيمَا

١ يستكهم العضب : يجعله ، أو يعده كهاماً أي كليلا غير قاطع .
٢ الأميم : المصاب بأم رأسه .
٣ العواسل : المضطربة في مشيها . يذرعن : يمددن أيديهن في السير .
٤ جمر الجيش : حبسه في أرض العدو . الجموم : الراحة .
٥ الجموم : المتجمع .

طَرَحَ العَنَاءَ عَلى الدَّنَا م مُجانِباً وَمَضَى كَرِيمَا
لَمْ يَعتَقِلْهُ الحَبْسُ مُمْتَهِناً ، وَلَمْ يُعْزَلْ ذَمِيمَا
أفنَى العِدا ، وَقضَى المُنَى ، وَبَنى العُلى ، وَنَجَا سَلِيمَا
الحَامِلُ العِبْءَ الذي أعْيَا المَصَاعبَ وَالقُرُومَا
سَئِمُوهُ ، فَاحتَمَلَ المَغَارِمَ لا ألفَّ ، وَلا سَؤومَا[1]
أنْقَاهُمُ جَيْباً ، إذا عُدّوا ، وَأملَسُهُمْ أديمَا
وَجْهٌ كَأنّ البَدْرَ شَاطرَهُ الضّيَاءَ ، أوِ النّجومَا
لَوْ قَابَلَ اللّيلَ البَهِيم لمَزّقَ اللّيلَ البَهِيمَا
يَجْلُو الهُمُومَ ، وَرُبّ وَجْه إنْ بَدا جَلَبَ الهُمُومَا
خَلَصَ النّجِيُّ مُشَاوِراً قَلباً عَلى النّجوَى كَتُومَا
وَمُنَبَّهاً عَزْماً ، إذا ما هَزّ لَمْ يُوجَدْ نَؤومَا
في الأمْرِ يَتّهِمُ القَرِيبَ عَلَيهِ ، وَالخِلّ الحَمِيمَا
حتّى سَمَا ؛ فحَدَا بهَا بَزْلاءَ نَاجِيَةً سَعُومَا[2]
كَانَ العَظِيمَ ، وَغَيرُ بَدعٍ مِنهُ إنْ رَكِبَ العَظِيمَا
خُطَطٌ يُجَبِّنَّ المُشَجّعَ ،أوْ يُسَفّهْنَ الحَلِيمَا
وَالحُرّ مِنْ حَذَرِ الهَوَانِ يُزَايِلُ الأمْرَ الجَسِيمَا

١ الألف : العيي ، البطيء .

٢ البزلاء : الناقة التي شق نابها . الناجية : السريعة . السعوم : التي تسير السعم وهو ضرب من السير السريع .

وَيُليحُ مِنْ خَوْفِ الأذَى فَرَقاً ، وَيَدّرِعُ الكُلُومَا[1]
وَالضَيْمُ أرْوَحُ مِنْهُ مَطْ رُورُ الظُّبَى بَلَغَ الصَّمِيمَا
بَعَثُوا سِوَاكَ لَهَا فَكَا نَ مُبَلَّداً عَنهَا مَلِيمَا
وَالعَاجِزُ المَأفُونُ أقْ عَدُ مَا يَكُونُ إذا أُقِيمَا[2]
فَسَقَى بِلادَكَ حَيثُ كُنْ تَ المُزْنُ مُنبعِقاً هَزِيمَا
فَلَقَدْ سَقَى خَدّيّ ذِكْ رُكَ دَمعَ عَيْنيّ السَّجُومَا
وَرَعَتْكَ عَينُ اللهِ مِقْ لاقَ الرّكائبِ، أوْ مُقِيمَا

خاطر وزاحم

يفتخر ويذكر غرضاً في

مَنِ الرّكْبُ ما بَينَ النّقا وَالأنَاعِمِ ، نَشاوَى مِنَ الإدلاجِ مِيلَ العَمائِمِ
وُجُوهٌ كَتَخطيطِ الدّنانيرِ لاحَهَا ، مَعَ البِيدِ ، إضْبابُ الهُمومِ اللّوَازِمِ
كأنّ القَطامِيّاتِ فَوْقَ رِحالِهِمْ ، سِوَى أنّهَا تَأبَى دَنِيّ المَطاعِمِ

١ يليح : يظهر .
٢ المأفون : الضعيف الرأي والعقل .
٣ النقا والأناعم : موضعان . الادلاج : السير عامة الليل .
٤ الاضباب ، من أضب اليوم : صار ذا ضباب .
٥ القطاميات ، الواحد قطامي : الصقر .

عَلى مُصْغِيَاتٍ لِلأَزِمَّـةِ سَاقَطَتْ … مِنَ النَّيِّ ما بَيْنَ الذُّرَى وَالمَنَاسِمِ[1]

ذَكَرْنَاكُمُ، وَالعِيسُ تَهوِي رِقابُها، … وَأَيْمَانُنَـا مَبْلُولَـةٌ بالقَوَائِمِ[2]

فأضْعَفَنا عَنْ حَمْلِ أَسيافِنا الهَوَى، … وَنَقّضَ مِنّا مُبْرَمَاتِ العَزَائِمِ

إذا هَزّنَا الشّوْقُ اضْطَرَبْنَا لِهَزّهِ … على شُعَبِ الرّحلِ اضطرَابَ الأرَاقمِ

وَخفّتْ قُلُوبٌ من رِجالٍ كما هفَتْ … نَزَائِعُ طَيرٍ غُدْوَةً بالقَوَادِمِ

فمِنْ صَبَوَاتٍ تَستَقيمُ لِمَائِلٍ؛ … وَمِنْ أرْيحيّاتٍ تَهُبّ بِنَائِمِ

وَفي الجِيرَةِ الغَادِينَ كُلُّ مُمَنَّعٍ … يُشِيرُ إلَيْنَا عَنْ بُرُوقِ المَبَاسِمِ

وَيَجْلُو لَنَا لَمْعَ الغَمَامِ وَبِشْرَهُ، … وَأينَ لَنَا مِنْهُ بِجَوْدِ الغَمائِمِ

صَفَحْنَ إلَيْنا عَنْ خُدُودٍ أسيلَةٍ، … دُنُوَّ العَوَاطي مِنْ ظِبَاءِ الصّرَائِمِ[3]

وَرَفّعنَ أطرَافَ السُّجوفِ فصَرّحتْ … عَنِ الوَجدِ أدوَاءُ القُلوبِ الكَوَاتِمِ

وَكَيفَ تَرَاهنّ العُيُونُ، وَإنّمَا … شَغَلْنَ المَآقي بالدّمُوعِ السّوَاجِمِ

يُعاطِينَ إعْطَاءَ الذّلُولِ طَمَاعَةً، … وَيَصْدُدنَ صَدّاتِ الجِيادِ القَوَادِمِ

تَزَوّدْنَ مِنّا كُلَّ قَلبٍ وَمُهْجَةٍ، … وَزَوّدْنَنَا للوَجْدِ عَضَّ الأبَاهِمِ

خَليليّ هَلْ زَالَ الأرَاكُ وَقَد عفَتْ … مَغارِزُ أعْنَاقِ اللّوَى وَالمَخارِمِ

وَكَيفَ أعَالي الرّملِ مُنْذُ تَحَدّبَتْ … عَلَيها الزَّبَاني بالغَمَامِ الرّوَائِمِ[4]

١ النّي : الشحم . المناسم : الطرق ، الواحد منسم .

٢ تهوي : تسرع .

٣ العواطي ، الواحدة عاطية : الظبية تعطو أي تتطاول من الشجر لتتناول منه. الصرائم، الواحدة صريمة : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر .

٤ الزباني ، لعلها جمع لزبون : الناقة التي تزبن حالبها أي تدفعه عنها .

أحِبُّ ثَرَى أرْضٍ أقَامَ بِجوّهَا حَبيبٌ إلى قَلْبي ، وَإنْ لمْ يُلائِمِ
وَأستَشرِفُ الأعلامَ حتّى تَدُلّني عَلى طيبِهَا مَرُّ الرّيَاحِ الهَوَاجِمِ
وَمَا أنْسِمُ الأرْوَاحَ إلاّ لأنّهَا تَجُوزُ عَلى تِلْكَ الرُّبَى وَالمَعَالِمِ
بِرُغْميَ أنزَلْتُ الهَوَى عندَ مانِعٍ ، وَدُمْتُ عَلى عَهْدِ امرِىءٍ غيرِ دائمِ
كَأنّي أُدارِي مُهْرَةً عَرَبِيّةً ، تَحَايَدُ عَنّي مِنْ مَنَاطِ الشّكائمِ
وَهذا، وما ابيَضّ السّوَادُ ، فكيفَ بي إذا الشّيبُ أمسَى لَيلَةً مِنْ عَمائمي
وَكنتُ أرَى أنّ الشّبابَ وَسيلَةٌ ، لمِثلي ، إلى بِيضِ الخُدُودِ النّوَاعِمِ
أنا ابنُ الأُلى إنْ ما دَعَوا يوْمَ مَعرَكٍ أمَدّوا أنَابيبَ القَنَا بالمَعَاصِمِ
مِنَ القَوْمِ تَعْلُو في المَجامعِ مِنهمُ مَنَاصِبُ أعنَاقٍ رزَانِ الجَمَاجِمِ
مَلِيئونَ في يَوْمِ القَضَاءِ إذا انتَدَوْا بجَدْعِ القَضَايَا مِنْ أُنوفِ المَظالِمِ
وَإنْ مَنَعوا النَّصْفَ اقتَضَوْهُ وَأفضَلوا على النَّصْفِ بالأيدي الطّوَالِ الغوَاشِمِ [1]
إذا نَزَلُوا بالمَاحِلِ استَنبَتُوا الرُّبَى ، وَكَانُوا نِتَاجاً للبُطُونِ العَقَائمِ
قَرَوا في حِياضِ المَجد وَاستدرَعوا القنا إلى نَيلِ أعناقِ المُلُوكِ القَمَاقِمِ [2]
يَسيرُونَ بالمَسعاةِ لا السّعيُ بالخُطى ، وَيَرْقَوْنَ بالعَلْيَاءِ لا بالسّلالِمِ
وَمَا مِنهُمُ إلاّ امرُؤٌ شَبّ نَاشِئاً على نَمَطَيْ بيضَاءَ مِنْ آلِ هَاشِمِ
فتًى لمْ تُوَرّكْهُ الإمَاءُ ، وَلَمْ تكُنْ أعارِيبُهُ مَدْخُولَةً بالأعَاجِمِ [3]

١ النصف : الإنصاف .
٢ قرى الماء في الحوض : جمعه .
٣ توركه : تجعله على أوراكها ، يريد تربيه

إذا هَمّ أعطَى نَفْسَهُ كُلّ مُنيَةٍ ، ومعمع أبوَابَ الأُمُورِ العَظائِمِ
وَمَا اتّخَذُوا إلاّ الرّمَاحَ سُرَادِقاً ، وَلا استَنْوَرُوا إلاّ بضَوْءِ اللّهاذِمِ
وَما فيهِمُ مَن يَقسِمُ القَوْمُ أمرَهُ ، وَلا ضَارِعٌ يَنقادُ طَوْعَ الخَزَائِمِ
وَلا وَاهِنٌ إنْ عَضّهُ الأمرُ هَابَهُ ، وَألقَى مَقاليدَ الذّليلِ المُسَالِمِ
يَبيتُ على خُورِ الحَشَايَا ، وَغَيرُهُ عَلى ظَهرِ جَمّاحٍ من اللّيلِ عَارِمِ[1]
لَنَا عَفَوَاتُ المَاءِ مِن كُلّ مَنهَلٍ ، مَوَارِدُ آسَادِ العَرِينِ الضّرَاغِمِ[2]
أبَى العَزْمُ إلاّ وَثْبَةً في ظُهورِها ، إذا أثقَلَتْ أعنَاقُهَا بالمَغارِمِ
عَوَابِسُ إنْ قُلْقِنَ يَوْماً لغَايَةٍ ، هَتَمنَ بِنَا رَوْقَ الرُّبَى وَالمَخارِمِ[3]
وَكَيفَ أخافُ اللّيلَ أنّى رَكِبتُهُ ، وَبَيْني وَبَينَ اللّيلِ بِيضُ الصّوَارِمِ
وَجَمعٍ ، إذا هَزّوا اللّوَاءَ تَجاوَبَتْ جَوَانِبُهُ مِنْ أزْمَلٍ وَزَمَازِمِ[4]
لَهُ لَغَطٌ مِن اصْطِكَاكِ رِمَاحِهِ ، تَنِقُّ عَوَاليهَا نَقِيقَ العَلاجِمِ[5]
وَتَحسَبُهُ مِمّا تَضَايَقَ وَاقِفاً ، وَما رَدّ مِن غَرْبِ الجِيادِ الصّلادِمِ[6]
بهِ كُلُّ هَفّافِ القَميصِ شَمَرْدَلٍ تَفَرّجَ عَنْ وَجْهٍ نَقيّ المَقادِمِ[7]

١ الخور ، الواحدة خائرة : المرتخية . الحشايا ، الواحدة حشية : الفراش المحشو . العارم الشرس ، المؤذي .
٢ عفوات الماء : صفوته .
٣ هتمن : كسرن . الروق : القرن .
٤ الازمل : الصوت المختلط . الزمازم : الأصوات البعيدة التي لها دوي ، الواحدة زمزمة .
٥ العلاجم ، الواحد علجوم : ذكر الضفادع .
٦ غرب : حدة . الصلادم : الصلبة الحوافر ، الواحد صلدم .
٧ الهفاف : الرقيق الشفاف . الشمردل : الفتى الحسن الخلق . تفرج : تكشف . مقادم الوجه ما استقبلت منه ، الواحد مقدم .

بِطَعْنٍ كَمَا انْعَطَّ الأدِيمُ أرَقَّهُ تَعاوُرُ أيْدي الخارِزَاتِ الخَوَازِمِ[1]

وَتَعرِفُ في عِرْنِينِهِ المَجدَ سَاهِماً، عَلى عَقِبِ الإدْلاجِ ،أوْ غَيرَ ساهِمِ

لَوَيْتُ إلى وُدّ العَشيرَةِ جَانِبي ، عَلى عُظْمِ داءٍ بَينَنا مُتَفَاقِمِ

وَنِمتُ عَنِ الأضْغانِ حتّى تَلاحمتْ جَوَائِفُ هاتِيكَ النُّدوبِ القَدائِمِ

وَقَلّمتُ أظْفاري ، وكُنتُ أعِدّها لتَمزِيقِ قُرْبَى بَينَنَا وَالمَحارِمِ

وَرَوّحتُ حِلمي بعدَما عَرّبَتْ بِهِ ذُنوبُ بَني عَمّي غُرُوبَ السّوَائِمِ

وَأوْطَأتُ أقوَالَ الوُشاةِ أخامِصِي ، وَقَد كانَ سَمعي مَدْرَجاً للنّمائِمِ

وَسَالَمتُ لمّا طالَتِ الحَرْبُ بَينَنا ؛ إذا لَمْ تُظَفّرْكَ الحُرُوبُ ، فَسالِمِ

وَقَدْ كنتُ أُصْميهم بعُورٍ نَوَافِذٍ تَئِنّ لهَا الأعرَاضُ يَوْمَ الخَصَائِمِ[2]

صَوَائِبَ مِنْ نَبلِ العَداوَةِ لمْ تزَلْ تَعُطّ قُلُوباً مِنْ وَرَاءِ الحَيَازِمِ

سَيَرْضَوْنَ منّي عَنْ أيَادٍ كَوَامِلٍ وَمِنْ قَبلِ ما نِيلُوا بأيدٍ كَوَالِمِ

قَضَيتُ بهِمْ حَقّ الحَفائِظِ مُدّةً ، وَلا بُدّ أنْ أقضِي حُقوقَ المَكارِمِ

فإنْ عاوَدُوا رَجمي بغَيبٍ ، فَإنّهَا جَنَادِلُ عِندي ملءُ كفّ المُرَاجِمِ

وكَمْ عَجَموني ،فانسَلَلتُ مُهذَّباً، وَأتّرَ عُودي في النُّيوبِ العَوَاجِمِ

وَبي يَستَسيغُ الرّيقَ قَوْمٌ ، وَإنّني إذا شِئتُ، من قوْمٍ شجاً في الحَلاقِمِ

إذا لمْ يَكُنْ إلاّ الحِمَامُ ، فإنّني سَأُكْرِمُ سَمعي عَن مَقالِ اللّوَائِمِ

١ انعط الأديم : انشق الجلد . تعاور : تداول . الخارزات،من خرزه : ثقبه بالمخرز وخا الحوازم ، من خزم النعل : جعل لها خزامة وهي سير رقيق يخزم ، أي يجمع بين الشراكين .

٢ العور ، الواحدة عوراء : الكلمة القبيحة .

وَألْبَسُها حَمْرَاءَ تَضْفُو ذُيُولُهَا مِنَ الدّمِ بُعْداً عَن لِبَاسِ المَلاوِمِ
فمِن قَبلِ ما اختارَ ابنُ الأشعثِ عيشَه عَلى شَرَفٍ باقٍ رَفيعِ الدّعَائِمِ
فَطَارَ ذَميماً قَدْ تَقَلّدَ عَارَهَا ، بِشَرّ جَنَاحٍ يَوْمَ دَيرِ الجَماجِمِ[1]
وَجاءَهُمُ يَجْرِي البَرِيدُ برَأسِهِ ، وَلَمْ يُغْنِ إيغالٌ بِهِ في الهَزَائِمِ
وَقد حاصَ مَن خوْفِ الرّدى كلّ حيصَةٍ ، فلَمْ يَنجُ ، وَالأقدارُ ضرْبَةُ لازِمِ[2]
وَهذا يَزِيدُ بنُ المُهَلّبِ نَافَرَتْ بهِ الذّلّ أعرَاقُ الجُدودِ الأكارِمِ[3]
وَقالَ ، وَقد عَنّ الفِرَارُ أوِ الرّدى ، لحَى اللهُ أخزَى ذِكرَةً في المَوَاسِمِ
وَما غَمَرَاتُ المَوْتِ إلاّ انغِمَاسَةٌ ، وَلا ذي المَنَايَا غَيرُ تَهوِيمِ نَائِمِ
رَأى أنّ هذا السّيفَ أهوَنُ مَحمَلاً مِنَ العارِ يَبقَى وَسمُهُ في المَخاطِمِ
وَمَا قَلّدَ البِيضَ المَبَاتِيرَ عُنقَهُ سِوَى الخَوْفِ مِن تَقليدِها بالأداهِمِ[4]
فعافَ الدّنايا وَامتَطَى المَوْتَ شامِخاً، بِمَارِنِ عِزٍّ لا يَذِلُّ لِخَاطِمِ
وَقد حلّقَتْ خَوْفَ الهَوَانِ بمُصْعَبٍ قَوَادِمُ أبّاءٍ كَرِيمِ المَقَاوِمِ[5]
عَلى حِينَ أعطَوْهُ الأمَانَ ،فعَافَه ، وَخُيّرَ ، فاختارَ الرّدى غَيرَ نادِمِ

١ دير الجماجم : موضع قرب الكوفة كانت فيه وقعة بين الحجاج وابن الأشعث ، هزمه الحجاج فيها .
٢ حاص : عدل وحاد .
٣ يزيد : هو ابن المهلب بن أبي صفرة عامل لبني أمية حارب هو وولداه يزيد والمغيرة الخوارج .
٤ المباتير : القواطع . الأداهم : القيود .
٥ مصعب بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير .

وَفي خِدْرِهِ غَرّاءُ مِنْ آلِ طَلْحَةٍ ، عَلاقَةُ قَلْبِ النّدِيمِ المُخالِمِ[1]
تُحَبِّبُ أيّامَ الحَيَاةِ ، وَإنّهَا لأعذَبُ مِنْ طَعْمِ الخُلُودِ لطاعِمِ
فَفارَقَها وَالمُلكَ لَمّا رَآهُمَا يَجُرّانِ إذْلالَ النّفُوسِ الكَرَائِمِ
وَلَمّا ألاحَ الحَوْفَزَانُ مِنَ الرّدَى حَدَاهُ المَخازِي رُمحُ قيسِ بنِ عاصِمِ[2]
وَغادَرَها شَنعاءَ إنْ ذُكِرَتْ لَهُ من العارِ طَاطَا رَأسَ خزْيانَ وَاجِمِ[3]
لِذاكَ مُنّي بَعدَ الفِرَارِ أُمَيّةٌ لَوْثَاءَ مِنْ آلِ دارِمِ[4]
وَسَلّ لهَا سَلّ الحُسَامِ ابنُ مَعمَرٍ فَكَرّ عَلى أعقَابِ نَابٍ بِصَارِمِ
تَوَرّدَ ذِكْرِي كُلّ نَجْدٍ وَغائِرٍ ، وَألجَمَ خَوْفي كُلّ بَاغٍ وَظَالِمِ
وَهَدّدَ بي الأعداءَ في المَهدِ لمْ يَحِن نُهوضِي ، ولَمْ أقطَعْ عُقودَ تَمائِمي
وَعِنْدِيَ يَوْمٌ لَوْ يَزِيدٌ وَمُسْلِمٌ بَدا لهمَا لاستَصْغَرَا يَوْمَ وَاقِمِ[5]
عَلى العِزّ مُتْ لا ميتَةً مُستَكِينَةً ، تُزِيلُ عَنِ الدّنْيَا بشمّ المَرَاغِمِ
وَخاطِرْ على الجُلّى خِطارَ ابنِ حُرّةٍ ، وَإنْ زَاحَمَ الأمرُ العَظيمُ ، فزَاحِمِ

١ أراد بالغراء من آل طلحة عائشة بنت طلحة وكانت زوج مصعب بن الزبير اشتهرت بأدبها وجمالها . المخالم : المصادق .
٢ ألاح : أعرض . الحوفزان : أحد أبطال العرب المشهورين . قيس بن عاصم : من كبار سادات العرب وأبطالها .
٣ شنعاء : زوج الحوفزان .
٤ الشقشقة : هدير الفحل . اللوثاء : المسترخية ، البطيئة . دارم : أبو حي من تميم .
٥ واقم : اطم بالمدينة المنورة .

حرف النون

محاربة الأيام

قال قدس الله سره يذم الزمان ويتألم لفقد الماضين من أهله وأقاربه في شهر صفر سنة ٤٠٢ :

تَـأمُلُ أنْ تَفرَحَ في دارِ الحَزَنْ ،　　وَتُوطِنُ المَنزِلَ في دارِ الظَّعَنْ
هَيهاتَ يَـأبَى لكَ جَوّالُ الرّدى ،　　لَبثَ المُقيمِينَ ، وَخَوّانُ الزّمَنْ
لا تَصْحَبَنْ دَهرَكَ ، إلاّ خائِفاً　　فِرَاقَ إلفٍ وَنُبُوّاً عَنْ وَطَنْ [1]
وَكُنْ إلى نَبأةِ كُلِّ حادِثٍ　　كالفَرَسِ الأرْوَعِ صَرّارِ الأُذُنْ [2]
قامَ بِهِ الخَوْفُ ، ولَمْ يَرْضَ بأنْ　　قامَ عَلى أرْبَعَةٍ حَتّى صَفَنْ [3]
خَفْ شَرَّها ، آمَنَ مَا كُنتَ لها ،　　إنّ الضّنِينَ لَمَكّانٌ للظِّنَنْ
نَحْنُ مَعَ الأيّامِ في وَقَائِعٍ　　مِنَ المَقاديرِ وَغارَاتٍ تُشَنّ
إنّ رِمَاحَ الدّهْرِ يَلقَيْنَ الفَتَى　　بِغَيرِ عِرفَانِ الدّرُوعِ وَالجُنَنْ

١ النبو : البعد .
٢ صرار الأذن ، من صر الفرس أذنه : نصبها للاستماع .
٣ صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

داخلَةً بينَ القرينَين ، وإن لزّا على الدّهر بإمرار القَرَن[1]
ما استأخرت شدّاتُها عن معشرٍ بعدَ قطين الله ، أو آل قَطَن[2]
ولا نبتْ أطرافُها عن حجرٍ من مُضَرٍ ذاتِ القُوَى ، ولا اليَمنْ
رمتْ بني ساسانَ عن مَرْبعِهم رَميَ المَغالي آمنَ الطَّيرِ الثُّكَن[3]
واستلبتْ تاجَ بني مُحَرِّقٍ ، بعدَ قبادِ الصّعبِ من آلِ يزَنْ
وصدّعتْ غُمدانَ عن مَرضُومةٍ ، جَوبَكَ بالمِقراضِ أثوابَ الرُّدن[4]
وآلُ مروانَ غطاهم موجُها ، لمّا نزتْ بآلِ مروانَ البَطِن[5]
ثمّ بنو القرمِ العتيكيّ ، وقد ردّوا يزيدَ العارَ مخلوعَ الرّسَنْ
لاقى خُبيبٌ ويزيدٌ روقَها من غَيبةٍ ماطرُها القَنا اللّدَنْ
أبَوا إباءَ البُزلِ فاقتادَتهمُ منَ المَقاديرِ مُطاعاتُ الشَّطَن[6]
ألا ذكرتَ ، إنْ طلبتَ أسوةً ، ما يَضمنُ الأسوةَ للقلبِ الضَّمِن[7]
يومَ بني الصِّمّةِ في عَرْضِ اللّوى ، ويومَ بسطامِ بنِ قيسٍ بالحسَنْ

١ لزا : قرنا وألصقا .
٢ قطين الله : أهل مكة . وقوله : آل قطن ، لعله أراد قطن النار أي المقيم على نار المجوس وموقدها
٣ المغالي ، الواحدة المغلاة : السهم يرمى به إلى أقصى الغاية . الثكن ، الواحدة ثكنة : السرد من الحمام .
٤ غمدان : قصر باليمن . المرضومة : المبنية بالصخر . جوبك : قطعك . الردن : الغزل والخز
٥ البطن : الأشر ، المتمول ، ومن همه بطنه .
٦ الشطن : الحبل .
٧ الضمن : العاشق ، والمبتلى .

وَيَوْمَ خَوٍّ أسلَمَتْ عُتَيْبَةٌ   خَصَاصَةَ الدِّرْعِ الذي كانَ أمِنْ[1]
أوْجَرَهُ رُمْحُ ذُؤابٍ طَعنَةً   تَلغَطُ لَغْطَ الأعجَمِيِّ لمْ يُبِنْ
وَبالكَدِيدِ مُلتَقَى رَبِيعَةٍ   تَحمي بُعَيدَ المَوْتِ آبارَ الظُّعُنْ
كَأنّني لمْ تَبكِ قَبلي فَارِساً   عَينٌ ، ولا حَنَّ فَتًى قَبلي وَأنّ
هلْ كانَ كُلُّ النّاسِ إلاّ هكَذا :   ذو شَجَنٍ باكٍ لباكٍ ذي شَجَنْ
سائِلْ بقَوْمي لِمْ نَبَا الدّهرُ بهم   عن غيرِ ضِغنٍ وَرَماهم عن شَزَنْ[2]
لِمْ رَاشَهُمْ رَيشَ السّهامِ للعِدا ،   ثمّ بَرَاهم بالرّدى بَرْيَ السَّفَنْ[3]
وَكَيفَ أمسَوْا حَفَنَاتٍ من ثَرًى ،   مِنْ بَعدِ ما كانوا رِعاناً وَقُنَنْ[4]
سَوْمَ السَّفَا طاحَتْ بهِ في مَرّها   زَفَازِفُ الرّيحِ وَبَوْغاءُ الدِّمَنْ[5]
هُمْ أُجْلِسوا على الصِّفاحِ وَالذُّرَى   إذْ رَضِيَ القَوْمُ بما تَحتَ الثَّفَنْ[6]
لهُمْ عَلى النّاسِ ، وَما زَالَ لهُمْ   مَشارِفُ الرّأسِ عَلى جَمعِ البَدَنْ
عَمَاعِمٌ لَمّا تَزَلْ أسيافُهُمْ   عَماعِمَ الصِّيدِ وَأقيادَ البُدُنْ[7]

١ الخصاصة بالفتح : كل خلل في باب أو برقع أو نحوهما . وبضم الخاء : الشيء القليل ، اليسير .
٢ الشزن : الاعياء الشديد .
٣ السفن : كل ما ينحت به .
٤ الرعان ، الواحد رعن : أنف يتقدم الجبل . القنن ، الواحدة قنة : الجبل الصغير .
٥ السوم : مر الرياح . السفا : التراب . زفازف الريح : الرياح الشديدة الهبوب . البوغاء : التراب الثائر . الدمن ، الواحدة دمنة : ما بقي من آثار الدار بعد رحيل القوم .
٦ الثفن ، الواحدة ثفنة : وهي من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ ، وغلظ كالركبتين ، ومن الإنسان الركبة .
٧ العماعم : الجماعات المتفرقون . الصيد ، الواحد أصيد : الذي يرفع رأسه كبراً .
البدن ، الواحدة بدنة : الناقة المسمنة ، وهي من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة .

بالقَدَمِ الأُولى إلى شَأوِ العُلَى ، وَالأذْرُعِ الطّولى إلى عَقدِ المِنَنْ
كَيفَ أمَاني للمُرَامي بَعدَهُمْ من نُوَبِ الدّهرِ ،وَقد زَالَ المِجنّ
الدّاخِلينَ البَيْتَ بَابَاهُ القَنَا ، عَلَى الحَنَاذيذِ الطّوَالِ وَالحُصُنْ
وَالفالِقِينَ الصّبْحَ عَن مُغيرَةٍ ، لهَا مِنَ النّقعِ ظَلامٌ مُرْجَحِنّ[1]
وَالضّارِبِينَ الهَامَ في مُشْعَلَةٍ ، لهَا بِلا نَارٍ ضِرَامٌ وَدَخَنْ[2]
كَمْ فَاضَ في أبْيَاتِهِمْ مُنتجعٌ يَقرِنُ بالنُّعمَى وَقِرْنٍ في قَرَنْ[3]
إذا تَنَادَوْا لِلّقَاءِ فَيْلَقٌ تَداوَلُوا الأعناقَ من أسْرٍ وَمَنّ
مَا دَرِنَتْ أعرَاضُهُمْ مِنَ الخَنَا ، وَلا انجَلَتْ أسيافُهُمْ مِنَ الدّرَنْ[4]
كُلُّ عَظِيمٍ مِنهُمُ مُحَجَّبٌ تَأذَنُ أبْوَابُ الغِنَى إذا أذِنْ
ذُو نَسَبٍ تَستَخجِلُ الشمسُ بهِ أصْفَى على السّائغِ من ماءِ المُزُنْ
لَهُ القُدُورُ الضّامِنَاتُ للقِرَى ، مَبارِكُ البُزْلِ الجِرَارِ بالعَطَنْ[5]
مِنْ كُلّ دَهْمَاءَ لهَا هَمَاهِمٌ ، تُلَقّمُ البَازِلَ جُمعاً كالفَدَنْ[6]
إنّ العِشَارَ لا تَقي مِنْ سَيْفِهِ دِماءَها ، عَامَ الجُدوبِ باللّبَنْ

١ المرجحن : الثقيل .

٢ المشعلة : من أشعل الخيل في الغارة بثّها . الدخن : الدخان .

٣ المنتجع : طالب المعروف . القرن بالكسر : الكفؤ بالشجاعة . القرن بالتحريك : الحبل يجمع بين بعيرين .

٤ درنت : اتسخت ، وأراد بالدرن : الدم .

٥ الجرار : المجترة . العطن : مبرك الإبل .

٦ الجمع : القبضة من الشيء . الفدن : المسمن من الإبل ، والبناء المشيد .

أمَا ترَى هذا الصّفيحَ المُجتَلَى   يُدرِجُنَا دَرْجَ الزُّمَيلِ المُمتَهَن[1]

كَأنّما النّاسُ بِهِ مِنْ ذاهِبٍ   وَوَاهِبٍ يَجرِي على ذاكَ السَّنَنْ

مَزْبُورَةٌ تُطْوَى على أشطارِها ،   يُبطِنُ بادِيها ويَبدُو ما بَطَن[2]

ما أعجَبَ النّاسَ الذي نَسكُنُهُ   يَجْمَعُ مَا بَيْنَ الوِهادِ وَالقُنَنْ

بَيْنَ عِظامَيْ مَلِكٍ وَسُوقَةٍ   لمْ يُدْرَ مَا العِزُّ وَنَامٍ وَيَفَن[3]

لَوْ عَلِمَ النّاظِرُ يَوْماً مَا هُمَا   أفظَعَه الخَطبُ،وَقال: مَن وَمَنْ

أقسَمتُ لا أنساهُمُ ما طَلَعَتْ   حَمرَاءُ مِن خِدرِ ظَلامٍ وَدَجَنْ

إمّا بُكَاءً بالدّمُوعِ مَا جرَتْ،   أوْ بالفُؤادِ إنْ أبَى الدّمعُ وَضَنّ

أنكَرْتُ أفرَاحَ الزّمانِ بَعدَهُمْ ؛   من طُولِ بَلوَايَ برَوْعاتِ الحَزَنْ

زِدْنَ الرّزَايا ، فنَقَصْنَ دَفْعَةً ؛   وَوُطّنَ القَلْبُ عَلَيْها ، فاطمأنّ

قُل للزّمانِ : ارْحَلْ بهم من بازِلٍ   وَاحمِلْ على غارِبِهِ ، فَقَدْ مَرِنْ

١ الصفيح : أراد به وجه السماء . يدرجنا : يقرضنا . الزميل : الجبان . الممتهن : المحتقر

٢ المزبورة ، من قولهم بئر مزبورة : مطوية بالحجارة .

٣ اليفن : الشيخ الكبير .

خفة روح الزمان

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه يرثي أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر المشهور على البديهة رحمه الله تعالى وتوفي بالنيل وحمل تابوته إلى بغداد وذلك في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ وكانت بينهما صداقة :

نَعَوْهُ عَلى ضَنّ قَلْبي بِهِ ، فَلِلّهِ ، ماذا نَعَى النّاعِيَانِ
رَضِيعُ وَلاءٍ لَهُ شُعْبَةٌ مِنَ القَلبِ فَوْقَ رَضِيعِ اللِّبانِ
بَكَيْتُكَ للشُّرَّدِ السّائِرَا تِ تَعبَقُ ألفَاظُهَا بالمَعَاني
مَوَاسِمُ تُعلَطُ مِنْهَا الجِبَاهُ ، بأشهَرَ مِنْ مَطْلَعِ الزِّبْرِقانِ[1]
جَوَائِفُ تَبقَى أخَادِيدُهَا عِمَاقاً وتَعفُو نُدُوبُ الطّعانِ
تَبِضُّ إلى اليَوْمِ آثَارُهَا بأحمَرَ مِنْ عانِدِ الطّعنِ قَاني[2]
قَعاقِعُهُنّ تَشُنّ الحُتُوفَ ، إذا هُنّ أوْعَدْنَ لا بالشِّنَانِ[3]
وَما كُنتُ أحسَبُ أنّ المَنُونَ تَفُلّ مَضَارِبَ ذاكَ اللّسَانِ
لسَانٌ هُوَ الأزْرَقُ القَعضَبيّ ، تَمَضْمَضَ من رِيقَةِ الأفعُوَانِ[4]

١ تعلط : توسم . الزبرقان : القمر .
٢ تبض : تسيل . العاند : العرق لا يرقأ .
٣ أراد بقعاقعهن : قعاقع السلاح ، أي صوته عند تحريكه . تشن : تفرق . الحتوف ، الواحد حتف : الموت . الشنان ، الواحد شن : القربة البالية .
٤ الأزرق : النصل . القعضبي : الشديد . الأفعوان : ذكر الحيات .

لَهُ شَفَتَا مِبْرَدِ الهَالكيِّ ، أَنحَى بجَانِبِهِ غيرَ وَانيٍ[1]
إذا لَزَّ بالعِرْضِ مِبْرَاتَهُ تَصَدَّعَ صَدْعَ الرِّداءِ اليَمَاني
يرَى المَوْتَ أن قد طوَى مَضْغةً ، ولَمْ يَطوِ إلاّ غِرَارَيْ سِنَانِ
فَأيْنَ تَسَرُّعُهُ للنّضَالِ ، وَهَبّاتُهُ للطّوَالِ اللّدانِ
يَشُلُّ الجَوَائِحَ شَلَّ السّياطِ ، وَيلوِي الجَوَانحَ لَيَّ العِنَانِ[2]
فَإنْ شاءَ كانَ حِرَانَ الجِماحِ ، وَإنْ شاءَ كانَ جِماحَ الحِرَانِ[3]
يَهَابُ الشّجَاعُ غَذاميرَهُ ، على البُعدِ مِنْهُ ، مَهابَ الجَبَانِ[4]
وتَعنُو المُلُوكُ لَهُ خِيفَةً ، إذا رَاعَ قَبلَ اللّظَى بالدّخانِ
وكَمْ صَاحِبٍ كَمَنَاطِ الفُؤادِ ، عَنَانيَ مِنْ يَوْمِهِ مَا عَنَاني
قد انتزَعَتْ مِنْ يَدَيّ المَنونُ ، ولَمْ يُغْنِ ضَمّي علَيهِ بَنَاني
فَزُلْ كَزِيَالِ الشّبَابِ الرّطيبِ ، خانَكَ يَوْم لِقَاءِ الغَوَاني
لِيَبكِ الزّمانُ طَويلاً علَيْكَ ، فقَد كُنتَ خِفّةَ رُوحِ الزّمان

١ الهالكي : الحداد .
٢ الجوائح : الشدائد ، الواحدة جائحة . الجوانح : أضلاع الصدر ، الواحدة جانحة .
٣ الحران : وقوف الدابة في المكان لا تبرحه . الجماح ، من جمح الفرس : استعصى حتى غلب راكبه
٤ الغذامير ، الواحدة غذمرة : الغضب .

قلبي يطلب الحنين

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وقد عرض لبهاء الدولة علة ثم زالت عنه فقال يستعيذ بالله عندما خيف من تلك الحال :

أَقُولُ ، وَالأقدارُ تَرْتَمِينَا ، وَالدَّهْرُ لا يَحْفِلُ مَا لَقِينَا :
مَا بَالُ قَلْبِي يَطْلُبُ الحَنِينَا ؛ وَجدُ القَرِينِ افتَقَدَ القَرِينَا
وَمَا لدَمْعِي يُقْرِبُ الشّؤُونَا ، قَد كادَ أن يَطّلعَ الجُفُونَا[1]
مِنْ خبَرٍ لا جاءَنَا يَقِينَا ، بِأنّ عَيْنَ الكَرَمِ اليَمِينَا
تَقذَى ، وَقَدْ أقَرّتِ العُيُونَا ، قلُوبُنَا أَسْمَعَنَنَا الأنينَا
وَقُمْنَ يا آمالَنَا ، فابكِينَا ، هَيهَاتَ يَلقَى مِنْ زَمَانٍ لِينَا
لا نَهَضَتْ عَن مِثلِهِ السِّنُونَا ، أعيَا العَقيمَ أنْ تَرَى البَنِينَا
يا مَنْ لَنَا اليَوْمَ نُلاقِي الهُونَا ، يَؤُمُّنَا بَعْدَكَ أوْ يَأبُونَا[2]
أمْ مَنْ عَلى أيّامِنَا يُعْدِينَا ، وَيَعكسُ السّهْمَ إلى رَامِينَا[3]
أمْ مَنْ يُعِيدُ النَّعَمَ العِزِينَا ، جَوَافِلاً نَشْجُرُ بالقُنِينَا[4]

١ يقرب الشؤون : يقربها للامتلاء . الشؤون ، الواحد شأن : مجرى الدمع . قوله : يطلع الجفون ، لعله أراد يتدفق من الجفون من قولهم تطلع الماء من الإناء : تدفق .
٢ يؤمنا : يتخذنا أماً . يأبونا : يتخذنا أباً .
٣ يعدينا : ينصرنا .
٤ العزين ، الواحدة عزة : العصبة ، الجماعة. تشجر، من شجر الدابة: ضرب بلجامها ليكفها . القنين ، الواحدة قنة : رأس الجبل .

شَجَرَ المَداري القَطَطَ الدَّهينَا ، اللهَ يا رَيْبَ الزَّمَانِ فينَا[1]
أبقِ على الدّنيا وَحابِ الدِّينَا ، مَا لَكَ لا تُنظِرُنَا الدّيُونَا
تأخُذُ مِنّا كُلَّ مَا تُعطِينَا ؛ لا غِضْتَ ذاكَ الثَّغَبَ المَعِينَا[2]
يا لَيتَهُ يُوقَى ، وَلا وُقِينَا ، بَينَ يَدَيْهِ نَرِدُ المَنُونَا
لا كَانَ مَا نَحْذَرُ أنْ يَكُونَا

هيهات بابل من نجد

قال قدس الله تعالى سره يذكر الحال في يوم القبض على الخليفة الطائع لله ويصف خروجه من داره سليماً وقد سلبت ثياب أكثر القضاة والأشراف وغيرهم من الحاضرين وامتهنوا وأخذ بالحزم ساعة وقف على الصورة وبادر للنزول إلى دجلة وكان أول خارج من الدار وتلوم من تلوم في الموضع فجرى عليه ما جرى ويذكر أيضاً غرضاً في نفسه ويذم الزمان وذلك في شعبان سنة ٣٨١ :

لَوَاعجُ الشّوْقِ تُخطيهِمْ وَتُصْميني ، وَاللّوْمُ في الحُبّ يَنهاهُمْ وَيُغرِيني
وَلَوْ لَقُوا بَعضَ ما ألقَى نَعِمتُ بهم ، لَكِنّهُمْ سَلِمُوا مِمّا يُعَنّيني
وَبالكَثيبِ إلى الأجزَاعِ نَازِلَةٌ عَلِقْتُ مِنهَا بوَعدٍ غَيرِ مَضْمونِ[3]

١ المداري : الأمشاط . القطط : الشعر الشديد الجعودة . الدهين : المدهون .
٢ غضت ، من غاض الماء : نقص . الثغب : غدير الماء . المعين : الجاري على وجه الأرض .
٣ الكثيب : التل من الرمل . الأجزاع ، الواحد جزع : منعطف الوادي ، ولعله أراد أمكنة بعينها .

ما سَوّغُونيَ بَرْدَ الماءِ مُذْ حظَرُوا عَليّ بَرْدَ اللَّمَي وَالشّوْقُ يُظمِيني[1]
يا مَنشَطَ الشّيحِ وَالحوذانِ من يَمَنٍ ، حَيِّيتُ فيكَ غزَالاً لا يُحَيّيني[2]
تُرَى الغَرِيمُ الذي طالَ اللّزُومُ لَهُ في الحَيّ مُوَلٍّ من بَعدي فيَقضِيني ؟
إنّ الخَليّ ، غَداةَ الجِزْعِ ، عيدَ به إلى ضَميرٍ مُعَنّى اللُبّ مَفتُونِ
لَوْلا ظِبَاءٌ مَعاطِيلٌ سَنَحنَ لَنَا ما كانَ يَذهَلُ عَن عقلٍ وَعن دينِ
قَد كادَ يَنجو بِجِدّ مِنْ عزِيمَتِهِ ، فَعارَضَتْهُ عُيُونُ الرّبْرَبِ العِينِ
ماءُ النُّقَيبِ ، وَلَوْ مِقدارُ مَضمَضَةٍ ، شِفَاءُ وَجدي ، وَغَيرُ الماءِ يَشفيني[3]
وَنَشْقَةٌ مِنْ نَسيمِ البَانِ فاحَ بِهَا جِنحٌ مِنَ اللّيلِ تَجرِي في العَرَانِينِ
أُسقَى دُمُوعي إذا ما باتَ في سَدَفٍ صَرِيرُ أثْلٍ بدارِيّا يُغَنّيني[4]
وَصَاحِبٍ وَقَذَ التّهْوِيمُ هامتَهُ ، نادَيتُهُ ، وَرِوَاقُ اللّيْلِ يُؤْويني[5]
فَقَامَ قد غَرْغَرَتْ في رَأسِهِ شَدَهٌ ، يَمضِي عَلى الكُرْهِ أمْرِي ، أوْ يُلَبّيني[6]
لا غُرّ قَوْمُكَ ، كمْ نَوْمٍ على ضَمَدٍ سُقماً وَلَوْ بطَرِيرِ الغَرْبِ مَسنُونِ[7]

١ سوغوني : أساغوا غصتي .
٢ منشط ، من نشط النبات : نبت من أرومته أول ما يبدو .
٣ النقيب : موضع بين تبوك وعمان .
٤ السدف : الظلمة . الأثل : شجر . داريا : قرية بالشام .
٥ وقذه التهويم : أي غلبه النعاس ، والتهويم : هز الرأس من النعاس .
٦ غرغر : صات صوتاً فيه بحح . الشده : الحيرة ، ولعله أنث غرغرت اتباعاً لمعنى الشده ، أي الحيرة .
٧ الضمد : الحقد والغيظ والظلم . الطرير : المحدد . الغرب : الحد .

وَضَارِياتٍ بلَحيَيْهَا عَلَى أَضَمٍ مِن اللُّغُوبِ نِحافٍ كالعَرَاجِينِ[1]
أبْلَى أزِمّتَها بُعْدُ المَدَى ، وَغدَتْ مِن الوَجَى بَيْنَ مَعقولٍ وَمَرْسُونِ
مُغرَوْرِقاتِ المَآقي كُلّمَا نظَرَتْ بَرْقاً يُضِيءُ كِفَافَ الغُرّ وَالجُونِ[2]
هَيهاتَ بابِلُ مِن نَجدٍ لقد بَعُدتْ ، على المَطيّ ، مَرَامي ذلكَ البِينِ[3]
سَلْني عنِ الوَجْدِ إنّي ، كُلّ شارِقةٍ ، يُرِيشُني الوَجْدُ ، وَالأيّامُ تَبرِيني
مَنْ لي بِبُلْغَةِ عَيشٍ غَيرِ فاضِلَةٍ تَكْفُني عَنْ قَذَى الدّنيا وَتكفيني
أخَيّ ، مَنْ باعَ دُنْياهُ وَزُخرُفَها بصَوْنِهِ ، كانَ عندي غَيرَ مَغبونِ
قالوا : أتَقنَعُ بالدّونِ الخَسيسِ ، وَما قَنِعتُ بالدّونِ بَلْ قُنّعْتُ بالدّونِ
إذا ظَنَنّا وَقَدّرْنَا جرَى قَدَرٌ بِنَازِلٍ غَيرِ مَوْهُومٍ وَمَظنُونِ
أعجِبْ لمُسكَةِ نَفسٍ بَعدَما رُمِيَتْ مِنَ النّوَائِبِ بالأبكَارِ وَالعُونِ[4]
وَمِنْ نَجائيَ ، يَوْمَ الدّارِ ، حينَ هوَى غَيري وَلَمْ أخلُ مِنْ حَزْمٍ يُنَجّيني
مَرَقْتُ منها مُرُوقَ النّجمِ مُنكَدِراً ، وَقَد تَلاقَتْ مَصَارِيعُ الرّدى دُوني[5]
وَكُنْتُ أوّلَ طَلاّعٍ ثَنِيّتَهَا ، وَمِنْ وَرَائيَ شَرٌّ غَيرُ مَأمُونِ
مِن بَعدِ ما كانَ رَبّ المُلْكِ مبتَسماً إليّ ، أدنوهُ في النّجوَى وَيُدنيني

١ الأضم : الحقد والحسد والغضب . اللغوب : التعب . العراجين ، الواحد عرجون : العنقود من العنب ، أو إذا أكل ما عليه .
٢ الكفاف ، الواحدة كفة : حرف الشيء . الغر : البيض . الجون : السود .
٣ البين : القطعة من الأرض بقدر مد البصر من الطريق ؛ والناحية .
٤ المسكة : الرأي والعقل الوافر ، البقية .
٥ المنكدر : المنقض .

ارحم من اصبـ تُأغبطهُ ، لَقَدْ تَقارَبَ بَيْنَ العِزِّ وَالهُونِ
وَمَنظَرٍ كانَ بالسَرّاءِ يُضْحِكُني ، يا قُرْبَ مَا عادَ بالضَرّاءِ يُبكيني
هَيهاتَ أغْتَرُّ بالسّلطَانِ ثَانيَةً ، قَدْ ضَلَّ وَلاّجُ أبْوَابِ السّلاطِينِ
ما للحِمامِ غَدا ، فاعتامَ زَافِرَتي ، وَاختارَ ما كانَ يُعطِيني وَيُمطيني[1]
خلّى عَليّ مَرَارَاتِ الحَيَا ، وَمضَتْ أحْدَاثُهُ بالمَطَاعِيمِ المَطَاعِينِ
نُشَجّعُونَ عَلَيَ الدّهرَ إنْ جَبُنَتْ خُطُوبُهُ ، وَتَوَقّى أنْ يُنَادِيني
إذا رَأَوْا مَدّهُ نَحوِي يَداً وَضَعُوا فِيها عِظَامَ جَلامِيدٍ لتَرْمِيني
أقَارِبٌ لمْ يَزَلْ بي شَرُّ عِرْقِهِمُ ، عِرْقٌ مِنَ اللّوْمِ يُعديهم وَيَعدُوني
تَمَلّحُوا بي كَأنّي حَمضَةٌ قُطعتْ ، لا بُدّ بَعدَ مَدًى أنْ يَستَمِرّوني[2]
عزَوْا إليّ نِصَاباً بَعدَ تَشظِيَةٍ ، وَألصَقُوا بي أديماً بَعدَ تَعيِيني
هَبُوا أُصُولَكُمُ أصْلي على مَضَضٍ ، مَا تَصْنَعُونَ بِأخلاقٍ تُنَافيني ؟
أعطاكُمُ السَّجلَ قَبلَ النّهرِ غَرْفَتَه ، فارْضَوْا برَوْقِ جِمامي وَاستَجمّوني
كَمِ الهَوَانُ كأنّي بَينَكُم جَمَلٌ ، في كُلّ يَوْمٍ قَطيعُ الذّلّ يَحدُوني
لا تَأمَنَنّ عَدُوّاً لانَ جَانِبُهُ ، خُشونَةُ الصِّلّ عُقبَى ذلكَ اللّينِ
وَاحذَرْ شَرَارَةَ مَنْ أطفَأْتَ جَمرَتَه ، فالثّارُ غَضٌّ ، وَإنْ بُقّي إلى حِينِ
أنّى تهيبُ بيَ البُقْيَا وَأتبَعُهَا ، فَلَمْ أُبَاقِ بِهَا مَنْ لا يُبَاقيني
تَوَقّعُوها ، فقَدْ شَبّتْ بَوَارِقُ ـ بعارِضٍ كصَرِيمِ اللّيلِ مَدجُونِ

[1] اعتام : اختار واصطفى . زافرتي : عشيرتي . يمطيني : يركبني الدابة
[2] الحمضة : ما ملح وأمر من النبات .

إذا غَدا الأُفُقُ الغَرْبِيُّ مُختَمِراً ، مِنَ الغُبَارِ ، فظُنّوا بي وَظُنّوني
لتَنظُرَنّي مُشيحاً في أوَائِلِهَا ، يَغيبُ بي النّقْعُ أحْيَاناً وَيُبْديني
لا تَعرِفُونيَ إلاّ بالطّعَانِ ، إذا أضْحَى لِثَاميَ مَعصُوباً بعِرْنيني
إقدامُ غَضْبَانَ كَظّتْهُ ضَغَائِنُهُ ، فَمالَ يَخلِطُ مَضرُوباً بمَطْعُونِ
فَإنْ أُصَبْ ، فمَقادِيرُ مُحَجَّرَةٌ ؛ وَإنْ أُصِبْ ، فعَلى الطّيرِ المَيَامِينِ

نجر متفق ورأي مختلف

قال قدس الله سره يصف الأسد
وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٦ :

أَسِلْ بدَمعِكَ وَادي الحَيِّ ،إن بانوا ، إنّ الدّموعَ عَلى الأحزَانِ أعوَانُ
لا عُذْرَ بَعدَ تَنائي الدّارِ من سَكَنٍ لمُدّعي الوَجدِ لمْ يَدمَعْ لَهُ شانُ[1]
حَيِّ الطّوَالعَ مِنْ نَجدٍ تَصُونُهُمُ ، عَنِ النّوَاظِرِ ، أنْماطٌ وَكِيرَانُ[2]
رَمَوْا جُيُوبَ المَطالي عَن مَيامِنِهِم ، وَشيحَةُ الحَزْنِ يُسرَاهم ، وَنَجرَانُ[3]

١ الشان : مجرى الدمع .
٢ الأنماط ، الواحد نمط : ثوب يطرح على الهودج . الكيران ، الواحد كور : الرحل .
٣ الجيوب : مداخل الأرض ، الواحد جيب . المطالي ، الواحد مطلى ومطلاء : مسيل ضيق من الأرض . الشيحة : ماءة شرقي فيد بحلب . نجران : اسم لعدة مواضع .

سارَتْ بقَلبِكَ في الأحشاءِ زَفرَتُهُ ، وَاستَوْقَفَتكَ بأعلى الرّملِ أظعانُ
لمّا مَرَرْنا على تِلكَ السُّرُوبِ ضُحًى، نَضَتْ إلى الرَّبعِ أجيادٌ وَأعيانُ[1]
مِنْ كُلّ غَيداءَ قد مالَ النّعيمُ بها، كَمَا تَخايَلَ بالبُرْدَينِ نَشْوَانُ
كَأنّما انفَرَجَتْ عَنْهُمْ قِبابُهُمُ، يَوْمَ الأُنَيعِمِ ، آجَالٌ وَصِيرَانُ[2]
مُستَشرِفاتٌ يُعَرّضْنَ الخُدودَ لَنَا ، كمَا تَشَوّفَ صَوْبَ المُزْنِ غِزْلانُ
لا يُذْكَرُ الرّملُ إلاّ حَنّ مُغتَرِبٌ، لَهُ بذي الرّمْلِ أوْطارٌ وَأوْطَانُ
تَهْفُو إلى البانِ مِنْ قَلْبي نَوَازِعُهُ، وَمَا بيَ البَانُ بَلْ مَنْ دارُهُ البَانُ
أسُدّ سَمعي ،إذا غَنّى الحَمامُ بِهِ ، ألاّ يُبَيّنَ سِرّ الوَجْدِ إعْلانُ
وَرُبّ دارٍ أوَلّيهَا مُجَانَبَةً ، وَبي إلى الدّارِ أطْرَابٌ وَأشْجَانُ
إذا تَلَفّتُّ في أطْلالِها ابْتَدَرَتْ للعَينِ وَالقَلْبِ أمْوَاهٌ وَنِيرَانُ
كَلْمٌ بِقَلْبي أُداويهِ وَيَقْرِفُهُ طُولُ ادّكَارِي لمَنْ لي مِنهُ نِسيانُ
لا للّوائِمِ إقْصَارٌ بِلائِمَةٍ عَنِ العَميدِ ، وَلا للقَلْبِ سُلْوَانُ
عَلى مَوَاعيدِهم خُلفٌ، إذا وَعَدوا، وَفي دُيُونِهِمُ مَطْلٌ وَلَيّانُ
هُمْ عَرّضُوا بِوَفَاءِ العَهْدِ آوِنَةً، حتّى إذا عَذّبُوني بالمُنَى خَانُوا
لا تَخْلُدَنّ إلى أرْضٍ تَهُونُ بِهَا ، بالدّارِ دارٌ ، وَبالجِيرَانِ جِيرَانُ
أقُولُ للرّكبِ ، قد خَوّتْ رِكَابُهُمُ مِنَ الكَلالِ ، وَمَرُّ اللّيلِ عَجلانُ[3]

١ السروب : الطرق ، الواحد سرب . نضت : سبقت .
٢ الأنيعم : موضع . الآجال ، الواحد إجل : القطيع من بقر الوحش . الصيران : القطيع من البقر ، الواحد صوار .
٣ خوت : ضمرت بطونها .

مُدّوا علابيَّها، واستعجلُوا طَلَباً، إذا رَضِي بالهُوَيْنَا مَعشَرٌ هَانُوا[1]
نَرْجُو الخُلُودَ، وَباقينَا عَلى ظَعَنٍ، وَالدّارُ قَاذِفَةٌ بالزّوْرِ، مِظْعَانُ
إنْ قَلّصَ الدّهرُ ما أضْفاهُ من جِدَةٍ، فصَنعَةُ الدّهرِ إعطَاءٌ وَحِرْمَانُ[2]
كَمْ مِنْ غُلامٍ تَرَى أطمارَهُ مِزَقاً، وَالعِرْضُ أملَسُ وَالأحسابُ غُرّانُ
إذا الفتَى كَانَ في أفْعَالِهِ شَوَهٌ، لم يُغنِ إنْ قيلَ: إنّ الوَجهَ حَسّانُ
لا تَطلُبِ الغايَةَ القُصْوَى فتُحرَمَهَا، فإنّ بَعضَ طِلابِ الرِّبْحِ خُسرَانُ
وَالعَزْمُ في غَيرِ وَقتِ العَزْمِ مَعجِزَةٌ، وَالازْدِيادُ بِغَيرِ العَقْلِ نُقْصَانُ
وَاجعَلْ يدَيكَ مَجازَ المالِ تَحظَ به، إنّ الأشِحّاءَ للوُرّاثِ خُزّانُ
سيَرْعَبُ القَوْمَ منّي سَطْوُ ذي لِبَدٍ، بِعِثْرٍ اعْرَاسٌ وَوِلْدانُ[3]
لا يَطعَمُ الطُّعمَ إلاّ مِنْ فَرِيستِهِ، إنْ يَعدَمِ القِرْنَ يَوْماً فَهوَ طَيّانُ[4]
ماشِي الرّفَاقَ يُرَاعي أينَ مَسقِطُهمْ، وَالسّمْعُ مُنتَصِبٌ وَالقَلْبُ يَقظانُ
يَستَعجِلُ اللّيلَةَ القَمْرَاءَ أو بتَهَا، إذا بَنُو اللّيلِ من طولِ السُّرَى لانُوا
حتّى إذا عَرّسُوا في حَيثُ تَفرُشُهُمْ نَمَارِقَ الرّمْلِ أنْقَاءٌ وَكُثْبَانُ[5]
دَنَا كَمَا اعتَسّ ذو طِمرَينِ لَمّظَهُ مِنْ فَضْلَةِ الزّادِ، بالبَيداءِ، رُكبانُ[6]

١ العلابي ، الواحدة علباء : عصب العنق .
٢ الجدة : الغنى ، القدرة ، العطاء .
٣ عثر : مأسدة .
٤ يطعم : يأكل . الطيان : الجوعان .
٥ تفرشهم : تبسط لهم . النمارق : البسط ، استعارها للرمل .
٦ اعتس : طاف بالليل . لمظه : أعطاه شيئاً ليذوقه .

ثمّ استقرّتْ بهِ نفسٌ مُشيّعةٌ ، لهَا منَ القدَرِ المَجلُوبِ معوَانُ
فعاشَ ما عاشَ ، واستبلَى عقيرتَه، يجرُّها مُطعِمٌ للصّيْدِ جـذْلانُ
قرْنٌ إذا طلبَ الأوْتارَ عَن عرُضٍ ، لمْ تفْدِ منْهُ دماءَ القوْمِ ألبانُ[1]
وَغِلْمَةٍ أخذُوا للرّوْعِ أهبتَهُ ، لُفّ البُطُونِ على الأعوَادِ خُمصَانُ
طارَتْ بأشباحِهِمْ جُرْدٌ مُسوَّمَةٌ ، كأنّمَا خطفَتْ بالقوْمِ عِقبانُ
مِنْ كُلّ أعنَقَ مَلْطُومٍ بِغرّتِهِ ، كأنّهُ منْ تمَامِ الخَلقِ بُنْيانُ
يمُدُّ للجرْسِ مثلَ الآستَينِ ، إذا خانَ التّوَجّسَ أبْصَارٌ وَآذانُ[2]
فاستمسكوا بنوَاصيها، وقد سقَطتْ مِنْ غَائرِ الجرْيِ ألبَابٌ وَأرْسَانُ
كأنّمَا النّخْلُ تزْفيهِ يمَانيَةٌ ، فَاهَتْ بهِ ثمّ أعقَابٌ وَعيرَانُ[3]
كعَمْتُ فاغرَةَ الثّغْرِ المَخوفِ بهم ، يَهفُو بأيْمَانِهِمْ نَبْعٌ وَمرّانُ[4]
كأنّ غُرّ المَعالي في بيُوتِهِمُ ، بيضٌ عقَائلُ يحميهِنّ غيرَانُ
يا فاقِدَ اللهِ بَينَ الحَيّ منْ يمَنٍ ، أنْسَاهُمُ الحِلْمَ أحقَادٌ وَأضْغَانُ
إلى كَمِ الرّحِمُ البَلهَاءُ شَاكيَةٌ ، لهَا منَ النّعْيِ إعْوَالٌ وَإرْنَانُ[5]

١ عن عرض : أي كيفما اتفق .

٢ الجرس : الصوت الخفي . الاستين : أي أذنين كالآستين ، والآس معروف . التوجس : التسمع إلى الصوت .

٣ تزفيه : تستخفه . يمانية : أي ريح آتية من جهة اليمن . فاهت به : نطقت به . أعقاب ، الواحد عقب : مؤخر القدم ؛ ولعلها جمع عقبة : المرقى الصعب في الجبال . العيران : الجماعات المتفرقة من الجراد ، أو هو جمع العير : الحمار الأهلي أو الوحشي . والبيت غامض المعنى .

٤ كعمت : شددت فاها لئلا تعض .

٥ أراد بالبلهاء : ذات المكانة والرزانة ، وهذا من قولهم ناقة بلهاء : لا تنحاش من شيء مكانة ورزانة كأنها حمقاء .

حَيْرَى يُضِلّونَهَا مَا بَيْنَنَا وَلَهاً مِنّا عَلَى عُدَوَاءِ الدّارِ نِشْدَانُ[1]
النّجْرُ مُتّفِقٌ ، وَالرّأيُ مُخْتَلِفٌ ، فَالدّارُ وَاحِدَةٌ ، وَالدّينُ أدْيانُ[2]
وَثَمّ أوْعِيَةُ الإحْسَانِ مُكْفَأةٌ ، فَوَارِغٌ ، وَوِعَاءُ الشّرّ مَلآنُ
إنّا نُجِرْهُمُ أعْرَاضَنَا طَمَعاً في أنْ يَعُودُوا إلى البُقْيَا كما كانُوا[3]
أنّى يُتَاهُ بِكُمْ في كُلّ مُظْلِمَةٍ ، وَللرّشَادِ أمَارَاتٌ وَعُنْوَانُ
مِيلُوا إلى السّلْمِ ،إنّ السّلمَ وَاسِعةٌ ، وَاستَوْضِحوا الحَقّ ، إنّ الحقّ عُرْيانُ
يا رَاكِباً ذَرَعَتْ ثَوْبَ الظّلامِ بِهِ هَوْجَاءُ ، مائِلَةُ الضّبعَينِ مِذْعانُ[4]
أبلغْ على النّأيِ قوْمي إن حلَلتَ بهم ، أنّي عَميدٌ بِمَا يَلْقَوْنَ أسْوَانُ
يا قَوْمُ إنّ طَوِيلَ الحِلْمِ مَفسَدَةٌ ، وَرُبّمَا ضَرّ إبْقَاءٌ وَإحْسَانُ
ما لي أرَى حَوْضَكُم تَعفُو نَصَائِبُهُ ، وَذودُكم ، لَيلَةَ الأوْرَادِ ، ظَمآنُ[5]
مُدَفَّعِينَ عَنِ الأحوَاضِ مِن ضَرَعٍ ، يَنضُو بِهامِكُمُ ظُلْمٌ وَعُدْوَانُ
لا يُرْهَبُ المَرْءُ مِنكُمْ عندَ حِفظَتِهِ ، وَلا يُرَاقَبُ يَوْماً وَهوَ غَضْبَانُ[6]
إنّ الأُلى لا يُعَزُّ الجَارُ بَيْنَهُمُ ، وَلا تُهَابُ عَوَالِيهِمْ ، لَذُلاّنُ

١ العدواء : البعد . النشدان : الطلب .

٢ النجر : الأصل والحسب .

٣ قوله نجرهم أعراضنا : لعله من قولهم : أجره رسنه : تركه يصنع ما يشاء .

٤ الهوجاء : أراد الناقة المسرعة . الضبعين : العضدين . المذعان : السلسة القياد .

٥ النصائب : حجارة تنصب حول الحوض ويسد ما حولها من الخصاص بالمدرة . الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر . الأوراد ، الواحد ورد : الإشراف على الماء ، الماء الذي يورد .

٦ الحفظة : الغضب والحمية .

كَم اصْطِبَارٌ عَلى ضَيمٍ وَمَنقصَةٍ ؛ وكَمْ على الذّلّ إقرَارٌ وَإذْعانُ
وَفيكُمُ الحَامِلُ الهَمهَامُ مَسرَحُهُ داجٍ وَمِنْ حَلَقِ المَاذيّ أبدانُ[1]
وَالخَيلُ مُخطَفَةُ الأوْساطِ ضَامرَةٌ ، كَأنّهُنّ عَلى الأطْوَادِ ذُوْبَانُ
اللهَ اللهَ أنْ يَبتَزّ أمرَكُمُ رَاعٍ ، رَعِيّتُهُ المَعْزِيُّ وَالضّانُ
ثُورُوا لها ،وَلْتَهُنْ فِيها نُفُوسُكُمُ ؛ إنّ المَنَاقِبَ للأرْوَاحِ أثْمَانُ
فَمِنْ إبَاءِ الأذَى حَلّتْ جَمَاجِمَها عَلى مَنَاصِلِهَا عَبسٌ وَذُبْيَانُ[2]
وَعن سُيوفِ إبَاءِ الضّيمِ حينَ سَطَوْا مَضَى بغُصّتِهِ الجَعدِيُّ مَرْوَانُ[3]
فإنْ تَنالُوا ،فقَد طالَتْ رِماحُكُمُ ، وَإنْ تُنَالُوا . فلِلأقْرَانِ أقْرَانُ

١ الحامل الهمهام : الأسد . الماذي : كل سلاح من الحديد . الأبدان : الدروع ، الواحد بدن
٢ حلت ، لعله من حل العقدة : نقضها ، أو من حلاه : زينه ، أو لعله محرف عن جلت ضد حقرت .
٣ هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية .

لا تسمعن قول الوشاة

قال قدس الله تعالى روحه وكان الملك بهاء الدولة قد قلده خلافته بمدينة السلام وخلع عليه بواسط خلعاً جليلة القدر وشرفه بالحملان الفاخر والمركب الذهب وتقدم بذكره عند تقديم مركوبه في الدار المعمورة بالشريف الجليل وأنفذ إليه قبل رحيله فرجية ورداء جليلين من خاص ثيابه، فلما حصل بمدينة السلام ما طرأ فيها رفع قوم من أعوانه إلى حضرة الملك شيئاً وعتب من أجله فكتب إليه من بغداد ينفي ما قيل عنه ويتنصل مما نسب إليه وذلك في رمضان سنة ٣٨٨ :

مَلِكَ المُلوكِ ، نداءُ ذي شَجَنٍ ، لَوْ شِئْتَ لمْ يَعتبْ عَلى الزّمَنِ
الخَطْبُ هيّنٌ مَعْ صَفَائِكَ لي، وَإذا كَدَرْتَ عَليّ لمْ يَهُنِ
ألْقَى زَمَاني باللّيَانِ ، وَيَلْ قَاني الزّمَانُ بجَانبٍ خَشِنِ
عِدَةٌ عَلى الأيّامِ أطْلُبُهَا ، وَالدّهْرُ يَفتِلُني وَيَمْطُلُني
مَا لي رَأيْتُ الدّهْرَ يَنْصُبُني ، وَلِغَيرِ وَجْدٍ مَا يُؤرّقُني
وَأبيتُ كَالمَلسُوعِ ، في كَبِدِي مِنْ شِدّةِ الإقْلاقِ ، لا بَدَني
إنّي أتَاني عَنْكَ ، آوِنَةً ، لَذْعٌ يَضِيقُ بِوَقْعِهِ عَطَني[1]
وَتَنَكُّرٌ بَدَرَتْ بَوَادِرُهُ مِنْ غَيرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْ لَدُني
أهْدَى إلى قَلْبي لَوَاذِعَهُ ، وَأطَارَ عَنّي وَاقِعَ الوَسَنِ
إنّي ، وَمَا رَفَعَ الحَجيجُ لَهُ ، عِندَ الجمَارِ ، شَعَائِرَ البُدُنِ

---

١ أراد بيضيق عطني : يضيق ذراعي .

وَالبَيتِ ذي الأستَارِ يَمسَحُهُ الـ نُزّاعُ مِنْ شَامٍ وَمِنْ يَمَنِ
ما زِلتُ عَن سنَنِ الحِفاظِ، وكمْ زَالَ المُعَادي لي عَنِ السَّنَنِ[1]
سَتَرَ الذي أظهَرْتُ مِنْ كَرَمٍ ، وَطَوَى الذي أبدَيتُ من حَسَنِ
لمْ أُوتَ مِنْ نُصْحٍ ولا شَفَقٍ ، فالشّرُّ وَالأعداءُ في قَرَنِ
إحبَاطُ أجْرِي،مَعْ زَكَا عَمَلي، طَرَفٌ مِنَ الخُسرَانِ وَالغَبَنِ
إنْ كانَ لي ذَنْبٌ ، فَلا نَظَرَتْ عَيني ، وَلا سَمعتْ، إذاً، أذُني
أنْسَى بِأيّ يَدٍ رَدَدْتُ يَدي ، لمّا نَزَعتُ إلَيكَ مِنْ وَطَني
ألبَستَني النَّعمَاءَ في قَفَلي ، وَأنَلْتَني العَلْيَاءَ في ظَعَني
وَمنَ العَجائبِ أنتَ بالإحسانِ تَبـ نيني ، وَبالإعرَاضِ تَهدُمُني
أنَا عَبدُ أنعُمِكَ الّتي نَشطَتْ أمَلي ، وَأنْهَضَ عِزُّهَا مُنَني[2]
وَالحُرُّ ، إمّا شِئْتَ تَمْلِكُهُ ، بالمَنّ يُملَكُ ، لَيسَ بالثّمَنِ
وَغَرَسْتَني بنَدَى يَدَيكَ ، فَلا تَدَعِ الزّمَانَ يَعيثُ في غُصُني
أيَجُرّني عَنْ رَعْيِ أنْعُمِهِ ، مَنْ كَانَ قَبلُ أُجِرُّهُ رَسَني
لا أتّقي طَعْنَ الخُطُوبِ ، إذا لاقَيتُهَا ، وَرِضَاكَ مِنْ جُنَني
لَوْ رُمتُ لَيَّ الجِيدِ عَنكَ لَقَدْ عَطَفَتْهُ أطْوَاقٌ مِنَ المِنَنِ
لا تَسمَعَنْ قَوْلَ الوُشاةِ ، وَمَنْ غَرَسَ الأضَالِعَ لي عَلى الإحَنِ
يَتَطَلّبُونَ لِيَ العُيُوبَ ، وَيَرْ مُوني بِأفْرَادٍ مِنَ الظِّنَنِ

١ السنن : الطريقة .
٢ المنن ، الواحدة منة ، بالضم : الضعف

النّقْصُ أخَّرَهُمْ على ظَلَعٍ مِنْ غايَتي ، والفَضْلُ قدّمَني
فالفَرْقُ ما بَيْني وَبَيْنَهُمُ ، كالفَرْقِ بَيْنَ العَيّ وَاللَّسَنِ
إنّي أرَى الأيّامَ مُومِضَةً لكَ عَنْ بَوَارِقِ عَارِضٍ هَتِنِ
فَكَأنّني بعِداكَ قَدْ حَبَطُوا حَبَطاً لِمَا شَبّوا مِنَ الفِتَنِ
وَكَأنّني بالهَامِ قَدْ جُعِلَتْ مِنْهُمْ عَمَائِمَ للقَنَا اللّدنِ
تَبكي دِيَارُهُمُ كَمَا بَكِيَتْ مَطْمُوسَةُ الأطْلالِ وَالدّمَنِ
فاسلَمْ ، بَهاءَ المُلْكِ ، ما سلِمتْ عَادِيّةُ الأطْوَادِ وَالقُنَنِ
الوَجْهُ طَلْقٌ ، وَالبَنَانُ نَدٍ ، وَالوَعْدُ نَقْدٌ ، وَالعَطاءُ هَني
ستَرَى مُخَالَصَتي ، وَتَخبُرُني طَبْعاً عَلى غَيرِ النّفَاقِ بُني
وَإذا الزّمَانُ رَمَى بِنَائِبَةٍ : وَنَأى الأقارِبُ فالتَفِتْ تَرَني

ملكنا مقطع الرزق

قال قدس الله تعالى روحه يف
وذلك في شوال سنة ٣٩٠

آمَا مع الحَيّ صَبَاحاً ، حِينَ وَلّيْنَا
وَقَدْ صَاحَ بِنَا المَجْدُ : إلى أينَ ، إلى أيْنَا
إلى أنْ أدْرِكَ العِرْقُ . فَثُبْنَا ، ثُمّ لاقَيْنَا[1]

---

١ العرق : أصل كل شيء ، والجبل الغليظ المنقاد لا يرتقى لصعوبته . ثبنا : رجعنا .

حَمِينَا بالحَفِيظَاتِ ، فقَارَعْنَا وَحَامَيْنَا[1]
فَلا تَسْأَلْ عَنِ الكَا سِ الّتي فِيهَا تَسَاقَيْنَا
تَنَاكَيْنَا ، فلَمّا غَ لَبَ الأمْرُ ، تبَاكَيْنَا
عَنِ الحِلْمِ تَحَاجَزْنَا ، وَبِالضّغْنِ تَلاقَيْنَا
وَلَوْلا أطّةُ الأرْحَا مِ ، أعذَرْنَا وَأبْلَيْنَا[2]
إذا نَاشَدَتِ القُرْبَى ، تَبَاقَيْنَا ، وَأبْقَيْنَا
بَنِي أعْمَامِنَا ! مَهْلاً ، سيَنْأى بَيْنُ دارَيْنَا
وَيَغْدُو رَهَجُ الرّوْعِ لِحَاماً بَينَ غَارَيْنَا
إذا مَا ضَرَبَ النّقْعُ عَلى الحَرْبِ رِوَاقَيْنَا
عَسَى الأرْحَامُ تَثْنِينَا ، إذا نَحْنُ تَبَاغَيْنَا
تَبَالَوْا لِتُلاقُونَا . فَإنّا قَدْ تَبَالَيْنَا
فَلَمْ يَلْقَ لَنَا العَا جِمُ رِعْدِيداً وَلا هَيْنَا
لَنَا كُلّ غُلامٍ هَ مُّهُ أنْ يَرِدَ الحَيْنَا
يُخَالُ مُوَقّياً نَذْراً بِهِ ، أوْ قَاضِياً دَيْنَا
حَدِيدُ السّمعِ فِي حَيْثُ تَكُونُ الأُذُنُ العَيْنَا
غِرَارُ النّوْمِ يَجْلُو عَن لِحَاظِ الضّرِمِ الرَّيْنَا[3]

١ الحفيظات ، الواحدة حفيظة : الحمية والغضب .
٢ أطة الأرحام : حنينها ، صوتها .
٣ غرار النوم : قليله . يجلو : يكشف . الضرم : الجائع . الرين : النعاس .

إذا السّيرُ حَذا أيْدي الـ ـرّكَابِ الدّمَ وَالأينَا[1]
اذاتَ الطّوْقِ ! تَجْلُو فيـ ـهِ . برّاقَ الطّلى لَيْنَا
قِفي أُخبِرْكِ عَنْ صَبْري إذا أوْعَدْتِني البَيْنَا
سَلي عَنْ هَيْئَةِ السّيْفِ شُجَاعَ القَوْمِ لا القَيْنَا
لَنَا السّبْقُ بِأقْدامٍ إلى المَجْدِ تَسَاعَيْنَا
تَرَيْ زَمْجَرَةَ الآسَا دِ هَمْساً بَينَ غَابَيْنَا
إذا سَاوَمَنَا الضّيْمُ عَلى الأعْرَاضِ غَالَيْنَا
وَإنْ نَازَعَنَا الحَقُّ عِنَانَ المَالِ ألْقَيْنَا
إذا مَا رَوّحَ الرُّعْيَا نُ ، أعطَيْنَا وَأمطَيْنَا
يَظُنّ المُجْتَدي أنّا عَلى الجُودِ تَوَاطَيْنَا
مَلَكْنَا مَقْطَعَ الرِّزْقِ ، فَأفقَرنَا ، وَأغْنَيْنَا
وَحُزْنَا طاعَةَ الدّهْرِ ، فَأغْضَبْنَا ، وَأرْضَيْنَا
مَتَى لمْ يُطِعِ الجُودُ سَخَوْنا ، أوْ تَسَاخَينَا
سِرَاعاً ، فَتَفَاقَدْنَا جَمِيعاً ، وَتَنَاعَيْنَا
إذا مَا ثَوّبَ الدّاعي إلى المَوْتِ ، تَداعَيْنَا
وَمَا يَنْفَعُنَا يَوْماً ، إذا نَحْنُ تَفَادَيْنَا
وَمَا أعْلَمَنَا أنّا إلى الغَايَةِ أجْرَيْنَا

[1] حذاها : ألبسها حذاء من الدم والتعب .

الأماني الغرارة

قال قدس الله تعالى روحه يرثي صديقاً له من بني العباس وهو أبو عبد الله ابن الإمام المنصوري وكانت بينهما صداقة قديمة وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ :

ما أقَلَّ اعتِبَارَنَا بالزّمَانِ ، وَأشَدَّ اغْتِرَارَنَا بِالأمَاني
وَقَفَاتٌ عَلى غُرُورٍ وَأقْدا مٌ عَلى مَزْلَقٍ مِنَ الحِدْثَانِ
في حُرُوبٍ عَلى الرّدَى ، وَكَأنّا اليَوْمَ في هُدْنَةٍ مَعَ الأزْمَانِ
وَكَفَانَا مُذَكِّراً بِالمَنَايَا ، عِلْمُنَا أنّنَا مِنَ الحَيَوَانِ
كُلَّ يَوْمٍ رَزِيئَةٌ في فُلانٍ ، وَوُقُوعٌ مِنَ الرّدَى بِفُلانِ
كَمْ تَرَاني أضِلُّ نَفْساً،وَألْهُو ، فَكَأنّي وَثِقْتُ بالوَخَدَانِ[1]
قُلْ لهَذي الهَوَاملِ : استَوْثقي للسّيرِ وَاستَنشِزي عَنِ الأعطَانِ[2]
وَاستَقيمي قَدْ ضَمّكِ اللَّقَمُ النّهجُ ، وَغَنّى وَرَاءَكِ الحَادِيانِ
كَمْ مَحيدٍ عَنِ الطّرِيقِ وَقد صَرّحَ خَلْجُ البُرَى وَجَذْبُ العِرَانِ[3]

١ الوخدان : الخطو الواسع .

٢ أراد باستنشزي : اجفي .

٣ المحيد : الميل . الخلج : الجذب . البرى : حلق يجعل في أنوف البعران ، الواحدة برة . العران عود يجعل في وترة أنف البعير .

نَتَشَنّي جازِعِينَ مِن عَدوَةِ الدّهْـ ... ـرِ وَنَرْتَاعَ للمَنَايَا الدّوَاني

جَفَلَةُ السّرْبِ في الظّلامِ وَقد زُعْـ ... ـزِعَ رَوْعاً مِن عَدْوَةِ الذُّؤبَانِ

ثمّ نَنْسَى جُرْحَ الحِمامِ، وَإنْ كا ... نَ رَغيباً، يا قرْبَ ذا النّسيانِ[1]

كلَّ يَوْمٍ تزَايُلٌ مِنْ خَليطٍ ... بالرّدى، أوْ تَبَاعُدٌ مِنْ دانِ

وَسَوَاءٌ مَضَى بِنَا القَدَرُ الجِـ ... ـدُّ، عَجُولاً، أوْ ماطَلَ العَصرَانِ[2]

يا لَقَوْمي لِهَذِهِ الصّيلَمِ الصّـ ... ـمّاءِ عَنّتْ، وَالنّازِلِ الأرْوَنَانِ[3]

هَلْ مُجيرٌ بذابِلٍ، أوْ حُسَامٍ، ... أوْ مُعِينٌ بِسَاعِدٍ، أوْ بَنَانِ؟

مَضرَبٌ مِن مَضَارِبي، فلَهُ الدّهـ ... ـرُ، وَغَصْنٌ أبِينَ مِنَ أغصَاني[4]

نَسَبٌ ضَارِبٌ إلى هاشِمٍ الجُو ... دِ، وَفَرْعٌ نَامٍ إلى عَدْنَانِ

حُفرَةٌ أطبَقَتْ على وَاضِحِ الأثْـ ... ـوَابِ في المَجدِ طَيّبِ الأرْدانِ

خُلُقٌ كالرّبيعِ رَوْضَهُ القَطْـ ... ـرُ وَصَدْرٌ صَافٍ مِنَ الأضْغَانِ

وَجَنَانٌ ماضٍ عَلى رَوْعَةِ الخَطْـ ... ـبِ، وَنَفْسٌ كَثِيرَةُ النّزَوَانِ

لازِمٌ شُرْعَةَ الوَفَاءِ، يَرَى حِفْـ ... ـظَ التّصَافي دِيناً مِنَ الأدْيَانِ

شَيّعُوهُ بالدّمعِ يَجرِي كمَا شُـ ... ـيّعَ غُدْواً بَوَاكِرُ الأظْعَانِ

كُلُّ عَيْنٍ قَرِيحَةٍ تَتَلَقّا ... هُ بوَادٍ مِنْ دَمْعِهَا مَلآنِ

قَد مَرَرْنا عَلى الدّيارِ خُشُوعاً، ... وَرَأيْنَا البِنَى، فَأيْنَ البَاني

١ رغيباً : واسعاً .
٢ الجد : المبالغ فيه ، المتناهي في الجد . العصران : الغداة والعشي ، الليل والنهار .
٣ الصيلم : الداهية ، الأمر الشديد . الأرونان : الصعب من الأيام .
٤ المضرب

وَجَهِلْنَا الرّسُومَ ثُمّ عَرَفْنَا ، فَذَكَرْنَا الأَوْطَارَ بالأَوْطَانِ
جَمَحَتْ زَفْرَةٌ بِغَيرِ لِجَامٍ ، وَجَرَتْ دَمْعَةٌ بِغَيرِ عِنَانِ
فالتِفَاتاً إلى القُرُونِ الحَوَالي ، هَلْ تَرَى اليَوْمَ غَيرَ قَرْنٍ فاني؟
أينَ رَبُّ السّديرِ وَالحِيرَةِ البَيْـ ـضَاءِ ، أمْ أينَ صَاحِبُ الإيوَانِ ؟
وَالسّيوفُ الحِدادُ مِنْ آلِ بَدْرٍ ، وَالقَنَا الصُّمُّ مِنْ بَني الدّيّانِ
طَرَدَتهمْ وَقَائعُ الدّهْرِ عَن لَعْـ ـلَعَ طَرْدَ السِّفَارِ عَن نَجرَانِ
وَالمَوَاضِي مِنْ آلِ جَفْنَةَ أرْسَى طُنُباً مُلْكُهُمْ عَلى الجَوْلانِ
يَكْرَعُونَ العُقَارَ من فِلَقِ الإبْـ ـرِيزِ كَرْعَ الظّماءِ في الغُدْرَانِ[1]
مِنْ أُبَاةِ اللّعْنِ الّذِينَ يُحَيّوْ نَ بِهَا في مَعَاقِدِ التّيجَانِ[2]
تَتَرَاءاهُمُ الوُفُودُ بَعِيداً ، ضَارِبِينَ الصّدُورَ بالأذْقَانِ
في رِيَاضٍ مِنَ السّمَاحِ حَوَالٍ ، وَجِبَالٍ مِنَ الحُلُومِ رِزَانِ
وَهمُ المَاءُ لَذّ للنّاهِلِ الظّمْـ ـآنِ بَرْداً ، وَالنّارُ للحَيرَانِ
كُلُّ مُستَيْقِظِ الجَنَانِ إذا أظْـ ـلَمَ لَيْلُ النّوّامَةِ المِبطَانِ
يَغتَدي في السِّبَابِ غَيرَ شُجاعٍ ، وَيُرَى في النّزَالِ غَيرَ جَبانِ
ما ثَنَتْ عَنْهُمُ المَنُونَ يَدٌ شَوْ كَاءُ ، أطْرَافُهَا مِنَ المُرّانِ
عَطَفَ الدّهْرُ فَرْعَهُمْ ، فَرَآهُ بَعدَ بُعْدِ الذّرَى قَرِيبَ المَجَاني
وَثَنَتْهُمْ بَعدَ الجِمَاحِ المَنَايَا . في عِنَانِ التّسْلِيمِ وَالإذْعَانِ

١ الفلق ، الواحدة فلقة : نصف الجفنة . الإبريز : الذهب .
٢ أباة اللعن : أراد بهم ملوك الحيرة الذين كانوا يحيونهم بقولهم : أبيت اللعن

عُطِّلَتْ مِنهُمُ المَقارِي، وَبَاخَتْ ... في حِمَاهُمْ مَوَاقِدُ النِّيرَانِ[1]
لَيسَ يَبْقَى عَلى الزَّمَانِ جَرِيءٌ ... في إبَاءٍ ، وَعَاجِزٌ في هَوَانِ
لا شُبُوبٌ مِنَ الصُّوَارِ ، وَلا أعْـ ... نَقُ يَرْعَى مَنَابِتَ العُلْجَانِ[2]
لا وَلا خاضِبٌ مِنَ الرُّبْدِ يَختَا ... لُ بِرَيْطٍ أحَمَّ غَيرِ يَمَانِ[3]
يَرْتَمِي وُجْهَةَ الرِّئَالِ ، إذا آ ... نَسَ لَوْنَ الإظلامِ وَالإدجَانِ[4]
وَعُقَابُ المَلاعِ تُلْحِمُ فَرْخَيْـ ... هَا بِإزْلِيقَةٍ زَلُولِ القِنَانِ[5]
نَابِلاً ، في مَطَامِحِ الجَوِّ هاتِـ ... كَ وَذَا في مَهَابِطِ الغِيطَانِ
لوْ لَوَى عَنكَ رَائعَ الخَطبِ ذَنْبٌ ، ... أوْ رَمَتْ دُونَكَ الحِمامَ يَدانِ
لوَقتكَ الرَّدى نُفُوسٌ عَزِيزَا ... تٌ ، وَأيْدٍ مَلِيئَةٌ بالطِّعَانِ
وَرِجَالٌ ، إذا دعَوْا غُدوَةَ الرَّوْ ... عِ ، وَقَدْ خَفَّ جانبُ الأقرَانِ
شَمَّرُوا يَطلُبُونَ ناشِئَةَ الصَّوْ ... تِ ، خَنَاذِيذَ كالقَنِيِّ اللِّدانِ
لا أغَبَّ الرَّبِيعُ تُرْبَكَ مِنْ نَوْ ... رٍ هِجَانٍ وَمَنظَرٍ إضْحِيَانِ[6]

١ المقاري : قدور الضيافة وقصاعها . باخت النار : خمدت .
٢ الشبوب، من شب الفرس : رفع يديه ، نشط أو حرن . الصوار : القطيع من بقر الوحش. الأعنق : الطويل العنق . العلجان : جماعة العضاه ، نبت .
٣ الربدة : لون من الغبرة . الريط ، الواحدة ريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين . الأحم : الأبيض ، والأسود (ضد) .
٤ الرئال : أولاد النعام ، الواحد رأل .
٥ الملاع : المفازة لا نبات فيها . تلحم فرخيها : تطعمهما اللحم . الازليقة : الأرض الملساء ليس بها شيء ، أو التي لا تثبت عليها قدم. الزلول : الكثيرة الزلق . القنان ، الواحدة قنة : الجبل الصغير ، قلة الجبل .
٦ الهجان : الأبيض . الإضحيان : الذي لا غيم فيه .

وَحَدَا البَرْقُ ، كلَّ يَوْمٍ ، إلَيه عَجِلَ القَطْرِ بالنّسيمِ الوَاني
في جِبَالٍ مِنَ الغَمامِ كأنّ الـ ـليلَ يَرْمي رِعَانَهَا برِعَانِ
هَزِجَاتٌ مِنَ البُرُوقِ كأنّ الـ ـبُلْقَ فيهَا مَجرُورَةُ الأرْسَانِ
بَعْدَمَا كُنّ كالشُّفُوفِ تَرَاهـُ ـنّ خَفِيّاتٍ نَقيّةَ الألْـوَانِ
نَشءُ مُزْنٍ كأنّ في الأُفْقِ منهُ نَفَسَ القَينِ في الحُسَامِ اليَمَاني
أوْ كَمَاوِيّةِ الصَّنَاعِ عَـلاهَا صَدَأُ اللّوْنِ بَعدَ طولِ صِيَانِ[1]
لاحَمَتْ بَيْنَهُ الرّيَاحُ فَأوْفَى كَمَجَرّ الأنْقَاءِ وَالكُثْبَانِ
تَمْتَرِيهِ هَوْجَاءُ مِنْ قِبَلِ الغَوْ رِينِ ، نَزْعَ الدّلاءِ بالأشْطَانِ[2]
تَحفِزُ القَطرَ كلّما جَلجَلَ الرّا عِدُ حَفْزَ الحَنيّةِ المِرْنَانِ[3]
كَعِيَابِ الدّرُوعِ أسمَعَ رَكضُ الـ ـخَيلِ فيها خَشَاخِشَ الأبدانِ[4]
لَوْ تَرَاخَتْ تِلْكَ الرّيَاحُ لأرْسَلْـ ـتُ رِيَاحَ الزّفِيرِ وَالإرْنَانِ
لَوْ وَنَى ذَلِكَ الغَمَامُ لأطلَقْـ ـتُ مَزَادَ الدّمُوعِ مِنْ أجْفَاني
فَعَلَيكَ السّلامُ مِنْ خاشعِ النّا ظِرِ مُسْتَسْلِمٍ لرَيْبِ الزّمَانِ
يَنظُرُ الدّهرَ بَعدَ يَوْمِكَ وَالنّا سَ بِعَينٍ وَحشِيّةِ الإنْسَانِ
وَيَرَى الأُنْسَ لَستَ من حاضرِيهِ وَحشَةً ، وَالجَميعَ كَالوِحدانِ

١ الماوية : المرآة . الصناع : المرأة الحاذقة في عمل اليدين .
٢ تمتريه ، من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر . الهوجاء: الريح تقتلع البيوت. الأشطان: الحبال، الواحد شطن .
٣ تحفز : تدفع . الحنية : القوس .
٤ العياب : كناية عن القلوب .

مُعطياً للعِدا بهِ الوَاهِنَ الضّا رِعَ بَعْدَ الأنْصَارِ وَالأعْوَانِ
أذْكَرَتْهُ أيّامُ هَذا التّنَائي مَا مَضَى مِنْ أيّامِ ذاكَ التّداني
لمْ يكُنْ غَيرَ قَبسَةِ الفَرِقِ العَجْلانِ وَلّى وَنَهْلَةِ الظّمْآنِ[1]
أصْدِقَائي ، أقَارِبي ، وَأخِلاّئي ، قبيلي ، وَإخوَتي ، إخوَاني
فامْضِ لا غَرّني الزّمَانُ بِعَهْدٍ في خَليلٍ ، وَلا بعَقْدِ ضَمَانِ
قَد تُخلّى النّفسُ الحَبيبَةُ بالرّغْمِ ، وَقَدْ يُبْعَدُ القَرِيبُ الدّاني
صُرِفَ الطّرْفُ عنكَ لا عن تقالٍ ، وَأقِلّ اللّقَاءُ لا عَنْ تَوَاني

سلي به جولة الخيل

قال قدس الله تعالى سره

غَزَالٌ مَاطِلٌ دَيْني ، بِأجْزَاعِ الغَدِيرَيْنِ
رُهُوني عِنْدَهَا تَغْلَقُ بَيْنَ الهَجْرِ وَالبَيْنِ
ألا ، لا شَلّلاً يَا رَا ميَ القَلْبِ بِنَصْلَينِ
طَرِيرَيْنِ ، وَمَا مَرّا عَلى مَطْرَقَةِ القَيْنِ

١ القبسة، من قبس النار : أخذ منها شعلة . الفرق: الخائف . وقبسة الفرق مثل في العجلة، وكذلك نهلة الظمآن ، أي شربته .

ألا يَا نَظْرَةٌ أرْسَلْـ ـتُهَا بَيْنَ الغَبِيطَيْنِ[1]
أسَاْتِ اليَوْمَ للقَلْبِ ، وَأحْسَنْتِ إلى العَيْنِ
فَعَادَ الطّرْفُ بالفَوْزِ ، وَوَلّى القَلْبُ بالحَيْنِ
فَيَا للهِ ! كَمْ تُجرَ حُ يَا قَلْبيَ مِنْ عَيْنَي
وَمِنْ لَوْمِ الرّفيقَينِ ؛ وَمِنْ بَيْنِ الخَليطَينِ
صَغَا قَلْبي إلى الحِلْمِ ، بِلا قَوْلِ العَذُولَينِ
وَخَلّفْتُ الصِّبَا خَلْفيَ مُنْقَادَ القَرِينَينِ
وَمَا جُزْتُ الثّلاثِينَ بِعَامٍ ، أوْ بِعَامَيْنِ
فقُلْ لي اليَوْمَ : ما عُذْرُ كَ يَا شَيبَ العِذارَينِ
سَلِي بي جَوْلَةَ الخَيْلِ ، وَمُلْتَفَّ العَجَاجَينِ
وَخَطّارَ القَنَا ، وَالمَوْ تُ مَضرُوبُ الرِّوَاقَينِ ،
تَرَيْ عَزْميَ مِثْلَ السّيْـ ـفِ مَشحُوذَ الغِرَارَينِ
أجلّي النّقْعَ قَد صَارَ لِحاماً بَيْنَ غَارَينِ
وَأَثْني سَنَنَ الخَيْلِ بِهبْهَابِ السُّرَى لَيْنِ[2]
بحَيْثُ تُقَطَّعُ القُرْبَى عَلى أيْدِي القَرِيبَينِ
وَيَشْتَقُّ القَنَا الذّا بِلُ مَا بَينَ الشّقِيقَينِ
تَرَى فيهِ القَرِيبَينِ مِنَ البَغْضَا قَرِينَينِ

[1] الغبيط : الأرض المطمئنة . والغبيطان : موضع .
[2] السنن : النهج . الهبهاب : السريع .

رَمَتْ عِندي يَدُ الدَّهْرِ بِخَطْبٍ لَيْسَ بالهَيِّنِ
أرَى الأيّامَ تَحْدُو نِيَ في شَرِّ الطّرِيقَيْنِ
كمَا أوْضَعَ ، تحتَ المَيْسِ ، مَوّارُ المِلاطَيْنِ[1]
أُزَجّي الحَظّ كاللاّعِبِ زَحّافاً على الأيْنِ
كمَا زُجّيَتِ الرَّجْزَاءُ زَحْفــاً بِعِقَالَيْنِ[2]
وَهَذا الدّهْرُ يَثْنِيني باللّيّانِ عَنْ دَيْني[3]
وَيَغْدُو مَاتِحاً للضّرِعِ الوَاني بِسَجْلَيْنِ[4]
لَهُ نَضْحٌ بِرَوْقَيْهِ ، وَلي نَطْحٌ بِرَوْقَيْنِ
تُرَى صَرْفُ المَقَاديرِ مَتى يَصْحُو مِنَ الأيْنِ
وَهَيهَاتَ لَقَدْ أغْلَقَ دُونَ الرّزْقِ بَابَيْنِ
فَلا تَطْلُبْ دَوَاءَ الحَظّ قَدْ أعْيَا الطّبيبَيْنِ
وَإنْ عَاتَبْتَ هذا الدّهْرَ صَارَ الذّنْبُ ذَنْبَيْنِ
وَقَدْ طُلّ دَمٌ تَطْلُبُهُ عِنْدَ الجَدِيدَيْنِ

١ أوضع : أسرع . الميس : الرحل المصنوع من شجر الميس ، وقد مر ذكره . الموار : المتحرك بسرعة . الملاطين : الجنبين .

٢ الرجزاء : المصابة بالرجز وهو داء يصيب الإبل في أعجازها .

٣ الليان : المماطلة .

٤ الماتح ، من متح الماء : نزعه . الضرع : المتذلل . الواني : الضعيف .

هل ترى حداً كجدي

قال رضي الله عنه على البديهة وقد ورد الخبر أن والده رضي الله تعالى عنهما أضيف إلى لقبه بالطاهر ذو المنقبتين ولم يلقب به قبله أحد من الطالبيين وذلك سنة ٣٩٢ :

فَخَرَتْ قَحْطانُ أنْ كَانَ لَهَا ذُو نُوَاسٍ وَكَلاعٍ وَرُعَيْنِ[1]
شَرّفَ الأذْوَاءَ فِيهَا قَبْلَنَا ، كلُّ رَحبِ البَاعِ هَطّالِ اليَدَيْنِ
ثمّ سَاوَتْهَا فَخَاراً مُضَرٌ بِعَلِيٍّ الطّاهِرِ المَنْقَبَتَينِ
شِيمَتَا عِزٍّ وَمَجْدٍ أغْنَتَا عَنْ أبي أحْمَدَ فِينَا وَالحُسَينِ
هَلْ تَرَى جَدّاً كَجَدّي وَأبي ، أيُّ مَجْدٍ وَثَنَاءٍ بَعد ذَيْنِ ؟
نَسَبٌ كالنّضْرِ أمسَى وَاسِطاً كلُّ أنفٍ من بني النّضرِ ، وَعَينِ[2]
نَيّرُ الأقْطَارِ قَدْ ضَوّأ مَا بَينَ جَدّيّ الكَرِيمَينِ وَبَيْنِي
ثَابِتٌ في طِينَةِ المَجْدِ ، إذا مَنْصِبٌ أمسَى زَلِيقَ القَدَمَينِ
بِمَنَاطِ النّجْمِ يَجْرِي دُونَهُ بَارِقُ الأُفْقِ وَضَوْءُ القَمَرَينِ
زَيّنَتْ أفْعَالُنَا أحْسَابَنَا زِينَةَ اللّهْذَمِ أُنْبُوبَ الرُّدَيْنِي[3]

١ ذو نواس ، وذو كلاع ، وذو رعين : من ملوك اليمن المعروفين بالاذواء

٢ نسب كالنضر : أي كالذهب .

٣ اللهذم : القاطع . الرديني : الرمح .

ضَارِبَةٌ أعْرَاقُــهُ بقَرَارَاتِ مِنًى وَالمَأزَمَيْنِ
شَامِخُ الأعناقِ ، عادِيُّ الذُّرَى ، نَاضِرُ العِرْقِ نُضَارُ الطَّرَفَيْنِ
وَبِمَجدِ النّفسِ فَخرِي سابِقاً ، فَضْلَةَ الفَخرِ بمَجدِ الوَالدَينِ

زفر الزمان عليهم

قال رضي الله تعالى عنه وقد خرج إلى الكوفة لزيارة مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكرم وجهه وعرج إلى الحيرة فطافها ونظر عجيب آثارها وبنائها ورأى الظباء ترتع في عراصها فقال وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٩٢ :

ما زِلْتُ أطْرِقُ المَنازِلَ بالنّوَى ، حَتّى نَزَلْتُ مَنَازِلَ النُّعمانِ
بالحِيرَةِ البَيضَاءِ حَيثُ تَقَابَلَتْ شُمُّ العِمَادِ ، عَرِيضَةُ الأعطَانِ
شَهِدَتْ بفضْلِ الرّافِعِينَ قِبابَها ، وَتَبِينُ بالبُنْيَانِ فَضْلَ البَاني
مَا يَنفَعُ المَاضِينَ إنْ بَقِيَتْ لهمْ خُطَطٌ مُعَمَّرَةٌ بِعُمْرٍ فَانِ
وَرَأيْتُ عَجماءَ الطّلولِ ، منَ البِلى ، عَن مَنطِقٍ ، عَرَبِيّةَ التّبيَانِ
باقٍ بهَا حَظُّ العُيُونِ ، وَإنّمَا لا حَظّ فيهَا اليَوْمَ للآذانِ
وَعَرَفتُ بينَ بُيوتِ آلِ مُحَرِّقٍ مأوَى القِرَى وَمَوَاقِدَ النّيرَانِ
وَمَنَاطَ مَا اعتقلوا منَ البِيضِ الظُّبى ، وَمَجَرَّ مَا سَحَبُوا مِنَ المُرّانِ
وَرَأيتُ مُرْتَبطَ السّوَابقِ للمَهَا ، وَمَعَاقِلَ الآسَادِ للذُّؤبَانِ

الهَاجِمِينَ عَلَى المُلُوكِ قِبَابَهُم ، وَالضَّارِبِينَ مَعَاقِدَ التِّيجَانِ
وكَأَنَّ يَوْمَ الإذْنِ يَبرُزُ مِنهُمُ أسْدُ الشَّرَى وأساوِدُ الغِيطانِ[1]
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِدَيْرِ هِنْدٍ مَنْزِلاً أَلِماً مِنَ الضَّرَّاءِ وَالحِدْثَانِ[2]
أغضَى كَمُسْتَمِعِ الهَوَانِ تَغَيَّبَتْ أنْصَارُهُ . وَخَلا مِنَ الأعْوَانِ
بَالِي المَعَالِمِ أطرَقَتْ شَرَفَاتُهُ إطرَاقَ مُنجَذِبِ القَرِينَةِ عَانِ[3]
أوْ كَالوُفُودِ رَأَوْا سِمَاطَ خَلِيفَةٍ فَرَمَوْا عَلَى الأعْنَاقِ بِالأذْقَانِ
وَذَكَرْتُ مَسحَبَهَا الرِّيَاطَ بِجَوِّهِ مِنْ قَبلِ بَيعِ زَمَانِهَا بِزَمَانِ
وَبِمَا تَرُدُّ عَلَى المُغِيرَةِ دَهْيَهُ ، نَزْعَ النَّوَارِ بَطِيئَةَ الإذْعَانِ[4]
أمَقَاصِرَ الغِزْلانِ غَيّرَكِ البِلَى ، حَتّى غَدَوْتِ مَرَابِضَ الغِزْلانِ
وَمَلاعِبَ الإنسِ الجَميعِ طَوَى الرّدى مِنهُم ،فَصِرْتِ مَلاعِبَ الجِنّانِ
مِنْ كُلّ دارٍ تَستَظِلُّ رِوَاقَهَا أدمَاءُ ، غَانِيَةٌ عَنِ الجِيرَانِ[5]
وَلَقَدْ تَكُونُ مَحَلّةً وَقَرَارَةً لأغَرّ مِنْ وَلَدِ المُلُوكِ هِجَانِ[6]
يَطَأُ الفُرَاتُ فِنَاءَهَا بِعُبَابِهِ ، وَلَهَا السُّلافَةُ مِنْهُ وَالرُّوقانِ[7]

١ الشرى : مأسدة مشهورة بأسودها . الأساود : الحيات ، الواحد أسود .
٢ دير هند : في الحيرة .
٣ القرينة : الناقة المقرونة بأخرى .
٤ المغيرة : وصف لصفة محذوفة تقديره الخيل المغيرة ، من أغار على القوم هجم عليهم وأوقع بهم دهيه ، من دهاه : أصابه بداهية ، وعودة الضمير المذكر إلى لفظ الخيل . النوار : المرأة النفور
٥ الأدماء : أي ظبية أدماء ، أي سمراء .
٦ الهجان : الكريم الحسيب .
٧ عبابه: معظم سيله وارتفاعه. السلافة: كل شيء عصرته. الروقان،الواحد روق: الصافي من الماء

وَوَقَفْتُ أسأل بَعضَها عن بَعضِها، وتجيبي عِبَر بِغَيرِ لسانِ
قدحتْ زَفيري فاعتصرْتُ مدامعي، لَوْ لَمْ يَؤلْ جزَعي إلى السُّلوانِ
ترْقى الدّموعُ وَيرْعوي جزَعُ الفتى، وَيَنامُ بَعْدَ تَفَرّقِ الأقْرانِ
مِسكيّةُ النّفَحاتِ تَحسَبُ تُرْبَها بُرْدَ الخَليعِ مُعَطَّرَ الأرْدانِ
وكأنّما نَشَرَ التِّجارُ لَطيمةً جرَتِ الرّياحُ بها على العُقْيانِ[1]
ماءٌ كجيبِ الدّرْعِ تَصْقُلُه الصَّبا، وَنَقاً يُدَرّجُهُ النّسيمُ الوَاني
حلَلُ المُلوكِ رَمى جَذيمةَ بينَها، وَالمُنذِرَينِ، تَغايُرُ الأزْمانِ[2]
طَرْداً، كدأبِ الدّهرِ في طرْدِ الأُلى، وَالّى الحَفائِظَ في بَني الدّيّانِ
نَعَقَ الزّمانُ بجَمعِهِمْ عن لَعلَعٍ، وَأقَضّ مَنزِلَهُمْ عَلى نَجرانِ[3]
وَكآلِ جفنَةَ أزْعَجَتهُمْ نَبوَةٌ، نَقَلَتْ قِبابَهُمُ عَنِ الجَوْلانِ[4]
وَعلى المَدائنِ جَلجَلَتْ برِعادِها عَرَكاً لكَلكَلِها عَلى الإيوانِ[5]
وَإلى ابنِ ذي يزَنٍ غدَتْ مَرْحولَةً نَفَضَتْ حَوِيّتَها على غُمدانِ[6]

١ اللطيمة : وعاء المسك . العقيان : الذهب ينبت نباتاً ، وليس مما يستذاب من الحجارة .
٢ جذيمة : هو جذيمة الأبرش . المنذرين : المنذر الأول والمنذر الثاني ، من ملوك الحيرة .
٣ لعلع : جبل وماء بالبادية . نجران : بلد باليمن .
٤ آل جفنة : الغساسنة . النبوة : البعد . الجولان : كانت من عواصم الغسانيين .
٥ المدائن : أي مدائن كسرى . والإيوان : إيوان كسرى وهو مشهور . الكلكل : الصدر .
٦ ابن ذي يزن : أراد سيف بن ذي يزن من ملوك اليمن . الحوية : كساء محشو حول سنام البعير . غمدان : قصر لملوك اليمن بناه يشرح بأربعة وجوه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً (القاموس) .

قصَفَتْ قنا جَدَلِ الطّعانِ وَثوّرَتْ بَعدَ الأمَانِ بِعَامِرِ الضَّحْيَانِ[1]
زَفَرَ الزّمَانُ عَلَيهِمُ، فتَفَرّقوا، وَجلَوْا عَنِ الأوْطارِ وَالأوْطانِ

محاجر وعيون

قال أيضاً قدس الله تعالى روحه الشريفة :

يا مَسقِطَ العلَمَينِ من رَملِ الحِمى، لي عِندَ ظَبيتِكَ النَّوَارِ دُيُونُ
شَرَتِ الفُؤادَ رَخيصَةً أعلاقُهُ ، وَمَضَى يَعَضُّ بَنَانَهُ المَغبُونُ
هَيهَاتَ يَتبَعُني إلى سُلوَانِهِ قَلْبٌ أصَابَ بِهِ الظِّبَاءُ العِينُ
سَنَحتْ لَنا في المُشرِقاتِ عَشيّةً، وَمِنَ السّهامِ مَحاجِرٌ وَعُيُونُ
لا العَفُّ عَفٌّ حِينَ يَمْلِكُ لُبَّهُ تلكَ اللّحاظُ، وَلا الأمينُ أمينُ
لَوْ أنّ قَوْمَكَ نَصّلُوا أرْماحَهُمْ بعُيُونِ سِرْبِكَ ما أبَلّ طَعينُ

[1] عامر الضحيان : أحد فرسان العرب .

ذات الطوق

قال رضي الله عنه في معنى
الأبيات الميمية في مدح السواد :

أذاتَ الطَّوْقِ لمْ أُقرِضْكِ قَلْبي عَلى ضَنّي بِهِ لِيَضِيعَ دَيْني
كَفَاكِ حُلِيٌّ جِيدكِ أنْ تَحلَّيْ بِأطْوَاقِ النُّضَارِ ، أوِ اللُّجَينِ
سكَنتِ القَلْبَ حيثُ خُلِقتِ منهُ ، فأنتِ مِنَ الحَشَى وَالنّاظِرَينِ
أُحِبّكِ أنّ لَوْنَكِ لَوْنُ قَلْبي ، وَإنْ أُلبِستِ لَوْناً غَيرَ لَوْني
عِديني وَامطلي، وَعِدي ، فحَسبي وِصَالاً أنْ أرَاكِ وَأنْ تَرَيْني
وَلا تَستَهلِكي بِيَدَيكِ قَلْبي ، فَإنّ القَلْبَ بَينَكُمُ وَبَيْني
سَمِعْتُ لهَا حِوَاراً كَانَ فيهِ رُجُوعُ بَلابِلي وَدُنُوُّ حَيْني
فَيَا لَكَ مَنطِقاً لَوْ كانَ هُجْراً لِسَامِعِهِ تُلُقّيَ باليَدَيْنِ
كَأنّ الظّبيَةَ الأدْمَاءَ حَارَتْ إليّ بِنَاعِمِ العَذَبَاتِ لَيْنِ
نَظَرْتُكِ نَظْرَةً لَمّا التَقَيْنَا عَلى وَجَلَينِ مِنْ هَجْرٍ وَبَينِ
كَأنّي قَدْ نَظَرْتُ سَوَادَ قَلْبي بِوَجهِكِ ظَاهِراً لِسَوَادِ عَيْني

مقلقات الغرام

قال قدس الله روحه يرثي بعض أهله :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةَ لا ذاهِلٍ ، وَلا نَازِعٍ قَلْبُهُ وَالجَنَانُ

أُعَاوِدُ مِنْكِ عِدادَ السَّلِيمِ ، فَيَا دِينَ قَلْبِيَ مَاذا يُدانُ[1]

عَوَاطِفُ مِنْ مُقْلِقَاتِ الغَرَا مِ يَوْمَ دُمُوعِي بِهَا أرْوِنَانُ[2]

وَيَأبَى الجَوَى أنْ أُسِرّ الجَوَى ، إذا مُلِىءَ القَلْبُ فَاضَ اللّسَانُ

وَمَا خَيرُ عَيْنٍ خَبَا نُورُهَا ، وَيُمْنَى يَدٍ جُذَّ مِنْهَا البَنَانُ

فَيَا أثَرَ الحُبّ أنّى بَقِيتَ ، وَقَدْ بَانَ مِمّنْ أُحِبُّ العِيَانُ

وَقَالُوا : تَسَلّ بأتْرَابِهَا ، فأينَ الشّبَابُ ، وَأينَ الزّمَانُ ؟

١ العداد : وقت الموت . السليم : اللديغ . الدين : الداء .

٢ الأرونان : الصعب ، الشديد من كل شيء ، وقد مر .

أمواه ونيران

قال في الحنين والاشتياق :

يا رَوْضَ ذي الأثلِ من شَرْقيّ كاظمةٍ ، قد عاوَدَ القلبُ ، من ذِكرَاكَ ، أديانَا
أمُرّ بالرّكْبِ مُجتازاً بذي سَلَمٍ ، لَوْ ما شَرَيتُكَ بالأوْطانِ أوْطَانَا
شَغَلتَ عَيني دُمُوعاً وَالحَشَى حُرَقاً ، فَكَيْفَ ألِفْتَ أمْوَاهاً وَنِيرَانَا
أشُمّ مِنْكَ نَسِيماً لَسْتُ أعرِفُهُ ، أظُنّ ظَمياءَ جَرّتْ فيكَ أرْدانَا
أشبَهْتَ أظعانَ ذاكَ الحَيّ من يَمَنٍ طِيباً وَحُسْناً وَأغْصَاناً وَكُثْبَانَا
لَوْ أستَطيعُ لمَا سَافَتكَ سَائِفَةٌ ، وَلا جَنَاكَ فَتًى رَنْداً وَلا بَانَا
ألقاكَ وَالقَلْبُ صَافٍ من رَجيعِ هوًى ، وَأنثَنِي عَنكَ بالأشْوَاقِ نَشوَانَا
وَلا تَدَاوَيتُ من قُرْحٍ فرَى كَبِدي ؛ وَلا سَقَانيَ رَاقي الحَيّ سُلْوَانَا
يَقُولُ صَحبي ، وَقد أعياهُمُ طرَبي : بَعضَ الأسَى إنّما أحبَبْتَ إنْسَانَا[1]
أينَ الخِيَامُ الّتي كُنّا نَلُوذُ بهَا بالأبرقَينِ ، وَأينَ الحَيّ مُذْ بَانَا
لا هِجتُ لي قَنَصاً من بَعدِ بَينِهِمُ ، وَلا ذَعَرْتُ عَنِ الأطلاءِ غِزْلانَا[2]
أنسَيتَنِي النّاسَ ، إذ أذكَرْتَنِي بهِمُ ، يا مُهدِياً ليَ تَذْكاراً وَنِسْيَانَا

١ الطرب : هنا بمعنى الحزن . الأسى : التعزية .

٢ القنص : الصيد . الأطلاء ، الواحد طلى : ولد الظبي ساعة يولد .

يا طائر البان

قال قدس الله روحه أيضاً :

يَا طَائِرَ البَانِ غِرِّيداً عَلَى فَنَنٍ ! ... مَا هَاجَ نَوْحُكَ لي يا طائرَ البَانِ
هَلْ أنتَ مُبلغُ مَن هامَ الفؤادُ بهِ ؟ ... إنّ الطّليقَ يُؤدّي حاجةَ العَاني[1]
ضَمَانَةٌ مَا جَنَاهَا غَيرُ مُقلتِهِ ... يَوْمَ الوَداعِ فيَا شَوْقي إلى الجَاني[2]
مُغَفَّلٌ عَنْ هُمومي في بُلَهنيَةٍ ، ... أرْعَى النّجُومَ ، وَطَرْفَاهُ قَرِيرَانِ[3]
يَنأى وَيَدْنُو على خَضرَاءَ مُورِقَةٍ ، ... لُعْبَ النُّعَامَى بأوْرَاقٍ وَأغْصَانِ
كالقُرْطِ عُلّقَ في ذِفرَى مُبتَّلَةٍ ، ... بَينَ العَقَائِلِ قُرْطَاهَا قَلِيقَانِ[4]
هيهاتَ ما أنتَ مِن وَجْدي ولا طرَبي ، ... وَلا لقَلبِكَ أشجَاني ، وَأحزَاني
وَلا نَظَرْتَ إلى مَاءٍ عَلَى ظَمَإٍ ، ... تَبغي الوُرُودَ وَلَيسَ الوِرْدُ بالدّاني
وَلا فُجِعتَ وَقَد سارَتْ رَكَائِبُهُمْ ... يَوْمَ الغَمِيمِ بِغِزْلانٍ كَغِزْلانِ[5]
لَوْلا تَذَكُّرُ أيّامي بِذِي سَلَمٍ ، ... وَعِنْدَ رَامَةَ أوْطَارِي وَأوْطَاني
لمَا قَدَحتُ بنارِ الوَجدِ في كَبِدي ، ... وَلا بَلَلْتُ بمَاء الدّمع أجفَاني

١ العاني : الأسير .

٢ الضمانة : الحب .

٣ بلهنية العيش : رخاؤه .

٤ القرط : ما يعلق في شحمة الأذن من درة وغيرها . الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . المبتلة : الجميلة التامة الخلق .

٥ الغميم : واد .

ظالم طيب ظلمه

قال قدس الله روحه في غرض من الأغراض

أذاعَ بذي العَهْدِ عِرْفَانُهُ ، وَعَاوَدَ للقَلْبِ أدْيَانُهُ
وَأضرَبَ سَمْعٌ عَنِ العاذِلاتِ لهَا شَانُهَا ، وَلَهُ شَانُهُ
وَمَاطَلَ قَلْباً بِإبْلالِهِ ؛ مِطَالُ الغَرِيمِ وَلَيَّانُهُ
أهَاجَكَ ذا الحَيُّ مِنْ وَائِلٍ تُحَمَّلُ للبَيْنِ أظْعَانُهُ
نأى السِّرْبُ عنك ، وَعَهدي به تَكَنَّسُ في القَلْبِ غِزْلانُهُ[1]
لَئِنْ أوْحَشَ الرَّبْعَ حُلاّلُه ، لَقَدْ عَمَرَ القَلْبَ سُكّانُهُ
مَرَرْنَ غُدُوّاً بِرَوْضِ الصَّرِيمِ ، رَاقَ من النَّوْرِ ظُهرَانُهُ[2]
فَحَنَّ لإلمَامِهِمْ أثْلُهُ ، وَمَالَ إلى قُرْبِهِمْ بَانُهُ
وَمَا حَمَلَتْ مِثلَ تلكَ البُدُورِ بَينَ الذّوَائِبِ أغْصَانُهُ
وَلي نَاظِرٌ بَعْدَ بَينِ الخَليطِ مَاتَ مِنَ الدّمْعِ إنْسَانُهُ
رِوَاءٌ مِنَ المَاءِ آمَاقُهُ ؛ ظِمَاءٌ مِنَ النّوْمِ أجْفَانُهُ
يَرُوحُ بِهِمْ سَاهِراً طَرْفُه ، وَيَغْدُو لَهُمْ دامعاً شَانُهُ

١ تكنسه : اتخذه كناساً ، والكناس بيت الظبي .
٢ الصريم : موضع . النور : الزهر الأبيض . الظهران : جمع ظهر .

يُرَاخي الهوَى ، فأُرِيغُ السّلُوّ، قَليلاً ، وَتُجْذَبُ أشْطَانُه[١]
فَأيْنَ مِنَ الدّاءِ إفرَاقُهُ ؛ وَأينَ مِنَ القَلْبِ سُلْوَانُهُ
فيَا ظَالِماً طَيّباً ظُلْمُهُ ، كَثيراً علَى القَلْبِ أعْوَانُهُ
تَبِعْتُ فُؤادي إلى حُبّهِ مُطِيعاً ، وَإنْ لَجّ عِصْيَانُهُ
يُبَاعُ بسَوْمِكَ حَبُّ القُلوبِ، وَتَغْلَقُ عِنْدَكَ أثْمَانُهُ
وَشَرُّ الإسَاءَةِ مِنْ مَالِكٍ أسَاءَ ، وَمَا نِيلَ إحْسَانُهُ
وَقد كنتُ أُشفِقُ من ذا الصّدو دِ ، مُذْ أوْدَعَ القَلبَ خُوّانُه[٢]
وَيا رَاكِباً لَجْلَجَتْ نِضْوَهُ ثَنَايَا الغُوَيْرِ ، وَنَجْرَانُه[٣]
يُرَوّعُهُ الصّبْحُ إسْفَارُهُ ، وَيُؤنِسُهُ اللّيْلُ إدْجَانُه[٤]
إذا مَنْزِلٌ آنَ تَعْرِيسُهُ ، طَوَاهُ عَلى الأينِ ظُعّانُه[٥]
تَحَمّلْ أَلُوكَةَ حَامي الضّلُو عِ ، طَالَ من البَيْنِ إرْنَانُهُ
إلى الحَيّ مِنْ يَمَنٍ أنّهُمْ وَدائِعُ قَلْبي وَخُلْصَانُهُ
لَنَالُوا مِنَ القَلْبِ مَا لمْ يَنَلْ زَعَازِعُ حَيٍّ وَشَيْحَانُه[٦]
لأنْتُمْ أسِنّةُ يَوْمِ الطّعَانِ ، إذا أسْلَمَ السّرْحَ فُرْسَانُه[٧]

١ أراغه : أراده ، وطلبه . الأشطان : الحبال ، الواحد شطن .
٢ قوله : أودع ، هكذا في الأصل ، ومعناها غير موافق ، ولعلها ودع .
٣ لجلجت : رددت . الغوير : ماء لبني كليب . نجران : مر ذكرها .
٤ ادجانه : ظلمته .
٥ آن : حان . تعريسه : نزوله ليلا . الأين : الإعياء . ظعانه : الراحلون فيه .
٦ الزعازع ، الواحدة زعزاعة : الكتيبة الكثيرة الخيل . الشيحان : الغيور الحازم
٧ السرح : المال الراعي .

كَـأنّ الجِيَـادَ ، تَسَامَى بكم ، قِنَانُ الشّرِيفِ وَعُقْبَانُهُ[1]
وَهَلْ زَانَ تِيجَانُهُ أُسرَةً جِبَاهُهُمُ الغُرُّ تِيجَانُهُ ؟
وَإنّ رِبَاطَ بَنِي مَالِكٍ تُقَادُ إلى المَوْتِ أرْسَانُهُ
إذا الفَيْلَقُ المَجرُ أدْلَى لَهُ إلى قُلُبِ الذِّمْرِ مُرّانُهُ[2]
يَـكُونُ سِوَاكُمْ عقَابِيلَهُ ، وَأنْتُمْ إلى الطّعْنِ سَرْعَانُهُ[3]
وَمَا كُلّ أصْلٍ كَرِيمِ العُرُو قِ تَأبَى عَلى الغَمْزِ عِيدانُهُ
لَكُمْ كُلّ جَمعٍ كَمَا أقبلَتْ تَمَوّجُ بالنّحْلِ غِيرَانُهُ
كَأنّ أسِنّتَهُ في القَنَا شَرَارٌ ظُبَى البِيضِ نِيرَانُهُ
هل المَوْتُ إلاّ إذا استَجمَعَتْ كُعُوبُ القَنيّ وَأيْمَانُهُ
إذا دَبّرَ الطّعْنَ أُوهِمتُهُ ، تَنِمّ إلى النّجْمِ خِرْصَانُهُ[4]
لَقَدْ ضَلّ عَهدُكُمُ باللّوَى ، وَطَالَ بِدَمْعي نِشْدانُهُ
أنَاقِشُكُمْ ، وَوَرَاءَ النّقا شِ أنفُ العَلُوقِ وَرِئْمَانُهُ[5]
وَأهجرُكُمْ هَجرَ مُستَعتِبٍ ، وكَمْ وَامِقٍ طَالَ هِجرَانُهُ
فَأنْأى وَأقْرَبُ أوبِ الظّلِيـ ـمِ يَنْتَظِرُ الطُّعمَ رِئْلانُهُ[6]

١ القنان ، الواحدة قنة : الجبل المنفرد ، المستطيل في السماء . العقبان : الواحد عقاب : الرابية ، وكل مرتفع لم يطل جداً .
٢ القلب ، الواحد قليب : البئر . الذمر : الشجاع . المران : الرماح .
٣ عقابيله : بقايا علته . سرعانه : أوائله المتقدمون .
٤ الخرصان : الرماح القصيرة .
٥ العلوق : الناقة . الرئمان : عطف الناقة على ولدها .
٦ الأوب : الرجعة . الرئلان ، الواحد رأل : ولد النعام .

سيَبعَدُ عنكُمْ علَى حَسرَةٍ طَوِيلُ جوَى القَلبِ أسوَانُهُ
تبَدّلُ بِالمَرْءِ أحبَابُهُ ، وَتَنْبُو عَلى المَرْءِ أوْطَانُهُ
إذا منزِلٌ رَابَ سُكّانَهُ ، مِنَ الأرْضِ ، حُرّمَ إيطَانُهُ
إذا كَانَ صَعباً تَنَاسَى الحَنِينَ إلَيكُمْ ، فهَيهَاتَ نِسيَانُهُ
وَشَيّبَنِي ، وَالصِّبَا وَارِقٌ عَليّ ، وَمَا انجَابَ رَيْعَانُهُ
حَمِيمٌ تَقَلّبُ أخلاقُهُ ، وَمولًى تلَوّنُ ألْوَانُهُ

دولة الحسن

قال رحمه الله تعالى في الحنين

يا ظَالمي ، وَالقَلْبُ نَاصِرُهُ ، يجني عَليّ لَهُ كَمَا يَجْني
أجمَعتَ هَجْرِي،وَالفِرَاقَ مَعاً، أوَمَا بِوَاحد مِني
لمْ أنسَ مَوْقِفَنَا ، وَقَد طَلَعَتْ كالشّمسِ تحتَ حَوَاجبِ الدّجنِ
تَرْنُو إليّ بعَينِ مُطفِلَةٍ رَعَتِ النّوَى وَمَسَاقِطَ المُزْنِ
سَهْمٌ وَجَدْتُ لَهُ عَلَى كَبِدي ألَماً ، وَآلَمُ صَرْفَهُ عَنّي
سمَحتْ بكُم نَفسِي على مَضَضٍ ، وَلَرُبّ سَامِحَةٍ عَلَى ضِنّ
هَيهاتَ يَعدِلُ في قَضِيّتِهِ ، قَمَرٌ يُدِلّ بِدَوْلَةِ الحُسْنِ

عيد الضنى

قال قدس الله تعالى روحه بعد خروجه من مكة المشرفة متوجهاً إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفرغ من هذه القصيدة عند رحيله من بطن مر الظهران طالباً عسفان وذلك في مستهل المحرم سنة ٣٩٤ :

أعَادَ لي عِيدَ الضّنَى جِيرَانُنَا عَلَى مِنَى
مَوَاقِفٌ تُبْدِلُ ذا الشّيْـ ـبِ شِطَاطاً بِحِنَى[١]
يَقُولُ مَنْ عَايَنَ هَا تِيكَ الطُّلَى وَالأعْيُنَا
هَذا غَزَالٌ قَدْ عَطَا ؛ وَذاكَ ظَبْيٌ قَدْ رَنَا
وَا لَهْفَتَا مِنْ وَاجِدٍ عَلَى الشّبَابِ وَالغِنَى
مِنْ أجْلِهَا يَرْضَى الغَرِيـ ـبُ بالبَوَادي وَطَنَا
أنْسَى قَنَا مُرّانِهَا ، مَوَارِنٌ ذاتُ قَنَا[٢]
يُلْقَى بِهَا فَوَارِسٌ ، لا يَحْفِلُونَ الجُبُنَا
مُجتَمِرَاتٌ رُحْنَ عَنْ رَمْيِ الجِمَارِ مَوْهِنَا
تَرَوُّحَ السّرْبِ عَنِ الـ ـوِرْدِ ، إذا اللّيْلُ دَنَا
كَمْ كَبِدٍ مَعْقُورَةٍ للعَـاقِرِينَ البُدُنَا

١ الشطاط : حسن القوام . الحنى : اللي ، والعطف .

٢ الموارن : أعالي الأنوف ، الواحد مارن . القنا : ارتفاع أعلى الأنف .

بِأعْيُنٍ تَرَكْنَهَا عَلَى القُلُوبِ أعْيُنَا
وَإنّمَا جَعَلْنَهَا لِرَدّ قَوْلٍ ألْسُنَا
يُورِقُ مِنْهُنّ الحَصَى حَتّى يَكَادُ يُجْتَنَى
لِيَهْنَ مَنْ لمْ يَفتَتِنْ ، إنّا لَقِينَا الفِتَنَا
يُخْفي تَبَارِيحَ الهَوَى ، وَقَدْ عَنَانَا مَا عَنَا
كَمَا النّزُوعُ عِندَكُم ، كَذا النّزَاعُ عِنْدَنَا
يا صَاحِبَيّ رَحْلِي : قِفَا ، فَسَائِلا لي الدّمَنَا
بالغَمْرِ قَدْ غَيّرَهَا صَوْبُ الغَمَامِ مُدْجِنَا
وَأمْطِرَا دَمْعَيْكُمَا ذاكَ الكَثِيبَ الأيْمَنَا
الدّارُ عِنْدي سَكَنٌ ، إذا عَدِمتُ السّكَنَا[1]
قَالا : وَمِنْ أينَ رَمَا كَ الشّوْقُ؟قلتُ: من هُنَا
وَصَاحِبٍ نَبّهْتُهُ بَعْدَ اللّغُوبِ وَالوَنَى
رَمَى الكَرَى في سَمعِهِ ، فَبَعْدَ لأْيٍ أذِنَا
وَقَامَ كالمُصْعَبِ ذي الـ رّوْقِ يَجُرّ الرّسَنَا[2]
فَقُلْتُ : مَنْ مُعَاقِدي عَلَى الرّدَى ؟ قالَ : أنَا
اتّقِ مَا بي تَتّقِي ، وَلَوْ أنَابِيبَ القَنَا
كُلُّ الظُّبَى حَدائِدٌ ، وَقَلّ مِنْهَا المُقْتَنَى

١ السكن الأولى : النار . السكن الثانية : ما يسكن إليه ويستأنس به .
٢ المصعب : الفحل الصعب المقادة . الروق : الحسن الخلق يعجب الناظر .

وَإنّمَا الصّوْنُ عَلى قَدْرِ المَضَاءِ وَالغِنَا
وَبَارِقٍ أشِيمُهُ ، كالطّرْفِ أغضَى ، وَرَنَا
أوْ رُمْحٍ مَحْبُوكِ القَرَا بَاتِ شَمُوعاً أرِنَا[1]
أيْقَظْتُ عَنْهُ صَاحِباً يَنجابُ عُلْوِيَّ السّنَا
فَقُلْتُ : إيهِ نَظَراً ، أمَا قَضَيتَ الوَسَنَا ؟
أينَ تَقُولُ صَوْبُهُ ؟ فَقَالَ لي : دونَ قَنَى[2]
ذَكّرَني الأحْبَابَ ، وَالْ ذّكْرَى تَهيجُ الحَزَنَا
أضَامِنٌ أنْ لا يَنِي يَشُوقُ قَلْباً ضَمِنَا[3]
مِنْ بَطْنِ مُرٍّ وَالسُّرَى تَؤمّ عُسْفَانَ بِنَا[4]
وَبالعِرَاقِ وَطَرِي ، يا بُعْدَ مَا لاحَ لَنَا
أشْتَاقُهُمْ ، وَمُرْبِخٌ إلى زَرُودٍ بَيْنَنَا[5]
يا وَيْحَ لي مِنْ شَجَنِي ، أمَا مَلَلْتُ الشّجَنَا
رَحّلَني عَنْ وَطَني ، إنّي ذَمَمْتُ الوَطَنَا
مَا رَابَني مِنْ أبعَدِي مَا رَابَني مِنَ الدُّنَى[6]

١ الشموع : اللاعب . الأرن : النشيط .
٢ قنى : موضع باليمن .
٣ الضمن : العاشق .
٤ بطن مر وعسفان : موضعان كلاهما على مرحلتين من مكة .
٥ مربخ : رملة بالبادية . وزرود : موضع فيها .
٦ الدنى : الأقارب .

وَلَوْ وَجَدْتُ مرْقَعاً ثوْبِي زَمَنَا
أنّى ، وَمَنْ يَغلِبُ بالـ رفع أديماً لَخِنَا[1]
أقْسَمْتُ بالمَحجوجِ مَرْ فُوعِ العِمَادِ وَالبُنَى[2]
مثلِ سَنَامِ العَوْدِ قَدْ عَالوا عَلَيْهِ الظُّعُنَا
مَوْضُوعَةٌ صِفَاحُهُ ، وَضْعَ المَطِيِّ الثّفِنَا[3]
وَالأسْوَدُ المَلمُوسُ قَدْ جَابُوا عَلَيْهِ الرُّكُنَا[4]
يَلْقَى عَلَيْهِ مُضَرٌ ، بَعْدَ الصّفَاءِ اليَمَنَا
تحَكُّكُ الجُرْبِ عَلَى الـ أجْذالِ مِنْ مَضٍّ الهَنَا[5]
لأُقْبِلَنّ مَعْشَراً تِلْكَ الطّوَالَ اللُّدُنَا[6]
تَلَمُّظَ الأصْلالِ لَجْـ لَجْنَ إلَيْنَا الألْسُنَا
يَطْلُبْنَ وِرْدَيْ ظَمَإٍ : إمّا الرّدَى ، أوِ المُنَى
يُصْبِحُ في أطْرَافِهَا للقَوْمِ فَقْرٌ وَغِنَى
لَقَدْ أنَى أنْ أحْمِلَ الـ ضّيمَ بها لَقَدْ أنَى

١ لخن : أنتن .
٢ المحجوج : أراد به الكعبة . البنى جمع البنية : ما بنيته .
٣ الثفن ، الواحدة ثفنة : ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ .
٤ الأسود : أي الحجر الأسود . جابوا : قطعوا . الركن : ما يقوى به ، والعز والمنعة ، والجانب الأقوى .
٥ الأجذال ، الواحد جذل : عود ينصب للبعير الجرب ليحتك به . المض : اللذع . الهنا : القطران .
٦ أقبله الشيء : جعله قبالته .

ضجيعان

قال أيضاً قدس الله تعالى روحه :

تُضَاجِعُني الحَسناءُ وَالسّيفُ دونَها، ضَجيعانِ لي وَالسّيفُ أدناهما منّي
إذا دَنَتِ البَيْضَاءُ منّي لحَاجَةٍ ، أبَى الأبيَضُ المَاضِي ، فأبعدَها عنّي
وَإنْ نَامَ لي في الجَفنِ إنسانُ ناظِرٍ، تَيَقّظَ عنّي ناظِرٌ ليَ في الجَفنِ
أغَرْتُ فتَاةَ الحَيّ مِمّا ألِفْتُهُ ، أُغَلْغِلُهُ دونَ الشّعَارِ مِنَ الضّنِّ
وَقالتْ: هَبُوهُ لَيلَةَ الخَوْفِ ضَمّه، فَمَا عُذرُهُ في ضَمّهِ لَيلَةَ الأمنِ

لولا العيون النجل :

قال قدس الله تعالى روحه وهو في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في المحرم سنة ٣٩٤ :

وَما كُنتُ أدرِي الحُبّ حتّى تعرّضَتْ عُيُونُ ظِبَاءٍ بالمَدينَةِ عِينِ
فَوَاللهِ مَا أدْرِي الغداةَ رَمَيْنَنَا عَنِ النّبْعِ أمْ عن أعينٍ وَجُفُونِ[1]

---

١ النبع : شجر تصنع منه القسي .

بكُلّ حَشًى مِنّا رَمِيّةُ نَابِلٍ ، قَوِيٍّ عَلَى الأحشاءِ ، غَيرِ أمِينِ
فَرَرْتُ بطَرْفي مِن سِهامِ لِحاظِها ، وَهَلْ تُتَلَقّى أسهُمٌ بِعيُونِ
وَقالوا: انتَجعْ رَعيَ الهوَى من بلادِه ، فَهَذا مَعَاذٌ مِنْ جَوًى وَحَنِينِ
فَيا بانتَيْ بَطْنِ العَقيقِ سُقيتُمَا بِماءِ الغَوَادي بَعدَ مَاءِ شُؤُونِ
أُحِبُّكُمَا ، وَالمُستَجِنّ بطَيْبَةٍ ، مَحَبّةَ ذُخْرٍ بَاتَ عِندَ ضَنِينِ[1]
جلَوْنَ الحِداقَ النُّجلَ وَهيَ سَقامُنا ، وَوَارَيْنَ أجْيَاداً وَسُودَ قُرُونِ
وَلَوْلا العيُونُ النُّجلُ ما قادَنا الهوَى لِكُلّ لَبَانٍ وَاضِحٍ ، وَجَبِينِ[2]
يُلَجلِجْنَ قُضْبَانَ البَشامِ عَشيّةً ، عَلى ثَغَبٍ مِنْ رِيقِهِنّ مَعِينِ[3]
تَرَى بَرَداً يُعدي إلى القَلْبِ بَرْدُهُ ، فيَنقَعَ مِنَ قَبلِ المَذاقِ بحِين
تَماسَكْتُ لمّا خالَطَ اللّبَّ لَحظُها ؛ وَقَدْ جُنّ مِنهُ القَلْبُ أيّ جُنونِ
وَمَا كانَ إلاّ وَقفَةٌ ثمّ لمْ تَدَعْ دَوَاعي النّوَى مِنهُنّ غَيرَ ظُنُونِ
نَصَصْتُ المَطايا أبتَغي رُشْدَ مَذهبي ، فأقلَعْنَ عَنّي . وَالغَوَايَةُ دُوني[5]

١ أراد بالمستجن : المدفون . طيبة : المدينة المنورة .
٢ اللبان : الصدر .
٣ يلجلجن : أي يدرن في أفواههن . البشام : شجر عطر يستاك به بعيدانه . الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس ، فيبرد ماؤه .
٤ يعدي : أراد يجاوز .
٥ النص : استخراج أقصى ما عند الدابة من السير .

النوم طرح في محاجره

قال أيضاً قدس الله تعالى سره :

وَصَاحِبٍ في أُصَيحابٍ أنَخْتُ بِهِ   عَلى زَرُودَ ، وَمَوْجُ اللّيلِ يَغشَانَا
ثَنَى الذّرَاعَ ، وَألقَى فَضْلَ لِمتّهِ   عَلى الكَثيبِ، خميصَ البَطنِ طيّانَا[1]
نادَيْتُهُ ، بَعدَما مَالَ الجَنوبُ بهِ :   أبَا نَعَامَةَ أبْرَدْنَا قُمِ الآنَا
فقامَ ، وَالنّوْمُ طِرْحٌ في مَحاجِرِهِ ،   لا يُرْسِلُ الطّرْفَ إلاّ عَادَ وَسنَانَا
مُستَأخِرٌ ، وَمَطَايا الرّكبِ سائرَةٌ ،   أحموقَةٌ ، إنّ عَقلَ المَرْءِ قد رَانَا[2]
يَهوَى الرُّقادَ كأنّ الرّملَ أفرَشَهُ   نَمَارِقَ ابنَةِ مَنظورِ بنِ زَبّانَا[3]

١ خميص البطن : ضامره . الطيان : الجوعان .

٢ الأحموقة : الشديد الحماقة ، فساد العقل . ران : خبث .

٣ النمارق ، الواحدة نمرقة : الوسادة . منظور بن زبان : أحد سادات صدر الإسلام .

نفاثات القلب

قال أيضاً رضي الله تعالى عنه :

وَلَيسَ مِنَ الفرَاغِ يَشُرْنَ عَنّي نُفَاثَاتٌ يَجِيشُ بِهَا الجَنَانُ
وَلَكِنْ مُهجَةٌ مُلِئَتْ فَفَاضَتْ، وَضَاقَ القَلْبُ ، وَاتّسَعَ اللّسَانُ

قتيل العيون النجل

قال قدس الله تعالى روحه
وهي من لواحق الحجازيات :

يا رَفيقَيّ قِفَا نِضْوَيْكُما ، بَينَ أعْلامِ النّقَا وَالمُنْحَنَى
وَانْشُدا قَلْبي فَقَدْ ضَيّعتُهُ باختِيَارِي بَينَ جَمعٍ وَمِنَى
عَارِضَا السّرْبَ فإنْ كانَ فتًى بالعُيُونِ النُّجلِ يَقضِي ، فأنَا
إنّ مَنْ شَاطَ عَلَى ألحاظِهَا . ضِعفُ من شاطَ على طولِ القَنَا[1]
تَجرَحُ الأعيُنُ فِينَا وَالطُّلَى، قاتَلَ اللهُ الطُّلَى وَالأعيُنَا

١ شاط : هلك .

ثُمّ كَانَتْ ، بِقُبَاءٍ ، وَقفَةٌ ضَمِنَتْ للشّوْقِ قَلْباً ضَمِنَا[1]
وَحَدِيثٍ كَانَ مِنْ لَذّتِهِ ، أُحُدٌ يُصْغي إلَيْنَا أُذُنَا[2]
غَادَرُوني جَسَداً تُظْهِرُهُ لهمُ الشّكوَى وَيُخفيهِ الضّنَى
حَبّذا مِنكُمْ خَيَالٌ طارِقٌ مَرّ بالحَيّ وَلَمْ يُلْمِمْ بِنَا
باخِلٌ بُخْلَ الذي أرْسَلَهُ ، سُئِلَ النَّيلَ ، وَمَا جادَ لَنَا
سَرْحَةٌ أعْجَلَهَا البَينُ ، وَمَا لُبِسَ الظّلُّ ، وَلا ذيقَ الجَنَى
ما رَأتْ عَيْنيَ مُذْ فارَقْتُكُمْ ، يا نُزُولَ الحَيّ ، شَيْئاً حَسَنَا

ما اسرع الأيام

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه يعزي الوزير أبا علي الحسن بن أحمد رحمه الله تعالى عن ولد له توفي وذلك في المحرم سنة ٣٩٦ :

مَا أسرَعَ الأيّامَ في طَيّنَا ، تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمّ تَمضِي بِنَا
في كُلّ يَوْمٍ أمَلٌ قَدْ نَأى مَرَامُهُ عَنْ أجَلٍ قَدْ دَنَا
أنذَرَنَا الدّهْرُ ، وَما نَرْعَوِي ، كَأنّمَا الدّهْرُ سِوَانَا عَنَى

١ قباء : موضع قرب المدينة . الضمن : العاشق .
٢ أحد : جبل مشهور .

تَعاشياً ، والمَوْتُ في جدّه ؛ مَا أوْضَحَ الأمرَ ومَا أبْيَنَا[1]
والنّاسُ كالأجمَالِ قد قُرّبتْ ، تَنْتَظِرُ الحَيّ ، لأنْ يَظْعَنَا
تَدْنُو إلى الشّعْبِ ومِنْ خلفِها مُغَامِرٌ يَطْرُدُهَا بالقَنَا
إنّ الأُلى شَادُوا مبَانيهِمُ ، تهَدّمُوا قَبْلَ انْهِدامِ البُنَى
لا مُعْدِمٌ يَحْميهِ إعْدامُهُ ، ولا يَقي نَفْسَ الغَنيّ الغِنَى
كَيْفَ دِفَاعُ المَرْءِ أحْداثَهَا فَرْداً ، وأقْرَانُ اللّيَالي ثِنَى[2]
حَطّ رِجَالٌ ،ورَكِبْنَا الذُّرَى، وعُقْبَةُ السّيرِ لمَنْ بَعْدَنَا[3]
كَمْ من حَبيبٍ هانَ مِن فَقدِهِ مَا كُنْتُ أنْ أحْسَبَهُ هَيّنَا
أنفقْتُ دَمْعَ العينِ مِنْ بعدِهِ ، وقَلّ دَمْعُ العَينِ أنْ يُحْزِنَا
كُنْتُ أُوَقّيهِ ، فَأسكَنْتُهُ بَعدَ اللّيَانِ المَنْزِلَ الأخشَنَا
دَفَنْتُهُ ، والحُزْنُ مِن بَعدِهِ ، يَأبَى عَلى الأيّامِ أنْ يُدْفَنَا
يا أرْضُ ! ناشَدتُكِ أنْ تَحفظِي تلكَ الوُجُوهَ الغُرَّ . والأعْيُنَا
يا ذُلّ مَا عِندَكِ مِنْ أوْجُهٍ ، كُنّ كِرَاماً أبَداً عِنْدَنَا
والحَازِمُ الرّأيِ الذي يَغتَدي مُستَقْلِعاً يُنذِرُ مُستَوْطِنَا
لا يَأمَنُ الدّهْرَ عَلى غِرّةٍ ، وعَزّ لَيثُ الغابِ أنْ يُؤمَنَا
كَأنّمَا يَجْفُلُ مِنْ غَارَةٍ ، مُلْتَفِتاً يَحْذَرُ أنْ يُطعَنَا

١ التعاني : التجاهل .
٢ أقران الليالي : أراد مقاومة الليالي . الثنى : ما يعاد مرتين .
٣ حط : هبط . العقبه : النوبة .

أُخَيّ ! جَبراً لكَ مِنْ عَثْرَةٍ ، لا بُدّ للعَاثِرِ أنْ يُوهَنَا[1]
إنّ الّتي آذَتْكَ مِنْ ثِقْلِهَا، هَلُمَّهَا ، نَحْمِلُهَا بَيْنَنَا
ساقَيتُكَ الحُلْوَ ، فَلا بِدْعَةً إنْ أنَا طَاعَمتُكَ مُرّ الجَنَى
سَلَبْتَ مَا أعْجَزَنَا رَدُّهُ ، في قُوّةِ السّالِبِ عُذْرٌ لَنَا
جِنَايَةُ الدّهْرِ لَهُ عَادَةٌ ، فَمَا لَنَا نَعْجَبُ لَمّا جَنَى
مَنْ كانَ حِرْمانُ المُنَى دأبَهُ ، فالفَضْلُ إنْ بَلّغَ بَعضَ المُنَى
كَمْ غَارِسٍ أمّلَ في غَرْسِهِ ، فأعجَلَ المِقْدارُ أنْ يُجْتَنَى
ما الثّلْمُ في حَدّكَ نَقْصاً لَهُ ، قَد يُثْلَمُ العَضْبُ، وَقد يُقتَنَى
يأبَى لكَ الحُزْنُ أصِيلَ الحِجَى ، وَيَقتَضِيكَ الرُّزْءُ أنْ تَحْزَنَا
وَالأجرُ في الأُولى وَإنْ أقْلَقَتْ، وَرُبّمَا نَسْتَقْبِحُ الأحْسَنَا
ذا الخُلُقِ الأعلَى ،فخُذْ نَهجَه ، وَاتْرُكْ إلَيْهِ الخُلُقَ الأدْوَنَا
أبَا عَلِيٍّ ! هَلْ لأمْثَالِهَا غَيرُكَ إنْ خَطْبُ زَمانٍ عَنَى[2]
فانْهَضْ بها ، إنّكَ من مَعشَرٍ، إنْ جُشّموا الأمرَ أبانُوا الغِنَى
وَاصْبِرْ عَلى ضَرّائِهَا ، إنّمَا نُغَالِبُ القِرْنَ إذا أمْكَنَا

١ يوهن ، من الوهن : الضعف .
٢ عنى : حدث ، نزل .

الظباء السالبات

قال قدس الله تعالى روحه

يا صَاحِبَيَّ تَرَوَّحَا بِمَطِيَّتِي ، إنّ الظّبَاءَ بذي الأرَاكِ سَلَبْنَنِي[1]
سِيرَا ،فَقَدْ وَقَفَ الطّعينُ لِمَا به مُستَسلِماً وَنَجا الذي لمْ يُطعَنِ
ما سَرّني ،وَقَنا اللّحاظِ تَنُوشُني ، أنّي هُنَاكَ قَتيلُ غَيرِ الأعيُنِ

الله أنظر وأرأف

قال أيضاً رضي الله تعالى عنه

قَد قُلتُ للرّجُلِ المُقَسِّمِ أمرَهُ : فَوّضْ إليْهِ تَنَمْ قَرِيرَ العَيْنِ
رُدّ الأمُورَ إلى العَلِيمِ بِغِبّهَا ، وَتَلَقّ مَا يُعطيكَهُ بيَدَيْنِ
اللهُ أنظَرُ لي مِنَ النّفْسِ التي تَغوَى ، وَأرْأفُ بي مِنَ الأبوَيْنِ

١ تروحا : لعله من روح الإبل : ردها إلى المراح .

الموفق جنتي

قال قدس الله تعالى روحه يمدح الموفق بالله أبا علي وزير بهاء الدولة ويهنئه بتلقيبه عمدة الملك ويذكر فتحه لفارس ونواحيها وأنفذها إليه بفارس وذلك في صفر سنة ٣٩٠ :

ضَلالاً لِسَائِلِ هَذي المَغَاني ، وَغَيّاً لطَالِبِ تِلْكَ الغَوَاني
وَمَا أرَبي بِسُؤالِ الطُّلُو لِ إلاّ تَذَكُّرُ مَاضِي زَمَاني
خَليليّ إنْ جُزْتُمَا ضَارِجاً ، فَكُرّا المَطِيّ ، وَرُدّا المَثَاني[1]
وَعُوجَا عَليّ أُحَيّ الدّيَارَ ، فَإنّ الدّيَارَ لِمَنْ تَعْلَمَانِ
سَقَاكِ ،وَلَوْ بِظَمَا مُهْجَتي ، نجُومُ السّمَاكِ ، أوِ المِرْزَمَانِ[2]
وَلا زَالَ جَوُّكِ في نَاضِرٍ مِنَ النَّورِ يَحْمَدُهُ الرّائِدانِ
لَيَاليَ بَينَ بُرُودِ الشّبَا بِ مِنّيَ غُصْنٌ رَطيبُ المَجَاني
وَقَد رَجّلَ البِيضُ مِن لِمّتي بِطَفلِ الأنامِلِ بَضّ البَنَانِ[3]
أفَالآنَ لمّا أضَاءَ المَشيبُ ، وَأمسَى الصّبَا ثانِياً مِنْ عِنَاني
وَقَد صُقِلَ السّيفُ بَعدَ الصّدا ، وَبَانَ لَظَى النّارِ بَعدَ الدّخانِ

١ ضارج : موضع . كرا : اعطفا . المثاني : ركبتا الدابة ومرفقاها .
٢ السماك : كوكب نير ، وهما سماكان يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر السماك الأعزل، لأن ليس أمامه شيء. المرزمان : نجمان مع الشعريين .
٣ الطفل : الرخص الناعم من كل شيء . البض : الرخص .

يَرُدّ الزّمَانُ عَلَيّ الهَوَى ، وَيَطمَعُ في هَفْوَةٍ مِنْ جَنَاني
فَقُلْ للّيَالي : ألا فاقْصِرِي ، كَفَاني مَا عِندَ قَلْبي ، كَفَاني
فَإنّ المُوَفَّقَ لي جُنّةٌ ، أرُدّ بِهَا كُلّ رَامٍ رَمَاني[1]
أغرُّ هِجَانٌ . وَمَا المَكرُماتُ بطَوْعي لِغَيرِ الأغَرّ الهِجَانِ
أيا عِمدَةَ المُلكِ لا استُهدِمَتْ ذُرَاهُ ، وَأنتَ لهَا اليَوْمَ بَاني
وَكيفَ يَني المُلكُ عمّا تَرُومُ ، وَسَعيُكَ مِنْ دُونِهِ غَيرُ وَاني
شَدَدْتَ قُوَاهُ إلى هَضْبَةٍ ، أوَاخيُّهَا كُلُّ عَضْبٍ يَمَاني[2]
مَآثِرُ ثَبّتَّ أطْنَابَهَا ، عَلى النّجمِ وَالقَمَرِ الإضْحيانِ[3]
حَدَوْتَ إلى فَارِسٍ بالرِّمَاحِ ، بِكَرّ الرّدَى يَوْمَ حَرْبٍ عَوَانِ
وَجُرْداً تُفَالِتُ أرْسَانَهَا لِيَوْمِ النّزَالِ وَيَوْمِ الرِّهَانِ
وَأقبَلْتَهَا كَذِئَابِ الغَضَى ، تُعَاسِلُ في الفَيلَقِ الأُرْجوَانِ
تَلَمَّظُ ألْسِنَةُ السّمْهَرِ يِّ ، مَا بَينَ آذانِهَا للطّعَانِ
بأيدي جَرِيّينَ لاكُوا الحُرُو بَ وَارْتَضَعُوها ارْتِضَاعَ اللِّبَانِ
بحَيْثُ تَرَى العِزَّ أمُّ الشّجاعِ ، وَتَقْنَعُ بالذّلّ أمُّ الجَبَانِ
عَلى كُلّ مُعْطٍ عَليّ السِّيَا طَ لا يَستَرِدّ بغَيرِ العِنَانِ

١ الجنة : السترة ، الوقاية .
٢ الأواخي ، الواحدة أخية : حبل يشد به سرادق البيت ، وحبل يدفن في الأرض ، فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة .
٣ القمر الأضحيان : القمر المضيء .

يَكُرُّ إلى الطّعْنِ سامي اللَّبَانِ ، وَيَثْني عَنِ الطّعنِ دامي البَنَانِ
سرًى يَعجِزُ النّجمُ عنْ طُرْقِهِ ، طَوِيلٌ إذا نامَ لَيلُ الهِدانِ[1]
وَعزْمٍ يُشَاوِرُ حَدّ الحُسَامِ ، وَيَدْنُو ، وَقَائِمُهُ غَيرُ داني
مَوَاقِفُ يَذهَلُ فيها الشّجاعُ ، فَمَا الظّنّ بالعاجِزِ الهَيّبَانِ[2]
نَثَرْتَ العِدا بدَداً بَعدَمَا نظَمتَ المَمالِكَ نَظمَ الجُمَانِ
وكَم عُصْبَةٍ أوْضَعتْ في الضّلالِ ، تُنَقّبُ عَنْ يَوْمِها الأرْوَنَانِ[3]
جَذَبْتَ عَنِ الغَيّ أرْسَانَهَا ، وَقَدْ شَافَهَتْهَا المَنَايَا الدّوَاني
وَأرْسَلْتَهَا بِغِرَارِ الحُسَامِ ، وَخاطَبتَها بِلِسَانِ السّنَانِ
فَأعْطَتْكَ آبيَ أعْنَاقِهَا تُطِيعُ المَقَاوِدَ بَعْدَ الحِرَانِ
تَشَكّى مَوَارِنُهَا في يَدَيْكَ مَسّ الخِشاشِ ،وَجذبَ العِرَانِ
فَضَائِلُ ألْفَتَ أشْتَاتَهَا ، وَلَمْ تَكُ مَوْجُودَةً بالعِيَانِ
فَما القَلَمُ اللّدْنُ في رَاحَتَيكَ بأوْلَى مِنَ الأسَلاتِ اللِّدانِ
لِتَهْنِكَ نَعْمَاءُ سُرْبِلْتَهَا، تَقَطَّعُ عَنْهَا العُيُونُ الرّوَاني
عَلى لَقَبٍ بَيّنَتْ صِدْقَهُ مَنَاقِبُكَ الغُرُّ كُلَّ البَيَانِ
وَألقَابُ قَوْمٍ ، إذا بُرْتَهَا تبَايَنُ ألْفَاظُهَا وَالمَعَاني[4]

١ الهدان : الأحمق الثقيل .
٢ الهيبان : الذي يخاف الناس ، الجبان .
٣ الأرونان : الصعب .
٤ برتها : اختبرتها .

فَلا ارْتَجَعَ العِزَّ مُعطيكَهُ ، وَلا زِلْتَ مِنْ عَثْرَةٍ في أمَانِ
وَلازَمَ ثَوْبَيْكَ صِبْغُ العُلَى ، كمَا لَزِمَتْ صِبغَةُ الزِّبرِقَانِ[1]
فَما دُمتَ، فالمُلكُ وَارِي الزّنَا د ، صَافي المَوَارِدِ ، عالي المَباني
لَقدْ نالَ منْ عِزّكَ الأبعَدونَ، وَقَرّبَ مِنْ شَأنِهِ غَيرُ شَاني
فَرِشْني أكُن لكَ سَهمَ النّضَالِ ، وَاغصِبْ عَليّ يَدَيْ مَنْ بَرَاني
وَحُكْ ليَ بُرْدَ العُلَى صَافِياً ، أحُكْ لكَ أمثالَهُ مِن لِسَاني
إذا كُنتَ عَوْني فَمَنْ ذا الذي يُثَبّطُني عَنْ بُلُوغِ الأمَاني
وَأنْتَ الزّمَانُ ، وَأنّى يَخيبُ مَن كانَ مُستَشفِعاً بالزّمانِ

السرج اولى بي

قال يمدح أباه ويعرض بذم بعض أعدائه وذلك قبل عوده من فارس واجتماعه معه عند قدومه من بلاد تدمر وذلك سنة ٣٧٤ :

زَمَانَ الهَوَى ما أنتَ لي بِزَمَانِ ، وَلا لكَ مِنْ قَلْبِي أعَزُّ مَكَانِ
أبَعْدَ القِبَابِ اللاّءِ زُلنَ عنِ الحِمى أرَاعي الهَوَى في أرْبُعٍ وَمَغَانِ
وَسَيرِي أمَامَ الحَيّ وَاللّيلُ حابِسٌ عَلى الظّعنِ من جُدْلٍ لَنا وَمَثاني[2]

١ الزبرقان : القمر ، وقد مر .
٢ الجدل ، الواحد أجدل : الحسن الطي . مثاني الدابة : مر شرحها

وَمُلْتَبِسٍ بالرَّكْبِ بادَرْتُ خلفَهُ ، أُلَوِّحُ بِالأرْدانِ ، وَهوَ يرَاني
وَآخَرُ هزَّتْني إلَيْهِ ارْتِياحَةٌ ، وَمِنْ دونِهِ ذو صَفصَفٍ وَرِعَانِ[1]
تَحَمَّلْتُ سَهْماً أوّلاً مِنْ فِرَاقِهِ ، فلَمّا رَآني لا أخُورُ رَمَاني
أقُولُ لَهُ ، وَالدّمْعُ يَأخُذُ ناظِري بأبيَضَ مِن ماءِ الشّؤونِ ، وَقَاني :
أتَرْضَى عَنِ الدّنْيا وَمَوْلاكَ ساخطٌ ، وتَمضي طَليقاً وَابنُ عَمّكَ عَاني ؟
وَفي ذلكَ الوَادي الذي أنبَتَ الهوَى جِنَابَانِ مِنْ نُوّارِهِ ، أرِجَانِ
وَمَاءٌ تَشِيهِ الرّيحُ كُلَّ عَشيّةٍ ، كَمَا رَقَمَ البُرْدَ الصّبيغَ يَمَاني[2]
مَرَرْتُ بِغِزْلانٍ عَلى جَنَبَاتِهِ ، فأطْلَقْنَ دَمعي وَاختَبَلنَ جَنَاني
وَعَاجَلَني يَوْمُ الرّفيقَينِ في الهوَى ، عَشيّةَ مَا لي بالفِرَاقِ يَدانِ
يَقُولانِ أحْيَاناً : بقَلْبِكَ نَشوَةٌ ، وَمَا عَلِمَا أنّ الغَرَامَ سَقَاني
وَكَمْ غادَرَ البَيْنُ المُفَرِّقُ من فتًى يُمَسِّحُ قَلْباً دائِمَ الخَفَقَانِ
وَمُنْتَزِعٍ مِنْ بينِ جَنْبَيْهِ زَفرَةً ، تُخَلّي دُمُوعَ العَينِ في الهَمَلانِ
وَمَا الحُبّ إلاّ فُرْقَةٌ بَعْدَ ألْفَةٍ ، وَإلاّ حِذارٌ بَعْدَ طُولِ أمَانِ
هوَ الشّغْلُ استَوْلى على كلّ مُهجَةٍ ، وَألقَى ذِرَاعَيْهِ بِكُلّ جَنَانِ
سَلَوْتُ الهوَى وَالشّوْقُ إلاّ ذُؤابَةً تُرَاجِعُ قَلبي مِنْ نَوًى وَتَداني[3]
وَصِرْتُ أرَى أنّ الشّجونَ عَلاقَةٌ ، تَليقُ بِقَلْبِ العَاجِزِ المُتَوَاني

١ الصفصف : المستوي من الأرض . الرعان ، الواحد رعن : أنف الجبل ، والجبل الطويل .
٢ تشيه ، من الوشي : ترقمه . يماني : أي رجل يماني .
٣ ذؤابة كل شيء : أعلاه .

فَهَا أنا ذا لا أُمتِعُ العَينَ بالكَرَى ، وَتَأمُلُ قَوْدَ النَّوْمِ بَعدَ حِرَانِ
تَقَلَّصُ عَن مَسّ النّعاسِ جُفُونُها ، كَمَا قلَّصَتْ للبَارِدِ الشَّفَتَانِ[1]
تُجَمجِمُ للأطمَاعِ في كُلّ لَيلَةٍ ، وَتُقْلِعُ عَنْ قَلْبي بِغَيرِ بَيَانِ[2]
غَرِضْتُ مِنَ العَلياءِ وَهيَ تطولُ بي ، كما غَرِضَ المَقصُوصُ بالطّيَرَانِ[3]
وَلَوْ شِئْتُ جَلّى بي إلى غايةِ العُلَى جَوَادي ، وَلَكِنّي أرُدّ عِنَاني
وَمولًى دَعَا غَيرِي إلى مَا يُرِيدُهُ ، وَلَوْ أنّني مِمّنْ يُجيبُ دَعَاني
وَحَاوَلَ أمْراً يَعْصِبُ الرّيقُ دُونَهُ بنَاجِدِ مَزْؤودِ الفُؤادِ جَبَانِ[4]
يُنَازِعُني الشّحْنَاءَ أنّى لَقِيتُهُ ، وَلَوْ أنّني يَوْماً حَذِرْتُ رِقَاني[5]
وَعوراءَ لَمْ أُنْصِتْ إلَيها ، وَلَمْ أرِدْ جَوَاباً لهَا ، وَالقَوْلُ لَيسَ بِوَانِ[6]
وَلَكِنّني أغضَيتُ عَنهَا كَأنّمَا أقُولُ بسَمعي ، أوْ أعي بِلِسَاني
أرَى السّرْحَ أوْلى بي من الكُورِ في الوَغى ، وَمَا نَاقَتي إلاّ فِداءُ حِصَاني[7]
وَلَمّا تَعَاطَيْنَا النّزَالَ انبَرَى لَنَا ملبٌّ عَلى أعْوَادِهِ بِلُبَانِ[8]

١ تقلص ، وقلصت : تتقبض ، وتنضم .
٢ تجمجم : تخفي وتستر .
٣ غرض : ضجر ومل .
٤ يعصب الريق : يجف . الناجد : الواضح . المزؤود : المذعور
٥ الشحناء : البغضاء . رقاني من الرقي : السحر .
٦ العوراء : الكلمة ، أو الفعلة القبيحة . الواني : الضعيف .
٧ الكور : رحل الناقة . يقول : إن السرح ، أي الجواد ، أولى به يوم الحرب من الناقة ، لأنه أجول ، وأعدى .
الملب ، من ألب الفرس : جعل له لبباً ، وهو ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار السرج . اللبان ، الواحدة لبانة : الحاجة .

فَسَدّدَ رُمْحاً لمْ يَكُنْ بِمُثَقَّفٍ، وَجَرّدَ عَضْباً لَمْ يَكُنْ بِيَمَاني
حَذارِ ، بني العَنقاءِ ، من مُتَطاوِلٍ إلى الحَرْبِ لا يَخشَى جِنَايةَ جَانِ
وَداهِيَةٍ تُصْمي القُلُوبَ كَأنّمَا تَمَطَّرُ عَنْ قَوْسٍ مِنَ الشَّرْيَانِ[1]
فَهَذا وَعِيدٌ سَطوَتي مِنْ وَرَائِهِ ، وَعُنوَانُ نَارِي أنْ يَبِينَ دُخَاني
فَلا يَحسَبِ الأعداءُ كَيْدي غَنيمَةً ، وَلا أنّني في الشرّ غَيرُ مُعَانِ
فإنّي بحَمْدِ اللهِ أقْوَى علَى الأذَى ، وَأنْمَى عَلَى البَغضَاءِ وَالشّنَآنِ
وَأبيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ ، كَأنّما تَلاقَى عَلَى عِرْنِينِهِ القَمَرَانِ
إذا رُمْتُ طَعْناً بالقَرِيضِ حَمَيْتُهُ ؛ وَإنْ رُمْتُ طَعْناً بالرّمَاحِ حَمَاني
يَجُودُ ، إذا ضَنّ الجَبَانُ ، بنَفسِهِ وَيَمضِي ، إذا مَا زَلّتِ القَدَمَانِ
بَصِيرٌ بتَصرِيفِ الأعِنّةِ إنْ سَرَى لِيَوْمِ نِزَالٍ ، أوْ لِيَوْمِ رِهَانِ
تَرَامَى بِهِ الأيّامُ ، وَهْوَ مُصَمِّمٌ ، كَمَا يَرْتَمي بالمَاتِحِ الرَّجَوَانِ[2]
إذا مَا احتَبَى يَوْمَ الخِصَامِ كَأنّما يُحَدّثُنَا عَنْ يَذْبُلٍ وَأبَانِ[3]
أبَا أحمَدٍ ! أنتَ الشّجاعُ ، وَإنّمَا تَجُرّ العَوَالي عُرْضَةً لِطِعَانِ
وَلَمّا غَوَى الغاوُونَ فيكَ ، وَفُرّجَتْ ضُلُوعٌ عَلَى الغِلّ القَدِيمِ حَوَاني
نَجَوْتَ عَنِ الغُمّاءِ ،وَهيَ قَرِيبَةٌ ، نَجَاءَ الثّرَيّا مِنْ يَدِ الدَّبَرَانِ[4]

١ تمطر : تسرع . الشريان : شجر تصنع منه القسي .
٢ الماتح : نازع الماء من البئر . الرجوان : ناحيتا البئر ، الواحد رجا
٣ يذبل وأبان : جبلان .
٤ الدبران : من منازل القمر ، وعدة نجوم تلو الثريا .

وَغيرُكَ غضٌّ الذّلُّ مِنْ نَجوَاتِهِ ، وَطَامَنَ للأيّامِ شَخصَ مُهَانِ
وَحالَ الأذى بَينَ المُرَادِ وَبَينَهُ ، كما حِيلَ بَينَ العَيرِ وَالنَّزَوَانِ[1]
وَكانَ كَفَحلِ البَيتِ يَطمَحُ رَأسَه ، فألقَى عَلى حُكْمِ الرّدَى بجِرَانِ[2]
وَآخَرُ رَاخَى مِنْ قُوَاكَ بِبِدْعَةٍ ، ستَشْرُدُ في الدّنْيَا بِغَيرِ عِنَانِ
فأشهَدُ أن ما عَرّقَتْ فيهِ هَاشِمٌ ، وَلا عُلّ يَوْماً مِنْ لَبَانِ حَصَانِ[3]
إذا المَرْءُ لمْ يَحْفَظْ ذِمَاماً لِقَوْمِهِ ، فأحْجِ بِهِ أنْ لا يَفي بضَمَانِ[4]
وَنَازَعَكَ العَلْيَاءَ مِنْ آلِ غالبٍ شُعُوبٌ ، وَمِنْ أُدٍّ ، وَمن غَطَفَانِ
فَوَارِسُ يَلقَوْنَ الرّدى بِنُفُوسِهِمْ سِرَاعاً ، وَلا يَدْعُونَ يالَ فُلانِ
وَلَوْ شِئْتَ لَمّا طالَعَتْكَ رِماحُهُمْ ، وَأطْرَافُهَا عُوجٌ إلَيْكَ دَوَاني
هَرَقْتَ دِمَاءً مَا لهَا ، الدّهرَ ، طالبٌ ، كمَا هَرَقَتْ خَرْقَاءُ قَعبَ لِبَانِ[5]
وَحَيٍّ بَثَثْتَ الخَيْلَ بَينَ بُيُوتِهِمْ ، وَكَانُوا عَلى أمْنٍ مِنَ الحَدَثَانِ
أقَمتَهُمُ مِنْ رَوْعَةٍ عَنْ شِوَائِهِمْ يَمُشّونَ بالأعرَافِ كُلَّ بَنَانِ[6]
أأُغضِي عَلى ضَيمٍ ، وَعِزُّكَ ناصِري ، وَبَاعي طَوِيلٌ مِنْ وَرَاءِ سِنَاني ؟
إذاً ، فَعَدَاني الضّيفُ في كُلّ لَيْلَةٍ ، وَكُبّتْ بِأعجازِ البُيُوتِ جِفَاني

---

١ العير : الحمار . النزوان : الوثوب ، مثل يضرب للعاجز عن أمر ما .
٢ الجران من البعير : مقدم عنقه . يقال : ألقى فلان على هذا الأمر جرانه ، أي وطن نفسه عليه ، ورأسه : منصوب بنزع الخافض ، والمراد يطمح برأسه : أي يشمخ .
٣ عل : أشرب ، والمراد : أرضع . اللبان : الصدر . الحصان : المرأة العفيفة .
٤ أحج به : أخلق به .
٥ الخرقاء : الحمقاء . اللبان : جمع لبن .
٦ يمشون : يمسحون . وأراد بالأعراف : أعراف الخيول .

وَمَا ارْتَاعَ مَطْلُوبٌ يَكُونُ وَرَاءَه   بِأَغْلَبَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ هِجَانِ
لكَ الخَيرُ لا أرْضَى بغَيرِكَ حاكِماً   عَلَيَّ ، ولا أُعْطي القِيَادَ زَمَاني
وَإنْ أطلُبِ الضَّخمَ اللّغاديدِ غايَتي ،   فَرُبَّ جَمَادٍ عُدَّ في الحَيَوَانِ[1]

ابن مفرج الغمرات

يمدح أبا سعد بن خلف ويهنئه
بمهرجان سنة ٣٧٦ :

أمِنْ شَوْقٍ تُعَانِقُني الأمَاني ،   وَعَنْ وُدٍّ يُخادِعني زَمَاني ؟
وَمَا أهْوَى مُصَافَحَةَ الغَوَاني ،   إذا اشتَغَلَتْ بَنَاني بالعِنَانِ
عَدِمتُ الدّهرَ كيفَ يصُون وَجهاً   يُعَرِّضُ للضِّرَابِ وَللطّعَانِ
وَأسفَعَ لَثّمَتْهُ الشّمسُ نَدبٌ ،   أبَيْنَا أنْ يُلَقَّبَ بالهِجَانِ
وكَمْ مُتَضَرِّمِ الوَجَنَاتِ حُسناً ،   إذا جَرّبتَهُ ، نَابي الجَنَانِ
تُعَرّفُني بِأنْفُسِهَا اللّيَالي ،   وَآنَفُ أنْ أُعَرِّفَهَا مَكَاني
أنَا ابنُ مُفَرِّجِ الغَمَرَاتِ سُوداً ،   تَلاقَى تَحتَهَا حَلَقُ البِطَانِ[2]

---

١ اللغاديد ، الواحد لغدود ولغديد : لحمة في الحلق أو ما أطاف بأقصى الفم من الحلق من اللحم، أو الزوائد من اللحم في باطن الأذن .
٢ البطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن الدابة .

وَجَدّي خَابِطُ البَيْداءِ حتّى تَبَدّى المَاءُ مِنْ ثَغْبِ الرِّعَانِ[1]
قَضَى ، وَجِيادُهُ حَوْلَ العَوَالي ، وَوَفْدُ ضُيُوفِهِ حَوْلَ الجِفَانِ
تُكَفّنُهُ ظُبَى البِيضِ المَوَاضِي ، وَيَغْسِلُهُ دَمُ السُّمْرِ اللّدانِ
نَشَرْتُ عَلى الزّمَانِ وِشَاحَ عِزٍّ ، تَرَنّحُ دُونَهُ المُقَلُ الرّوَاني
خَفِيرِي في الظّلامِ أقَبُّ نَهْدٌ ، يُسَاعِدُني عَلى ذَمّ الزّمَانِ[2]
جَوَادٌ تُرْعَدُ الأبْصَارُ فِيهِ ، إذا هَزَأتْ بِرِجْلَيْهِ اليَدانِ
كَأنّي مِنْهُ في جَارِي غَدِيرٍ أُلاعِبُ مِنْ عِنَاني غُصْنَ بَانِ
حَيِيٌّ الطّرْفِ إلاّ مِنْ مَكَرٍّ يُبَيّنُ مِنْ خَلائِقِهِ الحِسَانِ
إذا استَطلَعتَهُ مِنْ سِجفِ بَيتٍ ظَنَنْتَ بِأنّهُ بَعضُ الغَوَاني
سَأُطلِعُ مِن ثَنايا الدّهرِ عَزْماً ، يَسِيلُ بِهِمّةِ الحَرْبِ العَوَانِ
وَلا أنْسَى المَسِيرَ إلى المَعَالي ، وَلَوْ نَسِيَتْهُ أخْفَافُ الحَوَاني[3]
وَألطَافُ السّحَابِ لِكُلّ دارٍ صَحِبْنَا رَبْعَهَا خَضِلَ المَغَاني
وَكُنّا لا يُرَوّعُنَا زَمَانٌ ، بِمَا يُعْدِي البِعَادَ عَلى التّداني
وَنَأنَفَ آنَ ـبِهِ اللّيَالي بِشَمْسٍ ، أوْ سَنَا قَمَرٍ هِجَانِ
فَهَا أنَا وَالحَبِيبَ نَوَدّ أنّا تَدانَيْنَا ، وَنَحْنُ الفَرْقَدانِ
وَلَيْلٍ أدْهَمٍ قَلِقِ النّوَاصِي ، جَعَلْتُ بَيَاضَ غُرّتِهِ سِنَاني

١ الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . الرعان ، الواحد رعن : أنف الجبل.
٢ الأقب : الفرس الضامر البطن . النهد : الفرس الحسن الجميل .
٣ الحواني : النياق التي تعطف على أولادها ، الواحدة حانية .

وَصُبْحٍ تُطْلَقُ الآجَالُ فيهِ ، وَنَاظِرُ شَمْسِهِ في النّقعِ عَاني
عَقَدْتُ ذَوَائِبَ الأبْطَالِ مِنْهُ بِأطْرَافِ المُثَقَّفَةِ الدّوَاني
وَشُعْثٍ فَلّهُمْ طَلَبُ المَعَالي ، وَفَلّوا كُلّ مُنجردٍ حِصَانِ[1]
أقُولُ لَهُمْ ثِقُوا باللهِ فِيهَا ، فَفَضْلُ يَدِ المُعِينِ عَلى المُعَانِ
وَلا تَتَعَرّضُوا بالعِزّ ، إنّي رَأيْتُ العِزّ خَوّارَ العِنَانِ
فَمَا رَكِبَ العُلَى إلاّ عَليٌّ ، وَمَسّحَ عِطْفَهَا بَعْدَ الحِرَانِ
سَعَى، وَالشّمسُ تَرْقَى في أناةٍ ، فَجازَ ، وَسَيرُها في الجَوّ وَانِ
رَمَوْا منكَ المدى، وَالخيلُ شُعثٌ بمَصْقُولِ العَوَارِضِ وَاللَّبَانِ
يَدٌ لم تَخلُ من قصَبِ العَوَالي ، تُزَعزِعُهنّ ، أوْ قَصَبِ الرّهَانِ
تَرَكْتَ لهم عيُونَ الطّعنِ تَدمَى بمُنخَرِطٍ مِنَ التّامُورِ قَانِ[2]
وَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى عن صَدرِ يوْمٍ من الخِرْصَانِ مخضُوبِ البَنانِ[3]
وَأجْسَادٍ تُشَاطِرُهَا المَنَايَا ، نُفُوساً ، في ضِرَابٍ أوْ طِعَانِ
هُوَ الغَمْرُ الرّداءِ لِعَزْمَتَيْهِ بِكُلّ دِفَاعِ نَائِبَةٍ يَدانِ[4]
وَمَا نَهَضَ امْرُؤٌ بالحَزْمِ إلاّ وَصَادَفَ حِلْمَهُ مُلقَى الجِرَانِ

١ الشعث ، الواحد أشعث : المغبر الشعر ، المتلبده ، كناية عن المجربين في الحروب . فلهم : كسرهم ، هزمهم . المنجرد : الفرس الذي لا شعر فيه ، والمراد فلوا فارس هذا الفرس .

٢ المنخرط ، من انخرط الجسم : دق ، وانخرط في المكان : دخل فيه مسرعاً . التامور : القلب ، أو الدم .

٣ الخرصان : الرماح .

٤ الغمر الرداء : الواسعه ، كناية عن الكريم الواسع المعروف ، السخي .

يَضُمُّ الخائِفَ الظّمآنَ مِنْـهُ حِمًى يَفْتَرُّ مِنْ بَرْدِ الأمَاني
وَتَضْحَكُ نَارُهُ وَضَحاً ، إذا مَا رَغَتْ نَارُ القَبَائِلِ بالدّخَانِ
وَيوْمٍ مثْلِ شِدْقِ اللّيثِ جَهْمٍ ، يَفُلّ عَنِ الجِدالِ ظُبَى اللّسانِ
سَدَدتَ فُرُوجَهُ بالقَوْلِ ، حتّى مَدَدْتَ مُشَيَّعاً بَاعَ البَنَانِ
وَغَيرُكَ مَنْ تُرَوّعُهُ المَعَالي ، وَتَخْدَعُهُ أغَانيُّ القِيَانِ
إذا ذُكِرَ الصّوَارِمُ وَالعوَالي ، تَعَوّذَ بِالمَثَالِثِ وَالمَثَاني
وَإنْ طَلَبَ الذُّحُولَ تَهَضّمَتْهُ ، وَبَاعَ دَمَ الفَوَارِسِ باللِّبَانِ[1]
أبَا سَعْدٍ ! دُعَاءٌ لَوْ تَرَاخَتْ أوَائِلُهُ لَعَاقَبَهَا لِسَاني
ظَفِرْتَ بما اشتَهيتَ مِنَ اللّيالي، وَأُعطِيتَ المُرَادَ مِنَ الأمَاني
لِكَفّكَ فَوْزَةُ القِدْحِ المُعَلّى ، وَمِنها صَوْلَةُ العَضْبِ اليَمَاني
وَلَمّا خَرّقَ الإظْلامُ جُبْناً ، خَلَعْتَ عَلَيْهِ ثَوْبَ المِهْرَجَانِ
إذا طُرِدَتْ رِمَاحُ اللّهْوِ فيهِ ، أرَقْنَ عَلى الكُؤوسِ دَمَ القِنَانِ
وَشَرْبٍ قَدْ نَحَرْتَ لَهُمْ عُقاراً كَحَاشِيَةِ الرّداءِ الأُرْجُوَاني
كأنّ الشّمسَ مالَ بهَا غُرُوبٌ ، فَأهْوَتْ في حَيَازِيمِ الدّنَانِ
فَصِلْ بِدَمِ العُقارِ دَمَ الأعادي، وَأصْوَاتَ العَوَالي بالأغَاني
فَيَوْمٌ أنْتَ غُرّتُهُ جَوَادٌ ، يَبُذُّ بِشَأوِهِ طَلْقَ القِرَانِ[2]

[1] الذحول ، الواحد ذحل : الثأر . تهضمته : ظلمته وغصبته .

[2] بذ : غلب . الشأو : الغاية . طلق القران : أراد فرساً غير مقيد ، والقران : حبل يشد به الأسير ، أو يقاد به البعير .

جَعَلْتُ هَدِيَّتِي فِيهِ نِظَاماً صَقِيلاً مِثْلَ قَادِمَةِ السِّنَانِ
بِلَفْظٍ فَاسِقِ اللَّحَظَاتِ تُنْمَى مَحَاسِنُهُ إِلى مَعْنًى حَصَانِ
وَصَلْتُ جَوَاهِرَ الأَلفَاظِ فِيهِ بِأَعرَاضِ المَقَاصِدِ وَالمَعَانِي
فَجَاءَتْ غَضَّةَ الأَطْرَافِ بِكْراً، تَخَيَّرَ جِيدُها نَظْمَ الجُمَانِ
كَأَنَّ أَبَا عُبَادَةَ شَقَّ فَاهَا ، وَقَبَّلَ ثَغْرَهَا الحَسَنُ بنُ هانِي[1]

اسقني

وقال أيضاً في الغزل ويصف الروض
على لسان بعض الناس وهي من أول قوله :

اسقِنِي ، فاليَوْمُ نَشوَانُ ، وَالرُّبَى صَادٍ وَرَيّانُ
كَفَلَتْ باللّهْوِ وَافِيَةً لَكَ نَايَاتٌ وَعِيدانُ
حازَ وَفدَ الرّيحِ ، فالتَطَمَتْ مِنْهُ أَوْرَاقٌ وَأَغْصَانُ
كُلُّ فَرْعٍ مَالَ جَانِبُهُ ، فَكَأَنَّ الأَصْلَ سَكْرَانُ
وَكأَنَّ الغُصْنَ مُكتَسِياً ، مِنْ رِياضِ الطَّلِّ عُرْيَانُ
كُلّمَا قَبّلْتُ زَهْرَتَهَا ، خِلْتُ أَنّ القَطْرَ غَيرَانُ

١ أبا عبادة : البحتري . الحسن بن هاني : أبو نواس . وكلاهما شاعر مشهور

وَمَقِيلٍ بَيْنَ أَخْبِيَةٍ قِلْتُهُ ، وَالْحَيُّ قَدْ بَانُوا
فِي أُصَيْحَابٍ مَفَارِشُهُمْ ، ثَمَّ ، أَنْقَاءٌ وَكُثْبَانُ
عَسْكَرَتْ فِيهَا السَّحَابُ كَمَا حَطَّ بِالبَيْدَاءِ رُكْبَانُ
فَارْتَشَفْنَا رِيقَ سَارِيَةٍ ، حَيْثُ كُلَّ الأَرْضِ غُدْرَانُ
فاسقِنِي ، فالوَصْلُ يأْلَفُنِي ؛ إِنَّ يَوْمَ البَيْنِ قَرْحَانُ
قَهْوَةً مَا زَالَ يَقْلَقُ مِنْ مُجْتَنَاهَا المِسْكُ وَالبَانُ
غَيْرُ سَمْعِي لِلْمَلامِ ، إِذَا ضَجَّ سَاجِي الصَّوْتِ مِرْنَانُ
رُبَّ بَدْرٍ بِتُّ أَلْثُمُهُ صَاحِياً ، وَالبَدْرُ نَشْوَانُ
قُدْتُ خَيْلَ اللَّثْمِ أَصْرِفُهَا حَيْثُ ذاكَ الخَدُّ مَيْدانُ
لِي غَدِيرٌ مِنْ مُقَبَّلِهِ ، وَمِنَ الصُّدْغَيْنِ بُسْتَانُ
فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ عَبْقَةُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الوَصْلَ كِتْمَانُ
كَيْفَ لا تَبْلَى غَلائِلُهُ ، وَهْوَ بَدْرٌ ، وَهْيَ كَتَّانُ[1]
وَنَدَامَى كَالنُّجُومِ سَطَوْا بِالمُنَى ، وَالدَّهْرُ جَذْلانُ
كَمْ تَخَلَّتْ مِنْ ضَمَائِرِهِمْ ، ثَمَّ ، أَلْبَابٌ وَأَذْهَانُ
خَطَرُوا ، وَالخَمْرُ تَنْفُضُهُمْ ، وَذُيُولُ القَوْمِ أَرْدانُ
كُلُّ عَقْلٍ ضَاعَ مِنْ يَقِظٍ فَهْوَ فِي الكَاسَاتِ حَيْرَانُ
إِنَّمَا ضَلَّتْ عُقُولُهُمُ ، حَيْثُ يُغْنِيهِنَّ وُجْدانُ
فاخْتَلِسْ طَعْنَ الزَّمَانِ بِهَا ، إِنَّمَا الأَيَّامُ أَقْرَانُ

١ كان في عقائد العرب أن نور القمر يبلي الكتان إذا وقع عليه

شهود الحب

قال على لسان بعض الناس

حَبيبي ! هَل شُهودُ الحُبّ إلاّ اشْـ　　　تِيَاقٌ، أوْ نِزَاعٌ، أوْ حَنِينُ ؟
لَقَدْ آوَى مَحلّكَ من فُؤادي　　　مَكَانٌ، لَوْ عَلِمتَ بهِ ،مَكِينُ
إذا قَدّرْتَ أنّي عَنكَ سَالٍ ،　　　فَذاكَ اليَوْمَ أعشَقُ مَا أكُونُ
فَلا تَخشَ القَطيعَةَ ! إنّ قَلبي ،　　　عَلَيكَ اليَوْمَ ، مَأمُونٌ أمِينُ

أحلى من الكرى

قال في مثله :

جَنَى ، وتَجَنّى ، وَالفُؤادُ يُطيعُه ،　　　فَيَأمَنُ أنْ يُجنَى عَلَيهِ كما يَجني
إلى كَمْ تُسِيءُ الظّنّ بي مُتجَرّماً ،　　　وَأنسُبُ سُوءَ الظّنّ منكَ إلى الضّنّ
وَوَاللهِ لا أحبَبْتُ غَيرَكَ وَاحِداً ،　　　ألِيّةَ بَرٍّ لا تُخَافُ ، فنَستَثْني[1]

١ الالية : اليمين . البر : الصادق في يمينه . وقوله : نستثني ، أراد أنه يستثني شيئاً من يمينه أن لا يصدق بها تجاه هذا الشيء .

فإنْ لمْ تكُنْ عندي كسَمعي وَناظِرِي، فلا نَظَرَتْ عَيْني ، وَلا سمعَتْ أذني
وَإنّكَ أحلَى فيِ جفُوني مِنَ الكَرَى، وَأعذَبُ طَعماً في فُؤادي من الأمنِ

صبراً غريم الثأر

قال أيضاً على لسان بعض من سأله ذلك :

صَبراً غَرِيمَ الثّأرِ مِنْ عَدْنانِ ، حتّى تَقَرَّ البِيضُ في الأجفانِ
أوَمَا اتّقَيتَ، وَقد كُفيتَ فَوَارِساً يَتَجاذَبُونَ عَوَاليَ المُرّانِ
مِنْ كُلّ مَيّالِ العِمَامةِ ، كفُّهُ تَلْوِي الرّداءَ عَلى أغَرَّ هِجَانِ
في كُلّ يَوْمٍ أوْ بكُلّ مَقامَةٍ ، يَتَذاكَرُونَ مَقَاتِلَ الفُرْسَانِ
إذْ لا يُضِيفونَ المَعائبَ بَينَهُمْ ، وَبُيُوتُهُمْ وَقْفٌ عَلى الضِّيفَانِ
الضّامِنِينَ لطَيرِهِمْ مُهَجَ العِدا، عَن كُلّ ضَرْبٍ صادِقٍ وَطِعانِ
الرّاكِبِينَ الخَيْلَ تَعرِفُها بِهِمْ تحتَ العَجاجِ إذا التَقَى الخَيلانِ
قَوْمٌ إذا هطَلَتْ سَحابُ أكفّهمْ هَطَلَ الحَيا ، فتَعانَقَ القَطرَانِ
وَإذا حَوَوْا سَبْقَ القَبائِلِ خلّقوا غُرَرَ السّوَابِقِ بالنّجيعِ القَاني[1]
وَإذا رَأيتَهُمُ عَلى سَرَوَاتِها ، أبصَرْتَ عِقباناً عَلى عِقبَانِ[2]

١ خلقوا : طيبوا بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب . النجيع : الدم
٢ سروات الخيل : ظهورها .

آسَادُ حَرْبٍ لا يُنَهْنِهُهَا الرَّدَى، تحتَ الظُّبَى ، وَأَسِنَّةِ المُرَّانِ
يَطأُونَ خَدَّ التُّرْبِ وَهوَ مُضرَّجٌ من طَعنِهم بدَمِ القُلوبِ الآني[1]
يا آلَ عَدنَانَ الذينَ تَبَوّأُوا في المَجدِ كُلَّ مُمَنَّعِ الأرْكانِ
أيديكُمُ أرْيُ العِبَادِ وَشَرْيُهَا ، وَمَفَاتِحُ الأرْزَاقِ وَالحِرْمانِ[2]
وَإلَيكَ عَطَّ بيَ الظّلامَ عُذافِرٌ ، مُتَجَلبِبٌ بالنَّصِّ وَالذَّمَلانِ[3]
وَإذا تَرَشّفَهُ السُّرَى في جَرْيِهِ ، لَفَظَتْ يدَيهِ مكامِنُ الغيطانِ
وكَأنَّ نُوراً مِنكَ عاقَ لحاظَهُ ، فَأتَاكَ لا يَرْنُو إلى الغُدْرَانِ
كَفّاكَ في اللأوَاءِ يُنقَعُ فيهِمَا ظَمأُ المَطامعِ ،أوْ صَدا الخِرْصَانِ[4]
في ضُمّرٍ يخرُجنَ من حُلَلِ الدُّجى كالغُضْفِ خارِجةً منَ الأرْسَانِ[5]
قَدِمَ السّرُورُ بقُدمَةٍ لكَ بشّرَتْ غُرَرَ العُلى ، وَعَوَاليَ التّيجَانِ[6]
فلَقتْ ظُبى الأسيافِ منكَ بعَرْجةٍ ، فيَكادُ يُنهِضُها مِنَ الأجفَانِ
وَأتَى الزّمَانُ مُهَنّئاً يَحْدُو بِهِ غُلٌّ المَشُوقِ ، وَغُلّةُ اللّهْفَانِ
قَد كانَ هذا الدّهرُ يَلحَظُ جانبي عَنْ طَرْفِ لَيثٍ ساغِبٍ ظَمآنِ
فالآنَ حينَ قَدِمتَ عُدنَ صُرُوفُهُ يَرْمُقْنَني بِنَوَاظِرِ الغِزْلانِ

١ مضرج : مخضب . الآني : الحار .
٢ الأري : العسل . الشري : الحنظل .
٣ عط الظلام : شقه . العذافر : الشديد من الإبل . النص والذملان : ضربان من السير .
٤ اللأواء : الشدة .
٥ الغضف : الكلاب المسترخية الآذان .
٦ القدمة : السابقة في الأمر .

يا مُنتَهَى الآمَالِ بَل يا مُحتوِي الـ   آجَالِ ، بَل يا أشجعَ الشّجعانِ
يا أفضَلَ الفُضَلاءِ بَل يا أعلَمَ الـ   عُلَماءِ ، بَل يا أطعَنَ الأقْرَانِ
يا قَائِدَ الجُرْدِ العِتَاقِ بِهَيْبَةٍ ،   تُغنيهِ عَن لُجُمٍ ، وَعن أرْسانِ
يا ضَارِبَ الهَامَاتِ، وَهيَ نَوَافِرٌ،   تَشكُو تَفَرُّقَها إلى الأبْـدانِ
يا طَاعِناً بالرّمْحِ بَرْعَفُ زُجُّهُ   عَلَقاً ، بمَجّةِ عَامِلٍ وَسِنَانِ
هَذي القَوَافي وَاثِقَاتٌ أنّهَا   من رَحبِ جُودِكَ في أعَزّ مكانِ
تاهَتْ إليكَ على القَرِيضِ فرُدّها،   بنَداكَ ، تَائِهَةً عَلى الأزْمَانِ

يوم صقيل الوجه

ف بيوت النيران بيوم الشعانين :

وَرُبّ يَوْمٍ صَقيلِ الوَجهِ تَحسَبُهُ   مُرَصَّعاً بِجِبَاهِ الخُرَّدِ العِينِ
أتَاكَ يَقْتَادُ عِيداً في حَقَائِبِهِ   زَادُ السّرُورِ على الطّيرِ المَيامِينِ
فالبَسْ جَلابِيبَهُ البِيضَ التي شَرُفَتْ،   وَاخرُجْ عن الصّوْمِ من أثوَابِه الجُونِ
إليكَ يَستَنّ ، والأحشاءُ يَتْبَعُها،   عن غَربِ فِكرٍ بِغَربِ الشّوقِ مَقرونِ
جاءتْ تُهَنّيكَ بالوُدّ الذي عَلِقَتْ   مِنّا الضّمَائرُ لا يَوْمِ الشّعَانِينِ

عين مؤرقة

قال رضي الله تعالى عنه في معنى عرض له :

اللّيلُ يَنصُلُ بَينَ الحَوْضِ وَالعَطَنِ ، وَالبرْقُ يُسدي بُرُودَ العارِضِ الهَتِنِ[1]
وَالجَفنُ يَفتَرُّ عَن طَرْفٍ صَحِبتُ به إنْسَانُهُ مُثْقَلُ العِطْفَينِ بالوَسَنِ
في لَيلَةٍ أوْعدَتْ بالبَينِ، فاختَلَستْ مِنَ العُيُونِ بَقَايَا غُبَّرِ الوَسَنِ[2]
حتّى نَظَرْتُ ، وَلي عَينٌ مُؤرَّقَةٌ ، تُقَسّمُ الدّمعَ بَينَ الرَّبعِ وَالظُّعُنِ[3]

قنا آل فهر

قال في معنى آخر :

قَنَا آلِ فِهرٍ لا قَنَا غَطَفَانِ ، حَمَتْ أهلَهَا مِنْ طارِقِ الحَدَثَانِ
بَني عامرٍ! مَا لي وَللدّهْرِ بَعْدَمَا يُشَتِّتُ بي عَن صَعدَتي وَحِصَاني

١ نصل من الشيء : خرج منه . يسدي،من أسدى الثوب : أقام سداه ، أي ما مد من خيوطه ، وهو خلاف اللحمة .

٢ الغبر : البقايا .

٣ أراد يقسم دمعه بين الربع الخالي وبين الظعن أي الهوادج التي رحلت عن الربع بمن فيها من النساء .

وَقد كُنتُ لا أُصْغي إلى السِّلمِ ساعةً ، وَأتبَعُ داعي الحَرْبِ أينَ دَعَاني

دَعَوا صَهوَاتِ الخَيلِ تَدمى وَفرّقوا رِجَالاً عَنِ البَغضَاءِ وَالشّنَآنِ

فَكَمْ صَاحِبٍ تَدمَى عَليّ بَنانُهُ ، وَيُظهِرُ أنّ العِزّ لَثْمُ بَنَاني

يَضُمّ حَشَى البَغضَاءِ عِندَ تَغَيّبي ، وَيَجْلُو جَبينَ الوُدّ حِينَ يَرَاني

مَسَحتُ بحِلمي ضِغنَهُ عَن جَنانِهِ ، فَلَمّا أبَى مَسّحتُهُ بِسِنَاني

قَلبَهُ ، فأصَبتُه ، وَلَوْ لَمْ أُصِبْهُ عَاجِلاً لَرَمَاني

صاحب الجدث

يرثي بعض أصدقائه

يا صَاحِبَ الجَدَثِ الذي نَفَشَتْ بهِ ، فَاستَرْجَعَتْهُ بِرُغْمِنَا الأزْمَانُ

نَبْكيكَ لَوْ يُثْنَى بِأدْمُعِنَا الرّدى ، أوْ يَرْعَوِي لِبُكَائِنَا الحِدْثَانُ

أُنزِلْتَ أقرَبَ مَنزِلٍ مِنّا فَلَمْ بَعُدَ المَدَى وَتَعَذّرَ اللّقْيَانُ

لَوْلا هَجِيرُ الدّمعِ ، بل هَجرُ الكَرَى ، دَفَنَتْكَ في أحْشَائِهَا الأجْفَانُ

عنوان البأس

يمدح أباه ويذكر وقعة كانت
له في بني غويث بطريق مكة

بِمَجَالِ عَزْمي يُمْلأُ المَلَوَانِ ، وَتَضِلّ فيهِ بَوَائِقُ الأَزْمَانِ[1]
عَزْمٌ رَضِيعُ لِبَانِ أطْرَافِ القَنَا ، في حيثُ يَرْضَعُ مِن سَجيعٍ لَبَانِ
كَم من حَشًى خَطبٍ شَقَقتُ ضَميرَهُ ، وَأَرَقْتُ في دَمِهِ دَمَ
وَاللّيلُ مُنخَرِقُ القَميصِ عنِ الضّحى ، قَدْ كِدْتُ أرْقَعُهُ بِنَقعِ حِصَاني
وكَأنّ أنْجُمَهُ وُجُوهُ خَرَائِدٍ ، سُتِرَتْ مِنَ القَسطَالِ بالأرْدانِ[2]
وَخَرَجْتُ عَن أعجازِهِ مِنْ بَعدِ ما جَذَبَ النّعَاسُ عَمَائِمَ الرّكْبَانِ
في مَهمَهٍ صَقَلَ المُحُولُ مُتُونَهُ ، لَمْ يَصْدَ قَطٌّ بِوَابِلٍ هَتّانِ[3]
أرْضٌ حَصَانٌ مِنْ مُلامَسَةِ الحَيَا ، وَالأرْضُ نَحمَدُ منهُ غَيرَ حَصَانِ
ثمّ ارْتَمَتْ بالغَيثِ فيهِ غَمَامَةٌ ، وَسَقَتْ غَليلَ الجَدْبِ بالتّهْتَانِ
فطَوَى الحَيا بُرْدَ النّحولِ وَنَشّرَتْ رِمَمُ الصّعيدِ غَدائِرَ الأغْصَانِ
وكَأنّ أنْفَاسَ الصَّبَا في حُجْرِهَا ، يَسفَحنَ دَمْعَ المُزْنِ في الحُجْرَانِ[4]

١ الملوان : الليل والنهار .
٢ القسطال : الغبار الساطع .
٣ قوله : لم يصد ، لعله من الصدى أي ما يرده الجبل على المصوت لا من الصدى العطش . فيكون المعنى أن هذه المفازة الماحلة لم يتردد فيها صوت وقع المطر .
٤ حجرها : كنفها . الحجران : الأراضي المرتفعة ووسطها منخفض .

دَمعاً ، إذا ما فَاضَ صَوّرَ أعْيُناً ، حَيثُ استَقَرّ بِهِ مِنَ الغُدْرَانِ
وَتُرِيكَ مِنْ أوْرَاقِهِنّ أهِلّةً ، تَحتَ الغَزَالَةِ ، شُرّدَ الغِزْلانِ[1]
وَلَكَم عَقَدتُ عُرَى الخِطابِ بخُطبةٍ حَلّتْ بِفَيْصَلِها عُرَى الحِدْثَانِ
لي هِمّةٌ أقْطَعْتُهَا قِصَدَ القَنَا ، في قَصْدِ يَوْمَيْ مَعرَكٍ وَرِهَانِ
لَوْ حَارَبَتْ أُفْقَ السّمَاءِ لفَرّقَتْ بَيْنَ الثّرَيّا فِيهِ وَالدَّبَرَانِ
عنوَانُ بَأسِي أنْ يَصُولَ مُهَنّدي، وَرَدَى عَدُوّي أن يَطولَ لِسَاني
لا تَجْمَعَنّي وَالزّمَانَ ، فَإنّهُ عَوْدٌ يَحُكّ جِرَانَهُ بِجِرَاني
إنّي لألْحَظُ ذا الأنَامَ مُجَانِباً عَنْ مُقْلَةٍ وَحْشِيّةِ الإنْسَانِ
أسْطُو بجَأشٍ فتًى يُفَرّقُ سَيفُهُ جَيشَ الحِمامِ ، إذا التَقى الجَمعانِ[2]
مِنْ آلِ عَدْنَانَ الّذينَ كَفاهُمُ أنّ ابنَ مُوسَى مِنْ بَنِي عَدْنَانِ
النّازِلِينَ ، إذا تَقَارَعَتِ القَنَا ، وَالبِيضُ خَارِجَةٌ عَنِ الأجْفَانِ
يَحشُونَ أحْشاءَ الوِفاضِ ،إذا هُمُ احـ ـتَزَموا بفَضْلِ ذوَائبِ الشّجعانِ[3]
لَبِسوا العَمائمَ، مُذ رَأوْا أسيافَهمْ أبَداً تُذِلّ مَعَاقِدَ التّيجَانِ
وَإذا الحُسَيْنُ دَعَاهُمُ بِجِيَادِهِمْ حُشِدَتْ إلَيْهِ مُصَرّةَ الآذَانِ
مُتَوَاتِرَاتٍ في الطّلُوعِ مُغِيرَةً لَفَظَ السّوَاغِبِ من نَوَى قُرّانِ[4]

١ تحت الغزالة : تحت الشمس .
٢ الجأش : نفس الإنسان .
٣ الوفاض ، الواحدة وفضة : الخريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده .
٤ السواغب : الجياع . قران : قرية باليمامة .

لَيثٌ بهِ سَفَكَ الطّعانُ دَمَ القَنا بدِماءِ أهْلِ الشّرْكِ وَالطّغْيَانِ
لمّا فزِعْنَ مِنَ التّحَطّمِ في الطُّلَى، جَعَلَ القُلُوبَ تَمَائِمَ الخِرْصَانِ
لَوْلاهُ ما طُبِعَتْ ظُبًى لتَقَارُعٍ، أبَداً، وَلا قُطِعَتْ قَناً لِطِعَانِ
للهِ يَوْمُكَ في غُوَيْثٍ إنّهُ يَوْمٌ بِهِ يُشْجَى بَنُو غَيْلانِ
بالحِصْنِ، إذ دَعَتِ القَنا خِرْصَانَها، وَتَحَصّنَتْ في أنْفُسِ الفُرْسَانِ[1]
غاضَتْ مياهُ وُجوهِهِم خَوْفَ الرّدى، فَكَأنّهَا فَاضَتْ إلى الأجْفَانِ
صَبّحْتَهُمْ بِيَدٍ تُطَوِّحُ بالظُّبَى، وَيَدٍ تَدُقّ عَوَاليَ المُرّانِ
لُدْناً تَهُزّ طَعِينَها، فَتَخَالُهُ في الطّعْنِ وَثّاباً إلى الأقْرَانِ
قَطّعْتَ أنْفَاسَ الحِمَامِ بِجَرْيِها، حتّى كَبَا في الهَامِ وَالأبْدانِ
فَكَأنّمَا الأرْمَاحُ ضَلّتْ في الوَغى، حتّى انثَنَتْ تَستافُ كلّ جَنَانِ
وَالخَيلُ تَعثُرُ بَينَ أطرَافِ القَنَا، مَصْبُوغَةً بِدَمِ القُلُوبِ الآني
سَتَرَ السّهَامُ فُرُوجَهَا، فَكَأنّما دَرّعَتْ إلَيكَ مَدارِعَ الظُّلْمانِ
لَوْ أنّ أنْفَاسَ الرّياحِ تَصَاعَدَتْ في نَقْعِهَا طَارَتْ مَعَ العِقْبَانِ
خُضْتَ الظّلامَ إلَيْهِمُ بِسَنَابِكٍ خاضَتْ قُلُوبَ مَوَاقِدِ النّيرَانِ
وَفَرَيْتَ وَفْرَةَ لَيلِهِمْ بصَوَارِمٍ وَصَلَتْ عُرَى الإصْبَاحِ باللّمَعَانِ
حَسَرَ الدُّجَى فنَصَبتَ أعناقَ العِدا قُبَلاً لِنَيْلِ رَوَاكِعِ الشُّرْيَانِ
فتَرَكتَهُمْ صَرْعَى بِكُلّ مَفَازَةٍ، وَكَأنّمَا صُعِقُوا عَلى الأذْقَانِ

١ الخرصان ، الواحد خرص : حلقة تطيف بسنان الرمح .

تُخْفي النّسُورُ بِزَفّهَا أجْسادَهُمْ عَنْ نَاظِرِ الرّيبَالِ وَالسِّرْحَانِ
نَبَشَتْ مَنَاسِرُها الجِرَاحَ ، كَأنّها بالنّبْشِ تَسبرُ وَقْعَ كُلّ سِنَانِ[1]
حتّى رَجَعتَ بفِتْيَةٍ قَصَفُوا القَنا ، وَرَمَوْا بِكُلّ حَنِيّةٍ مِرْنَانِ
لَوْ أمكَنُوا وَصَلُوا بكُلّ مُثَقَّفٍ يَسِمُ الطُّلَى في الطّعنِ ، كلّ بَنَانِ
أُسدٌ بَرَى الإسآدُ نَحضَ جيادِهم بالكَرّ وَالتّضْرَابِ وَالتّطْعَانِ[2]
لوْ عُقّدَتْ بعضاً ببَعضٍ في السُّرَى ، كَانَتْ لَهُ بَدَلاً مِنَ الأرْسَانِ
يَهْنِي بَني عَدْنَانَ وَقعَتُكَ التي جَذَبَتْ بِضَبْعِ الدّينِ وَالإيمَانِ
لَوْ لمْ تُحَلّ طُلَى الأعادي عَقّدُوا بعُرَى القُلُوبِ سَبَائِبَ الأحزَانِ
قُدْهَا ، فَغُرّتُها مِنَ الكَلِمِ الجَنِي ، وَحُجُولُهَا مِنْ صَنعَةٍ وَمَعَانِ[3]
هيَ نُطفَةٌ رَقرَقتُها مِنْ خاطِرِي ، بَيْضَاءُ تَنْقَعُ غُلّةَ الظّمْآنِ

١ نبثت : نبشت . مناسرها : مناقيرها ، والمنسر للطير الجارح كالمنقار لغير الجارح . السبر : امتحان غور الجرح .

٢ الإسآد : سير الليل كله . النحض : اللحم .

٣ قدها : هكذا في الأصل ولعلها خذها والضمير للقصيدة .

السيوف عمائم الشجعان

يمدح الخليفة الطائع لله سنة ٣٧٨ ويشكره على مواصلته بره ويذكر ناراً وقعت في بعض دوره :

لَوْنُ الشّبيبَةِ أنصَلُ الألْوَانِ ، وَالشّيبُ جُلٌّ عَمَائِمِ الفِتْيَانِ
نَبتٌ بأعلَى الرّأسِ يَرْعاهُ الرّدى ، رَعْيَ المَطِيّ مَنابِتَ الغِيطانِ
الشّيبُ أحسَنُ ، غيرَ أنّ غَضَارَةً للمَرْءِ في وَرَقِ الشّبَابِ الآني[1]
وكَذا بَيَاضُ النّاظِرَينِ ، وَإنّما بِسَوَادِهَا تَتَأمّلُ العَيْنَانِ
لَهْفي عَلى زَمَنٍ مضَى ، وكأنّني مِنْ بَعدِهِ كَلٌّ عَلى الأزْمَانِ[2]
أفنَيْتُهُ طَاغيَ العُرَامِ ، كأنّمَا في أُمّ رَأسِي نَخوَةُ السّكرَانِ[3]
يَرْجو الفتَى خُلُسَ البَقاءِ ، وَإنّما جَارَا حَيَاةِ العُمْرِ مُفتَرِقَانِ
مُتَعَرِّضٌ إمّا لِلَوْنٍ حَائِلٍ بَينَ الذّوَائِبِ ، أوْ لعُمْرٍ فَانِ
مَا لي وَما للدّهْرِ قَلقَلَ صَرْفُهُ عَزْمي ، وَقَطّعَ بَينَهُ أقْرَاني
وَرَمَى بشَخصِي حَرَّ كلّ مَفازَةٍ : لا يَستَقِلُّ بِهَا مَطيٌّ جَبَانِ
مُتَغَرّباً لا أستَجيرُ بِمَنْزِلٍ ، فإذا نَزَلْتُ ، فعَقلَةُ الضِّيفَانِ[4]

١ الآني ، من أنى : حان ، وأدرك .
٢ الكل : العيال .
٣ العرام : الشراسة والأذى .
٤ أراد بعقلة الضيفان : المدة التي يعقل فيها الضيف دابته

سَيفي رَفيقي في البِلادِ ، وَهِمّتي مُتَعَلِّلي ، وَجَوَانحي خُلاّني
يَشكُو الحَبيبُ إليّ شِدّةَ شَوْقِه ، وَأنا المَشُوقُ ، وَما يَبينُ جَناني
وَإذا هَمَمتُ بمَن أُحبّ أمالَني حَصَرٌ يَعُوقُ وَعِفّةٌ تَنْهَاني
لله مَا أغضَتْ عَلَيْهِ جَوَانحي ، وَالشّوْقُ تحتَ حِجابِ قَلبيَ عَانِ
مَا مَرّ بَرْقٌ في فُرُوجِ غَمَامَةٍ ، إلاّ وَأعْدَى القَلْبَ بالخَفَقَانِ
وَإذا تحَرّكَتِ الرّيَاحُ تَحرّكَتْ بَينَ الضّلُوعِ غَوَامِضُ الأشجانِ
أجمَمتُ لحظي عِفّةً وَسَجِيّةً ، أنْ لا أُجُمّ البيضَ في الأجفَانِ[1]
غَيرَانُ دونَ العِرْضِ لا أسخُو به ، وَالعِرْضُ خَيرُ عَقيلَةِ الإنْسَانِ
وَأذُودُ عَن سَمعي المَلامَ كأنّهُ عُضْوٌ أخافُ عَلَيهِ حَدّ سِنَانِ
لي يَقظَةُ الذّئبِ الخَبيثِ ،فإن جرَى سَفَهٌ ، فعِندي نَوْمةُ الظَّرِبَانِ[2]
حَدَثٌ على الأحبابِ لا أشكو الذي يَشكُو ، وَلا أنسَى الذي يَنساني
أشكُو النّوَائبَ ، ثمّ أشكُرُ فِعلَها ، لعَظيمِ مَا ألْقَى مِنَ الخُلاّنِ
وَإذا أمِنْتَ مِنَ الزّمانِ ،فلا تكُنْ إلاّ عَلى حَذَرٍ مِنَ الإخوَانِ
كَمْ مِنْ أخٍ تَدعوهُ عندَ مُلِمّةٍ فيكُونُ أعظَمَ مِنْ يَدِ الحِدثانِ
لَوْلا يَقِينُ القَلْبِ أنّكَ حَسبُهُ ، لعَصَى وَهَمّ عَلَيكَ بالعُدْوَانِ
كَمْ عَمّمَتْني بالظّلامِ مَطِيّةٌ بَعدَ اعوِجاجِ عَمائِمِ الرّكْبانِ
وَاللّيْلُ أعمَى دونَ كلّ ثَنِيّةٍ ، وَالدّهْرُ غَيرُ مُغَمِّضِ الأجْفَانِ

١ أجممت : تركت .
٢ الظربان : دويبة كالهرة منتنة الرائحه

وكأنّ أنجُمَهُ أسِنّةُ فيلقٍ طَلَعَتْ بها صُمُّ الكُعوبِ دَواني
بطَلٌ يُعَمَّمُ بالحُسامِ من الأذى؛ إنّ السيُوفَ عَمائِمُ الشّجْعانِ
قَطَعَ الهُوَيْنَا، واستَمَرّ، وإنّما بعضُ التّوكّلِ في الأمُورِ تَوانِ
مَيتٌ يَهونُ على الفوَارِسِ فَقدُه، مَنْ لا يُرِقُّ عَوالِيَ المُرّانِ
ما ضَاقَ هَمّاً كالشّجاعِ، ولا خلا بِمَسَرّةٍ، كالعاجِزِ المُتَوَاني
يا راكِبَ الهَوْجاءِ تَغتَرِفُ الخُطى، طَلْقَ الظّلِيمِ، وغايَةَ السِّرْحانِ
أبْلِغْ أميرَ المُؤمِنِينَ رِسالَةً، رَوْعاءَ، نافِرَةً عنِ الأقْرانِ
أجزَلْتَ عارِفَتي وعَوّدْتَ العَطا عَقِبي، ووَلّيتَ اليَراعَ بَناني
ما ضَرّني أنْ لوْ بَعِدتُ عن الغِنى أبَداً، وأنّي مِنْ لِقائِكَ دانِ
ويَسُرّني أنْ لا يَراني دائِلٌ، ومُعَظَّمٌ يَوْماً، وأنْتَ تَراني
ذِكراكَ آخِرُ ما يُفارِقُ خاطِري، ونَداكَ أوّلُ وارِدٍ يَلْقاني
وإذا حطَطتُ عليكَ أقسَمتِ المُنى أنْ لا أُميلَ ذَوائِبَ الكِيرانِ[1]
وتركتُ أيدي العِيسِ غيرَ مَرُوعَةٍ مِنْ صَفْصَفٍ مُتَعَرّضٍ ورِعانِ
وإذا الفتَى بلَغَ المُنى من دَهرِهِ، عافَ المَسيرَ، ولَذّ بالأوْطانِ
أنتَ المُعِينُ على مَآرِبَ جَمّةٍ، وجِماحِ حادِثَةٍ ورَيبِ زَمانِ
والمُستَجارُ، إذا تَصافحَتِ القَنا بصُدورِها، والتَفّتِ الفِئَتانِ
مُتَيَقّظٌ لا القَلْبُ يَفتُرُ هَمُّهُ يَوْماً، ولا الجَفنانِ يَنعَقِدانِ
وكأنّما صَرْفُ الزّمانِ أعارَهُ عَيْنَيْ قَطاميٍّ برأسِ قِنانِ

[1] الكيران، الواحد كور: الرحل.

لا يَصْحَبُ الأيّامَ إلاّ رَاغِباً … في وَصْلَتي ، أوْ سائِلاً عَن شَاني

في كُلّ يَوْمٍ يَستَثيرُ عَجاجَةً ، … هوْجاءَ ، راغِبَةً على القيعَانِ[1]

في فَيلَقٍ تَعمى الغَزَالَةُ دُونَهُ ، … وَتَكُوسُ خابِطَةً بغَيرِ طِعَانِ[2]

مُتَضَايقٍ غَصّتْ بِهِ فِيحُ الفَلا ، … ضِيقَ القَلائِدِ في رِقابِ غَوَانِ

وَفَوَارِساً يَتَسَمّعونَ إلى العُلَى ، … نَغَمَاتِ كُلّ حَنِيّةٍ مِرْنَانِ

مَشَقُوا بأطرَافِ القَنا قِممَ العِدا ؛ … إنّ الرّمَاحَ مَخَاصِرُ الفرْسَانِ

وَإذا الغُبَارُ نَهَى العُيونَ تَدافَعُوا … في الرّوْعِ وَاتّكَلُوا على الآذانِ

أُسْدٌ كأنّ على سَنابِكِ خَيلِهم ، … يَوْمَ اللّقَاءِ ، مُسِفّةَ العِقْبَانِ

تُرْعَى الجَمَاجِمُ وَالجَمِيمُ إزَاءها ، … وَدَمُ الطُّلَى بَدَلاً مِنَ الغُدرَانِ

لوْ شِئْتَ شَتّتَتِ الثّرَيّا شَمْلَها … جزَعاً ، وَهَمّ النّسْرُ بالطّيَرَانِ

لَيسَ الحَمَائمُ بالبِطاحِ ، وَحُجرُها … بِأعَزّ مِمّا نِلْتَهُ بِأمَانِ

عَجَباً لِنَارٍ جاوَرَتكَ خَديعَةً … في أيّ نَاحِيَةٍ وَأيّ مَغَانِي

ما كانَ ذا إلاّ تَخَمّطَ غَارَةٍ ، … بُدّلتَ مِنْ هَبَوَاتِها بِدُخَانِ[3]

ما ضَرّ لَيثَ الغَابِ نَارٌ أُضرِمَتْ … في غَابِهِ ، وَنَجا بغَيرِ هَوَانِ

وَمَتَى تُهَضِّمَ ضَيغَمٌ ، وَتَوَلّعتْ … بحَيَا الغُيوثِ أنَامِلُ النّيرَانِ

وَأنا ابنُ عَمّكَ ما يَسوكَ يَسوءُني … عُمرَ الزّمانِ ، وَمَنْ رَمَاكَ رَمَاني

١ القيعان ، الواحد قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام .
٢ الغزالة : الشمس ، وعماها أن غباره يسترها . تكوس : تمشي على ثلاث قوائم
٣ التخمط : الالتطام . الهبوات ، الواحدة هبوة : الغبرة .

ماذا، فلَيس بضائري أَنْ لمْ أكُنْ … لكَ جارَ بَيتٍ، أوْ رَضيعَ لِبَانِ
وَلأنتَ حسرَةُ ذي الحُمولِ وَما درَى … أنّ الثّريّا حَسرَةُ الدَّبَرانِ
أنا حَرْبُ ضِدّكَ فارْضَني حرْباً له، … وَارْضَ السّنانَ مُصَمِّماً لطِعَانِ
وَكَفاكَ شُكْرِي أنّ بِرّكَ ظاهِرٌ … عِندي وَما يَخفَى على الأعْيَانِ
وَإذا سكَتُّ، فإنّ أنطقَ من فَمي … عَنّي فَمُ المَعرُوفِ وَالإحْسَانِ
فاكفُفْ سَماحكَ وَاثْنِ من غُلَوائه؛ … إنّ الغِنَى في بَعضِ ما أعطَاني
فليَشكُرَنّكَ ما شَكَرْتُكَ غالبٌ، … وَذَوَائِبُ الآبَاءِ مِنْ عَدْنَانِ
ما ماتَ مَنْ كثُرَ الثّناءُ وَرَاءَهُ؛ … إنّ المُذَمَّمَ مَيّتُ الحَيَوَانِ
هذا الإمامُ يَذُودُني عَن وَجهِه، … وَيَسُومُني لُقْيَا ذَوِي الشّنآنِ
مُتَكَلِّفاً أقتاتُ بِشْرَ مَعاشِرٍ، … لَهُمُ إليّ تَشَازُرُ الغَيْرَانِ
تَتَنَاتَجُ الأحقادُ بَينَ ضُلُوعِهِم، … وَيُزَمِّلُونَ أجِنّةَ الأضْغَانِ
وَأنَا الفَقيرُ، عَلى غَزَارَةِ جودِه، … فَإذا أرَادَ بيَ الغِنَى أدْنَاني
لمْ آلُ جُهْداً في الثّنَاءِ، وَإنّمَا … غَطّى بعَرْضِ نَدَاهُ طُولَ لساني
طَمِعَ المُعادي أنْ يُقَرِّبَهُ، وَمَنْ … صَافَى عَدُوّاً لي، فقَد عَاداني
طَلَبَ العُلى، وَأبوهُ غيرُ مُهَذَّبٍ … بَينَ الوَرَى وَالأُمُّ غَيرُ حَصَانِ
وَلأنتَ أوْلى أنْ تُرِبّ صَنَائِعاً، … كَثُرَتْ بِهِنّ مَطامعٌ وَأمَاني
وَإذا بَقيتَ فقَد شَفَيتَ من العِدا … قَلبي، وَأعطَيتَ الأمَانَ زَمَاني

قوم كثيرو الألوان

قال أيضاً ، وكان بينه وبين الخليفة الطائع لله من المودة والاختلاط ما هو مشهور فاستمال بعض أعدائه ببذل المال فمال إليه فغاظه ذلك فقال هذه الأبيات وهي :

وَنَمَى إليّ مِنَ العَجائبِ أنّهُ لَعِبَتْ بعَقْلِكَ حيلَةُ الحَوّانِ
وَتَمَلّكَتكَ خَديعَةٌ من قَوْلَةٍ ، غَرّارَةِ الأقْسَامِ وَالأيْمَانِ
حقّاً سَمعتُ، وَرُبّ عَيْنيْ نَاظِرٍ يَقِظٍ تَقُومُ مَقامَهَا الأُذُنَانِ
أينَ الذي أضْمَرْتَهُ مِنْ بُغْضِهِ ، وَعَقَدْتَهُ بالسّرّ وَالإعْلانِ
أمْ أينَ ذاكَ الرّأيُ في إبْعادِهِ ، حَنَقاً، وَأينَ حَمِيّةُ الغَضْبانِ
سُبحانَ خالقِ كلّ شيءٍ مُعجِبٍ، ما فيكُمُ مِنْ كَثْرَةِ الألْوَانِ
يَوْمٌ لِذا ، وَغَدٌ لذاكَ ، وَهَذِهِ شِيَمٌ مُقَطَّعَةٌ قُوَى الأقرَانِ
فالآنَ مِنكَ اليَأسُ يُنقعُ غُلّتي ، وَاليَأسُ يَقطَعُ غُلّةَ الظّمْآنِ
فاذهَبْ كما ذهبَ الغَمامُ رَجَوْتُه، فطَوَى البُرُوقَ ، وَضَنّ بالهَتّانِ
أوَبَعدَ أن أدمى مَديحُكَ خاطرِي بصِقالِ لَفْظٍ ، أوْ طِلابِ مَعَاني
لا بارَكَ الرّحمَنُ في مَالٍ بِهِ يُعدَى البَعيدُ عَلى القريبِ الدّاني
لي مثِلُ مُلكِكَ لوْ أطَعتُ تَقنّعي ، وَذوُو العَمائِمِ مِن ذوِي التّيجانِ
وَلَعَلّ حَالي أنْ يَصيرَ إلى عُلّى ، فالدّوْحُ مَنْبِتُهَا مِنَ القُضْبَانِ
فاحذَرْ عوَاقِبَ ما جنَيتَ فرُبّما رَمت الجنايةُ عُرْضَ قَلبِ الجاني

أعطيتُكَ الرّأيَ الصّريحَ ، وَغيرُهُ تَنسَابُ رَغوَتُهُ بِغَيرِ بَيَانِ
وَعرَضْتُ نُصْحي ، وَالقَبولُ إجازَةٌ ، فإذا أبَيتَ لوَيتُ عَنكَ عِنَاني
وَلقَد يَطولُ عليكَ أن أُصْغي إلى ذِكرَاكَ ، أوْ يُثني عَلَيكَ لِسَاني

قليل من رضاك

وقال رحمه الله تعالى في الشيب ويذكر غرضاً :

أيَا جَبَلَيْ نَجْدٍ أبِينَا ، سُقيتُما : متى زَالَتِ الأظعانُ ، يا جَبَلانِ
أُناديكُما شَوْقاً ، وَأعْلَمُ أنّهُ ، وَإنْ طالَ رَجعُ القَوْلِ ، لا تَعيَانِ
أقُولُ ، وَقَدْ مَدّ الظّلامُ رِوَاقَه ، وَألقَى عَلى هَامِ الرُّبَى بِجِرَانِ
نَشَدتُكُما أنْ تُضْمِرَانيَ ساعةً ، لَعَلّي أرَى النّارَ التي تَرَيَانِ
وَألقَى ، على بُعدٍ من الدّارِ ، نَفحةً تذُمّ عَلى عَيني مِنَ الهَمَلانِ[1]
قِفا صَاحِبيّ اليَوْمَ أسألُ ساعَةً ، وَلا تُرْجِعَا سَمعي بغَيرِ بَيَانِ
هلِ الرَّبعُ بَعدَ الظّاعنينَ كعَهدِه ، وَهَلْ رَاجِعٌ فيهِ عَليّ زَمَاني
وَهل مسّ ذاكَ الشِّيحَ عِرْنينُ ناشق ، وَهَلْ ذاقَ مَاءً باللّوَى شَفَتَانِ
لقدْ غَدَرَ الأظعانُ يوْمَ سُوَيقَةٍ ، وَيَدْمَى لذِكرِ الغادِرِينَ بَنَاني[2]

١ تذم : تأخذ الذمة . الهملان : السيلان .
٢ سويقة : موضع ببطن مكة ، وبنواحي المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب .

وَلا عجَبٌ، قلبي ، كما هُنّ ، غادرٌ، عَلى أنّ أضْلاعي علَيه حَوَاني
لكَ اللهُ هل بعدَ الصّدودِ تعَطّفٌ؛ وَهَل بَعدَ رَيعَانِ البعادِ تَداني
وَما غرَضِي أنّي أسُومُكَ خُطّةً ، كَفَاني قَليلٌ مِن رِضَاكَ كَفَاني
وَعَاذِلَةٍ قُرْطٌ لأُذْنيَ عَذْلُهَا ، تَلُومُ ، وَمَا لي بالسّلُوّ يَدانِ
أعاذلَتي ، لوْ أنّ قَلبَكِ كانَ لي، سلَوْتُ، وَلكِنْ غيرُ قَلبِكِ عاني
ألا لَيتَ لي مِنْ ماءِ يَبرِينَ شَرْبَةً ألَذّ لقَلبي مِنْ غَرِيضِ لِبَانِ
أُداوِي بهَا قَلباً على النّأيِ لم تَدَعْ بهِ فتَكَاتُ الشّوْقِ غيرَ حَنَانِ
وَلَوْلا الجَوَى لمْ أبغِ إلاّ مُدامَةً ، بطَعْنِ القَنَا ، إبرِيقُهَا الوَدَجانِ[1]
إذا سَكِرَ العَسّالُ مِنْ قَطَرَاتِها، سَقَيْتُ حُمَيّاها أغَرّ يَمَاني
وَلي أمَلٌ لا بُدّ أحمِلُ عِبئَهُ ، على الجُرْدِ من خَيفانةٍ وَحِصَانِ[2]
وَكُلّ رَعُودِ الشّفْرَتَينِ ، كأنّهُ سنَى البَرْقِ إمّا جَدّ في اللّمَعانِ
وَأسمَرَ هَزْهازِ الكُعوبِ ، كأنّهُ قَرَا الذّئبِ مجبولٌ على العَسَلانِ
فإنْ أنا لم أرْكَبْ عَظيماً فلا مضَى حُسَامي وَلا رَوّى الطّعانَ سِنَاني

١ الودجان ، الواحد ودج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب
٢ الخيفانة : الجرادة شبهت بها الفرس في خفتها .

الامر امرك

ولما أنشد الطائع بالله قصيدته المتقدمة في حرف الميم التي مطلعها « متى أنا قائم أعلى مقام إلخ » وعرضت عليه صادفت منه قلباً مؤثراً لتعجيل ما سئل فيها ورأياً موافقاً لإنجاز ما ينجزه،فأمره بمسيره إلى داره فسار إليها في يوم الخميس لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ٣٨٠ وقعد له أمير المؤمنين قعوداً خاصاً، وأوصله وأخاه، وأخذهما إليه ، ولقيه في ثياب بيض فبش به وهش له . وكانت الخلع السود قد أعدت له ، فعدل به إلى موضع من الدار قريب من مجلسه ، وهو بمرأى منه ، فجلببت عليه ، وبقي قميص مصمت وطيلسان قصب وعمامة خز ، ثم أعيد إلى حضرته ، فزاد في إعظامه وتناهى في إكرامه ورتبه في رتبة أبيه ، وهي أجل المراتب في مجلسه ، وأدناها من سريره ومقعده ، ثم انصرف وقد حملت معه طبقة أخرى للتكرمة لأن الأولى كانت لتقليد النقابة ، وهي عمامة خز سوداء ، ودراعة خز دكناء ، وقميص مشطي أبيض وقميص ستري أبيض من ثياب بدنه ، فقال هذه القصيدة يشكره على تتابع إنعامه وتواتر إحسانه ويهنئه بعيد الفطر من هذه السنة ، وكان كاتبه أبو الحسن علي بن الحاجب بن النعمان المتولي لإنشادها ، وهي هذه :

الآنَ أعربَتِ الظّنُونُ ، وَعَلا عَلَى الشّكّ اليَقِينُ
وَارْتاحَتِ الآمَالُ في أطْرَافِهَا جَذَلٌ وَلِينْ
مِنْ غُمّةٍ كَاللّيْلِ شَا بَ لهَا الذّوَائبُ وَالقُرُونُ
وَاليَوْمَ بَانَ لِنَاظِرِي مَا أثْمَرَتْ تِلْكَ الغُصُونُ
وَتَمَطّتِ العُشَرَاءُ نَا هِضَةً ، وَقد عَلِمَ الجَنِينُ
ألآنَ لَمّا امتَدّ بي طوبَى وَأصْحبَ لي القَرِينْ
وَعَضَضْتُ مِنْ نَابي عَلَى جِذْمٍ وَنَجّذَني الشّؤونُ[1]

[1] الجذم : الأصل . نجذني : أحكمني . الشؤون ، الواحد شأن : الأمر .

أُغْضِي عَلَى خِدَعِ النّوَا ئِبِ أوْ تُظَنّ بِيَ الظّنُونُ
وَعَلَى أميرِ المُؤمِنِيـ نَ لِمَوْئِلِي جَبَلٌ حَصِينُ
إنْتَاشَنِي شِلْوَ النّوَا زِلِ ، وَالنّوَائِبُ لي شُجونُ
وَسطا بِأيّامي ، فَقَدْ جُعِلَتْ عَرَائِكُهَا تَلِينُ
وَأضَاءَ لي زَمَنِي ، وَأَ يّامُ الفَتى بِيضٌ وَجُونُ
مُلكاً بَنِي العَبّاسِ ، فالرّا جي مَقَامَكُمُ غَبِينُ
أنْتُم لهَا إنْ هَابَ خَـ طتَهَا جَبَانٌ ، أوْ ظَنِينُ
مَا فيكُمُ إلاّ أَلَـ دٌّ عَلى عَظَائِمِهَا مَرُونُ
حَتّى يَزُولَ فُحُولُهَا منكُم وَقَد دانُوا وَدِينُوا
عَكَفُوا عَلى العَلْيَاءِ مَا فيهِمْ عَلى مَجْدٍ ضَنِينُ
يَنفُونَ شَائِبَهَا ، كمَا عكفتْ على البِيضِ القُيون[1]
لَهُمُ الجِيَادُ مُغَذّةً ، يَنْتَابُهَا الحَرْبُ الزَّبُون[2]
وَقَنِيصُها لَهُمُ قِرًى ، وَظُهُورُها لَهُمُ حُصُونُ
مُعتَادَةٌ شُرْبَ الدّمَا ءِ ، وَعندَها المَاءُ المَعِينُ
غَضْبَى ، إذا لَمْ يَلْقَ أعْـ يُنَهَا ضَرِيبٌ أوْ طَعِينُ
يا مَنْ لَهُ الرّأيُ الزّنيـ قُ ،وَمَن لهُ الحِلمُ الرّزِين[3]

١ البيض : السيوف . القيون : الحدادون .
٢ الحرب الزبون : التي يزبن أي يدفع بعضها بعضاً .
٣ الزنيق : المحكم .

وَمُرَوِّحَ الإبْلِ الطِّلا ... حِ رَمَتْ بِهِنّ نَوًى شَطُونُ[1]
مِنْ بَعْدِ مَا خَشَعَتْ غَوَا ... رِبُها وَقد قَلِقَ الوَضِينُ
لَكَ ذُرْوَةُ البَيْتِ المُعَـ ... ظَّمِ ، وَالأباطحُ وَالحَجونُ[2]
أتُرَى أمِينُ اللهِ إ ... لاّ مَنْ لَهُ البَلَدُ الأمينُ
للهِ دَرُّكَ حَيْثُ لا ... تَسْطُو الشِّمالُ وَلا اليَمِينُ
وَالأمْرُ أمْرُكَ لا فَمٌ ... يُوحي ، وَلا قَوْلٌ يُبِينُ
لَمّا رَأيْتُكَ في مَقَا ... مٍ يُستَطَارُ بِهِ الرّكِينُ
وَاليَوْمُ أبْلَجُ تَستَضِيـ ... ءُ لَهُ ظُهُورٌ ، أوْ بُطُونُ
وَرَأيتُ لَيثَ الغَابِ مُعْـ ... تَرِضاً ، لَهُ الدّنْيَا عَرِينُ
أقْدَمْتُ إقْدامَ الّـذِي ... يَدْنُو ، وَشَافِعُهُ مَكِينُ
فَلِذاكَ مَا ارْتَعَدَ الجَنَا ... نُ حَيَاً وَلا عَرِقَ الجَبِينُ
وَسَمَتْ بِفَضْلِكَ غُرّةٌ ... تُغضِي لِهيبَتِها الجُفُونُ
وَامتَدّ مِنْ نُورِ النّبِـ ... يّ عَلَيكَ عُنوَانٌ مُبِينُ
وَجَمالُ وَجْهِكَ لي بِنَيْـ ... لِ جَمِيعِ مَا أرْجُو ضَمِينُ
فَأُفيضَتِ الخِلَعُ السّوَا ... دُ عَليّ تَرْشُقُها العُيُونُ
شَرَفٌ خُصِصْتُ بِهِ وَقَدْ ... دَرَجَتْ بِغُصّتِهِ القُرُونُ
وَخَرَجْتُ أسحَبُهَا وَلي ... فَوْقَ العُلى، وَالنّجمُ دونُ

١ الطلاح : المهازيل . الشطون : البعيدة .
٢ الأباطح : أي بطاح مكة . الحجون : جبل بمعلاة مكة .

جَذِلاً ، وَللحُسّادِ مِنْ أسَفٍ زَفيرٌ ، أوْ أنِينُ
وَحَمَلْتُ مِنْ نُعْمَاكَ مَا لا تَحمِلُ الأُجدُ الأمونُ[1]
وَكَفَفْتَني عَنْ مَعْشَرٍ خُطَطُ المُنى فيهم حُزُونُ
مِنْ كُلّ جَهْمِ الصّفْحَتَيْنِ كأنّ وَجنَتَهُ وَجِينُ[2]
هَنّاكَ عِيدُكَ ، سَعدُهُ ما كانَ منهُ وَما يَكُونُ
وَالعيدُ أنْ تَبْقَى لَكَ العَلْيَاءُ ، وَالحَسَبُ المَصُونُ
عِزٌّ بِلا كَدَرٍ مِنَ الدّنْيَا ، وَبَعضُ العِزّ هُونُ
وَأرَى العُلى جَدّاءَ ، إلاّ أنّهَا لَكُمُ لَبُونُ[3]
حَمْداً لما تُولي فإنّ الحَمدَ للنّعْمَاءِ دِينُ
وَبَقِيتَ طُولَ الدّهْرِ لا يَجتاحُكَ الأجَلُ الخَؤونُ
وَعَلَيّ مَنُّكَ ضَافِياً ، وَعَلى أعَاديكَ المَنُونُ

١ الأجد : الناقة القوية . الأمون : الموثقة الخلق .
٢ الوجين : الأرض الغليظة .
٣ الجداء : الصغيرة الثدي الذاهبة اللبن . اللبون : ذات اللبن .

علق ثمين

قال وقد سأله بعض الناس عمل أبيات
على لسانه يرثي بها حميماً له توفي

ألا مُخبِرٌ، فيما يَقُولُ، جَلِيّةً — يُزِيلُ بهَا الشّكَّ المُرِيبَ يَقِينُ
أسائِلُهُ عَنْ غَائِبٍ كيفَ حالُهُ، — وَمَنْ نَزَلَ الغَبرَاءَ كيفَ يَكونُ
وَما كُنتُ أخشَى مِنْ زَمانيَ أنّني — أرِقُّ علَى ضَرّائِهِ وَألِينُ
إلى أنْ رَمَاني بالّتي لا شوى لهَا، — فأعقَبَ مِن بَعدِ الرّنِينِ أنِينُ[1]
مُعِيني علَى الأيّامِ فَجّعنَني بِهِ، — فَمَا لي عَلَى أحداثِهِنّ مُعِينُ
غَلَبنَ على عِلقي النّفيسِ فحُزْنَه، — وَفارَقَني عِلْقٌ عَليّ ثَمينُ[2]
سمَحتُ بهِ إذ لمْ أجِدْ عنهُ مَدفعاً، — وَإنّي عَلى عُذْرِي بِهِ لَضَنِينُ
وَإنّ أحَقّ المُجهِشِينَ لِعَبرَةٍ — ووَجْدٍ، قَرِينٌ بانَ عَنهُ قَرِينُ
وَما تَنفَعُ المَرْءَ الشِّمالُ وَحيدَةً، — إذا فَارَقَتْهَا بالمَنُونِ يَمِينُ
تَجَرّمَ عامٌ لمْ أنَلْ منكَ نَظرَةً، — وَحانَ، ولَمْ يُقدَرْ لقاؤكَ، حِينُ[3]
وكيفَ، وَقد قطّعنَ منك عَلائقي، — وَسَدّتْ شَعُوبٌ بَينَنَا وَمَنُونُ[4]

١ لا شوى لها : لا بقيا لها .
٢ العلق : النفيس من كل شيء .
٣ تجرم : انقضى .
٤ الشعوب : اسم للمنية ، أي الموت ، وكذلك المنون .

أضَبَّ جديدُ الأرْضِ دونك وَالتقتْ عليْكَ رِجامٌ كالغَياطِلِ جُونُ[1]
تُجاوِرُ فيها هامِدِينَ تَعَطّلُوا ، وَمن قَبلُ دانُوا في الزّمانِ وَدينُوا
مُقيمِينَ منها في بُطونِ ضَرَائحٍ ، حَوَامِلَ لا يَبدُو لهنّ جَنينُ
أمُرّ بِقَبرٍ قَد طَوَاكَ صَعيدُهُ ، فأبلَسُ حتّى مَا أكَادُ أُبِينُ[2]
وَتَنْفَضّ بالوجْدِ الأليمِ أضَالعٌ ، وَتَرْفَضّ بالدّمعِ الغزيرِ شُؤونُ
فإلاّ يَكُنْ عَقْرٌ فقَد عُقِرَتْ له خدودٌ، بأسرَابِ الدّموعِ عُيونُ
وَلا عَجَبٌ أن تُمطِرَ العينُ فوْقَهُ ، فإنّ سَوَادَ العَينِ فيهِ دَفِينُ

يا دار قل الصديق فيك

قال رضي الله تعالى عنه يفتخر ويذم الزمان

تَوَقّعي أنْ يُقالَ قَدْ ظَعَنَا ، ما أنتِ لي مَنْزِلاً وَلا سَكَنَا
يا دارُ قَلّ الصّديقُ فيكِ ، فَما أحُسّ وِدّاً ، وَلا أرَى سَكَنَا
ما ليَ مِثْلَ المَذُودِ عَنْ أرَبي ، وَلي عُرَامٌ يُجِرُّني الرّسَنَا
ألِينُ عَنْ ذِلّةٍ ، وَمِثْليَ مَنْ وَلّى المَقاديرَ جَانِباً خَشِنَا

١ أضب : شمله الضباب . الرجام : الحجارة . الغياطل : الظلمات .
٢ أبلس : أتحير .

مُعَطَّلاً ، بَعْدَ طُولِ مَلْبَثِهِ ، … مَنَازِلاً قَدْ عَمَرْتُهَا زَمَنَا

تَلعَبُ بِي النَّائِبَاتُ وَاغِلَةً ، … كَمَا تَهُزُّ الزَّعَازِعُ الغُصُنَا

أيقَظْنَ مِنِّي مُهَنَّداً ذَكَراً ، … إلى المَعَالِي وَسَائِقاً أرِنَا

كيفَ يَهابُ الحِمامَ مُنصَلِتٌ ، … مُذْ خافَ غَدْرَ الزّمانِ ما أمِنَا

لمْ يَلبَسِ الثّوْبَ مِن تَوَقُّعِه الأمْـ … ـرَ ، إلاّ وَظَنّهُ كَفَنَا

أعطَشَهُ الدّهرُ مِنْ مَطالِبِهِ ، … فَرَاحَ يَستَمطِرُ القَنَا اللُّدُنَا

لي مُهجَةٌ لا أرَى لهَا عِوَضاً ، … غَيرَ بُلُوغِ العُلَى ، وَلا ثَمَنَا

وكَيفَ تَرْجو البَقاءَ نَفسُ فتًى … وَدأبُهَا أنْ تُضَعضِعَ البَدَنَا

فيمَا مُقَامِي عَلى مُعَطَّلَةٍ ، … رُنِّقَ لي مَاؤهَا وَقد أجِنَا[1]

أكُرُّ طَرْفِي ، فَلا أرَى أحَداً … إلاّ مَغِيظاً عَلَيّ مُضْطَغِنَا

يُنبِضُ لي مِنْ لِسَانِهِ أبَداً … نِصَالَ ذَمٍّ تُمَزِّقُ الجُنَنَا[2]

وكُلُّ [illegible] ، تَرَائِبُهُ … تَحمِلُ ضَبّاً عَلَيّ قَد كَمَنَا

إنْ مَرّ بي لمْ أعُجْ بهِ بَصَراً ، … أوْ قَالَ لي لمْ أمِلْ لَهُ أذُنَا

مِن مَعشَرٍ أظهرُوا الشّجاعةَ في البخْـ … ـلِ ، وَعِندَ المَكَارِمِ الجُبُنَا

بُلْهٌ عَنِ المَجْدِ غَيرَ أنّهُمُ … قَدْ شَغَلُوا بالمَعايِبِ الفِطَنَا

يَستَحقِبُونَ المَلامَ إنْ رَكِبوا ، … وَيَحمِلُونَ الظّنُونَ وَالظِّنَنَا[3]

١ المعطلة : البئر الفارغة لبياد أهلها . رنق : كدر . أجن : تغير طعمه ولونه .

٢ ينبض ، من أنبض الرامي القوس : جذب وترها لترن وتصوت . الجنن ، الواحدة جنة : الستر ، الوقاية .

٣ الظنن : التهم ، الواحدة ظنة .

نحنُ أُسودُ الوَغى، إذا قصَفَ الطعـ ن قَنَا الخَطّ في جوَانِبِنَا
مُلْتَفّةٌ أعْيَاصِنَا إلى مُضَرٍ أمَرّ عِيدانَنَا لعَاجِمِنَا
نَجُرّ ما شِئْتَ مِنْ لِسَانِ فتًى إنْ هَدَرَتْ ساعَةً شَقاشِقُنَا
إنّ أبَانَا الذي سَمِعتَ بِهِ أسّسَ في هَضْبَةِ العُلى وَبَنَى
مَا ضَرّنَا أنّنَا بِلا جِدَةٍ، وَالبَيْتُ وَالرّكْنُ وَالمَقَامُ لَنَا
وَهِمّةٌ في العَلاءِ لازِمَةٌ، تُلْزِمُ صُمَّ الرّمَاحِ أيدِيَنَا
طِلابُنَا المَجْدَ مِنْ ذَوَائِبِهِ، رَوّحَنَا بَعْدَ أنْ أضَرّ بِنَا
نَأخُذُ مِنْ جُمّةِ العُلَى أبَداً ما أخذَ الضّرْبُ من جَمَاجِمِنَا
سَوْفَ تَرَى أنّ نَيْلَ آخِرِنَا مِنَ العُلَى فَوْقَ نَيْلِ أوّلِنَا
وَأنّ مَا بُزّ مِنْ مَقَادِمِنَا، يُخْلِفُهُ اللهُ في عَقَائِلِنَا
ذلِكَ وِرْدُ قَذًى لِسَابِقِنَا، وَالآنَ يُجْلَى القَذى للاحِقِنَا
دَيْنٌ عَلى اللهِ لا نُمَاطِلُهُ الـ شّكْرَ عَلَيْهِ، وَلا يُماطِلُنَا
لأُوقِرَنّ الرّكَابَ سَائِرَةً، عزْماً يَكُدّ الأبدانَ وَالبُدْنَا[1]
حتّى تَهاوَى مِنَ اللُّغُوبِ وَتَسْـ تَنجِدُ بَعدَ المَنَاسِمِ الثَّفِنَا
حَزّاً إلى المَجْدِ مِنْ أزِمّتِهَا، لَيسَ كحَزّ الأعاجِزِ الظُّعُنَا
لأبْلُغُ العِزَّ، أوْ يُقَالُ فَتًى جَنَتْ عَلَيهِ يَدُ الرّدى وَجَنَى

[1] البدن، الواحدة بدنة : هي كالأضحية من الغنم .

ستعلمون ما يكون مني

قال رضي الله تعالى عنه أيضاً يفتخر ويذم الزمان :

سَتَعلَمُونَ مَا يَكُونُ مِنّي ... إنْ مدّ مِن ضَبعَيّ طُولُ سنّي[1]
أأدَعُ الدّنْيَا ، وَلَمْ تَدَعْني ، ... يَلعَبُ بي عَنَاؤُها المُعَنّي
نَاطِحَةً بالجُمّ هَامَ القِرْنِ ، ... نِطاحَ رَوْقِ الجازِىءِ الأغَنّ[2]
وَسِعتُ أيّامي ، وَلَمْ تَسَعْني ، ... أفضَلُ عَنهَا ، وتَضِيقُ عَنّي
لِمْ أنَا مِثلُ القاطِنِ المُبِنّ ، ... أسحَبُ بُرْدَيْ ضَرَعٍ وَأفْنِ[3]
وَلي مَضَاءٌ قَطّ لَمْ يَخُنّي ، ... ضَميرُ قَلْبي وَضَميرُ جَفني
أحصَلُ مِنْ عَزْمي على التّمَنّي ، ... وَلَيْتَني أفْعَلُ ، أوْ لَوَ انّي
رَاضٍ بما يُضْوِي الفَتى وَيُضْني ، ... أسّسَ آبَائي وَسَوْفَ أبْني
قَدْ عَزّ أصْلي ، وَيَعِزّ غُصْني ، ... غَنيتُ بالمَجْدِ ، وَلمْ أستَغْنِ
إنّ الغِنَى مَجلَبَةٌ للضّنّ ، ... وَللقُعُودِ وَالرّضَا بالوَهْنِ
الفَقْرُ يُنْشي ، وَالثّرَاءُ يُدْني ، ... وَالحِرْصُ يُشقي ، وَالقُنُوعُ يُغْني

١ ضبعي : عضدي .
٢ الجازىء : الثور الوحشي المجتزىء ، أي المكتفي بالعشب عن الماء . الأغن : الذي يخرج صوته من خياشيمه .
٣ المبن ، من أبن في المكان : أقام فيه . الضرع : الذل . الأفن : ضعف الرأي والعقل .

إنْ كُنتُ غَيرَ قَارِحٍ ، فإنّي أبُذّ جَرْيَ القَارِحِ المُسِنّ[1]

جُنِنْتُ بأساً ، وَالشّجاعُ جِنّي ، أثَارَ طَعْنَ الدّهرِ في مِجَنّي[2]

يَشهَدُ لي أنّ الزّمَانَ قِرْني ، سَوْفَ تَرَى غُبَارَهَا كالدّجنِ

قَساطِلاً مِثلَ غَوَادي المُزْنِ ، تَجرِي بضَرْبٍ صَادِقٍ وَطَعْنِ

جَرْيَ عَزَالي المَطَرِ المُستَنّ ، إنْ غِبتُ يَوْماً عنكَ فاطّلِبْني[3]

بَينَ المَوَاضِي وَالقَنَا تَجِدْني أمامَ جَيشٍ كَجُنوبِ الرَّعْنِ

جَوْنُ الذُّرَى أقْوَدُ مُرْجَحِنّ ، أنفُضُ عَنهُ نَقْعَهُ بِرَدْني[4]

لِتَعْرِفَنّي ، وَلِتَعرِفَنّي ، أيّامَ أقْني بالقَنَا ، وَأُغْني[5]

أقَرُّ عَينَ الفَاقِدِ المُرِنّ ، عَسايَ أنْفي الضّيمَ ، أوْ لَعَنّي[6]

كم صَبرُ خافي الشّخصِ مُستجنّ ، مُنطَمِرٍ مِنَ الأذَى في سِجْنِ

مُرْتَهَنٍ بِهِمّةٍ تُعَنّي ، يا لَيْتَهَا بِنَهْضَةٍ فَدَتْني

مِنْ قَبْلِ أنْ يَغلَقَ يوْماً رَهني ، مَتَى تَرَاني وَالجَوَادُ خِدْني

وَالنّصْلُ عَيني وَالسّنانُ أُذْني . وَأُمّيَ الدّرْعُ ، وَلَمْ تَلِدْني

أجُرّ فَضْلَ ذَيْلِهَا الرِّفَنّ ، ما احتَبَسَ الرّزْقُ فَسَاءَ ظَنّي[7]

١ أبذ : أغلب . القارح : البعير الذي نبت نابه .

٢ المجن : الترس .

٣ أراد بعزالي المطر : شدته . والعزالي ، الواحدة عزلاء : مصب الماء من الراوية .

٤ الجون : الأسود . الذرى : الأعالي . الأقود : الجبل الطويل . المرجحن : الثقيل

٥ أقني بالقنا : ألزمها .

٦ لعني : لغة في لعلي .

٧ الرفن : الطويل الذيل .

وَلا قَرَعْتُ مِنْ قُنُوطٍ سِنّي ، يا أيّهَا المَغْرُورُ لا تَهِجْني
وَعُذْ بإغْضَائيَ ، وَاستَعِذْني ، وَاحذَرْ عِداءَ قاطِعٍ في ضِمْني
يَنطِقُ عَنّي بِلِسَانٍ ضِغْني ؛ نَبّهْتَ يَقظَانَ قَليلَ الأمْنِ
مُخَرَّقَ الثّوْبِ بِطَعْنِ اللُّدْنِ ، يا دَهرُ سَيفي مَعقِلي وَحِصْني
وَالخَوْفُ يُغرِي طَلَبي فخَفْني ، يا لَيتَ مَقدُورَكَ لمْ يُؤمنّي[1]
جَنَيْتُ من قَبلُ وَسَوْفَ أجْني ، أثْني يَدي ، وَالعَزْمُ أن أثْنَنّي

القول بالبيان

يهنىء خاله أبا الحسين بن الناصر
بمولود جاءه عقيب بنت :

حَقيقٌ أنْ تُكاثِرَكَ التّهَاني ، بِأيْمَنَ أوّلٍ وَأعَزِّ ثَاني
أرَى بَدْراً أضَاءَ بعِقبِ شَمسٍ مُبَارَكَةِ الطّلُوعِ عَلى القِرَانِ
وَقالَ النّاسُ من عَجبٍ وَعُجبٍ: تَلاقَى في السّمَاءِ النّيّرَانِ
هُوَ الذّكَرُ المُرَشَّحُ للمَعَالي ، وَللبِيضِ القَوَاضِبِ وَاللّدانِ
ستَنظُرُهُ ، إذا اتّسَعَتْ سِنُوهُ ، وَأخْرَجَهُ زَمَانٌ عَنْ زَمَانِ

١ قوله : يؤمني ، هكذا في الأصل .

رَبِيباً للصّوَارِمِ وَالعوَالي ، وَتِرْباً للمَفَاوِزِ وَالرِّعَانِ
طَلِيقَ الكَفّ في يَوْمِ العَطَايا ، جَرِيٍّ الرّمْحِ في يَوْمِ الطّعَانِ
رَبِيطَ الجَأشِ طَلاّعَ الثّنَايَا ، إلى الغَايَاتِ رَوّاغَ العِنَانِ
مُقَارَعَةُ الذّوَابِلِ في الهَوَادي ، أخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ نَغَمِ القِيَانِ
وَأحسَنُ عِندَهُ مِنْ كلّ ثَغْرٍ ، مُضِيءٍ ، رَوْنَقُ العَضْبِ اليَمَاني
تَرَاهُ أينَ خيّمَ في اللّيَالي ، عَزِيزَ الجَارِ مَوْرُودَ الجِفَانِ
يَنالُ المَجْدَ مِنْ عُنُقِ المَذاكي ، وَيَجني العِزّ مِنْ طَرَفِ السّنَانِ
وَلَيسَ جَوَادُهُ في النّقْعِ إلاّ طَلِيعَةَ كُلّ يَوْمٍ أرْوَنَانِ[1]
يُرَبّى بَينَ أحْشَاءِ المَعَالي ، وَيُودَعُ بَينَ أجْفَانِ الأمَاني
وَعَادَ حِمَاكَ مِنْ وَلَعِ الغَوَادي عَمِيمَ النّبْتِ مَغمُورَ المَغَاني
يُشَيّعُني بوَصْفِكَ كُلّ نُطْقٍ ، وَيَعرِفُني بمَدْحِكَ مَنْ رَآني
وَلَيسَ الوَصْفُ إلاّ بالتّنَاهي ؛ وَلَيسَ القَوْلُ إلاّ بالبَيَانِ

[1] الأرونان : الصعب .

نحن الناهضون الى العلى

قال وقد جددت الخلع عليه بالنقابة :

سَقاها ، وَإنْ لمْ يرْوِ قلبي بَيانُها، وَهَل تَنطِقُ العَجماءُ أقوَى مَعانُهَا[1]
ضَمَانٌ عَلى قلبي الوَفَاءُ لأهْلِهَا ، وَثَمّ ظِباءٌ لا يَصِحُّ ضَمَانُهَا
عَرَضْنَ بما روّى الغَليلَ اعترَاضُها ، وَلا قَطَعَ الدّمعَ اللّجوجَ اعتِنانُهَا[2]
وَهَلْ نَافِعٌ أنْ يَملأَ العَينَ حُسنُها إذا هيَ لمْ تُحسِنْ إلَيْنَا حِسَانُهَا
تَذَكّرْتُ أيّاماً بذي الأثْلِ بَعدَمَا تَقَضّى أوَاني في الصِّبَا وَأوَانُهَا
يُطَيّبُ أنْفَاسَ الرّيَاحِ تُرَابُهَا ، وَيَخضَلُّ مِنْ دَمعِ الغَمائمِ بانُهَا
وَلَمّا عَطَفْتُ النّاظرَينِ بِلَفْتَةٍ إلى الدّارِ خَلّى عَبرَةَ العَينِ شانُهَا
لَيَاليَ تَثْنِيني عَوَاطِفُ صَبْوَتي إلى بَدَوِيّاتٍ تَثَنّى لِدانُهَا
وَلا لَذّةٌ إلاّ الحَديثُ كَأنّهُ لآلٍ عَلى جَيْداءَ وَاهٍ جُمَانُهَا
عَفَافٌ كَمَا شَاءَ الإلَهُ يَسُرّني ، وَإنْ سِيءَ مِنْهُ بِكْرُهَا وَعَوَانُهَا
أألآنَ لَمّا اعْتَمّ بالشّيبِ مَفرِقي ، وَجَلّى الدُّجَى عَنْ لِمّتي لَمَعانُهَا
وَنَجّذَني صَرْفُ الزّمَانِ وَوُقّرَتْ على الحِلْمِ نَفسِي وَانقَضَى نَزَوَانُهَا
تَرُومُ العِدا أنْ تُستَلانَ حَتَمَ وَقَبْلَهُمُ أعْدَى عَليّ حِرَانُهَا

1 العجماء : البهيمة ، وأراد هنا الدار . أقوى : خلا . معانها : منزلها

2 اعتنانها : ظهورها .

أنَا الرّجُلُ الألْوَى الذي تَعرِفُونَهُ ، إذا نُوَبُ الأيّامِ أُلقِي جِرَانُهَا[1]
إذا كانَ غَيرِي من قُرَيشٍ هَجينَهَا، فإنّي عَلى رَغْمِ العَدُوّ هِجَانُهَا[2]
وَإنْ يَكُ فَخرٌ أوْ نِضَالٌ، فإنّني لهَا يَدُهَا طَوْراً ، وَطَوْراً لِسَانُهَا
وَإنّي مِنَ القَوْمِ الذينَ بِبَأسِهِمْ يُذَلَّلُ مِنْ أيّامِهِمْ حَدَثَانُهَا
إذا غَبّرُوا في الجَوّ ضَاقَ فَضَاؤهُ ؛ وَإنْ نَزَلُوا البَيْداءَ غُمّتْ رِعَانُهَا
فَوَارِسُ تَجرِي بِالدّمَاءِ رِمَاحُهَا، وَتَفْهَقُ بالنّيّ الغَرِيضِ جِفَانُهَا[3]
يَثُورُ، إذا أوْفَى الصّبَاحُ، عِجاجُها، وَيَعلُو، إذا جَنّ الظّلامُ، دُخانُهَا
وَإنّي لَوَثّابٌ عَلى كُلّ فُرْصَةٍ تَخيلُ عَلى الرّائي، وَيَخفى مكانُهَا
سَبَقتُ ، وَقَفّيتُم بِكُلّ طَليعَةٍ على عَقِبِي يَلْوِي بهَا هَدَجَانُهَا[4]
وَمَا كُنْتُ إلاّ كالثّرَيّا تَحَلّقاً ، يَدِفّ عَلى آثَارِهَا دَبَرَانُهَا[5]
عَصَائبُ ما استَامَ الفَخارَ وَضِيعُهَا ، وَلا استَأنَفَ العِزّ الجَديدَ مُهانُهَا
إذا لحَظَتْني أمْسَكَتْ بِأكُفّهَا ، عَليّ ، قُلُوباً دائِماً خَفَقَانُهَا
فَلا هيَ يَوْماً فيّ يَنفُذُ كَيْدُهَا ، وَلا يَنْجَلي مِنْ غَيّهَا شَنَآنُهَا
يُرِيدُ المَعَالي عَاطِلٌ مِنْ أداتِهَا ؛ وَهَيهاتَ مِنْ مَحصُوصَةٍ طَيَرَانُهَا[6]

١ الألوى : الشديد الخصومة .
٢ الهجين : الذي أبوه عربي وأمه أمة . الهجان : الشريف ، الحسيب .
٣ تفهق : تمتلىء . الني بالفتح : الشحم ، وبالكسر : السمن . الغريض : الطري. جفانها: قصاعها، الواحدة جفنة .
٤ الهدجان : مشية الشيخ المسن .
٥ يدف : يمشي مشياً خفيفاً .
٦ المحصوصة : المتناثرة الجناح من الحاصة وهي داء يسقط الشعر .

دَعُوها لِمَنْ رَبّاهُ مُذ كانَ حِجرُها، وَأرْضَعَهُ حَتّى استَقَلّ لِبَانُهَا
وَلا تَخطُبُوها بالرّجَاءِ، فما أرَى تُدَنَّسُ بالبَعْلِ الدّنيّ حَصَانُهَا
رَآني بَهاءُ المُلْكِ سَيفاً عَلَيْكُمُ، جَرِيءَ الظُّبَى لا يَنْثَني صَلْتَانُهَا[1]
فَجَرّدَني مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَانَةٍ، وَإنّ مُضِرّاً بالسّيُوفِ صِيَانُهَا
أفَاضَ، بِلا مَنٍّ، عَليّ كَرَامَةً، وَنَقْصُ الأيادي أنْ يَزِيدَ امتِنانُهَا
خرَجتُ أجُرُّ الذّيلَ منها وَقَد نَزَتْ قُلُوبُ العِدا مِنّي، وَجُنّ جَنانُهَا
وَلَيسَ عَلى زُهرِ الكَوَاكِبِ سُبّةٌ، إذا غَضّ مِنْ أنْوَارِها زِبرِقَانُهَا
وَقَرّبَ لي وَافي العِذارِ تَلَبّسَتْ بِهِ خُيَلاءٌ مَا يَزُولُ افْتِنَانُهَا
ألا إنّ أصْنَافَ السّيُوفِ كَثِيرَةٌ، وَأقْطَعُهَا هِنْدِيُّهَا وَيَمَانُهَا
وَكُلٌّ أنَابِيبِ القَنَاةِ شَرِيفَةٌ، وَأشرَفُها، لَوْ تَعلَمُونَ، سِنانُهَا
فكَيفَ، وَأنتُمْ وَثبَةُ اللّيثِ إذْ رَمى تَخَمّطُها في جَمعِكُمْ وَاستِنَانُهَا[2]
وَكَانَ يَسُوءُ السّامِعِينَ سمَاعُها، فَصَارَ يَهُولُ النّاظِرِينَ عِيَانُهَا
فَمَنْ مُبلِغٌ عَنّي الجَبَانَ بِأنّني أنَا المُورِدُ الشّقْرَاءَ يَدْمَى لَبَانُهَا
وَلَوْ لمْ تُعِنْ كَفّي قَنَاةٌ قَوِيمَةٌ، لأجرَى يَنَابِيعَ الدّمَاءِ بَنَانُهَا
بَلِينَا، وَنحنُ النّاهِضُونَ إلى العُلى، بزَمْنَى يُمَنّيهَا الغُرُورَ زَمَانُهَا
ذِئَابٌ أرَادَتْ أنْ تُعازِزَ ضَيغَماً، فَطَالَ عَلى مَرّ الزّمَانِ هَوَانُهَا

١ الصلتان : السيف المصلت ، أي المجرد .

٢ استنانها : اضطرابها .

رَأوْا فَتْرَةً مِنّا ، فظَنّوا ضَرَاعَةً ، وَتِلْكَ بُرُوقٌ غَرّهُمْ شَوَلانُهَا[1]
فكَيْفَ تَعَرّضْتُمْ بِغَيرِ نَبَاهَةٍ ، لصَعبَةِ عِزٍّ في يَدَيّ عِنَانُهَا
فإنْ تَعتَطِلْ يَوْماً من الدّهرِ صَعدَتي ، فقَدْ طَالَ في نَحرِ العَدوّ طِعانُهَا
وَإنْ تَستَجِمّ النّائِبَاتُ سَوَابقي ، فمِنْ قَبلِ ما بَذّ الجِيَادَ رِهَانُهَا

قلبان متمازجان

كتب إليه أبو إسحق الصابي يشكو زمنة عرضت له حتى صار يحمل في المحفة قصيدته التي مطلعها :

إذا ما تعدت بي وسارت محفة لها أرجل يسعى بها رجلان

فأجابه الرضي رضي الله عنه جواباً عنها :

ظَمَائي إلى مَنْ لَوْ أرَادَ سَقَاني ، وَدَيْني عَلى مَنْ لَوْ يَشَاءُ قَضَاني
وَلَوْ كانَ عندي مُعسِراً لَعَذَرْتُهُ ، وَلَكِنّهُ ، وَهْوَ المَليءُ ، لَوَاني
رَمَى مَقتَلي وَاستَرْجَعَ السّهمَ دامياً ، غَزَالٌ بنَجْلاوَيْنِ تَنْتَضِلانِ
أأرْجُو شِفاءً منهُ ، وَهوَ الذي جَنَى عَلى بَدَني داءَ الضّنَى وَشَجَاني
أبِيتُ ، فلَم أستَسقِ مَن كانَ غُلّتي ، وَلَمْ أستَرِشْ مَنْ كانَ قَبلُ بَرَاني[2]

١ الشولان : الارتفاع .
٢ استرش ، من استراش السهم : ألزق عليه ريشاً .

مَرَرْتُ على تِلكَ الدّيارِ، وَوَحشُها دَوَانٍ ، وَمَنْ يَحكِينَ غيرُ دَوَاني

فأنكَرَتِ العَيْنانِ ، وَالقَلْبُ عارِفٌ، قَليلاً ، وَلَجّا بَعْدُ في الهَمَلانِ

عَشيّةَ بَلّتْني الدّمُوعُ كَأنّمَا رِداوَايَ بُرْدا ماتحٍ خَضِلانِ[1]

ضَمِنَّ وِصَالي ثمّ ماطَلْنَ دُونَهُ ، وَإنّ ضَمَانَ البيضِ شَرُّ ضَمَانِ

أمِنْكِ طُرُوقُ الزَّوْرِ أيّةَ ساعَةٍ ، وَعيدُ خَيَالٍ عَادَ أيَّ أوَانِ ؟

ألَمّ بِعُوجٍ كالحَنَايَا مُنَاخَةٍ على جِزْعِ وَادٍ ذي رُبًى وَمَجاني

وَمِيلٍ كخيطانِ الأرَاكِ تَرَنّحُوا ، فمِنْ ذَقَنٍ مُستَقبَلٍ بِلِسَانِ

وَمالُوا على البَوْغاءِ من كُلّ جانبٍ، عَوَاطِفَ أيْدي تَوْأمٍ وَثُوَانِ[2]

يَقُودُهُمُ مِنّي غُلامٌ غَشَمشَمٌ ، مُعِينٌ عَلى البَأسَاءِ غَيرُ مُعَانِ[3]

إذا انفَرَجَتْ مِنهُ السُّجوفُ لِنَاظِرٍ تَألّقَ نُورٌ مِنْ أغَرَّ هِجَانِ

وَإنّي لآوِي مِنْ أعَزَّ قَبِيلَةٍ إلى نَضَدٍ ، أوْ جَامِلٍ عَكَنَانِ[4]

وَإنّ قُعُودي أرْقُبُ اليَوْمَ أوْ غَداً ، لَعَجْزٌ ، فَمَا الإبْطَاءُ بالنّهضَانِ

سَأتْرُكُ في سَمْعِ الزّمَانِ دَوِيّها ، بقَرْعَيْ ضِرَابٍ صَادِقٍ وَطِعانِ

وَأخْصِفُ أخْفَافاً بِوَقْعِ حَوَافِرٍ إلى غَايَةٍ تَقْضِي مُنًى ، وَأمَاني

فإنْ أسرِ ،فالعَلياءُ هَمّي،وَإن أقِمْ، فإني عَلى بِكْرِ المَكَارِمِ بَاني

١ رداواي : مثنى رداء . الماتح : نازع الماء من البئر . خضلان : مبتلان .

٢ البوغاء : التّربة الرخوة . التوأم : الذي يولد مع آخر في بطن واحد .

٣ الغشمشم : الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عن مراده .

٤ النضد : الشريف ، الشرف . الجامل : الجمال ، أو أصحاب الجمال . العكنان : الإبل الكثير .

وَإنْ أمضِ أترُكْ كلَّ حيٍّ من العِدا يقُولُ : ألا للهِ نَفْسُ فُلانِ
أُكَرِّرُ في الإخْوَانِ عَيْناً صَحيحَةً ، علَى أعيُنٍ مَرْضَى مِنَ الشَّنَآنِ
فَلَوْلا أبُو إسحَقَ قَلَّ تَشَبُّثي بِخِلٍّ ، وَضَرْبي عندَهُ بِجِرَانِ[1]
هُوَ اللاّفِتي عَنْ ذا الزّمَانِ وَأهلِهِ ، بشيمَةِ لا وَانٍ ، وَلا مُتَوَانِ
إخَاءٌ تَسَاوَى فيهِ أُنْساً وَأُلْفَةً رَضِيعُ صَفَاءٍ . أوْ رَضِيعُ لِبَانِ
تَمَازَجَ قَلْبَانَا مِزَاجَ أُخُوّةٍ ، وَكُلٌّ طَلُوبَيْ غَايَةٍ أخَوَانِ
وَغَيرُكَ يَنْبُو عَنْهُ طَرْفي مُجانِباً ، وَإنْ كانَ مِنّي الأقرَبَ المُتَداني
وَرُبَّ قَرِيبٍ بالعَداوَةِ شَاحِطٍ ، وَرُبَّ بَعِيدٍ بالمَوَدّةِ داني
لَئِنْ رَامَ قَبْضاً مِنْ بَنَانِكَ حادثٌ، لَقَدْ عاضَنَا مِنكَ انْبِسَاطُ جَنَانِ
وَإنْ بُزّ مِنْ ذاكَ الجَنَاحِ مُطارُهُ . فرُبّ مَقَالٍ مِنكَ ذي طَيَرَانِ
وَإنْ أقعَدَتْكَ النّائِبَاتُ . فَطَالَمَا سَرَى مُوقَراً مِنْ مَجدِكَ المَلَوَانِ
وَإنْ هَدَمَتْ منكَ الخُطوبُ بمَرّها. فَثَمّ لِسَانٌ للمَنَاقِبِ بَاني
مآثِرُ تَبْقَى مَا رَأى الشّمسَ ناظِرٌ ، وَمَا سَمِعَتْ مِنْ سامِعٍ أُذُنَانِ
وَمَوْسُومَةٍ مَقطُوعَةِ العُقْلِ لم تزَل شَوَارِدَ قَدْ بَالَغْنَ في الجَوَلانِ
وَما زَلّ منكَ الرّأيُ وَالحَزْمُ وَالحِجى فنَأسَى ، إذا مَا زَلّتِ القَدَمَانِ
وَلَوْ أنّ لي، يَوْماً، على الدّهرِ إمرَةً ، وَكَانَ ليَ العَدْوَى عَلى الحَدَثَانِ
خَلَعتُ عَلى عِطفَيكَ بُرْدَ شَبيبَتي جَوَاداً بِعُمْرِي وَاقتِبَالِ زَمَاني

[1] الضرب بجران : أراد الثبات والاستقرار .

وَحَمّلتُ ثِقلَ الشّيبِ عنكَ مَفارِقي ، وَإنْ فلّ من غَرْبي وَغَضّ عِناني
وَنابَتْ طَوِيلاً عَنكَ في كُلّ عارِضٍ بِخَطٍّ وَخَطْوٍ أخمَصِي وَبَنَاني
على أنّه ما انفَلّ مَن كانَ دُونَهُ حَميمٌ يُرَامي عَنْ يَدٍ ولِسَانِ
وَما كلُّ مَن لمْ يُعطِ نَهْضاً بِعاجِزٍ؛ وَلا كُلُّ لَيْثٍ خادِرٍ بِجَبَانِ
وَإنّكَ ما استَرْعَيتَ منّي سوَى فتًى ضَمُومٍ عَلى رَعْيِ الأمَانَةِ حَانِ
حَفيظٍ ، إذا مَا ضَيّعَ المَرْءَ قَوْمُهُ ، وَفيٍّ ، إذا مَا خُوّنَ العَضُدانِ
مِنَ اللهِ أستَهدي بَقاءَكَ أنْ تُرَى مُحَلاًّ لأسْبَابِ العُلَى بِمَكَانِ
وَأسْألُهُ أنْ لا تَزَالَ مُخَلّداً بِمَلْقَى سَمَاعٍ بَيْنَنَا وَعِيَانِ
إذا ما رَعَاكَ اللهُ يَوْماً ، فَقَدْ قضَى مَآرِبَ قَلْبي كُلَّها ، وَرَعَاني

اسرة تنبت التيجان

كتب إليه أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي المذكور يمدحه وكتب مع هذه القصيدة رقعة يعتذر فيها من تأخره عن قضاء حقه بعلته وهي مثبتة في جملة رسائله ومطلعها :

أبا كل شيء قيل في وصفه حسن ، إلى ذاك ينحو من كناك أبا الحسن

فأجابه عن هذه القصيدة وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء في الكلام إلا مقلقلا ولا النظم إلا مختلا :

دَعْ من دُموعِكَ بَعدَ البَينِ للدِّمَنِ ، غَداً لدارِهِمُ ، وَاليَوْمَ للظُّعُنِ

هَلْ وَقفَةٌ بلِوَى خبْتٍ مُؤلَّفَةٌ ... بَينَ الخَليطَينِ من شامٍ وَمِنْ يَمَنِ[1]
عُجنَا على الرَّكْبِ أنْضاءً مُحزَّمَةً ، ... أثقالُها الشَّوقُ مِن بادٍ وَمُكْتَمِنِ
مَوْسُومَةٌ بالهَوَى يُدرَى برُؤيَتِهَا ... أنّ المَطَايا مَطايا مُضْمِرِي شَجَنِ
ثمّ انثَنَينا على يَأسٍ ، وَقد وَجِلَتْ ... نَوَاظِرٌ بِمَجَارِي دَمعِها الهَتِنِ
تَرُومُ رَدَّ نُفُوسٍ بَعدَ طَيرَتِهَا ... على قَوَادِمَ مِنْ وَجْدٍ وَمن حزَنِ
تَعرِيسَةٌ بَينَ رَمْلَيْ عالِجٍ ضَمِنَتْ ... بَلَّ الغَليلِ لقَلبِ المُوجَعِ الضَّمِنِ
بِتنا سُجوداً عَلَى الأكوَارِ يَحمِلُنَا ... لَوَاغبٌ قد لَطَمنَ الأرْضَ بالثَّفَنِ[2]
أهْفُو إلى الرّيحِ إنْ هَبّتْ يَمَانِيَةً ، ... تَحدُو زَعَازِعُها عِيراً من المُزُنِ
أبَى ضَميرِيَ إلاّ ذِكْرَهُ ، وَأبَى ... تَعَرُّضُ البَرْقِ إلاّ أنْ يُؤرّقَني
شَوْقٌ ألَمّ ، وَمَا شَوْقي إلى أحَدٍ ، ... سِوَى الذي نامَ عَن لَيلي وَأيقَظَني
إنْ زَاغَ قَلبي ، فإنّ الهَجرَ أحرَجَني ، ... وَإنْ صَبَرْتُ ، فإنّ اليَأسَ صَبّرَني
وَكَمْ رَمَتْني مِنَ الأقدارِ مُنبِضَةٌ ... لمْ تَثْنِ باعي ، وَلَمْ يَحرَجْ لها عَطَني
ما كُنْتُ أعلَمُ ، وَالأيّامُ عالِمَةٌ ، ... أنّ اللّيَالي تُقَاعِيني لتَنهَشَني[3]
قَدْ أدْمَجَ الهَمُّ في عُنْقي حبَائِلَهُ ، ... وَلَزّةُ الهَمّ تُنسي لَزّةَ القَرَنِ[4]
إنْ يَبلَ ثَوْبي ، فإنّي أكتَسِي حَسَبي ، ... أوْ تُودَ خَيلي ، فإنّي أمتَطي مُنَني[5]

١ خبت : موضع بالشام .
٢ الثفن : داء في الثفنة ، وهي من البعير ركبته وما مس الأرض من كركرته وأصول أفخاذه ، وأراد باللواغب : النياق المعيية .
٣ تقاعيني : أراد بها تجالسني ، من أقعى الرجل : تساند إلى ما وراءه .
٤ اللزة ، من لزه : شده وألصقه .
٥ تودى : تهلك . مني ، الواحدة منة : القوة .

وَأدْخَلُ البَيْتَ لمْ تَأذَنْ قَعائِدُهُ، على الحَصَانِ أمامَ القَوْمِ وَالحُصُنِ[1]

لا أطلُبُ المَالَ إلاّ مِنْ مَطالِبِهِ، وَلا يَفي ليَ بَذْلُ المَالِ بِالمِنَنِ

إنّ البَخيلَ الذي قَد باتَ يُؤنِسُني، مثلُ الجَوَادِ الذي قد باتَ يَمطُلُني

لَقَدْ تَقَدّمَ بي فَضْلي، بِلا قَدَمٍ؛ أعْظِمْ بأمْرٍ على ذي السّنّ قدّمَني

لا يَبرَحُ المَجْدُ مَرْفُوعاً دَعائِمُهُ ما دامَ مُعتَمِداً مِنّا على رُكُنِ

مِنْ أُسرَةٍ تُنبِتُ التّيجَانَ هامُهُمُ، مَنابِتَ النّبعِ في الأطوَادِ وَالقُنَنِ

المَجدُ أنوَطُ مِن كَفٍّ إلى عَضُدٍ فيهِم، وَأقوَمُ من رَأسٍ على بَدَنِ

مَنْ مُبلِغٌ لي أبَا إسحَقَ مَألُكَةً عن حِنْوِ قَلْبٍ سَليمِ السّرّ وَالعَلَنِ

جَرَى الوَدادُ لَهُ منّي، وَإن بَعُدَتْ منّا العَلائقُ، مَجرَى الماءِ في الغُصُنِ

لَقَدْ تَوَامَقَ قَلْبَانَا كَأنّهُمَا تَرَاضَعَا بِدَمِ الأحْشَاءِ لا اللّبَنِ

مُسَوَّدٌ قَصَبَ الأقلامِ نَالَ بِهَا نَيلَ المُحَمَّرِ أطْرَافَ القَنَا اللُّدُنِ

إنْ لمْ تكنْ تُورِدُ الأرْماحَ مَوْرِدَها، فَما عَدَلتَ إلى الأقلامِ عَن جُبُنِ

وَالطّاعِنُ الطّعنَةَ النّجلاءَ عن جلَدٍ، كالقائِلِ القَوْلَةَ الغَرّاءَ عَن لَسَنِ

حارَ المُجارُونَ إذْ جارَوْكَ في طَلَقٍ، وَأجفَلُوا عَن طَرِيقِ السّابِقِ الأرِنِ

ضَلّوا وَرَاءَكَ حتّى قالَ قائِلُهُمْ: ماذا الضّلالُ، وَذا يَجري على السَّنَنِ

ما قَدرُ فَضْلِكَ ما أصْبَحتَ تَرْزُقُهُ، لَيسَ الحُظوظُ على الأقدارِ وَالمِهَنِ

قد كنتُ قَبلَكَ مِن دَهرِي على حَنَقٍ، فزَادَ ما بِكَ مِن غَيظي على الزّمَنِ

[1] القعائد: النساء لقعودهن في البيت.

كَمْ رَاشَنا وَبَرَانَا ، غَيرَ مُكتَرِثٍ بما نُعالجُ ، بَرْيَ القِدْحِ بالسَّفَنِ[1]
ألقَى عَلى آلِ وَضّاحٍ حَوِيّتَهُ ، وَحكّ بَرْكاً على سَيفِ بنِ ذي يزَنِ[2]
وَمِثلَها أنشَبَ الأظفارَ في مُضَرٍ ، وَمَرّ يَحْرُقُ بالأنيَابِ لِلْيَمَنِ
إنْ يَدْنُ قَوْمٌ إلى داري فَأَلَفهُمْ ، وتَنْأَ عَنّي ، فأنتَ الرّوحُ في البَدَنِ
فالمَرْءُ يَسرَحُ في الآفَاقِ مُضْطَرِباً ، وَنَفْسُهُ أبَداً تَهفُو إلى الوَطَنِ
وَالبُعْدُ عَنكَ بَلاني باستِكانِهِمُ ؛ إنّ الغَرِيبَ لَمُضْطَرٌّ إلى السّكَنِ
أنتَ الكَرَى مُؤْنِساً طَرْفي وَبَعضُهُمُ مِثْلُ القَذَى مانِعٌ عَيني من الوَسَنِ
كَمْ مِنْ قَرِيبٍ يرَى أنّي كَلِفتُ به يُمسِي شَجايَ وَتُضْحي دونَه شجَني
وَصَاحِبٍ طالَ ما ضَرّتْ صَحابَتُه . عكَفْتُ مِنْهُ على أطغى مِنَ الوَثَنِ
مُستَهدِفٌ لمَرَامي العَيبِ جانِبُهُ . يكَادُ يَنعَطّ بُرْداهُ مِنَ الظِّنَنِ
ذي سَوْءَةٍ إنْ ثَنَاها مَحفِلٌ كثُرَتْ لها المَضَارِبُ فوْقَ الصّدرِ بالذَّقَنِ
إذا احتَمَيتُ بِهِ أحمي على كَبدي ، كَيفَ اجتناني إذا أسلَمَنَي جُنَني
لا تَجعلَنّ دَليلَ المَرْءِ صُورَتَهُ ، كَم مَخبَرٍ سَمجٍ عن مَنظَرٍ حسَنِ
إنّ الصّحائِفَ لا يَقرِيكَ باطِنُها نَفسَ الطّوَابعِ مَوْسوماً على الطِّيَنِ
أشتاقُكُم وَدَوَاعي الشّوْقِ تُنهِضُني إلَيكُمْ ، وَعَوَادي الدّهرِ تُقعِدُني
وَأعرِضُ الوُدّ أحيَاناً فَيُؤْنِسُني ، وَأذكُرُ البُعدَ أطوَاراً فيُوحِشُني
هَذا ، وَدِجْلَةُ مَا بَيْني وَبَينَكُمُ ، وَجانِبُ العَبرِ غيرُ الجانبِ الخَشِنِ

١ السفن : كل ما ينحت به .
٢ الحوية : كساء محشو حول سنام البعير . البرك : الصدر .

وَمُشْرِفٍ كَسَنَامِ العَوْدِ مُلْتَبِسٍ ، كالمَاءِ لُزّ بأضْلاعٍ مِنَ السُّفُنِ
كالخَيْلِ رُبّطْنَ دُهْماً في مَوَاقِفِها ، وَالبُزْلِ قُطّرْنَ بَيْنَ الحَوْضِ وَالعَطَنِ
قَدْ جاءَتِ النّفْثَةُ الغَرّاءُ ضَامِنَةً ما يُوبِقُ النّفسَ من عُجبٍ ومن درَنِ
أنبَطْتُ مِنْ حُسنِها ماءً بلا نَصَبٍ ، وَحُزْتُ مِنْ نَظمِها دُرّاً بلا ثَمَنِ
أنشَدْتُهَا ، فَحَدا سَمعي غَرَائِبُها إلى الضّميرِ حداءَ الرّكبِ للبُدُنِ
جازَتْ إلى خاطِرِي عَفواً وَخُيِّلَ لي ، ممّا استَبَتْ أُذُني ،أنْ لمْ تَجُزْ أُذُني
فاقتَدْ إلَيْكَ ، أبَا إسحقَ ، قافِيَةً قَوْدَ الجَوَادِ ، بلا جُلٍّ وَلا رَسَنِ
كادَتْ تَقاعَسُ لوْ ما كُنتَ قائدَها تَقاعُسَ البازِلِ المَجنوبِ في الشَّطَنِ
تَستَوْقِفُ الرّكبَ إنْ مرّتْ مُعارِضَةً تُهدي عَقيلَتَها العَذراءَ مِنْ يَمَنِ

الغارسون المورقون

يمدح الملك بهاء الدولة
ويهنئه بنيروز سنة ٣٩٨ :

تَوَاعَدَ ذا الخَليطُ لأنْ يَبينَا ، وَزَايَلَنَا القَطِينُ ، فلا قَطِينَا
وَإنّي ، وَالمَوَاعِدُ كاذِبَاتٌ ، ليُطمِعُنا خِلابُ الوَاعِدِينَا
نُعَنّى بالمِطَالِ مِنَ الغَوَاني ، وَهَانَ عَلى المَوَاطِلِ ما لَقِينَا
وَنَظْمَأُ، وَالمَوَارِدُ مُعْرِضَاتٌ، فنَرْجِعُ بالغَليلِ ، وَما سُقِينَا

لَهُنَّ اللهُ كَيفَ أصَبْنَ مِنّا ... نُفُوساً ما عُقِلْنَ، وَما وُدِينَا[1]

لَقِينَ قُلُوبَنَا بجُنُودِ حَرْبٍ ... تَطَاعَنُ بالدّمالِجِ وَالبُرِينَا[2]

جَلَوْنَ لَنَا لآلِىءَ وَاضِحَاتٍ ، ... أضَأنَ بها الذّوَائبَ وَالقُرُونَا[3]

عَهِدْنَا الدُّرّ مَسكِنُهُ أُجَاجٌ ، ... فكَيْفَ تَبَدّلَ الثّغْبَ المَعِينَا

جُنونَ المُرْشِقاتِ ، غداةَ جَمعٍ ، ... بأقتَلَ مِنْ نِبَالِكَ مَا رُمِينَا

وَلَمْ نَرَ كالعُيُونِ ظُبَى سُيُوفٍ ... أرَقْنَ دَماً ، وَما رُمْنَ الجُفُونَا

عَوَائِدُ مِنْ تَذَكّرِ آلِ لَيلى، ... كَأنّ لهَا عَلى قَلْبي دُيُونَا

أُكَاتِمُهَا ، فَفي الأحشَاءِ منها ... مَضِيضٌ بَعدَما بَلَغَ الحَنِينَا

فَيا حَادي السّنِينَ قِفِ المَطَايا، ... فَهُنّ عَلى طَرِيقِ الأرْبَعِينَا

وَإنّ الرّأسَ بَعدَكَ صَوّحَتْهُ ... بوارِح شيبه ، فغدا[4]

وَكَانَ سَوَادُهُ عِيدَ الغَوَاني ، ... يُعِدْنَ إلى مَطالِعِهِ العُيُونَا

أُتَاجِرُها ، فأرْبَحُ في التّصَابي ، ... وَبَعضُ القَوْمِ يَحسَبُني غَبِينَا

أهانَ الشّيبُ ما أعزَزْنَ مِنهُ ، ... وَعَزّ عَلى العَقَائِلِ أن يَهُونَا

جُنُونُ شَبِيبَةٍ ، وَوَقَارُ شَيبٍ، ... خُذا عنّي النُّهَى وَدَعا الجُنونَا

نَرَى الأيّامَ ،وَهيَ غَداً سِنُونٌ ، ... وَبالآحَادِ يَبْلُغْنَ المِئِينَا

١ عقله ووداه : بمعنى دفع ديته .

٢ البرين ، الواحدة برة : كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها .

٣ القرون ، الواحد قرن : الخصلة من الشعر .

٤ صوحته : شققت شعره وأيبسته حتى سقط .

سَتُنْبِئُنَا النَّوَائِبُ مَا أَرَتْنَا مِنَ العَجَبِ العَجِيبِ بِمَا تُرِينَا
حَلَفْتُ بِمُلْقِيَاتِ النَّيِّ عُوجٍ ، خَوَابِطَ تَطْلُبُ البَلَدَ الأَمِينَا
حَوَامِلَ نَاحِلِينَ عَلَى ذُرَاهَا ، حَوَانِيَ يَنْجَذِبْنَ بِمُنْحَنِينَا
يُسَقَّيْنَ الهَجِيرَ عَلَى التَّظَامِي ، وَيَنْعَلْنَ الحِرَارَ ، إِذَا وُجِينَا
كَأَنَّ سِيَاطَهَا ، وَلَهَا هَبَابٌ ، قُلُوعُ اليَمِّ زَعْزَعَتِ السَّفِينَا
بِكُلِّ مُعَبَّدِ القُطْرَيْنِ يَنْضِي مِطَالُ طَرِيقِهِ الأُجُدَ الأَمِينَا[1]
لَقَدْ أَرْضَى قِوَامُ الدِّينِ فِينَا وَصَاةَ اللهِ وَالدِّينَ اليَقِينَا
رَعَانَا بِالقَنَا ، وَلَقَدْ تَرَانَا ، وَأَضْبَعُ مَا نَكُونُ إِذَا رُعِينَا[2]
أَعَادَ ثِقَافَنَا حَتَّى اسْتَقَمْنَا ، وَدَلَّ بِنُورِهِ اللَّقَمَ المُبِينَا
تَيَقَّظَ ، وَالعُيُونُ مُغَمَّضَاتٌ ، وَقَلْقَلَ ، وَالرَّعِيَّةُ وَادِعُونَا[3]
وَمَا عَدِمَ العُلَى كَهْلاً وَطِفْلاً ، وَفِي خِرَقِ الوَلِيدِ وَلَا جَنِينَا
مِنَ القَوْمِ الأُلَى تَبِعُوا المَعَالِي ، قِرَانَ العَوْدِ يَتَّبِعُ القَرِينَا
أَقَامُوا عَنْ فَرَائِسِهَا اللَّيَالِي ، وَرَدُّوا عَنْ مَوَارِدِهَا المَنُونَا
هُمُ رَفَعُوا ، كَمَا رَفَعَتْ نِزَارٌ ، قِبَابَ عُلًى عَلَى كَرَمٍ بُنِينَا
نُبَقِّي سَائِرَاتِ الدَّهْرِ فِيهِمْ ، وَيُبْقُونَ اليَدَ البَيْضَاءَ فِينَا
فَإِنْ نُثْمِرْ لَهُمْ شُكْراً طَوِيلاً ، فَهُمْ غَرَسُوا ، وَكَانُوا المُورِقِينَا

١ المعبد : المطلي بالقطران . ينضي : يهزل . الأجد : الناقة القوية . الأمين : أي المأمونة العثار
٢ أضبع : أمد ضبعاً ، أي عضداً .
٣ الوادعون : الهادئون ، الساكنون .

فقل للمُصْحِرِينَ دَعوا الضَّوَاحي ، فَإِنَّ اللَّيثَ قَد نَزَعَ العَرِينَا[1]
وَلا تَتَغَنَّمُوا مِنْهُ قُعُوداً يُقيمُ لكُم بهِ الحَرْبَ الزَّبُونَا[2]
فَفَي أغْمادِهِ وَرَقٌ قَدِيمٌ ، يَزِيدُ عَلى قِرَاعِ الصِّيدِ لِينَا[3]
قَوَاضِبُ لا يَغُبُّ بهَا الهَوَادي فَيُعطيهَا الصَّياقِلَ وَالقُيُونَا[4]
ألَيسَ وِقَاعُهُ بالأمسِ فيكُم سَقَى غَلَلَ الرِّماحِ ،وَما رَوِينَا[5]
بأرْبُقَ قَدْ أدارَ لَكُمْ رَحَاها ، مَدارَ الطَّوْدِ مَرْداةً طَحُونَا[6]
وَجَلجَلَها عَلى الأهوَازِ حتّى أعَادَ زَئِيرَ أُسدِكُمُ أنِينَا
وَسَاخَ ، تَقَصُّعَ اليَرْبوعِ ، غاوٍ أثَارَ بِطَعنِهَا ، فَنَجَا طَعِينَا[7]
أشَيعِثُ ، رَأسُهُ بالبِيضِ يُفْلى ، وَيَغدُو بالدّمِ الجَارِي دَهِينَا
يَذُودُ رِقَابَهَا ، هَيهاتَ مِنها ، وَقَد غَلَبَتْ عَصِيَّ الذّائدِينَا[8]
تَوَلّعَ بالقَنَا ، فتَطاوَحَتْهُ ، لداغَ الدَّبْرِ ، أيدي العاسِلينَا[9]

١ المصحرون : الخارجون إلى الصحراء ، أو القائمون فيها .
٢ الحرب الزبون : التي تزبن الناس أي تصدمهم .
٣ الورق : النصل . الصيد ، الواحد أصيد : الرافع رأسه كبراً .
٤ الهوادي : الأعناق .
٥ الغلل : العطش .
٦ اربق : قرية برامهرمز . المرداة : أداة من حجر تكسر بها الحجارة .
٧ ساخ : دخل . تقصع اليربوع : أي كتقصع اليربوع ، دخوله قاصعاءه ، أي جحره ، واليربوع دابة معروفة .
٨ يذود : يدفع . العصي : العاصي .
٩ تطاوحته : ترامت به . لداغ الدبر : أي كلداغ الدبر ، أي جماعة النحل والزنابير . العاسلين مشتاري العسل .

غَدا يَمري عُفافتَهَا ، فأمسَى يَرَى بالطّعنِ لِقحتَهَا لَبُونَا[1]

وَمَنْ شُرِعَتْ رِماحُ اللهِ فِيهِ ، درَى أنّ السّوَابغَ لا يَقِينَا

وَبِتْنَ عَلى المَطالِعِ مُلجَماتٍ ، عَلائِقُهَا أنَابيبُ القُنِينَا[2]

عَلى صَهَوَاتِها أبْنَاءُ مَوْتٍ ، حَوَاسِرُ للرّدَى وَمُقَنَّعِينَا

مُجَاذِبَةً أعِنّتَهَا جِمَاحاً ، هَبَطْنَ قَرَارَةً وَطَلَعْنَ بِينَا[3]

وَقَعْنَ بغَارَةٍ ، وَطَلَبْنَ أخرَى ، يُمَاطِلْنَ الإقَامَةَ وَالصُّفُونَا

تُكَفكِفُ وَهيَ في الغُلَوَاءِ تُلقي إلى أرْضِ العِدا نَظَراً شَفُونَا[4]

تَلَفّتَ جُوَّعِ الآسَادِ فَاتَتْ فَرَائِسَها النُّيوبُ ، وَقد دَمِينَا

تُحَاذِرُ في مَرَابِطِهَا وُقُوفاً ، وَإنْ بلَغَ العِدا أمَداً شَطُونَا

فلَوْ أُلجِمنَ لا لغِوَارِ حَرْبٍ ، لقَدْ ظَنّ العَدُوُّ بهَا الظُّنُونَا

أما شَهِدوا ليالي السُّوسِ مِنها ، وَمَسحَبَهَا القَنِيَّ بدارِ زِينَا[5]

وَمَنْشَرَها عَلى هَضَبَاتِ بَمٍّ ، رِيَاطاً للعَجَاجَةِ مَا طُوِينَا[6]

إذا رَجَعَ الغَزِيُّ بهِنّ حَسرَى ، أُعِدْنَ إلى الطّعَانِ كمَا بُدِينَا

لَحِقْنَ طَرِيدَةً لَوْلا قَنَاهَا لَطَالَ رَوَاغُهَا للطّارِدِينَا

١ العفافة : بقية اللبن . اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

٢ الأنابيب ، الواحد أنبوب : الطريقة في الجبل . القنون ، الواحدة قنة : أعلى الجبل .

٣ البين : ارتفاع في غلظ .

٤ الشفون : الغيور .

٥ السوس : كورة بالأهواز . دار زينا : موضع قرب عدن .

٦ البم : بلد بكرمان .

وَعُدْنَ ، وَفي حقَائِبِهِنّ هامٌ ، لَقِينَ مِنَ الصّوَارِمِ مَا لَقِينَا
بقَنّاصٍ أصَابَ ، وَفي يَدَيْهِ حَبَائِلُ قَدْ مُدِدْنَ لآخَرِينَا
نَوَائِبُ ألْقَتِ الحُلّى عَلَيْهِ ، فقَامَ بِعِبْئِهِنّ وَمَا أُعِينَا
بَسَالَةُ هانىءٍ في حَيّ بَكْرٍ ، وَحَنظَلَةَ الذي قَطَعَ الوَضِينَا
وَهل يرْضَى المُطولَ وَفي الأعادي دُيُونٌ للصّوَارِمِ ما قُضِينَا
ألا جُزْتَ الجَوَازِي اليَوْمَ عنّي جَوَاداً ، لا أغَمّ وَلا هَجِينَا
نَمَاهُ أبٌ وَلُودٌ للمَعَالي ، وَأُمٌّ أرَاقِمٍ تُدْهي البَنِينَا[1]
مِنَ العُظَمَاءِ أطْوَلُهُمْ عِماداً ، وَأنداهُمْ ، إذا مُطِرُوا ، يَمِينَا
تَبَوّعَ بي إلى قُلَلِ المَعَالي ، وَخَيّرَني المَعاقِلَ وَالحُصُونَا
فَأرْغَمَ بي عَلى رُغْمٍ أُنُوفاً ، مُضَاغِنَةً ، وَأقذى بي عُيُونَا
تَهَنّ بِمَطْلَعِ النّيرُوزِ وَابلُغْ مَطالِعَ مِثْلَهُ حِيناً ، فَحِينَا
مُرَحِّلَ كُلّ نَائِبَةٍ مُقِيماً ، مُذِيلاً للعِدا ، أبَداً مَصُونَا
تُظَفَّرُ بالمَآرِبِ طَيّعَاتٍ ، وَبِالآمَالِ أبْكَاراً وَعُونَا
وَإنّ أحَقّ مِنكَ بأنْ يُهَنّى ، إذا مَدّ البَقاءَ لكَ ، السّنُونَا

[1] أم أراقم : الداهية

فخر الفتى بالقول

قال وقد بلغه أن قوماً من أعدائه قالوا لبهاء الدولة قد جرت عادته بإنشاد الخلفاء شعره ، وإنه إنما يتكبر عليك بترك الإنشاد لأنه لم ينشد قط ممدوحاً ، وهذه فضيلة تفرد بها عن الشعراء،فكتب إليه بهذه الأبيات مع قصيدة في كتاب :

جَنَانِي شُجاعٌ إنْ مَدَحتُ وَإنّما لِسَانيَ إنْ سِيمَ النّشيدَ جَبَانُ
وَمَا ضَرّ قَوّالاً أطَاعَ جَنَانَهُ ، إذا خَانَهُ عِندَ المُلُوكِ لِسَانُ
وَرُبّ حَيِيٍّ في السّلامِ ، وَقَلبُه وَقَاحٌ ، إذا لَفّ الجِيادَ طِعَانُ
وَرُبّ وَقَاحِ الوَجْهِ يَحمِلُ كَفُّه أنامِلَ لمْ يَعرَقْ بهِنّ عِنَانُ
وَفَخرُ الفَتَى بالقَوْلِ ،لا بنَشيده، وَيَرْوِي فُلانٌ مَرّةً وَفُلانُ

تعجب صحبي من بكائي

قال أيضاً رضي الله تعالى

دَعا بالوِحافِ السّودِ من جانبِ الحمى نَزِيعُ هَوًى ، لبّيتُ حينَ دَعَاني[1]
صحْبي من بُكائي وَأنكَرُوا جَوَابي لِمَا لَمْ تَسْمَعِ الأُذُنَانِ

[1] الوحاف ، الواحدة وحفة : أرض مستديرة مرتفعة سوداء .

فقُلتُ: نعم، لمْ تَسمعِ الأذنُ دَعوَةً، بَلى ! إنّ قَلْبي سَامِعٌ وَجَنَاني
وَيا أيّها الرّكبُ اليَمانُونَ خَبّرُوا طَليقاً بأعْلَى الخَيفِ أنّيَ عَاني[1]
عِدُوهُ لِقَائي، أوْ عِدُوني لِقَاءَهُ، ألا رُبّمَا دانَيتُ غَيرَ مُداني
وَما حَائِماتٌ يَلتَقِينَ مِنَ الصّدَى إلى المَاءِ قَدْ مُوطِلنَ بالرَّشَفَانِ
يَزِيدُ لهَا بالخِمسِ بَينَ ضُلُوعِهَا نَسيمُ رِيحِ الشّيح وَالعَلَجَانِ[2]
إذا قيلَ: هذا المَاءُ، لمْ يَملِكوا لهَا مَعاجاً، بِأقْرَانٍ وَلا بِمَثَانِ[3]
بأظْمَى إلى الأحبَابِ مِنّي، وَفيهِمُ غَرِيمٌ، إذا رُمْتُ الدّيُونَ لَوَاني
فَيَا صَاحِبَيّ رَحْلي، أقِلاّ، فإنّني رَأيْتُ بِلَيْلَى غَيرَ مَا تَرَيَانِ
وَيا مُزْجيَ النِّضْوِ الطّليحِ عَشيّةً، تُرَاكَ بِبَطْنِ المَأزِمَينِ تَرَاني
وَهَلْ أنَا غَادٍ أنْشُدُ النَّبلَةَ الّتي بهَا عَرَضاً ذاكَ الغَزَالُ رَمَاني
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أيّامِ جَمعٍ إلى مِنًى، إلى مَوْقِفِ التّجميرِ، غَيرُ أمَاني
يُعَلِّلُ دائي بِالعِرَاقِ طَمَاعَةً، وَكَيْفَ شِفَائي، وَالطّبيبُ يَمَاني !

١ الخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس بمكة
٢ الشيح والعلجان : ضربان من النبات .
٣ مثاني الشيء : قواه وطاقاته

شر الأذى

قال في قوم يسرقون شعره :

أفي كُلّ يَوْمٍ لي عِشَارٌ تَسُوقُهَا ... رِمَاحُ بَني الغَبرَاءِ سَوقَ الظّعائِنِ
أحَالُوا عَلَيْهَا عَاكِسِينَ رِقَابَها ، ... وَطَوْا بِهَوَادِيهَا مَكَانَ الفَرَاسِنِ[1]
إذا جُزْتُ في أبْيَاتِ آلِ مُحَلَّمٍ ... تَرَاغَيْنَ نَحْوِي مِنْ وَرَاءِ المَعاطِنِ
تَحِنُّ إلى تَرْعِيّةٍ لمْ يُرِدْ بِهَا ... وَبِيءَ المَرَاعِي ، وَالنِّطَافَ الأوَاجِنِ[2]
وَخَالَسَنِيهَا كُلُّ أطْلَسَ خَاتِلٍ ... خَفِيِّ المَرَامي عن قِسِيّ الضّغائِنِ
وَشَرُّ الأذَى ما جاءَ مِنْ غيرِ حِسبةٍ ، ... وَكيدُ المُبادي دونَ كيدِ المُداهِنِ
وَإنّ بُلُوغَ الخَوْفِ من قَلبِ خائِفٍ ... لدونَ بُلوغِ الخَوْفِ من قَلبِ آمِنِ
وَخَيلٍ جَرَرْنَ النّقعَ في كُلّ بَلدَةٍ ، ... وَنَاقَلْنَ فِيهَا بالطِّوَالِ المَوَارِنِ[3]
حوَاها العِدا عَنّي ، فأصْبَحنَ بالحِمى ... عَوَاطِلَ من آبي عليقٍ وَصَافِنِ
وَثلّةِ حَيٍّ قَدْ أضَبّ بِأرْضِهَا ... ذُؤَالَةُ إضْبَابَ الغَرِيمِ المُدَايِنِ[4]
وَلَوْلا ذِئَابُ العَامِرِيّ لَشَابَهَتْ ... بِمَكّةَ أسْرَابَ الحَمامِ القَوَاطِنِ

١ وطوا : مسهل وطأوا . الفراسن ، الواحد فرسن : وهو للبعير كالحافر للفرس .

٢ الترعية : الذي يجيد رعي الإبل . الأواجن ، الواحدة آجنة : المتغيرة اللون والطعم .

٣ الموارن ، الواحد مارن : الأنف .

٤ أضب من قولهم : أرض مضبة أي كثيرة الضباب . ذؤالة : اسم .

لَنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنهُ ذِئْبٌ عَمَرَّدٌ ، دَمُ الشَّعْرِ في أنْيَابِهِ وَالبَرَائِنِ[1]
مَتَى تَطلَعوا نَجداً أوِ الغَوْرَ تُفضَحوا بوَسْمٍ فَشَتْ نيرَانُهُ في المَوَاطِنِ
خَطَبتُم إلى شُمسِ الخُدورِ فَوَارِكٍ طَوَالِقَ مِنْ حَبلِ اللّئَامِ بَوَائِنِ
عذارَى بَغَتْ فيكُمْ بغاءَ نِسائِكُم ، وَقَدْ كُنّ عندي في ثِيابِ الحَوَاضِنِ
خُذُوها فَلَوْ قَرّنتُموها بِبَرْقَةٍ ، قَطَعنَ إلى داري وثاقَ القَرَائِنِ[2]

ما يبقى وما يفنى

وقال في أبيات الشعر

وَمُستَهِلاّتٍ كَصَوْبِ الحَيَا ، تَبقَى ، وَأقوَالُ الفَتَى تَفنَى
مُنتَصِبَاتٍ كالقَنَا لا تَرَى عَيْباً مِنَ القَوْلِ وَلا أفْنَا
قَدْ حَرَمَ النّاظِرَ مِنْ حُسنِها قَائِلُهَا مَا رَزَقَ الأُذْنَا
لا يَفضُلُ المعنَى عَلَى لَفْظِهِ شَيْئاً ، وَلا اللّفظُ على المَعنَى

١ العمرد : الخبيث . البرائن ، الواحد برثن : هو من السباع كالظفر من الإنسان
٢ البرقة : الدهشة .

الرأي المأمون

وَوَصِيَّةٍ خُلِفَتْ لَنَا مِنْ حازِمٍ   وَطِىءَ الزّمَانَ سُهولَةً وَحُزُونَا
لَمّا تَعَذّرَ أنْ يُبَقّيَ نَفسَهُ ،   بَقّى عَلَيْنَا رَأيَهُ المَأمُونَا

هان الفراق

أيُّ المَنازِلِ نَرْضَى بَعدَكم وَطنا،   هانَ الفِرَاقُ فَما نُعنى بمَن ظَعَنَا
لَقَدْ سَقَوْكَ بِأطْبَاءٍ مُلَعَّنَةٍ   كأنّما كُنتَ تُسقى السّمّ لا اللّبَنَا

الطلول وأهلها سيان

هَذي المَنازِلُ فاضرِبي بجِرَانِ ،   وَتَذَكّرِي الأوْطَارَ بِالأوْطَانِ
حَيِّ الطُّلُولَ كَما تُحَيّي أهلَها،   إنّ الطُّلُولَ وَأهْلَهَا سِيّانِ

ذم الزمان

قُصُورُ الجَدّ مَعْ طول ِ المَسَاعي، وَقَوْلُ النّاس ِ: لم يَنجَحْ فُلانُ
أحَبُّ إليّ مِنْ سَعيٍ هَجِينٍ ، وَإنْ بَلَغَ العُلَى جَدٌّ هِجَانُ
يُذَمّ ليَ الزّمَانُ ، إذا ألامَتْ يَدَاهُ ، وَلا يُذَمّ بيَ الزّمَانُ

جامح الجد

سَبَقَ الدّهْرَ جَدُّكُمْ في الرّهان، وَعَلَتْ نَارُكُمْ عَلى النّيرَان ِ
وَجَرَى في عِنانِكُمْ جامحُ الجَدّ ، مُطُولاً يلُوِي بكُلّ عِنَان ِ

الأماني المرعية

هَبِي لي نَيَّ زَوْرِكِ وَالبَوَاني ، وَأمّي مَسْقِطَ النّجمِ اليَمَاني[1]
فإنّك مَا رَعَيت مِنَ الفَيَافي طَوِيلاً ، مَا رَعَيتِ مِنَ الأمَاني

١ البواني : عظام الصدر .

بئس التحية

بِئْسَ التَّحِيَّةُ بَيْنَنَا المُرَّانُ ، وَضِرَابُ يَوْمٍ وَقِيعَةٍ وَطِعَانُ
بَسَطُوا إليَّ أنَامِلاً مَغْرُوسَةً في اللُّؤْمِ لَمْ يَعْرَقْ لهنَّ عِنَانُ

هجائن بيض وجون

قال أيضاً قدس الله تعالى روحه :

وَبَرْقٍ حَدَا المُزْنَ حَدْوَ الثِّقَالِ ، يُزَجِّي عَلَى الأينِ حيناً فحينَا
كَرَاعِي العِشَارِ أحَسَّ الظَّلامَ ، فَسَاقَ الهَجائِنَ بِيضاً وَجُونَا

حرف الهاء

الى أين

قال في غرض من الأغراض
وذلك في شهر شوال سنة ٣٩٧ :

إلى أينَ مَرْمَى قَصْدِها وَسُرَاهَا ، رَمَى اللهُ مِنْ أخْفَافِهَا بِوَجَاهَا
هُوَ اليَأسُ فليُحبَسْ هِبابُ رِقابِها ، كمَا كانَ مَغرُورُ الرّجَاءِ حَدَاهَا[1]
رَأتْ لامِعاً ، فاستَشرَفَتْ لمَضَائِهِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ مُزْنِ النّدى لشَفَاهَا
تَدافَعَهَا الحَيُّ اللّئيمُ عَمَايَةً ، وَأعرَضَ طَوْعَ اللُّؤْمِ ، وَهوَ يرَاهَا
فَماطَلَ أصْحابُ الحِياضِ وُرُودَها ، وَأعْتَمَ أرْبَابُ المَبيتِ قِرَاهَا[2]
تُلَطِّمُهَا الأيدي القِصَارُ عن الرُّقَى ، وَتَحَيّرٌ مِنَ الرّيّ الذّليلِ صَدَاهَا
تَرَى كُلّ مَيْلاءِ السّنَامِ كَأنّمَا مِنَ الطّوْدِ ، إلاّ زَجْوَهَا وَخُطَاهَا[3]
مُنَاقِلَةً تَنْجُو بِزَجْرَةِ غَيرِهَا ، وَتَرْهَبُ سَوْطَ المَرْءِ رَاعَ سِوَاهَا

١ الهباب : النشاط .
٢ اعتموا قراها : أبطأوا به .
٣ الزجو : السوق .

تَكَادُ مِنَ الإسْرَاعِ تَسبُقُ أُمَّهَا بمَسْتَجِهَا ، قَبلَ اللّقَاحِ ، آبَاهَا
تعُودُ ولَمْ تَشرَعْ بحَوْضِ ابنِ حُرّةٍ ، ولا عَرِيَتْ عِندَ الكِرَامِ ذُرَاهَا
رَأينَ دِيَاراً بَينَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ مَرَاعِي لِيَوْمٍ لا تَلُسُّ خَلاهَا[1]
نُفُوسُ لِئَامٍ لا تُحَلّ عُقُودُهَا ، وَأيدي جُمودٍ لا يَنُضّ صَفَاهَا[2]
ألا ! لا تَلومُوا ظاعِناً قَذَفَتْ بِهِ بَنَاتُ السُّرَى عَنْ أرْضِكُم وَنَوَاهَا
رَعَتْ ذُرْوَةً فيكُمْ ضُحًى جاشِرِيّةً ، فأجْشَرْتُ في أوْطانِكُم ، وَأعَاهَا[3]
تَحَمّلَ عَنْهَا شَرُّ دارِ إقَامَةٍ ، إذا قِيلَ : أيّ الأرْضِ ؟ قال: خَلاهَا
فكَمْ مُوحَشَاتٍ بالرّفاقِ أزَاحَهَا ، وَلِمّةِ لَيْلٍ بالمَطِيّ فَلاهَا
كَأنّ حِماكُم خِطّةُ الخَسفِ للفَتى إذا سِيمَهَا الحُرّ الكَرِيمُ أبَاهَا
وَلَوْ بابنِ لَيلى كانَ مَلقَى رِحَالِهَا ، لَطَرّقَ مِنْ حُرّ النُّضَارِ ثَرَاهَا
تَبايَسْتَهَا فِعلاً ، فَكَمْ من عَظيمَةٍ أتَيتَ بِهَا مَرْحُولَةً ، وَكَفَاهَا
حَمَاكَ مُلِمّاً مُنْتَضًى لَكَ حَدُّهُ ، وَداهِيَةً تَشْحُو لِضِغْنِكَ فَاهَا
غَدَاةَ أغَامَتْ بِالعَجَاجِ سَمَاؤهَا ، وَدارَتْ عَلى قُطبِ الطّعانِ رَحَاهَا
إذا السّيلُ وَالى في الرّكَاءِ سِجَالَهُ ، وَأنْبَطَ ، أنقَوْتَ النّدى ، وَأمَاهَا[4]

١ بصرى : بلدة بالشام ، وقرية ببغداد . جاسم : قرية بالشام . تلس : تأخذ بطرف لسانها . خلاها : الرطب من نباتها .

٢ ينض : يسيل . صفاها : صخرها .

٣ الجاشرية : الإبل المخرجة إلى المرعى . أعاه القوم : أصابت ماشيتهم العاهة .

٤ الركاء ، الواحدة ركية : البئر ذات الماء . السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة . انقوت : اختَرت . أماه ، من أماه الحافر : بلغ الماء ، وأماهت السماء : أسالت ماء كثيراً .

أرَى شَجَراً طالَتْ وَقَصّرَ ظِلُّهَا ، فَلا أوْرَقَتْ يَوْماً وَطَالَ ذوَاهَا[1]
وَلَوْ جَمَعَتْ لَوْنَينِ بِذْلُ شِباكِها لَطالَبَهَا الرّاجي بِمَنْعِ جَنَاهَا
أضَرّاً وَلُؤماً ، لا أباً لأبيكُمُ ، سَفَاهاً لرَأيِ العَاجِزِينَ سَفَاهَا
نَلومُ أكُفَّ المُحسِنِينَ، إذا جنَتْ، فكَيْفَ بِأيْدٍ لا يُنَالُ جَدَاهَا
ضَلالاً لرَاجي نَشطَةٍ من رَبيعِكُمْ رَمَى الدّاءَ في أكْلائِكُمْ فحَمَاهَا[2]
وَعَينٍ رَجَتكُمْ أنْ تَكُونوا جَلاءها، فكُنتُمْ عَلى عَكسِ الرّجاءِ قَذاهَا
طَلَبتُمْ ثَنَائي ثمّ عِفتُم سَمَاعَهُ، كَمَنْ خَطَبَ العَذرَاءَ ، ثمّ قَلاهَا
وَمَا كُلّ جيدٍ مَوْضِعٌ لِقَلائِدي، وَلا قَمِنٌ مِنْ صَوْغِها وَحِلاهَا
فَلا تَغرُرَنْ عَينَيكَ يا خابِطَ الدُّجى قِبَابٌ بَنَاهَا اللّؤمُ حَيثُ بَنَاهَا
وَدارُ لِئَامٍ إنْ رَأى الرّكْبُ سَمتَهَا تَحَايَدَ عَنها عامِداً ، وَطَوَاهَا
مَسَاوٍ كَنيرَانِ البِقَاعِ مُضيئَةٍ . وَنَارُ ظَلامٍ لا يُضِيءُ سَنَاهَا
ألا غَنّيَاني بالدّيَارِ ، فَإنّني أُحِبّ زَرُوداً مَا أقَامَ ثَرَاهَا
وَبَيْنَ النّقَا وَالأنْعُمينِ مَحَلّةٌ حَبيبٌ لِقَلْبي قَاعُهَا وَرُبَاهَا[3]
وَنَعمانُ ، يا سُقيا لنَعمانَ، ما جرَتْ عَلَيْهِ النّعَامَى بَعْدَنَا وَصَبَاهَا[4]
وَللقَلْبِ،عِنْدَ المَأزَمَينِ وَجَمعِها، دُيُونٌ وَمَقضَى خَيفِها وَمِنَاهَا

١ ذواها : ذبولها .
٢ الأكلاء ، الواحد كلأ : العشب .
٣ الأنعمان : واديان ، أو هما الأنعم وعاقل .
٤ نعمان : وادٍ وراء عرفة ، وهو نعمان الاراك .

وَظَبْيٍ بِأَطْوَارِ الجِمَارِ ، إذا غَدا رَمَى كَبِداً مَقْرُوحَةً وَرَمَاهَا
وَغيداءَ لم تَصْحبْ سوَى الشّمسِ أختِها ، وَلا جاوَرَتْ إلاّ الغزَالَ أخَاهَا
وَخُلّة فُرْسَانٍ عيُونُ ظِبَائهَا أمَضُّ جِرَاحاً مِنْ طِعانِ قَنَاهَا
هيَ الدّارُ لا دارٌ بأكْنافِ بابِلٍ ، جَديرٌ بِضَيْمِ النّازِلِينَ حِمَاهَا
مَنازِلُ مَمْنُونٌ على الرّكْبِ زَادُها ، نَزُورٌ عَلى كَدٍّ المِطَالِ جَدَاهَا
فَلا سُقِيَتْ إلاّ الصّوَارِمَ وَالقَنَا ، وَلا صَابَ إلاّ بِالدّمَاءِ حَيَاهَا

دع القلب

قال قدس الله تعالى سره

تَلَفّتُّ ، وَالرّمْلُ مَا بَيْنَنا ، وَأعْلامُ ذي بَقَرٍ أو رُبَاه[١]
فَقُلْتُ عَلى طَرَبَاتِ الهَوَى : عسَى الطّرْفُ يَبلُغُهم او كَرَاهُ
فَما لَقيَ الحُبُّ إلاّ الجَوَى ، وَلا بَلَغَ الطّرْفُ إلاّ قَذاهُ
بذِكرِي أشُمُّ ثَرَى أرْضِهِ ، عَلى نَأيِهِ ، وَبِقَلْبي أرَاهُ
عَسَى مَنْ رَمَى بالمُحبّ الغَرِيبِ مَرْمًى بَعيداً يُقضّي نَوَاهُ
وَتَدْنُو الدّيَارُ بِسُكّانِهَا ، تمَنّي امرِىءٍ ما عَرَاكم عَرَاهُ

١ ذو بقر : واد بين أخيلة حمى الربذة .

أصَاحِ ترَى البَرْقَ في لَمْعِهِ   تَخَلُّجَ أيْمٍ يُلَوّي مَطَاهُ
وَقَالُوا : سَنَاهُ عَلى رَامَةٍ ،   وَيَا بُعْدَ مَوْقِفِنَا مِنْ سَنَاهُ
دَعِ القَلبَ يأرَقُ من ذِكرِهم ،   فقد ذاقَ من بَيْنِهم ما كَفَاهُ
فَلا حَطّ إلاّ بِهِمْ رَحْلَهُ ،   وَلا جَادَ إلاّ عَلَيْهِمْ حَيَاهُ

أحبك

قال قدس الله تعالى روحه يذكر
أيامه بمنى وهي من الحجازيات :

أُحِبُّكِ ما أقامَ مِنًى وَجَمْعٌ ،   وَمَا أرْسَى بِمَكّةَ أخْشَبَاهَا[1]
وَمَا رَفَعَ الحَجيجُ إلى المُصَلّى ،   يَجُرّونَ المَطيّ عَلى وَجَاهَا[2]
وَمَا نحَرُوا بخَيفِ مِنًى ، وكَبّوا   عَلى الأذْقانِ مُشعَرَةً ذُرَاهَا
نَظَرْتُكِ نَظْرَةً بالخَيفِ كانَتْ   جَلاءَ العَينِ مِنّي بَلْ قَذاهَا
وَلَمْ يَكُ غَيرُ مَوْقِفِنا فَطارَتْ   بكُلّ قَبِيلَةٍ مِنّا نَوَاهَا
فَوَاهاً كَيْفَ تَجْمَعُنَا اللّيَالي ؛   وآهاً مِنْ تَفَرّقِنَا ، وآهَا

١ الأخشبان : هما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر .
٢ رفعوا : أصعدوا . وجاها : حفاها .

فَأُقْسِمُ بالوُقُوفِ علَى ألالٍ ، وَمَنْ شَهِدَ الجِمارَ، وَمن رَماهَا[1]
وَأرْكَانِ العَتيقِ وَبَانِيَيْهَا ، وَزَمزَمَ وَالمَقَامِ وَمَنْ سَقَاهَا
لأنْتِ النّفْسُ خالِصَةً ، فإن لمْ تَكُونِيهَا ، فَأنْتِ إذاً مُنَاهَا
نَظَرْتُ بِبَطنِ مكّةَ أمَّ خِشفٍ تَبَغّمُ ، وَهيَ نَاشِدَةٌ طَلاهَا[2]
وَأعجَبَني مَلامِحُ مِنكِ فيها ، فَقُلتُ أخَا القَرِينَةِ أمْ تَرَاهَا ؟
فلَوْلا أنّني رَجُلٌ حَرَامٌ ، ضَمَمتُ قُرُونَها وَلَثَمتُ فَاهَا[3]

ثالث النيرين

قال قدس الله تعالى روحه وكتب بها إلى بهاء الدولة بفارس في جمادى الآخرة سنة ٣٩٤ :

يا طَالِباً مُلْكَ بَني بُوَيْهِ ! مَا أنْتَ مِنْ ذاكَ وَلا إلَيْهِ
إرْثُ قِوَامِ الدّينِ عَنْ أبيهِ ، خَلّ عِنَانَ المُلْكِ في يَدَيْهِ
مُنَاضِلاً يَذُبُّ عَنْ ثَغْرَيْهِ بَدِيهَةَ الصِّلّ جَلا نَابَيْهِ
يُلَجْلِجُ المَوْتُ بِماضِغَيْهِ ، يَكْتَلىءُ الدِّينَ بِنَاظِرَيْهِ

١ ألال : جبل بعرفات .
٢ الخشف : ولد الظبي . تبغم : تصيح . ناشدة : طالبة . طلاها : ولدها
٣ الحرام : المحرم .

كالمِقْضَبِ اضْطُرَّ إلى حَدَّيْهِ ، نَجَا الذي فَازَ بِحَجْزَتَيْهِ[1]
وَضَلَّ مَغْرُورٌ بِمَا لَدَيْهِ ، يَحْتَلُكَّ بالعَضْبِ وَمَضْرِبَيْهِ
شَتَّانَ مَنْ يَنفُضُ مِذْرَوَيْهِ ، مُخَايِلاً ، يَنظُرُ في عِطْفَيْهِ[2]
مَا نَقَلَ الذَّابِلَ في كَفَّيْهِ ، وَمَنْ طَوَى المَجدَ على غَرْبَيهِ
مُرْتَقِياً إلى ذُؤابَتَيْهِ ؛ إذا المَقَامُ لَمْ يَقُمْ حَوْلَيْهِ
قَامَ بِهِ يَرْكُدُ في حَالَيْهِ ، لا يَطرِفُ الهَوْلُ بِهِ جَفنَيْهِ[3]
شَوْكُ القَنَا يَلدَغُ أخمَصَيهِ ؛ قَدْ قُلْتُ للطّالِبِ غَايَتَيْهِ
أقعِ ، فَما غَوْرُكَ مِنْ نَجدَيهِ ، ما أنتَ وَالطّولُ إلى فَرْعَيْهِ
سِقْطُ شَرَارٍ طارَ عَن زَنْدَيْهِ ، مَنْ يَطْلَعُ اليَوْمَ ثَنِيَّتَيْهِ
قَدْ سَبَقَ النّاسَ إلى مَجْدَيْهِ ، سَبْقَ الجَوَادِ بِقِلادَتَيْهِ
في فَلَكِ العِزّ إلى قُطْبَيْهِ ، يُمْسِي بِهِ ثَالِثَ نَيّرَيْهِ
أيُّ فَتًى يَنزِعُ في سَجلَيْهِ قَدْ وَرَدَ المَاءَ بِجُمّتَيهِ
أمَا تَرَى الضّرْغامَ في غابَيْهِ مُزَمْجِراً يَفْتِلُ سَاعِدَيْهِ
قَد أنشَبَ الفَرِيسَ في ظِفرَيْهِ ؛ هَيْهَاتَ مَنْ يَغلِبُهُ عَلَيْهِ
أقْسَمْتُ بالبَيْتِ وَبَانِيَيْهِ ، عَظَّمَ مَا عَظَّمَ مِنْ رُكْنَيْهِ
رَبٍّ مِنًى وَرَبِّ مَأزَمَيْهِ ، وَرَبِّ مَنْ عَجّ بِوَقْفَتَيْهِ

١ المقضب : السيف الشديد القطع . الحجزتان ، مثنى حجزة : موضع شد الإزار .
٢ المذروان : طرفا الألية وطرفا الرأس . وجاء ينفض مذرويه أي جاء باغياً مهدداً .
٣ يركد : يسكن .

عُرْيانَ إلاّ مَعْقِدَيْ بُرْدَيْهِ ، لَقَدْ وَسَمتُ الدّهرَ صَفحتَيهِ
يَقُودُهُ يُوضِعُ في عَرْضَيْهِ ، قَوْدَ الضّليعِ مَلّ جاذِبَيْهِ
قَدْ أغبَطَ الرّحْلَ عَلى دَفّيْهِ ، حتّى رَأيْنَا نَضْحَ ذِفْرَتَيْهِ[1]
يا نَفسِ ضَنّي بكِ أنِ تَلْقَيْهِ عَسَاهُ يَدْعُوكِ لأنْ تَرَيْهِ
لَبّيْهِ مِنْ داعٍ دَعَا لَبّيْهِ

وقف الهوى بي عندها

قال وهي من لواحق الحجازيات
وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٩٠ :

عَادَ الهَوَى بِظِبَاءِ مَـ كّةَ للقُلُوبِ كمَا بَدَاهَا
وَخَبَتْ عَلَيكَ مِنًى تَبَا رِيحَ الغَرَامِ وَمَا زَهَاهَا[2]
طَرَباً عَلى طَرَبٍ بِهَا ، يا دِينَ قَلبِكَ من جوَاهَا[3]
إنّي عَلِقْتُ عَلى مِنًى لَمْيَاءَ يَقْتُلُني لَمَاهَا

١ أغبط الرحل : أدامه على الدابة . الدفان : الجنبان . النضح : الرش . الذفرة : النتن .
٢ خبت : لعلها من خبى أي ستر وأخفى . أو أنها من خبت النار : سكنت ، فتكون التباريح فاعلاً ، وتكون منى منصوبة بنزع الخافض أي في منى .
٣ الدين : الداء . الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق .

رَاحَتْ مَعَ الغِزْلانِ قَدْ	لَعِبَتْ بقَلْبِي ، ما كَفَاهَا
تَبْغِي الثَّوَابَ ، فمُهجَتِي	هَذي القَرِيحَةُ مَنْ رَمَاهَا
تَزْهُو عَلى تِلْكَ الظِّبَا	ءِ فلَيْتَ شِعرِي مَنْ أبَاهَا
وَقَفَ الهَوَى بِي عِندَها ،	وَسَرَتْ بِقَلْبِي مُقْلَتَاهَا
بَرَدَتْ عَلَيَّ كَأنَّمَا	طَلٌ الغَمَامَةِ عَارِضَاهَا
شَمْسٌ أُقَبِّلُ جِيدَهَا ،	يَوْمَ النَّوَى، وَأجلُّ فَاهَا
وَأذُودُ قَلْباً ظَامِئاً ،	لوْ قيلَ : وِرْدك ما عداهَا
وَلَوِ استَطاعَ لَقَدْ جرَى	مَجرَى الوِشاحِ على حَشاهَا
يَا يَوْمَ مُفتَرَقِ الرِّفَا	قِ تُرَى تَعُودُ لمُلْتَقَاهَا؟
قالَتْ : سيَسَطْرُقُكَ الحَيَا	لُ مِنَ العَقيقِ على نَوَاهَا
فَعِدِي بِطَيْفِكِ مُقْلَةً ،	إنْ غِبتِ تَطمَعُ في كَرَاهَا
إنّي شَرِبْتُ مِنَ الهَوَى	حَمرَاءَ صَرّفَ سَاقِيَاهَا
يا سَرْحَةً بالقَاعِ لَمْ	يُبْلَلْ بِغَيرِ دَمِي ثَرَاهَا
مَمْنُوعَة ، لا ظِلُّهَا	يَدْنُو إليّ ، وَلا جَنَاهَا
أكَذا تَذُوبُ عَلَيْكُمُ	نَفسِي ، وَمَا بَلَغَتْ مُنَاهَا
جَسَدٌ يُقَلَّبُ للضّنَى ،	بِيَدَيْ طُبَيْبَةٍ سِوَاهَا
أينَ الوُجُوهُ أُحِبُّهَا ،	وَأوَدّ لَوْ أنّي فِدَاهَا
أمْسِي لَهَا مُتَفَقّداً ،	في العَائِدِينَ ، وَلا أرَاهَا
وَاهاً ، وَلَوْلا أنْ يَلُو	مَ اللاّئمونَ، لقُلتُ: آهَا

مولى شهوته

قال رضي الله تعالى عنه

أَكْبَحُ النَّفسَ إنْ جمَحـ ـتُ إلى غَايَةٍ بِهَا
أنَا مولًى لشَهْوَتي ، وَسِوَايَ عَبْدٌ لَهَا
لا يَذِلُّ العَزِيزُ إ لاَّ إذا رَامَ مَسَّهَا
لَوْ رَأى المُسْتَغِرُّ مَا ضَرَرُ اللّهْوِ مَا لَهَا

لمن الأسياف والقنا

قال أيضاً قدس الله روحه :

لِمَنْ بَعْدَهُ أسْيَافُهُ وَقَنَاهُ ، وَمَنْ يُولَعُ البِيضَ الرِّقاقَ سِوَاهُ[1]
فَقَدْ كانَ يَرْجُو أنْ يَنَالَ مُنَاهُ ، فَخَلّفَني فَرْداً ، وَنَالَ رَدَاهُ

١ يولع : يحب . البيض : منصوبة بنزع الخافض ، أي يولع بالسيوف .

حرف الواو

اذكروني

وجد له رضي الله تعالى عنه على روي الواو قوله :

عَلِقَ القَلْبُ مَنْ أطَالَ عَذابي ، وَرَوَاحي عَلى الجَوَى وَغُدُوّي
وَافتَرَقْنَا في مَذهَبِ الحُبّ شتّى بَيْنَ تَقْصِيرِهِ ، وَبَيْنَ غُلُوّي
كَانَ عِنْدِي أنّ الحَبيبَ شَقِيقي ، في التّصَافي، فَكَانَ عَيْنَ عَدُوّي
ساءَني ، مُذ نأيتُ ، نِسيانُ ذِكري، فاذكرُوني ، وَلَوْ ذُكِرْتُ بِسوّ

حرف الياء

خذوا نظرة مني

قال رضي الله تعالى عنه عند توجه الناس إلى الحج وذلك في ذي القعدة من سنة ٤٠٠ :

أقُولُ لرَكْبٍ رَائِحِينَ : لَعَلّكُم ... تَحِلّونَ مِنْ بَعدي العَقيقَ اليَمانيَا
خُذوا نَظرَةً منّي فلاقُوا بها الحِمَى، ... وَنَجداً وكُثبانَ اللّوَى وَالمَطاليَا[1]
وَمُرّوا عَلى أبْيَاتِ حَيٍّ بِرَامَةٍ ... فَقُولُوا : لَديغٌ يَبتَغي اليَوْمَ رَاقيَا
عَدِمْتُ دَوَائي بالعِرَاقِ فَرُبّمَا ... وَجَدْتُمْ بِنَجدٍ لي طَبيباً مُداوِيَا
وَقُولوا لجيرَانٍ علىالخَيفِ من مِنًى: ... تُرَاكُمْ مَنِ استَبدَلتُمُ بجِوَارِيَا
وَمَن حلّ ذاكَ الشِّعبَ بعدي وَرَاشقتْ ... لَوَاحِظُهُ تِلْكَ الظّبَاءَ الجَوَازِيَا
وَمَنْ وَرَدَ المَاءَ الذي كُنتُ وَارِداً ... بهِ وَرَعَى الرّوْضَ الذي كنتُ رَاعِيَا
فَوَالَهفَتي كَم لي على الخَيفِ شَهقَةً ... تَذُوبُ عَلَيها قِطعَةٌ مِن فُؤادِيَا
صَفَا العَيشُ من بَعدي لحَيٍّ على النّقا ... حلَفتُ لهمْ لا أقرَبُ المَاءَ صَافيَا
فَيَا جَبَلَ الرّيّانِ إنْ تَعرَ مِنهُمُ ، ... فإنّي سَأكْسُوكَ الدّموعَ الجَوَارِيَا

١ كل ما مر من الأسماء هو أسماء أمكنة .

وَيا قُرْبَ ما أنكَرْتُمُ العَهدَ بَيْنَنا ، نَسيتُمْ وَما استَوْدَعتُمُ الوُدّ ناسيَا
أأنْكَرْتُمُ تَسليمَنَا لَيْلَةَ النّقَا ، وَمَوْقِفَنَا نَرْمي الجِمَارَ لَيَالِيَا
جَارَاني بعَيْنَيْه شَادنٌ حديثَ النّوَى حتّى رَمَى بي المَرَاميَا
رَمَى مَقتَلي مِنْ بَينِ سِجفَيْ عَبيطِه ، فَيَا رَامياً لا مَسّكَ السّوءُ رَاميَا
فَيَا لَيْتَني لمْ أعلُ نَشزاً إلَيْكُمُ حرَاماً ولَمْ أهبِطْ من الأرْضِ وَاديَا
ولَمْ أدرِ ما جَمعٌ وَمَا جَمرَتَا مِنًى ، ولَمْ ألقَ في اللاّقينَ حَيّاً يَمَانيَا
وَيا وَيْحَ قَلبي كَيفَ زَايَلتُ في منًى بذي البَانِ لا يُشرَينَ إلاّ غَوَاليَا
تَرَحّلْتُ عَنكُمْ لي أمَاميَ نَظرَةٌ ، وَعشرٌ وَعشرٌ نَحْوَكُمْ لي وَرَائيَا
وَمِنْ حَذَرٍ لاأسألُ الرّكْبَ عنكُمُ ، وَأعلاقُ وَجْدي باقيَاتٌ كمَا هيَا
وَمَن يَسألِ الرّكبانَ عن كلّ غائبٍ ، فَلا بُدّ أنْ يَلقَى بَشيراً وَنَاعيَا
وَمَا مُغزِلٌ أدْمَاءُ تُزْجي برَوْضَةٍ طَلاً قاصِراً عن غايَةِ السّرْبِ وَانيَا[1]
لهَا بَغَمَاتٌ خَلْفَهُ تُزْعِجُ الحَشَى كجَسّ العَذارَى يَختَبِرْنَ المَلاهيَا
يَحُورُ إلَيْهَا بالبُغَامِ ، فتَنثَني كَما التَفَتَ المَطلوبُ يخشَى الأعاديَا
بأرْوَعَ مِنْ ظَمياءَ قَلباً وَمُهْجَةً ، غَداةَ سَمِعْنَا للتّفَرّقِ داعيَا
تُوَدّعُنَا مَا بَينَ شَكوَى وَعَبرَةٍ ، وَقَدْ أصْبَحَ الرّكْبُ العِرَاقيُّ غَاديَا
فلَمْ أرَ يَوْمَ النّفرِ أكثَرَ ضَاحِكاً ؛ وَلَمْ أرَ يَوْمَ النّفرِ أكثَرَ بَاكيَا

[1] المغزل : الظبية التي لها غزال . أدماء : بيضاء تعلوها غبرة . تزجي : تسوق .

مباني المعالي

قال قدس الله تعالى روحه في تذكر الحنين وجماعة من أصدقائه انقرضوا وذلك في شعبان سنة ٣٩٢ :

مَنْ رَأى أعْيُناً حَذَفْ ... نَ الدّمُوعَ الجَوَارِيَا
قَدْ عَرَفْنَ السُّهَادَ حَـ ... تّى نَكَرْنَ اللّيَالِيَا
تَتْبَعُ النّجْمَ نَظْرَةٌ ، ... وَالوَمِيضَ اليَمَانِيَا
كُلَّ يَوْمٍ يَجِدْنَ رَبْـ ... عاً مِنَ الحَيِّ خَالِيَا
بِدُمُوعٍ رَوَائِحاً ، ... وَدِمَاءٍ غَوَادِيَا
إنْ تَرَ الطّرْفَ دامِعاً ، ... فَاعْلَمِ القَلْبَ دامِيَا
قُلْ لِوَادٍ عَلى الثّوِ ... يّةِ : حُيّيتَ وَادِيَا
أينَ قَوْمٌ عَهِدْتُهُمْ ... يَمْلَؤونَ المَقَارِيَا[1]
لا يُخَلّى غَدِيرُهُمْ ... عَنْ حَيَا المَاءِ ظَامِيَا
لَحّبُوا المَجْدَ وَابْتَنَوْا ... في المَعَالي مَبَانِيَا
وَثَبُوهَا . وَغَيرُهُمْ ... صَعِدُوهَا مَرَاقِيَا
مَعْشَرٌ . إنْ بَلَوْتَهُمْ ... غَيْبَهُمْ وَالمَبَادِيَا

١ المقاري : آوان تقرى بها الضيوف ، الواحد مقرى .

كَرُمُوا أنْفُساً عِظَا مَاً ، وَرَاقُوا مَجَالِياً
وَمُلُوكٌ قَادُوا الرّؤو سَ مُطِيعاً وَآبِيَا
لا يُبَالُونَ في القِيَا دِ الرِّقَابَ العَوَاصِيَا
وَإذا اليَوْمَ قَرّبُوا للطّعَانِ المَذاكِيَا
أعجَلُوا المُلجَماتِ ، أوْ رَكِبُوهَا عَوَارِيَا
وَرَسَوْا في ظُهُورِهَا يَعلَقُونَ النّوَاصِيَا
كَأسُودِ الشّرَى رَكِبْ نَ الظّبَاءَ العَوَاطِيَا
وَإذا مَا غَدا فَمُ الشّمْ سِ بالنّقْعِ رَاغِيَا
حَفِظُوا عَوْرَةَ العُلى ، وَرَقُوا للعَوَالِيَا
كَمْ رَمَوْا بالمَطِيّ تِلْ كَ الحُزُونَ الفَيَافِيَا
يَعْسِفُونَ الذُّرَى وَيَعْ تَسِفُونَ المَوَامِيَا[1]
جَمّلُوا شَحْمَةَ السّنَا مِ ، وَقَدْ كَانَ وَارِيَا[2]
كُلُّ صِلٍّ يَبِيتُ في مَرْبَإِ النّجْمِ رَابِيَا
زَحَمَتْ مِنهُمُ المَنُو نُ الجِبَالَ الرّوَاسِيَا
لَمْ تَخَفْ مِنْهُمُ القَنَا وَالدّرُوعَ الأوَاقِيَا
قُلَلٌ للعَلاءِ عَا دَتْ تُرَاباً وَسَافِيَا
وَعِظَامُ البَلاءِ صَا رُوا عِظَاماً بَوَالِيَا

١ يعسفون ويعتسفون : يسيرون على غير طريق . الموامي ، الواحدة موماة : المفازة .
٢ جملوا : أذابوا . الواري : السمين .

ومضوا مُعْقِبِينَ إرْ ثاً مِنَ المَجْدِ بَاقِيَا
كُلَّمَا أحْرَزُوا المَكَا رِمَ شَادُوا المَعَالِيَا
فَهُمُ اليَوْمَ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ داعِيَا
قَرَعَ الذّلُّ مِنْهُمُ مَارِناً كَانَ حَامِيَا
وَأنَاخُوا مُنَاخَ مَنْ لَمْ يُرَ ، الدّهر ، سارِيَا
طَوّحَتْهُمْ أيْدِي المَنُو نِ الغُيُوبَ الأقَاصِيَا
كَنِبَالِ القَارِيِّ يَرْ مي بِهِنَّ المَرَامِيَا[1]
كُنْتُ مِنْ مَجْدِهِمْ أحِ لُّ الذُّرَى وَالرّوَابِيَا
وَإذا شِئْتُ زَاحَمُوا بالقَنَا مِنْ وَرَائِيَا
أقرَضُونِي ، مِنْ عِزّهِمْ ، وَازِنَ القَدْرِ وَافِيَا
فَجزُوا أنْ قَضَيْتُهُمْ مِنْ يَدِي أوْ لِسَانِيَا
وَإذا أعْوَزَ الجزَا ءُ جَزَيْتُ القَوَافِيَا
وَأرَى بَعْدَهُمْ مُوَا مِقَ قَوْمِي مُرَامِيَا
وَرِجَالاً قَدْ أعْبَقُوا بِالبُرُودِ المَخَازِيَا
إنْ لَقُونِي أصَادِقاً ، فَارَقُونِي أعَادِيَا
مَا تَرَى النّاسَ كالبِهَا مِ يُوَقّعْنَ ضَارِيَا
كُلَّ يَوْمٍ يُجَهّزُو نَ إلى اللهِ غَازِيَا
وَيَقُودُونَ سَالِياً عَنْ قَلِيلٍ وَنَاسِيَا

[1] القاري : المنسوب إلى القارة ، وهم رماة من العرب مشهورون .

رِيعَةُ الذَّوْدِ قَدْ أَمِـ نَّ عَلَى القُرْبِ حَادِيَا

قَدْ رَجَعْنَا ضَوَاحِكاً ، وَمَضَيْنَـا بَوَاكِيَا

وَتَرَى المَرْءَ إِنْ رَأَى عَارِضَ الخَطْبِ رَانِيَا

خَافِقَ الجَأْشِ نَاظِراً مَنْ يُجِيبُ الدَّوَاعِيَا

فَإِذَا انْجَابَ لَيْلُهُ ، وَانْجَلَى عَنْهُ نَاجِيَا

طَرَحَ الهَمَّ جَانِباً ، وَتَمَنَّى الأَمَانِيَا

مَا لِهَذَا الزَّمَانِ يُلْـ قِي عَلَيْنَا المَرَاسِيَا

كُلَّ يَوْمٍ يَجْلُو عَلَيْـ نَا خُطُوباً عَوَادِيَا

كَمْ طَوَى بِالرَّدَى صَفِـ يّاً لِقَلْبِي مُصَافِيَا

ثَالِثَ النَّاظِرَيْنِ عِـ زّاً ، وَلِلنَّفْسِ ثَانِيَا

صَارَ بِالدَّمْعِ فِيهِ مَنْ كَانَ نَاهِيَا آمِراً

أَغْتَدِي مِنْهُ عَاطِلاً ، بَعْدَمَا ـُ ْ ُ حَالِيَا

عَطِّلَ الكَأْسَ لا تُحِـ سِّ النَّدِيمَ المُعَاطِيَا

إِنْ تَفِضْ عَبْرَتِي تَجِدْ كَمَدَ القَلْبِ بَاقِيَا

رُبَّمَا تَعْرِفُ الجَوَى ، وَتَرَى الدَّمْعَ غَالِيَا

ما مقامي على الهوان

قال قدس الله روحه ونور ضريحه هذه الأبيات وقد ناله أمر ضاق به صدره فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله على والده لأجله فأنكرها ولم يثبتها في ديوانه إلا أنها مشهورة عنه :

ما مُقامي على الهَوَانِ ، وَعِنْدي مِقْوَلٌ صَارِمٌ وَأَنْفٌ حَمِيُّ
وَإِبَاءٌ مُحَلِّقٌ بِي عَنِ الضَّيْـ ـمِ كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحْشِيُّ
أيُّ عُذْرٍ لَهُ إلى المَجْدِ إنْ ذُ لَّ غُلامٌ في غِمْدِهِ المَشْرَفيّ
ألبَسُ الذّلَّ في دِيَارِ الأعَادي وَبِمِصْرَ الخَلِيفَةُ العَلَوِيّ
مَنْ أبُوهُ أبي وَمَوْلاهُ مَوْلا يَ ، إذا ضَامَنِي البَعِيدُ القَصِيّ
لَفّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيّدَا النّا سِ جَمِيعاً مُحَمّدٌ وَعَلِيّ
إنّ ذُلّي بذَلِكَ الجَوّ عِزٌّ ، وَأُوَامي بِذَلِكَ النّقْعِ رَيّ
قَدْ يُذَلُّ العَزِيزُ مَا لمْ يُشَمّرْ لانْطِلاقٍ وَقَدْ يُضَامُ الأبيّ
إنّ شَرّاً عَلَيّ إسْرَاعُ عَزْمي في طِلابِ العُلَى وَحَظّي بَطِيّ
أرْتَضِي بالأذَى وَلَمْ يَقِفِ العَزْ مُ قُصُوراً ، وَلَمْ تَعِزّ المَطِيّ
كالّذي يَخبِطُ الظّلامَ ، وَقد أقْـ ـمَرَ مِنْ خَلْفِهِ النّهَارُ المُضِيّ

أترجو الخلد في دار الفناء ؟

قال رضي الله تعالى عنه يزهد في العيش
ويذم الزمان وأهله وذلك في المحرم سنة ٣٩٢ :

أتَذْهَلُ بَعْدَ إنْذارِ المَنَايَا ، وَقَبْلَ النَّزْعِ أنْبَضَتِ الحَنَايَا
رُوَيدَكَ لا يَغُرّكَ كَيدُ دُنْيَا ، هيَ المِرْنَانُ مُصْمِيَةُ الرّمَايَا
فإنّكَ سَالِكٌ مِنْهَا طَرِيقاً تُقَطِّعُ فِيهِ أرْقَابُ المَطَايَا
أتَرْجُو الخُلْدَ في دارِ التّفَاني ، وَأمْنَ السّرْبِ في خُطَطِ البَلايَا
وَتُغْلِقُ دُونَ رَيْبِ الدّهْرِ بَاباً، كَـأنّكَ آمِنٌ قَرْعَ الرّزَايَا ؟
وَإنّ المَوْتَ لازِمَةٌ قِرَاهُ ، لزُومَ العَهْدِ أعْنَاقَ البَرَايَا
لَنَا في كُلّ يَوْمٍ مِنْهُ غَازٍ لَهُ المِرْبَاعُ مِنّا وَالصّفَايَا[1]
بِجَيْشٍ لا غُبَارَ لحَجْرَتَيْهِ ، قَلِيلِ الرُّزْءِ غَرّارِ السّرَايَا
مُغِيرٌ لا يُفَادي بالأسَارَى ، وَسَابٍ لا يَمُنّ عَلى السّبَايَا
إذا قُلْنَا أغَبّ رَأيْتَ مِنْهُ كَميشَ الذّيْلِ يَطّلِعُ الثّنَايَا[2]
غَشُومُ النّاد فُ ناجِذاهُ ، إذا أبْقَى أحَالَ عَلى البَقَايَا

١ المرباع : ما كان يأخذه الرئيس من الغنيمة وهو ربعها . الصفايا : ما كان يصفيه الرئيس لنفسه قبل قسمة الغنيمة .
٢ الكميش : المشمر .

يُطِيلُ غُرُورُنَا مُهَلَ الأمَانِي ، وَنَنْسَى بَعْدَهُ عَجَلَ المَنَايَا
وَهَذَا الدَّهْرُ تَحْدُونِي يَدَاهُ ، حِدَاءَ الطِّلْحِ بِالإبِلِ الرَّذَايَا[1]
إذا ما قُلْتُ : رَوَّحْ عَقْرَ ظَهرِي مِنَ الإدْلاجِ أغْبَطَ بالحَوَايَا
وَإنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا حُمَاةٌ ، وَإنْ كَثُرَ الرَّقائِبُ وَالرَّبَايَا[2]
إذا أبْطَأْنَ بِالغَدَوَاتِ فَاعْبَأْ قِرًى لِضُيُوفِهِنَّ مَعَ العَشَايَا
وَمِنْ عَجَبٍ صُدُودُ الحَظِّ عَنَّا إلى المُتَعَمِّمِينَ عَلَى الخَزَايَا
أسَفَّ بِمَنْ يَطِيرُ إلى المَعَالي ، وَطَارَ بِمَنْ يُسِفُّ إلى الدَّنَايَا
تَرَى لَهُمُ المَزَايَا إنْ أرَمُّوا ، وَإنْ نَطَقُوا رَأيتَ لَنَا المَزَايَا
غَبَاوَةُ هاجِرِ الدّنيا ، وكَيدٌ ، وَلا كَيْدُ الفَوَاجِرِ وَالبَغَايَا
وَإنّ ظُهُورَهم لَوْ كانَ نِصْفٌ مِنَ الأنْعَامِ أوْلَى بِالوَلايَا
جَرَتْ بِهِمِ الحُظُوظُ معَ القُدامَى ، وَأسْقَطَنَا الزّمَانُ مَعَ الرّدايَا
فَفَاقُوا في المَرَاتِبِ وَالمَعَالي ، وَفُقْنَا في الضّرائِبِ وَالسّجَايَا
لَهُمْ عَن مالِهِمْ نَفَحاتُ كَيدٍ ، قِرَاعَ الدَّبْرِ ذادَ عَنِ الخَلايَا
ذَمَمْنَا كُلّ مُرْتَجِعٍ عَطاءً ، ولَمْ يُعْطُوا ، فيَرْتَجِعُوا العَطايَا
فَلَوْلا اللهُ لارْتَابَتْ قُلُوبٌ بِقَاضٍ لا يُجَوِّرُ في القَضَايَا

١ الطلح : المعيي . الرذايا : المهازيل ، الواحدة رذية .
٢ الربايا : الطلائع ، الواحدة ربيئة .

يعز علي

قال رضي الله تعالى عنه بديهة
وقد رأى أخاً لصديق له توفي :

مَضَى حَسَبٌ مِنَ الدّنْيا وَدِينٌ، وَأُعْقِبَ مِنْهُمَا عَارٌ وَغَيٌّ
فَذاكَ الطّيّ للمَاضِينَ نَشْرٌ ، وَهَذا النّشْرُ للبَاقِينَ طَيّ
تَقَدّمَتِ الذّوَائِبُ وَالقُدامَى ، وَخُلّدَ بَعْدَهَا هَيٌّ وَبَيّ[1]
يَعِزّ عَلَيّ أنْ يَمْضِي وَتَبْقَى ، وَأنْ يَرِدَ المَنُونَ ، وَأنتَ حَيّ

نعي الندى والمعالي

قال قدس الله تعالى روحه يرثي أبا إسحق
إبراهيم بن هلال الصابي وقد اجتاز على قبره
وهو في الجنينة ببغداد :

أيَعْلَمُ قَبرٌ بالجُنَيْنَةِ أنّنَا أقَمْنَا بِهِ نَنْعَى النّدَى وَالمَعالِيَا
حَطَطْنَا ، فَحَيّيْنَا مَسَاعِيهِ أنّهَا عِظَامُ المَسَاعي لا العِظام البَوَالِيَا

[1] يقال : هو هي بن بي ، أي لا يعرف أصله ولا فصله .

مَرَرْنَا بِهِ ، فَاستَشْرَفَتْنَا رُسُومُهُ ، كَمَا استشرَفَ الرَّوْضُ الظِّبَاءَ الجوَازِيَا
وَمَا لاحَ ذاكَ التُّرْبُ حتّى تَحَلّبَتْ مِنَ الدّمعِ أوْشَالٌ ملأنَ المَسَاقِيَا
نَزَلْنَا إلَيْهِ عَنْ ظُهُورِ جِيَادِنَا ، نُكَفْكِفُ بالأيدي الدّموعَ الجَوَارِيَا
وَلَمّا تَجاهَشْنا البُكَاءَ وَلَمْ نُطِقْ عَنِ الوَجدِ إقلاعاً عَذَرْنا البَوَاكِيَا
أقُولُ لرَكْبٍ رَائِحِينَ : تَعَرّجُوا أُرِيكُمْ بِهِ فَرْعاً من المَجْدِ ذاوِيَا
ألِمّوا عَلَيْهِ عَاقِرِينَ ، فإنّنَا إذا لمْ نَجِدْ عَقراً عَقَرْنا القَوَافِيَا
وَحُطّوا بِهِ رَحلَ المَكارِمِ وَالعُلَى ، وَكُبّوا الجِفَانَ عِندَهُ وَالمَقَارِيَا
وَلَوْ أنْصَفُوا شَقّوا عَلَيهِ ضَمَائِراً ، وَجَزّوا رِقَاباً بالظُّبَى لا نَوَاصِيَا
وَقَفنا ، فأرْخَصْنا الدّموعَ ، وَرُبّما تَكُونُ عَلى سَوْمِ الغَرَامِ غَوَالِيَا
ألا أيّهَا القَبرُ الذي ضَمّ لَحدُهُ قَضِيباً عَلى هَامِ النّوَائِبِ مَاضِيَا
هَلِ ابنُ هِلالٍ مُنذُ أوْدَى كعَهدِنا هِلالاً عَلى ضَوْءِ المَطالِعِ بَاقِيَا
وَتِلْكَ البَنَانُ المُورِقَاتُ مِنَ النّدى نَوَاضِبُ مَاءٍ أوْ بَوَاقٍ كَمَا هِيَا
فإنْ يَبلَ مِنْ ذاكَ اللّسانِ مَضَاؤهُ ، فإنّ بِهِ عُضْواً مِنَ المَجْدِ بَاقِيَا
يُجيبُ الدّوَاعي جَائِداً وَمُدافِعاً . هُنَاكَ مُرِمٌّ لا يُجيبُ الدّوَاعِيَا[1]
وَمَا كُنتُ آبَى طُولَ لَبْثٍ بقَبرِهِ ، لَوَ انّي ، إذا استَعدَيتُهُ ، كانَ عادِيَا
تَرَى الكَلِمَ الغُرّاتِ ، مِن بَعدِ موْتِه ، نَوَافِرَ عَمّنْ رَامَهُنّ . نَوَائِيَا
هُوَ الخاضِبُ الأقلامِ نَالَ بهَا عُلًى تَقَاصَرَ عَنها الخَاضِبُونَ العَوَالِيَا
مُعِيدُ ضِرَابٍ باللّسَانِ لَوَ انّهُ بيَوْمِ وَغًى فَلّ الجُرَازَ اليَمَانِيَا

[1] المرم ، من آرم : سكت .

مَرِيرُ القُوَى نَالَ المَعَالِيَ وَاثِباً، إذا غَيرُهُ نَالَ المَعالِيَ حَابِيَا
مَضَى لمْ يُمانِـعْ عَنهُ قَلْبٌ مُشَيَّعٌ، إذا هَمّ لمْ يَرْجِـعْ عن الهَمّ نَابِيَا
وَلا مُسْنِدُوهُ بالأكُفّ عن الحَشَى، علَى جَزَعٍ ، والمُفرِشُوهُ التّرَاقِيَا
وَلا رَدّ في صَدْرِ المَنُونِ براحَةٍ يَرُدّ بِهَا سُمْرَ القَنَا وَالمَوَاضِيَا
خَلا بَعدَكَ الوَادي الذي كنتَ أُنسَهُ، وَأصْبَحَ تَعْرُوهُ النّوَائِبُ وَادِيَا
أرَاحَتْ علَيْنَا ثَلّةُ الوَجْدِ تَرْتَعي ضَمَائِرَنَا أيّامَهَـا وَاللّيَالِيَا
وَلَوْلاكَ كانَ الصّبرُ مِنْكَ سَجِيّةً تُرَاثاً ، وَرِثْنَاهُ الجُدُودَ الأوَالِيَا
رَضِيتُ بحُكْمِ الدّهْرِ فيكَ ضَرُورَةً، وَمَن ذا الذي يَغدُو بِمَا سَاءَ رَاضِيَا
وَطاوَعتُ مَن رَامَ انتِزَاعَكَ مَن يدي، وَلَوْ أجِدُ الأعوَانَ أصْبَحتُ عاصِيَا
وَطَأمَنتُ كيما يَعبرُ الخَطبُ جانبي، فَأَلقَى عَلَى ظَهرِي وَجَرّ زِمَامِيَا
مَلأتَ بِمَحْيَاكَ البِلادَ فَضَائِلاً ، وَيَمْلأُ مَثْوَاكَ البِلادَ مَنَاعِيَا
كمَا صَمّ عَالي ذِكرِكَ الخَلقَ كُلَّهُ، كَذاكَ أقَمْتَ العَالَمِينَ نَوَاعِيَا
رَثَيتُكَ كَيْ أسلوكَ فازْدَدتُ لَوْعةً، لأنّ المَرَاثي لا تَسُدّ المَرَازِيَا
وَأعلَمُ أنْ لَيسَ البُكاءُ بِنَافِعٍ علَيكَ ، وَلَكِنّي أُمَنّي الأمَانِيَا

آنت صديقي

وكتب إلى بعض أصدقائه :

أمُلْتَمِساً مِنّي صَديقاً لِنَوْبَةٍ ، وَأنتَ صَديقي لا أرَى لكَ ثَانِيَا
لحَا اللهُ دَهْراً خَانَني فيهِ أهْلُهُ ، وَأحشَمَني حتّى احتَشَمتُ الأدانِيَا
فَلَستُ أرَى إلاّ عَدُوّاً مُكَاشِفاً ؛ وَلَستُ أرَى إلاّ صَدِيقاً مُداجِيَا

المجد عنواني

يفتخر ويذم الزمان

أأُنكَرُ، وَالمَجْدُ عُنوَانِيَهْ، وَمَخبُرَتي عِندَ أقرَانِيَهْ [1]
وَيُعْرَفُ غَيرِي بِلا مِيسَمٍ مُبِينٍ ، وَلا غُرّةٍ ضَاحِيَهْ
ألا قَاتَلَ اللهُ هَذا الأنَامَ ، وَقَاتَلَ ظَنّي وَآمَالِيَهْ
وَدَهْراً يُمَوِّلُ زَلاّتِهِ ، وَلا يَدّخَرُ العُدْمَ إلاّ لِيَهْ
إذا ما تَمَاثَلْتُ مِنْ غُصّةٍ ، أعَادَ المِرَارَ فَسَقّانِيَهْ

١ المخبرة : العلم بالخبر .

فَيَا لَيتَ حَظّيَ مِنْ ذا الزّمَا ... نِ رَدُّ نَوَائِبِهِ الجَارِيَهْ
زَمَانٌ عَدا العَيُّ أبْنَاءَهُ ، ... فَأفصَحُ مِنْ نَاطِقٍ رَاغِيَهْ
سؤالاً ، فهَلْ يُخبِرَنْ سالِفٌ ... مِنَ العَيشِ قَطّعَ أقْرَانِيَهْ
ألا أينَ ذاكَ الشّبابُ الرّطِيـ ... ـبُ ، أمْ أينَ لي بِيضُ أيّامِيَهْ
مَشَى الدّهرُ بَيْني وَبَينَ النّعيـ ... ـمِ ظُلماً ، وَغَيّرَ مِن حَالِيَهْ
نظَرْتُ ، وَوَيلُ امّها ، نَظرَةً ... ببيضَاءَ في عَارِضِي بَادِيَهْ
يَقُولُونَ : داعِيَةٌ للشّبَابِ؛ ... فقُلتُ : وَلَكِنّهَا نَاعِيَهْ
ألا قَطَعَ النّاسُ حَبْلَ الوَفاءِ ، ... وَأُولِعَ بالغَدْرِ خُلاّنِيَهْ
وَصِرْتُ أُعَدّدُ في ذا الزّمَانِ ... صَديقيَ أوّلَ أعْدائِيَهْ
أضَرُّ الأنَامِ ليَ الأقْرَبُونَ ، ... وَأعْدَى الوَرَى ليَ جِيرَانِيَهْ
إلى كَمْ أُخَفّضُ مِنْ عَزْمَتي ، ... وكم يأكُلُ العَضْبُ أغمادِيَهْ
فَلِلّهِ عَزْميَ لَوْ أنّهُ ... عَلى قَدْرِ عَزْميَ سُلْطَانِيَهْ
سَتَسمَعُ بي شارِداً في البِلادِ ... لأمْرٍ أُغَيِّرُ إنْسَانِيَهْ
وَقَدْ أغتَدي غَرَضَ النّائِبَا ... تِ ، لا يُتّقَى الرّوْعُ إلاّ بِيَهْ
نَديما جَذِيمَةَ لي في البِلادِ ... نَديمانِ ، وَالظّلمَةُ الدّاجِيَهْ[1]
عَلِيقُ جِيَادِيَ شَمُّ النّسيـ ... ـمِ ، وَالظِّمءُ سائِقُ أذوَادِيَهْ
دُفِعْنَ فَمِنْ مُقْلَةٍ بالدّمُو ... عِ رَيّا ، وَمن مُهجَةٍ صَادِيَهْ

[1] نديما جذيمة : هما مالك وعقيل ابنا فالج . وجذيمة : ملك الحيرة الملقب بالأبرش .

يُطِرْنَ سَوَابِكَ جَعْدِ اللُّغامِ		عَلى القُورِ وَالقُلَلِ السّامِيَهْ[1]
وَفي كُلّ يَوْمٍ بِلا غَايَةٍ		تُقَعقِعُ للبَيْنِ أعْمادِيَهْ
وَأزْرَقِ مَاءٍ كَلَوْنِ الزّجا		جِ ، بالرّمْلِ جُمّتُهُ طَامِيَهْ
سَبَقْتُ إلَيْهِ وُفُودَ القَطَا ،		فَلِلّهِ سَيْرِي وَإغْذاذِيَهْ[2]
وَقَد مالَ جُلُّ الدّجى ،وَالصّباحُ		كَشَقْرَاءَ في جُدُدٍ عَادِيَهْ[3]
أرَى غَمرَةً يَتّقِيهَا الرّجَا		لُ مَحفُوفَةً بالقَنا طَاغِيَهْ
سَألقَى بِنَفْسِيَ أهْوَالَهَا ،		فَإمّا العَلاءُ أوِ الدّاهِيَهْ
أنَوْماً ألَذُّ عَلى ذِلّةٍ ،		وَيَعرَى مِنَ الذّلّ أضْدادِيَهْ
وَأرْعَى المُنَى دونَ أن أستَشيرَ		قَناً خَالِقاً وَظُبًى فَارِيَهْ[4]
وَأعزَلَ نَاءٍ عَنِ المَكْرُماتِ		يرَى المَوْتَ من دونِ لُقيَانِيَهْ
مدَحتُ فكانَ جزَاءَ المَديح		قَبُولُ نِظَامي وَأشْعَارِيَهْ
فصَرّحْتُ بالذّمّ حتّى ترَكْـ		تُ شَنعاءَ مِن عِرْضِه دامِيَهْ
وَلَمْ أهْجُهُ بِهِجَائي لَهُ ،		وَلَكِنْ هَجَوْتُ بِهِ القَافِيَهْ
ألا ما أُفَيصِحَ هذا الكَلامَ ،		لَوَ انّ لَهُ أذُناً وَاعِيَهْ

١ السوابك ، الواحدة سبيكة : القطعة من الفضة، شبه قطع اللغام ، أي زبد أفواه الإبل ، بقطع من الفضة في ابيضاضها ، تتطاير على الجبال وقممها .

٢ اغذاذي : إسراعي في السير .

٣ جل الدجى : معظم الظلام . الجدد : الطرق ، شبه الصباح بفرس شقراء تعدو .

٤ الخالق : المقد قبل القطع . الفارية : القاطعة .

فَلا يُذْمَمِ الأمَلُ المُستَغِرُّ ، ألا رُبّمَا ضَلّتِ الهَادِيَهْ
وَقد يَنكُلُ المُستَغِيرُ الشّجَا عُ حِيناً وَتُخطي اليدُ الدّامِيَهْ

الدجى المهتوك القناع

مف البدر والثريا

وَدُجًى هتَكتُ قِنَاعَهُ ، عَن وَجهِ طامِسةٍ خَفِيّهْ
تَسْرِي كوَاكِبُهُ إلى الـ إصْبَاحِ ، وَاللّيْلُ المَطيّهْ
وَالنّجْمُ وَجْهُ مُقَبَّلٍ ، وَالبَدْرُ مِرْآةٌ صَدِيّهْ

لست بخزان للمال

يمدح الخليفة الطائع لله ويستنهضه في أموره ويعاتبه
على تأخيره لاستدعائه وذلك سنة ٣٧٧ :

أُرَاعي بلُوغَ الشّيبِ،وَالشّيبُ دائِيَا ، وَأَفني اللّيَالي ، وَاللّيَالي فَنَائِيَا
وَمَا أدّعي أنّي بَرِيءٌ مِنَ الهَوَى ، وَلَكِنّني لا يَعْلَمُ القَوْمُ مَا بِيَا
تلَوّنَ رَأسِي ، وَالرّجَاءُ بحَالِهِ ، وَفي كُلّ حَالٍ لا تَغُبّ الأمَانِيَا
خَليليّ ! هَل تُثْني منَ الوَجدِ عبرَةٌ ، وَهَلْ تُرْجِعُ الأيّامُ ما كانَ ماضِيَا
إذا شِئْتَ أنْ تَسلَى الحَبيبَ فخَلّهِ وَرَاءَكَ أيّاماً ، وَجُرّ اللّيَالِيَا
أعِفُّ وَفي قَلْبي مِنَ الحُبّ لَوْعَةٌ ، وَلَيسَ عَفيفاً تارِكُ الحُبّ ، سالِيَا
إذا عَطَفَتْني للحَبيبِ عَوَاطِفٌ ، أبَيْتُ ، وَفاتَ الذّلُّ مَن كانَ آبِيَا
وَغَيرِيَ يَستَنشِي الرّيَاحَ صَبَابَةً ، وَيُنْشي عَلى طُولِ الغَرَامِ القَوَافِيَا
وَألقَى مِنَ الأحبابِ ما لَوْ لَقِيتُهُ مِنَ النّاسِ سَلّطتُ الظُّبَى وَالعَوَالِيَا
فَلا تَحسَبُوا أنّي رَضِيتُ بِذِلّةٍ ، وَلَكِنّ حُبّاً غادَرَ القَلبَ رَاضِيَا
رَعَى اللهُ مَنْ وَدّعتُهُ يوْمَ دابِقٍ ، وَوَلّيْتُ أنْهَى الدّمعَ ما كانَ جارِيَا
وَأكْتُمُ أنْفَاسِي ، إذا ما ذَكَرْتُهُ ، وَمَا كلُّ ما تُخفيهِ ، يا قَلبُ، خافِيَا
فعِندي زَفِيرٌ ما تَرَقّى من الحَشَى ؛ وَعندي دُمُوعٌ مَا طَلَعنَ المَآقِيَا
مَضَى ما مَضَى مِمّنْ كَرِهتُ فرَاقَه ، وَقد قَلّ عندي الدّمعُ إن كنتُ باكِيَا
وَلا خَيرَ في الدّنيَا إذا كنتُ حاضِراً ، وَكان الذي يَغوَى به القَلبُ نائِيَا

إذا اللّيلُ وَارَاني خفَيتُ عن الكَرَى، وَأيدي المَطايا جنحَ لَيلي إزَائيَا
وَمَا طَالَ لَيْلي ، غَيرَ أنّ علاقَةً بقَلْبيَ تَستَقْري بعَيني الدّرَاريَا
ألا لَيتَ شِعرِي هل أرَى غيرَ مُوجَعٍ ؛ وَهلْ ألقَيَنْ قَلباً من الوَجدِ خاليَا
بأيّ جَنَانٍ قارِحٍ أطلُبُ العُلَى ، وَأطمِعُ سَيفي أنْ يُبيدَ الأعاديَا
إذا كنتُ أُعطي النّفس َفي الحبّ حكمَها وَأُودِعُ قَلْبي وَالفُؤادَ الغَوَانيَا
وَلَمْ أدْنُ مِنْ وُدٍّ وَقد غاضَ وِدُّهُ ، وَلَكِنّني داوَيْتُهُ ببِعَاديَا
تَعَمّدَني بالضّيْمِ حتّى شكَوْتُهُ ، وَمَن يشكُ لا يعدَم من النّاسِ شاكيَا
وَإنّي ، إذا أبْدَى العَدُوُّ سَفَاهَةً ، حَبَستُ عَنِ العَوْرَاءِ فَضْلَ لِسانيَا
وَكُنتُ إذا التَاثَ الصّديقُ قَطَعتُهُ ، وَإن كانَ يوْماً رَائحاً كنتُ غَاديَا
سَجِيّةُ مَضّاءٍ عَلى مَا يُريدُهُ ، مُقِضٍّ عَلى الأيّامِ ما كانَ قاضيَا
أرَى المَاءَ أحلى من رُضَابٍ أذُوقُهُ ، وَأحسَنَ مِنْ بِيضِ الثّغورِ الأقاحيَا
وَأطيَبُ من داري بِلاداً أجُوبُها ، إلى العزّ جَوْبي بالبَنَانِ رِدائيَا
وَرَبّ مُنًى سدَّدتُ فيهِ مَطالبي ، وَأيّ سِهَامٍ لَوْ بلَغنَ المَرَاميَا
وَهَمٍّ سَقَيتُ القَلبَ مِنهُ ، وَحاجَةٍ رَكِبتُ إلَيها غارِبَ اللّيلِ عاريَا
وَعَارِيَةُ الأيّامِ عِندي نَسيئَةٌ أسأتُ لهَا قَبلَ الأوَانِ التّقَاضيَا
أرَى الدّهرَ غَصّاباً لِما لَيسَ حقَّه فَلا عَجَبٌ أنْ يَستَرِدّ العَوَاريَا
وَما شِبتُ من طُولِ السّنينَ ، وَإنّما غُبَارُ حرُوبِ الدّهرِ غَطّى سَوَاديَا
وَما انحَطّ أولى الشَّعرِ حتى نعَيتُهُ ، فبَيّضَ هَمُّ القَلْبِ بَاقي عِذاريَا
أرَى المَوْتَ داءً لا يُبَلّ عَليلُهُ ، وَما اعتَلّ مَن لاقَى من الدّهرِ شافيَا

فَمَا لِي وَقِرْناً لا يُغالَبُ كُلَّمَا ... مَنَعْتُ أمَامِي جَاءَنِي مِنْ وَرَائِيَا
يُحَرِّكُنِي مَنْ ماتَ لِي بِسُكُونِهِ ، ... وَتَجديدُ دَهرِي أن أرَى الدَّهرَ باكِيَا
وَأبعَدُ شيءٍ مِنكَ ما فاتَ عَصرُهُ ، ... وَأقرَبُ شيءٍ منكَ ما كانَ جائِيَا
وَلَستُ بِخَزّانٍ لِمَالٍ ، وَإنّمَا ... تُرَاثُ العُلَى وَالفَضْلِ وَالمَجدِ مالِيَا
وَإتْلافُ مَالِي عَن حَيَاتِي ألَذُّ لِي ، ... وَلا خَيرَ أنْ يَبقَى ، وَأُصْبِحَ فانِيَا
وَإنّي لأَلقَى رَاحَتِي في تَقَنُّعِي ، ... وَفي طَلَبِ الإثْرَاءِ طولَ عَنائِيَا[1]
وَإنّيَ إنْ ألقَى صَدِيقاً مُوَافِقاً ، ... وَذَلِكَ شيْءٌ عازِبٌ عَنْ رَجائِيَا
وَإنّ غَرِيبَ القَوْمِ مَنْ عاشَ فيهِمُ ... وَلَيسَ يَرَى إلاّ عَدُوّاً مُداجِيَا[2]
وَأكثَرُ مَنْ تَلقَاهُ كالسّيفِ مُرْهَفاً ... عَلَيكَ وَإنْ جَرّبتَهُ كان نَابِيَا
وَمَا أنَا إلاّ غِمْدُ قَلْبِي ،فإنْ مضَى ... مَضَيتُ، وَمَا لِي مِنّةٌ في مَضَائِيَا
وَما حَمَلَتْنِي العِيسُ إلاّ مُشَمِّراً ... لأَخْرُقَ لَيْلاً ، أوْ لأَقطَعَ وَادِيَا
طَوَارِحُ أيْدٍ في اللّيَالي كَأنّهَا ... تُجَارِي إلى الصّبحِ النّجومَ الجَوَارِيَا
إذا مَا رَحَلْنَاها مِنَ الصّيفِ لَيلَةً ، ... فَلا حَلَّ حتّى يَنظُرَ النّجمَ رَائِيَا
طَوَاهِنّ طَيَّ السّيرِ في كُلّ مَهمَهٍ ، ... وَرُحنَ خِماصاً قَد طَوَينَ المَوَامِيَا
مَرَرْنَ بِمَيّاسِ الثُّمَامِ وَحَزْنِهِ ... خِفَافاً كَأطْرَافِ العَوَالي نَوَاجِيَا[3]
وَكَمْ جاوَزَتْ مِنْ رَمْلَةٍ ثمّ عاقِرٍ ، ... وَأُخرَى يَضُفّ الرّوْضُ فيها الغَوَادِيَا[4]

١ تقنعي : أخذي بالقناعة .
٢ المداجي : العدو المساتر العداوة .
٣ الثمام : نبت .
٤ العاقر من الرمل : ما لا ينبت . يضف : يجمع . الغوادي : أراد بها الأمطار التي تسقط غدوة

وَمِنْ نَفَرٍ لا يَعرِفُ الضّيفَ كَلبُهم، وَيَسغَبُ حتّى يَقطَعَ اللّيلَ عاوِيَا
تَهابُ النّدَى أيْديهِمُ ، فَكَأنّمَا تُلاطِمُ مِنْ بَذْلِ النّوَالِ الأثَافيَا
وَأعلى الوَرَى مَنْ وَافَقَ الرّمحُ باعَهُ، وَكَانَ لَهُ في كبّةِ الخَيْلِ سَاقيَا
وَأشرَفُهم مَن يُطلِقُ الكَفَّ بالنّدى سَخيّاً ، بِبَذلِ المالِ ، أوْ مُتَسَاخيَا
وَإنّ أميرَ المُؤمِنِينَ لحَابِسٌ رِكَابيَ أنْ أرْمي بهَا مَا أمَاميَا
مُعيني عَلى الأيّامِ إنْ غالَبَتْ يَدي، وَإنْ كُنتُ مَعدُوّاً عَليّ وَعَاديَا
إذا شِئْتُ عَنَهُ رِحْلَةً حَطّ جُودُهُ حَقَائِبَ أذْوَادي وَرَدَّ المَثَانيَا[1]
وَلَوْلاهُ ما انصَانَتْ لوَجهي طَلاوَةٌ، وَلا كُنتُ إلاّ شاحِبَ اللّوْنِ طاوِيَا
جَرِيئاً أرُوعُ الوَحشَ في كُلّ ظُلمَةٍ ، وَأخلِطُ بالنّقعِ المُثَارِ الدّيَاجِيَا
هُوَ السّيفُ إنْ أغمَدْتَهُ كانَ حازِماً وَقُوراً، وَإنْ جَرّدتَهُ كانَ عادِيَا
لَهُ كُلَّ يومٍ مَعْرَكٌ إنْ شَهِدْتَهُ تَرَى قُضُباً عُوناً وهاماً عَذاريا[2]
يَضُمُّ عَلَيْهَا جانِبَ النّقعِ بالقَنَا ، يُبَادِرْنَ قُدّامَ السّيُوفِ التّرَاقِيَا
وَيُرْسِلُ في الأقرَانِ كُلّ خَفيّةٍ ، تَخَالُ بهَا طَيراً مِنَ الرّيحِ هَافيَا[3]
وَيَثْني جوَاداً من دَمِ الطّعنِ ناعِلاً ، وَيُزْجي نَجيباً من وَجى السّيرِ حافيَا
تَسَافَهُ في الغَارَاتِ أشداقُ خَيلِها عَلى اللُّجْمِ حتّى تَكْرَعَ المَاءَ داميَا

١ الحقائب ، الواحدة حقيبة : خريطة يضع بها المسافر زاده . الأذواد : الإبل . المثاني من الدابة : ركبتاها ومرفقاها .

٢ العون ، الواحدة عوان : المرأة التي كان لها زوج . العذاري ، الواحدة عذراء : البكر . استعار العون للسيوف التي تعودت قطع الهام ، واستعار العذاري للهام : أي الرؤوس .

٣ الهافي ، من هفا الطائر : خفق بجناحيه .

عَظيمٌ عَلى غَيظِ الرّجَالِ مُحَسَّدٌ ، غَلُوبٌ ، إذا ما جاذَبُوهُ المَعَاليَا
تُغَاديهِ في حرامٍ مغامِرا ، وَتَلْقَاهُ إلاّ عَنْ نَوَالٍ مُحَامِيَا
وَمَا قَصَبَاتُ السّبْقِ إلاّ لِمَاجِدٍ سعَى فاحتَوَى دونَ الرّجال المَساعيَا
أيا عَلَمَ الإسْلامِ وَالمجْدِ وَالعُلَى، رَضينَاكَ مَهْدِيّاً لِدِينٍ وَهَادِيَا
وَمَا حَمَلَتْكَ الخَيلُ إلاّ رَدَدْتَهَا عَنِ الرَّوعِ حُمراً بالدّماءِ قَوَانِيَا
وَشُعْثَ النّوَاصِي يَتّخِذْنَ دمَ الطُّلَى دِهَاناً وَأطْرَافَ العَوَالي مَدَارِيَا
وَغَيرُكَ يَقْتَادُ الجِيَادَ لِغَارَةٍ ، وَيُرْجِعُهَا مُلْسَ الجُلُودِ كَما هِيَا
وَمَا الخَيلُ إلاّ أن تكونَ سَوَابِقاً ؛ وَمَا الأُسدُ إلاّ أن تَكونَ ضَوَارِيا
وَتَتْرُكُ صُبْحَ الجَهْلِ يَغبَرُّ ضَوْءُهُ ، وَتَقْعُكَ أحَاذٌ عَلَيْهِ الضّوَاحِيَا
بِيَوْمِ طِرَادٍ يَصْطَلِي القَوْمُ تَحتَهُ بِنَارِ الحَنَايَا وَالقَنَا وَالمَوَاضِيَا
وَجُرْدٍ يُنَاقِلْنَ الرِّمَاحَ عَوَابِساً ، وَيَرْمِينَ بالعَدْوِ القَطَا وَالحَوَامِيَا
خَوَارِجَ مِنْ ذَيْلِ الغُبَارِ كَأنّهَا أنَامِلُ مَقْرُورٍ دَنَا النّارَ صَالِيَا
بكُلّ سِنَانٍ لا يَرَى الدّرْعَ جُنّةً ، وكلّ حُسامٍ لا يرَى البَيضَ وَاقِيَا[1]
وَلا سِلمَ حتّى يَخضِبَ الحرْبُ أرْضَها، وَيَغدُو فَمُ البَيداءِ بالنّقعِ رَاغِيَا
إذا ما لَقيتَ الجَيشَ أفنَيتَ جُلّهُ رَدًى وَرَدَدْتَ القَافِلينَ نَوَاعِيَا
وَمَا كُلّ مَنْ أوْمَى إلى العِزّ نالَهُ ، وَدونَ العُلَى ضَرْبٌ يُدَمّي النّوَاصِيَا
إلى كَمْ أُمَنّي النّفسَ يَوْماً وَلَيلَةً ، وَتُعْلِمُنِي الأيّامُ أنْ لا تَلاقِيَا
وَكَمْ أنَا مَوْقُوفٌ عَلى كُلّ زَفرَةٍ ، عَلِيلُ جَوًى ، لوْ أنّ ناساً دَوَائِيَا

---

١ البيض : الخوذ التي توضع على الرؤوس ، وقوله : واقياً لا واقية ، هو على تقدير : شيئاً واقياً.

أيَسنَحُ لي رَوْضاً وَأُصْبحُ عازِباً ، وَيَعرِضُ لي مَاءً وَأُصْبحُ صَادِيَا
وَمَا أنَا إلاّ أنْ أرَاكَ بِقَانِعٍ ، وَإنْ كُنْتَ جرّاراً إليّ الأعَادِيَا
تَرَكْتُ إلَيْكَ النّاسَ طُرّاً وكلُّهمْ يَتُوقُ إلى قُرْبِي وَيَهوَى مَقامِيَا
وَفَارَقْتُ أقْوَاماً كِرَاماً أكُفُّهُمْ ، وَما ضِقتُ عَنهم في البِلادِ مَلاقِيَا
وَيَمنَعُني مِنْ عادَةِ الشّعرِ أنّني رَأيتُ لِبَاسَ الذّلّ بالمَالِ غَالِيَا
إذا لمْ أجِدْ بُدّاً مِنَ السّيفِ شِمتُه ، وَفَقَدِ ذَلُولٍ أرْكَبُ الصّعبَ ماشِيَا
فإنْ كُنتُ لا أعلُو عَلى عُودِ مِنبَرٍ ، فَلَسْتُ أُلاقي غَيرَ مَجدي عَالِيَا
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ إنّي لَنَازِعٌ إلَيكَ ، وَإنْ لمْ أُعطَ مِنكَ مُرَادِيَا
وَدُمتَ دوَامَ الشّمسِ وَالبَدرِ في الدّنا ، تُجَدِّدُ أيّاماً وَتَنْضُو لَيَالِيَا[1]

[1] تنضو : تبلي .

ف

ق

ك

م

هـ

و

ي

ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :

١ ديوان المتنبي
٢ « ابن الفارض
٣ « عبيد بن الأبرص
٤ « امرىء القيس
٥ « عنترة
٦ « عبيد الله بن قيس الرقيات
٧ « أبي فراس
٨ « عامر بن الطفيل
٩ « الخنساء
١٠ « زهير بن أبي سلمى
١١ « النابغة الذبياني
١٢ « ابن زيدون
١٣ « ابن حمديس
١٤ « جرير
١٥ شرح المعلقات السبع للزوزني
١٦ سقط الزند لأبي العلاء المعري
١٧ اللزوميات « « « (جزآن)
١٨ ديوان الفرزدق (جزآن)
١٩ « الأعشى
٢٠ « أوس بن حجر
٢١ « جميل بثينة
٢٢ « الشريف الرضي (جزآن)
٢٣ « طرفة بن العبد
٢٤ « عمر بن أبي ربيعة

DĪWĀN

AŠ-ŠARĪF ar-RAḌI

al-MŪSAWI

Tome II

Editeurs

DAR SADER

DAR BEYROUTH

BEYROUTH

الثمن ١ــ٢ : ٣٠٠٠ ق.ل.

